

التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف العلامة المفسر أبي القاسم
محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي
رحمه الله وتقبله في الشهداء (٦٩٣ - ٧٤١هـ)

وبهامشه

التعليقات على المسائل العقدية

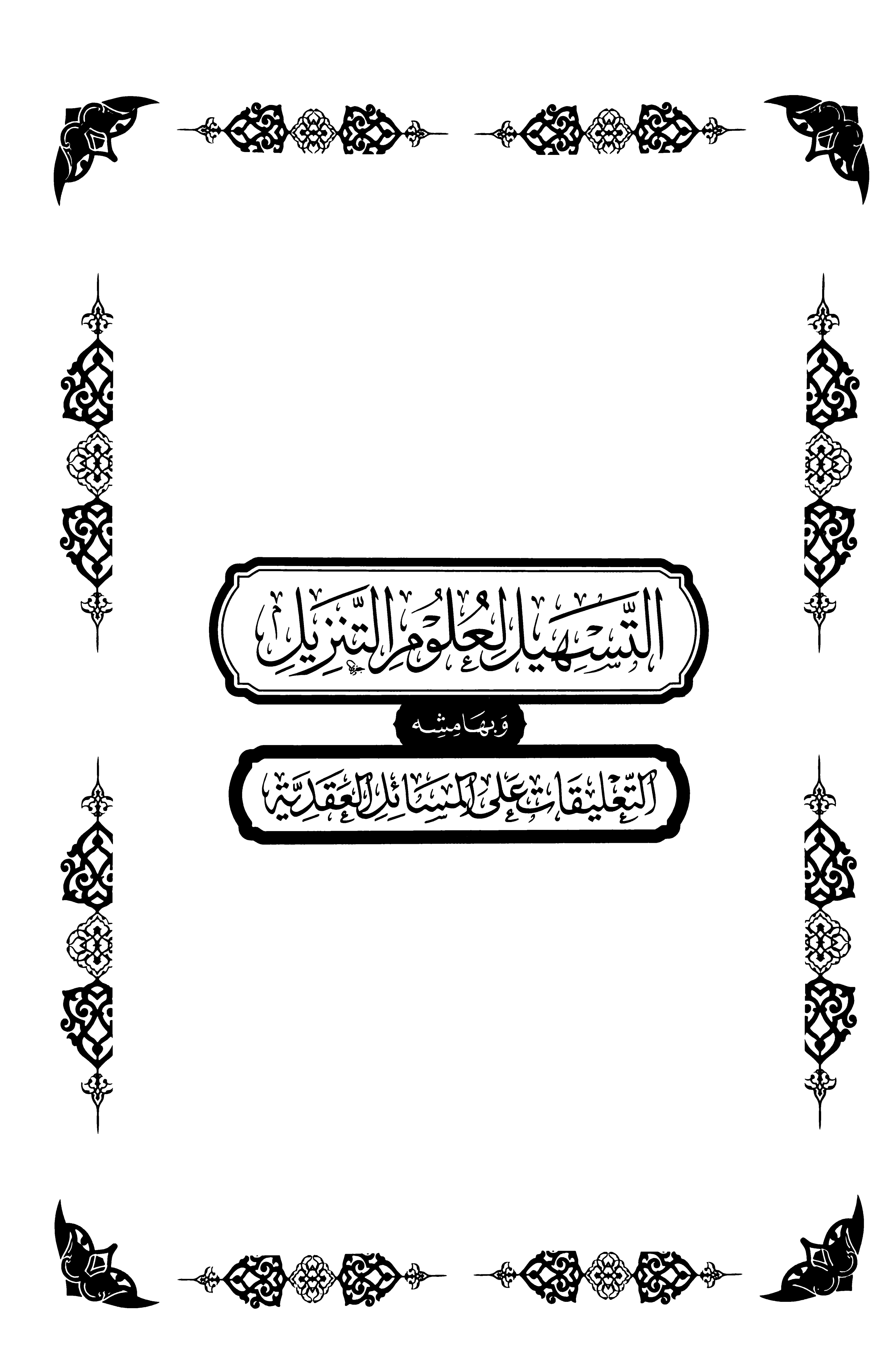
لفضيلة الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر البراك
حفظه الله تعالى ونفع به

الطبعة الخامسة

الجزء الثالث
من يس إلى الناس

تحقيق
د. علي بن حمد الصالحي
عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

دار طيبة الخضراء


التسهيل لعلوم التنزيل
وبهامشه
التعليقات على المسائل العقدية

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغرناطي ، محمد أحمد ابن جزي الكلبي

التسهيل لعلوم التنزيل

وبهامشه التعليقات على المسائل العقدية 1 ❖ 3

محمد أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي ؛ علي بن محمد الصالحي.-ط 2.- مكة المكرمة، 1443 هـ

1 مج 728 ص؛ 17×24 سم

ردمك: 978-603-8310-70-0 (مجموعة)

ردمك: 978-603-8310-37-1 (ج3)

1- القرآن – تفسير أ. الصالحي، علي بن محمد (محقق) ب. العنوان

ديوي 227,3 1442/8517

رقم الإيداع: 1442/8517

ردمك: 978-603-8310-70-0 (مجموعة)

ردمك: 978-603-8310-73-1 (ج3)

الطبعة الخامسة (1444هـ – 2023م)



يمكنكم طلب الكتب عبر

متجرنا الإلكتروني







dar.taibagreen123

dar.taiba

@dar_tg

dar_tg

dartaibagreen@gmail.com

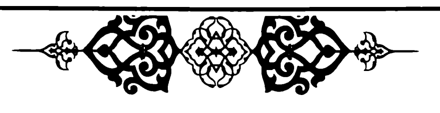
yyy.01@hotmail.com

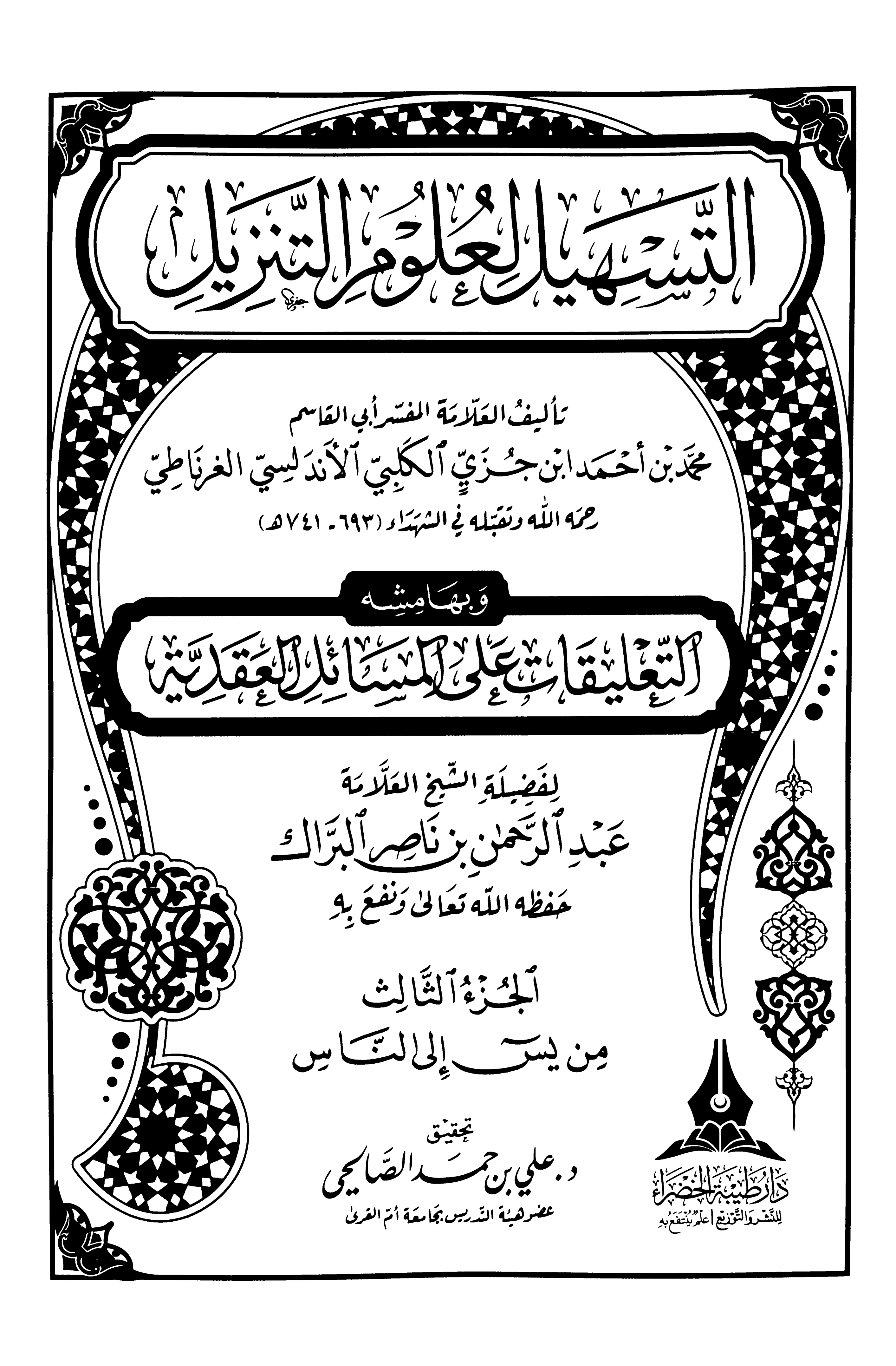
0125562986

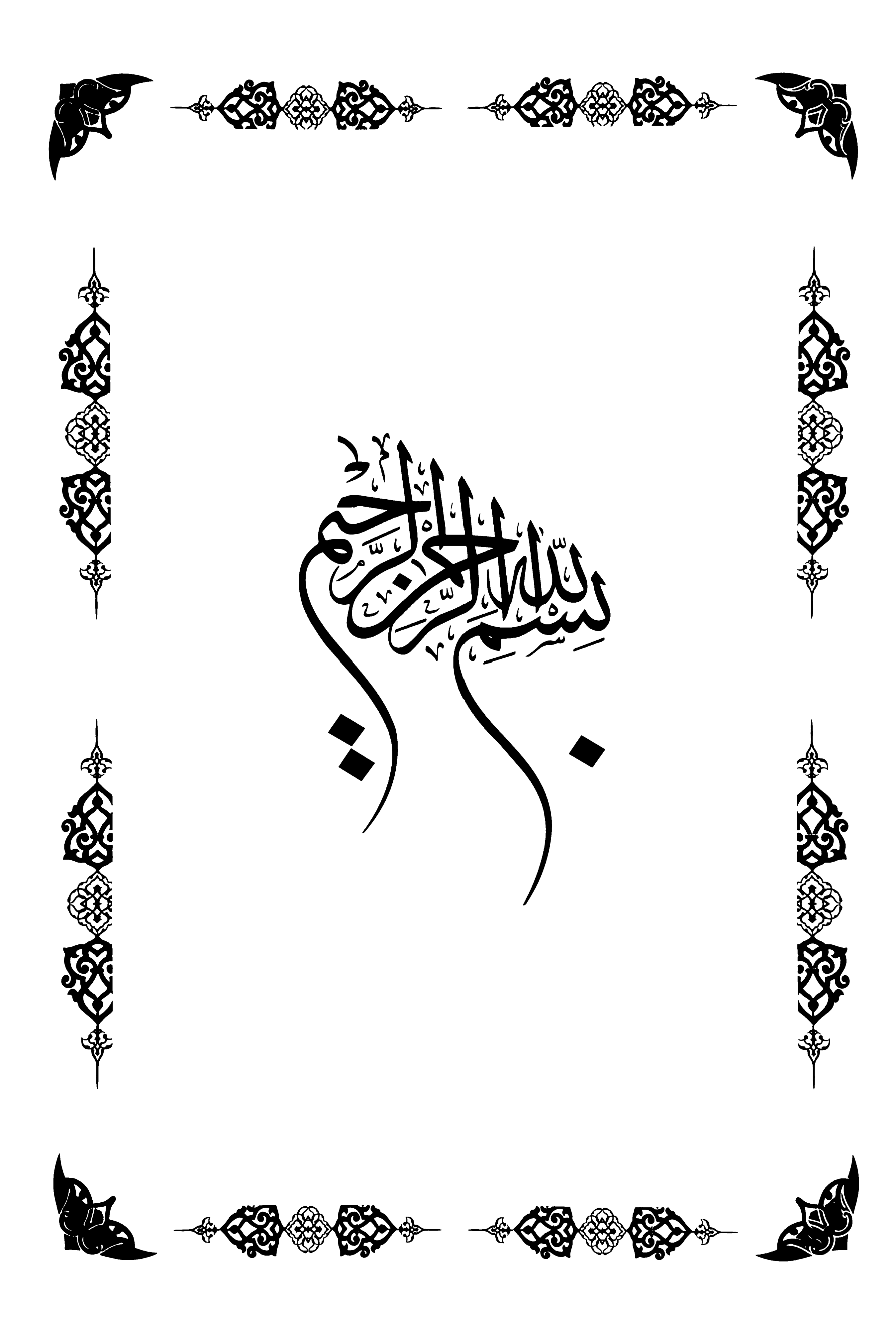
0550428992

مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه






التسهيل لعلوم التنزيل
جزي
تأليف العلامة المفسر أبي القاسم
محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي
رحمه الله وتقبله في الشهداء (٦٩٣ - ٧٤١هـ)
وبهامشه
التعليقات على المسائل العقدية
لفضيلة الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر البراك
حفظه الله تعالى ونفع به
الجزء الثالث
من يس إلى الناس
تحقيق
د. علي بن حمد الصالحي
عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى
دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع
علم ينتفع به


بسم الله الرحمن الرحيم



يسٓ ۝ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُومِنُونَ ۝ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدّاً فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَآنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُومِنُونَ ۝ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ اَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝

قد تكلَّمنا في «البقرة» علىٰ حروف الهجاء. وقيل في ﴿يسٓ﴾: إنه من أسماء النبي ﷺ، وقيل: معناه: «يا إنسان».

(٤) ﴿تَنزِيلَ﴾ بالرفع[١]: خبر ابتداء مضمر، وبالنصب: مصدر، أو مفعول بفعل مضمر[٢].

(٥) ﴿لِتُنذِرَ قَوْماً﴾ هم قريش، ويَحتمل أن يدخل معهم سائرُ العرب وسائر الناس.

﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ ﴿مَّآ﴾ نافيةٌ، والمعنىٰ: لم يُرسَل إليهم ولا لآبائهم رسولٌ ينذرهم. وقيل: المعنىٰ: لتنذر قومًا مثلَ ما أُنذر آباؤهم، فـ﴿مَّآ﴾ علىٰ هذا: موصولة بمعنىٰ «الذي»، أو مصدرية. والأول أرجح؛ لقوله: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾، يعني: أن غفلتهم بسبب عدم إنذارهم، ويكون[٣] بمعنىٰ قوله: ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [السجدة:٣]، ولا يعارض هذا بعث

(١) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.
(٢) تقديره: أعني. الكشاف (١٣/ ١٠).
(٣) في أ، ب، هـ: «وتكون».

الأنبياء المتقدِّمين؛ فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم هم[١] ولا آباؤهم الأقربون.

﴿٦﴾ ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: سبق القضاء.

﴿٧﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ الآيةَ؛ فيها ثلاثة أقوال:

الأول: أنها عبارةٌ عن تماديهم على الكفر، ومنْعِ الله لهم من الإيمان، فشبَّههم بمن جُعِل في عنقه غُلٌّ يمنعه من الالتفات، وغُطِّي على بصره فصار لا يَرىٰ.

والثاني: أنها عبارةٌ عن كفِّهم عن إذاية النبي ﷺ حين أراد أبو جهل أن يرميَه بحجر، فرجع عنه فَزِعًا مرعوبًا.

والثالث: أن ذلك حقيقةٌ في حالهم في جهنم.

والأول أظهر وأرجح؛ لقوله قبلها: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله بعدها ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ **الذَّقَن**: هو طرف الوجه حيث تَنبت اللحية. **والضمير للأغلال**، وذلك أن الغُلَّ حَلْقةٌ في العنق، فإذا كان واسعًا عريضًا وصل إلى الذَّقن، فكان أشدَّ على المغلول. **وقيل**: الضمير للأيدي، على أنها لم يتقدَّم لها ذكرٌ، ولكنها تفهم من سياق الكلام؛ لأن المغلول تُضم يداه[٢] في الغُل إلى عنقه، وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه: «إنا جعلنا في أيديهم أغلالًا فهي إلى الأذقان»[٣]، وهذه القراءة تدل على هذا المعنى، **وقد أنكره الزمخشري**[٤].

﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ يقال: قمَح البعيرُ: إذا رفع رأسه، وأَقمحه غيرُه: إذا فعل به ذلك. **والمعنى**: أنهم لما اشتدَّت الأغلال حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرَّت رؤوسهم إلى الارتفاع. **وقيل**: معنى ﴿مُّقْمَحُونَ﴾: ممنوعون من كل خيرٍ.

---

(١) لم ترد في أ، ب، د، هـ.
(٢) في أ، ب، هـ: «يده».
(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٤٠٣).
(٤) الكشاف (١٣/ ١٣-١٤).

(٨) ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ الآيةَ؛ **السُّدُّ**: الحائل بين الشيئين، وذلك عبارةٌ عن منعهم من الإيمان.

﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ أي: غطَّينا على أبصارهم، وذلك أيضًا مجازٌ يراد به: إضلالهم.

(٩) ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآيةَ؛ ذكرنا معناها وإعرابها في «**البقرة**»[1].

(١٠) ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ **المعنى**: أن الإنذار لا ينفع إلَّا من اتَّبع الذكر، وهو القرآن.

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ معناه كقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨]، وقد ذكرناه في «**فاطر**».

(١١) ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ أي: نبعثُهم يوم القيامة، **وقيل**: إحياؤهم: إخراجهم من الشرك إلى الإيمان، والأول أظهر.

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ أي: ما قدَّموا من أعمالهم، وما تركوه بعدَهم، كعِلْمٍ علَّموه أو تحبيسٍ حبَّسوه. **وقيل**: الآثار هنا: الخُطَا إلى المساجد، وجاء ذلك في الحديث[2].

﴿إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في كتابٍ، وهو اللوح المحفوظ، أو صحائف الأعمال.



---

(١) انظر تفسير الآية (٥).

(٢) أخرج البخاري (٦٥٥) من حديث أنس ﵁، ومسلم (٦٦٥) من حديث جابر بن عبد الله ﵄: قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد»، قالوا: نعم، يا رسول الله قد أردنا ذلك، فقال: «يا بني سلمة ديارَكم تُكتَب آثارُكم، دياركم تكتب آثاركم».

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا اَصْحَٰبَ اَلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا اَلْمُرْسَلُونَ ﴿١٢﴾ إِذَ اَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اِثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمُۥٓ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ اَلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ اِنَ اَنتُمُۥٓ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٥﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا اَلْبَلَٰغُ اُلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴿١٧﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمُۥٓ أَيِن ذُكِّرْتُم بَلَ اَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَ مِنَ اَقْصَا اَلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ اِتَّبِعُواْ اُلْمُرْسَلِينَ ﴿١٩﴾ اِتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمُۥٓ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ اُلذِے فَطَرَنِے وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ءَآتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً اِنْ يُّرِدْنِ اِلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّے شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِۦٓ ﴿٢٢﴾ إِنِّيَ إِذاً لَّفِے ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ اِنِّيَ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٤﴾ قِيلَ اَ۟دْخُلِ اِلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِے يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ بِمَا غَفَرَ لِے رَبِّے وَجَعَلَنِے مِنَ اَلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٦﴾ *وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ اَلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٧﴾ إِن كَانَتِ اِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٨﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى اَلْعِبَادِ مَا يَاتِيهِم مِّن رَّسُولٍ اِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٩﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمَ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ اَلْقُرُونِ أَنَّهُمُۥٓ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣١﴾

﴿١٢﴾ ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ الضمير لقريش، و ﴿مَّثَلًا﴾ و ﴿اَصْحَٰبَ اَلْقَرْيَةِ﴾ مفعولان بـ ﴿اضْرِبْ﴾ علىٰ القول بأنها تتعدّىٰ إلىٰ مفعولين، وهو الصَّحيح. والقرية: أنطاكيَة.

﴿إِذْ جَآءَهَا اَلْمُرْسَلُونَ﴾ هم من الحواريين الذين أرسلهم عيسىٰ عليه السلام يدعون الناس إلىٰ عبادة الله. وقيل: بل هم رسلٌ أرسلهم الله، ويدلُّ علىٰ هذا قولُ قومهم: ﴿مَآ أَنتُمُۥٓ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، فإن هذا إنما يقال لمن ادَّعىٰ أن الله أرسله.

﴿١٣﴾ ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: قوّينا الاثنين برسول ثالث، وقيل: اسمه شَمْعون.

﴿١٥﴾ ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ إنما أكّدوا الخبر هنا باللام؛ لأنه جوابٌ للمنكرين، بخلاف الموضع الأول؛ فإنه إخبارٌ مجرَّدٌ.

﴿١٧﴾ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي: تشاءمنا، وأصل اللفظة: مِن زَجْرِ الطير؛ ليستدلَّ علىٰ ما يكون من خير أو شر، وإنما تشاءموا بهم؛ لأنهم جاؤوا بدينٍ غيرِ دينهم، وقيل: وقع فيهم الجُذَام لما كفروا، وقيل: قَحِطوا.

﴿١٨﴾ ﴿قَالُواْ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾ أي: قال الرسل لأهل القرية: شؤمكم معكم؛ أي: إنما الشؤم الذي أصابكم بسبب كفركم، لا بسببنا.

﴿أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ﴾ دخلت همزة الاستفهام علىٰ حرف الشرط، وفي الكلام حذفٌ تقديره: أتتطيَّرون إن ذُكِّرتم؟

﴿١٩﴾ ﴿يَسۡعَىٰ﴾ أي: يُسرع؛ لجِدِّه[1] ونصيحته، وقيل: اسمه: حبيبٌ النجار.

﴿٢٠﴾ ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ أي: هؤلاء المرسلون لا يسألونكم أُجرةً علىٰ الإيمان، فلا تخسرون معهم شيئًا من دنياكم، وتربحون معهم الاهتداءَ في دينكم.

﴿٢١﴾ ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ المعنىٰ: أيُّ شيءٍ يمنعني من عبادة ربي؟ وهذا توقيفٌ وإخبارٌ عن نفسه قَصد به البيانَ لقومه، ولذلك قال: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ فخاطبهم.

﴿٢٢﴾ ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ﴾ هذا وصفٌ للآلهة، والمعنىٰ: كيف أتخذُ من دون الله آلهةً لا يشفعونَ، ولا ينقذونني من الضُّرِّ.

﴿٢٣﴾ ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ أي: إن اتخذت آلهةً غير الله فإني لفي ضلال مبين.

﴿٢٤﴾ ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ خطابٌ لقومه، أي: اسمعوا قولي واعملوا بنصيحتي، وقيل: خطاب للرسل؛ ليشهدوا له.

﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ قبلَ هذا محذوفٌ يدلُّ عليه الكلام، وروي في الأثر، وهو أن الرجل لما نصح قومَه قتلوه، فلما مات قيل له: ادخل الجنة. واختُلف هل دخلها حين موته كالشهداء؟ أو هل ذلك بمعنىٰ البِشارة بالجنة ورؤيته لمقعده منها؟

﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ تمنَّىٰ أن يعلم قومه بغُفْران الله له علىٰ إيمانه فيؤمنوا، ولذلك ورد في الحديث أنه: «نصَح لهم حيًّا وميتًا»[2].

---

(١) في ج: «بجدِّه».

(٢) رواه ابن مردويه في تفسيره -كما في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٣/ ١٦٣)-، قال: حدثنا الحسن بن محمد السكوني الكوفي، حدثنا علي بن محمد بن خالد المطرز، حدثنا عمر بن إسماعيل بن مجالد، حدثنا أبي، حدثنا بيان عن قيس بن أبي حازم عن المغيرة بن شعبة من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ مرفوعًا، =

وقيل: أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه، ويَحزُنَهم ذلك.

﴿٢٧﴾ ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ **المعنى: أن الله أهلكهم بصيحةٍ صاحها جبريل، ولم يحتج في تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء؛ لأنهم أهون من ذلك. وقيل: المعنى**: ما أنزل الله على قومه ملائكةً رسلًا كما قالت قريش: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧]. **ولفظ الجند أليق بالمعنى الأول**، وكذلك ذِكْرُ الصيحة بعد ذلك.

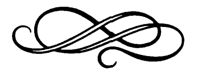
﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ أي: ما كنا لنُنْزِل جندًا من السماء على أحد.

﴿٢٨﴾ ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ أي: ساكنون لا يتحرَّكون ولا ينطقون.

﴿٢٩﴾ ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ نداءٌ للحسرة، كأنه قيل[1]: «يا حسرةً احضري فهذا وقتكِ»، وهذا التفجُّع عليهم استعارةٌ في معنى التهويل والتعظيم لِمَا فعلوا من استهزائهم بالرسل. **ويحتمل أن يكون من كلام**: الملائكة، أو المؤمنين من الناس. وقيل: المعنى: يا حسرةَ العبادِ على أنفسهم.

﴿٣٠﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ **الضمير**: لقريش، أو للعباد على الإطلاق، **والرؤية هنا**: بمعنى العلم.

﴿٣١﴾ ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ **قرئ ﴿لَمَا﴾ بالتخفيف**[2]، وهي لام التأكيد دخلت على «ما» الزائدة، و﴿إِن﴾ على هذا: مخففة من الثقيلة. **وقرئ بالتشديد**، وهي بمعنى «إلَّا»، و﴿إِن﴾ على هذا نافية.



= وإسناده ضعيف جدًّا، الحسن بن محمد السكوني، ضعفه الدارقطني (لسان الميزان لابن حجر ٣/ ١١٦)، وعمر بن إسماعيل متروك (التقريب ٧١٤). وأخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ موقوفًا، عزاه له ابن كثير في تفسيره (٦/ ٥٧٢)، ولم أقف عليه في كتابه.

(١) في ب، د، هـ: «قال».

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ *وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

﴿٣٤﴾ ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿مَا﴾ معطوفةٌ علىٰ ﴿ثَمَرِهِۦ﴾؛ أي: ليأكلوا من الثمر ومما[1] عملته أيديهم بالحرث والزِّراعة والغِراسة. وقيل: ﴿مَا﴾ نافية. وقرئ ﴿مَا عَمِلَتْ﴾ بغير هاء[2]، و﴿مَا﴾ علىٰ هذا: معطوفة.

﴿٣٥﴾ ﴿ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ يعني: أصناف المخلوقات، ثم فسَّرها بقوله: ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ وما بعده، فـ«مِن» في المواضع الثلاثة للبيان.

﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: أشياءَ لا يعلمها بنو آدم، كقوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

---

(١) في ب، ج، د: «وما».

(٢) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بغير هاء، وقرأ الباقون بالهاء.

(٤٠) ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ أن نجرِّده منه، وهي استعارةٌ.

(٣٧) ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ أي: لحدٍّ موقت تنتهي إليه من فَلَكِها، وهي نهاية جَرْيها إلىٰ أن ترجع في المنقلَبَينِ: الشَّتْوي والصَّيفي. وقيل: مستقرُّها: وقوفها كلَّ يومٍ وقتَ الزوال، بدليل وقوف الظل حينئذ. وقيل: مستقرها: يوم القيامة حين تكوَّر. وفي الحديث: «مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها»[1]، وهذا أصحُّ الأقوال؛ لوروده عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح. وقرئ «لَا مُسْتَقَرَّ لَـهَا»[2]؛أي: لا تستقرُّ عن جَرْيها.

(٣٨) ﴿وَالْقَمَرُ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ قرئ بالرفع[3]: علىٰ الابتداء، أو عطفٌ علىٰ ﴿ٱلَّيْلُ﴾. وبالنصب: علىٰ إضمار فعلٍ. ولا بدَّ في ﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾ من حذفٍ، تقديره: قدَّرنا سيرَه منازل. ومنازل القمر ثمانية وعشرون، ينزل القمر كلَّ ليلةٍ واحدةً منها مِن أول الشهر، ثم يستتر[4] في آخر الشهر ليلةً أو ليلتين.

قال الزمخشري: «وهـذه المنـازل هـي مواقـع النجـوم؛ وهـي: الشَّـرَطان[5]، البُطَـين، الثريا، الدَّبَران، الهَقْعة، الهَنْعة، الذِّراع، النَّثْرة، الطَّرْف، الجَبهـة، الزُّبْـرة، الصَّـرْفة، العوَّا، السِّماك، الغَفْر، الزُّبانَىٰ، الإكليل، القَلب، الشَّوْلة، النَّعائم، البَلْدة، سَعْدُ الذَّابِح، سعدُ بُلَعَ، سعدُ السعودِ، سعد الأَخْبيَةِ، فَرْغُ الدَّلْوِ المقدَّمُ، فرغُ الدلو المؤخَّرُ، الرِّشاءُ[6]»[7].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٢)، ومسلم (١٥٩) عن أبي ذرٍّ ﷺ.

(٢) قرأ بها ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطاء بن أبي رباح وأبو جعفر محمد بن علي وابنه جعفر ﷺ.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب.

(٤) كذا في النسخ الخطية، ولعل الصواب: «يَستسرُّ»، قال ابن سيده في المحكم (٨/ ٤٠٨): «واسْتَسرَّ الهلالُ في آخرِ الشَّهر: خَفِيَ، لا يُلفَظُ به إلَّا مزيدًا.. والسَّرَرُ والسِّرَرُ والسَّرَارُ والسِّرارُ كلُّه: الليلةُ التي يَسْتَسِرُّ فيها القَمرُ»، وهي الموافقة لما في الكشاف (٢/ ١١٩٠) ط: كلكتا.

(٥) في ب، ج، د: «السرطان» بالسين، والمثبت هو الصواب فالشرطان -بالشين- هو الذي يعدُّ من منازل القمر الثمانية والعشرين، وأما السرطان -بالسين- فهو من البروج الاثني عشر. انظر: الأنواء لابن قتيبة (ص: ١٧، ١٢٠). وفي أ، هـ: «النَّطح»، وهو اسم لمنزلة الشَّرَطان أيضًا، والمثبت موافق لما في الكشاف (١٣/ ٥١).

(٦) في ب: «بطن الحوت»، وهو من أسماء هذه المنزلة كما في الأنواء لابن قتيبة (ص: ٨٥)، والمثبت موافق لما في الكشاف.

(٧) الكشاف (١٣/ ٥١-٥٥).

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ **العرجون:** هو غصن النخلة، شبّه القمر به إذا تناهىٰ في نقصانه. **والتشبيه في ثلاثة أوصاف،** وهي: الرِّقَّة، والانحناء، والصُّفرة. ووصفه بالقديم؛ لأنه حينئذ تكون له هذه الأوصاف.

(٤٠) ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ **المعنىٰ:** لا يمكن الشمسَ أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحوَ نوره، هكذا قال بعضهم. **ويَحتمل أن يريد:** أن سَيْرَ الشمس في الفَلَك بطيءٌ، فإنها تقطع الفلَك في سنة، وسير القمر سريع، فإنه يقطع الفلَك في شهر، والبطيء لا يدرك السريع.

﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ **يعني:** أن كلَّ واحد منهما جعل الله له وقتًا موقَّتًا، وحدًّا معلومًا لا يتعدَّاه، فلا يأتي الليل حتىٰ ينفصلَ النهار، كما لا يأتي النهار حتىٰ ينفصل الليل.

ويحتمل أن يريد: أن آية الليل وهي القمر لا تسبق آية النهار وهي الشمس؛ أي: لا تجتمع معه، فيكون المعنىٰ كالذي قيل[1] في قوله: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فحصل من ذلك: أن الشمس لا تجتمع مع القمر، وأن القمر لا يجتمع مع الشمس.

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ذكر في «**الأنبياء**»[2].

(٤١) ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ معنىٰ ﴿الْمَشْحُونِ﴾: المملوء. و﴿الْفُلْكِ﴾ **هنا يحتمل أن يريد به:** جنسَ السفن، أو سفينةَ نوح ﷺ. **وأما الذُّرية: فقيل:** إنه يعني الآباء الذين حملهم الله في سفينة نوح ﷺ، وسمَّىٰ الآباء ذريةً؛ لأن الذرية تناسلت[3] منهم، **وأنكر ابن عطية ذلك**[4]. **وقيل:** يعني: النساء، **وذلك بعيد. والأظهر: أنه إن أراد بالفُلك جنس السفن:** فيعني جنسَ بني آدم، وإنما خصَّ ذريتهم بالذِّكر؛ لأنه أبلغُ في الامتنان عليهم، ولأن فيه إشارةً إلىٰ حمل أعقابهم إلىٰ يوم القيامة.

---

(١) في ب، ج، هـ: «قبلُ».
(٢) انظر تفسير الآية (٣٣).
(٣) في أ، هـ: «متناسلة».
(٤) المحرر الوجيز (٧/ ٢٥٠).

وإن أراد بالفلك سفينة نوح: فيعني بالذرية: مَن كان في السفينة، وسمَّاهم ذريةً؛ لأنهم ذرية آدم ونوح، فالضمير في ﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ علىٰ هذا: لنوع[١] بني آدم، كأنه يقول: الذرية منهم.

﴿٤١﴾ ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ إن أراد بالفلك سفينة نوح: فيعني بقوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ سائرَ السفن التي يركبها الناس. وإن أراد بالفلك جنس السفن: فيعني بقوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ الإبلَ وسائرَ المركوبات، فتكون المماثلة علىٰ هذا في أنه مركوبٌ لا غيرُ. والأول أظهر؛ لقوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾، ولا يُتصوَّر هذا في المركوبات غير السفن.

﴿٤٢﴾ ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ أي: لا مُغيث، ولا مُنقِذ لهم من الغرق.

﴿٤٣﴾ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾ قال الكسائي: نصْبُ ﴿رَحْمَةً﴾ علىٰ الاستثناء، كأنه قال: إلَّا أن نرحمَهم[٢]. وقال الزجاج: نصْبُ ﴿رَحْمَةً﴾ علىٰ المفعول من أجله، كأنه قال: إلَّا لأجل رحمتِنا إيَّاهم[٣].

﴿وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني: آجالهم.

﴿٤٤﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ الضمير لقريش، وجواب ﴿إِذَا﴾ محذوفٌ، تقديره: «أعرَضوا»، ويدلُّ عليه: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾. والمراد بما بين أيديهم وما خلفهم: ذنوبُهم المتقدِّمة والمتأخِّرة. وقيل: ما بين أيديهم: عذاب الأمم المتقدمة، وما خلفهم: عذاب الآخرة.

﴿٤٦﴾ ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ كان النبي ﷺ والمؤمنون يحضُّون الناس علىٰ الصدقات وإطعام المساكين، فيُجيبهم الكفار بهذا الجواب، وفي معناه قولان:

أحدهما: أنهم قالوا: كيف نطعم المساكين ولو شاء الله أن يُطعمهم لأطعمهم، فمنذ حرَمهم الله نَحرِمهم نحن، وهذا كقولهم: «كن مع الله علىٰ المدْبِر».

---

(١) في ب، ج، هـ: «النوع».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٧/ ٢٥١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٨٩).

والآخر: أن قولهم ردٌّ على المؤمنين، وذلك أن المؤمنين كانوا يقولون: الأمور كلها بيد الله، فكان الكفارُ يقولون لهم: لو كان كما تزعمون لأطعم الله هؤلاء؛ فما بالكم تطلبون إطعامهم منا؟

ومقصدهم[1] في الوجهين: احتجاجٌ لبخلهم ومنعِهم الصدقات، واستهزاء بمن حضَّهم على الصدقة[2].

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ **يحتمل أن يكون من بقية كلامهم خطابًا للمؤمنين، أو يكون من كلام الله خطابًا للكافرين.**

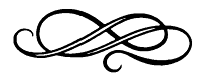
﴿٤٧﴾ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ **يعنون: يوم القيامة، أو نزولَ العذاب بهم.**

﴿٤٨﴾ ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ **أي ما ينتظرون إلَّا صيحة واحدة، يعني: النفخة الأولى في الصور، وهي نفخة الصَّعْق.**

﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ **أي: تأخذهم بغتةً وهم يختصمون؛ أي: يتكلمون في أمورهم. وأصل** ﴿يَخِصِّمُونَ﴾**: يختصمون، ثم أدغم. وقرئ بفتح الخاء، وبكسرها، واختلاس حركتها[3].**

﴿٤٩﴾ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ **أي: لا يقدرون أن يوصوا بما لهم وما عليهم؛ لسرعة الأمر.**

﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ **أي: لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم؛ لسرعة الأمر.**



(١) في ب، د: «ومقصودهم».

(٢) في ب: «بمن يعطي الصدقة».

(٣) قرأ حمزة ﴿يَخْصِمون﴾ بفتح الياء وإسكان الخاء وتخفيف الصاد، وقرأ ابن كثير، وورش عن نافع وهشام عن ابن عامر: ﴿يَخَصِّمون﴾ بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد، وقرأ أبو عمرو وقالون عن نافع باختلاس فتحة الخاء وتشديد الصاد، وقرأ عاصم والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر ﴿يَخِصِّمون﴾ بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥١﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٢﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٤﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٥﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٦﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٧﴾ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٨﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥٩﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٢﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٣﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٦﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

﴿٥٠﴾ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ هذه النفخة الثانية، وهي نفخة القيام من القبور. و ﴿الْأَجْدَاثِ﴾: هي القبور. و ﴿يَنسِلُونَ﴾: يسرعون المشي، وقيل: يخرجون.

﴿٥١﴾ ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ الويل: منادى، أو مصدر. ﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ المرقد: يحتمل أن يكون: اسمَ مصدر، أو اسم مكان. قال أبيُّ بن كعب ومجاهد: إن البشر ينامون نومةً قبل الحشر[1]. قال ابن عطية: وهذا غير صحيح الإسناد، وإنما الوجه في معنى قولهم: ﴿مِن مَّرْقَدِنَا﴾ أنها استعارةٌ وتشبيه به[2]، يعني: أن قبورهم شبِّهت بالمضاجع، لكونهم فيها على هيئة الراقد[3]، وإن لم يكن رقادٌ[4] في الحقيقة.

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٥٦-٤٥٧).
(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٢٥٦).
(٣) في ب: «الراقدين».
(٤) في ج، د: «راقدًا».

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ ﴿هَٰذَا﴾: مبتدأ، وما بعده: خبره. **وقيل**: إن ﴿هَٰذَا﴾ صفةٌ لـ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾، و ﴿مَا وَعَدَ﴾ مبتدأ محذوف الخبر[1]، **وهذا ضعيف. ويحتمل أن يكون هذا الكلام**: من بقية كلامهم، أو يكون من كلام الله تعالىٰ، أو من كلام الملائكة، أو المؤمنين، يقولونها[2] للكفار علىٰ وجه التَّقريع.

﴿٥٣﴾ ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً﴾ **يعني**: النفخة الثانية، وهي نفخة القيام.

﴿٥٥﴾ ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٍ﴾ **قيل**: هو افتضاض الأبكار، **وقيل**: سماع الأوتار. **والأظهر**: أنه عام في الاشتغال بالنعيم[3] واللذَّات.

﴿فَٰكِهُونَ﴾ **قرئ بالألف**[4]، ومعناه: أصحاب فاكهة، وبغير ألف، وهو من الفَكَاهة بمعنىٰ الراحة والسرور.

﴿٥٦﴾ ﴿فِي ظِلَٰلٍ﴾ جمع ظِلٍّ، **وقرئ بالضم**[5]، جمع ظُلَّةٍ.

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة، وهي السَّرير.

﴿٥٧﴾ ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ أي: ما يتمنَّون، **وقيل**: معناه: أن ما يَدْعون به يأتيهم.

﴿٥٨﴾ ﴿سَلَٰمٌ﴾ مبتدأ، **وقيل**: بدلٌ من ﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾.

﴿قَوۡلًا﴾ مصدر مؤكِّد، **والمعنىٰ**: أن السلام عليهم قولٌ من الله، بواسطة الملائكة، أو بغير واسطة[6].

﴿٥٩﴾ ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين، وكونوا علىٰ حِدَةٍ.

﴿٦٢﴾ ﴿جِبِلًّا كَثِيرًاۖ﴾ **الجِبلُّ**: الأمة العظيمة. **وقال الضحاك**: أقلها عشرة آلاف ولا نهاية لأكثرها[7].

---

(١) تقديره: «حقٌّ» أو نحوه. المحرر الوجيز (٧/ ٢٥٦)

(٢) في ب: «يقولونه».

(٣) في ب: «بالنعم».

(٤) قراءة السبعة بالألف، وقرأ أبو رجاء ومجاهد وأبو جعفر بغير ألف. المحرر الوجيز (٧/ ٢٥٨)

(٥) قرأ حمزة والكسائي ﴿في ظُلَلٍ﴾ بضم الطاء من غير ألف بين اللامين، وقرأ الباقون بكسرها وألف بينهما.

(٦) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٨٤).

(٧) ذكره النقاش عنه، كما في المحرر الوجيز (٧/ ٢٦٠)

وقرئ[1]: بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وبضمهما مع التخفيف، وبضم الجيم وإسكان الباء، وهي لغاتٌ بمعنىٰ واحد.

﴿٦٤﴾ ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: نمنعهم من الكلام، فتنطق أعضاؤهم يوم القيامة.

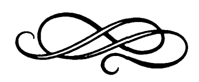
﴿٦٥﴾ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ هذا تهديدٌ لقريش. **والطَّمس علىٰ الأعين**: هو العمَىٰ، و﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: الطريق، و﴿أَنَّىٰ﴾: استفهامٌ يراد به النفي. **فمعنىٰ الآية**: لو نشاء لأعميناهم؛ فلو راموا أن يمشوا علىٰ الطريق لم يُبصروه. **وقيل**: يعني: عمَىٰ البصائر، أي: لو نشاء لختمنا علىٰ قلوبهم، والطريق علىٰ هذا استعارةٌ بمعنىٰ الإيمان والخير.

﴿٦٦﴾ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ هذا تهديدٌ بالمسخ، **فقيل**: معناه: المسخ قردةً وخنازير، أو حجارة، **وقيل**: معناه: لو نشاء لجعلناهم مُقْعَدِين مَبْطُولين لا يستطيعون تصرُّفًا. **وقيل**: إن هذا التَّهديد كلَّه بما[2] يكون يوم القيامة، **والأظهر** أنه في الدنيا.

﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ **المكانة**: المكان، **والمعنىٰ**: لو نشاء لمسخناهم مسخًا يُقعِدهم في مكانهم.

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيّاً وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: إذا مُسخوا في مكانهم لم يَقدِروا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا.

﴿٦٧﴾ ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾ أي: نحوِّل خِلْقتَه من القوة إلىٰ الضعف، ومن الفَهم إلىٰ البَلَه، وشبه ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٣]. وإنما قصد بذكر ذلك هنا: الاستدلال علىٰ قدرته تعالىٰ علىٰ مسخ الكفار، كما قَدَر علىٰ تنكيس الإنسان إذا هَرِمَ.



(١) قرأ أبو عمرو وابن عامر: ﴿جُبْلًا﴾ بضم الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ﴿جُبُلًا﴾ بضم الجيم والباء وتخفيف اللام، وقرأ الباقون: ﴿جِبِلًّا﴾ بكسر الجيم والباء والتشديد.

(٢) في أ، ب، هـ: «إنما».

وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٨﴾ لِّتُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧٠﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧١﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٣﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٤﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٥﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٧﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٧٩﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٠﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨١﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٢﴾

﴿٦٨﴾ ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ الضميران[1] لمحمد ﷺ، وذلك ردٌّ على الكفار في قولهم: إنه شاعر، وكان ﷺ لا يَنظِم الشعر ولا يزنه، وإذا ذكر بيت شعر كسَر وزنه.

فإن قيل: قد روي عنه ﷺ أنه قال:

أنـــا النبـــــي لا كـــــذب ... أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب[2]

وروي عنه أيضًا ﷺ:

هـــل أنـــت إلّا إِصـــبَعٌ دَميـــتِ ... وفي ســـبيل الله مـــا لقيـــتِ[3]

وهذا كلامٌ على وزن الشعر.

فالجواب: أنه ليس بشعر؛ لأنه[4] لم يقصد به الشعر، وإنما جاء موزونًا بالاتفاق لا بالقصد، فهو كالكلام المنثور، ومثل هذا يقال فيما جاء في القرآن من الكلام الموزون.

ويقتضي قولُه: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ تنزيهَ النبي ﷺ عن الشعر؛ لما فيه من الأباطيل

---

(١) في ج، د: «الضمير».

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦) من حديث البراء ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧٩٦) من حديث جندب بن سفيان ﷺ.

(٤) في ج، د: «وأنه».

وإفراط التجوُّز[١]، حتىٰ يقال: «إن الشعرَ أطيبُه أكذبُه»، وليس كلُّ الشعر كذلك؛ فقد قال ﷺ: «إن من الشعر لحكمة»[٢]. وقد أكثر الناس في ذمِّ الشعر ومدحه، وإنما الإنصاف قول الشافعي: «الشعر كلامٌ، والكلام منه حسَنٌ ومنه قبيح»[٣].

﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ﴾ الضمير للقرآن؛ يعني: أنه ذكرٌ لله، أو تذكير للناس، أو شرَفٌ لهم.

(٦٩) ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً﴾ أي: حيَّ القلب والبصيرة.

﴿وَيَحِقَّ اَ۬لْقَوْلُ عَلَى اَ۬لْكٰفِرِينَ﴾ أي: يجبَ عليهم العذاب.

(٧٠) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتَ اَيْدِينَآ أَنْعَٰماً﴾ مقصد الآية: تعديدُ نعمةٍ[٤] وإقامة حجة. والأيدي هنا عند أهل التأويل: عبارةٌ عن القدرة، وهي عند أهل التسليم: من المتشابه الذي يجب الإيمان به، وعلمه عند الله[٥].

(٧١) ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ الرَّكوب -بفتح الراء-: هو المركوب.

(٧٢) ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ يعني: الأكْلَ منها والحَمْلَ عليها، والانتفاعَ بالجلود والصوف وغيره.

﴿وَمَشَارِبُ﴾ يعني: الألبان.

(٧٤) ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ الضمير في ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ للأصنام، وفي ﴿نَصْرَهُمْ﴾ للمشركين. ويحتمل العكس، ولكنَّ الأول أرجح؛ فإنه لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لعلهم يُنصرون: أخبر أن الأصنام لا يستطيعون نصرهم، فخاب أملُهم.

﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ الضمير الأول: للمشركين، والثاني: للأصنام؛ يعني: أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصَّبون لهم؛ حتىٰ إنهم لهم كالجند. وقيل: بالعكس، بمعنىٰ: أن الأصنام جندٌ محضرون لعذاب المشركين في الآخرة، والأول أرجح؛ لأنه تقبيحٌ لحال المشركين.

---

(١) في ب، ج: «التجاوز».

(٢) أخرجه البخاري (٦١٤٥) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) ذكره البيهقي في مناقب الشافعي (٢/ ٦٠) قال: «الشعر كلامٌ حَسَنُه كحسَن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام، غير أنه كلام باقٍ سائرٌ، فذلك فضلُه علىٰ سائر الكلام».

(٤) في أ، هـ: «نعمة الله».

(٥) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٥٠).

(٧٦) ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ تسليةٌ للنبي ﷺ، معلَّلةٌ بما بعدها.

(٧٧) ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ **هذه الآية وما بعدها إلىٰ آخر السورة براهينُ علىٰ الحشر يوم القيامة، وردٌّ علىٰ من أنكر ذلك.**

والنطفة: هي نقطة[1] المنِيّ التي خُلق الإنسان منها، ولا شكَّ أن الإلهَ الذي قدَرَ علىٰ خِلْقته من نطفة قادرٌ علىٰ أن يخلقه مرة أخرىٰ عند البعث. **وسبب الآية**: أن العاصيَ بن وائل جاء إلىٰ النبي ﷺ بعظمٍ رميمٍ، فقال: يا محمد من يحيي هذا؟ -وقيل: إن الذي جاء بالعظم أمية بن خلف، وقيل: أبيُّ بن خلف- فقال له رسول الله ﷺ: «**الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم**»[2].

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ أي: متكلِّمٌ قادر علىٰ الخصام، يُبِين ما في نفسه بلسانه.

(٧٨) ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ إشارةٌ إلىٰ قول الكافر: من يحيي هذا العظم؟

﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ أي: نسي الاستدلالَ بخِلْقته الأولىٰ علىٰ بعثه. **والنسيان هنا يحتمل أن** يكون بمعنىٰ الذُّهول، أو التَّرك.

﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: بالية متفتِّتة.

(٧٩) ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ استدلالٌ بالخِلْقة الأولىٰ علىٰ البعث.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أي: يعلم كيف يخلق كلَّ شيء، فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها. **والخَلْق هنا يحتمل أن يكون مصدرًا، أو بمعنىٰ المخلوق.**

(٨٠) ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ هذا دليلٌ آخر علىٰ إمكان البعث، وذلك أن الذين أنكروه من الكفار والطبائعيين قالوا: طَبْعُ الموت يضادُّ طبعَ الحياة فكيف تصير العظام حية؟ فأقام الله عليهم الدليل بخروج النار من الشجر الأخضر الممتلئ ماءً، مع مضادَّة طبع الماء للنار. ويعني بـ﴿الشَّجَرِ﴾: زِنادَ العرب، وهو شجر المرْخ والعَفَار، فإنه يُقطع من كل واحد منهما غصنٌ أخضرُ يَقطُر منه الماء، فيُسْحق المرخ علىٰ العفار،

---

(١) في أ، هـ: «نطفة».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٣)، والحاكم (٣٦٠٦) وصححه ووافقه الذهبي، والضياء في المختارة (١٠/ ٨٧-٨٨) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ، وأخرجه الطبري (١٩/ ٤٨٧) عن سعيد بن جبير، ولم يذكر ابن عباس ﷺ.

فينقدح(١) النار بينهما. قال ابن عباس ﵄: ليس من شجرة إلَّا وفيها نار إلَّا العُنَّاب(٢)، ولكنه في المرخ والعَفَار أكثر.

﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ هذا دليلٌ آخر على البعث، فإن الإله الذي قَدَر على خِلْقة السماوات والأرض على عظمتها وكِبَرِ أجرامها(٣) قادرٌ على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها. والضمير في ﴿مِثْلَهُم﴾ يعود على الناس.

﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ في ذِكْر هذين الاسمين أيضًا استدلالٌ على البعث، وكذلك في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾؛ لأن هذه(٤) عبارةٌ عن قدرته على جميع الأشياء، ولا شكَّ أن الخلَّاق العليم القدير(٥) لا يصعب عليه إعادة الأجساد(٦).

﴿٨٢﴾ ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ في هذا استدلالٌ على البعث، وتنزيهٌ لله عما نسبه(٧) الكفار إليه من العجز عن البعث، وإنهم(٨) ما قدروا الله حق قدره، وكلٌّ من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه.

---

(١) في ب، ج: «فيقدح».

(٢) أخرجه ابن مردويه في تفسيره -كما في الدر المنثور (١٤/ ٢٤٧-٢٥٤)- في ضمن أثر طويل في تفسير سورة الواقعة، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي أنبأنا الحسين بن عبد الله بن يزيد أنبأنا محمد بن عبد الله بن سابور أنبأنا الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي مالك أو عن أبي صالح عن ابن عباس ﵄، وذكره.

(٣) في د: «عظمتهما وكبر أجرامهما».

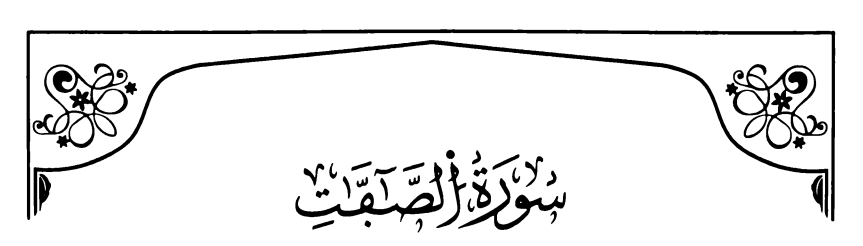
(٤) في د: «هذا».

(٥) في أ، ب، ج، هـ: «القادر».

(٦) [التعليق ٩٢] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قوله: «عبارةٌ عن قدرته» أقول: لا يريد ﵀ بقوله: «عبارة عن قدرته» أن هذا مدلولُ اللفظ؛ إذ ليس معنى (خلَّاق) أنه على كل شيء قدير، بل هذا المعنى هو لازم معنى الآية؛ فالآية تدل على عموم قدرته تعالى بطريق اللزوم أو التضمُّن، لا بطريق المطابقة؛ فكونه تعالى خلَّاقًا يستلزم أنه على كل شيء قدير، أو يتضمَّن هذا المعنى، فليس في عبارة المؤلف ما يؤخذ عليه، والله أعلم.

(٧) في ب، ج: «ينسبه».

(٨) في د: «فإنهم».



وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفّاً ﴿١﴾ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْراً ﴿٢﴾ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْراً ﴿٣﴾ اِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لاَّ يَسْمَعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلاَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ اِلاَّ مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمُۥٓ أَهُمُۥٓ أَشَدُّ خَلْقاً اَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لاَ يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوَاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ اَ۟ذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَٰماً اِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلاَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلذِے كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾

﴿١﴾ ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفّاً﴾ تقديره: والجماعات الصافات. ثم اختُلف فيها، فقيل: هي الملائكة التي تصفُّ في السماء صفوفًا لعبادة الله. وقيل: هي مَن يصفُّ مِن بني آدم في الصلوات والجهاد، والأول أرجح؛ لقوله حكايةً عن الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾.

﴿٢﴾ ﴿فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْراً﴾ هي الملائكة تزجر السَّحاب وغيرها، وقيل: الزاجرون بالمواعظ من بني آدم، وقيل: هي آياتُ القرآن المتضمِّنةُ الزَّجرَ عن المعاصي.

﴿٣﴾ ﴿فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْراً﴾ هي الملائكة تتلو القرآن والذِّكر، وقيل: هم التالون للقرآن والذكر من بني آدم. وهي كلُّها أشياءُ أقسم الله بها علىٰ أنه واحدٌ.

﴿٥﴾ ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ يعني: مشارق الشمس، وهي ثلاث مئة وستون مَشرِقًا، وكذلك المغارب فإنها تَشرُقُ في كلِّ يوم من أيام السنة في مَشرق منها، وتَغرب في مغرب. واستغنىٰ

بذكر المشارق عن ذكر المغارب؛ لأنها مُعادِلةٌ لها، فتُفهم مِن ذكرها.

﴿٦﴾ ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ قرئ بإضافة الزينة إلىٰ الكواكب[١]، والزينة تكون: مصدرًا واسمًا لما يُزَان به. فإن كان مصدرًا فهو مضافٌ إلىٰ الفاعل، تقديره: «بأنْ زَيَّنَت الكواكبُ السماءَ»، أو مضاف إلىٰ المفعول، تقديره: «بأنْ زيَّنَّا الكواكبَ». وإن كانت اسمًا: فالإضافة بيانٌ للزينة. وقرئ بتنوين ﴿بِزِينَةٍ﴾ وخفْضِ ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾ علىٰ البدل، وبنصب ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾ علىٰ أنها مفعولٌ بـ﴿زِينَةٍ﴾، أو بدلٌ من موضع ﴿زِينَةٍ﴾.

﴿٧﴾ ﴿وَحِفْظًا﴾ منصوبٌ علىٰ المصدر، تقديره: وحفظناها حفظًا، أو مفعولٌ من أجله، والواو زائدة، أو محمول علىٰ المعنىٰ؛ لأن المعنىٰ: إنا جعلنا الكواكبَ زينةً للسماء وحفظًا.

﴿مَّارِدٍ﴾ أي: شديد الشرِّ.

﴿٨﴾ ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الضمير في ﴿يَسْمَعُونَ﴾ للشياطين، و﴿ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ هم الملائكة الذين يسكنون في السماء. والمعنىٰ: أن الشياطين مُنِعت من سمْع أحاديث الملائكة. وقرئ ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ بتشديد السين والميم[٢]، ووزنه يتَفَعَّلون، والتَّسمُّع: طلب السماع. فنفىٰ السَّماع علىٰ القراءة الأولىٰ، ونفىٰ طلَبَه علىٰ القراءة بالتشديد.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١١]، ولأن ظاهر الأحاديث أنهم يتسمَّعون، لكنهم لا يسْمَعون شيئًا منذ بعْث محمد ﷺ؛ لأنهم يُرْمَون بالكواكب.

﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ أي: يُرجَمون، يعني: بالكواكب، وهي التي يراها الناس تنقضُّ. قال النقاش ومكي: ليست الكواكبُ الراجمةُ للشياطين بالكواكب الجارية في السماء؛ لأن تلك لا تُرىٰ حركتها، وهذه الرَّاجمة تُرىٰ حركتها؛ لقربها منا[٣]. قال ابن عطية: وفي هذا نظر[٤].

---

(١) قرأ عاصم وحمزة ﴿بزينةٍ﴾ بالتنوين، وقرأ الباقون بغير تنوين، وروىٰ شعبة عن عاصم: ﴿الكواكبَ﴾ بالنصب، وقرأ الباقون بالخفض.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بتشديد السين والميم، وقرأ الباقون بتخفيفهما.

(٣) انظر: الهداية إلىٰ بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (٦٠٨٦)

(٤) المحرر الوجيز (٧/ ٢٧٣).

(٩) ﴿دُحُوراً﴾ أي: طَرْدًا وإبعادًا وإهانةً؛ لأن الدَّحْر: الدفعُ بعنف. **وإعرابه**: مفعول من أجله، أو مصدر من ﴿يُقْذَفُونَ﴾ على المعنى، أو مصدر في موضع الحال، تقديره: مَدْحورين.

﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي: دائم؛ لأنهم يُرجمون بالنجوم في الدنيا، ثم يعذَّبون بجهنم.

(١٠) ﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ ﴿مَنْ﴾ في موضع رفعٍ، بدلٌ من الضمير في قوله: ﴿لاَّ يَسَّمَّعُونَ﴾. **والمعنى**: لا تسمع الشياطين أخبار السماء إلَّا الشيطان الذي خطف الخطفة.

﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ أي: شديدُ الإضاءة.

(١١) ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ الضمير لكفار قريش، **والاستفتاء**: نوعٌ من السؤال، وكأنه سؤال مَن يُعتَبر قوله ويُجعل حجةً؛ لأن جوابهم عن السؤال مما تقوم عليهم به الحجة. و﴿مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ **يراد به**: ما تقدَّم ذكره من الملائكة والسماوات والأرض والمشارق والكواكب. **وقيل**: يراد به: من تقدَّم من الأمم، **والأول أرجح**؛ لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه: «أَمْ مَنْ عَدَدْنَا»[1]. **ومقصد الآية**: إقامة الحجة عليهم في إنكارهم البعثَ في الآخرة، كأنه يقول: هذه المخلوقات أشدُّ خلقًا منكم، فكما قدَرْنا على خِلْقتهم[2] كذلك نَقدِر على إعادتكم بعد فنائكم.

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ **اللازب**: اللازم؛ أي: يَلزم ما جاوره ويَلصق به، ووصفه بذلك يراد به ضعفُ خِلْقة بني آدم.

(١٢) ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ أي: عجبتَ يا محمد من ضلالهم[3] وإعراضهم عن الحق، أو عجبتَ من قدرة الله على هذه المخلوقات العِظام المذكورة.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٥١٠)، يعني بـ«مَن عدَدْنا»: الصافات وغيرها والسماوات والأرض وما بينهما. المحرر الوجيز (٧/ ٢٧٤)

(٢) في أ، ب، هـ: «خلقكم»، وفي ج: «خلقتكم».

(٣) في ب، ج، د: «ضلالتهم».

وقرئ ﴿عَجِبْتُ﴾ بضم التاء[1]، وأشكل ذلك على من يقول: إن التعجُّب مستحيلٌ على الله فتأوَّله[2] بمعنى: أنه جعله على حالٍ تعجَّب منها[3] الناس. وقيل: تقديره: «قل يا محمد: عجبتُ». وقد جاء التعجُّب من الله في القرآن والحديث، كقوله ﷺ: «يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة»[4]، وهو صفة فعل، وإنما جعلوه مستحيلًا على الله؛ لأنهم قالوا: إن التعجُّب استعظامٌ خَفِيَ سببُه، والصواب: أنه لا يلزم أن يكون خفيَّ السببِ، بل هو لمجرَّد الاستعظام؛ فعلى هذا: لا يستحيل على الله[5].

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ تقديره: وهم يسخرون منك، أو من البعث.

﴿١٤﴾ ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ الآية هنا: العلامة، كانشقاق القمر ونحوه. وروي أنها نزلت في مشرك اسمه رُكَانة، أراه النبي ﷺ آياتٍ فلم يؤمن[6].

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بضم التاء، وقرأ الباقون بفتحها.

(٢) في د، هـ: «فتأولوه».

(٣) في ب، ج: «ليعجب منه»، وفي د: «يتعجب منها»

(٤) أخرجه أحمد (١٧٣٧٠)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٠٩)، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٢٨٨)، وابن المبارك في الزهد (١١٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٠) من حديث عقبة بن عامر ﷺ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤٧٧): «إسناده حسن»، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (٢٠٦): «وسنده حسن، وضعفه شيخنا [يعني: ابن حجر] في فتاويه لأجل ابن لهيعة»، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٧/ ٤٥١): «ومدار أسانيدهم على ابن لهيعة، وهو ضعيف».

(٥) [التعليق ٩٣] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ المؤلِّفِ ﷺ: «وأشكَلَ ذلك...»، إلخ: أقولُ: أي: نِسْبةُ العَجَبِ إلى اللهِ؛ كما في القراءةِ المشارِ إليها، وهي قراءةٌ سبعيَّة؛ أي: أشكَلَ ذلك على نفاةِ العَجَبِ عن اللهِ، وهم كلُّ مَن ينفي قيامَ الصفاتِ الفعليَّة بالله؛ كالأشاعرةِ، والكُلَّابيَّةِ والماتُريديَّةِ، وهم الذين عناهُمُ المؤلِّفُ بقولِه: «إنَّهم يقولونَ: إنَّ التعجُّبَ مستحيلٌ على الله؛ لأنه استعظامُ شيءٍ خَفِيَ سببُهُ».
وقد خالَفَهم المؤلِّفُ في تفسيرِ التعجُّبِ، فجوَّزه على الله، واستشهَدَ له ببعضِ ما جاء في السُّنَّة؛ وقد أصاب في ذلك.
والذين نفَوُا العجَبَ عن الله، أوَّلوا ما جاء في القرآنِ والسُّنَّة، مما يدُلُّ على إثباتِ العجَبِ بتأويلاتٍ، منها ما أورَدَهُ المؤلِّف؛ فجمَعُوا بين التعطيلِ بنفيِ الصفاتْ، والتحريفِ بتأويلِ الآياتْ.
والجاري على مذهبِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ: إثباتُ العجَبِ مِن اللهِ، كغيرِهِ مِن الصفاتِ التي ورَدَ بها الكتابُ والسُّنَّة؛ كالغضَبِ والرضا، والمحبَّةِ والكَرَاهة، وليس شيءٌ مِن ذلك يُشبِهُ صفاتِ المخلوقِين، فليس عَجَبُ اللهِ كعَجَبِ المخلوق، ولا حبُّه كحبِّه، ولا رضاهُ كرضاه، وهذا هو الحقُّ الذي قامت عليه الأدلَّةُ مِن الكتاب والسُّنَّة.

(٦) قال في المحرر الوجيز (٧/ ٢٧٥): «وروي أنها نزلت في ركانة وهو رجل من المشركين من أهل مكة لقيه رسول الله ﷺ في جبل خال وهو يرعى غنما له وهو أقوى أهل زمانه، فقال له رسول الله ﷺ: «يا ركانة أرأيت إن صرعتك أتؤمن بي؟» قال: نعم، فصرعه رسول الله ﷺ ثلاثا ثم عرض عليه آيات من دعاء شجرة وإقبالها =

و ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ معناه: يسخرون، فيكون «فَعَلَ» و«استفْعَلَ» بمعنىٰ واحد، وقيل: معناه: يستدعي بعضهم بعضًا لأنْ يسخر، وقيل: يبالغون في السُّخريَة.

﴿١٦﴾ ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ الآيَةَ؛ معناها: استبعادهم للبعث. وقد تقدَّم الكلام علىٰ الاستفهامين في «الرعد»[1].

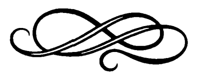
﴿١٧﴾ ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ بفتح الواو[2]، دخلت[3] همزة الإنكار علىٰ واو العطف. وقرئ بالإسكان عطفًا بـ«أو».

﴿١٨﴾ ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾ أي: قل: تبعثون. والدَّاخر: الصَّاغر الذَّليل.

﴿١٩﴾ ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هي النفخة في الصور للقيام من القبور.

﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ يَحتمل أن يكون مِن النظر بالأبصار، أو من الانتظار، أي: ينتظرون ما يُفعل بهم.

﴿٢٠﴾ ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ يَحتمل أن يكون من كلامهم، مثل الذي قبله، أو مما يقال لهم، مثل الذي بعده.



= ونحو ذلك مما اختلف فيه العلماء وألفاظ الحديث، فلما فرغ من ذلك كله لم يؤمن وجاء إلىٰ مكة فقال: يا بني هاشم ساحروا بصاحبكم أهل الأرض، فنزلت هذه الآية فيه وفي نظرائه» وهذه القصة ذكرها ابن إسحاق مرسلة -كما في سيرة ابن هشام (١/ ٣٩١)، والبداية والنهاية لابن كثير، ط.هجر (٤/ ٢٥٥)- وليس فيها ذكر سبب النزول.

(١) انظر تفسير الآية (٥).

(٢) قرأ ابن عامر وقالون عن نافع بإسكان الواو، وقرأ الباقون بفتحها.

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «ودخلت».

*اُحْشُرُواْ اُ۬لذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اِ۬للَّهِ فَاهْدُوهُمُۥٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ اِ۬لْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمُۥٓ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ اُ۬لْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَاتُونَنَا عَنِ اِ۬لْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُومِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمُۥٓ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي اِ۬لْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا اَ۬للَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَيِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ اَ۬لْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ اُ۬لْعَذَابِ اِ۬لَالِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اَ۬للَّهِ اِ۬لْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ اِ۬لنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ اُ۬لطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ *قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمُۥٓ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَ۬ئِنَّكَ لَمِنَ اَ۬لْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَ۬ذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَٰماً اِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلَ اَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ اِ۬لْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِۦ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ اَ۬لْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا اَ۬لُاولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ اَ۬لْفَوْزُ اُ۬لْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ اِ۬لْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً اَمْ شَجَرَةُ اُ۬لزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ اِ۬لْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ اُ۬لشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَـَٔاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا اَ۬لْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى اَ۬لْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمُۥٓ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمُۥٓ أَكْثَرُ اُ۬لَاوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدَ اَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ اُ۬لْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اَ۬للَّهِ اِ۬لْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

﴿٢٢﴾ ﴿اُحْشُرُواْ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ للملائكة، خاطبهم به الله تعالىٰ، أو خاطب به بعضُهم بعضًا.

﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ يعني: نساءَهم المشركات، وقيل: يعني: أصنافَهم وقرناءَهم من الجن والإنس.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ يعني: الأصنام والآدميين الذين كانوا يرضون بذلك.

﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ أي: دلوهم علىٰ طريق[1] جهنم ليدخلوها.

﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ يعني: إنهم يُسألون عن أعمالهم توبيخًا لهم، وقيل: يسألون عن قول: «لا إله إلا الله»، والأول أرجح؛ لأنه أعم. ويَحتمل أن يُسألوا عن عدم تناصرهم، علىٰ وجه التهكُّم بهم، فيكون ﴿مَّسْئُولُونَ﴾ عاملًا فيما بعده، والتقدير: يقال لهم: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضًا وقد كنتم في الدنيا تقولون: نحن جميع منتصرٌ؟

﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾ أي: منقادون عاجزون عن الانتصار.

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾: للضعفاء من الكفار، خاطبوا الكُبَراءَ منهم في جهنم، أو للإنس خاطبوا الجنَّ. و﴿الْيَمِينِ﴾ هنا يَحتمل ثلاثة معانٍ:

الأول: أن يراد بها: طريق الخير والصواب، وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين، كما أن العبارة عن الشرِّ بالشمال، والمعنىٰ: أنهم قالوا لهم: إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير فتصدُّوننا عنه.

والثاني: أن يراد بها: القوة، والمعنىٰ علىٰ هذا: إنكم كنتم تأتوننا بقوَّتكم وسلطانكم فتأمروننا بالكفر وتمنعوننا من الإيمان.

والثالث: أن يراد بها: اليمين التي يُحلَف بها، أي: كنتم تأتوننا بأنْ تحلفوا لنا أنكم علىٰ الحق فنصدِّقكم في ذلك ونتَّبعَكم.

﴿قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾: للكبراء من الكفار، أو للشياطين. والمعنىٰ: أنهم قالوا لأتباعهم: ليس الأمر كما ذكرتم، بل كفرتم باختياركم.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ أي: وجب العذاب علينا وعليكم. و﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ معمول القول، وحذف معمول ﴿لَذَائِقُونَ﴾ تقديره: وجب القول بأنا ذائقون العذابَ.

﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ أي: دعوناكم إلىٰ الغيِّ؛ لأنا كنَّا علىٰ غيٍّ.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «صراط».

(٣٣) ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: إن المتبوعين والأتباعَ مشتركون في عذاب النار.

(٣٦) (٣٧) ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ لكفار قريش، ويعنون بـ﴿شَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾: محمدًا ﷺ، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ أي: جاء بالتوحيد والإسلام، وهو الحق، ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الذين قبله؛ لأنه جاء بمثل ما جاؤوا به. ويَحتمل أن يكون صدَّقهم؛ لأنهم أخبروا بنبوَّته فظهر صدْقهم لما بُعِث ﷺ.

(٤٠) ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء منقطع بمعنى «لكن». وقرئ ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام وكسرها في كل موضع[١]، وقد تقدَّم تفسيره[٢].

(٤٤) ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ **السُّرر**: جمع سرير، وتقابُلُهم في بعض الأحيان؛ للسُّرور بالأنس، وفي بعض الأحيان ينفرد كل واحد في قصره[٣].

(٤٥) ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ الذين يطوفون عليهم: الوِلْدان، حسَبما ورد في الآية الأخرى[٤]. **والكأس**: الإناء الذي فيه خمر. قاله ابن عباس رضي الله عنهما[٥]، **وقيل**: الكأس: إناءٌ واسع الفم، ليس له مِقبَض، سواءٌ كان فيه خمر أم لا. **والمعين**: الجاري الكثير، ووزنه فَعِيل، والميم فيه أصلية، **وقيل**: هو مشتقٌّ من العين، فالميم زائدة، ووزنه: مفعول.

(٤٦) ﴿لَذَّةٍ﴾ أي: ذات لذة، فوصَفها بالمصدر اتِّساعًا.

(٤٧) ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ **الغَوْل**: اسم عامٌّ في الأذى والضُّر، ومنه يقال: غاله يغوله: إذا أَهلكه. **وقيل**: الغول: وجعٌ في البطن، **وقيل**: صداعٌ في الرأس. وإنما قدَّم المجرور هنا تعريضًا بخمر[٦] الدنيا؛ لأن الغول فيها.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام، وقرأ الباقون بفتحها.
(٢) انظر تفسير الآية (٢٤) من سورة يوسف.
(٣) في ب، ج، د: «بقصره».
(٤) يعني قوله تعالىٰ في الواقعة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾.
(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٩٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١١).
(٦) في أ، ب، ج، هـ: «الخمر».

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ أي: لا يَسكرون من خمر الجنة، ومنه النَّزِيف، وهو السَّكْران. و«عن» هنا سببية، كقولك: «فعلته عن أمرك»، أي: لا يُنزَفون بسبب شربها.

﴿٤٨﴾ ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ معناه: أنهن قصرْنَ أعينهن على النظر إلى أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم.

﴿عِينٌ﴾ جمع عَيْناءَ، وهي الكبيرة العينين في جمالٍ.

﴿٤٩﴾ ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ قيل: شبَّههن في اللون ببَيض النعام؛ لأنه بياض خالطه[1] صفرة حسنةٌ، ولذلك قال امرؤ القيس: كبِكْرِ مُقاناةِ البياض بصُفْرةٍ[2]. وقيل: إنما التشبيه بلون قشر البيضة الداخلي الرقيق، وهو المكنون، أي: المصون تحت القشر الأول[3]، وقيل: أراد الجوهر المصون.

﴿٥٠﴾ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ هذا إخبارٌ عن تحدُّث أهل الجنة. قال الزمخشري: هذه الجملة معطوفة على ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ ، والمعنى: أنهم يشربون فيتحادثون على الشراب بما جرى لهم في الدنيا[4].

﴿٥١﴾ ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ قيل: إن هذا القائل وقرينَه من البشر، مؤمنٌ وكافرٌ، وقيل: كان قرينُه من الجن.

﴿٥٢﴾ ﴿يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ معناه: أنه كان يقول له على وجه الإنكار: أتصدِّق بالدين والآخرة؟

﴿٥٣﴾ ﴿لَمَدِينُونَ﴾ أي: مجازَون ومحاسَبون على الأعمال، ووزنه: مفعول، وهو من الدِّين بمعنى الجزاء والحساب.

---

(١) في ب: «خالَطَهُ»، وفي ج، هـ: «خالطته».

(٢) هذا صدر بيت من معلقته الشهيرة، وعجزه: «غذاها نَميرُ الماء غيرَ محلَّلِ»، والبكر: أول بيضةٍ تبيضها النعامة، والمقاناة: المخالَطة، التي قُونِيَ بياضُها بصفرة؛ أي: خُلط بياضها بصفرة. انظر: شرح القصائد السبع الطوال، لأبي بكر الأنباري (ص: ٧٠-٧١).

(٣) في ب، هـ: «القشرة الأولى».

(٤) الكشاف (١٣/ ١٤٧).

﴿٥٤﴾ ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ أي: قال ذلك القائلُ لرفقائه في الجنة، أو للملائكة، أو لخُدَّامه: هل أنتم مطَّلعون على النار لأُريكم ذلك القرينَ فيها؟ وروي أن في الجنة كُوَىٰ ينظرُ منها أهلُها إلى النار[1].

﴿٥٥﴾ ﴿فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: في وسَطها.

﴿٥٦﴾ ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ أي: تهلكُني بإغوائك، والرَّدىٰ: الهلاك، وهذا خطابٌ خاطب به المؤمنُ قرينَه الذي في النار.

﴿٥٧﴾ ﴿ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ أي: من المحضرين في العذاب.

﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ هذا من كلام المؤمن خطابًا لقرينه، أو خطابًا لرُفقائه في الجنة، ولهذا قال: ﴿نَحْنُ﴾، فأخبر عن نفسه وعنهم. ويَحتمل أن يكون من كلامه وكلامهم جميعًا.

﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ يَحتمل أن يكون من كلام المؤمن، أو من كلامه وكلام رفقائه في الجنة، أو من كلام الله تعالىٰ. وكذلك يَحتمل[2] هذه الوجوهَ في قوله: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾. والأرجح فيه: أن يكون من كلام الله تعالىٰ؛ لأن الذي بعده من كلام الله فيكون متصلًا به، ولأن الأمر بالعمل إنما يكون حقيقةً في الدنيا ففيه تحريضٌ على العمل الصالح.

﴿٦٢﴾ ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ الإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى نعيم الجنة وكلِّ ما ذكر من وصفها. وقال الزمخشري: الإشارة إلى قوله: ﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾[3]. والنُّزُل: الضيافة، وقيل: الرزق الكثير. وجاء التفضيل هنا بين شيئين ليس بينهما اشتراكٌ؛ لأن الكلام تقريرٌ وتوبيخ.

﴿٦٣﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ قيل[4]: سببها: أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم، قالوا: كيف يكون في النار شجرة، والنار تحرق الشجر؟[5].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١٦) عن كعب الأحبار.
(٢) في د، هـ: «تحتمل».
(٣) الكشاف (١٣/ ١٥٤).
(٤) لم ترد في أ، ب، ج، هـ.
(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٥٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١٦) عن قتادة.

فالفتنة على هذا: الابتلاء في الدنيا، **وقيل**: معناه: عذاب الظالمين في الآخرة. **والمراد بالظالمين هنا**: الكفار.

(٦٤) ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: تنبت في قَعْر جهنم، وترتفع أغصانها إلى دركاتها.

(٦٥) ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ **الطَّلع**: ثمر النخلة، فاستُعير لشجرة الزقوم، وشُبِّه برؤوس الشياطين مبالغةً في قُبحه وكراهته؛ لأنه قد تقرَّر في نفوس الناس كراهتُها وإن لم يروها، ولذلك يقولون للقبيح المنظر: وجه شيطان. **وقيل**: رؤوس الشياطين: شجرة معروفة باليمن، **وقيل**: هو صنف من الحيات.

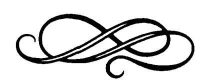
(٦٧) ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: مِزاجًا من ماء حار. **فإن قيل**: لم عطف هذه الجملة بـ﴿ثُمَّ﴾؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنه لترتيب تلك الأحوال في الزمان، **فالمعنى**: أنهم يملؤون البطون من شجرة الزقوم، وبعد ذلك يشربون الحميم.

والثاني: أنه لترتيب مضاعفة العذاب، **فالمعنى**: أن شُرْبهم للحميم أشدُّ مما ذُكِر قبله.

(٧٠) ﴿يُهْرَعُونَ﴾ **الإهراع**: الإسراع الشديد.



وَلَقَدْ نَادِينَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ *وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

﴿٧٥﴾ ﴿وَلَقَدْ نَادِينَا نُوحٌ﴾ أي: دعانا، يعني: دعاءَه بإهلاك قومه ونصرته عليهم.

﴿٧٦﴾ ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني: الغرَق.

﴿٧٧﴾ ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ أهلُ الأرض كلُّهم من ذرية نوح ﷺ؛ لأنه لما غرق الناس في الطوفان ونجا نوح ومن كان معه في السفينة، تناسل الناس من أولاده الثلاثة: سامٍ وحامٍ ويافثٍ.

﴿٧٨﴾ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ معناه: أبقينا له ثناءً جميلًا في الناس إلىٰ يوم القيامة.

﴿٧٩﴾ ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ هذا تسليمٌ من الله علىٰ نوح ﷺ. وقيل: إن هذه الجملة هي مفعول ﴿تَرَكْنَا﴾، وهي محكيةٌ، أي: تركنا هذه الكلمة تقال له، يعني: أن الخلق

يسلِّمون عليه. فيُبتدأ بـ﴿سَلَٰمٌ﴾ على القول الأول، لا على الثاني، والأول أظهر. ومعنى ﴿فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على القول الأول: تخصيصه بالسَّلام عليه من بين العالمين، كما تقول: أُحبُّ فلانًا في الناس، أي: أحبه خصوصًا من بين الناس. ومعناه على القول الثاني: أن السَّلام عليه ثابتٌ في العالمين. وهذا الخلاف يجري حيثما ذُكِر ذلك في هذه السورة.

﴿٨٣﴾ ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ الشِّيعة: الصنف المتفِق، فمعنى ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾: على دينه في التوحيد. والضمير يعود: على نوح ﷺ، وقيل: على محمد ﷺ، والأول أظهر.

﴿٨٤﴾ ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ﴾ عبارةٌ عن إخلاصه، وإقباله بكليَّته على الله تعالى، وليس المراد المجيء بالجسد.

﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي: سليم من الشرك والشك وجميع العيوب.

﴿٨٦﴾ ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ الإفك: الباطل، وإعرابه هنا: مفعول من أجله، و﴿ءَالِهَةً﴾: مفعول به. وقيل: ﴿أَئِفْكًا﴾: مفعول به، و﴿ءَالِهَةً﴾: بدل منه. وقيل: ﴿أَئِفْكًا﴾: مصدر في موضع الحال، تقديره: «آفِكين»؛ أي: كاذبين. والأول أحسن.

﴿٨٧﴾ ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ المعنى: أيُّ شيء تظنون برب العالمين أن يعاقبَكم به، وقد عبدتم غيره؟ أو: أيُّ شيء تظنون أنه هو حتى عبدتم غيره؟ كما تقول: «ما ظنك بفلان؟» إذا قصدتَ تعظيمه. فالمقصد على المعنى الأول: تهديدٌ، وعلى الثاني: تعظيمٌ لله وتوبيخ لهم.

﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ روي أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه، فدعوه إلى الخروج معهم، فحينئذ قال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾؛ ليمتنعَ عن الخروج معهم، فيكسرَ أصنامهم إذا خرجوا لعيدهم. وفي تأويل ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: أنه كانت تأخذه الحُمَّى في وقت معلوم، فنظر في النجوم ليرى وقت الحمى، واعتذر عن الخروج بأنه سقيم من الحمى.

والثاني: أن قومه كانوا منجِّمين وكان هو يعلم أحكام النجوم، فأوهمهم أنه استدلَّ بالنظر في علم النجوم أنه يَسقَم، فاعتذر بما يخاف من السُّقْم عن الخروج معهم.

والثالث: أن معنى نظر في النجوم: أنه نظر وفكَّر فيما يكون من أمره معهم فقال: إني سقيم، والنجوم على هذا: ما يَنجُم من حاله معهم، وليست نجوم السماء، وهذا بعيد.

وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ على حسَب هذه الأقوال:

يَحتمل أن يكون حقًّا لا كذبَ فيه ولا تجوُّز أصلًا، ويعارض هذا ما ورد عن النبي ﷺ: «إن إبراهيم كَذَب ثلاث كَذَبات، أحدها[1]: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾»[2].

ويحتمل أن يكون كَذِبًا صُرَاحًا، وجاز له ذلك على هذا الاحتمال؛ لأنه فعَل ذلك من أجل الله؛ إذ قصَد كسر الأصنام.

ويحتمل أن يكون من المعاريض، فأراد أنه سقيم فيما يُستقبل؛ لأن كل إنسان لا بدَّ أن يمرض، أو أراد أنه سقيمُ النفْس من كفرهم وتكذيبهم له. وهذا التأويل أولى؛ لأن نفْيَ الكذب بالجملة يُعارض الحديث، والكذب الصُّراح لا يجوز على الأنبياء عند أهل التحقيق، أما المعاريض فهي جائزة.

﴿٩٠﴾ ﴿فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ أي: تركوه إعراضًا عنه، وخرجوا إلى عيدهم. **وقيل**: إنه أراد بالسُّقْم الطاعون، وهو داءٌ يُعدي، فخافوا منه وتباعدوا عنه مخافة العدوى.

﴿٩١﴾ ﴿فَرَاغَ﴾ أي: مال.

﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام.

﴿٩٣﴾ ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي: بيُمنى يديه، وقيل: بالقوة، وقيل: بالحَلِف، وهو قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧] ، **والأول أظهر وأليق بالضَّرب**. و ﴿ضَرْبًا﴾ مصدر في موضع الحال.

﴿٩٤﴾ ﴿يَزِفُّونَ﴾ أي: يسرعون.

﴿٩٥﴾ ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ أي: تَنْجرون، **والنَّحت**: النِّجارة، إشارةٌ إلى صنعهم[3] للأصنام من الحجارة أو الخشب.

---

(١) في أ، هـ: «إحداها».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) في أ، هـ: «صنعتهم».

﴿٩٦﴾ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ذهب قوم إلىٰ أن ﴿مَا﴾ مصدرية، والمعنىٰ: الله خلقكم وأعمالكم، وهذه الآية عندهم قاعدةٌ في خلق أفعال العباد. وقيل: إنها موصولة بمعنىٰ «الذي»، والمعنىٰ: الله خلقكم وخلق أصنامكم التي تعملونها، وهذا أليق بسياق الكلام، وأقوىٰ في قصد الاحتجاج علىٰ الذين عبدوا الأصنام. وقيل: إنها نافية، وقيل: استفهامية، وكلاهما باطل.

﴿٩٧﴾ ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ قيل: البنيان: في موضع النار، وقيل: بل كان للمنجنيق الذي رُمي عنه.

﴿٩٨﴾ ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ يعني: حَرْقَه بالنار.

﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي: المغلوبين.

﴿٩٩﴾ ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ قيل: إنه قال هذا بعد خروجه من النار، وأراد: أنه ذاهب -أي: مهاجر- إلىٰ الله، فهاجر إلىٰ أرض الشام. وقيل: إنه قال ذلك قبل أن يُطرح في النار، وأراد: أنه ذاهب إلىٰ ربه بالموت؛ لأنه ظن أن النار تُحرقه. و﴿سَيَهْدِينِ﴾: علىٰ القول الأول: يعني الهدىٰ إلىٰ صلاح[1] الدين والدنيا، وعلىٰ القول الثاني: إلىٰ الجنة. وقالت المتصوفة: معناه: ذاهب إلىٰ ربي بقلبي، أي: مقبلٌ علىٰ الله بكليته، تاركٌ لما سواه[2].

﴿١٠٠﴾ ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يعني: ولدًا من الصالحين.

﴿١٠١﴾ ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ أي: عاقل. واختلف الناس في هذا الغلام المبشَّر به في هذا الموضع وهو الذبيح، هل هو إسماعيل أو إسحاق؟ فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين ﷺ[3]: هو إسماعيل، وحجتهم من ثلاثة أوجه:

---

(١) في أ، ج: «إصلاح».

(٢) [التعليق ٩٤] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «قالت المتصوفة» إلخ، أقول: نقله هذا التأويل للآية عن الصوفية دون تعقب إقرارٌ له، وهذا التأويل في نفسه معنىٰ حقٌّ؛ فلا ريب أن إبراهيم مقبلٌ علىٰ ربه بكليَّة قلبه، كيف وقد قال الله فيه: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾؟! لكنْ جعلُ هذا المعنىٰ تفسيرا للآية ليس بمستقيم؛ لأنه خلاف تفسير السَّلف للآية؛ فالسَّلف ومن تبعهم علىٰ أن المراد بالآية الهجرةُ من العراق إلىٰ الشام، فقوله في الصافات: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، هو المذكور في سورة العنكبوت: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فالآيتان في هجرة البدن، لا في هجرة القلب؛ فإبراهيم ﷺ لم يزل مهاجرا إلىٰ ربه بقلبه.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥٩٢) وما بعدها.

الأول: أن رسول الله ﷺ قال: «أنا ابن الذبيحين»(١) يعني: إسماعيلَ عليه السلام، ووالدَه عبدَ الله، حين نذر والدُه عبد المطلب أن ينحره إن يسَّر الله له أمر زمزم، ففداه بمئة من الإبل.

والثاني: أن الله تعالىٰ قال بعد تمام قصة الذبيح: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾، فدلَّ ذلك علىٰ أن الذبيح غيره.

والثالث: أنه روي أن إبراهيم عليه السلام جرت له قصة الذبح بمكة، وإنما كان معه بمكة إسماعيل عليه السلام.

وذهب عليُّ بن أبي طالب(٢) وابن مسعود(٣) وجماعة من التابعين رضي الله عنهم: إلىٰ أن الذبيح إسحاق، وحجتهم من وجهين: **الأول**: أن البِشارة المعروفة لإبراهيم بالولد إنما كانت بإسحاق؛ لقوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧٠]. **والثاني**: أنه روي أن يعقوب عليه السلام كان يكتب: من يعقوب إسرائيل(٤) ابن إسحاق ذبيح الله(٥).

---

(١) أورده في المحرر الوجيز (٧/ ٣٠١) والكشاف (١٣/ ١٨٥)، ولم أقف علىٰ إسناد له، وأخرج الطبري (١٩/ ٥٩٧)، والحاكم (٤٠٣٦)، والأموي في مغازيه -كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٣٠)-، وابن مردويه -كما في الدر المنثور (١٢/ ٤٣٤)- عن عبد الله بن سعيد الصنابحي، قال: حضرنا مجلس معاوية بن أبي سفيان فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق بن إبراهيم فقال بعضهم: الذبيح إسماعيل، وقال بعضهم: بل إسحاق الذبيح، فقال معاوية: سقطتم علىٰ الخبير كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه الأعرابي، فقال: يا رسول الله، خلَّفت البلاد يابسة والماء يابسًا، هلك المال وضاع العيال، فعُدْ عليَّ بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه. قال ابن كثير: «وهذا حديث غريب جدًّا»، وقال الذهبي: «إسناده واهٍ»، وضعفه السيوطي في الدر المنثور.

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٢/ ٣٦٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٨٩).

(٤) في أ، ب، د، هـ: «إسرائيل الله» بزيادة اسم الله، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه علىٰ تفسير الطبري (١٦/ ٢٠١): «في التاريخ [يعني: تاريخ الطبري]: «إسرائيل الله»، وكأن الذي في التفسير [أي: بدون زيادة اسم الله] هو الصواب، لأن «إيل» بمعنىٰ «الله»، و«إسرا»، يضاف إليه، وكأن «إسرا»، بمعنىٰ: «سَرِيّ»، وهو بمعنىٰ المختار، كأنه: «صفي الله» الذي اصطفاه. وفي تفسير ذلك اختلاف كثير».

(٥) هكذا ذكره الزمخشري (١٣/ ١٨٧) أن يعقوب كان يكتب، وفي تفسير الطبري (١٣/ ٢١٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٩) عن أبي ميسرة أن يوسف عليه السلام قال: «أنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله»، وأخرجه ابن أبي حاتم أيضًا (٧/ ٢١٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

﴿١٠٢﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ **يريد بالسعي هنا:** العمل والعبادة، **وقيل:** المشي، وكان حينئذ ابن ثلاث عشرة سنة.

﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ **يحتمل أن يكون** رأىٰ في المنام الذَّبح، وهو الفعل، أو أُمِر في المنام أن يذبحه. **والأول أظهر** في اللفظ هنا، **والثاني أظهر** في قوله: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾، ورؤيا الأنبياء وحيٌ، فوجب[1] عليهم الامتثال علىٰ الوجهين.

﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ **إن قيل:** لم شاوره في أمرٍ هو محتَّمٌ[2] من الله؟ **فالجواب:** أنه لم يشاوِرْه ليَرجعَ إلىٰ رأيه، ولكن ليَعلم ما عنده فيثبِّت قلبَه ويوطِّن نفسَه علىٰ الصبر، فأجابه بأحسن جواب.

﴿١٠٣﴾﴿١٠٤﴾ ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ أي: استسلما وانقادًا لأمر الله.

﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ أي: صرَعه بالأرض علىٰ جبينه، وللإنسان جبينان حول الجبهة. **وجواب** ﴿لَمَّآ﴾ : **محذوفٌ عند البصريين،** تقديره: فلما أسلما كان ما كان من الأمر العظيم. **وقال الكوفيون:** جوابها: ﴿تَلَّهُۥ﴾ ، والواو زائدة. **وقال بعضهم:** جوابها: ﴿نَٰدَيْنَٰهُ﴾، والواو زائدة.

﴿١٠٥﴾ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ **يَحتمل أنه يريد بقلبك،** أي: كانت عندك رؤيا صادقةٌ فعملتَ بحسَبها. ويحتمل أن يريد: صدَّقتها بعملك، أي: وفَّيت حقَّها من العمل.

فإن قيل: إنه أُمر بالذبح ولم يَذْبَح، فكيف قيل له: ﴿صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾؟

فالجواب: أنه قد بذل جهده؛ إذ عزم علىٰ الذَّبح ولو لم يَفْدِه الله لذَبحه، ولكن الله هو الذي منعه من ذبحه لما فداه، فامتناعُ ذبح الولد إنما كان من الله وبأمر الله، وقد قضَىٰ إبراهيم ﷺ ما عليه.

﴿١٠٦﴾ ﴿ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ أي الاختبار البيِّن، الذي تظهر[3] به طاعة الله، أو المحنة البيِّنة الصعوبة.

---

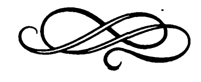
(١) في ب، ج: «يوجب».

(٢) في أ، هـ: «حتمٌ».

(٣) في ب، ج، د: «يظهر».

(١٠٧) ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ **الذِّبح**: اسم لما يُذبح، وأراد به هنا: الكبش الذي فداه به، وروي أنه من كباش الجنة، **وقيل**: إنه الكبش الذي قرَّب به ولد آدم[١]، ووصفه بـ﴿عَظِيمٍ﴾ لذلك، أو لأنه من عند الله، أو لأنه متقبَّل. **وروي في القَصص**: أن الذبيح قال لإبراهيم: «اشدد رباطي لئلا أضطرب، واصرف بصرك عني لئلا ترحمني»، وأنه أمرَّ الشفرة على حَلْقه فلم تَقطع، فحينئذ جاءه الكبش من عند الله[٢]. **وقد أكثر الناس في قَصص هذه الآية، وتركناه لعدم صحته.**

(١١٠) ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ **إن قيل**: لم قال هنا في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ دون قوله: «إِنَّا»، وقال في غيرها: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ ؟ **فالجواب**: أنه قد تقدَّم في قصة إبراهيم نفسِها: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ فأغنى عن تكرار «إِنَّا» هنا.



(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٦٠١، ٦٠٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٤) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ فقربا قربانهما، فجاء صاحب الغنم بكبش أعين أقرن أبيض، وصاحب الحرث بصبرة من طعام، فقبل الله الكبش فخزنه في الجنة أربعين خريفا، وهو الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام. واللفظ لابن أبي حاتم. قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٨٣): «إسناد جيد».

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٨٠)، وابن أبي حاتم (/) عن السدي.

*وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ ءَالِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

﴿١١٤﴾ ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ **يعني**: بالنبوة وغير ذلك.

﴿١١٥﴾ ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ **يعني**: الغرقَ، أو تعذيبَ فرعون وإذلالَه لهم.

﴿١١٦﴾ ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ الضمير يعود علىٰ موسىٰ وهارون عليهما السلام وقومهما. **وقيل**: علىٰ موسىٰ وهارون عليهما السلام خاصةً، وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم، وهذا ضعيف.

﴿١١٧﴾ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ **يعني**: التوراة، ومعنىٰ ﴿ٱلْمُسْتَبِينَ﴾: البيِّن. وفي هذه الآية وما بعدها نوع من أدوات البيان وهو التَّرصيع[1].

﴿١٢٣﴾ ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ **إلياس**: من ذرية هارون، **وقيل**: إنه إدريس. وقد أخطأ من قال: إنه إلياس المذكور في أجداد النبي ﷺ.

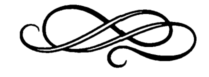
﴿١٢٥﴾ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ **البَعْل**: الربُّ بلغة اليمن، **وقيل**: بعل: اسم صنم كان لهم يقال له: بعلبك.

---

(١) انظر الباب العاشر من المقدمة الأولىٰ.

﴿١٣٠﴾ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ ﴿ءَالِ﴾ هنا -على هذه القراءة[١]-: بمعنى أهل، و ﴿يَاسِينَ﴾ اسم لإلياس، وقيل: لأبيه، وقيل: اسم لمحمد ﷺ. وقرئ ﴿إِلۡ يَاسِينَ﴾ بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة، وهو على هذا جمع إلياسيّ؛ أي: منسوب لإلياس، حذفت منه الياء كما حذفت من «أعجمين»، وقيل: سمّى كل واحد من آل إلياس بإلياس، ثم جمعهم، وقيل: هي لغة في «إلياس».

﴿١٣٥﴾ ﴿عَجُوزاً فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ قد ذُكِر[٢].



(١) قرأ نافع وابن عامر بالمد وقطع ﴿آل﴾ من ﴿ياسين﴾، وقرأ الباقون بكسر الهمزة وإسكان اللام ووصلها بالياء.
(٢) انظر تفسير الآية (٨٢) من سورة الأعراف.

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

﴿١٣٩﴾ **﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾** قد ذكرنا قصَّته في «يونس»[1] و«الأنبياء»[2].

﴿١٤٠﴾ **﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾** أي: هرب إلىٰ السفينة، والفلك هنا: واحد، و **﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾**: المملوء. وسبب هروبه: غضَبُه علىٰ قومه حين لم يؤمنوا، وقيل: إنه أخبرهم أن العذاب يأتيهم في يومٍ معيَّن حسَبما أعلمه الله، فلما رأىٰ قومه مَخايِل العذاب آمنوا، فرفع الله عنهم العذاب، فخاف أن ينسبوه إلىٰ الكذب فهرب.

---

(١) انظر تفسير الآية (٩٨).

(٢) انظر تفسير الآية (٨٦).

(١٤١) ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ معنى ﴿سَاهَمَ﴾: ضرب **القُرْعة**، **والسُّهْمة**: هي القرعة، **والمدْحَض**: المغلوب في القرعة والمحاجَّة. **وسبب مقارعته**(١): أنه لما ركب السفينة، وقفت ولم تَجْرِ، فقالوا: إنما وقفت مِن حدثٍ أحدثه أحدُنا، فنقترع لنرى على من تخرج القرعة فنطرحه، فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس عليه السلام فطرحوه في البحر، فالْتقمه الحوت.

(١٤٢) ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: فَعَل ما يُلام عليه، وذلك خروجه بغير أن يأمره الله بالخروج.

(١٤٣) ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ تسبيحه: هو قوله: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، حسَبما حكى الله عنه في «**الأنبياء**». **وقيل**: هو قوله: «سبحان الله». **وقيل**: هو الصلاة، واختُلف على هذا: هل يعني صلاتَه في بطن الحوت، أو قبل ذلك. **واختُلف في مدة بقائه في بطن الحوت**: فقيل: ساعة، وقيل: ثلاثة أيام، وقيل: سبعة أيام، وقيل: أربعون يومًا.

(١٤٥) ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ **العَرَاء**: الأرض الفضاء التي لا شجر فيها، ولا ظل، **وقيل**: **يعني**: الساحل.

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ روي أنه كان كالطفل المولود بَضْعَةَ لحمٍ(٢).

(١٤٦) ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ أي: أنبتناها فوقَه؛ لتُظِلَّه وتقيَه حرَّ الشمس. **واليقطين**: هو القَرْع، وإنما خصَّه الله به؛ لأنه يَجمع برد الظل، ولين الملمس، وكِبَر الورق، وأن الذُّباب لا يقربه؛ فإن لحم يونس عليه السلام لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب. **وقيل**: **اليقطين**: كل شجرة لا ساق لها، كالبُقول، والقَرْع، والبِطِّيخ، **والأول أشهر**.

(١٤٧) ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ﴾ **يعني**: رسالته الأولى التي أبَقَ بعدها. **وقيل**: هذه رسالةٌ ثانية بعد خروجه من بطن الحوت، **والأول أشهر**.

﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ **قيل**: ﴿أَوْ﴾ هنا: بمعنى «بل»، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: «بل يزيدون»(٣).

---

(١) في د: «قرعته».

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٦٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي.

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٦٣٧).

وقيل: هي بمعنى الواو، **وقيل**: هي للإبهام، **وقيل**: **المعنى**: أن البشر إذا نظر إليهم يتردَّد فيقول: هم مئة ألف أو يزيدون. واختُلف في عددهم: **فقيل**: مئة وعشرون ألفًا، **وقيل**: مئة وثلاثون ألفًا، **وقيل**: مئة وأربعون ألفًا، **وقيل**: مئة وسبعون ألفًا.

(١٤٨) ﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ روي أنهم خرجوا بالأطفال وأولاد البهائم، وفرَّقوا بينها[1] وبين الأمهات، وناحوا وتضرعوا إلى الله وأخلصوا، فرفع الله العذاب عنهم[2]. و﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني: إلى آجالهم[3]. وقد ذكر الناس في قصة يونس أشياءَ كثيرة أسقطناها؛ لضعف صحتها.

(١٤٩)-(١٥٢) ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ **قال الزمخشري**: إن هذا معطوف على قوله: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ الذي في أول السورة وإن تباعد ما بينهما[4]. والضمير المفعول: لقريش وسائر الكفار، أي: اسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله، فجعلوا لله الإناثَ ولأنفسهم الذكور، وتلك قسمةٌ ضيزَى، ثم قرَّرهم على ما زعموا من أن الملائكة إناثٌ[5] وردَّ عليهم بقوله: ﴿وَهُمْ شَـٰهِدُونَ﴾.

ويحتمل أن يكون: بمعنى الشهادة، أو بمعنى الحضور، أي: أنهم لم يحضروا على ذلك ولم يعلموه. ثم أخبر عن كذبهم في قولهم: ﴿وَلَدَ ٱللَّهُ﴾، ثم قرَّرهم على ما زعموا من أن الله اصطفى لنفسه البنات، وذلك كله ردٌّ عليهم وتوبيخ لهم، تعالى الله عن أقوالهم علوًّا كبيرًا.

(١٥٣) ﴿أَصْطَفَى﴾ دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل.

(١٥٤) ﴿مَا لَكُمْ﴾ ﴿مَا﴾ استفهامية معناها: التوبيخ، وهي في موضع رفع بالابتداء، والمجرور بعدها خبرها، فينبغي الوقف على قوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾.

---

(١) في ب، ج: «بينهما».
(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٣٧٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٨) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ.
(٣) في أ، هـ: «أجلهم».
(٤) الكشاف (١٣/ ٢٠٦).
(٥) في ب، ج: «بنات».

﴿١٥٦﴾ ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ﴾ أي: برهان بيِّنٌ.

﴿١٥٧﴾ ﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ تعجيزٌ لهم؛ لأنهم ليس لهم كتاب يحتجُّون به.

﴿١٥٨﴾ ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ الضمير في ﴿جَعَلُواْ﴾ لكفار العرب، وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: أن الجِنَّة هنا: الملائكة، وسميت بهذا الاسم؛ لأنه مشتقٌّ من الاجتنان وهو الاستتار، والملائكة مستورون عن أعين بني آدم كالجن، والنَّسب الذين جعلوا بين الله وبينهم: قولهم: إنهم بنات الله.

والقول الثاني: أن الجن هنا الشَّياطين[1]، وفي النَّسب الذي جعلوا بينه وبينهم قولان:

أحدهما: أن بعض الكفار قال: إن الله والشيطان[2] أخَوان، تعالى الله عن ذلك.

والآخر: أن بعضهم قال: إن الله نكَح في الجن فوَلدت له الملائكةَ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ من قال: إن الجن الملائكة: فالضمير في قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ يعود على الكفار؛ أي: قد علمت الملائكة أن الكفار مُحضَرون في العذاب. ومن قال: إن الجن الشياطين: فالضمير يعود عليهم؛ أي: قد علمت الشياطين إنهم محضرون في العذاب.

﴿١٦٠﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ استثناءٌ منقطع: من المحضرين، أو من الفاعل في ﴿يَصِفُونَ﴾.

والمعنى: لكنَّ عباد الله المخلصين لا يُحضَرون في العذاب، أو لكن عباد الله المخلصين يصفونه بما هو أهلُه.

﴿١٦١﴾-﴿١٦٣﴾ ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ هذا خطابٌ للكفار، والمراد بـ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: الأصنام وغيرها. و﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ عطفٌ على

(١) في أ، ج، هـ: «الشيطان».
(٢) في أ، د، هـ: «والشياطين».

الضمير في ﴿إِنَّكُمْ﴾، ويجوز أن تكون الواو بمعنى «مع». ومعنى ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾: مُضِلِّين. والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود على ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، و«على» سببية معناها التعليل، و﴿مَنْ هُوَ﴾: مفعول بـ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾. **والمعنى**: إنكم أيها الكفار وكلَّ ما تعبدونه لا تُضِلُّون أحدًا إلَّا من قضى الله أن يَصْلَى الجحيم، أي: لا تقدرون على إغواء الناس إلَّا بقضاء الله. **وقال الزمخشري**: الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود على الله تعالى[1].

﴿١٦٤﴾ ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ هذا حكايةُ كلام الملائكة ﷺ، **وتقديره**: ما منا ملَك إلَّا وله مقام معلوم، فحذف الموصوف لفهم الكلام. **والمقام المعلوم** يحتمل أن يراد به الموضع الذي يقومون فيه؛ لأن منهم مَن هو في السماء الدنيا وفي الثانية وفي سائر السماوات وحيث شاء الله. ويحتمل أن يراد به: المنزلة من العبادة والتَّقريب والتَّشريف.

﴿١٦٥﴾ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ أي: الواقفون صفوفًا في العبادة، ولذلك أُمر المسلمون بتسوية الصفوف في صلاتهم؛ ليقتدوا بالملائكة، وليس أحدٌ من أهل الملل يصلُّون صفوفًا إلَّا المسلمون.

﴿١٦٦﴾ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ **قيل**: معناه: المصلون؛ لأن الصلاة يقال لها: تسبيحٌ، **وقيل**: معناه: القائلون «سبحان الله». وفي هذا الكلام الذي قالته الملائكة ﷺ ردٌّ على من قال: إنهم بناتُ الله أو شركاءُ له؛ لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتنزيه له. ويدلُّ هذا الكلام أيضًا على أن المراد بالجن قبلَ هذا: الملائكة. **وقيل**: إن هذا كلَّه من كلام محمد ﷺ وكلام المسلمين، والأول أشهر.

﴿١٦٧﴾ ﴿١٦٨﴾ ﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ **الضمير**: لكفار قريش وسائر العرب. **والمعنى**: أنهم كانوا قبل بعث محمد ﷺ يقولون: لو أَرسل الله إلينا رسولًا أو أنزل علينا كتابًا لكنا عباد الله المخلصين.

---

(١) الكشاف (١٣/ ٢١٢)، وقال: «فإن قلتَ: كيف يَفتنونهم على الله؟ قلت: يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهوائهم، من قولك: فَتن فلانٌ على فلان امرأتَه، كما تقول: أفسدها عليه وخبَّبها عليه».

﴿١٧٠﴾ ﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦ﴾ **الضمير** للذِّكر، أو لمحمد ﷺ؛ لأن المعنىٰ يقتضي ذلك وإن لم يتقدَّم ذكره. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديدٌ ووعيدٌ علىٰ كفرهم.

﴿١٧١﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ **المعنىٰ**: سبق القضاءُ بأن المرسلين منصورون علىٰ أعدائهم، وأن جند الله غالبون. وهذا النصر والغلبة: بظهور الحجة والبرهان، وبهزيمة الأعداء في القتال، وبالسَّعادة في الآخرة.

﴿١٧٤﴾ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: أعرض عنهم، وذلك موادَعةٌ منسوخة بالسيف. **والحين** هنا يراد به: يوم بدر، **وقيل**: حضور آجالهم[1]، **وقيل**: يوم القيامة.

﴿١٧٥﴾ ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ هذا وعدٌ للنبي ﷺ، ووعيد لهم.

﴿١٧٦﴾ ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ إشارةٌ إلىٰ قولهم: «متىٰ هذا الوعد؟» و«أمطر علينا حجارة من السماء»، وشبه ذلك.

﴿١٧٧﴾ ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ **السَّاحة**: الفِناء حول الدار، والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يردُ علىٰ الإنسان من محذور. **وسُوء الصَّباح**: مستعمل في ورودِ الغارات والرَّزايا. **ومقصد الآية**: التهديد بعذابٍ يحُلُّ بهم بعد أن أُنذِروا فلم ينفعهم الإنذار، وذلك تمثيلٌ بقوم أنذرهم ناصحٌ بأن جيشًا يحُلُّ بهم فلم يقبلوا نصحه، حتىٰ جاءهم الجيش فأهلكهم.

﴿١٧٩﴾ ﴿وَأَبْصِرْ﴾ كرَّر الأمرَ بالتولِّي عنهم والوعدَ والوعيدَ علىٰ وجه التأكيد. **وقيل**: أراد بالوعيد الأول: عذاب الدنيا، وبالثاني: عذاب الآخرة. **فإن قيل**: لم قال أوَّلًا ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾، وقال هنا: ﴿وَأَبْصِرْ﴾، فحذف الضمير المفعول؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنه اكتفىٰ بذكره أوَّلًا عن ذكره ثانيًا، فحذفه اختصارًا.

والآخر: أنه حذفه ليفيد العموم فيمن تقدَّم وغيرِهم، كأنه قال: «أبصر جميع الكفار»، بخلاف الأول، فإنه في قريش خاصةً.

(١) في أ، هـ: «أجلهم».

﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ نزَّه اللهُ تعالىٰ نفسه عما وصفه به الكفار مما لا يليق به، فإنه حكىٰ عنهم في هذه السورة أقوالًا كثيرةً شنيعةً. و﴿ٱلْعِزَّةِ﴾ إن أراد بها: عزة الله فمعنىٰ ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾: ذو العزة، وأضافها إليه لاختصاصه بها، وإن أراد بها: عزة الأنبياء والمؤمنين فمعنىٰ ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾: مالكُها وخالقها. ومن هذا قال محمد بن سُحنون[(١)]: من حلف بعزة الله؛ فإن أراد صفةَ الله فهي يمين، وإن أراد العزة التي أعطىٰ عباده فليست بيمين[(٢)].

ثم ختم الله هذه السورة بالسلام علىٰ المرسلين والحمد لله رب العالمين. فأما السلام علىٰ المرسلين: فيحتمل أن يريد به التحيةَ، أو سلامتَهم من أعدائهم، ويكون ذلك تكميلًا لقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾. وأما الحمد فيحتمل أن يريد به الحمدَ علىٰ ما ذكر في هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الأنبياء وغير ذلك، ويحتمل أن يريد الحمد علىٰ الإطلاق[(٣)].



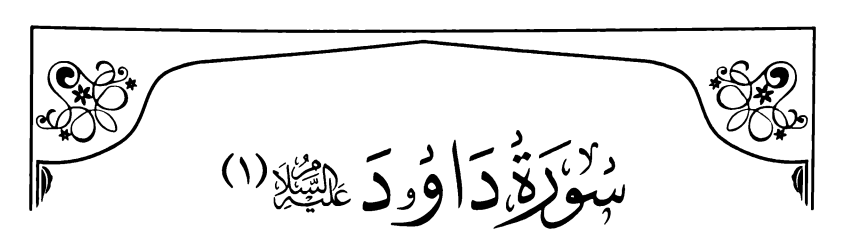
---

(١) محمد بن سُحنون -واسمه عبد السلام- بن سعيد التنوخي، ابن الفقيه المالكي المعروف، تفقه بأبيه، وتوفي سنة (٢٥٦هـ). الديباج المذهب (٢/ ١٦٩).

(٢) انظر: النوادر والزيادات، لابن أبي زيد القيرواني (٤/ ١٥).

(٣) جاء في ب هنا: «كمل تفسير «والصافات»، وبتمامها تم جميع الربع من «كهيعص» من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله، والحمد لله، ثم يتلو هذه سورة «ص»، رزقنا الله العون والقوة إنه حليم كريم قوي معين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثرًا مباركًا فيه».

وجاء في ج هكذا: «كمل تفسير سورة «والصافات»، وبتمامها تم جميع الربع من «كهيعص» من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلىٰ آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته والتابعين من بعده وسلم تسليمًا، والحمد لله، ثم يتلو هذه سورة «ص»، رزقنا الله العون والقوة إنه حليم كريم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».



سورة داود عليه السلام(١)

﴿صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۝ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۝ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۝ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ۝ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ۝ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝﴾

(١) **﴿صٓ﴾** تكلمنا في حروف الهجاء في «البقرة». **ويختصُّ بهذا أنه قيل فيه:** معناه: «صدَق محمدٌ». **وقيل:** هو حرف من اسم الله: «الصمد»، أو «صادق الوعد»، أو «صانع المصنوعات».

﴿وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ﴾ هذا قسَمٌ، جوابه محذوفٌ تقديره: إن القرآن من عند الله، أو إن محمدًا ﷺ لصادق وشبه ذلك. **وقيل:** جوابه في قوله **﴿صٓ﴾**؛ إذ هو بمعنى: صدَق محمد. **وقيل:** جوابه: **﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾**، وهذا بعيد. **وقيل:** جوابه: **﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾** وهذا أبعد. **ومعنى ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾:** ذي الشَّرَف، أو الذِّكرى بمعنى الموعظة، أو ذِكْر الله وما يحتاج إليه من الشريعة.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** يعني: قريشًا، و **﴿بَلْ﴾** للإضراب عن

---

(١) قال السخاوي في «جمال القراء وكمال الإقراء» (ص: ٩١): «سورة «ص»، وتسمى سورة داود عليه السلام».

كلام محذوف، وهو جواب القسم، أي: إن كفرهم ليس ببرهان بل هو بسبب العزة والشِّقاق. **والعزة هي**: التكبُّر، **والشِّقاق**: العداوة وقصد المخالفة، وتنكيرهما للدلالة علىٰ شدَّتهما، وتفاقُم الكفار فيهما.

﴿٣﴾ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ إخبارٌ يتضمَّن تهديدًا لقريش.

﴿فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ **المعنىٰ**: أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين لم ينفعهم ذلك. و﴿لَاتَ﴾ بمعنىٰ: ليس، وهي «لا» النافية زيدت عليها علامة التأنيث، كما زيدت في «رُبَّت» و«ثُمَّت»، ولا تدخل «لات» إلَّا علىٰ الأزمان، واسمها مضمر، و﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ خبرها، **والتقدير**: وليس الحينُ الذين دعوا فيه حينَ مناص. **والمناصُ**: المفرُّ والنَّجاة، من قولك: ناص ينوص إذا فرَّ.

﴿٤﴾ ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ الضمير لقريش، **والمنذر**: محمد ﷺ؛ أي: استبعدوا أن بَعث الله رسولًا منهم. **ويَحتمل** أن يريد مِن قبيلتهم، أو يريد من البشر مثلهم.

﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ كان الأصل: «وقالوا»، ولكن وضع هذا الظاهر موضع المضمر؛ إظهارًا للغضب، وقصدًا لوصفهم بالكفر.

﴿٥﴾ ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ هذا إنكارٌ منهم للتوحيد. **وسبب نزول هذه الآيات**: أن قريشًا اجتمعوا وقالوا لأبي طالب: كُفَّ ابن أخيك عنَّا، فإنه يَعيب ديننا ويذمُّ آلهتنا، ويُسَفِّه أحلامنا، فكلَّمه أبو طالب في ذلك، فقال ﷺ: «إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم، وتَدين لهم بها العرب»، فقالوا: نعمْ، وعشر كلمات معها. فقال: «قولوا: لا إله إلا الله»، فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا: أجعل الآلهة إلها واحدًا[1].

﴿٦﴾ ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ ﴿انطَلَقَ الْمَلَأُ﴾ : عبارةٌ عن خروجهم عن أبي طالب، **وقيل**: عبارةٌ عن تفرُّقهم في طرق مكة وإشاعتهم للكفر. و﴿أَنِ امْشُوا﴾ معناه: يقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا علىٰ عبادة آلهتكم، ولا تطيعوا

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٥)، وأحمد (٣٤١٩)، والترمذي (٣٢٣٢) وصححه، والنسائي في الكبرىٰ (٨٧١٦)، وابن حبان (٦٦٨٦)، وابن أبي شيبة (٣٧٧١٩)، والحاكم (٣٦١٧) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٨٦٤٨) عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﵄.

محمدًا فيما يدعو إليه من عبادة الله وحده.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ هذا أيضًا مما حكىٰ الله من كلام قريش، وفي معناه وجهان: **أحدهما:** إن الإشارة إلىٰ الإسلام والتوحيد، أي: إن هذا التوحيد شيءٌ يراد به الانقيادُ إليه. **والآخر:** أن الإشارة إلىٰ الشرك والصبر علىٰ آلهتهم، أي: إن هذا شيءٌ ينبغي أن يُراد ويُتمسَّك به، أو إن هذا شيء يريده الله منا؛ لـمَّا قضَىٰ علينا به. **والأول أرجح**؛ لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه، فيكون الكلام علىٰ نسَقٍ واحد.

﴿٦﴾ ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ هذا أيضًا مما حُكِي من كلامهم، أي: ما سمعنا بالتوحيد في الملة الآخرة. **والمراد** بـ﴿الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾: ملةُ النصارىٰ؛ لأنها بعد ملة موسىٰ عليه السلام وغيره، وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد. **وقيل:** المراد: ملة قريش، أي: ما سمعنا بهذا في الملة التي أدركْنا عليها آباءنا. **وقيل:** المراد: الملة المنتظَرة؛ إذ كانوا يسمعون من الأحبار والكُهَّان أن رسولًا يبعث يكون آخِرَ الأنبياء.

﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ هذا أيضًا مما حُكي من كلامهم، والإشارة إلىٰ التوحيد والإسلام. **ومعنىٰ الاختلاق:** الكذب.

﴿٧﴾ ﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ الهمزة للإنكار، **والمعنىٰ:** أنهم أنكروا أن يخصَّ الله محمدًا ﷺ بإنزال القرآن عليه دونهم.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ هذا ردٌّ عليهم، **والمعنىٰ:** أنهم ليست لهم حجة ولا برهان، بل هم في شكٍّ من معرفة الله وتوحيده، فلذلك كفروا. **ويَحتمل** أن يريد بـ﴿ذِكْرِي﴾: القرآنَ.

﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ هذا وعيدٌ لهم وتهديد، **والمعنىٰ:** أنهم إنما حملهم علىٰ الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب، فإذا ذاقوه زال عنهم الشكُّ، وأذعنوا للحقِّ.

﴿٨﴾ ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ هذا ردٌّ عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد ﷺ بالنبوة. **والمعنىٰ:** أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتىٰ يعطوا النبوة من شاؤوا ويمنعوها ممن شاؤوا، بل يعطيها الله لمن يشاء. ثم وصف نفسه بـ﴿الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾؛ لأن العزيز يفعل ما يشاء، والوهاب يُنعم علىٰ من يشاء، فلا حجة لهم فيما أنكروا.

﴿١٠﴾ ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا أيضًا ردٌّ عليهم، **والمعنىٰ: أم لهم الملك فيتصرَّفوا فيه كيف شاؤوا؟ بل مالك الملك يفعل في ملكه ما يشاء. و﴿أَمْ﴾ الأولىٰ:** منقطعة بمعنىٰ «بل» وهمزة الإنكار. **وأما الثانية: فيحتمل** أن تكون كذلك، أو تكون عاطفةً معادِلة لما قبلها.

﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ هذا تعجيزٌ لهم، وتهكُّمٌ بهم. ومعنىٰ ﴿يَرْتَقُوا۟﴾ يَصعَدوا، و﴿ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ هنا: السَّلاليم[1] والطرق، وشبه ذلك مما يوصل به إلىٰ العلْوِ، **وقيل:** هي أبواب السماء. **والمعنىٰ:** إن كان لهم ملك السماوات والأرض فليصعَدوا إلىٰ العرش ويدبِّروا الملك.

﴿١١﴾ ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ هذا وعيدٌ بهزيمتهم في القتال، وقد هُزِموا يوم بدر وغيره. و﴿مَّا﴾ هنا: صفةٌ لـ﴿جُندٌ﴾، وفيها معنىٰ التَّحقير لهم. **والإشارة بـ﴿هُنَالِكَ﴾:** إلىٰ حيث وضعوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء. **وقيل:** الإشارة إلىٰ الارتقاء في الأسباب، وهذا بعيد، **وقيل:** الإشارة إلىٰ موضع بدر. و﴿مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ معناه: من جملة الأحزاب الذين تعصَّبوا للباطل فهَلكوا.

﴿١٢﴾ ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ **قال ابن عباس** ﵄: كانت له أوتادٌ وخشب يلعب بها وعليها[2]. **وقيل:** كان له أوتاد يُسمِّرها في الناس لقتلهم. **وقيل:** أراد المبانيَ العِظَام الثابتة، **ورجَّحه ابن عطية**[3]. **وقال الزمخشري:** إن ذلك استعارةٌ في ثبات المُلك، كقول القائل:

في ظِـــلِّ مُلْـــكٍ ثابـــتِ الأوتـــادِ[4]

﴿وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ قد ذُكِر[5].

---

(١) في أ، هـ: «السلالم» وهما جمعان صحيحان للكلمة.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٠) عن سعيد بن جبير عنه ﵁.

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٣٢٨).

(٤) الكشاف (١٣/ ٢٤٣)، وهذا عجز بيت للأسود بن يَعفُر النهشلي كما في ديوانه (ص: ٢٧)، وصدر البيت: «ولقد غَنوا فيها بأنعم عيشةٍ».

(٥) انظر تفسير الآية (١٧٦) من سورة الشعراء.

وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

﴿١٤﴾ ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ ﴿يَنظُرُ﴾ **هنا بمعنى: ينتظر، و** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ **يعني: قريشًا. والصَّيحة الواحدة: النفخة في الصور، وهي نفخة الصَّعْق. وقيل: الصيحة: عبارةٌ عما أصابهم من قتل وشدائد، والأول أظهر، وقد روي تفسيرها بذلك عن النبي ﷺ[1].**

---

(١) أخرجه الطبري في عدة مواضع منها (٢٠/ ٣٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٩)، والطبراني في كتاب الطُّوالات -كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٢)- وأبو الشيخ في كتاب العظمة (٣/ ٨٢١)، والبيهقي في البعث والنشور، ط. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت (٣٣٦)، من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: يا رسول الله وما الصور؟ قال: «قرن» ، قال: كيف هو؟ قال: «قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات: نفخة الفزع الأولى، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السماوات وأهل الأرض إلا من شاء الله، ويأمره الله فيديمها ويطولها، فلا يفتر وهي التي يقول الله ﴿ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق﴾..» الحديث، وهو حديث طويل جدًّا. وفيه أن هذه الصيحة هي نفخة الفزع، لا نفخة الصَّعق. وهذا الحديث قال فيه ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٨٨): «هذا حديث مشهور وهو غريب جدًّا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة، كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي..» وانظر تتمة كلامه.

﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

الأول: ما لها من رجوع، أي: لا يرجعون بعدها إلى الدنيا، وهو على هذا مشتقٌّ من الإفاقة.

الثاني: ما لها من تَرداد؛ أي: إنما هي واحدةٌ لا ثانية لها.

الثالث: ما لها من تأخيرٍ ولا توقُّفٍ مقدارَ فُوَاقِ ناقةٍ، وهي ما بين حَلْبَتَي اللبن. وهذا القول الثالث إنما يجري على قراءة ﴿فُوَاقٍ﴾ بالضم[1]؛ لأن فُواق الناقة بالضم، والقولان الأولان على الفتح والضم.

(١٦) ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ **القِطُّ في اللغة له معنيان: أحدهما**: الكتاب. **والآخر**: النصيب. **وفي معناه هنا ثلاثة أقوال:**

أحدها: نصيبنا من الخير، أي: دعوا أن يعجِّله الله لهم في الدنيا.

والآخَر: نصيبهم من العذاب، فهو كقولهم: «أمطر علينا حجارة من السماء».

والثالث: صحائف أعمالنا.

(١٧) ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ **الأيدُ**: القوة، وكان داود عليه السلام جمع قوةَ البدن والقوةَ في الدين، والملكَ والجنود. **والأوَّاب**: الرجَّاع إلى الله. **فإن قيل**: ما المناسبة بين أمر الله لمحمد ﷺ بالصبر على أقوال الكفار وبين أمره له بذكر داود عليه السلام؟

فالجواب عندي: أن ذِكْر داود ومن ذُكِر بعده من الأنبياء عليهم السلام في هذه السورة فيه تسليةٌ للنبي ﷺ عن أقوال الكفار، ووعدٌ له بالنصر وتفريج الكُرَب، وإعانةٌ له على ما أُمر به من الصبر، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود عليه السلام من تسخير الطير والجبال، وشدَّة ملكه، وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزُّلفى وحسنِ المآب، فكأنه[2] يقول: يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم؛ كذلك ننعم عليك، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون، ثم ذكر ما أعطى سليمان عليه السلام من الملك العظيم، وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزلفى وحسن المآب، ثم ذَكر مَن ذَكر بعد ذلك من الأنبياء.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بضم الفاء، وقرأ الباقون بفتحها.

(٢) في ب، ج: «فإنه».

والمقصد: ذكر الإنعام عليهم؛ لتقوية قلب النبي ﷺ.

وأيضًا فإن داود وسليمان وأيوب عليهم السلام أصابتهم شدائد ثم فرَّجها الله عنهم، وأعقبها بالخير العظيم، فأَمر محمدًا ﷺ بذكرهم؛ ليُعْلمه أنه يفرِّج عنه ما يلقىٰ من إذاية قومه، ويُعْقِبُها بالنصر والظهور عليهم، فالمناسبة في ذلك ظاهرة.

وقال ابن عطية: المعنىٰ: واذكر داود ذا الأيد في الدين؛ فتأسَّ به وتأيَّدْ كما تأيَّدَ[1].

وأجاب الزمخشري عن السؤال بأن قال: كأن الله قال لنبيه ﷺ: اصبر علىٰ ما يقولون، وعظِّمْ أمر المعصية في أعين الكفار بذِكْر قصة داود، وذلك أنه نبيٌّ كريم عند الله ثم زلَّ زلة فوبَّخه الله عليها فاستغفر وأناب، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم؟[2].

وهذا الجواب لا يخفىٰ ما فيه من سوء الأدب مع داود عليه السلام؛ حيث جعله مثالًا يهدِّد الله به الكفار، وصرَّح بأنه زلَّ وأن الله وبَّخه علىٰ زلته، ومعاذ الله مِنْ ذِكْرِ الأنبياء بمثل هذا!

(١٧) ﴿وَالإِشْرَاقِ﴾ **يعني**: وقتَ الإشراق وهو حين تُشرِق الشمس؛ أي: تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحىٰ، وأما شُروقها: فطلوعها.

(١٨) ﴿مَحْشُورَةً﴾ أي: مجموعةً.

﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي: كلٌّ مسبِّحٌ لأجل تسبيح داود. ويَحتمل أن يكون ﴿أَوَّابٌ﴾ هنا بمعنىٰ: رجَّاع؛ أي: يَرجع إلىٰ أمره.

(١٩) ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ **قيل**: يعني: النبوة، وقيل: العلم والفَهم، وقيل: الزبور.

﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ **ابن عباس** رضي الله عنهما: هو فصل القضاء بين الناس بالحق[3]. **عليٌّ بن أبي طالب** رضي الله عنه: هو إيجاب اليمين علىٰ المدَّعَىٰ عليه، والبينة علىٰ المدَّعِي[4]. **وقيل**: أراد قول: «أما بعدُ»، فإنه أول من قالها. **وقال الزمخشري**: **معنىٰ فصل الخطاب**: البيِّن من

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٣٠).

(٢) الكشاف (١٣/ ٢٤٦-٢٤٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٩) من طريق العوفي عنه رضي الله عنه.

(٤) عزاه إليه الثعلبي في تفسيره (٢٢/ ٤٨٢) ولم يسنده، ولم أقف عليه مسندًا، وأخرجه الطبري (٢٠/ ٥٠) عن شريح.

الكلام الذي يفهمه مَن يُخاطَب به[١]. وهذا المعنىٰ اختارَ[٢] ابنُ عطية، وجعله من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق: ١٣][٣].

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام؛ تنبيهًا للمخاطَب ودلالةً علىٰ أنها من الأخبار العجيبة، التي ينبغي أن يُلقَىٰ البالُ لها.

والخصم: يقع علىٰ الواحد والاثنين والجماعة، كقولك: عَدْلٌ وزَوْرٌ. واتَّفق الناس علىٰ أن هؤلاء الخصمَ كانوا ملائكة، وروي أنهما جبريل وميكائيل عليهما السلام، بعثهم الله ليضرب بهم المثل لداود عليه السلام في نازلةٍ وقَع هو في مثلها، فأَفتىٰ بفتيا هي واقعةٌ عليه في نازلته، ولما شعَر وفهِم المراد أناب واستغفر، وسنذكر القصة بعد هذا. ومعنىٰ ﴿تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ عَلَوْا علىٰ سُوره ودخلوه.

والمحراب: الموضع الأرفع من القصر، أو المسجد، وهو موضع التعبد. ويحتمل أن يكون المتسوِّر للمحراب اثنين فقط؛ لأن نفس الخصومة إنما كانت بين اثنين، فتجيء الضمائر في ﴿تَسَوَّرُواْ﴾، و ﴿دَخَلُواْ﴾، و ﴿فَزِعَ مِنْهُمْ﴾: علىٰ وجه التجوُّزِ والعبارةِ عن الاثنين بلفظ الجماعة، وذلك جائزٌ علىٰ مذهب من يرىٰ أن أقل الجمع اثنان. ويحتمل أنه جاءه مع كل واحد من الخصمين جماعةٌ فيقع علىٰ جميعهم خصمٌ، وتجيء الضمائر المجموعة حقيقةً، وعلىٰ هذا عوَّل الزمخشري[٤].

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾ هنا: ﴿تَسَوَّرُواْ﴾، وقيل: هي بدلٌ من الأولىٰ. وأما ﴿إِذْ﴾ الأولىٰ: فالعامل فيها: ﴿أَتَىٰكَ﴾، أو ﴿نَبَؤُاْ﴾. وردَّ الزمخشري ذلك، وقال: إن العامل فيها محذوفٌ، تقديره: هل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا[٥]. وإنما فزع داود منهم؛ لأنهم دخلوا عليه بغير إذن، ودخلوا من غير الباب، وقيل: إن ذلك كان ليلًا.

---

(١) الكشاف (١٣/ ٢٥٣).

(٢) في ج، د، هـ: «اختيار».

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٣٣٢).

(٤) الكشاف (١٣/ ٢٥٨).

(٥) الكشاف (١٣/ ٢٥٩).

﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ تقديره: نحن خصمان، ومعنىٰ ﴿بَغَىٰ﴾: تعدَّىٰ.

﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: لا تَجُرْ علينا في الحكم، يقال: أَشَطَّ الحاكم: إذا جارَ. وقرئ في الشاذ: ﴿لَا تَشْطُطْ﴾ بفتح التاء[1]، أي: لا تبعد عن الحق، يقال: شطَّ إذا بَعُد.

﴿سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ أي: وسَط الطريق، ويعني: القصد والحق الواضح.

(٢٣) **﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ هذا حكاية كلام أحد الخصمين، والأُخوَّة هنا: أُخوَّة الدين.**

والنَّعجة في اللغة: تقع علىٰ أنثىٰ بقر الوحش وعلىٰ أنثىٰ الضأن، وهي هنا عبارةٌ عن المرأة، ومعنىٰ ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾: مَلِّكْها لي، وأصله: اجعلها في كفالتي، وقيل: اجعلها كِفْلي، أي: نصيبي. ومعنىٰ ﴿عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي: غلبني في الكلام والمحاورة، يقال: عزَّ فلانٌ فلانًا: إذا غلبه.

وهذا الكلام تمثيلٌ للقصة التي وقع داود عليه السلام فيها، وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديمًا وحديثًا، حتىٰ قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «من حدَّث بما يقول هؤلاء القُصَّاص في أمر داود عليه السلام جلدته حَدَّين لما ارتكب مِن حرمة مَن رفَع الله محَلَّه»[2]. **ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلىٰ تنزيه[3] داود عليه السلام[4].**

روي أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضًا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجَها إذا أعجبته، وكانت[5] لهم عادة في ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار في أول الإسلام

---

(١) وهي قراءة أبي رجاء وقتادة والحسن والجحدري. المحرر الوجيز (٧/ ٣٣٦).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٢/ ٤٩٨) عن الحارث الأعور عن علي رضي الله عنه، وقال أبو بكر ابن العربي في أحكام القرآن (٤/ ١٦٣٩) بعد أن ذكره: «وهذا مما لا يصح عنه».

(٣) في ب، ج: «تبرئة».

(٤) قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٦٠): «قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روىٰ ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، فالأولىٰ أن يُقتصر علىٰ مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يُردَّ علمها إلىٰ الله عز وجل، فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا».

(٥) في ب، ج: «وكان».

شيء من ذلك، فاتفق أن وقعت عين داود ﷺ على امرأة رجل فأعجبته، فسأله النزول عنها ففعل، وتزوَّجها داود ﷺ فوُلِد له منها سليمان ﷺ، وكان لداود تسع وتسعون امرأةً، فبعث الله إليه الملائكة مثالًا لقصته، فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً﴾ إشارةً إلى التسع والتسعين امرأة التي كانت لداود، ﴿وَلِيَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ إشارةً إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلَّا تلك المرأة الواحدة، ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ إشارةً إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته.

فأجابهم داود ﷺ بقوله: ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾، فقامت الحجة عليه بذلك، فتبسَّم الملكان عند ذلك وذهبا ولم يرهما، فشعَر أن ذلك عتابٌ من الله له على ما وقع فيه، ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾.

ولا تقتضي هذه القصة على هذه الرواية أن داود ﷺ وقع فيما لا يجوز شرعًا، وإنما عوتب على أمر جائز، كان ينبغي له أن يتنزَّه عنه؛ لعلُوِّ مرتبته ومتانة دينه، فإنه قد يُعاتَب الفضلاءُ على ما لا يُعاتَب عليه غيرهم، كما قيل: «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

وأيضًا؛ فإنه كان له تسعٌ وتسعون امرأةً، وكان غنيًّا عن هذه المرأة، فوقع العتاب على الاستكثار من النساء، وإن كان جائزًا.

وروي هذا الخبر على وجه آخر، وهو أن داود ﷺ انفرد يومًا في محرابه للتعبُّد، فدخل عليه طائرٌ من كَوَّةٍ، فوقع بين يديه فأعجبه، فمدَّ يده ليأخذه فطار على الكوة، فصَعِد داود ليأخذه، فرأى من الكوة امرأةً تغتسل عريانة فأعجبته، ثم انصرف فسأل عنها فأُخبر أنها امرأة رجل من جنده، وأنه خرج للجهاد مع الجند، فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يقدِّم ذلك الرجل يقاتل عند التابوت، وهو موضع قلَّما يخلُص أحدٌ منه، فتقدَّم ذلك الرجل فقاتل[1] حتى قتل شهيدًا، فتزوج داود امرأته بعده، فعوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل، وتزوُّجه امرأتَه بعده، مع أنه كان له تسع وتسعون امرأةً سواها.

---

(١) في أ: «يقاتل».

وقيل: إن داود ﷺ همَّ بذلك كله ولم يفعلْه، وإنما وقعت المعاتبة على همِّه بذلك.

وروي أن السبب فيما جرى له من ذلك: أنه أُعجب بعلمه[1]، وظهر منه ما يقتضي أنه لا يخاف الفتنة على نفسه، ففُتِن بتلك القصة.

وروي أيضًا أن السبب في ذلك: أنه تمنَّى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﷺ، والتزم أن يُبتلى كما ابتُلوا، فابتلاه الله بما جرى له في تلك القصة.

(٢٤) ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ ﴿سُؤَالِ﴾ مصدرٌ مضاف إلى المفعول، وإنما تعدَّى بـ«إلى»؛ لأنه تضمَّن معنى الإضافة، كأنه قال: بسؤال نعجتك مضافةً أو مضمومة إلى نعاجه. **فإن قيل**: كيف قال له داود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ قبل أن يَثبُت عنده ذلك؟

فالجواب: أنه روي أن الآخر اعترف بذلك، وحُذف ذكْر اعترافه اختصارًا. ويَحتمل أن يكون قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ على تقدير صحة قوله. **وقد قيل**: إن قوله لأحد الخصمين: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ قبل أن يسمع حجة الآخر كانت خطيئتَه التي استغفر منها وأناب.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ **الخُلَطاء**: هم الشركاء في الأموال، ولكن الخُلْطة أعمُّ من الشّركة، ألَا ترى أن الخلطة في المواشي ليست بشركة في رقابها. وقصَد داود ﷺ بهذا الكلام الوعظَ للخصم الذي بغَى، والتسليةَ بالتأسِّي للخصم الذي بُغِيَ عليه.

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ﴿مَّا﴾ زائدةٌ للتأكيد.

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ **ظن هنا**: بمعنى شعَر بالأمر، **وقيل**: بمعنى أيقن. و﴿فَتَنَّٰهُ﴾ معناه: اختبرناه.

﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ معنى ﴿خَرَّ﴾: ألقى بنفسه إلى الأرض، وإنما حقيقة ذلك في السجود، **فقيل**: إن الركوع هنا: بمعنى السجود، **وقيل**: خرَّ من ركوعه ساجدًا بعد أن ركع. ومعنى ﴿أَنَابَ﴾: تاب. وروي أنه بقي ساجدًا أربعين يومًا يبكي حتى نبت البقل من دموعه[2].

---

(١) في أ، هـ: «بعمله».

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٧٣) عن وهب بن منبِّه، وهو من الإسرائيليات.

وهذا الموضع فيه سجدة عند مالك، خلافًا للشافعي[1]، إلَّا أنه اختُلف في مذهب مالك هل يسجد عند قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾، أو عند قوله: ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾؟

﴿٢٥﴾ ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ **الزُّلفىٰ**: القُربة والمكانة الرفيعة. **والمآب**: المرجع في الآخرة.

﴿٢٦﴾ ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ **تقديره**: قال الله يا داود. وخلافة داود: بالنبوة والملك. **قال ابن عطية**: لا يقال «خليفةُ الله» إلَّا لنبيٍّ، وأما الملوك والخلفاء فكل واحد منهم خليفةُ الذي قبله، وقول الناس فيهم: «خليفة الله» تجوُّزٌ[2].



---

(١) وأحمد، فليس عندهم من عزائم السجود، وإنما هي سجدة شكر. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤/ ٢٢٣).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٣٤٢).

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

﴿٢٧﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ أي: عبثًا، بل خلقها الله بالحق؛ للاعتبار بها والاستدلال على خالقها.

﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ **المعنى:** أن الكفار لما أنكروا الحشر والجزاء كانت خِلْقة السماوات والأرض عندهم باطلًا لغير الحكمة؛ فإن الحكمة في ذلك إنما تظهر في الجزاء الأخراوي(١).

﴿٢٨﴾ ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا استفهامية يراد بها الإنكار، أي: إن الله لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار، بل يجازي كلَّ أحد بعمله؛ لتظهر حكمة الله في الجزاء، ففي ذلك استدلالٌ على الحشر والجزاء، وفيه أيضًا وعد(٢) ووعيد.

﴿٣١﴾ ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ : جمع صافن، وهو الفرس الذي يرفع إحدى يديه أو رجليه، ويقف على طرف الأخرى. وقيل: الصافن: هو الذي

(١) في ب، هـ: «الأخروي».
(٢) في ب، ج: «وعظ».

يسوِّي يديه. والصَّفن[1] علامةٌ علىٰ فَراهة الفرس. و﴿ٱلْجِيَادُ﴾ : السَّريعة الجري.

واختلف الناس في قَصص هذه الآية: فقال الجمهور: إن سليمان ﷺ عُرِضت عليه خيل كان ورثها عن أبيه -وقيل: أخرجتها له الشياطين من البحر-، وكانت ذوات أجنحة، وكانت ألف فرس -وقيل: أكثر-، فتشاغل بالنظر إليها حتىٰ غربت الشمس وفاتته صلاة العشيِّ -وقيل: العصر[2]-، فأَسِف لذلك، وقال: ردوا عليَّ الخيل، فطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف حتىٰ عقرها؛ لـمَّا كانت سبب فوْت الصلاة، ولم يترك منها إلَّا اليسير، فأبدله الله أسرع منها، وهي الريح.

وأنكر بعض العلماء هذه الرواية، وقال: تفويت الصلاة ذنبٌ لا يفعله سليمان ﷺ، وعَقْرُ الخيل لغير فائدة لا يجوز، فكيف يفعله سليمان ﷺ؟ وأيُّ ذنب للخيل في تفويت الصلاة. **فقال بعضهم:** إنما عقرها ليأكلها الناس، وكان زمانهم زمان مجاعةٍ، فعقرها تقرُّبًا إلىٰ الله. **وقال بعضهم:** لم تفته صلاةٌ، ولا عَقَر الخيلَ، بل كان يصلي فعُرِضت عليه الخيل، فأشار إليهم فأزالوها حتىٰ دخلت إصطَبْلاتها، فلما فرَغ من الصلاة قال: «ردُّوها عليَّ» فطفق يمسح عليها بيده كرامةً لها ومحبة. وقيل: إن المسح عليها كان وسْمًا في سُوقها وأعناقها بوسم: «حَبْسٌ في سبيل الله».

﴿٣٢﴾ ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ **معنىٰ هذا يختلف علىٰ حسَب الاختلاف في القصة: فأما الذين قالوا: إن سليمان ﷺ عقر الخيل لما اشتغل بها حتىٰ فاتته الصلاة: فاختلفوا في هذا علىٰ ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن الخير هنا: يراد به الخيل، وزعموا أنه يقال للخيل خيرٌ، و﴿أَحْبَبْتُ﴾

---

(١) يعني: مصدر صفَنَ الفرسُ، هكذا ذكر أن مصدره: «الصَّفن»! وفي الصحاح للجوهري، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/ ٢٠٦) أن مصدرَه «الصُّفُون»، وكذا عبَّر الزمخشري في تفسيره (١٣/ ٢٧٨).

(٢) كذا في النسخ، وفي المحرر الوجيز (٧/ ٣٤٤): «حتىٰ فاته وقت صلاة العشاء [كذا!]، قال قتادة: صلاة العصر»، وفي الكشاف (١٣/ ٢٧٩): «وغَفل عن العصر، أو عن وردٍ من الذكر كان له وقت العشيِّ»، والذي ذكره الطبري (٢٠/ ٨٤) أنها صلاة العصر، وعزاه إلىٰ قتادة والسدي وعلي بن أبي طالب ﷺ، ولم يذكر قولًا غيره، فقول المؤلف: «صلاة العشي، وقيل: العصر» يظهر أنهما قولان مترادفان، لا متغايران. والله أعلم.

بمعنىٰ: آثرتُ، أو بمعنىٰ فعلٍ يتعدَّىٰ بـ«عن»؛ كأنه قال: آثرت حب الخيل فشَغلني عن ذكر ربي.

والآخر: أن الخير هنا: يراد به المال؛ لأن الخيل وغيرها مالٌ، فهو كقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٧٩] أي: مالًا.

والثالث: أن المفعول محذوفٌ، و﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ مصدرٌ، والتقدير: أحببت هذه الخيل مثل حب الخير، فشغلني عن ذكر ربي.

وأما الذين قالوا: إنه كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها؛ فالمعنىٰ: أنه قال: إني أحببت حب الخير الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي، فشَغلني ذلك عن النظر إلىٰ الخيل.

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ الضمير للشمس وإن لم يتقدَّم ذكرُها، ولكنها تُفهم من سياق الكلام، وذِكْر العشيِّ يقتضيها، والمعنىٰ: حتىٰ غابت الشمس. وقيل: الضمير للخيل، ومعنىٰ ﴿تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾: دخلت إصطبلاتها، والأول أشهر وأظهر.

﴿٣٣﴾ ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ أي: قال سليمان: ردوا عليَّ الخيل.

﴿فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾ **السُّوق**: جمع ساق، يعني: سوقَ الخيل وأعناقَها؛ أي: جعل يمسحها مسحًا. وهذا المسح مختلفٌ علىٰ حسَب الاختلاف المتقدِّم: هل هو قَطْعُها وعقرها؟ أو مَسْحُها باليد محبةً لها؟ أو وَسْمُها بالتَّحبيس[1]؟

﴿٣٤﴾ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ **تفسير هذه الآية يختلف علىٰ حسَب الاختلاف في قصَّتها، وفي ذلك أربعة أقوال:**

الأول: أن سليمان ﷺ كان له خاتَم مُلْكِه، وكان فيه اسم الله[2]، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء؛ توقيرًا لاسم الله تعالىٰ، فنزعه يومًا ودفعه إلىٰ جاريته، فتمثَّل لها جنيٌّ في صورة

(١) في ب، ج: «للتحبيس».

(٢) في هامش ب زيادة: «الأعظم».

سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له، وروي أن اسمه صخر، فقعد على كرسيّ سليمان يأمر وينهى، والناس يظنون أنه سليمان، وخرج سليمان فارًّا بنفسه فأصابه الجوع فطلب حوتًا ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه، وكان الجنيُّ قد رماه في البحر، فلبِس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه[1]. **ففتنة سليمان على هذا**: هي ما جرى له من سلْب ملكه. **والجسد الذي أُلقي على كرسيه**: هو الجنيُّ الذي قعد عليه، وسماه جسدًا؛ لأنه تصوَّر في صورة إنسان. **ومعنى** ﴿أَنَابَ﴾: رجع إلى الله بالاستغفار والدعاء، أو رجع إلى ملكه.

والقول الثاني: أن سليمان ﷺ كانت له امرأة يحبها، وكان أبوها ملكًا كافرًا قد قتله سليمان، فسألته أن يصنع لها صورة أبيها، فأطاعها في ذلك فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواريها، وصار صنمًا معبودًا في داره، وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يومًا، فلما علم به كسره[2]. **فالفتنة على هذا**: عمل الصورة. **والجسد**: هو الصورة.

والقول الثالث: أن سليمان كان له ولد، وكان يحبه حبًّا شديدًا، فقالت الجن: إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا في السُّخْرة أبدًا، فلم يشعر إلَّا وولده ميت على كرسيِّه[3]. **فالفتنة على هذا**: حبُّه في الولد. **والجسد**: هو الولد لما مات، وسمي جسدًا؛ لأنه جسد بلا روح.

والقول الرابع: أن سليمان قال: «لأطوفنَّ الليلة على مئة امرأة، تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله»، ولم يقل: «إن شاء الله»، فلم تحمل واحدةٌ منهنَّ إلَّا واحدة جاءت بشقِّ إنسان. **فالفتنة على هذا**: كونه لم يقل: «إن شاء الله». **والجسد**: هو شِقُّ الإنسان الذي وُلِد له.

فأما القول الأول: فضعيفٌ من طريق النقل، مع أنه يَبعد ما ذُكِر فيه من سلْب المُلْك عن سليمان ﷺ وتسليط الشياطين[4] عليه.

---

(١) هذه من الأخبار الإسرائيليات كما قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٦٨).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٢/ ٥٣٢) عن وهب بن منبه، فهو من الإسرائيليات أيضًا.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٢/ ٥٤٣) عن الشعبي.

(٤) في أ: «الشيطان».

وأما القول الثاني: فضعيفٌ أيضًا، مع أنه يَبعد أن يُعْبَد صنمٌ في بيت نبيٍّ، أو يأمر نبيٌّ بعمل صنم.

وأما القول الثالث: فضعيفٌ أيضًا.

وأما القول الرابع: فقد ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ[1]، لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير لمعنى الآية.

(٣٤) ﴿فَالَ رَبِّ إغْفِرْ لِے وَهَبْ لِے مُلْكاً لاَّ يَنۢبَغِے لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيَ﴾ قدَّم الاستغفار على طلب الملك؛ لأن أمور الدين كانت عنده أهمَّ من الدنيا، فقدَّم الأَولى والأهمَّ. **فإن قيل**: لأيِّ شيءٍ قال: ﴿لاَّ يَنۢبَغِے لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيَ﴾، وظاهر هذا طلب الانفراد به حتى قال فيه الحَجَّاج: إنه كان حسودًا[2]؟ **فالجواب**: من وجهين:

أحدهما: أنه إنما قال ذلك لئلا يجريَ عليه مثل ما جرى من أَخْذ الجني لملكه، فقصَد أن لا يُسلَب عنه ملكه في حياته ويصيرَ إلى غيره.

والآخر: أنه طلب ذلك لتكون[3] معجزة، ودلالة على نبوته.

(٣٥) ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ اُ۬لرِّيحَ تَجْرِے بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ معنى ﴿رُخَآءً﴾: لينةً طيبة، وقيل: مطيعةً[4] له. وقد ذكرنا الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨٠] في «الأنبياء». و﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث قصَد وأراد.

(٣٦) ﴿وَالشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ ﴿الشَّيَٰطِينَ﴾ معطوف على ﴿اُ۬لرِّيحَ﴾، و﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ بدلٌ من ﴿الشَّيَٰطِينَ﴾.

أي: سخَّرنا له الريح والشياطين مَن يبني منهم ومَن يغوص في البحر.

(١) أخرجه البخاري (٢٨١٩)، ومسلم (١٦٥٤) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٧/ ٣٤٩): «وروي في مثالب الحجاج بن يوسف أنه لما قرأ هذه الآية قال: «لقد كان حسودًا»، وهذا من فسْق الحجاج».

(٣) في أ، هـ: «ليكون».

(٤) في أ: «طائعة»، وفي هـ: «طيِّعة»

﴿٣٨﴾ ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ أي: آخرين من الجنِّ مُوثَقِين في القيود والأغلال.

﴿٣٩﴾ ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ الإشارةُ إلىٰ الملك الذي أعطاه الله، والمعنىٰ: أن الله قال له: أَعط من شئت وامنع من شئت. وقيل: المعنىٰ: امنن علىٰ من شئت من الجنِّ بالإطلاق[1] من القيود، وأَمسك من شئت منهم في القيود، والأوَّل أحسن، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[2].

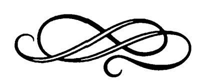
﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يَحتمل ثلاثة معان:

أحدها: أنه لا يُحاسَب في الآخرة علىٰ ما فَعل.

والآخر: بغير تضييقٍ عليه[3] في الملك.

والثالث: بغير حساب ولا عدد، بل خارج عن الحصْر.

﴿٤٠﴾ ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ قد ذُكر في قصة داود عليه السلام.



(١) في أ، هـ: «بإطلاق».

(٢) لم أقف عليه من قول ابن عباس رضي الله عنهما، وإنما هو من قول الحسن، أخرجه الطبري (٢٠/ ٩٩)، وأما قول ابن عباس رضي الله عنهما فيها فهو -فيما أخرجه الطبري-: ما أوتي من القوة علىٰ الجماع.

(٣) في د: «عليك».

وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ *وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾

﴿٤١﴾ ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ **قد ذكرنا قصة أيوب** عليه السلام **في «الأنبياء»**[1]. **والنُّصْبُ:** يقال بضم النون وإسكان الصاد، وبفتح النون وإسكان الصاد، وبضم النون والصاد، وبفتحهما[2]، ومعناه واحد: وهو المشقة. **فإن قيل:** لم نَسب ما أصابه من البلاء إلى الشيطان؟ **فالجواب: من أربعة أوجه:**

أحدها: أن سبب ذلك كان من الشيطان، فإنه روي أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكرًا فلم يغيِّره[3].

(١) انظر تفسير الآية (٨٢).

(٢) قراءة السبعة بضم النون وإسكان الصاد، وقرأ أبو جعفر المدني بضم النون والصاد، وقرأ يعقوب بفتحهما، وقرئ في الشاذ بفتح النون وإسكان الصاد. المحرر الوجيز (٧/ ٣٥١).

(٣) ذكره في المحرر الوجيز (٧/ ٣٥١)، وقال الثعلبي (٢٢/ ٥٥٩): «وروى حيان عن الكلبي: أن أيوب عليه السلام كان يغزو ملكًا من الملوك كافرًا، وكانت مواشي أيوب في ناحية ذلك الملك، فداهنه ولم يغزه فابتلي».

وقيل: إنه كانت له شاة فذبحها وطبخها، وكان له جار جائع فلم يُعط جارَه منها شيئًا[١].

والثاني: أنه أراد: ما وسوس له الشيطان في مرضه من الجزع وكراهة البلاء، فدعا إلىٰ الله أن يدفع[٢] عنه وسوسة الشيطان بذلك.

والثالث: أنه روي أن الله سلط الشيطان عليه ليفتنه، فأهلك ماله فصبر، وأهلك أولاده فصبر، وأصابه الجذام والمرض الشديد فصبر، فنَسب ذلك إلىٰ الشيطان؛ لتسليط الشيطان عليه.

والرابع: روي أن الشيطان لقي امرأته فقال لها: قولي لزوجك إن سجد لي سجدةً أذهبتُ ما به من المرض، فذكرت المرأة ذلك لأيوب، فقال لها: «ذلك عدوُّ الله الشيطان»، وحينئذ دعا[٣].

(٤٢) ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ **التقدير**: «قلنا له: اركض برجلك»، فضرَب الأرض برجله فنبَعت له عينُ ماءٍ صافيةٌ باردة، فشرب منها فذهب[٤] كلُّ مرض كان في داخل جسده، واغتسل منها فذهب ما كان في ظاهر جسده. وروي أنه ركض الأرض مرتين فنبع له عينان، فشرب من أحدهما، واغتسل من الأخرىٰ[٥].

(٤٣) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ ذُكر في «**الأنبياء**»[٦].

---

(١) ذكره في المحرر الوجيز (٣/ ٣٥١) ولم أقف عليه مسندًا.

(٢) في أ، ب، هـ: «يرفع».

(٣) لم أقف عليه هكذا، ولكن أخرج ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٥) وابن عساكر في تاريخه (١٠/ ٦٧) عن ابن عباس ﷺ قال: إن إبليس قعد على الطريق فاتخذ تابوتًا يداوي الناس فقالت امرأة أيوب: يا عبد الله إن هاهنا مبتلىٰ، من أمره كذا وكذا، فهل لك أن تداويه؟ قال: نعم، بشرط إن أنا شفيتُه أن يقول: أنت شفيتني لا أريد منه أجرًا غيره، فأتت أيوب ﷺ فذكرت ذلك له فقال: ويحك! ذاك الشيطان، لله عليَّ إن شفاني الله تعالىٰ أن أجلدك مئة جلدة، فلما شفاه الله تعالىٰ أمره أن يأخذ ضغثًا، فأخذ عذقًا فيه مئة شِمْرَاخ، فضرب بها ضربة واحدة.ا.هـ. فليس فيه أن إبليس أمر بالسجود.

(٤) في ب: «فأذهب الله».

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٨) عن قتادة والحسن.

(٦) انظر تفسير الآية (٨٣).

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِۦ وَلاَ تَحْنَثْ﴾ **الضِّغْثُ**: القبضة من القُضبان. وكان أيوب ﷺ قد حلف أن يضرب امرأته مئة سوط إذا برئ من مرضه، وكان سببُ ذلك ما ذكرته له من لقاءِ الشيطان وقولِه لها: إن سجد لي زوجك أذهبت ما به، فأمره الله أن يأخذ ضغثًا فيه مئة قضيب فيضربَها بها ضربة واحدة فيبرَّ في يمينه[١]. وقد ورد مثل هذا عن نبينا ﷺ في حدِّ رجل زنىٰ، وكان مريضًا، فأمر رسول الله ﷺ بعِذْقِ نخلةٍ فيه شماريخ مئة، فضُرِب به ضربة واحدة، ذكر ذلك أبو داود والنسائي[٢]. وأخذ به بعض العلماء، ولم يأخذ به مالك ولا أصحابه[٣].

﴿٤٤﴾ ﴿أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَٰرِ﴾ ﴿الْأَيْدِي﴾ جمع يدٍ، وذلك عبارةٌ عن قوتهم في الأعمال الصالحة، وإنما عبَّر عن ذلك بالأيدي؛ لأن الأعمال أكثر ما تُعمل بالأيدي. وأما ﴿الْأَبْصَٰرِ﴾ فعبارةٌ عن قوة فَهمهم وكثرة علمهم، من قولك: أَبصر الرجل: إذا تبيَّنت له الأمور. وقيل: ﴿الْأَيْدِي﴾ جمع يدٍ بمعنىٰ النعمة، ومعناه: أولو النِّعَم التي أسداها الله إليهم من النبوة والفضيلة، وهذا ضعيف؛ لأن اليد بمعنىٰ النعمة أكثر ما تجمع[٤] علىٰ أيادي. وقرأ ابن مسعود ﷺ: «أولو الأيد»[٥]، بغير ياء، فيحتمل أن تكون «الأيدي» محذوفةَ الياء، أو يكون «الأَيْدَ» بمعنىٰ القوة، كقوله: ﴿دَاوُۥدَ ذَا الْأَيْدِ﴾.

﴿٤٥﴾ ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ معنىٰ ﴿أَخْلَصْنَٰهُم﴾: جعلناهم خالصين لنا، أو خصَصناهم[٦] دون غيرهم. و﴿خَالِصَةٍ﴾ صفةٌ حذف موصوفها، تقديره: بخَصلةٍ خالصةٍ. وأما الباء في قوله: ﴿بِخَالِصَةٍ﴾: فإن كان ﴿أَخْلَصْنَٰهُم﴾ بمعنىٰ: جعلناهم خالصين: فالباء سببية للتعليل. وإن كان ﴿أَخْلَصْنَٰهُم﴾ بمعنىٰ خصصناهم: فالباء لتعدية الفعل. وقرأ نافع

---

(١) تقدم قريبًا.
(٢) تقدم تخريجه في أول سورة النور.
(٣) انظر تفسير الآية رقم (٢) من سورة النور.
(٤) في ب، ج، هـ: «يجمع».
(٥) ذكره الطبري في تفسيره (٢٠/ ١١٦).
(٦) في أ، هـ: «أخلصناهم».

بإضافة ﴿خَالِصَةٍ﴾ إلىٰ ﴿ذِكْرَى﴾ من غير تنوين. وقرأ غيره بالتنوين، علىٰ أن تكون ﴿ذِكْرَى﴾ بدلًا من ﴿خَالِصَةٍ﴾ علىٰ وجه البيان والتفسير لها. و﴿ٱلدَّارِ﴾ يحتمل أن يريد به: الآخرة أو الدنيا. فإن أراد به الآخرة: ففي المعنىٰ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ يعني به: ذِكْرَهم للآخرة وحبَّهم فيها.

والآخر: أن معناه: تذكيرُهم للناس بالآخرة، وترغيبهم للناس فيما عند الله.

والثالث: أن معناه: ثواب الآخرة، أي: أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة.

والأول أظهر. وإن أراد بالدار الدنيا: فالمعنىٰ: حُسْن الثناء والذِّكر الجميل في الدنيا، كقوله: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [الشعراء: ٨٤].

(٤٦) ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ جمع خيِّر بتشديد الياء، أو خَيْرِ المخفف من خيِّر، كَمَيْت مخفَّف من ميِّت.

(٤٧) ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ ذكر في «الأنبياء»[1].

(٤٨) ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ الإشارةُ إلىٰ ما تقدَّم في هذه السورة من ذكر الأنبياء. وقيل: الإشارة إلىٰ القرآن بجملته، والأول أظهر. وكأن قولَه: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ ختامٌ للكلام المتقدِّم، ثم شرع بعده في كلام آخر، كما يُتِمُّ المؤلف بابًا ثم يقول: «فهذا باب»، ثم يَشرع في آخر.

(٥١) ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ ذكر في «الصافات»[2].

﴿أَتْرَابٌ﴾ يعني: أسنانُهنَّ سواءٌ، يقال: فلانٌ تِرْبُ فلان: إذا كان مثلَه في السنِّ. وقيل: يعني: أن أسنانهن وأسنان أزواجهن سواءٌ.

(٥٤) ﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ أي: ماله من فناءٍ ولا انقضاء.

(٥٥) ﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ تقديره: «الأمر هذا»، لما أتمَّ ذكرَ أهل الجنة ختمَه بقوله: ﴿هَٰذَا﴾، ثم ابتدأ وصف أهل النار. ويعني بالطَّاغين: الكفار.

---

(١) انظر تفسير الآية (٨٤).

(٢) انظر تفسير الآية (٤٨).

(٥٦) ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ، وخبره ﴿حَمِيمٌ﴾، و ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾: اعتراضٌ بينهما. **والحميم**: الماء الحار. **والغَساق**: قرئ بتخفيف السين وتشديدها[١]، وهو صديد أهل النار، **وقيل**: ما يَسيل من عيونهم، **وقيل**: هو عذابٌ لا يعلمه إلا الله.

(٥٧) ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ ﴿وَءَاخَرُ﴾ معطوفٌ على ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾، **تقديره**: وعذاب آخرُ، **قيل**: يعني: الزَّمهرير. ومعنى ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾: من مثله ونوعه؛ أي: من مثل العذاب المذكور. و ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ معناه: أصنافٌ، وهو صفة للحميم والغساق والعذابِ الآخَر. **والمعنى**: أنها أصنافٌ من العذاب.

وقال ابن عطية: ﴿وَءَاخَرُ﴾ مبتدأ، واختُلف في خبره؛ فقيل: تقديره: ولهم عذاب آخر[٢]. **وقيل**: ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ مبتدأ، و ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ خبر ﴿أَزْوَٰجٌ﴾، والجملة خبر ﴿وَءَاخَرُ﴾. **وقيل**: ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ خبر ﴿وَءَاخَرُ﴾، و ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ في موضع الصفة. وقرئ ﴿وَأُخَرُ﴾ بالجمع[٣]، وهو أليق أن يكون ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ خبره؛ لأنه جمعٌ مثله.

(٥٨) ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ **الفَوْج**: الجماعة من الناس. **والمقتحِم**: الداخل في زحامٍ وشدة. **وهذا من كلام خزَنة النار**، خاطبوا به رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أوَّلًا، ثم دخل بعدهم أتباعهم، وهم الفوج المشار إليه. وقيل: هو كلام أهل النار بعضهم لبعض، **والأول أظهر**.

﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ **أي**: لا يَلقون رُحبًا ولا خيرًا، وهو دعاءٌ من كلام رؤساء الكفار؛ **أي**: لا مرحبًا بالفوج الذين هم أتباعٌ لهم.

(٥٩) ﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ **هذا حكايةُ كلام الأتباع للرؤساء، لما قالوا لهم**: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ أجابوهم بقولهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف.
(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٣٥٨).
(٣) قرأ أبو عمرو: ﴿وأُخَر﴾ بضم الهمزة من غير مد، وقرأ الباقون بالفتح والمد.

﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ هذا أيضًا من كلام الأتباع خطابًا للرؤساء، وهو تعليل لقولهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾. والضمير في ﴿قَدَّمْتُمُوهُ﴾ للعذاب، ومعنىٰ ﴿قَدَّمْتُمُوهُ﴾: أوجبتموه لنا بما قدَّمتم في الدنيا من إغوائنا، وأَمْرِكم لنا بالكفر.

(٦٠) ﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ﴾ هذا أيضًا من كلام الأتباع، دعوا إلىٰ الله تعالىٰ أن يُضاعِف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب، فهو كقولهم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٦]. والضِّعف: زيادة المثل.

(٦١) ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ الضمير في ﴿قَالُواْ﴾ لرؤساء الكفار، وقيل: للطَّاغين. والرجال: هم ضعفاء المؤمنين. فقيل: إن القائلين لذلك هم: أبو جهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأمثالهم، وإن الرجال المذكورين هم: عمَّار، وبلال، وصهيب رضي الله عنهم، وأمثالهم.

واللفظ أعم من ذلك. والمعنىٰ: أنهم قالوا في جهنم: ما لنا لا نرىٰ في النار رجالًا كنا في الدنيا نعدُّهم من الأشرار.

(٦٢) ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ قرئ ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾ بهمزة قطع[1]، ومعناها: توبيخُ أنفسِهم علىٰ اتخاذهم المؤمنين سُخريًا. وقرئ بألف وصلٍ، علىٰ أن تكون الجملة صفة للرجال. وقرئ ﴿سِخْرِيًّا﴾: بضم السين[2]: من التَّسخير بمعنىٰ الخدمة، وبالكسر: من معنىٰ الاستهزاء.

﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ هذا يَحتمل ثلاثةَ أوجه:

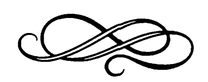
أحدها: أن يكون معادِلًا لقولهم: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾، والمعنىٰ: ما لنا لا نراهم في جهنم؟ فهم ليسوا فيها؟ أم هم فيها ولكن زاغت عنهم أبصارنا؟ ومعنىٰ ﴿زَاغَتْ عَنْهُمُ﴾: مالتْ فلم ترهم[3].

(١) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بألف وصل، وقرأ الباقون بهمزة قطع.
(٢) قرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين، وقرأ الباقون بكسرها.
(٣) في أ، هـ: «نرهم».

الثاني: أن يكون معادلًا لقولهم: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ ، **والمعنىٰ**: أتخذناهم سُخريًا أم زاغت عنهم أبصارنا في الدنيا؟ ومعنىٰ زاغت الأبصار علىٰ هذا: مالت عن النظر إليهم؛ احتقارًا لهم.

الثالث: أن تكون «أم» منقطعةً بمعنىٰ «بل» والهمزة، فلا تعادل شيئًا مما قبلها.

(٦٣) ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾ الإشارةُ إلىٰ ما تقدم من حكاية أقوال أهل النار، ثم فسَّره بقوله: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾. وإعراب ﴿تَخَاصُمُ﴾ : بدلٌ من ﴿حَقٌّ﴾، أو خبر مبتدأ مضمر.



قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ۞ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

﴿٦٧﴾ ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾ **النبأ**: الخبر، ويعني به: ما تضمَّنته الشريعة من التوحيد والرسالة والدار الآخرة. وقيل: يعني: القرآن، وقيل: يوم القيامة، والأول أعمُّ وأرجح.

﴿٦٩﴾ ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ **الملأ الأعلىٰ**: هم الملائكة. ومقصد الآية: الاحتجاج علىٰ نبوَّة محمد ﷺ؛ لأنه أخبر بأمور لم يكن يعلمُها قبل ذلك. والضمير في ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ للملإ الأعلىٰ، واختصامهم: هو في قصة آدم عليه السلام حين قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٢٩] حسَبما تضمنته قصته في مواضع من القرآن، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ رأىٰ ربه فقال: «يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلىٰ؟ فقال: لا أدري، قال: في الكفارات، وهي: إسباغ الوضوء علىٰ المكاره، وكثرة الخطىٰ إلىٰ المساجد» الحديثَ بطوله[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٤٨٤)، والترمذي (٣٢٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الترمذي: «حسن غريب»، وأخرجاه أيضا أحمد (٢٢١٠٩)، والترمذي (٣٢٣٥)، وصححه، ونقل عن البخاري تصحيحه، ولفظ الحديث: «الكفارات: مشي الأقدام إلىٰ الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء في المكروهات».

وقيل: الضمير في ﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾ للكفار؛ أي: يختصمون في الملإ الأعلىٰ فيقول بعضهم: هم بنات الله، ويقول آخرون: هم آلهة تعبد. وهذا بعيد.

(٧١) ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ﴾ ﴿إِذۡ قَالَ﴾ **بدلٌ من** ﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾. **وقد ذكَرنا في «البقرة» معنىٰ سجود الملائكة لآدم، ومعنىٰ كفر إبليس**[١]. **وذكرنا في «الحجر» معنىٰ قوله تعالىٰ:** ﴿مِن رُّوحِي﴾[٢].

(٧٤) ﴿فَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ **الضمير في** ﴿قَالَ﴾ **لله** ﷻ، **و**﴿بِيَدَيَّ﴾: من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به، وتسليمُ عِلْمِ حقيقته إلىٰ الله. **وقال المتأوِّلون:** هو عبارةٌ عن القدرة[٣]. **وقال القاضي أبو بكر ابنُ الطيب:** إن اليد والعين والوجه صفاتُ ذاتٍ زائدةٌ علىٰ الصفات المتقرّرة. **قال ابن عطية**[٤]: وهذا قول مرغوب عنه[٥].

---

(١) انظر تفسير الآية (٣٣).

(٢) انظر تفسير الآية (٢٩).

(٣) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٥٠).

(٤) المحرر الوجيز (٧/ ٣٦٤).

(٥) [**التعليق ٩٥**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك:** قوله ﷺ: «من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به» إلخ، يعني أن هذه الآية المتضمنة إثبات يدين لله من الآي المتشابه المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾، ومن المذاهب في المتشابه من القرآن أنه الذي لا يعلم تفسيره إلا الله، أي: لا يعلم معناه والمراد به إلا الله، مستدلين بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وتفسير المتشابه بهذا مردود؛ لأن الله أمر بتدبر القرآن كله، وذمَّ المعرضين عن تدبره، وما لا يفهم معناه لا يؤمر بتدبره؛ لأنه لا معنىٰ له؛ ككلام الأعجمي لا يؤمر العربي بتدبره، وأيضا فإنه علىٰ تقدير أن المتشابه من القرآن ما لا يُفهم معناه لا يكون هدىٰ ولا بيانا ولا شفاءً، فعلم بذلك بطلان هذا المذهب في معنىٰ المتشابه من القرآن، ونفاة الصفات أو كثير منهم - كالأشاعرة - يجعلون نصوص ما ينفونه من المتشابه، أي: مما لا يعلم معناه إلا الله، وقد نصَّ ابن جزي ﷺ علىٰ أن هذه الآية ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ من المتشابه الذي فسَّره بالمعنىٰ المتقدم في المتشابه، وهذا يقتضي أنه لا يثبت لله يدين حقيقة؛ لأنه اعتبر لفظ اليدين من المتشابه الذي يؤمَن بلفظه، وتفوَّض حقيقته إلىٰ الله، وهذا هو مذهب أهل التفويض من النفاة؛ لأنه جعل مقابله قول أهل التأويل الذين يفسِّرون اليدين بالقدرة، وابن جزي علىٰ خلاف قولهم، وأما ذكره لقول أبي بكر الباقلاني المتضمِّن لإثبات الصفات التي ذكرها، فمقصود ابن جزي - والله أعلم - تعقُّب ابن عطية له بقوله: «وهذا قول مرغوب عنه»، وقد ظهر بعد المراجعة أن ابن عطية نفسه ينكر علىٰ أبي بكر الباقلاني إثبات هذه الصفات زائدةً علىٰ الصفات المتقررة، ولعلهم يريدون بالمتقررة الصفات السبع، وهي القدرة والعلم إلخ، وظهر أيضا أن ابن عطية من أهل التأويل؛ =

وحكىٰ الزمخشري: أن معنىٰ ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: خلقتُ بغير واسطة[1].

﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ دخلت همزة الاستفهام علىٰ ألف الوصل، فحُذفت ألف الوصل، و ﴿أَمْ﴾ هنا معادِلةٌ. والمعنىٰ: أَستكبرت الآن أم كنت قديمًا ممن يعلو ويستكبر؟ وهذا علىٰ جهة التَّوبيخ له.

﴿٧٧﴾ ﴿رَجِيمٌ﴾ أي: لعينٌ مطرود.

﴿٨٠﴾ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ يعني: يوم القيامة، وقد تقدَّم الكلام علىٰ ذلك في «الحجر»[2].

﴿٨١﴾ ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الباء للقسم، أي: أقسم إبليس بعزَّة الله أن يُغوِي بني آدم.

﴿٨٣﴾ ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾ هنا: لله تعالىٰ. و﴿الْحَقَّ﴾ الأول: مُقسَمٌ[3] به، وهو منصوب بفعل مضمرٍ، كقولك: «اللهَ لأفعلنَّ»، وجوابه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾. وقرئ بالرفع[4]، وهو مبتدأ، أو خبر مبتدإ مضمر تقديره: الحقُّ يميني. وأما ﴿الْحَقَّ﴾ الثاني: فهو مفعولٌ بـ﴿أَقُولُ﴾. وقوله: ﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ جملة اعتراضٍ بين القسَم وجوابه، علىٰ وجه التأكيد للقسم.

= لأنه فسَّر اليدين بالقدرة، فظهر من سياق كلام ابن جزيٍّ أنه ذكر قول ابن عطية شاهدا لمذهب أهل التأويل الذين فسَّروا اليدين بالقدرة، فتبيَّن من مجموع كلام ابن جزي أنه من النُّفاة أهل التفويض، وأنَّ ابن عطية من النفاة أهل التأويل، وأن أبا بكر الباقلاني من أهل الإثبات للصفات الخبرية، كاليدين والعينين والوجه، فالحقُّ مع أبي بكر الباقلاني في إثبات هذه الصفات، ومذهب ابن جزي وابن عطية في نفي حقائق هذه الصفات وتفويض معناها أو تأويلها باطلٌ مخالفٌ لمذهب أهل السنة والجماعة الذين يثبتون جميع صفات الله التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ، ويُجرون النصوص علىٰ ظاهرها مثبتين ما دلَّت عليه معرضين عن تأويلها بخلاف ظاهرها، وهذا معنىٰ قول بعض السلف: أمِرُّوها كما جاءت، بلا كيف، والله أعلم.

(١) الكشاف (١٣/ ٣٢٤).

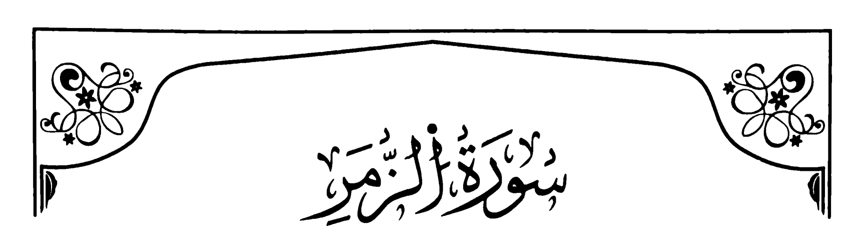
(٢) انظر تفسير الآية (٣٨).

(٣) في ب، ج: «المقسم».

(٤) قرأ عاصم وحمزة بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب.

﴿٨٦﴾ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي: الذين يتصنَّعون ويتحلَّون بما ليسوا من أهله.

﴿٨٨﴾ ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ هذا وعيدٌ؛ أي: لتعلمُنَّ صدق خبره بعد حين. **والحينُ**: يوم القيامة، أو موتهم، أو ظهور الإسلام يوم بدر وغيره.



تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٣ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٤ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَٰحِدُ الْقَهَّارُ ۝٥ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّٰرُ ۝٦ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقاً مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٧ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٨ *وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ النَّارِ ۝٩ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ الَّيْلِ سَاجِداً وَقَآئِماً يَحْذَرُ الْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَٰبِ ۝١٠

۝١ ﴿تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ﴾ ﴿تَنزِيلُ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾. أو خبر ابتداء مضمر تقديره: «هذا تنزيل»، و﴿مِنَ اللَّهِ﴾ على هذا الوجه: يتعلق بـ﴿تَنزِيلُ﴾، أو يكون خبراً بعد خبر، أو

خبر مبتدإٍ آخَرَ محذوفٍ[١]. و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ هنا: القرآن، أو السورة، **واختار ابن عطية أن يراد** به: جنس الكتب المنزلة[٢]. **وأما** ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ **الثاني: فهو القرآن باتفاق.**

﴿٢﴾ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ **يَحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون معناه: متضمِّنًا الحقَّ. والثاني: أن يكون معناه: بالاستحقاق والوجوب.**

﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ **أي**: لا يكون فيه شرك أكبر ولا شرك أصغر وهو الرياء.

﴿٣﴾ ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ **قيل**: معناه: مِن حقِّه ومِن واجبه أن يكون له الدين الخالص. **ويَحتمل** أن يكون معناه: أنَّ الدين الخالص هو دين الله وهو[٣] الإسلام، الذي شرعه لعباده ولا يقبل غيره. معنىٰ ﴿ٱلْخَالِصُ﴾: الصَّافي عن شوائب الشِّرك. **وقال قتادة: الدين الخالص**: شهادة أن لا إله إلا الله[٤]. **وقال الحسن**: هو الإسلام[٥]، **وهذا أرجح لعمومه.**

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ **يريد بالأولياء**: الشركاءَ المعبودين. **ويحتمل أن يريد بـ** ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾: الكفارَ العابدين لهم، أو الشركاء المعبودين. **والأول أظهر؛ لأنه يُحتاج** علىٰ الثاني إلىٰ حذف الضمير العائد علىٰ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ تقديره: الذين اتخذوهم، ويكون ضمير الفاعل في ﴿ٱتَّخَذُوا۟﴾ عائدًا علىٰ غير مذكور. وارتفاع ﴿ٱلَّذِينَ﴾ علىٰ الوجهين بالابتداء، وخبره: إما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾، أو المحذوفُ المقدَّر قبلَ قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ ؛ **لأن تقديره**: «يقولون ما نعبدهم»، **والأول أرجح؛ لأن المعنىٰ به أكمل.**

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ **هذه الجملة في موضع معمولِ قولٍ محذوف، والقول في موضع الحال، أو في موضع بدل من صلة** ﴿ٱلَّذِينَ﴾. **وقرأ ابن مسعود** رضي الله عنه: **«قالوا ما نعبدهم»**[٦] **بإظهار القول. أي**: يقول الكفار: ما نعبد هذه الآلهة إلَّا ليقرِّبونا إلىٰ

---

(١) تقديره: هذا تنزيل الكتاب، هذا من الله. الكشاف (١٣/ ٣٣٣).
(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٣٦٩).
(٣) من هنا يبدأ سقط ورقة من ج.
(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٥٦).
(٥) عزاه إليه الزمخشري في الكشاف (١٣/ ٣٣٦)، ولم أقف عليه مسندًا.
(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٧).

الله ويَشفعوا لنا عنده. ويعني بذلك: الكفار الذين عبدوا الملائكة، أو الذين عبدوا الأصنام، أو الذين عبدوا عيسىٰ أو عزيرًا، فإن جميعَهم قالوا هذه المقالة. ومعنىٰ ﴿زُلْفَىٰٓ﴾: قُرْبىٰ، فهو مصدرٌ من ﴿يُقَرِّبُونَآ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ إشارةٌ إلىٰ كذبهم في قولهم: ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾. وقوله: ﴿لَا يَهْدِى﴾ في تأويله وجهان: أحدهما: لا يهديه في حال كفره. والثاني: أن ذلك مختصٌّ بمن قضَىٰ عليه بالموت علىٰ الكفر. وهذا تأويل: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ و﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ حيث وقع.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ الولَد يكون علىٰ وجهين:

أحدهما: بالوِلادة الحقيقية، وهذا محالٌ علىٰ الله تعالىٰ، لا يجوز في العقل.

والثاني: التبنِّي، بمعنىٰ الاختصاص والتَّقريب، كما يتخذ الإنسان ولدَ غيرِه ولدًا؛ لإفراط محبته له، وذلك ممتنعٌ علىٰ الله بإخبار الشَّرع، فإن قوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٣] يعمُّ نفْيَ الوجهين.

فمعنىٰ الآية علىٰ ما أشار إليه ابن عطية[1]: لو أراد الله أن يتخذ ولدًا علىٰ وجه التبني لاصطفىٰ لذلك مما يخلق من موجوداته ومخلوقاته، ولكنه لم يُرد ذلك ولا فعله.

وقال الزمخشري: معناها: لو أراد الله اتخاذ الولد لامتنع ذلك، ولكنه يصطفي مِن عباده مَن يشاء علىٰ وجه الاختصاص والتَّقريب، لا علىٰ وجه اتخاذه ولدًا، فاصطفىٰ الملائكة وشرَّفهم بالتَّقريب، فحَسِبَ الكفار أنهم أولادُه، ثم زادوا علىٰ ذلك أن جعلوهم إناثًا، فأَفرطوا في الكفر والكذب علىٰ الله وملائكته[2].

﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ نزَّه الله تعالىٰ نفسه عن اتخاذ الولد، ثم وصف نفسه بالواحد؛ لأن الوَحدانية تنافي اتخاذ الولد؛ لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه، ولا جنسَ له؛ لأنه واحد. ووصف نفسه بالقهار؛ ليدلَّ علىٰ نفي الشُّركاء والأنداد؛ لأن كل شيء مقهورٌ تحت قهره تعالىٰ، فكيف يكون شريكًا له؟

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٧١).

(٢) الكشاف (١٣/ ٣٣٨-٣٣٩).

ثم أَتْبع ذلك بما ذكره من خِلْقة السماوات والأرض وغيرها؛ لتدلَّ علىٰ وحدانيته وقدرته وعظمته.

﴿٦﴾ ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ **التَّكوير**: اللَّفُّ واللَّيُّ، ومنه: كَوْرُ العمامة التي يلتوي بعضها علىٰ بعض، وهو هنا استعارةٌ. **ومعناه علىٰ ما قال ابن عطية**: يعيد من هذا علىٰ هذا، **فكأنَّ** الذي يطول من النهار أو الليل يصير منه علىٰ الآخَر جزءٌ فيستره، وكأن الذي يَقصر يدخل في الذي يطول فيستتر فيه[1]. **ويَحتمل أن يكون المعنىٰ**: أن كل واحد منهما يغيِّب الآخَرَ إذا طرأ عليه، فشُبِّه في ستره له بثوب يلفُّ علىٰ آخر.

﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ **يعني**: يوم القيامة.

﴿٧﴾ ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ **يعني**: آدم عليه السلام.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ **يعني**: حواء، خلقها من ضِلَعِ آدم. **فإن قيل**: كيف عطف قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ﴾ علىٰ ﴿خَلَقَكُم﴾ بـ﴿ثُمَّ﴾ التي تقتضي الترتيب والمهلة، ولا شكَّ أن خِلْقة حواء كانت قبل خلقة بني آدم؟ **فالجواب من ثلاثة أوجه**:

الأول -وهو المختار-: أن العطف إنما هو علىٰ معنىٰ قوله: ﴿وَٰحِدَةٍ﴾ لا علىٰ ﴿خَلَقَكُم﴾، كأنه قال: خلقكم من نفس كانت واحدةً، ثم خلق منها زوجها بعد وَحْدتِها.

الثاني: أن «ثم» لترتيب الإخبار، لا لترتيب الوجود.

الثالث: أنه يعني بقوله: ﴿خَلَقَكُم﴾ إخراجَ بني آدم من صلب أبيهم كالذرِّ، وكان ذلك قبل خِلْقة حواء.

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ **يعني**: المذكورةَ[2] في «**الأنعام**»: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وسماها أزواجًا؛ لأن الذكر زوج الأنثىٰ[3] والأنثىٰ زوج الذكر[4].

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٧٢).

(٢) في أ، هـ: «المذكورين».

(٣) في ب، د: «للأنثىٰ».

(٤) في ب، د: «للذكر».

وأما لفظ ﴿أَنزَلَ﴾ ففيه ثلاثة أوجه:

الأول: أن الله خلق أوَّل هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها إلىٰ الأرض.

الثاني: أن معنىٰ ﴿أَنزَلَ﴾: قضىٰ وقسم، فالإنزال عبارةٌ عن نزول أمره وقضائه.

الثالث: أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات، فتعيش منه هذه الأنعام، فعبَّر بإنزالها عن إنزال رزقها، وهذا بعيد.

﴿خَلْقاً مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ **يعني**: أن الإنسان يكون نطفةً، ثم علقة، ثم مضغة، إلىٰ أن يتمَّ خلقه، ثم ينفخ فيه الروح.

﴿فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ **هي**: البطن والرَّحِم والمشِيمة. **وقيل**: صلب الأب والرحم والمشيمة، **والأول أرجح**؛ لقوله: ﴿بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ ولم يذكر الصُّلب.

۝ ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ أي: لا يضرُّه كفرُكم.

﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ **تأوَّل الأشعرية هذه الآية علىٰ وجهين:**

أحدهما: أن الرضا بمعنىٰ الإرادة، ويعني بـ﴿عِبَادِهِ﴾ من قضَىٰ الله له بالإيمان والوفاةِ عليه، فهو كقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

والآخر: أن الرضا غيرُ الإرادة، والعباد علىٰ هذا: علىٰ العموم، أي: لا يرضىٰ الكفر لأحد من البشر، وإن كان قد أراد أن يقع من بعضهم، فهو لم يرضه دينًا ولا شرعًا، وأراده وقوعًا ووجودًا.

وأما المعتزلة: فالرضا عندهم: بمعنىٰ الإرادة، والعباد علىٰ العموم؛ جريًا علىٰ قاعدتهم في القدر وأفعال العباد[1].

﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ **هذا عمومٌ، والشكر الحقيقي يتضمَّن الإيمان.**

---

(١) [التعليق ٩٦] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: ذكَرَ المؤلِّفُ الوجهَيْنِ عن الأشاعرة، ولم يرجِّح، والصوابُ هو القولُ الثاني، وهو أنَّ الرضا غيرُ الإرادةِ، وأنه لا تلازُمَ بين الرضا والإرادةِ الكونيَّة؛ وعلىٰ هذا: فالله لا يرضىٰ الكفرَ لأحدٍ مِن عباده، وإنْ كان قد يشاؤُهُ مِن بعضهم؛ فالكافرُ قد شاء الله منه الكفرَ، وإنْ كان لا يرضاهُ منه؛ وهذا يوافِقُ قولَ أهلِ السُّنَّة.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ ذكر في «الإسراء»(١).

﴿٨﴾ ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ﴾ الآيةَ؛ يراد بالإنسان هنا: الكافر؛ بدليل قوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾. والقصد بهذه الآية: عتابٌ وإقامة حجة، فالعتاب: على الكفر وترك دعاء الله، وإقامة الحجة: على الإنسان بدعائه إلى الله في الشدائد. فإن قيل: لم قال هنا: ﴿وَإِذَا مَسَّ﴾ بالواو، وقال بعد هذا: ﴿فَإِذَا مَسَّ﴾ بالفاء؟

فالجواب: أن الذي بالفاء مسبَّبٌ عن قوله: ﴿اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فجاء بفاء السَّببية(٢). قاله الزمخشري(٣)، وهو بعيد.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ معنى ﴿خَوَّلَهُ﴾: أعطاه. والنعمة هنا: يحتمل أن يريد بها: كشفَ الضر المذكور، أو أيَّ نعمةٍ كانت.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ﴾ يَحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ مصدريةً، أي: نسي دعاءه، أو تكون بمعنى «الذي»، والمراد بها: الله تعالى.

﴿٩﴾ ﴿أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ بتخفيف الميم(٤)، على إدخال همزة الاستفهام على «مَن». وقيل: هي همزة النداء، والأول أظهر. وقرئ بتشديدها، على إدخال «أم» على «مَن». و«مَن» مبتدأ، وخبره محذوفٌ، وهو المعادِل للاستفهام، تقديره: «أمَّن هو قانتٌ كغيره»، وإنما حُذف لدلالة الكلام عليه، وهو ما ذُكِر قبله(٥) وما ذكر بعده من قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾. والقنوت هنا: بمعنى الطاعة، أو الصلاة بالليل.

و﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾: ساعاته.



(١) انظر تفسير الآية (١٥).

(٢) في ب، هـ: «التسبيب»، وفي د: «التسبب».

(٣) الكشاف (١٣/ ٤٠٤).

(٤) قرأ نافع وابن كثير وحمزة بالتخفيف، والباقون بالتشديد.

(٥) من حال الكافر. الكشاف (١٣/ ٣٥٠).

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١١﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ *أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾

﴿١١﴾ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية؛ نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة[1]. ومعناها: التأنيس لهم والتنشيط على الهجرة.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ يحتمل أن يتعلَّق ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ بـ﴿أَحْسَنُوا۟﴾، والمعنى: الذين أحسنوا في الدنيا لهم حسنة في الآخرة. أو يتعلق بـ﴿حَسَنَةٌ﴾، والحسنة على هذا: حُسْن الحال والعافية[2] في الدنيا، والأول أرجح.

﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ يراد بها: البلاد المجاورة للأرض التي هاجروا منها، والمقصد من ذلك: حضٌّ على الهجرة.

---

(١) ذكره في المحرر الوجيز (٧/ ٣٨٠)، وعزاه الواحدي في البسيط (١٩/ ٢٧٨) إلى ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) في ب، د: «والعاقبة» والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٣/ ٣٥٣).

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ **هذا يَحتمل وجهين:**

أحدهما: أن الصَّابر يُؤتَىٰ أجرَه، ولا يحاسَب علىٰ أعماله، فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

الثاني: أن أجر الصابرين بغير حصْرٍ، بل أكثر من أن يحصر[1] بعددٍ أو وزن، **وهذا قول الجمهور.**

(١٢) ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ **اللام هنا يجوز أن تكون زائدةً**[2]، **أو للتعليل،** ويكون المفعول علىٰ هذا محذوفًا[3]. **فإن قيل**: كيف عطف ﴿أُمِرْتُ﴾ علىٰ ﴿أُمِرْتُ﴾ والمعنىٰ واحد؟

فالجواب: أن الأول أمرٌ بالعبادة والإخلاص، والثاني أمرٌ بالسَّبْق إلىٰ الإسلام، فهما معنيان اثنان. وكذلك قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ﴾ ليس تكرارًا لقوله: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾؛ لأن الأول إخبارٌ بأنه مأمور بالعبادة، والثاني إخبارٌ بأنه يفعل العبادة. وقدَّم اسم الله تعالىٰ؛ للحصر واختصاص[4] العبادة به وحدَه.

(١٤) ﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ هذا تهديدٌ، ومبالغة في الخِذلان والتَّخلية لهم علىٰ ما هم عليه.

(١٥) ﴿ظُلَلٌ﴾ جمع ظُلَّة -بالضم-، وهو ما غَشِي من فوق، كالسقف، فقوله: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ بيِّنٌ، وأما: ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ﴾ فسماه ظلَّةً؛ لأنه سقفٌ لمن تحتَهم؛ فإن جهنم طبقات، **وقيل**: سماه ظلةً؛ لأنه يلتهب ويصعد[5] من أسفلهم إلىٰ فوقهم.

(١٦) ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ **قيل**: إنها نزلت في عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وسعيد، وطلحة، والزبير ﷺ؛ إذ دعاهم أبو بكر الصديق ﷺ

(١) في أ: «ينحصر»، وفي ب: «يحصىٰ».
(٢) مثل قولك: أردتُ لأنْ أفعل. الكشاف (١٣/ ٣٥٧).
(٣) أي: وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين. الكشاف (١٣/ ٣٥٦).
(٤) هنا ينتهي سقط الورقة من ج.
(٥) في ب، ج: «ويتعقد»!

إلىٰ الإيمان فآمنوا[١].

وقيل: نزلت في أبي ذرٍّ، وسلمان رضي الله عنهما[٢]، **وهذا ضعيف؛ لأن سلمان إنما أسلم** بالمدينة، وهذه السورة مكية، **والأظهر**: أنها عامة.

والطَّاغوت هنا: كلُّ ما عُبد من دون الله، **وقيل**: الشَّياطين.

﴿١٧﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ **قيل**: **معناه**: يستمعون القول علىٰ العموم، فيتَّبعون القرآن؛ لأنه أحسن الكلام. **وقيل**: يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنَه، من العفو الذي هو أحسن من الانتصار، وشبه ذلك. **وقيل**: هو الذي يسمع حديثًا فيه حسَنٌ وقبيح، فيحدِّث بالحسَن ويكفُّ عما سواه، **وهذا قول ابن عباس** رضي الله عنهما[٣]، **وهو الأظهر**. **وقال ابن عطية**: هو عام في جميع الأقوال، والقصد الثناء علىٰ هؤلاء ببصائرَ ونظرٍ سديدٍ يفرِّقون به بين الحق والباطل وبين الصَّواب والخطإ، فيتبعون الأحسن من ذلك[٤]. **وقال الزمخشري** مثل هذا المعنىٰ[٥].

﴿١٨﴾ ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ **فيه وجهان**:

أحدهما: أن يكون الكلام جملةً واحدة تقديره: أفمن[٦] حقت[٧] عليه كلمة العذاب أأنت[٨] تنقذه؟ فوضع ﴿مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ موضع المضمر. والهمزة في قوله: ﴿أَفَأَنتَ﴾ هي الهمزة التي في قوله: ﴿أَفَمَنْ﴾ وهي همزة الإنكار؛ كُرِّرت للتأكيد.

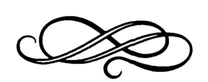
---

(١) قاله ابن إسحاق كما في المحرر الوجيز (٧/ ٣٨٣)، وليس فيه ذكر عثمان وطلحة رضي الله عنهم.
(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٨٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٩) عن عبد الرحمن بن زيد أنها نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله: زيد بن عمرو، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي.
(٣) عزاه إليه الواحدي في البسيط (١٩/ ٢٨٤)، والزمخشري في الكشاف (١٣/ ٣٦٣).
(٤) المحرر الوجيز (٧/ ٣٨٣).
(٥) الكشاف (١٣/ ٣٦٢-٣٦٣).
(٦) من هنا يبدأ سقط ورقة من هـ.
(٧) في أ: «حق».
(٨) في ب، ج: «افانت».

والثاني: أن يكون التقدير: أفمن حق عليه العذاب تتأسَّفُ عليه؟ فحذف الخبر، ثم استأنف قولَه: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾؟ وعلىٰ هذا يوقف علىٰ ﴿ٱلْعَذَابِ﴾ ، والأول أرجح؛ لعدم الإضمار.

(٢١) ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ معنىٰ ﴿سَلَكَهُۥ﴾: أدخله وأجراه. **والينابيع**: جمع ينبوع، وهو العين. وفي هذا دليلٌ علىٰ أن ماء العيون من المطر.

﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ أي: أصنافه، كالقمح والأَرُزِّ والفول وغير ذلك، **وقيل**: ﴿أَلْوَٰنُهُۥ﴾: الخُضْرة والحمرة وشبه ذلك. وفي الوجهين دليلٌ علىٰ الفاعل المختار، وَرَدٌّ علىٰ أهل الطبائع.



أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

﴿٢٢﴾ ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ تقديره: أفمن شرح الله صدره كالقاسي القلب؟ وروي أن المراد بمن شرح الله صدره للإسلام: عليُّ بن أبي طالب، وحمزة رضي الله عنهما، والمراد بالقاسية قلوبهم: أبو لهب، وأولاده[1]. واللفظ أعم من ذلك.

﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال الزمخشري: ﴿مِّن﴾ هنا: سببية، أي: قلوبهم قاسيةٌ من أجل ذكر الله[2]، وهذا المعنىٰ بعيد. ويحتمل عندي: أن يكون «قاسية» تضمَّن معنىٰ: خالية، فلذلك تعدىٰ بـ«مِن»، والمعنىٰ: أن قلوبهم خاليةٌ من ذكر الله.

﴿٢٣﴾ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن. ﴿كِتَٰبًا﴾ بدلٌ من ﴿أَحْسَنَ﴾، أو حالٌ منه.

﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ معناه هنا: أنه يُشبه بعضُه بعضًا في الفصاحة والنُّطق بالحق، وأنه ليس فيه تناقضٌ ولا اختلاف.

---

(١) ذكره في المحرر الوجيز (٧/ ٣٨٧)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٩/ ٢٩٢) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) قال: «أي: إذا ذُكر الله عندهم أو آياته اشمأزُّوا وازدادت قلوبهم قساوة، كقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾». الكشاف (١٣/ ٣٦٧-٣٦٨).

﴿مَّثَانِيَ﴾ جمع مُثَنًّى؛ أي: تثنَّىٰ فيه القصص وتُكرَّر[١]. **ويَحتمل أن يكون مشتقًّا من الثناء؛ لأنه يُثنىٰ فيه علىٰ الله. فإن قيل:** ﴿مَّثَانِيَ﴾ جمعٌ؛ فكيف وُصِف به المفرد؟ **فالجواب:** أن القرآن ينقسم[٢] إلىٰ سور وآيات كثيرة، فهو جمعٌ بهذا الاعتبار. ويجوز أن يكون كقولهم: «بُرْمَةٌ أَعشارٌ»، و«ثوبٌ أخلاقٌ»[٣]، أو يكون تمييزًا من ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾، كقولك: «حسَنٌ شمائلَ».

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ **إن قيل:** كيف تعدَّىٰ ﴿تَلِينُ﴾ بـ«إلىٰ»؟

فالجواب: أنه تضمَّن معنىٰ فعلٍ تعدَّىٰ بـ«إلىٰ»، كأنه قال: تميل أو تسكن أو تطمئن قلوبهم إلىٰ ذكر الله.

فإن قيل: لم ذُكرت الجلودُ أوَّلًا وحدها، ثم ذُكرت القلوب بعد ذلك معها؟

فالجواب: أنه لما قال أوَّلًا ﴿تَقْشَعِرُّ﴾ ذكر الجلود وحدها؛ لأن القُشَعْرِيرةَ مِن وصْفِ الجلود لا من وصف غيرها، ولما قال ثانيًا: ﴿تَلِينُ﴾ ذكر الجلود والقلوب؛ لأن اللين توصف به القلوب والجلود، أما لين القلوب: فهو ضدُّ قسوتها، وأما لين الجلود: فهو ضد قُشَعْريرتها، فاقشعرَّت أوَّلًا من الخوف، ثم لانت بالرجاء.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ **يَحتمل أن تكون الإشارة إلىٰ القرآن، أو إلىٰ الخشية واقشعْرار الجلد.**

(٢٤) ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ الخبر محذوفٌ كما تقدم في نظائره، تقديره: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمَن هو آمِنٌ مِن العذاب؟ ومعنىٰ ﴿يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ﴾: يَلْقَىٰ النار بوجهه؛ ليكفَّها عن نفسه، وذلك أن الإنسان إذا لَقِي شيئًا من المخاوف استقبله بيديه، وأيدي هؤلاء مغلولةٌ، فاتَّقَوا النار بوجوههم.

---

(١) في أ: «يثنى.. ويكرر».

(٢) في أ زيادة: «فيه».

(٣) أي: هو مما لفظه واحد ومعناه الجمع، قال الصغاني في التكملة (١/ ٣٩٢): «وهو ممّا جاء منه الواحدُ علىٰ لفظ الجَمْع كأنّهم جعلوه أجزاءً». وثوب أخلاق: أخلاقٌ جمع خَلَقٍ أي: بالٍ، ضدّ الجديد، قال في تاج العروس (٢٥/ ٢٥٦): «يقال: ثوبٌ أخلاقٌ يصفون به الواحد: إذا كانت الخُلُوقة فيه كله.. وقال الفراء: إنما قيل: ثوبٌ أخلاق لأن الخُلُوقة تفشىٰ فيه، فتكثر، فيصير كل قطعة منها خَلَقًا»، وبرمةٌ أعشار: البرمة: القدر، وأعشار: إذا انكسرت قطعًا قطعًا، فهي مفرد في معنىٰ الجمع؛ لأن البرمة مجتمعة من هذه الأعشار أو الأكسار، وهي قطعها. انظر: الصحاح، للجوهري (عشر)، وشرح الرضي علىٰ الكافية (٢/ ٣٠٦).

﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكۡسِبُونَ﴾ أي: ذوقوا جزاءَ ما كنتم تكسبون من الكفر والعصيان.

﴿٢٨﴾ ﴿قُرْءَاناً عَرَبِيّاً﴾ نصبٌ[١] على الحال، أو بفعلٍ مضمر على المدح.

﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أي: ليس فيه تضادٌّ ولا اختلاف، ولا عيب من العيوب التي في كلام البشر. وقيل: معناه: غير مخلوق، وقيل: غير ذي لحْنٍ. فإن قيل: لم قال: ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ ولم يقل: «غيرَ مُعْوَجٍّ»؟

فالجواب: أن قوله: ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أبلغُ في نفي العِوَج عنه، كأنه قال: ليس فيه شيءٌ من العوج أصلًا.

﴿٢٩﴾ ﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ أي: متنازعون متظالمون، وقيل: متشاحُّون. وأصله من قولك: رجلٌ شَكِسٌ: إذا كان ضيِّقَ الصدر. ومعنى ضربِ هذا المثل: بيانُ حال من يشرك بالله ومن يوحِّده، فشبه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه، والمملوك بينهم في أسوإ حال، وشبه مَن يوحِّد الله بمملوك لرجلٍ واحد. فمعنى قوله: ﴿سَلَماً لِّرَجُلٍ﴾ أي: خالصًا له. وقرئ ﴿سَلَماً﴾ بغير ألف، و﴿سَالِماً﴾ بألف[٢]، والمعنى واحد.

﴿٣٠﴾ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ في هذا وعدٌ للنبي ﷺ، ووعيدٌ للكفار، فإنهم إذا ماتوا جميعًا وصاروا إلى الله فاز من كان على الحق وهلَك من كان على الباطل. وفيه أيضًا إخبارٌ بأنه ﷺ سيموت؛ لئلا[٣] يختلف الناس في موته كما اختلفت الأمم في غيره، وقد جاء أنه لما مات ﷺ أنكر عمر بن الخطاب ﷺ موته، حتى احتجَّ عليه أبو بكر الصديق ﷺ بهذه الآية، فرجع إليها[٤].

﴿٣١﴾ ﴿تَخۡتَصِمُونَ﴾ قيل: يعني: الاختصامَ في الدماء، وقيل: في الحقوق. والأظهر أنه اختصامُ النبي ﷺ مع الكفار في تكذيبهم له، فيكون من تمام ما قبله. ويحتمل أن يكون على العموم في اختصام الخلائق فيما بينهم من المظالم وغيرها.

---

(١) في ب: «نصبهما»، وفي ج: «نصبها».
(٢) قرأ ابن كثير أبو عمرو بالألف وكسر اللام، وقرأ الباقون بغير ألف وبالفتح.
(٣) في ب، ج: «فلا».
(٤) أخرجه البخاري (٣٦٦٧) عن عائشة ﷺ.

*﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۝ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝﴾

(٣٢) ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ **المعنى:** لا أحد أظلم ممن كذب على الله. ويريد **بالكَذِب على الله هنا:** ما نسبوا له[١] من الشُّركاء والأولاد.

﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ أي: كذَّب بالإسلام والشريعة.

(٣٣) ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ **قيل:** الذي جاء بالصدق: محمد ﷺ، وهو الذي صدَّق به. **وقيل:** الذي جاء بالصدق: محمد ﷺ، والذي صدَّق به: أبو بكر الصديق رضي الله عنه. **وقيل:** الذي جاء بالصدق: جبريل عليه السلام، والذي صدَّق به: محمد ﷺ. **وقيل:** الذي جاء بالصدق: الأنبياء، والذي صدَّق به: المؤمنون. واختار ابن عطية أن يكون على العموم، وجعَل ﴿الَّذِي﴾ للجنس، كأنه قال: «الفريق الذي..»؛ لأنه في مقابَلة من كذَب على الله وكذَّب بالصِّدق، والمراد به العموم[٢].

(٣٦) ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ تقويةٌ لقلب محمد ﷺ، وإزالةٌ للخوف الذي كان الكفار يخوِّفونه.

---

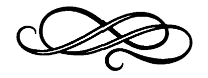
(١) في أ: «إليه».
(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٣٩٤).

(٣٦) ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ الآيَةَ؛ احتجاجٌ على التوحيد، وردٌّ على المشركين.

﴿هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ الآيَةَ؛ ردٌّ على المشركين، وبرهانٌ على الوحدانية. **وروي أن سببها**: أن المشركين خوَّفوا رسول الله ﷺ من آلهتهم، فنزلت الآية مبينةً أنهم لا يقدِرون على شيء[1]. **فإن قيل**: كيف قال: ﴿كَـٰشِفَـٰتُ﴾ و﴿مُمْسِكَـٰتُ﴾ بالتأنيث؟ **فالجواب**: أنها لا تعقل، فعاملها معاملة المؤنثة، وأيضًا ففي تأنيثها تحقيرٌ لها وتهكُّمٌ بمن عبدها.

(٣٧) ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ تهديدٌ ومسالمةٌ منسوخة بالسيف.

(٣٨) ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ذكر في أول السورة[2].



(١) أخرجه عبد الرزاق وابن المنذر -كما في الدر المنثور (١٢/ ٦٦٢)- عن قتادة، وأن الآية التي نزلت بسبب ذلك الآية التي قبلها: ﴿أليس الله بكافٍ عبده﴾.

(٢) انظر تفسير الآية (٢).

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿٤٢﴾ ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ هذه الآية[1] اعتبارٌ، ومعناها: أن الله يتوفَّىٰ النفوس علىٰ وجهين: أحدهما: وفاة كاملة حقيقية، وهي الموت. والآخر: وفاة النوم؛ لأن النائم كالميت في كونه لا يُبصر ولا يسمع، ومنه قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦١]، وتقديرها: ويتوفىٰ الأنفس التي لم تمت في منامها.

﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ أي: يمسك الأنفس التي قضىٰ عليها الموتَ الحقيقيَّ. ومعنىٰ إمساكها: أنه لا يَردُّها إلىٰ الدنيا.

﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يرسل الأنفس النائمة. وإرسالها: هو ردُّها إلىٰ الدنيا. والأجل المسمَّىٰ: هو أجل الموت الحقيقي. وقد تكلَّم الناس في النفس والروح وأكثروا القول في ذلك بالظن دون تحقيق، والصحيح أن هذا مما استأثر الله بعلمه؛ لقوله:

(١) في ب، ج، د: «آية».

﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

(٤٣) ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ﴾ ﴿أَمِ﴾ هنا: بمعنىٰ «بل» وهمزة الإنكار. **والشُّفعاء: هم الأصنام وغيرها، لقولهم:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

﴿قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ﴾ **دخلت همزة الاستفهام علىٰ واو الحال، وتقديره: أيشفعون وهم لا يملكون شيئًا ولا يعقلون؟**

(٤٤) ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ أي: هو مالكها، فلا يشفع أحدٌ إليه إلَّا بإذنه، وفي هذا ردٌّ علىٰ الكفار في قولهم: إن الأصنام تشفع لهم.

(٤٥) ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ﴾ الآيةَ؛ **معناها: أن الكفار يكرهون توحيد الله ويحبُّون الإشراك به.** ومعنىٰ ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾: انقبضت من شدة الكراهة. وروي أن هذه الآية نزلت حين قرأ رسول الله ﷺ سورة «**النجم**»، فألقىٰ الشيطان في أمنيَّته حسَبما ذكرنا في «**الحج**»[1]، فاستبشر الكفار بما ألقىٰ الشيطان من تعظيم اللات والعزىٰ، فلما أَذهب الله ما ألقىٰ الشيطان استكبروا واشمأَزُّوا[2].

(٤٧) ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ أي: ظهر لهم يومَ القيامة خلافُ ما كانوا يظنون؛ لأنهم كانوا يظنون ظنونًا كاذبة. **وقال الزمخشري:** إن المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم، أي: ظهر لهم من عذاب الله ما لم يكن في حسابهم، فهو كقوله في الوعد: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: ١٧][3]. **وقيل:** معناها: عملوا أعمالًا حَسِبوها حسناتٍ، فإذا هي سيئات، **وقال الحسن:** ويلٌ لأهل الرياء من هذه الآية[4]، وهذا علىٰ أنها في المسلمين، **والظاهر** أنها في الكفار.

(١) انظر تفسير الآية (٥٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢١٨) عن مجاهد.

(٣) الكشاف (١٣/ ٤٠٢-٤٠٣).

(٤) لم أقف عليه من قول الحسن، وإنما هو من قول سفيان الثوري، عزاه إليه الثعلبي (٢٣/ ٧٤)، وفي المحرر الوجيز (٧/ ٤٠١)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٩١) أنه قال: «ويلٌ لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، هذه آيتهم وقصَّتهم». وقد تحرَّفت كلمة «الرياء» في بعض مطبوعات تفسير الثعلبي والمحرر الوجيز إلىٰ «الربا» و«الزنا»، والمثبت هو الصواب بمراجعة المخطوطات، وهو الأليق بالسياق.

(٤٥) ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ معنىٰ ﴿حَاقَ﴾: حلَّ ونزل. **وقال ابن عطية وغيره:** إن هذا علىٰ حذف مضاف تقديره: حاق بهم جزاءُ ما كانوا به يستهزئون[1]. **ويحتمل أن** يكون الكلام دون حذف، **وهو أحسن**، ومعناه: حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون؛ لأنهم كانوا في الدنيا يستهزئون إذا خُوِّفوا بعذاب الله، ويقولون: متىٰ هذا الوعد؟

(٤٦) ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ **يحتمل وجهين:**

أحدهما: أن يريد: علىٰ علمٍ منِّي بالمكاسب والمنافع.

والآخر: علىٰ علمِ الله باستحقاقي لذلك. و﴿إِنَّمَآ﴾ **هنا تحتمل وجهين:**

أحدهما -وهو الأظهر-: أن تكون «ما» كافةً، و﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ في موضع الحال.

والآخر: أن تكون «ما» اسم «إنَّ» و﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ خبرها. وإنما قال: ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾ بالضمير المذكَّر وهو عائد علىٰ النعمة؛ للحمل علىٰ المعنىٰ.

﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ ردٌّ علىٰ الذي قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

(٤٧) ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ **يعني:** قارونَ وغيره.



(١) المحرر الوجيز (٧/ ٤٠١).

قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾

﴿٥٣﴾ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ **قال علي بن أبي طالب، وابن مسعود** ﷺ: هذه أرجى آية في القرآن[1]. **وروي أن** رسول الله ﷺ **قال:** **«ما أُحبُّ أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية»**[2].

واختُلف في سببها: فقيل: نزلت في وحشي قاتل حمزة، لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة[3]. **وقيل:** نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا، ففُتِنوا فافتَتنوا، ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم، **وهذا قول عمر بن الخطاب**، وقد كتب بها إلىٰ هشام بن العاصي لما جرىٰ له ذلك[4].

---

(١) قول علي ﷺ أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٢٨). وقول ابن مسعود ﷺ أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٢٦-٢٢٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٠٠٢)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٤٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٢٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٥٣)، وأحمد (٢٢٣٦٢)، والطبراني في الأوسط (١/ ٦٢) من حديث ثوبان ﷺ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢٤): «فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن».

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٢٥) عن عطاء بن يسار، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٥٣) عن أبي سعيد.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٢٧)، والحاكم (٣٦٢٨) وصححه، والبيهقي (١٧٧٥٦)، والبزار (١/ ٢٥٨)، الطبراني في الكبير (٢٢/ ١٧٧) من طريق ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر.

وقيل: نزلت في قوم من أهل الجاهلية، قالوا: ما ينفعنا الإسلام وقد زنينا، وقتلنا النفوس؟ فنزلت الآية فيهم(١).

ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيلٍ نذكره، وذلك أن ﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: إن أراد به الكفار: فقد أجمعت(٢) الأمة على أنهم إذا أسلموا غُفر لهم كفرُهم وجميع ذنوبهم؛ لقوله ﷺ: «الإسلام يَجُبُّ ما قبله»(٣)، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم، بل يخلِّدهم في النار.

وإن أراد به العصاة من المسلمين: فإن العاصيَ إذا تاب غفر الله ذنوبه، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله، إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له.

فالمغفرة المذكورة في هذه الآية يحتمل أن يريد بها: المغفرةَ للكفار إذا أسلموا، أو للعصاة إذا تابوا، أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضَّل الله عليهم بالمغفرة.

والظاهر: أنها نزلت في الكفار، وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلموا، والدليل على أنها في الكفار: ما ذكر بعدها إلى قوله: ﴿قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

(٥٥) ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ يعني: اتبعوا القرآن، وليس المعنى: أن بعض القرآن أحسنُ من بعض؛ لأنه حسَنٌ كلُّه، وإنما المعنى: أن يتبعوا بأعمالهم ما فيه من الأوامر، ويجتنبوا ما فيه من النواهي، فالتفضيل الذي يقتضيه ﴿أَحْسَنَ﴾ إنما هو في الاتِّباع. وقيل: يعني: اتبعوا الناسخ دون المنسوخ، وهذا بعيد.

(٥٦) ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ في موضع مفعولٍ من أجله تقديره: كراهةَ أن تقول نفسٌ. وإنما نكَّر النفس؛ لأن المراد بها بعض الأنفس، وهي نفوس الكفار.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٢٤-٢٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي.

(٢) في ب، ج: «اجتمعت».

(٣) أخرجه أحمد بهذا اللفظ (١٧٧٧٧)، وأخرجه مسلم (١٢١) بلفظ: «الإسلام يهدم ما كان قبله» من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

﴿فِي جَنبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في حقِّ الله، وقيل: في أمر الله. وأصله: من الجنب بمعنى الجانب، ثم استعير لهذا المعنى.

﴿ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ أي: المستهزئين.

(٥٩) ﴿بَلَىٰ﴾ جوابٌ للنفس التي حُكِي كلامها، ولا يجاوب[1] بـ«بلى» إلَّا النفي. وهي هنا جوابٌ لقوله: ﴿لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾؛ لأنه في معنى النفي؛ لأن «لو» حرف امتناع، وتقدير الجواب: بل قد جاءك الهدى من الله بإرساله الرسل وإنزاله الكتب. وقال ابن عطية[2]: هي جواب لقوله: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾؛ فإن معناه يقتضي أن العمر لم يتَّسع للنظر، فقيل له: ﴿بَلَىٰ﴾ على وجه الردِّ عليه[3]. والأول أليق بسياق[4] الكلام؛ لأن قوله: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي﴾ تفسيرٌ لما تضمنته ﴿بَلَىٰ﴾.

(٦٠) ﴿وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌ﴾ يَحتمل أن يريد سوادَ اللون حقيقة، أو يكون عبارةً عن شدَّة الكرب.

(٦١) ﴿بِمَفَازَتِهِمۡ﴾ أصله: من الفوز، والتقدير: بسبب فوزهم. وقيل: معناه بحسناتهم، وقيل: بفضائلهم.

(٦٢) ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ أي: قائمٌ بتدبير كل شيء.

(٦٣) ﴿مَقَالِيدُ﴾ مفاتيح، وقيل: خزائن. واحدها: مِقْلِيد، وقيل: إِقليد، وقيل: لا واحد لها من لفظها، وأصلها كلمة فارسية.

وقال عثمان بن عفان ﷺ: سألت رسول الله ﷺ عن مقاليد السماوات والأرض فقال: «هي لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله،

---

(١) في د: «ولا يجاب».

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٤٠٧).

(٣) [التعليق ٩٧] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول ابن عطية: «فإن معناه يقتضي أن العمر لم يتَّسع للنظر» إلخ، يريد أنَّ معنى قول المتمنِّي للكرَّة الاعتذار أنَّ عمره لم يتسع للنظر؛ فهو يطلب العودة إلى الدنيا؛ لينظر فيُحسِن، فجاء الجواب بأنه قد جاءتك الآيات البيِّنات فكذَّبت بها، واستكبرت عن الانقياد لها، وكنتَ بهذا التكذيب والاستكبار من الكافرين، فلا عذر لك في قصر العمر، وعدم اتساعه للنظر، ويبطل هذا الاعتذار قوله تعالى لمن سأل الرجعة: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ الآية.

(٤) في ب، ج: «السياق».

وأستغفر الله، هو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، بيده الخير، يحيي ويميت، وهو علىٰ كل شيء قدير»[١].

وإن صح هذا الحديث فمعناه: أن من قال هذه الكلمات صادقًا مخلصًا نال الخيرات والبركات من السماء[٢] والأرض؛ لأن هذه الكلمات تُوصِل إلىٰ ذلك، فكأنها مفاتح[٣] له.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآيَةَ، قال الزمخشري: إنها متصلة بقوله: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ وما بينهما من الكلام اعتراضٌ[٤].



(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٥٤)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٨)، والطبراني في الدعاء (٤٨٤)، وأبو يعلىٰ في مسنده كما في المقصد العلي للهيثمي (٤/ ٣٢٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٤٦). وقال ابن كثير في تفسيره (٧/ ١١٢): «غريب جدًّا، وفي صحته نظر، وفيه نكارة شديدة»، ورواه العقيلي في الضعفاء (١/ ٣٤٤) وضعفه، وضعفه أيضًا الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٥)، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٤٤)، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٦/ ٣٩٩): «قال الحافظ المنذري: وفيه نكارة، وقد قيل فيه: موضوع، وليس ببعيد».

(٢) هنا ينتهي السقط من هـ.

(٣) في ج: «مفاتيح»، وفي د: «مفتاح».

(٤) الكشاف (١٣/ ٤٢٣).

قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٢﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ *وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٥﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٦٧﴾

﴿٦١﴾ ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ منصوب بـ﴿أَعْبُدُ﴾.

﴿تَأْمُرُونِّي﴾ حذفت إحدى النونين تخفيفًا[1]، وقرئ بنونين على الأصل، وقرئ بإدغام إحدى النونين في الأخرى.

﴿٦٢﴾ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ دليلٌ على إحباط أعمال المرتدِّ مطلقًا، خلافًا للشافعي في قوله: لا يحبط عمله إلَّا إذا مات على الكفر.

فإن قيل: الموحَى إليهم جماعةٌ، والخطاب بقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ لواحد؟

فالجواب: أن المعنى: أنه أَوحى ذلك إلى كل واحد منهم على حِدَته.

فإن قيل: كيف خوطب الأنبياء بذلك وهم معصومون من الشرك؟

فالجواب: أن ذلك على وجه الفرض والتقدير، أي: لو وقع منهم شرك لحبطت أعمالهم، لكنهم لم يقع منهم شركٌ بسبب العصمة.

ويَحتمل أن يكون المراد غيرهم وخوطبوا هم؛ ليدلَّ المعنى على غيرهم بطريق الأولى.

﴿٦٤﴾ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظَّموه حقَّ تعظيمه، ولا وصفوه بما يجب له، ولا نزهوه عما لا يليق به. والضمير في ﴿قَدَرُوا﴾: لقريش، وقيل: لليهود.

---

(١) قرأ نافع بتخفيف النون، وقرأ ابن عامر بنونين، وقرأ الباقون بالتشديد.

﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَالسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦٓ﴾ **المقصود بهذا: تعظيمُ جلال الله، والردُّ علىٰ الكفار الذين ما قدروا الله حق قدره. ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم في غيرها من المشكلات:**

فقالت المتأوِّلة: إن القبضة واليمين عبارةٌ عن القدرة.

وقال ابن الطَّيب[1]: إنها صفات زائدة علىٰ صفات الذات.

وأما السلف الصالح فسلَّموا عِلْمَ ذلك إلىٰ الله، ورأوا أن هذا من المتشابه الذي لا يَعلم حقيقتَه إلَّا الله[2].

وقد قال ابن عباس ﷺ **ما معناه:** إن الأرض في قبضته والسماوات مطوياتٌ، كلٌّ ذلك بيمينه[3].

وقال ابن عمر ﷺ **ما معناه:** إن الأرض في قبضة اليد الواحدة، والسماوات مطويات باليمين الأخرىٰ؛ لأن كلتا يديه يمين[4].

﴿٦٥﴾ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ هو القرن الذين يَنفخ فيه إسرافيل، وهذه النفخة نفخة الصَّعق، وهو الموت، وقد قيل: إن قبلها نفخة الفزَع، ولم تُذكر في هذه الآية.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ **قيل:** يعني: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يميتهم بعد ذلك، **وقيل:** استثنىٰ الأنبياء، **وقيل:** الشهداء.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ هي نفخة القيام.

﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ **قيل:** إنه من النظَر، **وقيل:** من الانتظار؛ أي: ينتظرون ما يفعل بهم.

﴿٦٦﴾ ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ **يعني:** صحائف الأعمال، وإنما وحَّدها؛ لأنه أراد الجنس، **وقيل:** هو اللوح المحفوظ.

---

(١) الباقلاني.
(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٥٠) و(٩٥).
(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٤٦) من طريق العوفي عنه.
(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٤٩).

﴿وَجِاْيٓءَ بِالنَّبِيِّـۧنَ﴾ ليشهدوا علىٰ قومهم.

﴿وَالشُّهَدَآءِ﴾ يحتمل أن يكون جمع شاهد، أو جمع شهيد في سبيل الله. والأول أرجح؛ لأن فيه معنىٰ الوعيد، ولأنه أليق بذكر الأنبياء الشَّاهدين، والمراد علىٰ هذا: أمة محمد ﷺ؛ لأنهم يشهدون علىٰ الناس، وقيل: يعني: الملائكة الحفَظة.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ الضمير لجميع الخلق.



وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

﴿٦٨﴾ ﴿زُمَرًاۖ﴾ في الموضعين: جمع زُمْرة، وهي الجماعة من الناس، وقال رسول الله ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على مثل أشدِّ نجم في السماء إضاءةً، ثم هم بعد ذلك منازل»[1].

﴿خَزَنَتُهَآ﴾ جمع خازن حيث وقع.

﴿كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ يعني: القضاءَ السابق بعذابهم.

﴿٧٠﴾ ﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ إنما قال في الجنة ﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ بالواو وقال في النار بغير واو؛ لأن أبواب الجنة كانت مفتَّحةً قبل مجيء أهلها، فالمعنى: حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتوحة، فالواو واو الحال، وجواب ﴿إِذَا﴾ على هذا محذوفٌ[2]، وأما أبواب النار فإنما فتحت حين جاؤوها، فوقع قوله: ﴿فُتِحَتۡ﴾ جوابًا للشرط، فكان بغير واو. وقال الكوفيون: الواو في أبواب الجنة واو الثمانية؛ لأن أبواب الجنة ثمانية. وقيل: الواو زائدة، و﴿فُتِحَتۡ﴾ هو الجواب.

﴿٧١﴾ ﴿وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾ يعني: أرض الجنة، والوِراثة هنا: استعارةٌ؛ كأنهم ورثوا موضع[3] من لم يدخل الجنة.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤) واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) تقديره -بعد قوله تعالى: ﴿خالدين﴾-: سعدوا. المحرر الوجيز (٧/ ٤١٥).
(٣) في أ، هـ: «مواضع».

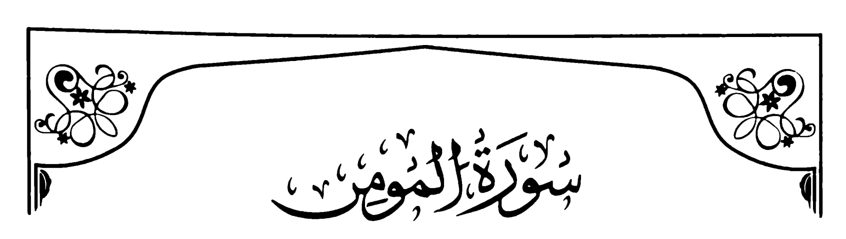
﴿نَتَبَوَّأُ﴾ **أي: نَنزِل من الجنة حيث نشاء ونتَّخذه مسكنًا.**

(٧٥) ﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ **أي: مُحْدِقين به، دائرين حوله.**

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ **الضمير لجميع الخلق كالموضع الأول. ويحتمل هنا أن يكون للملائكة. والقضاء بينهم: توفية أجورهم على حسَب منازلهم.**

﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **يَحتمل أن يكون القائل لذلك الملائكةَ، أو جميعَ الخلق، أو أهلَ الجنة؛ لقوله:** ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].





سورة المؤمن

حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾

﴿١﴾ ﴿حمٓ﴾ تقدَّم الكلام في حروف الهجاء. ويختص[1] ﴿حمٓ﴾ بأنها قيل: معناها: «حم الأمرُ»، أي قُضِي. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ألر» و «حم» و «ن» هي حروف الرحمن[2].

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ذكر في «الزمر»[3].

﴿٣﴾ ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ أي: ذي الفضل والإنعام. وقيل: الطَّول: الغنىٰ والسَّعة.

﴿٤﴾ ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ جعل ﴿لَا يَغْرُرْكَ﴾ بمعنىٰ: لا يَحزُنك، ففيه تسليةٌ للنبي ﷺ، ووعيدٌ للكفار.

(١) في ب، ج، د: «وتختص».
(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٧٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢١) عن عكرمة عنه رضي الله عنه.
(٣) انظر تفسير الآية (١).

﴿٥﴾ ﴿وَالْأَحْزَابُ﴾ يراد به: عاد وثمود وغيرهم.

﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي: ليقتلوه.

﴿لِيُدْحِضُوا﴾ أي: يُبطلوا به الحق.

﴿٦﴾ ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: وجب قضاؤه.

﴿٧﴾ ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ عطفٌ على ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ﴾.

﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ **إن قيل**: ما فائدة قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، ومعلومٌ أن حملة العرش ومن حوله مؤمنون بالله؟

فالجواب: أن ذلك إظهارٌ لفضيلة الإيمان وشرَفه، قال ذلك الزمخشري، وقال: إن فيه فائدةً أخرى وهي: أن معرفة حملة العرش بالله تعالى من طريق النظر والاستدلال كسائر الخلق، لا بالرؤية[1]. وهذه نزعةٌ[2] إلى مذهب المعتزلة في استحالة رؤية الله.

﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ **أصل الكلام**: وسعتْ رحمتُك وعلمك كلَّ شيء، فالسعة في المعنى مسندةٌ إلى الرحمة والعلم، وإنما أُسنِدتا في اللفظ إلى الله تعالى؛ لقصد المبالغة في وصف الله تعالى بهما، كأن ذاته رحمةٌ وعلمٌ واسعان كلَّ شيء.

﴿٨﴾ ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ **يحتمل** أن يكون المعنى: قِهم السيئات نفسَها، بحيث لا يفعلونها، أو يكون المعنى: قِهم جزاء السيئات، فلا تؤاخذهم بها.



(١) الكشاف (١٣/ ٤٦٤-٤٦٥).

(٢) نزع إلى الشيء: إذا ذهب إليه. الصحاح (نزع). وفي أ، ب، ج، هـ: «نزغة» بالغين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ۝١٠ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝١١ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ۝١٢ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝١٣ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١٤ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٧ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝١٨ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩ وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝٢٠

۝١٠ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ **المقت: البغض** الذي يوجبه ذنبٌ أو عيب. وهذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار؛ فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم، أي: مقت بعضهم بعضًا، ويَحتمل أن يمقت كلُّ واحد منهم نفسه، فتناديهم الملائكة وتقول لهم: مقتُ الله لكم في الدنيا على كفركم أكبرُ من مقتكم أنفسَكم اليوم. فقوله: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ مضاف إلى الفاعل، وحُذف المفعول لدلالة مفعول ﴿مَّقْتِكُمْ﴾ عليه. وقوله: ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ ظرفٌ، العامل فيه: ﴿مَقْتُ ٱللَّهِ﴾ من طريق المعنى، ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين النحو؛ لأن ﴿مَقْتُ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ؛ فلا يجوز أن يُفصَل بينه وبين بعض صلته، فيُحتاج أن يقدَّر للظرف عامل[1]، وعلى هذا أجاز بعضهم الوقف على قوله: ﴿أَنفُسَكُمْ﴾، والابتداءَ بالظرف، وهذا ضعيف؛ لأن المراعى المعنى. وقد جعل الزمخشري ﴿مَقْتُ ٱللَّهِ﴾ عاملًا في الظرف، ولم يعتبر الفصل[2].

(١) تقديره: مقتكم إذ. المحرر الوجيز (٧/ ٤٢٥).
(٢) جعل الزمخشري: ﴿إذ تُدعَون﴾ تعليلًا لا ظرفًا. الكشاف (١٣/ ٤٧١).

(١١) ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ هذه الآية كقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧]: **فالموتة الأولىٰ**: عبارةٌ عن كونهم عدَمًا، أو كونهم في الأصلاب، أو في الأرحام، **والموتة الثانية**: الموت المعروف، **والحياة الأولىٰ**: حياة الدنيا، **والحياة الثانية**: حياة البعث في القيامة. **وقيل**: **الحياة الأولىٰ**: حياة الدنيا، **والثانية**: الحياة في القبر، **والموتة الأولىٰ**: الموت المعروف، **والموتة الثانية**: بعد حياة القبر، **وهذا قول فاسد**؛ لأنه لا بدَّ من الحياة للبعث فتجيءُ الحياة ثلاث مرات. **فإن قيل**: كيف اتِّصال[1] قولهم: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ بما قبله؟ **فالجواب**: أنهم كانوا في الدنيا يكفرون بالبعث، فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم علىٰ ذلك، فأقروا به حينئذ؛ ليُرضوا الله بإقرارهم حينئذ، فقولهم: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ إقرارٌ بالبعث علىٰ أكمل الوجوه؛ طمعًا منهم أن يخرجوا عن المقت الذي مقتهم الله؛ إذ كانوا يُدعون إلىٰ الإيمان فيكفرون.

﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ الفاء هنا رابطة معناها التَّسبيب. **فإن قيل**: كيف يكون قولهم: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ سببًا لاعترافهم بالذنوب؟

فالجواب: أنهم كانوا كافرين بالبعث، فلمَّا رأوا الإماتة والإحياء قد تكرَّرَا عليهم علموا أن الله قادرٌ علىٰ البعث فاعترفوا بذنوبهم، وهي إنكار البعث وما أوجب لهم إنكارُه من المعاصي، فإن مَن لا يؤمن بالآخرة لا يبالي بالوقوع في المعاصي.

(١٢) ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ **الباء**: سببية للتعليل. والإشارة بـ﴿ذَٰلِكُم﴾ **تحتمل أن تكون إلىٰ العذاب الذي هم فيه، أو إلىٰ مقت الله لهم، أو مقتهم لأنفسهم**. **والأحسن**: **أن تكون إشارةً إلىٰ ما يقتضيه سياق الكلام، وذلك أنهم لما قالوا**: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ **كأنهم قيل لهم**: «لا سبيل إلىٰ الخروج»، **فالإشارة بقوله**: ﴿ذَٰلِكُم﴾ **إلىٰ عدم خروجهم من النار**.

(١٣) ﴿يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ **يعني**: العلامات الدالة عليه؛ من مخلوقاته ومعجزات رسله.

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَآءِ رِزْقًا﴾ **يعني**: المطر.

---

(١) في أ: «اتصل».

﴿١٥﴾ ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ **يحتمل أن يكون المعنىٰ**: مرتفع الدرجات، فيكون بمعنىٰ العليِّ[(١)]، أو رافع درجات عباده في الجنة[(٢)] وفي الدنيا.

﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ﴾ **يعني**: الوحيَ.

﴿مِنَ أَمْرِهِۦ﴾ **يحتمل أن يريد**: الأمرَ الذي هو و احد الأمور، أو الأمر بالخير. **فعلىٰ الأول**: تكون ﴿مِنَ﴾ للتبعيض، أو لابتداء الغاية، وعلىٰ الثاني: تكون لابتداء الغاية، أو بمعنىٰ الباء.

﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ **يعني**: يوم القيامة. وسمِّي بذلك؛ لأن الخلائق يلتقون فيه، **وقيل**: **لأنه يلتقي** فيه أهل السماء وأهل الأرض، **وقيل**: لأنه يلتقي الخلق[(٣)] مع ربهم. **والفاعل بـ**﴿يُنذِرَ﴾: ضميرٌ يعود علىٰ ﴿مَن يَشَآءُ﴾، أو علىٰ ﴿ٱلرُّوحَ﴾، أو علىٰ الله.

﴿١٦﴾ ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ هذا من كلام الله تعالىٰ؛ تقريرًا للخلق يوم القيامة؛ فيجيبونه ويقولون: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾. **وقيل**: بل هو الذي يجيب نفسه؛ لأن الخلق يسكتون هيبةً له، **وقيل**: إن القائل ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾: **ملَكٌ**.

﴿١٨﴾ ﴿يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ﴾ **يعني**: القيامة، ومعناه: القريبة.

﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ **معناه**: أن القلوب قد صَعِدت من الصدور[(٤)]؛ لشدَّة الخوف حتىٰ بلغت إلىٰ الحناجر، **فيحتمل أن يكون ذلك حقيقةً**، أو مجازًا عبَّر به عن شدَّة الخوف. **والحناجر**: جمع حَنْجَرة، وهي الحلق.

﴿كَٰظِمِينَ﴾ أي: محزونين حُزنًا شديدًا، كقوله: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]. **وقيل**: **معناه** يكظمون حزنهم؛ أي: يطمعون أن يخفوه، والحال تغلبهم. **وانتصابه علىٰ الحال** من أصحاب القلوب؛ لأن معناه: قلوب الناس، أو من المفعول في ﴿أَنذِرْهُمْ﴾ ، أو من ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾، وجمَعها جمع المذكر؛ لما وصفها بالكَظْم الذي هو من أفعال العقلاء.

---

(١) في ب، ج: «العلو».
(٢) في ب: «الآخرة».
(٣) في د، هـ زيادة: «فيه».
(٤) في أ، ب، ج، هـ: «الصدر».

(١٨) ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: صديقٍ مُشفق.

﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ **يحتمل أن يكون نفَىٰ الشفاعةَ وطاعة الشفيع، أو نفَىٰ طاعة الشفيع خاصة، كقولك:** «ما جاءني رجل صالح» فنفيتَ الصَّلاح، وإن كان قد جاءك رجل غير صالح، **والأول أحسن؛** لأن الكفار ليس لهم مَن يشفع[1] فيهم.

(١٩) ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ أي: استراقَ النظر. **والخائنة:** مصدرٌ بمعنىٰ الخيانة، أو وصفٌ للنظرة. وهذا الكلام متصل بما تقدَّم من ذكر الله، واعتَرض في أثناء ذلك بوصف القيامة لما استطرد إليه من قوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾.



(١) في ب، هـ: «من شفيع».

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾

﴿٢٣﴾ ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حجة ظاهرة، وهي المعجزات.

﴿٢٥﴾ ﴿قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ هذا القتل غير القتل الذي كانوا يقتلون أوَّلًا قبل ميلاد موسىٰ عليه السلام[1].

﴿٢٦﴾ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ المعنىٰ: أنه لا يبالي بدعاء موسىٰ عليه السلام لربه، ولا يخاف من ذلك إن قتَله. ويظهر من قوله: ﴿ذَرُونِيٓ﴾ أنه كان في الناس مَن ينازعه في قتل موسىٰ عليه السلام، وذلك يدلُّ علىٰ أنَّ فرعون كان قد اضطرب أمرُه بظهور معجزات موسىٰ عليه السلام.

﴿وَأَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ يعني: فساد أحوالهم في الدنيا. وقرئ ﴿وَأَنْ يُظْهِرَ﴾: بالواو فقط، وبـ«أو»[2]. و﴿يَظْهرَ﴾[3]: بفتح الياء، ورفع ﴿ٱلْفَسَادُ﴾ علىٰ الفاعلية، وبضم الياء، ونصب ﴿ٱلْفَسَادَ﴾ علىٰ المفعولية.

---

(١) قاله قتادة كما في تفسير الطبري (٢٠/ ٣٠٨).

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بـ«أو»، وقرأ الباقون بالواو.

(٣) قرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم ﴿يُظهِر﴾ بضم الياء وكسر الراء، و﴿الفسادَ﴾ بالنصب، وقرأ الباقون ﴿يَظهَر﴾ بفتح الياء والهاء، و﴿الفسادُ﴾ بالرفع.

(٢٧) ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ﴾ الآيةَ؛ لما سمع موسىٰ عليه السلام ما همَّ به فرعون من قتله، استعاذ بالله فعصَمه الله منه. وقال: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ﴾ ليشمل فرعون وغيره، وليكون فيه وصفٌ لفرعون بذلك الوصف القبيح.



وَقَالَ رَجُلٌ مُّومِنٌ مِّنَ ـالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا اَن يَقُولَ رَبِّيَ اَللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِالْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَّكُ كَٰذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَّكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ اُلذِے يَعِدُكُمُۥٓ إِنَّ اَللَّهَ لاَ يَهْدِے مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ اُلْمُلْكُ اُلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِے اِ۬لْأَرْضِ فَمَنْ يَّنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ اِ۬للَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمُۥٓ إِلاَّ مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمُۥٓ إِلاَّ سَبِيلَ اَلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ *وَقَالَ اَلذِے ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ اِ۬لْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا اَللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ اَلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اَللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُّضْلِلِ اِ۬للَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِے شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَّبْعَثَ اَللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولاً كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اُللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ اُلذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِے ءَايَٰتِ اِ۬للَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ اَتَيٰهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اَللَّهِ وَعِندَ اَلذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اُللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ اُبْنِ لِے صَرْحاً لَّعَلِّيَ أَبْلُغُ اُلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ اَلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعُ إِلَيٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِباً وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصَدَّ عَنِ اِ۬لسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِے تَبَابٍ ﴿٣٧﴾

﴿٢٨﴾ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّومِنٌ مِّنَ ـالِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: إن اسم هذا المؤمن حبيب، وقيل: حِزْقِيل، وقيل: شمعان بالشين المعجمة. وروي أن هذا المؤمن كان ابن عم فرعون[1]، فقوله: ﴿مِّنَ ـالِ فِرْعَوْنَ﴾ صفة للمؤمن. وقيل: كان من بني إسرائيل، فقوله: ﴿مِّنَ ـالِ فِرْعَوْنَ﴾ علىٰ هذا يتعلَّق بقوله: ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾.

والأول أرجح؛ لأنه لا يُحتاج فيه إلىٰ تقديم وتأخير، ولقوله: ﴿فَمَنْ يَّنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ اِ۬للَّهِ﴾ لأن هذا كلامُ قريبٍ شفيق، ولأن بني إسرائيل حينئذ كانوا أَذِلَّاء، بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل ذلك الكلام.

﴿اَن يَقُولَ﴾ في موضع المفعول من أجله، تقديره: أتقتلونه من أجل أن يقول ربي الله.

---

(١) قاله السدي كما في تفسير الطبري (٢٠/ ٣١١)، وعزاه في المحرر الوجيز (٧/ ٤٣٧) إلىٰ مقاتل.

﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥ﴾ **أي**: إن كان موسىٰ كاذبًا في دعوىٰ الرسالة فلا يضركم كذبه، فلأيِّ شيء تقتلونه؟ **فإن قيل**: كيف قال: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا﴾ بعد أن كان قد آمن به؟

فالجواب: أنه لم يقل ذلك علىٰ وجه التَّكذيب له، وإنما قاله علىٰ وجه الفرض والتقدير، وقصد بذلك المحاجَّة لقومه، فقسَم أمرَ موسىٰ عليه السلام إلىٰ قسمين؛ ليقيم عليهم الحجة في ترك قتله علىٰ كل وجهٍ من القسمين.

﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ﴾ **قيل**: إن ﴿بَعۡضُ﴾ هنا بمعنىٰ: «كل»، وذلك بعيد. وإنما قال ﴿بَعۡضُ﴾ ولم يقل «كل» مع أن الذي يصيبهم هو كل ما يعدهم؛ ليلاطفَهم في الكلام، ويَبعُدَ عن التعصُّب لموسىٰ عليه السلام، ويُظهِرَ النصيحة لقومه، فيَرتجيَ إجابتهم للحق.

(٣٠) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ﴾ هو المؤمن المذكور أوَّلًا. **وقيل**: هو موسىٰ عليه السلام، وهذا بعيد، وإنما توهَّموا ذلك لأنه صرَّح هنا بالإيمان، وكان كلام المؤمن أوَّلًا غير صريح؛ بل كان فيه تورية وملاطفة لقومه؛ إذ كان يكتم إيمانه.

والجواب: أنه كتم إيمانه في أول الأمر، ثم صرَّح به بعد ذلك، وجاهرهم مجاهرةً ظاهرة لما وثق بالله، حسَبما حكىٰ الله من كلامه إلىٰ قوله: ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾.

(٣٢) ﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ يعني: يوم القيامة، وسمِّي بذلك لأن المناديَ ينادي الناس، وذلك قوله: ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ﴾ [الإسراء: ٧١]. **وقيل**: لأن بعضهم ينادي بعضًا؛ أي ينادي أهل الجنة: ﴿قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ [الأعراف: ٤٣] وينادي أهل النار: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ [الأعراف: ٥٠].

(٣٣) ﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ﴾ **أي**: منطلقين إلىٰ النار، **وقيل**: هاربين من النار.

(٣٤) ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ هو يوسف بن يعقوب، **وقيل**: هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب. **والبينات التي جاء بها يوسف** عليه السلام: لم تعيَّن لنا. واختُلف هل أدركه فرعون موسىٰ أو فرعونٌ آخر قبله؛ لأن كل من ملَك مصر يقال له: «فرعون».

﴿فَلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ كلامهم هذا لا يدلُّ على أنهم مؤمنون برسالة يوسف، وإنما مرادهم: لن يأتيَ أحدٌ يدَّعي الرسالة بعد يوسف، **قاله ابن عطية**(١).

وقال الزمخشري: إنما هو تكذيبٌ لرسالة مَن بعده مضمومٌ إلىٰ تكذيب رسالته(٢).

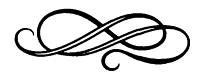
(٣٥) ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ بدلٌ من ﴿مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾، وإنما جاز إبدال الجمع من المفرد؛ لأنه في معنىٰ الجمع، كأنه قال: كلُّ مسرفٍ.

﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ فاعل ﴿كَبُرَ﴾: مصدرُ ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾(٣)، **وقال الزمخشري**: الفاعل ضمير ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾(٤).

(٣٦) ﴿ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ هنا: الطرق، وقيل: الأبواب. وكرَّرها للتفخيم وللبيان.

(٣٧) ﴿وَأَطَّلِعُ﴾ **بالرفع**(٥): عطفٌ علىٰ ﴿أَبْلُغُ﴾، وبالنصب: بإضمار «أنْ» في جواب ﴿لَّعَلِّيٓ﴾؛ لأن الترجِّيَ غيرُ واجب، فهو كالتمني في انتصاب جوابه، ولا نقول: إن «لعل» أُشْرِبت معنىٰ «ليت» كما قاله بعض النحاة.

﴿تَبَابٍ﴾ أي: خسران.



(١) المحرر الوجيز (٧/ ٤٤٢).
(٢) الكشاف (١٣/ ٥٠٩).
(٣) أي: كبُرَ جِدالهم مقتًا. المحرر الوجيز (٧/ ٤٤٢).
(٤) الكشاف (١٣/ ٥١٠).
(٥) روىٰ حفص عن عاصم بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.

وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ *وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾

﴿٣٩﴾ ﴿مَتَٰعٌ﴾ أي: يُتمتَّعُ به قليلًا. **فإن قيل:** لم كرَّر المؤمن نداءَ قومه مرارًا؟

فالجواب: أن ذلك لقصد التنبيه لهم، وإظهار الملاطفة والنصيحة.

فإن قيل: لم جاء بالواو في قوله: ﴿وَيَٰقَوْمِ﴾ في الثالث دون الثاني؟

فالجواب: أن الثانيَ بيانٌ للأول وتفسير، فلم يصحَّ عطفه عليه، بخلاف الثالث، فإنه كلام آخر فصحَّ عطفه.

﴿٤٢﴾ ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: ليس لي علم بربوبيته، والمراد بنفي العلم: نفيُ المعلوم، كأنه قال: «وأشرك به ما ليس بإله»، وإذا لم يكن إلهًا لم يصحَّ علمُ ربوبيته.

﴿٤٣﴾ ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بدَّ، ولا شكَّ.

﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ **قال ابن عطية**: المعنىٰ: ليس له قدْرٌ ولا حقٌّ يجب أن يُدْعَىٰ إليه أحدٌ، كأنه قال: تدعونني إلىٰ عبادة ما لا خطَر له في الدنيا ولا في الآخرة[1]. ويحتمل اللفظ أن يكون معناه: ليس له دعوة قائمة، أي: لا يُدْعَىٰ أحدٌ[2] إلىٰ عبادته.

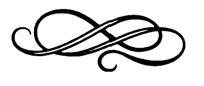
(٤٥) ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ دليلٌ علىٰ أن مَن فوَّض أمره إلىٰ الله ﷻ كان الله معه.

(٤٦) ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ ﴿ٱلنَّارُ﴾ بدلٌ من ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ ، أو مبتدأ[3]، أو خبر مبتدإ مضمر. **وعَرْضُهم عليها**: من حين موتهم إلىٰ يوم القيامة، وذلك مدَّة البرزخ، بدليل قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾. واستدلَّ أهلُ السنة بذلك علىٰ صحة ما ورد من عذاب القبر. وروي أن أرواحهم في أجواف طيرٍ سود تروح بهم[4] وتغدو إلىٰ النار[5].

﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ **قيل**: معناه: في كل غُدْوةٍ وعشيَّةٍ من أيام الدنيا. **وقيل**: المعنىٰ: علىٰ تقدير ما بين الغدوة والعشية؛ لأن الآخرة لا غدوة فيها ولا عشية.

(٤٩) ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ **إن قيل**: هلَّا قال: «الذين في النار لخزنتها»؟ فلم صرَّح باسمها؟ **فالجواب**: أن في ذِكْر جهنم تهويلًا ليس في ذِكْر الضمير.

(٥٠) ﴿وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَـٰلٍ﴾ **يَحتمل أن يكون** من كلام خزنة جهنَّم، فيكون متَّصلًا بقولهم: ﴿فَادْعُواْ﴾، أو يكون من كلام الله تعالىٰ استئنافًا.



(١) المحرر الوجيز (٧/ ٤٤٦).
(٢) في أ، ب، هـ: «يُدعَىٰ»، وفي ج: «يدعو».
(٣) وخبره: ﴿يُعرَضون﴾. المحرر الوجيز (٧/ ٤٤٧).
(٤) في ب، ج: «بها».
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٧) عن الهُزَيل بن شرحبيل عن ابن مسعود ﷺ، وأخرجه الطبري (٢٠/ ٣٣٧) وابن أبي شيبة (٣٥٢٩٩)، من كلام الهزيل، وأخرجه الطبري أيضا عن السدي.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۝٥١ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝٥٢ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ الْكِتَابَ ۝٥٣ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝٥٤ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۝٥٥ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝٥٦ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾

(٥١) ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ **قيل**: إن هذا خاصٌّ فيمن أظهره الله على الكفار، وليس بعامٍّ؛ لأن مِن الأنبياء مَن قتله قومه كزكرياءَ ويحيىٰ عليهما السلام. **والصَّحيح** أنه عام، والجواب عما ذكروه: أن زكرياءَ ويحيىٰ عليهما السلام لم يكونا من الرسل، وإنما كانا من الأنبياء الذين ليسوا بمرسلين، وإنما ضَمِنَ الله نصر الرسل خاصةً، لا نصر الأنبياء كلِّهم.

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ **يعني**: يوم القيامة. و﴿الْأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد، أو شهيد. **ويَحتمل أن يكون** بمعنىٰ الحضور، أو الشهادة علىٰ الناس، أو الشهادة في سبيل الله. **والأظهر**: أنه بمعنىٰ الشهادة علىٰ الناس؛ لقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١].

(٥٢) ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ **يحتمل** أنهم لا يعتذرون، أو يعتذرون ولكن لا تنفعهم معذرتُهم. **والأول أرجح**؛ لقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦] فنفَىٰ الاعتذار والانتفاع به.

(٥٤) ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ **يعني**: وعده لمحمد ﷺ بالنصر والظهور علىٰ أعدائه.

﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ **قيل**: **العشيُّ**: صلاة العصر، **والإبكارُ**: صلاة الصبح. **وقيل**: **العشي**: بعد العصر إلىٰ الغروب، **والإبكار**: من طلوع الفجر إلىٰ طلوع الشمس.

(٥٦) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ **يعني**: كفارَ قريش.

﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾ أي: تكبُّرٌ وتعاظمٌ يمنعهم مِن أن يتَّبعوك أو ينقادوا إليك. **وقيل**: كِبْرُهم: أنهم أرادوا النبوة لأنفسهم، ورأوا أنهم أحقُّ بها. **والأول أظهر**؛ لأن إرادةَ النبوةِ لأنفسهم حسدٌ، والأول هو الكِبْرُ.

﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ أي: لا يَبلغون ما يقتضيه كِبْرُهم من الظهور عليك، أو من نَيْل النبوة.

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِۖ﴾ أي: استعذ من شرِّهم؛ لأنهم أعداءٌ لك، أو استعذ من مثل حالهم في الكبر والحسد، أو استعذ بالله في جميع أمورك على الإطلاق.

(٥٧) ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ **الخلق هنا**: مصدر مضاف إلى المفعول. **والمراد بهذا**[1]: الاستدلال على البعث؛ لأن الإله الذي خلق السماوات والأرض على كِبَرِها قادرٌ على إعادة الأجسام بعد فنائها. **وقيل**: المراد: توبيخ الكفار المتكبِّرين، كأنه قال: خَلْقُ السماوات والأرض أكبرُ من خلق الناس، فما بال هؤلاء يتكبَّرون على خالقهم وهم من أصغر مخلوقاته وأحقرهم؟

والأول أرجح؛ لوروده في مواضع من القرآن، ولأنه قال بعده: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾ فقدَّم الدليل، ثم ذكَر المدلول.

(٦٠) ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ **الدعاء هنا**: هو الطَّلب والرَّغبة، وهذا وعدٌ مقيَّد بالمشيئة، وهي موافقة القدر لمن أراد الله أن يستجيب له[2].

وقيل: ﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾ هنا: بمعنى اعبدوني؛ بدليل قوله بعده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ وقوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» ثم تلا الآية[3]، و﴿أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ على هذا القول بمعنى: أغفرْ لكم وأعطيكم أجوركم.

---

(١) في أ، هـ: «به».

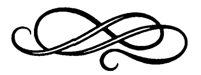
(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٣٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٨٣٥٢)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩) وصححه، والنسائي في الكبرى (١١٤٠٠)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وابن حبان (٨٩٠)، والحاكم (١٨٠٢) وصححه، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

والأول أظهر، ويكون قوله: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ بمعنىٰ: يستكبرون عن الرغبة إليَّ، كما قال ﷺ: «من لم يسأل الله يغضبْ عليه»[1].

وأما قوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» فمعناه: أن الدعاء والرغبة إلىٰ الله هي العبادة؛ لأن الدعاء يظهر فيه افتقارُ العبد وتضرُّعه إلىٰ الله.

﴿دَاخِرِينَ﴾ أي: صاغرين.



(١) أخرجه أحمد (٩٧٠١)، والترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، والحاكم (١٨٠٧) وصححه، من حديث أبي هريرة ﷺ، قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ١٥٤): «وهذا إسناد لا بأس به».

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

﴿٦١﴾ ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ ذكر في «يونس»[1].

﴿٦٤﴾ ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني: المستلَذَّات؛ لأنه إذا جاء ذكر الطيبات في معرض الإنعام فيراد به المستلذات، وإذا جاء في معرض التحليل والتحريم فيراد به الحلال[2].

﴿٦٥﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا متصلٌ بما قبله، قال ذلك ابن عطية[3] والزمخشري[4]، وتقديره: ادعوه مخلصين قائلين: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: من قال: «لا إله إلا الله» فليقل: «الحمد لله رب العالمين»[5]. ويَحتمل أن يكون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ استئنافًا.

﴿٦٧﴾ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أراد الجنس، ولذلك أفرد لفظه مع أن الخطاب لجماعة.

---

(١) انظر تفسير الآية (٦٧).

(٢) انظر التعليق على تفسير الآية رقم (٥) من سورة المائدة.

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٤٥٤).

(٤) الكشاف (١٣/ ٥٤٠).

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٥٧)، والحاكم (٣٦٣٩) وصححه ووافقه الذهبي.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ ذُكِر الأَشُدُّ في سورة «يوسف»[1] ﷺ. واللام تتعلَّق بفعل محذوف تقديره: ثم يُبقيكم لتبلغوا. وكذلك ﴿لِتَكُونُواْ﴾. وأما ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ فمتعلِّقٌ بمحذوف آخر تقديره: فَعل ذلك بكم لتبلغوا أجلًا مسمىٰ، وهو الموت، أو يوم القيامة.



(١) انظر تفسير الآية (٢٢).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ۝٦٩ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ۝٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ۝٧٣ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ۝٧٤ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٥ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝٧٦ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ۝٧٧﴾

۝٦٩ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ **يعني**: كفار قريش. **وقيل**: هم أهل الأهواء، كالقدرية وغيرهم، وهذا مردود بقوله: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ ، إلَّا إن جعلته منقطعًا مما قبله، وذلك بعيد.

۝٧١ ۝٧٢ ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ العامل في ﴿إِذِ﴾: ﴿يَعْلَمُونَ﴾. وجعل الظَّرف الماضيَ موضعَ المستقبل؛ لتحقُّق الأمر.

﴿يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِي الْحَمِيمِ﴾ **أي**: يُجَرُّون، **والحميم**: الماء الشديد الحرارة.

﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ هو من قولك: سجَرتُ التنُّور: إذا ملأتَه بالنار، **فالمعنى**: أنهم يدخلون فيها كما يدخل الحطب في التنور، ولذلك قال مجاهد في تفسيره: توقد بهم النار(١).

۝٧٤ ﴿تَمْرَحُونَ﴾ مِن المرَح، وهو الأشَرُ والبطَر، **وقيل**: الفخر والخيلاء.

۝٧٥ ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ **إن قيل**: قياس النظم أن يقول: «بئس مدخل الكافرين»؛ لأنه تقدَّم قوله: ﴿ادْخُلُوا﴾؟ **فالجواب**: أن الدخول المؤقت بالخلود في معنىٰ الثَّوَاء.

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٦٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٩).

(٧٦) ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ أصل ﴿إِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾: «إِنْ نُرِكَ»[١] ودخلت «ما» الزائدة بعد «إنْ» الشرطية.

وجواب الشرط محذوفٌ، تقديره: إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب قرَّت عينك بذلك، وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا يرجعون، فننتقم منهم أشدَّ الانتقام.

(٧٧) ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ روي عن النبي ﷺ: «أن الله تعالىٰ بعث ثمانية آلاف رسول»[٢]، وفي حديث آخر: «أربعة آلاف»[٣]، وفي حديث أبي ذر ﷺ: «إن الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، وأن الرسل منهم ثلاث مئة وثلاثة عشر»[٤]؛ فذكر الله بعضهم في القرآن، فهم الذين قصَّ عليه، ولم يذكر سائرَهم فهم الذين لم يَقصُص عليه.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ﴾ قال الزمخشري: أمر الله: القيامة[٥]. وقال ابن عطية:

---

(١) في النسخ الخطية هكذا: «إِنْ نُرِيكَ» بإثبات الياء، والمثبت هو الصواب نحْويًّا، وهو موافق لعبارة الكشاف (١٣/ ٥٤٧)؛ لأن الفعل مجزومٌ بأداة الشرط، وهو معتلٌّ، فيحذف منه حرف العلة في حالة الجزم

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ الموصلي في مسنده (٧/ ١٥٩) عن أنس ﷺ مرفوعًا بلفظ: «بعث الله ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف إلىٰ بني إسرائيل، وأربعة آلاف إلىٰ سائر الناس»، وضعفه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٧٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٨٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٣٣)، وأخرجه الطبري (٢٠/ ٣٦٨)، والحاكم (٤١٦٧)، والطبراني في الأوسط (١/ ٢٣٦) عن أنس ﷺ أنه قال: «بُعث رسول الله ﷺ بعد ثمانية آلاف من الأنبياء منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل»، وضعفه الذهبي، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٨٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٣٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٦٨) عن سلمان الفارسي ﷺ عن النبي ﷺ، تفرد به الطبري، ولم أقف عليه عند غيره، وفي إسناده من لم أجد لهم ترجمة.

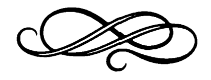
(٤) أخرجه ابن حبان (٣٦١) في ضمن حديث طويل، قال السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٣٢): «أخرجه ابن حبان في صحيحه، وابن الجوزي في الموضوعات وهما في طرفي نقيض، والصواب أنه ضعيف لا صحيح ولا موضوع كما بينته في مختصر الموضوعات».

وأخرجه أحمد (٢٢٢٨٨)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢٥٩) من حديث أبي أمامة ﷺ أن أبا ذر سأل النبي ﷺ. وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٩٣). وأخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٨٣) عن أبي أمامة ﷺ أنه سأل النبي ﷺ، وضعفه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٧٠). وأخرجه الحاكم (٣٠٣٩) عن أبي أمامة ﷺ ولفظه: قالوا: يا رسول الله، كم كانت الرسل؟ قال: «ثلاث مائة وخمس عشرة جما غفيرا». وصححه علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٥) الكشاف (١٣/ ٥٥٠).

المعنىٰ: إذا أراد الله إرسال رسول قضَىٰ ذلك[1]. **ويحتمل أن يريد بأمر الله: إهلاكَ** المكذبين للرسل لقوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿هُنَالِكَ﴾ في الموضعين: يراد به الوقت والزمان، وأصله ظرف مكان، ثم وضع موضع ظرف الزمان.



(١) المحرر الوجيز (٧/ ٤٥٨).

*﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿٧٨﴾ ﴿الْأَنْعَامَ﴾ هي الإبل والبقر والضأن والمعْز. فقوله: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ يعني: الإبل، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني: اللحوم، والمنافع: اللبن والصوف وغير ذلك، ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً﴾ يعني: قطْعَ المسافات البعيدة، وحَمْل الأثقال علىٰ الإبل.

و﴿تُحْمَلُونَ﴾ يريد: الركوب عليها، وإنما كرَّره بعد قوله: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾؛ لأنه أراد بالركوب الأول: المتعارفَ في القرىٰ والبلدان، وبالحمل عليها: الأسفارَ البعيدة، قاله ابن عطية[١].

﴿٨٠﴾ ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ هذا عمومٌ بعد ما قدَّم من الآيات المخصوصة، ولذلك وبَّخهم بقوله: ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾.

﴿٨٢﴾ ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ الضمير يعود علىٰ الأمم المكذبين[٢]، وفي تفسير عِلْمِهم وجوهٌ:

أحدها: أنه ما كانوا يعتقدون من أنهم لا يُبعثون ولا يُحاسبون.

والثاني: أنه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٤٥٩).

(٢) في ب، ج: «المذكورين».

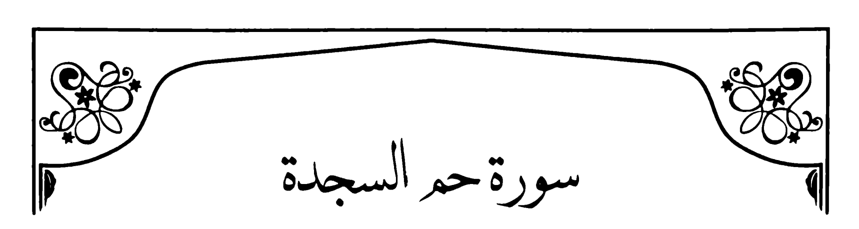
والثالث: أنه علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم الشرائع.

وقيل: الضمير يعود على الرسل، أي: فرحوا بما أعطاهم الله من العلم بالله وشرائعه، أو بما عندهم من العلم بأن الله ينصرهم على من كذَّبهم. وأما الضمير في: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ فيعود على الكفار باتفاق، ولذلك ترجَّح[1] أن يكون الضمير في ﴿فَرِحُواْ﴾ يعود عليهم؛ ليتَّسق الكلام.

(٨٤) ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ نصْبٌ على المصدرية.



(١) في د: «وذلك يرجِّح».



سورة حم السجدة

جمٓ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾

﴿٣﴾ ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي: بُيِّنت، وقيل: قُطِّعت إلىٰ سورٍ وآيات.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ منصوبٌ بفعل مضمر علىٰ التَّخصيص[1]، أو حالٌ، أو مصدرٌ.

﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ معناه: يعلمون الأشياء ويعقلون الدلائل إذا نظروا فيها، وذلك هو العلم الذي يوجب التكليف، وقيل: معناه: يعلمون الحق، وهو الإيمان. فالأول عامٌّ، وهذا خاصٌّ، والأول أولىٰ؛ لقوله: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾؛ لأن الإعراض ليس من صفة المؤمنين.

وقيل: يعلمون لسان العرب فيفهمون القرآن؛ إذ هو بلغتهم. وقوله: ﴿لِّقَوْمٍ﴾ يتعلَّق: بـ ﴿تَنزِيلٌ﴾، أو بـ ﴿فُصِّلَتْ﴾.

والأحسن أن يكون صفة لـ ﴿كِتَٰبٌ﴾.

﴿٤﴾ ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: لا يَقبلون ولا يُطيعون، وعبَّر عن ذلك بعدم السَّماع علىٰ وجه المبالغة.

---

(١) عبارة الكشاف (١٣/ ٥٥٩): «علىٰ الاختصاص والمدح، أي: أريد بهذا الكتاب المفصَّل قرآنًا من صفته كيت وكيت».

(٤) ﴿فِيٓ أَكِنَّةٍ﴾ جمع كِنانٍ، وهو الغطاء.

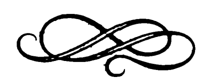
﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ عبارةٌ عن بُعْدِهم عن الإسلام.

﴿فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ **قيل**: معناه: اعمل على دينك، إننا عاملون على ديننا، فهو مُتارَكةٌ. **وقيل**: اعمل في إبطال أمرنا، إننا عاملون في إبطال أمرك، فهو تهديدٌ.

(٦) ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هي زكاة المال، وإنما خصَّها بالذكر؛ لصعوبتها على الناس، ولأنها من أركان الإسلام. **وقيل**: يعني بالزكاة: التوحيدَ، وهذا بعيدٌ، وإنما حمله على ذلك أن الآيةَ مكيةٌ، ولم تُفرض الزكاة إلَّا بالمدينة.

والجواب: أن المراد: النفقة في طاعة الله مطلقًا، وقد كانت مأمورًا بها بمكة.

(٧) ﴿أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ أي: غير مقطوع، من قولك: مننتُ الحبل: إذا قطعتَه. **وقيل**: غير منقوص، **وقيل**: غير محصور، **وقيل**: لا يُمَنُّ عليهم به؛ لأن المنَّ يُكدِّر الإحسان.



*قُلَ اَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالذِے خَلَقَ اَلاَرْضَ فِے يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَاداًۖ ذَٰلِكَ رَبُّ اُ۬لْعَٰلَمِينَۖ (٨) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِے أَرْبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَۖ (٩) ثُمَّ اَ۪سْتَوَىٰٓ إِلَى اَ۬لسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلاَرْضِ اِيتِيَا طَوْعاً اَوْ كَرْهاًۖ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَۖ (١٠) فَقَضٰيٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٖ فِے يَوْمَيْنِ وَأَوْحيٰ فِے كُلِّ سَمَآءٍ اَمْرَهَاۖ وَزَيَّنَّا اَ۬لسَّمَآءَ اَ۬لدُّنْي۪ا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظاًۖ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ اُ۬لْعَزِيزِ اِ۬لْعَلِيمِۖ (١١) فَإِنَ اَعْرَضُواْ فَقُلَ اَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةٗ مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ (١٢) إِذْ جَآءَتْهُمُ اُ۬لرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمُۥٓ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ اَ۬للَّهَۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَۖ (١٣) فَأَمَّا عَادٞ فَاسْتَكْبَرُواْ فِے اِ۬لاَرْضِ بِغَيْرِ اِ۬لْحَقِّ وَقَالُواْ مَنَ اَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ اَوَلَمْ يَرَوَاْ اَنَّ اَ۬للَّهَ اَ۬لذِے خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَۖ (١٤) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِے أَيَّامٖ نَّحْسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ اَ۬لْخِزْيِ فِے اِ۬لْحَيَوٰةِ اِ۬لدُّنْي۪اۖ وَلَعَذَابُ اُ۬لاَخِرَةِ أَخْزيٰ وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَۖ (١٥) *وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَاسْتَحَبُّواْ اُ۬لْعَمٜيٰ عَلَى اَ۬لْهُدٜيٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ اُ۬لْعَذَابِ اِ۬لْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَۖ (١٦) وَنَجَّيْنَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَۖ (١٧)

(٨) ﴿أَندَاداً﴾ أي: أمثالًا وأشباهًا من الأصنام وغيرها.

(٩) ﴿رَوَٰسِيَ﴾ يعني: الجبالَ.

﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ أكثرَ خيراتها.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ أي: أرزاقَ أهلها ومعايشَهم[1]. وقيل: يعني: أقوات الأرض من المعادن وغيرها من الأشياء التي بها قِوَام الأرض، والأول أظهر.

﴿فِے أَرْبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ يريد: أن الأربعة كمُلت باليومين الأولَين، فخلَق الأرض في يومين، وجعل فيها ما ذكر في يومين، فتلك أربعة أيام، وخلَق السماوات في يومين فتلك ستة أيام، حسَبما ذكر في مواضع كثيرة من القرآن، ولو كانت هذه الأربعةُ الأيام زيادةً[2] علىٰ

---

(١) في ج: «ومعاشهم».
(٢) في ب: «زائدة».

اليومين المذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانيةَ أيام، بخلاف ما ذكر في المواضع الكثيرة.

﴿سَوَآءً﴾ بالنصب: مصدرٌ، تقديره: استوت استواءً. قاله الزمخشري[١]. وقال ابن عطية: انتصب علىٰ الحال[٢].

﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ قيل: معناه: لمن سأل عن أمرها. وقيل: معناه: للطَّالبين لها، ويعني بالطلب علىٰ هذا: حاجةَ الخلق إليها. وحرف الجر يتعلَّق بمحذوف علىٰ القول الأول، تقديره: يبيِّن ذلك لمن سأل عنه، ويتعلَّق بـ﴿قَدَّرَ﴾ علىٰ القول الثاني.

﴿١٠﴾ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: قصَد إليها. ويقتضي هذا الترتيب: أن الأرض خُلقت قبل السماء. فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النزاعات: ٣٠]؟ فالجواب: أنها خُلقت قبل السماء، ثم دُحِيت بعد ذلك.

﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ روي أنه كان العرش علىٰ الماء، فأَخرج اللهُ من الماء دخانًا، فارتفع فوق الماء، فأَيبس الماءَ فصار أرضًا، ثم خلق السماء من الدخَان المرتفع[٣].

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ هذه عبارةٌ عن لزوم طاعتهما، كما يقول الملِك لمن تحت يده: «افعل كذا شئتَ أو أبيت»، أي: لا بدَّ لك من فعله. وقيل: تقديره: ائتيا طوعًا وإلَّا أتيتما كرهًا. ومعنىٰ هذا الإتيان: تصوُّرُهما علىٰ الكيفية التي أرادها الله. وقوله لهما: ﴿ٱئْتِيَا﴾ مجازٌ، وهو عبارةٌ عن تكوينه لهما[٤]. وكذلك قولهما: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ عبارةٌ عن أنهما لم تمتنعا[٥] عليه حين أراد تكوينَهما، وقيل: بل ذلك كلامٌ حقيقةً، وأنطق الله الأرض والسماء بقولهما: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾. وإنما جَمع ﴿طَآئِعِينَ﴾ جمع العقلاء؛ لوصفهما بأوصاف العقلاء.

---

(١) الكشاف (١٣/ ٥٧٣).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٤٦٦).

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٤٦٢)، وابن أبي حاتم (١/ ٧٤) عن ابن عباس وابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ و ﷺ.

(٤) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٣٤).

(٥) في أ، ب، هـ: «يمتنعا».

﴿١٢﴾ ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ أي: صنعهنَّ، والضمير للسماوات السبع، وانتصابُها على التمييز؛ تفسيرًا للضمير. وأعاد عليها هنا ضمير الجماعة المؤنثة؛ لأنها لا تعقل، فهو كقولك: «الجذوعُ انكسَرْنَ». وجمعها جمع المذكَّر العاقل في قوله: ﴿طَآئِعِينَ﴾؛ لأنه وصفها[1] بالطَّوع، وهو فعل العقلاء، فعاملها[2] معاملتهم، فهو كقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. وأعاد ضمير التثنية في قوله: ﴿قَالَتَآ﴾؛ لأنه جعَل الأرض فرقةً والسماء أخرىٰ[3].

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ أي: أَوحىٰ إلىٰ سُكَّانها من الملائكة، وإليها هي نفسها[4] ما شاء من الأمور، التي بها قِوامها وصلاحها. وأضاف الأمر إليها؛ لأنه فيها.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ يعني: الشمس والقمر والنجوم، وهي زينةٌ للسماء الدنيا، سواءٌ كانت فيها أو فيما فوقها من السماوات.

﴿وَحِفْظًا﴾ تقديره: وحفظناها حفظًا. ويجوز أن يكون مفعولًا من أجله على المعنىٰ، كأنه قال: وخلقنا المصابيح زينةً وحفظًا.

﴿١٣﴾ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ الضمير لقريش.

﴿صَٰعِقَةً﴾ يعني: وقْعةً وأَخْذةً[5] شديدة، وهي مستعارةٌ من صاعقة النار. وقرئ «صَعْقَةً» بإسكان العين[6]، وهي الوَقْعة، من قولك: صَعِقَ الرجلُ.

﴿١٤﴾ ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ معنىٰ ما بين الأيدي: المتقدِّم، ومعنىٰ ما خلف: المتأخِّر. فمعنىٰ الآية: أن الرسل جاؤوهم في الزمان المتقدِّم، واتَّصلت نِذارتهم إلىٰ زمان عاد وثمود، حتىٰ قامت عليهم الحجة، فذلك ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ ، ثم جاءتهم

(١) في أ، ب، هـ: «وصفهما».
(٢) في أ، ب، هـ: «فعاملهما».
(٣) في ب، ج: «فرقة».
(٤) في ب، ج: «بعينها».
(٥) في أ، ب، ج، هـ: «واحدة».
(٦) وهي قراءة النخعي وأبو عبد الرحمن السلمي وابن محيصن. المحرر الوجيز (٧/ ٤٦٩).

رسلٌ آخرون عند اكتمال أعمارهم، فذلك ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ ، **قاله ابن عطية**[١]. **وقال الزمخشري**: معناه: أتوهم من كل جانب، فهو عبارةٌ عن اجتهادهم في التبليغ إليهم[٢]. **وقيل**: أخبَروهم بما أصاب مَنْ قبلهم، فذلك ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ ، وأنذروهم ما يجري عليهم في الزمان المستقبل وفي الآخرة فذلك ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ «**أنْ**»: حرفُ عبارةٍ وتفسير، أو مصدريةٌ، على تقدير: بأن لا تعبدوا إلّا الله.

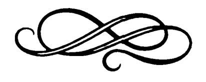
﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ليس فيه اعترافُ الكفار بالرسالة، وإنما معناه: بما أرسلتم على قولكم ودعواكم، وفيه تهكُّمٌ.

(١٥) ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ **قيل**: إنه من الصِّرِّ وهو شدة البرد، فمعناه: باردةً. **وقيل**: إنه من قولك: صَرَّ يَصِرُّ: إذا صوَّت، فمعناه: لها صوت هائل.

﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ معناه: مِن النَّحْس، وهو ضد السَّعْد، **وقيل**: شديدة البرد، **وقيل**: متتابعةٌ، والأول أرجح. وروي أنها كانت آخرَ شوال من الأربعاء إلى الأربعاء[٣].

وقرئ ﴿نَحْسَاتٍ﴾ **بإسكان الحاء وكسرها**[٤]، **فأما الكسر**: فجمع نَحِسٍ، وهو صفة، **وأما الإسكان**: فتخفيفٌ من الكسر، أو صفةٌ على وزن فَعْلٍ، أو وصفٌ بالمصدر.

(١٦) ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ أي: بيَّنا لهم، فهو بمعنى البيان، لا بمعنى الإرشاد.



(١) المحرر الوجيز (٧/ ٤٦٩-٤٧٠).
(٢) الكشاف (١٣/ ٥٨٣).
(٣) ذكره في المحرر الوجيز (٧/ ٤٧٢) وعزاه إلى ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بإسكان الحاء، وقرأ الباقون بكسرها.

وَيَوْمَ نَحْشُرُ أَعْدَآءَ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٣﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٤﴾

﴿١٨﴾ ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُدْفَعون بعنفٍ.

﴿١٩﴾ ﴿وَجُلُودُهُم﴾ هي الجلودُ المعروفة، وقيل: هي كنايةٌ عن الفروج، **والأول أظهر**.

﴿٢١﴾ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ الآيةَ؛ **يحتمل أن يكون**: من كلام الجلود، أو من كلام الله تعالىٰ، أو الملائكة. وفي معناه وجهان:

أحدهما: لم تَقدِروا أن تستتروا من سمعكم وأبصاركم وجلودكم؛ لأنها ملازمةٌ لكم، فلم يمكنْكم احتراسٌ من ذلك، فشهدت عليكم.

والآخر: لم تتحفَّظوا من شهادة سمعكم وأبصاركم وجلودكم لأنكم لم تبالوا بشهادتها، ولم تظنُّوا أنها تشهد عليكم، وإنما استترتم لأنكم ظننتم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون، وهذا أرجح؛ لاتِّساق ما بعده معه، ولما جاء في الحديث الصحيح عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «اجتمع ثلاثة نفر قُرَشيان[1] وثقَفي، أو ثَقَفيان وقرشي[2]، قليلٌ فقهُ قلوبِهم، كثيرٌ شحمُ بطونِهم، فتحدَّثوا بحديثٍ، فقال أحدهم: أترىٰ الله يسمع ما قلنا؟ فقال الآخر: إنه يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أَخفينا، فقال الآخر: إن كان يسمع منَّا شيئًا

(١) في ج، د، هـ: «قريشيان» والمثبت موافق لما في الرواية.
(٢) في أ، ج، د، هـ: «وقريشي» والمثبت موافق لما في الرواية.

فإنه يسمعه كلَّه، فنزلت الآية»[1].

﴿٢٣﴾ ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي: أهلكَكم، من الرَّدَىٰ بمعنىٰ الهلاك.

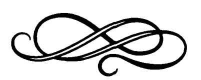
﴿٢٤﴾ ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ هو من العُتْبىٰ بمعنىٰ الرضا، أي: إن طَلبوا العُتْبىٰ ليس فيهم من يُعطاها.

﴿٢٥﴾ ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ أي: يسَّرنا لهم قرناءَ سوءٍ من الشياطين وغُواة الإنس.

﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما تقدَّم من أعمالهم، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما هم عازمون عليه. أو ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة، والتكذيبِ بها.

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: سبَق القضاءُ بعذابهم.

﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ أي: في جملةِ أممٍ، وقيل: ﴿فِىٓ﴾ بمعنىٰ: «مع».



(١) أخرجه البخاري (٤٨١٧)، ومسلم (٢٧٧٥).

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

﴿٢٦﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ **روي أن قائل هذه المقالة أبو جهل لعنه الله**[1].

﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ **المعنىٰ**: لا تسمعوا إليه، وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات، وإنشاد الشعر، وشبه ذلك؛ حتىٰ لا يسمعه أحد، **وقيل**: معناه: قَعُوا فيه وعِيبُوه.

﴿٢٩﴾ ﴿أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ يقولون هذا إذا دخلوا جهنم، فقولهم مستقبلٌ ذُكِر بلفظ الماضي؛ لتحقُّقه. ومعنىٰ ﴿ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾: كلُّ من أغوانا من الجن والإنس. وقيل: المراد: ولدُ آدم الذي سنَّ القتل، وإبليسُ الذي أمر بالكفر والعصيان، وهذا باطل؛ لأن ولدَ آدمَ مؤمنٌ عاصٍ، وإنما طلبَ هؤلاء من أضلَّهم بالكفر.

﴿تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ أي: في أسفل طبقةٍ من النار.

﴿٣٠﴾ ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ **قال أبو بكر الصديق** رضي الله عنه: **المعنىٰ**: استقاموا علىٰ قولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، فصحَّ إيمانهم، ودام توحيدهم[2]. **وقال عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: **المعنىٰ**: استقاموا علىٰ الطاعة وترك المعاصي[3]. **وقول عمر** رضي الله عنه **أكملُ وأحوط، وقول أبي بكر** رضي الله عنه **أرجح**؛

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤١٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٢) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه من قول المشركين، دون تسمية أبي جهل، وقال في المحرر الوجيز (٧/ ٤٧٨): «كأبي جهل وغيره».

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٢٢) وما بعدها، والحاكم (٣٦٤٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٢٥)، ولفظه: «استقاموا -والله- لله بطاعته، ولم يروغوا روَغان الثعالب».

لما روىٰ أنس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وقال: «قد قالها قوم ثم كفروا، فمن مات عليها فهو ممن استقام»[1]. وقال بعض الصوفية: معنىٰ ﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾: أعرضوا عما سوىٰ الله، وهذه حالة الكمال، علىٰ أن اللفظ لا يقتضيها.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعني: عند الموت.

﴿٣١﴾ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ الضمير للآخرة.

﴿مَا تَدَّعُونَ﴾ أي: ما تطلبون.



(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٢٢)، والترمذي (٣٢٥٠) وقال: «حديث غريب»، والنسائي في الكبرىٰ (١١٤٠٦)، والبزار في مسنده (١٣/ ٢٩٨)، وهذا لفظ النسائي، ولفظ غيره: «قد قالها الناس ثم كفر أكثرهم..»، وفي إسناده سهيل بن أبي حزم القُطعي، وهو ضعيف. تقريب التهذيب (٤٢١).

وَمَنَ اَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى اَللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي اِلْحَسَنَةُ وَلَا اَلسَّيِّئَةُ اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا اَلذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّيٰهَآ إِلَّا اَلذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّيٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ اَلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ اَلسَّمِيعُ اُلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنَ ـايَٰتِهِ اِليْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُواْ لِلهِ اِلذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمُۥٓ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ *فَإِنِ اِسْتَكْبَرُواْ فَالذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِاليْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنَ ـايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى اَلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا اَلْمَآءَ اَهْتَزَّتْ وَرَبَتِ اِنَّ اَلذِيٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ اِلْمَوْتَيٰٓ إِنَّهُۥ عَلَيٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ اِنَّ اَلذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَنْ يُّلْقَىٰ فِي اِلنَّارِ خَيْرٌ اَم مَّنْ يَّأْتِيٓ ءَامِناً يَوْمَ اَلْقِيَٰمَةِ اِعْمَلُواْ مَا شِئْتُمُۥٓ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ اِنَّ اَلذِينَ كَفَرُواْ بِالذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَاتِيهِ اِلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ اَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَاناً اَعْجَمِيّاً لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتَ ـايَٰتُهُۥٓ ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَالذِينَ لَا يُومِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى اُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾

﴿٣٣﴾ ﴿وَمَنَ اَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى اَللَّهِ﴾ أي: لا أحدَ أحسنُ قولًا منه، ويدخل في ذلك: كل من دعا إلىٰ عبادة الله أو طاعته علىٰ العموم. وقيل: المراد محمد ﷺ، وقيل: المؤذِّنون، وهذا بعيد؛ لأنها مكية، وإنما شُرِع الأذان بالمدينة ولكنِ المؤذِّنون يدخلون في العموم.

﴿٣٥﴾ ﴿وَمَا يُلَقَّيٰهَآ﴾ الضمير يعود علىٰ الخُلُق الجميل الذي يتضمَّنه قوله: ﴿اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: حظٌّ من العقل والفضل، وقيل: حظٌّ عظيم في الجنة.

﴿٣٦﴾ ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ «إنْ» شرطيةٌ دخلت عليها «ما» الزائدة. ونَزْغُ الشيطانِ: وساوسه وأمره بالسوء.

(٣٦) ﴿ٱلَّذِے خَلَقَهُنَّ﴾ الضمير يعود على الليل والنهار والشمس والقمر؛ لأن جماعة ما لا يعقل كجماعة المؤنث، أو كالواحدة المؤنثة[1]. وقيل: إنما يعود على الشمس والقمر، وجمَعهما لأن الاثنين جمعٌ، وهذا بعيد.

(٣٧) ﴿فَالذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني: الملائكة.

﴿لاَ يَسْـَٔمُونَ﴾ أي: لا يملُّون.

(٣٨) ﴿ٱلاَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ عبارةٌ عن قلة النبات.

﴿إهْتَزَّتْ﴾ ذكر في «الحج»[2].

﴿اِنَّ ٱلذِے أَحْيٰاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتِيٰٓ﴾ تمثيلٌ واحتجاجٌ على صحة البعث.

(٣٩) ﴿اِنَّ ٱلذِينَ يُلْحِدُونَ فِےٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: يطعنون عليها، وهذا الإلحاد هو بالتكذيب. وقيل: باللَّغْوِ فيه، حسَبما تقدَّم في السورة.

﴿أَفَمَنْ يُّلْقِيٰ فِے ٱلنّٰارِ﴾ الآيةَ؛ قيل: إن المراد بالذي يُلقى في النار: أبو جهل، وبالذي يأتي آمنًا: عثمان بن عفان ﷺ، وقيل: عمار بن ياسر ﷺ[3]، واللفظ أعم من ذلك.

﴿إعْمَلُواْ مَا شِئْتُمُۥٓ﴾ تهديدٌ، لا إباحةٌ.

(٤٠) ﴿اِنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ بِالذِّكْرِ﴾ الذكر هنا: القرآن باتفاق. وخبر ﴿اِنَّ﴾ محذوفٌ، تقديره: ضلُّوا، أو هَلَكوا، وقيل: خبرها: ﴿اُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍۢ﴾، وذلك بعيد.

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ أي: كريمٌ على الله، وقيل: منيعٌ من الشيطان.

(٤١) ﴿لاَّ يَاتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ أي: ليس فيما تقدَّمه ما يُبطله، ولا يأتي بعده ما يُبطله. والمراد على الجملة: أنه لا يأتيه الباطل من جهةٍ من الجهات.

---

(١) فيقال: خلقهن، أو خلقها، كما يقال: الأقلام بريتها وبريتهنَّ. انظر: الكشاف (١٣/ ٦١٠).

(٢) انظر تفسير الآية (٥).

(٣) قال مقاتل: نزلت في أبي جهل، وفي عثمان ﷺ، كما في المحرر الوجيز (٧/ ٤٨٨). وأخرج عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ١٥٧) عن بشر بن تميم قال: نزلت أبي جهل وعمار بن ياسر ﷺ.

(٤٢) ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ **في معناه قولان:**

أحدهما: ما يقول الله لك من الوحي والشرائع إلَّا مثل ما قال للرسل من قبلك.

والآخر: ما يقول لك الكفار من التكذيب والأذىٰ إلَّا مثل ما قال الأمم المتقدِّمون لرسلهم، **فالمراد علىٰ هذا**: تسلية النبي ﷺ بالتأسِّي.

والمراد علىٰ القول الأوَّل: أنه ﷺ[1] أتىٰ بما جاءت به الرسل، فلا تُنكَر رسالته.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ **يحتمل** أن يكون مستأنَفًا. أو يكون هو المقول في الآية المتقدِّمة، وذلك علىٰ القول الأوَّل[2]، وأما علىٰ القول الثاني: فهو مستأنَفٌ منقطعٌ مما قبله.

(٤٣) ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ﴾ **الأعجمي**: الذي لا يُفصِح، ولا يُبِين كلامَه، سواءٌ كان من العرب أو من العجم.

والعَجَمي: الذي ليس من العرب، فصيحًا كان أو غير فصيح. **ونزلت الآية** بسبب طعن قريش في القرآن. **فالمعنىٰ**: أنه لو كان أعجميًّا لطعنوا فيه وقالوا: هلَّا كان مُبيَّنًا؟ فظهر أنهم يطعنون فيه علىٰ أي وجهٍ كان.

﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ هذا من تمام كلامهم، والهمزة للإنكار.

والمعنىٰ: أنه لو كان القرآن أعجميًّا لقالوا: أقرآن أعجمي، ورسول عربي، أو مُرسَلٌ إليه عربي؟ **وقيل**: إنما طعنوا فيه؛ لما فيه من الكلمات العَجَمية، كسِجِّين وإستبرق، فقالوا: أقرآن عَجَميٌّ وعربيٌّ؟ أي: مختلط من كلام العرب والعجم، وهذا يجري علىٰ قراءة «أَعَجَمِيٌّ» بفتح العين[3].

﴿فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ عبارةٌ عن إعراضهم عن القرآن، فكأنهم صمٌّ لا يسمعونه. وكذلك ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ عبارةٌ عن قلة فَهمهم له.

(١) في د زيادة: «إنما».

(٢) أي: هذا الاحتمال إنما يجيء علىٰ القول الأول من القولين الواردين في معنىٰ: ﴿ما يقال لك..﴾ الآيةَ.

(٣) قرئ بها في الشاذ، وهي قراءة عمرو بن ميمون. المحرر الوجيز (٧/ ٤٩١).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: عبارةٌ عن قلة فهمهم، فشبَّههم بمن يُنادَىٰ من مكان بعيدٍ، فهو يَسمع الصوت ولا يَفقه ما يُقال.

والثاني: أنه حقيقةٌ في يوم القيامة، أي: ينادون من مكان بعيدٍ؛ ليسمع أهل الموقف توبيخَهم. والأوَّل أليق بالكنايات التي قبله[1].



(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٣٤).

وَلَقَدَ ـاتَيْنَا مُوسَى أَلْكِتَٰبَ فَاخْتُلِفَ فِيهِۖ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۖ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍۖ ﴿٤٤﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحاً فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنَ اسَآءَ فَعَلَيْهَاۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِۖ ﴿٤٥﴾ *إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ أُلسَّاعَةِۖ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنَ اكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنُ انثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۖ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمُۥٓ أَيْنَ شُرَكَآءِےۖ قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍۖ ﴿٤٦﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍۖ ﴿٤٧﴾ لَّا يَسْـَٔمُ أُلِانسَٰنُ مِن دُعَآءِ أُلْخَيْرِۖ وَإِن مَّسَّهُ أُلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌۖ ﴿٤٨﴾ وَلَئِنَ اذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ أُلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيَ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰۖ فَلَنُنَبِّئَنَّ أُلذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍۖ ﴿٤٩﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى أُلِانسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَٰٓـَابِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ أُلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍۖ ﴿٥٠﴾ قُلَ ارَٰٓيْتُمُۥٓ إِن كَانَ مِنْ عِندِ أُللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنَ اضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍۖ ﴿٥١﴾ سَنُرِيهِمُۥٓ ءَايَٰتِنَا فِي أُلْأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمُۥٓ أَنَّهُ أُلْحَقُّۖ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَےْءٖ شَهِيدٌۖ ﴿٥٢﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمُۥٓۖ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَےْءٖ مُّحِيطٌۖ ﴿٥٣﴾

﴿٤٤﴾ ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني: القدَر.

﴿٤٦﴾ ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ أُلسَّاعَةِ﴾ أي: علم زمان وقوعها، فإذا سئل أحدٌ عن ذلك قال: الله هو الذي يعلمها.

﴿مِّنَ اكْمَامِهَا﴾ جمع كِمٍّ -بكسر الكاف-، وهو غلاف الثمرة قبل ظهورها.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمُۥٓ أَيْنَ شُرَكَآءِے﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾ محذوفٌ، والمراد به: يوم القيامة، والضمير للمشركين، وقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِے﴾ توبيخٌ لهم. وأضاف الشركاء إلىٰ نفسه علىٰ زعم المشركين، كأنه قال: الشركاء الذين جعلتم لي.

﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ المعنىٰ: أنهم قالوا: أعلمناك ما منا مَن يَشهد[1] اليوم بأن لك شريكًا؛ لأنهم كفروا يوم القيامة بشركائهم.

(١) في ب، ج، د: «مِن شهيد».

﴿٤٧﴾ ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾ أي: ضلَّ عنهم شركاؤهم، بمعنىٰ: أنهم لم يروهم حينئذ، فـ﴿مَّا﴾ علىٰ هذا موصولة. أو: ضل عنهم قولهم الذي كانوا يقولون من الشرك، فـ﴿مَّا﴾ علىٰ هذا مصدرية.

﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ الظنُّ هنا: بمعنىٰ اليقين، والمحيص: المهرب، أي: علموا أنهم لا مَهرب لهم من العذاب. وقيل: يوقف علىٰ ﴿وَظَنُّواْ﴾ ، ويكون ﴿مَا لَهُم﴾ استئنافًا، وذلك ضعيف.

﴿٤٨﴾ ﴿لَّا يَسْـَٔمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يملُّ من الدعاء بالمال والعافية وشبه ذلك. ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة[١]، وقيل: في غيره من الكفار، واللفظ أعم من ذلك.

﴿٤٩﴾ ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ أي: هذا حقِّي الواجبُ لي وليس تفضُّلًا من الله، ولا يقول هذا إلَّا كافر، ويدلُّ علىٰ ذلك قوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾. وقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ معناه: إن بُعثت تكون لي الجنة، وهذا تخرُّصٌ وتكبُّر.

وروي أن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة[٢].

﴿٥٠﴾ ﴿وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ ذكر في «الإسراء»[٣].

﴿دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ أي: كثير. وذكَر اللهُ هذه الأخلاقَ علىٰ وجه الذَّمِّ لها[٤].

﴿٥١﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ الآية؛ معناها: أخبروني إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به، ألستم في شقاق بعيد؟ فوضع قوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ موضعَ الخطاب لهم.

﴿٥٢﴾ ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ الضمير لقريش، وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الآيات في الآفاق: هي فتح الأقطار للمسلمين، والآيات في أنفسهم: هي

(١) ذكره في المحرر الوجيز (٧/ ٤٩٣) قولًا ولم ينسبه، ونسبه الواحدي في التفسير البسيط (١٩/ ٤٧٥) إلىٰ ابن عباس ﵄.
(٢) انظر الحاشية السابقة.
(٣) انظر (٢/ ٢٩٦)
(٤) في ب، ج: «لهم».

فتح مكة، فجميع ذلك وَعْدٌ للمسلمين بالظهور، وتهديدٌ للكفار، واحتجاجٌ[1] عليهم بظهور الحق وخمول[2] الباطل.

والثاني: أن الآيات في الآفاق: هي ما أصاب الأممَ المتقدمين من الهلاك، وفي أنفسهم: يوم بدر.

والثالث: أن الآيات في الآفاق: هي خِلْقة السماء وما فيها من العبر والآياتِ، وفي أنفسهم: خِلْقة بني آدم، وهذا ضعيف؛ لأنه قال: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾ بسين الاستقبال، وقد كانت السماء وخِلْقةُ بني آدم مرئيةً، والأول هو الراجح.

﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ الضمير للقرآن و[3]الإسلام.

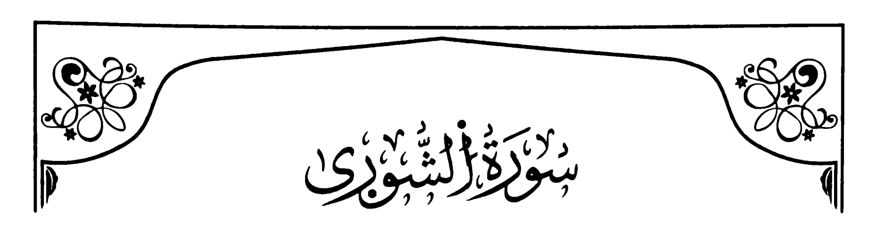
﴿مُّحِيطٌ ۝٥٣﴾ أي: محيطٌ بعلمه وقدرته وسلطانه.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «فجمعَ ذلك وعدًا للمسلمين بالظهور وتهديدًا للكفار واحتجاجًا».

(٢) في د: «وخمود».

(٣) في أ: «أو».



حمٓ عٓسٓقٓ ۝١ كَذَٰلِكَ يُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٣ *يَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤ وَٱلذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرِىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٦ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمُۥٓ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَّشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٧ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٨

۝١ ﴿عٓسٓقٓ﴾ الكلام فيه كسائر حروف الهجاء حسَبما تقدَّم في «البقرة». وحكىٰ الطبري أن رجلًا سأل ابن عباس ﷺ عن ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾، فأعرض عنه، فقال حذيفة ﷺ: إنما كرهها ابن عباس؛ لأنها نزلت في رجلٍ من أهل بيته اسمه عبد الله، يبني مدينةً[1] علىٰ نهر من أنهار المشرق، ثم يَخسف الله بها في آخر الزمان[2]. والرجل علىٰ هذا أبو جعفر المنصور، والمدينة بغداد، وقد ورد في الحديث الصحيح أنها يُخسف بها[3].

(١) في الرواية: يبني مدينتين.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦٤) وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٤)، وتتمة قول حذيفة: «فذلك قوله: ﴿حم عسق﴾ يعني: عزيمة من الله وفتنة وقضاء حُمَّ، عين: يعني عدلا منه، سين: يعني سيكون، وقاف: يعني واقع بهاتين المدينتين». وقال ابن كثير في تفسيره (٧/ ١٨٩): «وقد روىٰ ابن جرير هاهنا أثرا غريبا عجيبا منكرا» وذكره.

(٣) لعله يقصد الحديث الذي عند مسلم (٢٩٠١) عن حذيفة بن أسيد الغفاري مرفوعًا: «إن الساعة لا تكون حتىٰ تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب..» الحديث.

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ﴾ **الكاف**: نعتٌ لمصدر محذوف[١]، والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلىٰ ما تضمَّنه القرآن أو[٢] السورة. **وقيل**: الإشارة إلىٰ: ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾؛ فإن الله أنزل هذه الأحرف بعينها في كل كتاب أنزله، وفي صحة هذا نظرٌ.

﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ اسم ﴿ٱللَّهُ﴾ فاعلٌ بـ﴿يُوحِيٓ﴾، وأما علىٰ قراءة ﴿يُوحَىٰٓ﴾[٣] بالفتح فهو فاعلٌ بفعل مضمر، دلَّ عليه ﴿يُوحَىٰٓ﴾، كأنَّ قائلًا قال: «من الذي أوحىٰ؟» فقيل: «الله».

﴿٥﴾ ﴿يَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ أي: يتشقَّقْنَ من خوف الله وتعظيم جلاله. **وقيل**: من قول الكفار: «اتخذ الله ولدًا»، فهي كالآية التي في «مريم». **قال ابن عطية**[٤]: وما وقع للمفسِّرين هنا من ذكر الثِّقَل ونحوه مردودٌ؛ لأن الله تعالىٰ لا يوصف به[٥].

---

(١) أي: مثل الإيحاء السابق. البحر المحيط (١٩/ ٦).

(٢) في ب، ج: «و».

(٣) قرأ ابن كثير بفتح الحاء، والباقون بكسرها.

(٤) المحرر الوجيز (٧/ ٥٠٠)

(٥) [**التعليق ٩٨**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: قوله: «وقيل: من قول الكفار» إلخ، هذا المعنىٰ صحيح؛ لدلالة آية سورة مريم عليه، ولكن تفسير هذه الآية به ضعيف؛ لأنه لا ذكر لقول الكفار في هذه الآية من سورة الشورىٰ، فالصواب في هذه الآية هو القول الأول؛ لتقدم قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وقوله: «قال ابن عطية: وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثقل» إلخ، أقول: جزْمُ ابن عطية بنفي الثقل عن الله فيه نظر؛ لأنه لم يذكر علىٰ النفي دليلا، والظاهر أن نفي الثقل عند ابن عطية ونحوه مبنيٌّ علىٰ نفي الجسم عن الله عندهم، وهو -أعني الجسم- لم يرد في الكتاب ولا في السنة نفيه ولا إثباته، ولهذا فأهل السنة لا يطلقونه نفيا ولا إثباتا؛ لأنه لم يرد فيه شيء، ولأنه لفظ مجمل يحتمل حقًّا وباطلا، ولذا يوجبون الاستفصال عن مراد من تكلم به؛ فإن أراد حقًّا قبل، وإن أراد باطلا ردَّ. وأما الثِّقل فلا أعلم أنه ورد مرفوعا عن النبي ﷺ إلا حديث الأطيط، وفيه: «وإن له أطيطا كأطيط الرحل الجديد إذا رُكِب من ثقله»، أي: الكرسي، كما في حديث عبد الله بن خليفة عند ابن جرير، وفي معناه حديث جبير بن مطعم في العرش عند أبي داود (٤٧٢٦) وغيره.

لكن جاء في بعض الآثار عن ابن عباس وغيره في تفسير هذه الآية أنه قال: ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾: قال: «يعني من ثقل الرحمن وعظمته تبارك وتعالىٰ» رواه ابن جرير، وهو ما أشار إليه ابن عطية، ومثل هذه الآثار لا تكفي في إثبات صفة لذاته تعالىٰ، فيجب التوقف عن إضافة الثِّقل إلىٰ الله تعالىٰ، إثباتا أو نفيا، ولكن هناك حديث قد يفهم منه إضافة الثقل إلىٰ الله، وهو قوله ﷺ: «لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد، حتىٰ يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول: قَطْ قط وعزتك، ويُزوىٰ بعضها إلىٰ بعض» [أخرجه البخاري (٦٦٦١) ومسلم (٢٨٤٨) عن أنس ﷺ].

﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ الضمير للسماوات، والمعنىٰ: يتشقَّقن من أعلاهن، وذلك مبالغةٌ في التهويل. وقيل: الضمير للأرَضين، وهذا بعيد. وقيل: الضمير للكفار، كأنه قال: من فوق الجماعات الكافرة التي مِن أجْلِ أقوالها تكاد السماوات يتفطَّرن، وهذا أيضًا بعيد.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ هذا عمومٌ يراد به الخصوص؛ لأن الملائكة إنما تستغفر[1] للمؤمنين من أهل الأرض، فهي كقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٦]. وقيل: إنَّ ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ نَسخ هذه الآية، وهذا باطل؛ لأن النسخ لا يدخل في الأخبار. ويَحتمل أن يريد بالاستغفار طلَبَ الحِلم عن أهل الأرض مؤمنِهم وكافرهم، ومعناه: الإمهال لهم، وأن لا يُعاجَلُوا بالعقوبة، فيكون عامًّا.

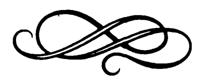
فإن قيل: ما وجه اتِّصال قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ﴾ الآيةَ بما قبلها؟

فالجواب: أنَّا إن فسَّرنا تفطُّر السماوات بأنه مِن عظمة الله؛ فيكون تسبيحُ الملائكة أيضًا تعظيمًا له، فينتظم الكلام، وإن فسَّرنا تفطُّرَها بأنه مِن كفر بني آدم؛ فيكون تسبيح الملائكة تنزيهًا لله تعالىٰ عن كفر بني آدم، وعن أقوالهم القبيحة.

﴿٥﴾ ﴿أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ هي مكة، والمراد: أهلها، ولذلك عَطف عليه ﴿مَنْ حَوْلَهَا﴾ يعني: من الناس.

﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ يعني: يوم القيامة، وسمِّي بذلك؛ لأن الخلائق يجتمعون فيه.

﴿٧﴾ ﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ ﴿أَمِ﴾ منقطعة، والأولياء هنا: المعبودون من دون الله.



(١) في أ، هـ: «يستغفرون».

وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨﴾ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٩﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾ *شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١١﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٢﴾ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٤﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٥﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٦﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٧﴾

﴿٨﴾ ﴿وَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: ما اختلفتم فيه أنتم والكفار من أمر الدين فحكمه إلىٰ الله؛ بأن يعاقب المبطلَ ويثيب المحِقَّ. أو ما اختلفتم فيه من الخصومات فتحاكموا فيه إلىٰ النبي ﷺ، كقوله: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٨].

﴿٩﴾ ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني: الإناثَ.

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ يحتمل أن يريد: الإناثَ، أو الأصناف.

﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ معنىٰ ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾: يخلقكم نسْلًا بعد نسل، وقرنًا بعد قرن، وقيل: يكثِّركم. والضمير المجرور يعود علىٰ الجَعْل الذي تضمَّنه قوله: ﴿جَعَلَ لَكُم﴾، وهذا كما تقول: كلمتُ زيدًا كلامًا أكرمتُه فيه. وقيل: الضمير للتَّزويج الذي دلَّ عليه قوله:

﴿أَزْوَٰجاً﴾. وقال الزمخشري: تقديره: يذرؤكم في هذا التدبير، وهو أنْ جَعَل الناس والأنعام أزواجًا[1]. والضمير في ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ خطابٌ للناس والأنعام، غلَّب فيه العقلاء علىٰ غيرهم.

فإن قيل: لم قال: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ﴾ وهلَّا قال: «يذرؤكم به»؟

فالجواب: أن هذا التدبير جُعِلَ كالـمَنبَع والمعدِن للبثِّ والتكثير. قاله الزمخشري[2].

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ﴾ تنزيهٌ لله تعالىٰ عن مشابهة المخلوقين[3]. قال كثيرٌ من الناس: الكاف زائدة للتأكيد، والمعنىٰ: ليس مثلَه شيء. وقال الطبري وغيره: ليست بزائدة، ولكن وضع ﴿مِثْلِهِۦ﴾ موضع «هو»، والمعنىٰ: ليس كهو شيء[4]. قال الزمخشري: وهذا كما تقول: «مثلُك لا يَبخلُ»، والمراد: أنت لا تبخل، فنفَىٰ البخل عن مثله والمراد نفيُه عن ذاته[5].

---

(١) الكشاف (١٤/ ٢١).

(٢) الكشاف (١٤/ ٢١).

(٣) [التعليق ٩٩] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قوله: «عن مشابهة المخلوقين» أقول: معلوم بالضرورة أن الله منزَّه عن أن يشابه أحدا من المخلوقين، وعن أن يشابهه أحدٌ من المخلوقين، ونفيُ أيٍّ واحد منهما يستلزم نفي الآخر، ولكن الذي صرَّحت بنفيه نصوص القرآن هو تشبيه المخلوق بالخالق؛ فمن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ أي: ليس شيء من الموجودات مثلَه، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي: ليس أحد من الخلق كفوا له، أي: مثلا له، ومن ذلك نفي الند والسَّميِّ، كقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أي: شبيها أو نظيرا من خلقه، وقوله سبحانه: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: لا تجعلوا لله نظراء في استحقاق الإلاهية، ولم يأت نصٌّ في نفي أن يكون تعالىٰ مِثلا لبعض خلقه، ولكن نفي الأول يستلزم نفي الثاني، ولعل تصريح الآيات بنفي الأول، أي: مماثلة المخلوق للخالق؛ لأنه هو الواقع من المشركين، فكل من عبد مع الله غيره فقد جعله مثلا لله، ومن ذلك شرك النصارىٰ؛ فإنهم جعلوا المسيح إلها، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾. فقول ابن جزي في الآية: «تنزيهٌ لله تعالىٰ عن مشابهة المخلوقين» أقول: هذا ما تدل عليه الآية بطريق اللزوم، أما منطوق الآية فهو تنزيه الله أن يماثله شيء من المخلوقين، فلو قال ابن جزي: تنزيه لله أن يماثله شيء من المخلوقين، كان أولىٰ؛ ليوافق منطوق الآية، والآية دالة علىٰ نفي التشبيه بنوعيه؛ فتدل علىٰ نفي الأول بدلالة المنطوق، وعلىٰ نفي الثاني: بطريق اللزوم، كما تقدم، ومع ذلك فعبارة ابن جزي تحتمل المعنيين؛ لجواز إضافة المصدر إلىٰ فاعله وإلىٰ مفعوله.

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧٦).

(٥) الكشاف (١٤/ ٢٣).

﴿١٠﴾ ﴿مَقَالِيدُ﴾ قد ذكر[١].

﴿١١﴾ ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ اتفق دين محمدٍ ﷺ مع جميع الأنبياء في أصول الاعتقادات، وذلك هو المراد هنا، ولذلك فسَّره بقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ يعني: إقامة الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وكتبه وبالدار الآخرة. وأما الأحكام الفروعية؛ فاختلفت فيها الشرائع، فليست تراد هنا.

﴿أَنْ أَقِيمُواْ﴾ يَحتمل أن تكون ﴿أَنْ﴾ : في موضع نصبٍ، بدلًا من قوله: ﴿مَا وَصَّىٰ﴾ ، أو في موضع خفضٍ، بدلًا من ﴿بِهِۦ﴾ ، أو في موضع رفعٍ على خبر ابتداء مضمر، أو تكون مفسِّرةً لا موضع لها من الإعراب.

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: صَعُبَ الإسلامُ على المشركين.

﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ الضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ : يعود على الله تعالى، وقيل: على الدين.

﴿١٢﴾ ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ يعني: أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ يعني: القضاء السابق بأن لا يُفصَل بينهم في الدنيا.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ يعني: المعاصرين لمحمد ﷺ من اليهود والنصارى. وقيل: يعني: العرب، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ على هذا: هو القرآن.

﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ الضمير: للكتاب، أو للدين، أو لمحمد ﷺ.

﴿١٣﴾ ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾ أي: إلى ذلك الذي شرَع اللهُ ادعُ الناسَ، فاللام بمعنى «إلى». والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾، أو إلى قوله: ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾. وقيل: إن اللام بمعنى: «مِن أَجْل»، والإشارة إلى التفرُّق والاختلاف، أي: لأجل ما حدث من التفرق ادعُ إلى الله، وعلى هذا: يكون قوله: ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾ معطوفًا، وعلى الأول: يكون مستأنَفًا، فيوقف على ﴿فَٱدْعُ﴾.

﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ أي: دُمْ على ما أُمرت به من عبادة الله وطاعته وتبليغ رسالته.

(١) انظر تفسير الآية (٦٠) في سورة الزمر.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ الضمير للكفار، و﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾ : ما كانوا يحبُّون من الكفر والباطل كله.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ قيل: يعني: العدلَ في الأحكام إذا تخاصموا إليه.

ويَحتمل أن يريد العدل في دعائهم إلىٰ دين الإسلام، أي: أمرتُ أن أحملكم علىٰ الحق.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي: لا جدال ولا مناظرة؛ فإن الحق قد ظهر وأنتم تعاندون.

﴿١٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾ أي: يجادلون المؤمنين في دين الله. ويعني: كفار قريش، وقيل: اليهود.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ الضمير يعود علىٰ ﴿ٱللَّهِ﴾ ، أي: من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا في دينه.

وقيل: يعود علىٰ الدين، وقيل: علىٰ محمد ﷺ، والأول أحسن وأظهر.

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي: زاهقة باطلة.

﴿١٧﴾ ﴿أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: جنس الكتب[١].

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالواجب، أو متضمِّنًا الحقَّ.

﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ ابن عباس ﷺ وغيره: يعني: العدل[٢]، ومعنىٰ إنزال العدل: إنزال الأمر به في الكتب المنزلة. وقيل: يعني: الميزانَ المعروف.

فإن قيل: ما وجه اتصال ذِكْر الكتاب والميزان بذكر الساعة؟

فالجواب: أن الساعة يوم الجزاء والحساب، فكأنه قال: اعدلوا وافعلوا الصَّواب قبل اليوم الذي تحاسَبون فيه علىٰ أعمالكم.

﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ جاء ﴿قَرِيبٌ﴾ بالتذكير؛ لأن تأنيث الساعة غير حقيقي، ولأن المراد به وقتُ الساعة.

---

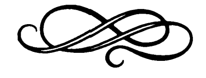
(١) في ب، هـ: «الكتاب».

(٢) نسبه إليه الثعلبي (٢٣/ ٣٣٩)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٧/ ٥٠٨).

(١٨) ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾ أي: يطلبون تعجيلها؛ استهزاءً بها، وتعجيزًا للمؤمنين.

﴿يُمَارُونَ﴾ أي: يجادلون ويخالفون.

(١٩) ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَآءُ﴾ يعني: الرزقَ الزائد علىٰ المضمون لكل حيوان في قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] أي: ما تقوم به الحياة، فإن هذا علىٰ العموم لكل حيوانٍ طولَ عمره، والزائد خاصٌّ بمن شاء الله.



*مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيا نُوتِهِۦ مِنْهَاۖ وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿١٨﴾ اَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَاذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۖ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۖ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴿١٩﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْۖ وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۖ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُۖ ﴿٢٠﴾ ذَٰلِكَ ٱلذِے يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۖ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً اِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰۖ وَمَن يَّقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْناًۖ اِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌۖ ﴿٢١﴾ اَمْ يَقُولُونَ إِفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباًۖ فَإِنْ يَّشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۖ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِۖ ﴿٢٢﴾ وَهُوَ ٱلذِے يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَۖ ﴿٢٣﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۖ وَالْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ ﴿٢٤﴾ *وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْاَرْضِۖ وَلَٰكِن يُّنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۖ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌۖ ﴿٢٥﴾ وَهُوَ ٱلذِے يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۖ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُۖ ﴿٢٦﴾ وَمِنَ ـايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمُۥٓ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌۖ ﴿٢٧﴾

﴿١٨﴾ ﴿حَرْثَ ٱلْاخِرَةِ﴾ عبارةٌ عن العمل لها، وكذلك ﴿حَرْثَ ٱلدُّنْيا﴾. وهو مستعارٌ من حرث الأرض؛ لأن الحارث[1] يعمل وينتظر المنفعة مما[2] عمل.

﴿نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ﴾ عبارةٌ عن تضعيف الثواب.

﴿نُوتِهِۦ مِنْهَا﴾ أي: نؤته منها ما قُدِّر له؛ لأن كل أحدٍ لا بد أن يصل إلىٰ ما قُسِم له.

﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ هذا[3] للكفار، أو لمن كان يريد الدنيا خاصةً، ولا رغبة له في الآخرة.

﴿١٩﴾ ﴿اَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ ﴿اَمْ﴾ منقطعة للإنكار والتوبيخ. والشُّركاء: الأصنام وغيرها،

(١) في أ: «الحراث».
(٢) في أ، د: «بما».
(٣) في ب، ج: «تهديدٌ».

وقيل: الشياطين.

﴿شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ الضمير في ﴿شَرَعُواْ﴾: للشركاء، وفي ﴿لَهُم﴾: للكفار، **وقيل** بالعكس، **والأول أظهر**. و ﴿لَمْ يَأْذَنۢ﴾ بمعنىٰ: لم يأمر. **والمراد**: ما شرعوا من البواطل[1] في الاعتقادات، وفي الأعمال، كالبَحيرة والوَصيلة وغير ذلك.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي: لولا القضاء السابق بأن لا يُقضَىٰ بينهم في الدنيا لقُضِي بينهم فيها.

﴿٢٢﴾ ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ **يعني**: في الآخرة.

﴿٢٣﴾ ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ تقديره: يبشِّر به، وحُذف الجار والمجرور.

﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ **فيه أربعة أقوال**:

الأول: أن ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بمعنىٰ القرابة، و﴿فِى﴾ بمعنىٰ: «مِن أجْل»، **والمعنىٰ**: لا أسألكم عليه أجرًا إلَّا أن تَوَدُّوني لأجل القَرابة التي بيني وبينكم، **فالقصد علىٰ هذا**: استعطاف قريش، ولم يكن فيهم بطنٌ إلَّا وبينه وبين النبي ﷺ قرابة.

الثاني: أن ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بمعنىٰ الأقارب؛ أي: ذوي القربىٰ، **والمعنىٰ**: إلَّا أن تودُّوا[2] أقاربي وتحفظوني فيهم، **والقصد علىٰ هذا**: وصيةٌ بأهل البيت.

الثالث: أن ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قرابةُ الناس بعضهم من بعض، **والمعنىٰ**: أن تودُّوا أقاربَكم، **والقصد علىٰ هذا**: وصيةٌ بصلة الأرحام.

الرابع: أن ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ التقرُّب إلىٰ الله، **والمعنىٰ**: إلَّا أن تتقربوا إلىٰ الله بطاعته.

والاستثناء علىٰ القول الثالث والرابع: منقطعٌ. **وأما علىٰ الأول والثاني**: فيَحتمل الانقطاعَ؛ لأن المودَّة ليست بأجر[3]، ويَحتمل الاتِّصالَ علىٰ المجاز، كأنه قال: لا أسألكم عليه أجرًا إلَّا المودَّة، فجعَل المودة كالأجر[4].

---

(١) في ب، ج، هـ: «الباطل».

(٢) في ب: «أن لا تؤذوا».

(٣) في أ: «بأجرة».

(٤) في أ: «كالأجرة».

﴿يَقْتَرِفْ﴾ أي: يكتسب.

﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ يعني: مضاعفةَ الثواب.

(٢٤) ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعةٌ للإنكار والتوبيخ.

﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ في المقصد بها[1] قولان:

أحدهما: أنه ردٌّ على الكفار في قولهم: ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، أي: لو افتريتَ على الله كذبًا لختم على قلبك، لكنك لم تفترِ على الله كذبًا؛ فقد هداك وسدَّدك.

والآخر: أن المراد: إن يشأ الله يختم على قلبك بالصبر على أقوال الكفار، واحتمال أذاهم.

﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ هذا فعل مستأنَفٌ غير معطوف على ما قبله؛ لأن الذي قبله مجزومٌ، وهذا مرفوعٌ[2]؛ فيوقف على ما قبله ويبتدأ به. وفي المراد به وجهان:

أحدهما: أنه من تمام ما قبله، أي: لو افتريت على الله كذبًا لختم على قلبك ومحا الباطل الذي كنت تفتريه لو افتريتَ.

والآخر: أنه وعدٌ لرسول الله ﷺ بأن يمحوَ الله الباطلَ وهو الكفر، ويُحقَّ الحقَّ وهو الإسلام.

(٢٥) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ ﴿عَنْ﴾ هنا: بمعنى «مِن»، وكأنه قال: التوبةَ الصادرة عن عباده. وقَبول التوبة على ثلاثة أوجه:

أحدها: التوبة من الكفر، فهي مقبولة قطعًا.

والثاني: التوبة من مظالم العباد، فهي غير مقبولة حتى يردَّ المظالم أو يستحلَّ منها.

والثالث: التوبة من المعاصي التي بين العبد وبين الله، فالصحيح: أنها مقبولة؛ بدليل هذه الآية، وقيل: هي في المشيئة.

---

(١) في ب، ج، د: «بهذا».

(٢) وحُذفت الواو خطًّا لا معنى، كما حذفت في ﴿ويدعُ الإنسان﴾ و﴿سندعُ الزبانية﴾. المحرر الوجيز (٧/ ٥١٤)، والكشاف (١٤/ ٥٣).

﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ **العفو مع التوبة**: علىٰ حسَب ما ذكرنا. **وأما العفو دون التوبة: فهو علىٰ أربعة أقسام:**

الأول: العفو عن الكفر، وهو لا يكون أصلًا.

والثاني: العفو عن مظالم العباد، وهو كذلك.

والثالث: العفو عن الذنوب الصغائر إذا اجتُنبت الكبائر، وهو حاصلٌ باتفاق.

والرابع: العفو عن الكبائر: **فمذهب أهل السنة**: أنه في المشيئة، **ومذهب المعتزلة**: أنها لا تغفر إلا بالتوبة.

(٢٤) ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن معنىٰ ﴿يَسْتَجِيبُ﴾: يجيب، و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مفعول، والفاعل ضمير يعود علىٰ الله تعالىٰ، أي: يُجيبُهم فيما يطلبون منه. **وقال الزمخشري**: أصله: «يستجيب للذين آمنوا» فحذف اللام[1].

والثاني: أن معناه: يجيب، و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فاعل؛ أي: يستجيب المؤمنون لربهم باتِّباع دينه.

والثالث: أن معناه: يطلب المؤمنون الإجابةَ من ربهم، و«استفعَلَ» علىٰ هذا: علىٰ بابه من الطلب. **والأول أرجح**؛ لدلالة قوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾؛ ولأنه قول ابن عباس ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم[2].

﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أي: يزيدهم ما لم يطلبوا زيادةً علىٰ الاستجابة فيما طلبوا، وهذه الزيادة روي عن النبي ﷺ أنها الشفاعة والرِّضوان[3].

---

(١) الكشاف (١٤/ ٥٦).

(٢) قول ابن عباس رضي الله عنه أخرجه الثعلبي (٢٣/ ٣٧١)، والواحدي في البسيط (١٩/ ٥١٦). وقول معاذ أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٠٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٨)، والحاكم (٣٦٦١) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٢٠٦)-، والطبراني في الأوسط (٦/ ٥٣)، والكبير (١٠/ ٢٤٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في قوله: ﴿ويزيدهم من فضله﴾: «الشفاعة لمن وجبت له النار، ممن صنع إليهم معروفًا في الدنيا». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٧٤): «وفيه إسماعيل بن عبد الله الكندي ضعفه الذهبي من عند نفسه فقال: أتىٰ بخبر منكر، وبقية رجاله وثقوا»، وانظر: لسان الميزان (٢/ ١٤٢).

﴿٢٧﴾ ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بغَىٰ بعضهم علىٰ بعض وطغَوْا؛ لأن الغنىٰ يوجب الطُّغيان. وقال بعض الصحابة: فينا نزلت؛ لأنا نظرنا إلىٰ أموال الكفار فتمنَّيناها[1].

﴿٢٨﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ قيل لعمر ﷺ: اشتدَّ القحط وقَنِطَ الناس، فقال: «الآن يُمطَرون»[2]، وأَخذ ذلك من هذه الآية، ومنه قوله ﷺ: «اشتدِّي أزمة تنفرجي»[3].

﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ قيل: يعني: المطر، فهو تكرارٌ للمعنىٰ الأول بلفظ آخر، وقيل: يعني: الشمس، وقيل بالعموم.

﴿٢٩﴾ ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ لا إشكالَ أنَّ الدوابَّ في الأرض، وأما في السماء: فقيل: يعني: الملائكة، وقيل: يمكن أن يكون في السماء دوابُّ لا نعلمها نحن، وقيل: المعنىٰ: أنه بثَّ في أحدهما، فذكر الاثنين، كما تقول: «في بني فلان كذا» وإنما هو في بعضهم.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ يريد: جمْع الخلْقِ للحشر يوم القيامة.



---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٠٩)، والطبراني -كما في مجمع الزوائد (٧/ ٢٣٠)، والدر المنثور (١٣/ ١٥٨) ولم أقف عليه في معاجمه- عن عمرو بن حريث ﷺ قال: نزلت هذه الآية في أهل الصفة؛ لأنهم تمنوا الدنيا. وصحح إسناده الهيثمي والسيوطي. وأخرجه الحاكم (٣٦٦٣) عن علي ﷺ، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥١١).

(٣) حديث موضوع، قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ١١٦): «حديث: اشتدي أزمة تنفرجي: العسكري في الأمثال، والديلمي، والقضاعي، كلهم من حديث أمية بن خالد حدثنا الحسين بن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده عن علي، قال: كان رسول الله ﷺ يقول، وذكره، والحسين كذاب»، وانظر: لسان الميزان لابن حجر (٣/ ١٧٣).

وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

﴿٣٠﴾ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ المعنى: أن المصائب التي تصيب الناس في أنفسهم وأموالهم إنما هي بسبب الذنوب، قال رسول الله ﷺ: «لا يصيب ابنَ آدم خدْشُ عودٍ أو عثرةُ قدم ولا اختلاج عِرْق إلَّا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر»[1].

وقرئ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ بغير فاء[2]، على أن يكون ﴿مَآ أَصَٰبَكُم﴾ بمعنى: «الذي»، وقرئ بالفاء على أن يكون ﴿مَآ أَصَٰبَكُم﴾ شرطًا.

﴿٣١﴾ ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ قد ذُكِر[3].

﴿٣٢﴾ ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ جمع جارية، وهي السَّفينة.

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥١٤) عن قتادة قال: ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ قال.. الحديثَ، وهو مرسل، قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٦٣): «وهذا الذي أرسله قتادة قد روي متصلا في الصحيح: «والذي نفسي بيده، لا يصيب المؤمن هم ولا حزن، ولا نصب، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها من خطاياه»» ا.هـ. أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣) عن أبي سعيد وأبي هريرة ﷺ، ولفظه للبخاري.

(٢) قرأ نافع وابن عامر بغير فاء، وقرأ الباقون بالفاء.

(٣) انظر تفسير الآية (٢١) في سورة العنكبوت.

﴿كَالْأَعْلَٰمِ﴾ جمع علَم، وهو الجبل.

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ الضمير في ﴿يَظْلَلْنَ﴾ للجواري، وفي ﴿ظَهْرِهِۦٓ﴾ للبحر، أي: لو أراد الله أن يُسكن الرياح لبقيت السُّفن واقفةً على ظهر البحر. **فالمقصد**: تعديدُ النعمة في إرسال الرياح، أو تهديدٌ بإسكانه.

(٣٤) ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ عطفٌ على ﴿يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾، ومعنى ﴿يُوبِقْهُنَّ﴾: يهلكهن بالغرق من شدة الرياح العاصفة، والضمير فيه للسفن، وفي ﴿كَسَبُوا۟﴾ لرُكَّابها من الناس. **والمعنى**: أنه لو شاء لأغرقها بذنوب الناس.

(٣٥) ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ أي: يعلمون أنهم لا مَهْرَب لهم من الله. وقرئ ﴿يَعْلَمُ﴾: بالرفع[1]: على الاستئناف. وبالنصب، واختُلف في إعرابه على قولين:

أحدهما: أنه نصبٌ بإضمار «أنْ» بعد الواو، لما وقَعت بعد الشرط والجزاء؛ لأنه غير واجب. وأنكر ذلك الزمخشري وقال: إنه شاذٌّ؛ فلا ينبغي أن يُحمَل القرآن عليه[2].

والثاني قول الزمخشري: إنه معطوف على تعليلٍ محذوف تقديره: «ليَنتقمَ منهم ويعلمَ»، قال: ونحوُه من المعطوف على التعليل المحذوفِ كثيرٌ في القرآن، ومنه قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢٠][3].

(٣٧) ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ ذكرنا الكبائر في «النساء»[4]. **وقيل**: إن كبائر الإثم: هو الشِّرك، والفواحش: هو[5] الزنا، واللفظ أعم من ذلك.

(٣٨) (٣٩) ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ **قيل: يعني: الأنصار**؛ لأنهم استجابوا لما دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان. **ويظهر لي أن هذه الآيات إشارةٌ إلى ذكر الخلفاء الراشدين** رضي الله عنهم؛ **لأنه بدأ أوَّلًا**

(١) قرأ نافع وابن عامر برفع الميم، وقرأ الباقون بالنصب.
(٢) الكشاف (١٤/ ٧٠-٧١).
(٣) الكشاف (٦٩-٧٠).
(٤) انظر تفسير الآية (٣١).
(٥) في أ: «هي».

بصفات أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم صفات عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم صفات عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم صفات علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكونه جمَع هذه الأوصاف، ورتَّبها علىٰ هذا التَّرتيب يدلُّ علىٰ أنه قَصد بها مَن اتَّصف بذلك.

فأما صفات أبي بكر رضي الله عنه: فقوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وإنما جعلنا هذا صفةَ أبي بكر وإن كان جميعهم متصِفًا بها؛ لأن أبا بكر كانت له فيها مزيَّةٌ لم تكن لغيره، قال رسول الله ﷺ: «**لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح**[1]»[2]، وقال ﷺ: «**أنا مدينة الإيمان، وأبو بكر بابها**»[3]، وقال أبو بكر: «لو كُشف الغطاء ما ازددتُ يقينًا»[4]، والتوكُّل إنما يَقْوىٰ بقوة الإيمان.

وأما صفات عمر رضي الله عنه: فقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ﴾؛ لأن ذلك هو التقوىٰ، وقد قال ﷺ: «**أنا مدينة التقوىٰ، وعمر بابها**»[5]، وقوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾؛ لأن قولَه: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٣] نزلت في عمر رضي الله عنه.

وأما صفات عثمان رضي الله عنه: فقوله: ﴿وَالَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ﴾؛ لأن عثمان رضي الله عنه لما دعاه رسول الله ﷺ إلىٰ الإسلام تبعه، وبادر إلىٰ الإسلام وقوله: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ لأن عثمان رضي الله عنه كان كثير الصلاة بالليل، وفيه نزلت: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ١٠] الآيةَ. وروي عنه أنه كان يُحيي الليل بركعة يقرأ فيها القرآن كلَّه[6]، وقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾؛ لأن عثمان رضي الله عنه ولي الخلافةَ بالشورىٰ، وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾؛ لأن عثمان رضي الله عنه كان كثير النفقة في سبيل الله، ويكفيك أنه جهَّز جيش العُسْرة.

---

(١) في ب، ج: «لرجحهم».

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٥/ ٣٣٥) مرفوعًا، وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٤١٨) من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (١٨١).

وأما صفات عليٍّ ﷺ: فقوله: ﴿وَالذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾؛ لأنه لما قاتلته الفئة الباغية قاتلها انتصارًا للحق، وانظر كيف سمَّىٰ رسول الله ﷺ المقاتلين لعليٍّ ﷺ بالفئةَ الباغية، حسَبما ورد في الحديث الصحيح أنه قال لعمار بن ياسر ﷺ: «تقتلك الفئة الباغية»[1]، فذلك هو البغي الذي أصابه.

وقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ إشارةٌ إلىٰ فعل الحسن بن عليٍّ ﷺ حين بايع معاوية ﷺ، وأسقط حقَّ نفسه ليُصلحَ أحوال المسلمين، ويَحقن دماءهم، قال رسول الله ﷺ في الحسن: «إن ابني هذا سيِّد، ولعلَّ الله أن يُصلِحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[2].

وقوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾، إشارةٌ إلىٰ انتصارِ الحسين بعد موت الحسن ﷺ، وطلبِه للخلافة وانتصارِه من بني أمية.

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ إشارةٌ إلىٰ بني أمية، فإنهم استطالوا علىٰ الناس كما جاء في الحديث عنهم أنهم: «جعلوا عباد الله خَوَلًا، ومال الله دُوَلًا»[3]، ويكفيك من ظلمهم أنهم كانوا يلعنون علي بن أبي طالب ﷺ علىٰ منابرهم.

وقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ الآيةَ؛ إشارةٌ إلىٰ صبر أهل بيت النبي ﷺ علىٰ ما نالهم من الضُّرِّ والذُّلِّ طولَ مدَّة بني أمية.

﴿٣٧﴾ ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ سمَّىٰ العقوبة باسم الذنب، وجعلها مثله[4]؛ تحرُّزًا من الزيادة عليه[5].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧) عن أبي سعيد ﷺ، ومسلم (٢٩١٦) عن أم سلمة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

(٣) أخرجه أحمد (١١٧٥٨)، والحاكم (٨٤٧٩)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٢٧١) والأوسط (٨/ ٦) عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بلغ بنو أبي فلان -وقال الحاكم والطبراني في الصغير: «بنو أبي العاص» وفي الأوسط: «بنو الحكم»- ثلاثين رجلًا، اتخذوا مال الله دولا، ودين الله دخلا، وعباد الله خولا»، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٤٣٤). وأخرجه الحاكم (٨٤٧٨) من حديث أبي ذر ﷺ، وصححه علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٤) في أ، ب، ج: «مثلها».

(٥) في أ: «عليه».

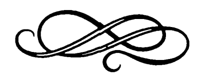
﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ هذا يدلُّ علىٰ أن العفو عن المظلمة أفضل من الانتصار؛ لأنه ضمِن الأجر في العفو، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في قوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾. وقيل: إن الانتصار أفضل، والأول أصحُّ.

فإن قيل: كيف ذكَر الانتصار في صفات المدح في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ والمباح لا مدح فيه ولا ذمَّ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المباح قد يُمدح؛ لأنه قيامٌ بحقٍّ لا بباطل.

والثاني: أن مدح الانتصار لكونه كان بعد الظُّلم تحرُّزًا ممن بدأ بالظلم، فكأنَّ المدحَ إنما هو بترك الابتداء بالظلم.

والثالث: أنه إن كانت الإشارة بذلك إلىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه حسَبما ذكرنا فانتصاره ممدوح[1]؛ لأن قتال أهل البغي واجبٌ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ [الحجرات: ٩].



(١) في ب، ج، د: «محمود».

وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ اللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُۥ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

﴿٤٥﴾ ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على النار.

﴿خَاشِعِينَ﴾ عبارةٌ عن الذل والكآبة.

﴿مِنَ الذُّلِّ﴾ يتعلَّق بـ﴿خَاشِعِينَ﴾، أو بـ﴿يَنظُرُونَ﴾، وعلى هذا عوَّل الزمخشري[1].

﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه عبارةٌ عن الذُّلِّ؛ لأن نظَر الذَّليل بمهانة واستكانة.

والآخر: أنهم يُحشَرون عُمْيًا فلا ينظرون بأبصارهم، وإنما ينظرون بقلوبهم، واستبعد هذا ابن عطية[2] والزمخشري[3].

(١) الكشاف (١٤/ ٨١).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٥٢٧).

(٣) الكشاف (١٤/ ٨٢).

والطَّرْف يَحتمل أن يريد به: العينَ، أو يكون مصدرًا[(١)].

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يتعلَّق بـ﴿قَالَ﴾، أو بـ﴿خَسِرُوٓاْ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الذين آمنوا، أو مستأنَفًا من كلام الله تعالىٰ.

﴿٤٧﴾ ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ ذكر في «الروم»[(٢)].

﴿مِّن نَّكِيرٍ﴾ أي: إنكارٍ، يعني: لا تنكرون أعمالكم.

﴿٤٩﴾ ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا﴾ قدَّم الإناثَ اعتناءً بهنَّ، وتأنيسًا لمن وَهبهنَّ[(٣)] له. قال واثلة بن الأسقع ﵁: مِن يُمْنِ المرأة تبكيرُها بأنثىٰ قبل الذكر؛ لأن الله بدأ بالإناث[(٤)]. وقال بعضهم: نزلت هذه الآية في الأنبياء ﵈، فشعيب ولوط ﵉ كان لهما إناثٌ دون ذكور، وإبراهيم ﵇ كان له ذكور دون إناث، ومحمد ﷺ جمَع الإناث والذكور، ويحيىٰ ﵇ كان عقيمًا[(٥)]. والظَّاهر: أنها علىٰ العموم في جميع الناس؛ إذ كل واحد منهم لا يخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التي ذَكَر. وفي هذه الآية من أدوات البيان: التَّقسيم.

﴿٥١﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الآيةَ؛ بيَّن الله تعالىٰ فيها كلامَه لعباده، وجعله علىٰ ثلاثة أوجه: أحدها: الوحي المذكور أوَّلًا، وهو الذي يكون بإلهام أو بمنام. والآخر: بأن يُسمِعه كلامَه من وراء حجاب. والثالث: الوحي بواسطة الملَك، وهو قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ يعني: ملكًا، ﴿فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ إلىٰ النبي، وهذا خاصٌّ بالأنبياء. والثاني خاصٌّ بموسىٰ وبمحمد صلىٰ الله عليهما وسلم؛ إذ كلَّمه الله ليلة الإسراء. وأما الأول؛ فيكون للأنبياء والأولياء كثيرًا، وقد يكون لسائر الخلق، ومنه ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [النحل: ٦٨]، ومنه منامات الناس.

---

(١) أي: يطرِف طرْفًا خفيًّا. المحرر الوجيز (٧/ ٥٢٧).

(٢) انظر تفسير الآية (٤٢).

(٣) في ب: «وُهِبْنَ».

(٤) ذكره في المحرر الوجيز (٧/ ٥٢٩) من قول واثلة، وعزاه إلىٰ الثعلبي، وأخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٣/ ٣٩٤) بإسناده عن واثلة بن الأسقع يرفعه إلىٰ النبي ﷺ، وإسناده ضعيف جدًّا، فيه من هو متروك الحديث.

(٥) أخرجه الثعلبي (٢٣/ ٣٩٦) بإسناده عن إسحاق بن بشر.

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ قرئ ﴿يُرْسِلُ﴾ و ﴿يُوحِي﴾[١]**: بالرفع: على تقدير: أو هو يرسلُ، وبالنصب: عطفًا على ﴿وَحْيًا﴾؛ لأن تقديره: «أن يوحيَ» فعطفت «أنْ» على «أنْ» المقدَّرة.**

(٥٢) **﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الرُّوح هنا:** القرآن، **والمعنى:** مثلَ هذا الوحي، وهو بإرسال ملَكٍ، أوحينا إليك القرآنَ. **والأمر هنا يحتمل** أن يكون واحد الأمور، أو يكون من الأمر بالشيء.

﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ المقصد بهذا شيئان: أحدهما: تَعداد النعمة عليه ﷺ، بأن علَّمه الله ما لم يكن يعلم. **والآخر:** احتجاجٌ على نبوته؛ لكونه أتى بما لم يكن يعلمه، ولا تعلَّمه من أحد.

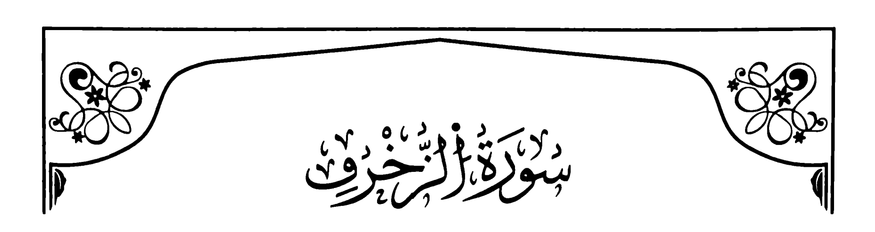
فإن قيل: أمَّا كونه لم يكن يدري الكتابَ فلا إشكال فيه، وأما الإيمان ففيه إشكالٌ؛ لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل مبعثهم[٢]؟

فالجواب: أن الإيمان يحتوي على معارفَ كثيرةٍ، وإنما كَمُل له معرفتُها بعد بعثه، وقد كان مؤمنًا بالله قبل ذلك، فالإيمان هنا يعني به: كمالَ المعرفة، وهي التي حصَلت[٣] له بالنبوة.

﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ الضمير للقرآن.

---

(١) قرأ نافع بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب.
(٢) في د: «بعثهم».
(٣) في ب، ج: «جُعلت».



حمٓ وَالْكِتَٰبِ اِ۬لْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُۥ فِےٓ أُمِّ اِ۬لْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٣﴾ اَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ اُ۬لذِّكْرَ صَفْحاً اِن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ ﴿٤﴾ وَكَمَ اَرْسَلْنَا مِن نَّبِےٓءٍ فِے اِ۬لْأَوَّلِينَ ﴿٥﴾ وَمَا يَاتِيهِم مِّن نَّبِےٓءٍ اِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَىٰ مَثَلُ اُ۬لْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ اَ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ اَ۬لْعَزِيزُ اُ۬لْعَلِيمُ ﴿٨﴾ اِ۬لذِے جَعَلَ لَكُمُ اُ۬لْأَرْضَ مِهَٰداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٩﴾ وَالذِے نَزَّلَ مِنَ اَ۬لسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٠﴾ وَالذِے خَلَقَ اَ۬لْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ اَ۬لْفُلْكِ وَالْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١١﴾ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمُۥٓ إِذَا اَسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ اَ۬لذِے سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٢﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٣﴾

﴿١﴾ **﴿وَالْكِتَٰبِ اِ۬لْمُبِينِ﴾ يعني: القرآن. و﴿اِ۬لْمُبِينِ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى البيِّن، أو المبيِّن لغيره.**

﴿٣﴾ **﴿وَإِنَّهُۥ فِےٓ أُمِّ اِ۬لْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ ﴿أُمِّ اِ۬لْكِتَٰبِ﴾: اللوح المحفوظ. والمعنى: أن القرآن وُصِف في اللوح المحفوظ بأنه عليٌّ حكيم. وقيل: المعنى: أن القرآن نُسِخَ بجملته في اللوح المحفوظ، ومنه كان جبريل عليه السلام ينقله، فوصفه الله بأنه علي حكيم؛ لكونه مكتوبًا في اللوح المحفوظ، والأول أظهر وأشهر.**

﴿٤﴾ **﴿اَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ اُ۬لذِّكْرَ صَفْحاً﴾ الهمزة للإنكار، والمعنى: أنمسك عنكم الذكر؟**

و﴿نَضْرِبُ﴾ من قولك: أضربتُ عن كذا: إذا تركتَه.

و﴿اُ۬لذِّكْرَ﴾ يَحتمل أن يريد به: القرآنَ، أو التَّذكير والوعظ.

و﴿صَفْحاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه بمعنى الإعراض، تقول: صفحْتُ عنه: إذا أعرضتَ عنه، فكأنه قال: أنَترك تذكيرَكم إعراضًا عنكم؟ وإعراب ﴿صَفْحاً﴾ على هذا: مصدرٌ من المعنى، أو مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال.

والآخر: أن يكون بمعنى العفو والغفران، فكأنه يقول: أنُمسك عنكم الذكر عفوًا عنكم وغفرانًا لذنوبكم؟ وإعراب ﴿صَفْحاً﴾ على هذا: مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال.

﴿إِن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ﴾ قرئ بكسر الهمزة[1]: على الشرط، والجواب في الكلام الذي قبله، وقرئ بالفتح: على أنه مفعول من أجله.

﴿٧﴾ ﴿أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً﴾ الضمير لقريش، وهم المخاطَبون بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ﴾. **فإن قيل**: كيف قال: ﴿إِن كُنتُمْ﴾ على الشرط بحرف «إنْ» التي معناها الشك، ومعلوم أنهم كانوا مسرفين؟

فالجواب: أن في ذلك إشارةً إلى توبيخهم على الإسراف، وتجهيلهم في ارتكابه، فكأنه شيءٌ لا يقع من عاقل، فلذلك وضع حرف التوقُّع في موضع الواقع.

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: تقدَّم في القرآن ذكرُ حال الأولين وكيفية هلاكهم لما كفروا.

﴿٨﴾ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ الآيَةَ: احتجاجٌ على قريش؛ لأنهم كانوا يعترفون أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض، وكانوا مع اعترافهم بذلك يعبدون غيره. ومقتضى جوابهم أن يقولوا: «خلقهن الله»، فلما ذَكر هذا المعنى جاءت العبارة عن الله بـ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾؛ لأن اعترافهم بأنه خلق السماوات والأرض يقتضي أن يعترفوا بأنه عزيز عليم. وأما قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ فهو من كلام الله، لا من كلامهم.

﴿٩﴾ ﴿مَهْداً﴾ أي: فراشًا، على وجه التشبيه.

﴿سُبُلاً﴾ أي: طرقًا تمشون فيها.

---

(١) قرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها.

(١١) ﴿مَآءَۢ بِقَدَرٖ﴾ أي: بمقدارٍ ووزن معلوم، **وقيل**: معناه: بقضاء.

﴿كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ تمثيلٌ للخروج من القبور بخروج النبات من الأرض.

(١٢) ﴿ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا﴾ **يعني**: أصناف الحيوان والنبات وغير ذلك.

(١٣) ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ الضمير يعود على ﴿مَا تَرۡكَبُونَ﴾.

﴿ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ﴾ **يحتمل أن يكون هذا الذِّكر**: بالقلب، أو باللسان. **ويحتمل أن يريد**: النِّعمةَ في تسخير هذا المركوب، أو النِّعمةَ على الإطلاق. وكان بعض السلف[1] إذا ركب قال: الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ثم يقول: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾.

﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾ أي: مُطِيقين وغالِبين.

(١٤) ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ اعترافٌ بالحشر. **فإن قيل**: ما مناسبة هذا للركوب؟

فالجواب: أن راكب السفينة أو الدابة متعرِّضٌ للهلاك بما يخاف من غرق السفينة، أو سقوطه عن الدابة، فأُمر بذكر الحشر؛ ليكون مستعدًّا للموت الذي قد تعرَّض له، **وقيل**: يَذكر عند الركوب ركوبَ الجِنازة.



(١) هو الحسن بن علي رضي الله عنهما، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٥٨).

وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٤﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٥﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٦﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٧﴾ وَجَعَلُواْ الْمَلَٰٓئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ الرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٨﴾ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢٠﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٣﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾

﴿١٤﴾ ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ الضمير في ﴿جَعَلُواْ﴾ لكفار العرب، وفي ﴿لَهُۥ﴾ لله تعالىٰ. وهذا الكلام متصل بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ الآيةَ. والمعنىٰ: أنهم جعلوا الملائكةَ بناتِ الله، فكأنهم جعلوا جزءًا من عباده نصيبًا له وحظًّا دون سائر عباده.

وقال الزمخشري: معناه: أنهم جعلوا الملائكة جزءًا منه وبعضًا منه، كما يكون الولد بَضْعةً من والده وجزءًا منه[1].

وقال بعض اللغويين: الجُزء في اللغة: الإناث، واستشهد علىٰ ذلك ببيت شعر.

قال الزمخشري: وذلك كذبٌ علىٰ العرب، والبيت موضوع[2].

﴿١٥﴾ ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ ﴿أَمِ﴾ للإنكار والردِّ علىٰ الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله. ومعنىٰ ﴿أَصْفَىٰكُم﴾: خصَّكم، أي: كيف يتخذ لنفسه البنات وهنَّ[3] أدنىٰ، وأصفاكم بالبنين وهم أعلىٰ.

(١) الكشاف (١٤/ ١١٠).

(٢) الكشاف (١٤/ ١١٠).

(٣) في ب، ج: «وهذا».

﴿١٧﴾ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ أي: إذا بُشِّر بالأنثىٰ. وقد ذُكر هذا المعنىٰ في «النحل»[(١)]، والمراد: أنهم يكرهون البنات؛ فكيف ينسبونها إلىٰ الله؟ تعالىٰ الله عن قولهم.

﴿١٨﴾ ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ﴾ المراد بـ﴿مَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ﴾: النساء. والحلية: هي الحَلْيُ من الذهب والفضة، وشبه ذلك، ومعنىٰ يَنْشَأُ فيها: يكبر وينبت في استعمالها. وقرئ ﴿يُنَشَّؤُا﴾ بضم الياء وتشديد الشين[(٢)]: بمعنىٰ يُربَّىٰ فيها.

والمقصد: الردُّ علىٰ الذين قالوا: الملائكة بنات الله، كأنه قال: أجعلتم لله من يَنْشَأُ في الحلية؟ وتلك صفة النقص، ثم أتبعها بصفة نقصٍ أخرىٰ، وهي قوله: ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ يعني: أن الأنثىٰ إذا خاصمت أو[(٣)] تكلمَّت لم تَقدِر أن تُبِينَ حجَّتها؛ لنقص عقلها، وقلَّما تجد امرأةً إلَّا تُفسد الكلام وتَخلط المعاني، فكيف يُنسب لله من يتصف بهذه النقائص؟ وإعراب ﴿مَن يُنَشَّؤُا﴾: مفعولٌ بفعل مضمر تقديره: أجعلتم لله من يَنشأ، أو مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: أَوَمَنْ يَنشَأُ في الحلية خصَصْتم به الله.

﴿١٩﴾ ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ الضمير في ﴿جَعَلُوا﴾ لكفار العرب، فحكىٰ عنهم ثلاثة أقوال شنيعة: أحدها: أنهم نسبوا إلىٰ الله الولد. والآخر: أنهم نسبوا إليه البناتِ دون البنين. والثالث: أنهم جعلوا الملائكة المكرَّمين إناثًا. وقرئ ﴿عِندَ الرَّحْمَٰنِ﴾ بالنون[(٤)]، والمراد به: قُرْبُ الملائكة وتشريفُهم كقوله: ﴿الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]. وقرئ ﴿عِبَادُ﴾ بالباء جمع عبدٍ، والمراد به أيضًا: الاختصاص والتَّشريف.

﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ هذا ردٌّ علىٰ العرب في قولهم: إن الملائكة إناثٌ. والمعنىٰ: أنهم لم يَشهدوا خلق الملائكة، فكيف يقولون ما ليس لهم به علم؟

﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ أي: تُكتب شهادتهم التي شهدوا بها علىٰ الملائكة، ويُسألون عنها يوم القيامة.

---

(١) انظر تفسير الآية (٥٨).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ﴿يُنَشَّؤُ﴾ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين، وقرأ الباقون بفتح الياء وإسكان النون والتخفيف.

(٣) في أ، د، هـ: «و».

(٤) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ﴿عند﴾ بالنون، وقرأ الباقون ﴿عبادُ﴾ بالباء وألف بعدها.

(١٩) ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ الضمير في ﴿قَالُوا۟﴾: للكفار، وفي ﴿عَبَدْنَٰهُم﴾: للملائكة، وقال ابن عطية: للأصنام[١]، والأول أظهر وأشهر. والمعنىٰ: احتجاجٌ احتجَّ به الذين عبدوا الملائكة، وذلك أنهم قالوا: لو أراد الله أن لا نعبدهم ما عبدناهم، فكونه يُمهلنا ويُنعم علينا دليلٌ علىٰ أنه يرضَىٰ عبادتَنا لهم، ثم ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ يعني: أن قولهم بغير دليل وحجة، وإنما هو تخرُّصٌ منهم.

(٢٠) ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي: مِن قبل القرآن، وهذا أيضًا ردٌّ عليهم؛ لكونهم ليس لهم كتاب يستمسكون[٢] به.

(٢١) ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ أي: علىٰ دين وطريقة. والمعنىٰ: أنهم ليس لهم حجة، وإنما هم يقلِّدون آباءهم.

(٢٢) ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ الآيةَ؛ معناها: كما اتبع هؤلاء الكفارُ آباءَهم بغير حجة؛ كذلك اتبع كل مَن قبلَهم من الكفار آباءهم بغير حجة، بل بمجرَّد التقليد المذموم.

(٢٣) (٢٤) ﴿قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ هذا ردٌّ علىٰ الذين اتبعوا آباءهم.والمعنىٰ: أتتبعونهم ولو جئتكم بدين أهدىٰ[٣] من الدِّين الذي وجدتم عليه آباءكم؟ وقرئ: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ﴾ [٤]، والفاعل ضمير يعود علىٰ النذير المتقدِّم. وأما قراءة ﴿قُلْ﴾ بالأمر: فهو خطابٌ لمحمد ﷺ، أمره الله أن يقول ذلك لقريش، وقيل: هو للنذير المتقدِّم، أمره الله أن يقول ذلك لقومه، والأول أظهر، وعلىٰ هذا تكون هذه الجملة اعتراضًا بين قصة المتقدِّمين، فإن قوله: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ حكايةٌ عن الكفار المتقدمين، وكذلك قوله: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ يعني: من المتقدِّمين.



(١) المحرر الوجيز (٧/ ٥٤٠).
(٢) في ب، د: «يتمسكون».
(٣) في ب، ج: «بأهدىٰ».
(٤) قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم ﴿قال﴾ خبرًا، وقرأ الباقون ﴿قل﴾ أمرًا.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٦﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣٠﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣١﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٣﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ﴾ أي: بريءٌ، وبَرَاءٌ في الأصل: مصدر، ثم استعمل صفةً، ولذلك استوىٰ فيه الواحد والاثنان والجماعة، كَعَدْلٍ وشبهه.

﴿٢٦﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ **يحتمل أن يكون استثناء منقطعًا**، وذلك إن كانوا لا يعبدون الله. **أو يكون متَّصلًا**، إن كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيرَه، وإعرابه علىٰ هذا: بدلٌ من ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ، فهو في موضع خفض، أو منصوب علىٰ الاستثناء، فهو في موضع نصب.

﴿سَيَهْدِينِ﴾ قال هنا: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ ، وقال مرة أخرىٰ: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]؛ ليدلَّ علىٰ أن الهداية في الحال والاستقبال.

﴿٢٧﴾ ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ ضمير الفاعل في ﴿جَعَلَهَا﴾ يعود علىٰ إبراهيم عليه السلام، **وقيل: علىٰ الله تعالىٰ، والأول أظهر.**

والضمير المؤنث المفعول يعود: علىٰ الكلمة التي قالها، وهي: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، ومعناها: التوحيد، ولذلك **قيل**: يعود علىٰ الإسلام لقوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٦].، **وقيل**: يعود علىٰ «لا إله إلا الله»، **والمعنىٰ متقارب، أي**: جعل إبراهيم عليه السلام تلك الكلمةَ باقيةً في ذُرِّيته؛ لعلَّ مَن أشرك منهم يرجع إلىٰ التوحيد.

والعَقِبُ: هو الولد وولد الولد ما تناسلوا أبدًا.

﴿٢٨﴾ ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ الإشارةُ بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلىٰ قريش. وهذا الكلام متصلٌ بما قبله؛ لأن قريشًا من عقب إبراهيم ﵇، **فالمعنىٰ**: لكن هؤلاء ليسوا ممن بقيَتْ الكلمةُ فيهم، بل متَّعتُهم بالنعم والعافية، فلم يشكروا عليها واشتغلوا بها عن عبادة الله ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾، وهو محمد ﷺ.

﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الضمير في ﴿فَالُواْ﴾ لقريش. **والقريتان**: مكة والطائف. و﴿مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ معناه: من إحدىٰ القريتين، كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٠]، أي: من أحدهما.

وقيل: معناه: علىٰ رجلٍ من رجلين من القريتين، **فالرجل الذي من مكة**: الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة بن ربيعة، **والرجل الذي من الطائف**: عروة بن مسعود، وقيل: حبيب بن عمير[1].

ومعنىٰ **الآية**: أن قريشًا استبعدوا نزول القرآن علىٰ محمد ﷺ، واقترحوا أن ينزل علىٰ أحدِ هؤلاء، ووصفوه بالعظَمة يعنون الرئاسةَ في قومه وكثرةَ ماله، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يعني: أن الله يخصُّ بالنبوَّة من شاءَ من عباده علىٰ ما تقتضيه حكمته وإرادته، وليس ذلك بتدبير المخلوقين ولا بإرادتهم، ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: كما قسَمنا المعايش في الدنيا كذلك قسمنا المواهب الدينية، وإذا كنا لم نُهمل الحظوظ الحقيرة الفانية، فأولىٰ وأحرىٰ أن لا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية.

﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ هو من التَّسخير في الخدمة، أي: رفعْنا بعضَهم فوق بعض ليَخدم بعضُهم بعضًا.

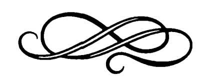
﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ هذا تحقيرٌ للدنيا. **والمراد** بـ﴿رَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ هنا: النبوة، **وقيل**: الجنة.

---

(١) في د: «حبيب بن عمر»، والذي في تفسير الطبري (٢٠/ ٥٨٠): «حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي».

(٣٣) ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ الآيةَ؛ تحقيرٌ أيضًا للدنيا. ومعناها: لولا أن يكفر الناس كلهم لجعلنا للكفار سُقُفًا من فضة، وذلك لِـهَوان الدنيا علىٰ الله، كما قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تزِن عند الله جناح بعوضة ما سقىٰ كافرًا منها شربة[1] ماء»[2].

﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ المعارج: الأدراج والسَّلاليم[3]. ومعنىٰ ﴿يَظْهَرُونَ﴾: يرتفعون، ومنه ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف:٩٣]. والسُّرر: جمع سرير. والزُّخرف: الذهب، وقيل: أثاث البيت من السُّتور والنَّمارق، وشبه ذلك، وقيل: هو التَّزويق والنَّقش وشبه ذلك من التَّزيين؛ كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤].



---

(١) في ج: «جرعة».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠) وصححه، وابن ماجه (٤١١٠)، والحاكم (٧٨٤٧) وصححه، من حديث سهل بن سعد ﷺ.

(٣) ف أ، د، هـ: «والسلالم».

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٧﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٨﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٩﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤٠﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤١﴾ *فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٣﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٤﴾

﴿٣٥﴾ ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ ﴿يَعْشُ﴾ من قولك: عَشَىٰ الرجل: إذا أَظلم بصره، والمراد به هنا: ظلمة القلب والبصيرة. **وقال الزمخشري**: يَعْشَىٰ بفتح الشين[1]: إذا حصلت الآفَة في عينيه، ويعشُو بضم الشين: إذا نظر نظرة الأعشىٰ، وليس به آفةٌ[2]، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك: عَمِيَ وتعامىٰ. فمعنىٰ القراءة بالضم: يتجاهل ويجحد معرفته بالحق، **والأظهر** أن ذلك عبارةٌ عن الغفلة وإهمال النظر.

و﴿ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: **قال الزمخشري**: يريد به القرآن[3]، **وقال ابن عطية**: يريد به: ما ذكَّر الله به عباده من المواعظ، فالمصدر مضاف إلىٰ الفاعل[4]، **ويحتمل عندي**: أن يريد ذِكْرَ العبدِ لله.

ومعنىٰ الآية: أن من غفَل عن ذكر الله يَسَّرَ الله له شيطانًا يكون لـه قرينًـا، فتلك عقوبةٌ علىٰ الغفلة عن الذكر بتسليط الشيطان، كما أن مَن دام علىٰ الذكر[5] تباعد عنه الشيطان.

(١) قراءة السبعة بضم الشين، وقرئ في الشاذ بفتحها، قرأ بها قتادة ويحيىٰ بن سلّام البصري. المحرر الوجيز (٧/ ٥٤٧).

(٢) الكشاف (١٤/ ١٣٩).

(٣) الكشاف (١٤/ ١٤٠).

(٤) المحرر الوجيز (٧/ ٥٤٧).

(٥) في د: «كما أن من تمادىٰ علىٰ الذكر ودام عليه».

(٣٧) ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ للشيطان[١]، وضمير المفعول في ﴿يَصُدُّونَهُمْ﴾ لـ﴿مَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، وجمع الضميرين لأن المراد جمعٌ.

(٣٨) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَانَا﴾ قرئ ﴿جَآءَانَا﴾ بضمير الاثنين[٢]، وهما: مَن يعشو وشيطانه، وقرئ بغير ألف على أنه ضمير واحد، وهو من يعشو. والضمير في ﴿قَالَ﴾: لمن يعشو، وقيل: لشيطانه.

﴿بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يعني: المشرق والمغرب، وغَلَّبَ أحدهما في التثنية، كما قيل: القمران. والآخر: أنه يعني: المشرقين والمغربين، وحَذف «المغربين»؛ لدلالة ﴿ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ عليه.

(٣٩) ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ هذا كلامٌ يقال للكفار في الآخرة، ومعناه: أنه لا ينفعهم اشتراكهم في العذاب، ولا يجدون راحةَ التأسِّي التي يجدها المكروب في الدنيا إذا رأى غيرَه قد أصابه مثلُ الذي أصابه.

والفاعل بـ﴿يَنفَعَكُمُ﴾: قوله: ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، و﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾: تعليلٌ معناه: بسبب ظلمكم. وقيل: الفاعل مضمر، وهو التبرُّؤ[٣] الذي يقتضيه قوله: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ و﴿أَنَّكُمْ﴾ على هذا تعليلٌ، والأول أرجح.

(٤٠) ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ للنبي ﷺ. والمراد بالصُّمِّ والعُمي: الكفار؛ إذ كانوا لا يعقلون براهين الإسلام.

(٤١) ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ ﴿إِمَّا﴾ مركبةٌ من «إنْ» الشرطية و«ما» الزائدة. ومقصد الآية: وعيدٌ للكفار، والمعنى: إن عجَّلنا وفاتَكَ قبل الانتقام منهم فإنا سننتقم منهم بعد وفاتِك، وإن أخَّرنا وفاتك إلى حين الانتقام منهم فإنا عليهم مقتدرون.

وهذا الانتقام يحتمل أن يريد به قتْلَهم يوم بدر، وفتحَ مكة وشبه ذلك من الانتقام[٤] في الدنيا، أو يريد به عذاب الآخرة. وقيل: إن الضمير في ﴿مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ للمسلمين،

---

(١) في ب، ج، د، هـ: «للشياطين».
(٢) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة عن عاصم بألفٍ تثنيةً، وقرأ الباقون بغير ألف إفرادًا.
(٣) في ب، د: «التبري».
(٤) في أ، هـ: «بالانتقام».

وأن معنىٰ ذلك: أن الله قضَىٰ أن ينتقم منهم بالفتن والشدائد، وأنه أكرم نبيَّه ﷺ بأن توفَّاه قبل أن يرىٰ الانتقام من أمته، والأول أظهر وأشهر.

﴿٤٣﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ **الضمير في** ﴿إِنَّهُۥ﴾: للقرآن أو للإسلام. **والذِّكر هنا:** بمعنىٰ الشَّرف، **وقوم النبي** ﷺ: هم قريش ثم سائر العرب؛ فإنهم نالوا بالإسلام شرفَ الدنيا والآخرة، ويكفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وصارت فيهم الخلافة والملك، وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما نزلت هذه الآية عَلِم رسول الله ﷺ أن الأمر بعده لقريش[1].

ويحتمل أن يريد بالذِّكر: التذكيرَ والموعظة، **فقومه علىٰ هذا**: أمته كلهم وكلُّ من بُعِث إليهم.

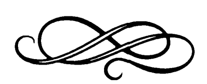
﴿وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ أي: تُسألون عن العمل بالقرآن، وعن شكر الله عليه.

﴿٤٤﴾ ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ **إن قيل**: كيف أُمر النبي ﷺ أن يسأل الرسل المتقدِّمين وهو لم يدركهم؟ **فالجواب أن فيه ثلاثةَ أقوال**:

الأول: أنه رآهم ليلة الإسراء.

الثاني: أن المعنىٰ: اسأل أمةَ من أرسلنا قبلك.

الثالث: أنه لم يُرِدْ سؤالهم حقيقةً، وإنما المعنىٰ: أن شرائعهم متفقةٌ علىٰ توحيد الله، بحيث لو سُئلوا: هَلْ مع الله آلهة يعبدون؟ لأنكروا ذلك ودانوا بالتوحيد.



(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٣/ ٤٤٧)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٤)، وفي إسناده سيف بن عمر الضبِّي، قال العقيلي: «هو ضعيف».

وَلَقَدَ اَرْسَلْنَا مُوسِىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٦﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنَ ـايَةٍ اِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنُ اخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ اَلسَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَٰرُ تَجْرِے مِن تَحْتِيَ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴿٥٠﴾ أَمَ اَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الذِے هُوَ مَهِينٌ ﴿٥١﴾ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ اُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ اَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا إِنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمُۥ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِّلْاَخِرِينَ ﴿٥٦﴾

﴿٤٧﴾ ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنَ ـايَةٍ اِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنُ اخْتِهَا﴾ **الآيات هنا**: المعجزات؛ كقلب العصا حيةً، وإخراج اليد بيضاءَ، **وقيل**: البراهين والحجج العقلية، **والأول أظهر**. ومعنىٰ ﴿أَكْبَرُ مِنُ اخْتِهَا﴾: أنها في غاية الكِبَر والظُّهور، ولم يُرِد تفضيلَها علىٰ غيرها من آياته، إنما المعنىٰ: أنها إذا نُظِرتْ وُجِدتْ كبيرةً، وإذا نُظِر غيرُها وُجِدتْ كبيرةً، فهو كقول الشاعر:

مَن تَلْقَ منهم تقلْ: لاقَيْتُ سَيِّدَهم[1]

هكذا قال الزمخشري[2]. **ويَحتمل عندي أن يريد**: ما نريهم من آية إلَّا هي أكبر مما تقدَّمها، فالمراد: أكبر من أختها المتقدِّمة عليها.

﴿٤٨﴾ ﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ اَلسَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ **ظاهر كلامهم هذا التناقض؛ فإن قولهم**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَ اَلسَّاحِرُ﴾ يقتضي تكذيبَهم له، وقولهم: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يقتضي تصديقَه؟ **والجواب من وجهين: أحدهما**: أن القائلين لذلك كانوا مكذِّبين، وقولهم: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يريدون علىٰ قولك وبزعمك، وقولهم: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ وَعْدٌ نَوَوْا إخلافه.

والآخر: أنهم كانوا مصدِّقين، وقولهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَ اَلسَّاحِرُ﴾ إما أن يكون عندهم غيرَ مذموم؛

(١) هذا صدر بيت للعرندس أحد بني أبي بكر بن كلاب، أورده أبو تمام في حماسته (ص ٤١٥)، وتمام البيت: «مثلَ النجوم التي يَسري بها السَّاري».

(٢) الكشاف (١٤/ ١٥٢).

لأن السِّحر كان عِلْمَ أهل زمانهم، وكأنهم قالوا: يا أيها العالم، وإما أن يكون ذلك اسمًا قد أَلِفوا تسميةَ موسىٰ ﷺ به مِن أولِ ما جاءهم، فنطقوا به بعد ذلك من غير اعتقاد معناه.

﴿٥١﴾ ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ﴾ **يحتمل**: أن ناداهم بنفسه، أو أمر مناديًا ينادي فيهم.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ قصَد بذلك الافتخار علىٰ موسىٰ ﷺ. و ﴿مِصْرَ﴾ هي البلد المعروف وما يرجع إليه، ومنتهىٰ ذلك: من نهر إسكندرية إلىٰ أُسوان بطول النيل.

﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ **يعني**: الخُلجانَ الكبار الخارجة من النيل، كانت تجري تحت قصوره، وأعظمها أربعة أنهار: نهر الإسكندرية، وتِنِّيس، ودِمْياط، ونهر طُولون.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ **مذهب سيبويه**: أن ﴿أَمْ﴾ هنا متصلة معادِلة، **والمعنىٰ**: أفلا تبصرون أم تبصرون؟ ثم وضع قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ موضع «تبصرون»؛ لأنهم إذا قالوا له: «أنت خير» فهم عنده بُصَراء، وهذا مِن وضع السَّبب موضع المسبَّب[1]، **وقيل**: الأصل أن يقول: «أفلا تبصرون أم تبصرون»، ثم اقتصر علىٰ «أم»، وحذف الفعل الذي بعدها، واستأنف قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ علىٰ وجه الإخبار، ويوقف -علىٰ هذا القول- علىٰ ﴿أَمْ﴾، وهذا ضعيف. **وقيل**: ﴿أَمْ﴾ بمعنىٰ: «بل»، فهي منقطعة.

﴿مَهِينٌ﴾ أي ضعيف حقير، **قاله الزمخشري**[2] وغيره.

﴿٥٢﴾ ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ إشارةٌ إلىٰ ما بقي في لسان موسىٰ ﷺ من أثر الجمْرة، وذلك أنها كانت قد أحدثت في لسانه عُقْدةً، فلما دعا أن تُحَلَّ أُجيبت دعوته وبقي منها أثرٌ كان معه لَكَنٌ، **وقيل**: **يعني**: العِيَّ في الكلام. وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يقتضي أنه كان يُبِين؛ لأن «كاد» إذا نُفِيت تقتضي الإثبات.

﴿٥٣﴾ ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ **يريد**: لولا ألقاها الله إليه كرامةً له ودلالةً علىٰ نبوَّته؟ **والأساورةُ**: جمع سِوَار وإِسوار، وهو ما يُجعل في الذِّراع من الحَلْي، وكان الرجال حينئذ يجعلونه.

---

(١) لأن كونه خيرًا عندهم مسبَّبٌ كونهم بُصَراء؛ لأن الإبصار سببٌ لقولهم: أنت خير. حاشية الطِّيبي علىٰ الكشاف (١٤/ ١٥٧).

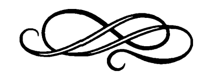
(٢) الكشاف (١٤/ ١٥٧).

﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ أي: مقترنين به لا يفارقونه، أو متقارنين[١] بعضهم مع بعض؛ ليشهدوا له، ويقوموا بحجته.

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ أي: طلب خِفَّتهم بهذه المقالة، واستهوىٰ عقولهم.

﴿ءَاسَفُونَا﴾ أي: أغضبونا.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفاً وَمَثَلًا لِّلْأَخِرِينَ﴾ السَّلَف بفتح السين واللام[٢]: جمع سالف. وقرئ بضمهما: جمع سَلِيف، ومعناه: متقدِّم، أي: تقدَّم قبل الكفار؛ ليكون موعظةً لهم، ومثَلًا يعتبرون به؛ لئلا يُصيبَهم مثلُ ذلك.



(١) في أ، ب، ج، هـ: «متقارنون».
(٢) قرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام، وقرأ الباقون بفتحهما.

وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ *وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾

﴿٥٧﴾ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ **روي عن ابن عباس ﷺ وغيره في تفسيره هذه الآية: أنه لما نزل في القرآن ذكر عيسى ابن مريم عليه السلام والثناء عليه، قالت** قريش: ما يريد محمد إلَّا أن نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى؛ فهذا كان صدودهم مِن ضرْبِه مثلًا، حكى ذلك ابن عطية[1]. والذي ضَرَب المثل على هذا: هو الله في القرآن.

و ﴿يَصِدُّونَ﴾ بمعنى: يُعرضون. وقال **الزمخشري**: لما قرأ رسول الله ﷺ على قريش: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٧] امتعضوا من ذلك، فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى: أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال ﷺ: «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم»، فقال: خصمتُك وربِّ الكعبة! ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبيٌّ وتثني عليه خيرًا، وقد علمتَ أن النصارى عبدوه؟ فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه، ففرحت قريش بذلك وضحكوا، وسكت النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠] ونزلت هذه الآية[2]،

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٥٥٧) وعزاه إلى ابن عباس ﷺ، ولم أقف عليه من قوله، ووقفت عليه من قول مجاهد وقتادة، أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٢٢).

(٢) أخرجه ابن مردويه -كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٣٧٩)، والدر المنثور (١٠/ ٣٧١)- وعنه الحافظ الضياء في المختارة (١١/ ٣٤٥)، عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ، وعزاه -أيضًا- الواحدي في التفسير (٢٠/ ٦٦) إلى ابن عباس ﷺ.

فالمعنىٰ علىٰ هذا: لما ضربَ ابن الزِّبَعرىٰ عيسىٰ ﷺ مثلًا، وجادل رسولَ الله ﷺ بعبادة النصارىٰ إيَّاه، إذا قريش من هذا المثل يَصِدُّون أي: يَضِجُّون[1] ويصيحون من الفرح[2]. وهذا المعنىٰ إنما يجري علىٰ قراءة ﴿يَصُدُّونَ﴾ بكسر الصاد[3]، بمعنىٰ الضَّجيج والصِّياح.

﴿٥٨﴾ ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ﴾ يعنون بـ﴿هُوَ﴾ عيسىٰ ﷺ، **والمعنىٰ**: أنهم قالوا: آلهتنا خير أم عيسىٰ؟ فإن كان عيسىٰ يدخل النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه؛ لأنه خير من آلهتنا. وهذا الكلام من تمام ما قبله علىٰ ما ذكر **الزمخشري** في تفسير الآية التي قبله، **وأما علىٰ ما ذكر ابن عطية**: فهذا[4] ابتداء معنىٰ[5] آخر.

وحكىٰ الزمخشري في معنىٰ هذه الآية قولًا آخر: وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسىٰ ﷺ قالوا: نحن أهدىٰ من النصارىٰ؛ لأنهم عبدوا آدميًّا ونحن عبدنا الملائكة، وقالوا: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا﴾ وهم الملائكة ﴿خَيۡرٌ أَمۡ﴾ عيسىٰ؟[6]، فقصْدُهم: تفضيل آلهتهم علىٰ عيسىٰ ﷺ.

وقيل: إن قولهم ﴿أَمۡ هُوَۚ﴾ يعنون به: محمدًا ﷺ، فإنهم لما قالوا: إنما يريد محمد أن نعبده كما عبدت النصارىٰ عيسىٰ قالوا: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ﴾؟ يريدون تفضيل آلهتهم علىٰ محمد ﷺ. **والأظهر**: أن المراد بـ﴿هُوَ﴾: عيسىٰ ﷺ، **وهو قول الجمهور**، ويدلُّ علىٰ ذلك تقدُّمُ ذكرِه.

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾ أي: ما ضربوا لك هذا المثل إلَّا علىٰ وجه الجدل، وهو أن يَقصِد الإنسان أن يَغلب مَن يناظره، سواءٌ غلَبه بحقٍّ أو بباطل، فإن ابن الزِّبَعْرىٰ وأمثاله

(١) في ب، ج: «يضحكون».
(٢) الكشاف (١٤/ ١٦٠).
(٣) قرأ نافع وابن عامر والكسائي بضم الصاد، وقرأ الباقون بكسرها.
(٤) في د، هـ: «فهو».
(٥) في د: «خبر».
(٦) الكشاف (١٤/ ١٦٤).

ممن لا يخفىٰ عليه أن عيسىٰ عليه السلام لم يدخل في قوله تعالىٰ: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، ولكنهم أرادوا المغالطة، فوصفهم الله بأنهم ﴿قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾.

﴿٥٩﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ **يعني**: عيسىٰ عليه السلام، **والإنعامُ عليه**: بالنبوة والمعجزات وغير ذلك.

﴿٦٠﴾ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ **في معناها قولان:**

أحدهما: لو نشاء لجعلنا بدلًا منكم ملائكةً يسكنون الأرضَ، ويخلفون فيها بني آدم، فقوله ﴿مِنكُم﴾ يتعلَّق: بـ«بدلًا» المحذوف، أو بـ﴿يَخْلُفُونَ﴾.

والآخر: لو نشاء لجعلنا منكم؛ أي: لوَلَّدْنا منكم أولادًا ملائكةً يخلفونكم في الأرض كما يخلفُكم أولادُكم؛ فإنا قادرون علىٰ أن نخلق من أولاد الناس ملائكةً، فلا تُنكروا أنْ خلقْنا عيسىٰ من غير والد. **حكىٰ ذلك الزمخشري**[1].

﴿٦١﴾ ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ **الضمير**: لعيسىٰ، **وقيل**: لمحمد صلى الله عليه وسلم، **وقيل**: للقرآن. **فأما علىٰ القول بأنه لعيسىٰ أو لمحمد** صلى الله عليه وسلم: **فالمعنىٰ**: أنه شرَطٌ من أشراط الساعة، يوجب العلمَ بها، فسمَّىٰ الشَّرَط عِلْمًا؛ لحصول العلم به، ولذلك قرئ «لَعَلَمٌ» بفتح العين واللام[2]، أي: علامة. **وأما علىٰ القول بأنه للقرآن: فالمعنىٰ**: أنه يُعْلِمكم بالساعة.

﴿٦٣﴾ ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ إنما بيَّن البعض دون الكل؛ لأن الأنبياء إنما يبيِّنون أمور الدين لا أمور الدنيا[3]. **وقيل**: ﴿بَعْضَ﴾ بمعنىٰ: «كلّ»، **وهو ضعيف.**

---

(١) الكشاف (١٤/ ١٦٨).

(٢) هي قراءة ابن عباس وأبي هريرة وقتادة وأبي مالك الغفاري ومجاهد وأبي نضرة المنذر بن كعب ومالك بن دينار رحمهم الله. المحرر الوجيز (٧/ ٥٥٩).

(٣) عبارة المحرر الوجيز (٧/ ٥٦٠): «المعنىٰ الذي ذهب إليه الجمهور: أن الاختلاف بين الناس هو في أمور كثيرة لا تحصىٰ عددًا، منها أمور أخروية ودينية، ومنها ما لا مدخل له في الدين، فكل نبي فإنما يبعث ليبين أمر الأديان والآخرة، فذلك بعض ما يختلف فيه».

(٦٥) ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ ذكر في «مريم»[1].

(٦٦) ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ أي: ينتظرون، والضمير: لقريش، أو للأحزاب.

(٦٧) ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ﴿الْأَخِلَّاءُ﴾: جمع خليل وهو الصَّديق، وإنما يعادي الخليلُ خليلَه يومَ القيامة؛ لأن الضرر دخل عليه من صحبته، ولذلك استثنىٰ المتقين؛ لأن النفع دخل علىٰ بعضهم من بعض.



(١) انظر تفسير الآية (٣٦).

يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ *وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

﴿٦٨﴾ ﴿يَا عِبَادِ﴾ الآيةَ؛ تقديرها: يقول الله للمتقين يوم القيامة: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

﴿٧٠﴾ ﴿تُحْبَرُونَ﴾ أي: تُنعَّمون وتُسَرُّون[1].

﴿٧٥﴾ ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي: يائسون من الخير.

﴿٧٧﴾ ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ المعنىٰ: أنهم طلبوا الموت ليستريحوا من العذاب. وروي أن مالكًا يبقىٰ بعد ذلك ألف سنة، وحينئذ يقول لهم: ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ أي: دائمون في النار[2].

---

(١) في ب: «وتبشرون».

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٤٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٦)، والحاكم (٣٦٧٧) وصححه ووافقه الذهبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧٨) ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِالْحَقِّ﴾ الآيَةَ؛ من كلام الله تعالىٰ لأهل النار، أو من كلام الله لقريش في الدنيا.

(٧٩) ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ الضمير لكفار قريش، والمعنىٰ: أم أحكموا كيدًا للنبي ﷺ؛ فإنا مُحْكِمون نصرَه وحمايته.

(٨٠) ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾ الآيَةَ؛ روي أنها نزلت في الأخنس بن شَرِيق والأسود بن عبد يغوث، اجتمعا وقال الأخنس: أترىٰ الله يسمع سِرَّنا؟ فقال الآخر: يسمع نجوانا ولا يسمع سرَّنا[1].

﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ السرُّ: ما حدَّث الإنسان به نفسَه أو غيرَه في خفيةٍ، والنَّجوىٰ: ما تكلموا به فيما بينهم.

﴿بَلَىٰ﴾ أي: نسمع، ورسلُنا مع ذلك تكتب ما يقولون. والرسل هنا: الملائكة الحافظون للأعمال.

(٨١) ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ الْعَٰبِدِينَ﴾ في تأويل الآية أربعة أقوال:

الأول: أنها احتجاجٌ وردٌّ علىٰ الكفار، علىٰ تقدير قولهم، ومعناها: لو كان للرحمن ولد كما يقول الكفار لكنتُ أنا أول مَن يعبد ذلك الولد؛ كما يعظِّم خَدِيم[2] الملِك ولدَ الملك لتعظيم أبيه، ولكن ليس للرحمن ولد؛ فلست بعابد إلَّا الله وحده.

وهذا نوع من الأدلة يسمىٰ دليل التلازم؛ لأنه علَّق عبادة الولد بوجوده، ووجوده محالٌ؛ فعبادته محال.

ونظير هذا: أن يقول المالكي إذا قصد الردَّ علىٰ الحنفي في تحليل النبيذ: إن كان النبيذ غير مسكر فهو حلال، لكنه مسكر؛ فهو حرام.

---

(١) لم أقف علىٰ تسمية من نزلت فيهم. وأخرج الطبري (٢٠/ ٦٥٣) عن محمد بن كعب القرظي قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها، قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، فقال واحد من الثلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال الأول: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع قال الثاني: إن كان يسمع إذا أعلنتم، فإنه يسمع إذا أسررتم قال: فنزلت. وتقدم أثر ابن مسعود ﷺ وأن الآية التي نزلت فيهم آية فصلت: ﴿وما كنتم تستترون..﴾.

(٢) في د: «خدام».

القول الثاني: أن المعنىٰ: إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عبد الله ووحَّده وكذَّبكم في قولكم: إن له ولدًا. و﴿ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ علىٰ هذين القولين: بمعنىٰ العبادة.

القول الثالث: أن العابدين بمعنىٰ المنكرين، يقال: عَبَدَ الرجلُ: إذا أَنِفَ[1] وأنكرَ الشيءَ، والمعنىٰ: إن زعمتم أن للرحمن ولدًا فأنا أول المنكرين لذلك. و﴿إن﴾ علىٰ هذه الأقوال الثلاثة: شرطية.

القول الرابع: قال قتادة وابن زيد[2]: ﴿إن﴾ هنا نافيةٌ، بمعنىٰ: «ما كان للرحمن ولدٌ»، وتمَّ الكلام، ثم ابتدأ قوله: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾.

والقول الأول هو الصَّحيح؛ لأنه طريقة معروفة في البراهين والأدلة، وهو الذي عوَّل عليه الزمخشري[3].

وقال الطبري: هو ملاطَفةٌ في الخطاب، ونحوُه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤][4]، وقال ابن عطية: منه قوله تعالىٰ في مخاطبة الكفار: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾[5]، يعني: شركائي علىٰ قولكم.

(٨٣) ﴿فَذَرْهُمْ﴾ الآيةَ؛ موادَعةٌ منسوخة بالسيف.

(٨٤) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ أي: هو إله أهل الأرض وأهل السماء. والمجرور يتعلق بـ﴿إِلَٰهٌ﴾؛ لأن فيه معنىٰ الوصفية.

(٨٥) ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: علم زمان وقوعها.

(٨٦) ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ أي: لا يملك كل من عُبِد من دون الله أن يَشفع عند الله؛ لأن الله لا يشفع أحدٌ عنده إلَّا بإذنه؛ فهو المالك للشفاعة وحده.

---

(١) في د: «نفر».
(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٥٥).
(٣) الكشاف (١٤/ ١٧٩-١٨١).
(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٦٥٧).
(٥) المحرر الوجيز (٧/ ٥٦٤).

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ اختُلف هل يعني: بـ﴿مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ الشافعَ أو المشفوع فيه؟ فإن أراد المشفوع فيه: فالاستثناء منقطع، والمعنىٰ: لا يملك المعبودون شفاعةً؛ لكن من شهد بالحق وهو عالم به فهو الذي يُشفَع فيه، ويَحتمل علىٰ هذا أن يكون ﴿مَن شَهِدَ﴾ مفعولًا بـ﴿الشَّفَٰعَةَ﴾ علىٰ إسقاط حرف الجر، تقديره: الشفاعةَ فيمن شهد بالحق.

وإن أراد بـ﴿مَن شَهِدَ﴾ الشافع: فيحتمل أن يكون الاستثناء منقطعًا، وأن يكون متصلًا؛ لأن فيمن عُبِد: عيسىٰ والملائكة ﷺ، والمعنىٰ علىٰ هذا: لا يملك المعبودون شفاعةً إلَّا مَن شهد منهم بالحق.

﴿٨٨﴾ ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ القيل: مصدرٌ كالقول، والضمير يعود علىٰ النبي ﷺ. وقرئ: ﴿وَقِيلَهُۥ﴾ بالنصب والخفض، وقرئ في غير السبع بالرفع[1].

فأما النصب: فقيل: هو معطوفٌ علىٰ ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾، وقيل: معطوف علىٰ موضع ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ ؛ لأنها مفعول أضيف إلىٰ المصدر[2]، وقيل: معطوف علىٰ مفعول ﴿يَكْتُبُونَ﴾، وهو محذوفٌ، تقديره: يكتبون أقوالَهم وقيلَه.

وأما الخفض: فقيل: إنه معطوف علىٰ لفظ ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ ، ويحتمل أن يكون معطوفًا علىٰ قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾.

وأما الرفع: فقيل: إنه مبتدأ، وخبره ما بعده. وضعَّف الزمخشري ذلك كلَّه، وقال: إنه من باب القسم، فالنصب والخفض: علىٰ إضمار حرف القسم كقولك: «اللهَ لأضربنَّ زيدًا»[3]، والرفع: كقولهم: «أَيمُنُ الله» و«لعمرُك».

---

(١) قرأ حمزة وعاصم بالخفض، وقرأ الباقون من السبعة بالنصب، وقرئ في الشاذ بالرفع، وهي قراءة الأعرج وأبي قلابة ومجاهد. المحرر الوجيز (٧/ ٥٦٧).

(٢) فيكون التقدير: عنده علمُ الساعةِ وعلمُ قيلِه. الكشاف (١٤/ ١٨٦).

(٣) عبارة الكشاف (١٤/ ١٨٦): «الجر والنصب علىٰ إضمار حرف القسم وحذفه»، وقال البيضاوي في تفسيره (٣/ ٢٥٨): «منصوبٌ بحذف الجار، أو مجرورٌ بإضماره» فعبارة البيضاوي فيها توضيح لعبارة الزمخشري، فقوله: «اللهِ لأضربن زيدًا» مجرورٌ بحرف جرٍّ مضمر (مقدَّر)، وقوله: «اللهَ لأضربنَّ زيدًا» منصوبٌ علىٰ حذف حرف الجر، حُذِف الجارُّ فانتصب المجرور، فيتبيَّن بهذا أن عبارة ابن جزيٍّ فيها شيء من الاختزال.

وجواب القسم: قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ ،كأنه قال: أُقسِم بقِيله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون[1].

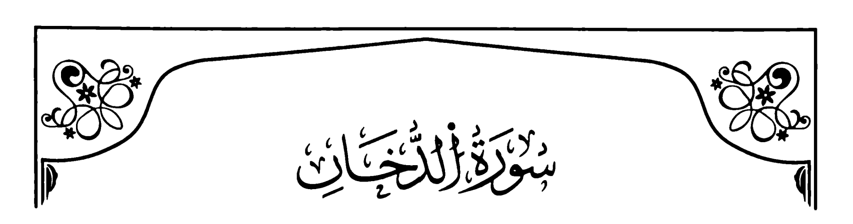
(٨٩) ﴿فَاصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ منسوخٌ بالسيف.

﴿وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾ تقديره: أمري سلام، أي: مسالمة، وقيل: «سلامٌ عليكم» على جهة الموادَعة، وهو منسوخٌ على الوجهين.

﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ تهديدٌ.



(١) الكشاف (١٤/ ١٨٥-١٨٧).



سورة الدخان

جمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ *كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾

﴿٢﴾ ﴿وَالْكِتَٰبِ الْمُبِينِ﴾ ذكر في «**الزخرف**»[1]. وهو قسمٌ جوابه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، وقيل: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ ، وهو بعيد.

﴿٣﴾ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ يعني: ليلة القدر من رمضان. وكيفية إنزاله فيها: أنه أُنزل إلى السماء الدنيا جملةً واحدة، ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ شيئًا بعد شيء،

---

(١) انظر تفسير الآية (١).

وقيل: معناه أنه ابتُدِئ إنزالُه في ليلة القدر. وقيل: يعني بالليلة المباركة: ليلةَ النصف من شعبان، وذلك باطل؛ لقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] مع قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٤].

﴿٣﴾ ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ معنى ﴿يُفْرَقُ﴾: يُفْصَل ويُخَلَّص. والأمر الحكيم: أرزاق العباد وآجالهم، وجميع أمورهم في ذلك العام، تُنسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر؛ ليمتثل الملائكة ذلك بطول السنة القابلة. وقد قيل: إن هذا يكون ليلةَ النصف من شعبان، وهو باطل لما قدَّمنا.

﴿٤﴾ ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ مفعول بفعل مضمر على الاختصاص، قاله الزمخشري[(١)]، وقال ابن عطية: نصبٌ على المصدر[(٢)]، وقيل: على الحال.

﴿مُرْسِلِينَ﴾ من إرسال الرسل عليهم السلام، وقيل: من إرسال الرحمة، والأول أظهر.

﴿٩﴾ ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما قول علي بن أبي طالب[(٣)] وابن عباس[(٤)] رضي الله عنهما: أن الدُّخَان يكون قبل يوم القيامة، يصيب المؤمنَ منه مثلُ الزكام، ويُنضِج رؤوس الكافرين والمنافقين، وهو من أشراط الساعة، ورَوَى حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول آيات[(٥)] الساعة الدُّخَان»[(٦)].

والثاني قول ابن مسعود رضي الله عنه: إن الدُّخَان عبارةٌ عما أصاب قريشًا حين دعا عليهم رسول الله ﷺ بالجدب، فكان الرجل يرى دخانًا بينه وبين السماء من شدَّة الجوع، قال ابن مسعود رضي الله عنه: خمسٌ قد مَضَينَ: الدخان، واللِّزام، والبَطشة، والقمر، والرُّوم[(٧)].

---

(١) الكشاف (١٤/ ١٩٤).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٥٧٠).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ١٨١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ١٨-١٩)، وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٢٤٩) وصحح إسناده-، والحاكم (٨٤١٩) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ٢٦٦).

(٥) في أ، هـ: «أشراط».

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ١٩) وضعَّفه، وقال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٤٨): «موضوع».

(٧) أخرجه البخاري (٤٨٢٥)، ومسلم (٢٧٩٨).

(١١) ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يكون من قول الله تعالىٰ، أو من قول الناس لما أصابهم الدخان، وهذا أظهر؛ لأن ما بعده من كلامهم باتفاق، فيكون الكلام متناسِقًا.

(١٣) ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ هذا من كلام الله تعالىٰ، ومعناه: استبعاد تذكُّر الكفار مع تكذيبهم للنبي ﷺ. والواو في قوله: ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ﴾ واو الحال.

﴿رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

(١٤) ﴿وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ﴾ أي: يُعلِّمه بشر.

(١٦) ﴿ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ ابنُ عباس رضي الله عنهما: هي يوم القيامة[1].

ابنُ مسعود رضي الله عنه: هي يوم بدر.

(١٧) ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ فعَلْنا معهم فعلَ المختبِر؛ ليظهر منهم ما سبق في علمنا[2].

﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ يعني: موسىٰ عليه السلام.

(١٨) ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ ﴿أَنْ﴾ هنا مفسِّرة نابتْ مَناب القول، و﴿أَدُّوٓاْ﴾ فعل أمرٍ من الأداء، و﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ مفعول به، وهم بنو إسرائيل، والمعنىٰ: أرسِلوا بني إسرائيل، كما قال في «طه»: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ﴾ [طه:٤٧]. وقيل: ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ منادىٰ، والمعنىٰ: أدُّوا إليَّ الطاعة والإيمان يا عباد الله، والأول أظهر.

(١٩) ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ﴾ أي: لا تتكبَّروا.

﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾ أي: حجةٍ وبرهان.

(٢٠) ﴿تَرْجُمُونِ﴾ اختُلف هل معناه: الرجم بالحجارة أو السبُّ؟ والأول أظهر.

(٢١) ﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾ أي: اتركوني، وخلُّوا سبيلي.

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٧) عن عكرمة قال: قال ابن عباس: قال ابن مسعود: البطشة الكبرىٰ: يوم بدر، وأنا أقول: هي يوم القيامة. وصحح إسناده السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ٢٦٩).

(٢) من قوله ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ إلى هنا سقط من أ، ب، ج، هـ.

(٢٣) ﴿وَأَسْرِ بِعِبَادِى﴾ هذا أمرٌ من الله لموسىٰ عليه السلام، والعباد هنا: بنو إسرائيل، أي: اخرج بهم بالليل.

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ إخبارٌ أن فرعون وجنوده يتَّبعونهم.

(٢٤) ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي: ساكنًا علىٰ هيئته، وقيل: يابسًا. وروي أن موسىٰ عليه السلام لما جاوز[1] البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبقَ، كما ضربه فانفلق، فقال الله له: اتركه كما هو؛ ليدخله فرعون وقومه فيغرقوا[2]. وقيل: معنىٰ ﴿رَهْوًا﴾: سهلًا، وقيل: منفرجًا.

(٢٥) ﴿وَعُيُونٍ﴾ يحتمل أن يريد الخُلْجَان الخارجة من النيل، أو كانت ثمَّ عيونٌ في ذلك الزمان. وقيل: يعني: الذهب والفضة، وهو بعيد.

(٢٦) ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ فيه قولان: المنابر، والمساكن الحِسَان.

(٢٧) ﴿وَنَعْمَةٍ﴾ من التنعُّم بالأرزاق وغيرها.

﴿فَٰكِهِينَ﴾ أي: متنعِّمين، وقيل: فرحين[3]، وقيل: أصحابَ فاكهة.

(٢٨) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في موضع نصب؛ أي: مثلَ ذلك الإخراج أخرجناهم، أو في موضع رفع؛ تقديره: الأمر كذلك.

﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ يعني: بني إسرائيل، حكاه الزمخشري[4] والماوردي[5]، وضعفه ابن عطية، قال: لأنه لم يُرْوَ في مشهور التواريخ أن بني إسرائيل رجعوا إلىٰ مصر في ذلك الزمان[6]. وقد قال الحسن: إنهم رجعوا إليها[7]. ويدلُّ علىٰ أن المراد بنو إسرائيل قوله في الشعراء: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩].

---

(١) في د: «جاز».
(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٤) عن قتادة.
(٣) في أ، ج: «فارحين».
(٤) الكشاف (١٤/ ٢١٢).
(٥) النكت والعيون للماوردي (٥/ ٢٥٢).
(٦) المحرر الوجيز (٧/ ٥٧٧).
(٧) عزاه في المحرر الوجيز (٧/ ٥٧٧) إلىٰ تفسير الثعلبي، ولم أقف عليه في تفسيره ولا في غيره.

﴿٢٩﴾ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَالأَرْضُ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

الأول: أنه عبارةٌ عن تحقيرهم، وذلك أنه إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيمه: «بكت عليه السماء والأرض» علىٰ وجه المجاز والمبالغة، فالمعنىٰ: أن هؤلاء ليسوا كذلك؛ لأنهم أحقر من أن يُبالَىٰ بهم.

الثاني: قيل: إذا مات المؤمن بكىٰ عليه مِن الأرض موضعُ عبادته، ومن السماء موضعُ صعود عمله[1]، فالمعنىٰ: أن هؤلاء ليسوا كذلك؛ لأنهم كفارٌ ليس لهم عمل صالح.

الثالث: أن المعنىٰ: ما بكىٰ عليهم أهلُ السماء ولا أهل الأرض.

والأوَّل أفصح، وهو مَنْزَعٌ معروفٌ في كلام العرب.

﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ أي: مؤخَّرين.



(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٤١) وما بعدها، عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم.

وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَآءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٢٩﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٣﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٦﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٨﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٠﴾

﴿٣٠﴾ ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلْعَذَابِ﴾.

﴿عَالِيًا﴾ أي: متكبِّرًا.

﴿٣١﴾ ﴿ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: كنَّا عالمين بأنهم مستحِقُّون لذلك.

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: علىٰ أهل زمانهم.

﴿٣٢﴾ ﴿بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ أي: اختبارٌ.

﴿٣٣﴾ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: كفارَ قريش.

﴿٣٤﴾ ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ خاطبت قريشٌ بذلك النبيَّ ﷺ وأصحابه علىٰ وجه التَّعجيز. وروي أنهم طلبوا أن يُحْيِيَ لهم قصيَّ بن كلاب؛ ليسألوه عن الآخرة[1].

﴿٣٥﴾ ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ كان تبع ملكًا من حِمْيَرَ، وكان مؤمنًا وقومه كفارٌ، فذمَّ الله قومه ولم يذمَّه. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أدري أكان تبعٌ نبيًّا أو غير نبيٍّ»[2].

ومعنىٰ الآية: أقريشٌ أشدُّ وأقوىٰ أم قوم تُبَّعٍ والذين من قبلهم من الكفار؟ وقد أهلكنا قوم

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٨٧) ضمن أثر طويل من رواية ابن إسحاق، قال: حدثني شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس ﷺ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٩)، والحاكم (١٠٤) وصححه ووافقه الذهبي من حديث أبي هريرة ﷺ، وهو عند أبي داود وابن أبي حاتم والحاكم (٢١٧٤) أيضًا عن أبي هريرة ﷺ بلفظ: «ما أدري تبَّعٌ اللعينٌ هو أم لا»، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

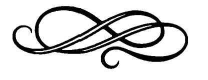
تبع وغيرهم لما كفروا؛ فكذلك نُهلِك هؤلاء، فمقصود الكلام[1] تهديدٌ.

﴿وَالذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عطفٌ على ﴿قَوْمُ تُبَّعٍ﴾، وقيل: هو مبتدأ، فيُوقَف قبله، والأول أصحُّ.

﴿٣٨﴾ ﴿لَعِبِينَ﴾ حالٌ منفيَّة، ذُكرت في «الأنبياء»[2].

﴿٤١﴾ ﴿يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلىً عَن مَّوْلىً﴾ المولى هنا: يعم الوليَّ والقريب وغير ذلك من الموالي.

﴿٤٢﴾ ﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ﴾ استثناءٌ منقطع: إن أراد بقوله: ﴿وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الكفارَ، ومتصلٌ: إن أراد بذلك جميعَ الناس.



(١) في د: «فمقصد الآية».

(٢) انظر تفسير الآية (١٦).

إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ تَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

﴿٤٤﴾ ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ أي: الفاجر، وهو مِن الإثم. وقيل: يعني: أبا جهل، فالألف واللام للعهد، والأظهر أنها للجنس؛ فتعمُّ أبا جهل وغيره.

﴿٤٥﴾ ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ هو دُرْدِيُّ الزيت[١]، وقيل: ما يَذوب[٢] من الرَّصاص وغيره.

﴿٤٧﴾ ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ أي: سوقوه بتعنيفٍ.

﴿٤٨﴾ ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ المصبوب في الحقيقة إنما هو الحميم، وهو الماء الحار، ولكن جَعل المصبوب هنا العذابَ المضافَ إلىٰ الحميم مجازًا؛ لأن ذلك أبلغُ وأشدُّ تهويلًا، وقد جاء الأصل في قوله: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

﴿٤٩﴾ ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ يقال للكافر هذا علىٰ وجه التَّوبيخ والتهكُّم به، أي: كنت العزيز الكريم عند نفسك. وروي أن أبا جهل قال: ما بين جبلَيْها أعزُّ مني ولا أكرم، فنزلت الآية[٣].

﴿٥٠﴾ ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تفتَعِلُون من المرية، وهو الشك.

﴿٥١﴾ ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ قرئ بضم الميم[٤]، أي: موضع إقامة، وبفتحها، أي: موضع قيام،

(١) هو ما يبقىٰ في أسفله. لسان العرب (درد).
(٢) في أ، هـ: «ما يُذاب».
(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٦١) عن قتادة.
(٤) قرأ نافع وابن عامر بضم الميم، وقرأ الباقون بفتحها.

والمراد به: الجنة. **والأمين**: من الأَمْن، أي: مأمونٌ فيه، **وقيل**: من الأمانة، وصف به المكان مجازًا.

(٥٣) ﴿مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ **السُّندس**: الرَّقيق من الدِّيباج، **والإستبرق**: الغليظ منه.

(٥٤) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في موضع رفع؛ أي: الأمرُ كذلك، أو في موضع نصب؛ أي: مثلَ ذلك زوَّجناهم.

(٥٥) ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ أي: يدعون خُدَّامَهم.

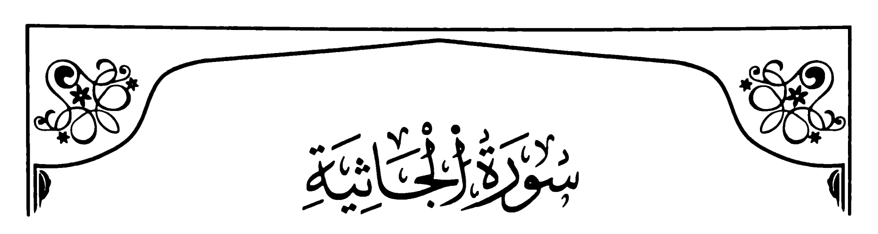
(٥٦) ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ **استثناء منقطع، والمعنى**: لا يذوقون فيها الموت، لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولىٰ خاصةً قبل ذلك، ولولا قوله: ﴿فِيهَا﴾ لكان متصلًا؛ لعموم لفظ الموت. **وقيل**: ﴿إِلَّا﴾ هنا بمعنىٰ: بَعْدَ، وذلك ضعيف.

(٥٨) ﴿يَسَّرْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن.

﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بِلُغَتك، وهي لسان العرب.

(٥٩) ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ أي: ارتقب نصرَنا لك؛ إنهم مرتقبون ضدَّ ذلك، ففيه وعدٌ له ووعيدٌ لهم.





سورة الجاثية

جمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٦﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٨﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

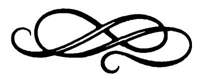
﴿١﴾ ﴿تَنزِيلُ﴾ ذُكر في «الزمر»[1]. وما بعد ذلك تنبيهٌ على الاعتبار بالموجودات، وقد ذُكِر معناه في مواضع.

﴿٦﴾ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ **الأفَّاك**: مبالغةٌ من الإفك، وهو الكذب، **والأثيم**: من الإثم. **وقيل**: إنها نزلت في النضر بن الحارث، ولفظها على العموم.

﴿٧﴾ ﴿يُصِرُّ﴾ أي: يدوم على حاله من الكفر. وإنما عطفه بـ﴿ثُمَّ﴾؛ لاستعظامِ الإصرار على الكفر بعد سماع آيات الله، واستبعادِ ذلك في العقل والطَّبع.

﴿٨﴾ ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾ أي: إذا بلَغه شيءٌ منها، ولم يُرد العلمَ الحقيقي.

﴿٩﴾ ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ كقوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]، وقد ذُكر في «إبراهيم».



(١) انظر تفسير الآية (١).

ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ *قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾

﴿١٣﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: الشمسَ والقمر والملائكة وبني آدم والحيوانات والنبات وغير ذلك.

﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي: كلُّ نعمة فمن الله تعالىٰ. والمجرور في موضع الحال، أو خبر ابتداء مضمر. وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: «مِنَّةً»[1].

﴿١٤﴾ ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ أمر الله المؤمنين أن يتجاوزوا عن الكفار، وأن لا يؤاخذوهم إذا آذوهم، وكان ذلك في صدر الإسلام، فقيل: إنها منسوخة بالسيف، وقيل: ليست بمنسوخة؛ لأن احتمال الأذىٰ مندوبٌ إليه علىٰ كل حال، وأما القتال علىٰ الإسلام فليس من ذلك. وروي: أن الآية نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، شتَمه رجل من الكفار فأراد عمر أن يبطش به[2].

---

(١) حكاها أبو الفتح ابن جني عنه رضي الله عنه في كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢/ ٢٦٢)، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٧/ ٥٩٣): «وقال أبو حاتم [السجستاني]: سند هذه القراءة إلىٰ ابن عباس رضي الله عنه مظلم».

(٢) ذكره الثعلبي (٢٤/ ١٤)، والواحدي في البسيط (٢٠/ ١٣٨) عن ابن عباس رضي الله عنه في رواية عطاء، وعن مقاتل.

و﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ هي نِعَمُه[1]، فـ﴿يَرْجُونَ﴾ على أصله، وقيل: ﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ عبارةٌ عن عقابه، فالرجاء بمعنى الخوف. و﴿يَغْفِرُواْ﴾ مجزومٌ في جواب شرط مقدَّر، دلَّ عليه: ﴿قُل﴾[2]. **قال الزمخشري**: حذف معمول القول، والمعنى: قل لهم اغفروا يغفروا[3].

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ الفاعل بـ﴿يَجْزِيَ﴾ ضميرٌ يعود على الله. **وقرئ** بنون المتكلم[4]. **وقال ابن عطية**: إن الآية وعيدٌ[5]، فالقوم على هذا: هم الذين لا يرجون أيام الله، و﴿يَكْسِبُونَ﴾ يعني: السيئات. **وقال الزمخشري**: القوم: هم الذين آمنوا، وجزاؤهم: الثواب؛ ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ بكَظْم الغيظ واحتمال المكروه[6].

(١٥) ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ذكر في «**البقرة**»[7].

(١٦) ﴿بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي: معجزاتٍ من أمر الدين.

(١٧) ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ أي: على ملةٍ ودين.

(٢٠) ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا للإنكار، و﴿ٱجْتَرَحُواْ﴾ اكتسبوا. والمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الكفار؛ لمقابلته بالذين آمنوا، ولأن الآية مكية، وقد يتناول لفظُها المذنبين من المؤمنين، ولذلك يُذكر أن الفضيل بن عياض قرأها بالليل فما زال يردِّدُها ويبكي طول الليل، ويقول لنفسه: من أيِّ الفريقين أنت؟![8]

ومعناها: إنكارُ ما حَسِبَه الكفار من أن يكونوا هم والمؤمنون سواءً في المحيا والممات.

---

(١) في المحرر الوجيز (٧/ ٥٩٤): «أيام إنعامه ونصره وتنعيمه في الجنة وغير ذلك».

(٢) تقديره: «قل اغفروا، فإن يجيبوا يغفروا» المحرر الوجيز (٧/ ٥٩٤).

(٣) الكشاف (١٤/ ٢٤٦).

(٤) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالنون، وقرأ الباقون بالياء.

(٥) المحرر الوجيز (٧/ ٥٩٥)

(٦) الكشاف (١٤/ ٢٤٧-٢٤٨).

(٧) انظر تفسير الآية (٤٦).

(٨) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٤/ ٢٢).

وفي تأويلها مع ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد: ليس المؤمنون سواءً مع الكفار، لا في المحيا ولا في الممات؛ فإن المؤمنين عاشوا على التقوى والطاعة، والكافرين عاشوا على الكفر والمعصية، وكذلك مماتُهم ليس سواءً.

والقول الآخر: أنهم إن استووا في المحيا -أي: في أمور الدنيا من الصحة والرزق-، فلا يستوون في الممات، بل يسعد المؤمنون ويَشقى الكافرون، فالمراد بها: إثبات الجزاء في الآخرة، وتفضيل المؤمنين على الكفَّار في الآخرة، **وهذا المعنى هو الأظهر والأرجح،** فيكون معنى الآية كقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]، وكقوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

﴿سَوَآءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ هذه الجملة بدلٌ من الكاف في قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ، وهي مفسِّرةٌ للتشبيه، وهي داخلةٌ فيما أنكره الله مما حسِبه الكفار. **وقيل:** هي كلام مستأنَف؛ **والمعنى على هذا:** أن محيا المؤمنين ومماتَهم سواءٌ، وأن محيا الكفار ومماتهم سواءٌ؛ لأن كل أحد يموت على ما عاش عليه، **وهذا المعنى بعيد، والصحيح:** أنها من تمام ما قبلها، على المعنى الذي اخترناه.

وأما إعرابها: فمن قرأ ﴿سَوَآءٌ﴾ بالرفع[1]: فهو مبتدأ، وخبره ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ ، والجملة بدلٌ من الجار والمجرور الواقع مفعولًا ثانيًا لـ﴿نَجْعَلَ﴾.

ومن قرأ ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب: فهو حالٌ، أو مفعول ثانٍ لـ﴿نَجْعَلَ﴾ ، و﴿مَّحْيَاهُمْ﴾ فاعلٌ بـ﴿سَوَآءً﴾ ؛ لأنه في معنى: مستوٍ.

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ساءَ حكمُهم في تسويتهم بين أنفسهم وبين المؤمنين.



(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.

وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢١﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٣﴾ *وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

﴿٢١﴾ ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ **معطوفٌ علىٰ قوله:** ﴿بِالْحَقِّ﴾ **؛ لأن فيه معنىٰ التعليل، أو علىٰ تعليلٍ محذوف تقديره:** خلق الله السماوات والأرض؛ ليدلَّ بهما علىٰ قدرته، ولتُجزَىٰ كل نفس بما كسبت.

﴿٢٢﴾ ﴿اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ **أي:** أطاعه حتىٰ صار له كإلهٍ[1].

﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ **أي:** علىٰ علمٍ من الله سابقٍ، **وقيل:** علىٰ علم من هذا الضالِّ بأنه علىٰ ضلال، ولكنه يتبع الضَّلال معاندةً.

﴿وَخَتَمَ﴾ **ذكر في «البقرة»**[2].

﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ **قال ابن عطية:** فيه حذف مضافٍ تقديره: من بعد إضلال الله إيَّاه[3]. **ويَحتمل أن يريد:** فمن يهديه غير الله.

﴿٢٣﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ **الضمير:** لمن اتخذ إلهه هواه، أو لقريش.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ **فيه أربع تأويلات: أحدها:** أنهم أرادوا: يموت منَّا قوم ويحيا قوم. **والآخر:** نموت نحن ويحيا أولادنا. **والثالث:** نموت حين كنا عَدَمًا أو نُطَفًا، ونحيا في الدنيا.

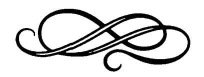
---

(١) في د: «كالإله».
(٢) انظر تفسير الآية (٦).
(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٦٠١).

والرابع: نموت الموت المعروف، ونحيا قبله في الدنيا، فوقع في اللفظ تقديم وتأخير.
ومقصودهم على كل وجه: إنكار الآخرة. ويظهر أنهم كانوا على مذهب الدَّهرية؛ لقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ الآيةَ.

﴿٢٤﴾ ﴿قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ ذكر في «**الدخان**»[1].

﴿٢٥﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ على المنكرين للحشر، واستدلالٌ على وقوعه بقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة.



(١) انظر تفسير الآية (٣٤).

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٦﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣١﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٢﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٥﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٦﴾

﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ أي: تجثو على الرُّكَب، وتلك هيئة الخائف الذليل.

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ أي: إلى صحائف أعمالها. وقيل: إلى الكتاب المنزل عليها، **والأول أرجح**؛ لقوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ الآيةَ. **فإن قيل**: كيف أضاف الكتاب تارةً إليهم وتارةً إلى الله تعالى؟ **فالجواب**: أنه أضافه إليهم؛ لأن أعمالهم ثابتةٌ فيه، وأضافه إلى الله؛ لأنه تعالى مالكه، وهو الذي أمر الملائكة أن يكتبوه.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: نأمر الملائكة الحافظين بكتابة أعمالكم. وقيل: إن الله يأمر الحفَظة أن تنسخ أعمال العباد من اللوح المحفوظ، ثم يُمسكونه عندهم، فتأتي أفعال العباد على نحو ذلك فتكتبها أيضًا الملائكة، فذلك هو الاستنساخ، وكان ابن عباس ﷺ يحتجُّ على ذلك بأن يقول: لا يكون الاستنساخ إلَّا من أصل[1].

﴿٣٠﴾ ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ﴾ تقديره: يقال لهم ذلك.

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٠٤).

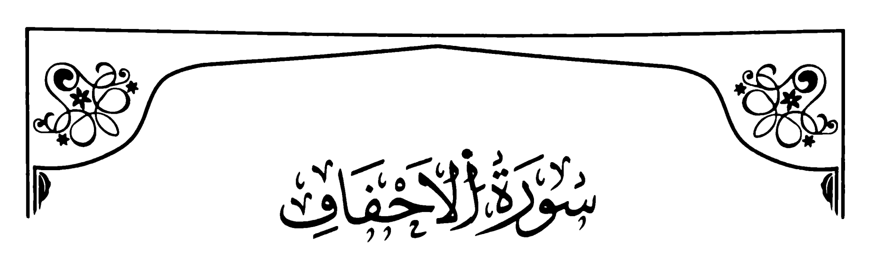
(٣٢) ﴿وَحَاقَ﴾ ذُكِر مرارًا[1].

(٣٣) ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ النسيان هنا بمعنىٰ: التَّرك. وأما في قوله: ﴿كَمَا نَسِيتُمْ﴾ فيحتمل أن يكون: بمعنىٰ الترك، أو الذُّهول.

(٣٤) ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من العُتْبىٰ، وهي الرضا.

---

(١) انظر المادة (١٣٧) في اللغات، وتفسير الآية (٤٨) من سورة الزمر.



سورة الأحقاف

حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٥﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٧﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩﴾

﴿١﴾ ﴿تَنزِيلُ﴾ ذكر في «الزمر»[1].

﴿٢﴾ ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ذكر مرارًا[2].

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة.

---

(١) انظر تفسير الآية (١).

(٢) انظر تفسير الآية (٥) من سورة يونس، وتفسير الآية (٨٥) من سورة الحجر، وتفسير الآية (٢٦) من سورة ص.

﴿٤﴾ ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ﴾ احتجاجٌ على التوحيد، وردٌّ على المشركين، فالأمر بمعنى التَّعجيز.

﴿شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: نصيبٌ.

﴿ٱيتُونِي بِكِتَٰبٍ﴾ تعجيزٌ؛ لأنهم ليس لهم كتاب يدلُّ على الإشراك بالله، بل الكتب كلها ناطقةٌ بالتوحيد.

﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: بقيَّةٍ من علم قديم يدلُّ على ما تقولون. وقيل: معناه من علم تُثيرونه، أي: تستخرجونه، وقيل: هو الإسناد، وقيل: هو الخطُّ في الرَّمل، وكانت العرب تتكهَّن به، وقال رسول الله ﷺ: «كان نبي من الأنبياء يخط في الرمل؛ فمن وافق خطَّه فذاك»[1].

﴿٥﴾ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ الآيةَ؛ معناها: لا أحدَ أضلُّ ممن يدعو إلهًا لا يستجيب له، وهي الأصنام؛ فإنها لا تسمع ولا تعقل، ولذلك وصفها بالغفلة عن دعائهم؛ لأنها لا تسمعه.

﴿٦﴾ ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ أي: كان الأصنامُ أعداءً للذين عبدوها.

﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ الضمير في ﴿كَانُواْ﴾ للأصنام، أي: تتبرأ الأصنام من الذين عبدوها. وإنما ذَكر الأصنام بضمائر مثل ضمائر العقلاء؛ لأنه أَسند إليهم ما يُسند إلى العقلاء، من الاستجابة والغفلة والعداوة.

﴿٨﴾ ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: لو افتريته لعاقبني الله على الافتراء عقوبةً لا تقدرون على دفعها، ولا تملكون شيئًا مِن ردِّها، فكيف أفتريه وأتعرَّض لعقاب الله؟

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: بما تتكلَّمون به، يقال: أفاض الرجل في الحديث: إذا خاض فيه واستمرَّ.

﴿٩﴾ ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ البِدْعُ والبَدِيع من الأشياء: ما لم يُرَ مثلُه، أي: ما كنت أوَّلَ رسول، ولا جئت بأمر لم يجئ به أحدٌ قبلي، بل جئت بما جاء به قبلي ناسٌ كثيرون؛ فلأيِّ شيء تنكرون ذلك؟!

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي ﷺ.

﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ **فيها أربعة أقوال:**

الأوَّل: أنها في أمر الآخرة، وكان ذلك قبل أن يعلم أنه في الجنة، وقبل أن يعلم أن المؤمنين في الجنة وأن الكفار في النار، وهذا بعيد؛ لأنه لم يزل يعلم ذلك مِن أول ما بعثه الله.

الثاني: أنها في أمر الدنيا، أي: لا أدري بما يَقضي الله عليَّ وعليكم؛ فإن مقادير الله مغيَّبةٌ، وهذا هو الأظهر.

الثالث: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي، وما تُلزِمُه الشريعةُ.

الرابع: أن هذا كان في الهجرة؛ إذ كان رسول الله ﷺ قد رأىٰ في النوم أنه يهاجر إلىٰ أرضٍ نخلٍ، فقلق المسلمون لتأخُّر ذلك، فنزلت هذه الآية.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ﴾ **معنىٰ الآية:** أرأيتم إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به، ألستم ظالمين؟ ثم حذف قوله: «ألستم ظالمين» وهو الجواب؛ لأنه دلَّ عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾ هذه الجملة معطوفة علىٰ الجملة التي قبلها، **والمعنىٰ:** أرأيتم إن اجتمع كونُ القرآن من عند الله، مع شهادة شاهدٍ من بني إسرائيل علىٰ مثله، ثم آمن به هذا الشاهد وكفرتم أنتم، ألستم أضلَّ الناس وأظلمَ الناس؟ **واختُلف في الشَّاهد المذكور علىٰ ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه عبد الله بن سلَام رضي الله عنه، **فقيل علىٰ هذا:** إن الآية مدنية؛ لأنه إنما أسلم بالمدينة، **وقيل:** إنها مكية، وأخبر بشهادته قبل وقوعها ثم وقعت علىٰ حسَب ما أخبر، وكان عبد الله بن سلَام رضي الله عنه يقول: فيَّ نزلت الآية[1].

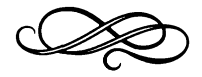
الثاني: أنه رجل من بني إسرائيل كان بمكة.

الثالث: أنه موسىٰ عليه السلام، ورجَّح ذلك الطبري[2].

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٢٧)، والترمذي (٣٢٥٦) وقال: «غريب».
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٣١).

والضمير في ﴿مِثْلِهِۦ﴾ للقرآن، أي: شهد على مثله فيما جاء به من التوحيد والوعد والوعيد. والضمير في ﴿ءَامَنَ﴾ للشاهد، فإن كان عبد الله بن سلام أو الرجل الآخر: فإيمانه بيِّن، وإن كان موسى ﷺ فإيمانه: هو تصديقه بأمر محمد ﷺ وتبشيره به.



وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ *وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

﴿١١﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ أي: لو كان الإسلام خيرًا ما سبقَنا إليه هؤلاء. **والقائلون لهذه المقالة**: هم أكابر قريش لما أسلم الضعفاء؛ كبلال، وعمار، وصهيب ﷺ. **وقيل**: بل قالها كِنانة وقبائل من العرب لما أسلمت غِفار ومزينة وجهينة، **وقيل**: بل قالها اليهود لما أسلم عبد الله بن سلام ﷺ، **والأول أرجح**؛ لأن الآية مكية، وكانت مقالة قريش بمكة، وأما مقالة الآخرين فإنما كانت بعد الهجرة. ومعنىٰ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: من أجل الذين آمنوا، أي: قالوا ذلك عنهم في غَيْبتهم، وليس المعنىٰ: أنهم خاطبوهم بهذا الكلام؛ لأنه لو كان خطابًا لقالوا: «ما سبقتمونا».

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي: لـمَّا لم يهتدوا به قالوا: هذا إفك قديم،

ونحو هذا ما جاء في المثل: «مَنْ جَهِل شيئًا عاداه». ووصفوه بالقِدَم؛ لأنه قد قيل قديمًا.
فإن قيل: كيف عَمِلَ ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ في ﴿إِذْ﴾ وهي للماضي والعامل مستقبل؟

فالجواب: أن العامل في ﴿إِذْ﴾ محذوفٌ، تقديره: «إذ لم يهتدوا به ظهَر عنادُهم، فسيقولون..»، **قال ذلك الزمخشري**[1].

ويظهر لي: أنَّ ﴿إِذْ﴾ هنا بمعنى التعليل، لا ظرفيةٌ بمعنى الماضي، فلا يلزم السؤال، **والمعنى:** أنهم قالوا: هذا إفك بسبب أنهم لم يهتدوا به، وقد جاءت ﴿إِذْ﴾ بمعنى التعليل في القرآن وفي كلام العرب، ومنه: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ [الزخرف: ٣٨] أي: بسبب ظلمكم.

(١٢) ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ الضمير في ﴿قَبْلِهِۦ﴾ للقرآن، و ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ هو التوراة، و ﴿إِمَامًا﴾ حال، ومعناه: يُقتَدىٰ به.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ الإشارةُ بـ ﴿هَٰذَا﴾ إلىٰ القرآن. ومعنىٰ ﴿مُّصَدِّقٌ﴾: صدَّق ما قبلَه من الكتب، وقد ذكرنا ذلك في «البقرة»[2]. و﴿لِّسَانًا﴾ حالٌ من الضمير في ﴿مُّصَدِّقٌ﴾، وقيل: مفعول بـ﴿مُّصَدِّقٌ﴾؛ أي: صدَّق ذا لسانٍ عربي، وهو محمد ﷺ، **واختار هذا ابنُ عطية**[3].

(١٣) ﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ ذكر في «**حم السجدة**»[4].

(١٥) ﴿حُسْنًا﴾ ذكر في «**العنكبوت**»[5].

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: حملته بمشقَّةٍ ووضعته بمشقة. ويقال: كرْهٌ بفتح الكاف وضمها بمعنىٰ واحد[6].

---

(١) الكشاف (١٤/ ٢٨١-٢٨٣).
(٢) انظر تفسير الآية (٤٠).
(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٦١٦).
(٤) انظر تفسير الآية (٢٩).
(٥) انظر تفسير الآية (٧).
(٦) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام عن ابن عامر بفتح الكاف، وقرأ الباقون بضمها.

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ﴾ أي: مدة حمله ورَضاعه ثلاثون شهرًا، وهذا لا يكون إلَّا بأن يَنقص من أحد الطَّرفين، وذلك إمَّا أن تكون مدة الحمل ستةَ أشهر ومدة الرضاع حولين كاملين، أو تكون مدة الحمل تسعة أشهر ومدة الرضاع حولين غير ثلاثة أشهر. ومن هذا أَخَذ علي بن أبي طالب ﷺ والعلماء: أن أقل مدة الحمل ستة أشهر[1]. وإنما عبَّر عن مدة الرضاع بالفِصال وهو الفِطام؛ لأنه منتهىٰ الرَّضاع.

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ ذكر في «يوسف»[2].

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ هذا حدُّ كمال العقل والقوة. ويقال: إن الآية نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ[3]، وقيل: إنها عامة.

(١٥) ﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِۖ﴾ أي: في جملة أصحاب الجنة، كما تقول: «رأيت فلانًا في الناس»، أي: مع الناس.

(١٦) ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ **قال مروان بن الحكم**: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين كُفْرِه[4]، كان أبوه وأمه يدعوَانه إلىٰ الإسلام فيأبىٰ ويقول لهما: «أفٍّ لكما»، وأنكرت عائشة ﷺ ذلك وقالت: «والله ما نزل في آل أبي بكر شيءٌ من القرآن إلَّا براءتي»[5]. **ويُبطِل ذلك قطعًا قولُه تعالىٰ**: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أسلم وكان من خيار المسلمين، وكان له في الجهاد غَناءٌ عظيم، وقال السُّديُّ: ما رأيت أعبدَ منه[6].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٥٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٣)، ومالك في الموطأ (٢٤٧٦) بلاغًا.

(٢) انظر تفسير الآية (٢٢).

(٣) ذكره الطبري (٢١/ ١٤١) قولًا لم يسنده، وفي الدر المنثور (١٣/ ٣٢٦): «أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس ﷺ»، وأخرجه الثعلبي بإسناده (٢٤/ ٨٣) عن علي ﷺ.

(٤) في د: «كفر».

(٥) أخرجه البخاري (٤٨٢٧).

(٦) لم أقف علىٰ مصدر هذا القول، والسدي أدرك زمان عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ، فإنه قد أدرك سعد بن أبي وقاص ﷺ كما في تهذيب الكمال للمزي (٣/ ١٣٧)، وسعدٌ توفي سنة (٥٥هـ) كما في السير للذهبي (١/ ١٢٣)، وعبد الرحمن مات بعد سعد، ففي صحيح مسلم (٢٤٠) أنه دخل علىٰ عائشة يوم مات سعد. توفي (٥٨هـ) =

وقال ابن عباس ﷺ: نزلت في ابنٍ لأبي بكر، ولم يسمِّه[١]. ويردُّ ذلك: ما ذكرنا عن عائشة ﷺ. **وقيل**: هي على الإطلاق فيمن كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه، ويدلُّ على أنها عامةٌ قولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ بصيغة الجمع، ولو أراد واحدًا بعينه لقال: «ذلك الذي حق عليه القول». وقد ذكرنا ﴿أُفٍّ﴾ في «**الإسراء**»[٢].

﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ﴾ أي: أتعدانني أن أُخرج من القبر للبعث.

﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾ أي: قد مضت قرونٌ من الناس ولم يبعث منهم أحد.

﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ الضمير لوالديه، أي: يستغيثان بالله من كراهتهما لما يقوله ابنهما، ثم يقولان له: ﴿وَيۡلَكَ﴾، ثم يأمرانه بالإيمان، ﴿فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: أي: قد سطَره الأوَّلون في كتبهم، وذلك تكذيبٌ بالبعث والشريعة.

﴿١٨﴾ ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ أي: للمحسنين والمسيئين درجاتٌ في الآخرة بسبب أعمالهم، فدرجات أهل الجنة إلى علْوٍ، ودرجات أهل النار إلى سفْلٍ.

﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ﴾ تعليلٌ لفعل محذوف، وبه يتعلَّق، تقديره: جعَل جزاءَهم درجاتٍ؛ ليوفيهم[٣] أعمالهم.

﴿١٩﴾ ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ﴾ العامل فيه محذوفٌ، تقديره: اذكر.

﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ﴾ تقديره: يقال لهم: أذْهبتم طيباتكم.

والطيبات هنا: الملاذُّ من المآكل وغيرها.

وقرئ ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ﴾: بهمزة واحدة على الخبر، وبهمزتين على التوبيخ[٤]. والآية في الكفار؛ بدليل قوله: ﴿يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، وهي مع ذلك واعظةٌ لأهل التقوى من

= بعد سعد وقبل عائشة ﷺ كما في التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ٢٤٢)، فيدل هذا على أنه رؤية السدي لعبد الرحمن ممكنة، غير أني لم أقف على مصدر لهذا القول الذي أورده ابن جزي.

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٤٤) من طريق العوفي عنه ﷺ.

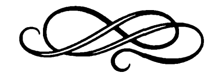
(٢) انظر تفسير الآية (٢٣).

(٣) في د: «لنوفيهم».

(٤) قرأ ابن كثير وابن عامر بهمزتين على الاستفهام، وقرأ الباقون بهمزة واحدة على الخبر.

المؤمنين، ولذلك قال عمر لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما وقد رآه اشترى لحمًا: أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية؟[1]

﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي: العذاب الذي اقترن به هوانٌ.



(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ١٩٦)، ومالك (٢٦٥٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٠١٢)، والحاكم (٣٦٩٨).

﴿وَاذْكُرَ اخَا عَادٍ اِذَ اَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِالاَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ اِلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ أَللَّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَافِكَنَا عَنَ -الِهَتِنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ أَلصَّٰدِقِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا أَلْعِلْمُ عِندَ أَللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيَ أَرِيٰكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمْطِرُنَاۖ بَلْ هُوَ مَا إِسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ اَلِيمٞ ۝ تُدَمِّرُ كُلَّ شَےْءِۢ بِأَمْرِ رَبِّهَاۖ فَأَصْبَحُواْ لاَ تَرَىٰٓ إِلاَّ مَسَٰكِنَهُمْۖ كَذَٰلِكَ نَجْزِے اِلْقَوْمَ أَلْمُجْرِمِينَ ۝ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَٰراً وَأَفْـِٕدَةٗ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٕدَتُهُم مِّن شَےْءٍ اِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ اِللَّهِۖ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝﴾

۝ ﴿وَاذْكُرَ اخَا عَادٍ﴾ **يعني:** هودًا عليه السلام.

﴿بِالاَحْقَافِ﴾ جمع حِقْفٍ، وهو الكُدْسُ من الرمل. **واختُلف أين كانت؟ فقيل:** بالشام، **وقيل:** بين عُمَان ومَهَرة، **وقيل:** بين عُمان وحَضْرَموت، **والصحيح** أن بلاد عادٍ كانت باليمن.

﴿وَقَدْ خَلَتِ اِلنُّذُرُ﴾ أي: تقدَّمت مِن قَبلِه ومن بعده. و﴿اِلنُّذُرُ﴾ جمع نذير. **فإن قيل:** كيف يُتصوَّر تقدُّمها من بعده؟

فالجواب: أن هذه الجملة اعتراضٌ، وهي إخبارٌ من الله تعالىٰ أنه قد بَعث رسلًا متقدِّمين قبل هود عليه السلام وبعده، **وقيل:** معنىٰ ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾: في زمانه.

۝ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَلْعِلْمُ عِندَ أَللَّهِ﴾ أي: قال: إن العذاب الذي قلتم ائتنا به ليس لي علمٌ متىٰ يكون، وإنما يعلمه الله، وما عليَّ إلَّا أن أبلِّغكم ما أُرسلت به.

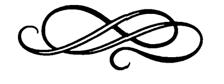
۝ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ **العارض:** السحاب الذي يَعرِض في أفق السماء. **والضمير في** ﴿رَأَوْهُ﴾ **يعود علىٰ** ﴿مَا تَعِدُنَآ﴾ ، **أو علىٰ** المرْئيِّ المبهم الذي فسَّره قوله: ﴿عَارِضاً﴾، **قال الزمخشري:** وهذا أعرب وأفصح[1]. **وروي** أنهم كانوا قد قَحِطوا مدَّةً، فلما رأوا هذا العارض ظنوا أنه مطر ففرحوا به، فقال لهم هود عليه السلام: بل هو ما

(١) الكشاف (١٤/ ٣٠١).

استعجلتم به من العذاب. وقوله: ﴿رِيحٌ﴾: بدلٌ من ﴿مَا ٱسْتَعْجَلْتُم﴾، أو خبر ابتداء مضمر.

(٢٤) ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ عمومٌ يراد به الخصوص.

(٢٥) ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ﴾ هذا خطابٌ لقريش على وجه التهديد، أي: مكَّنَّا عادًا فيما لم نمكنْكم فيه من القوة والأموال وغير ذلك، ثم أهلكناهم لما كفروا. و﴿إِن﴾ هنا: نافيةٌ بمعنى «ما»، وعَدل عن «ما» كراهيةً لاجتماعها مع «ما» التي قبلها. وقيل: ﴿إِن﴾ شرطيةٌ، وجوابها محذوف، تقديره: إن مكنَّاكم فيه طَغيتم. قال ابن عطية: وهذا تنطُّعٌ في التأويل[1].



(١) المحرر الوجيز (٧/ ٦٢٩).

وَلَقَدَ اَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ اَلْقُرِيٰ وَصَرَّفْنَا اَلاَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَوْلاَ نَصَرَهُمُ اُلذِينَ اَتَّخَذُواْ مِن دُونِ اِللَّهِ قُرْبَاناً اٰلِهَةَۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ اَلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ اَلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوِاْ اِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰباً اُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى اَلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٩﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ اَللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ اَلِيمٍ ﴿٣٠﴾ وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اَللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي اِلاَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ اُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣١﴾ *اَوَلَمْ يَرَوَاْ اَنَّ اَللَّهَ اَلذِے خَلَقَ اَلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُّحْـيِيَ اَلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَےْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٢﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ اُلذِينَ كَفَرُواْ عَلَى اَلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ اُلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٣﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ اُوْلُواْ اُلْعَزْمِ مِنَ اَلرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ اَلْقَوْمُ اُلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٤﴾

﴿٢٦﴾ ﴿وَلَقَدَ اَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ اَلْقُرِيٰ﴾ يعني: بلادَ عاد، وثمود، وسبأ، وغيرها، والمراد: إهلاك أهلها.

﴿٢٧﴾ ﴿فَلَوْلاَ نَصَرَهُمُ﴾ الآيةَ؛ عرْضٌ معناه النفي؛ أي: لم تنصرهم آلهتهم التي عبدوا[1] من دون الله.

﴿قُرْبَاناً﴾ أي: تقرَّبوا بهم إلىٰ الله، وقالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله. وانتصاب ﴿قُرْبَاناً﴾ علىٰ الحال. ولا يصح أن يكون ﴿قُرْبَاناً﴾ مفعولًا ثانيًا لـ﴿اَتَّخَذُواْ﴾ و﴿اٰلِهَةَۢ﴾ بدلٌ منه؛ لفساد المعنىٰ، قاله الزمخشري[2]، وقد أجازه ابن عطية[3].

---

(١) في ب: «عبدوهم»، وفي د: «عبدوها».

(٢) الكشاف (١٤/ ٣٠٧)، قال الطِّيبي في الحاشية: «لأنك إذا جلعت ﴿قربانًا﴾ مفعولًا ثانيًا لـ«اتخذ»، فكأنك قلت: اتخذوهم -أي: الأصنام- قُربانًا وآلهة، والأله لا يُتخذ قربانًا، فيفسد المعنىٰ».

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٦٢٩).

﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ﴾ أي: تَلِفُوا لهم، وغابوا عن نصرهم حين احتاجوا إليهم.

﴿٢٨﴾ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ أي: أَمَلْناهم نحوَك. والنفر في اللغة: دون العشرة. وروي أن الجن كانوا سبعة[1]، وكانوا كلهم ذكرانًا؛ لأن النفر الرجالُ دون النساء، وكانوا من أهل نَصِيبِينَ[2]، وقيل: من أهل الجزيرة. واختُلف هل رآهم النبي ﷺ؟

فقيل: إنه لم يرهم، ولم يعلم باستماعهم حتىٰ أعلمه الله بذلك. وقيل: بل علم بهم واستعدَّ لهم واجتمع معهم، وقد ورد في ذلك عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أحاديث مضطربة[3].

وسبب استماع الجن: أنهم لما طُرِدوا عن استراق السمع من السماء برجْم النجوم قالوا: ما هذا إلَّا أمرٌ[4] حدث! فطافوا في الأرض ينظرون ما أوجب ذلك، حتىٰ سمعوا قراءة رسول الله ﷺ في صلاة الفجر في سوق عكاظ، فاستمعوا إليه وآمنوا به[5].

﴿٢٩﴾ ﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ في هذا دلالةٌ[6] علىٰ أنهم كانوا علىٰ دين اليهود، وقيل: كانوا لم يعلموا ببعث عيسىٰ عليه السلام.

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٦٥) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في تفسير الطبري (٢٣/ ٣١٢): «وهي أرض باليمن»، وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١/ ٢٧٤): «قرية باليمن غير التي بالعراق». وفي معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/ ٢٨٨): «نصيبين: هي بلدة في بلاد الجزيرة التي بين الشام والعراق»، ونحو هذا التعريف في معجم ما استعجم للبكري، ومراصد الاطلاع لصفي الدين القطيعي، ولم يذكروا بلدةً باليمن اسمها نصيبين!

(٣) في المحرر الوجيز (٧/ ٦٣٢): «واضطربت الروايات عن عبد الله بن مسعود، وروي عنه ما ذكرنا، وذُكر عنه أنه رأىٰ رجالا من الجن وهم شبه رجال الزُّطِّ السُّود الطِّوال حين رآهم بالكوفة، وروي عنه أنه قال: ما شاهد أحد منا ليلة الجن مع رسول الله ﷺ، فاختصرت هذه الروايات وتطويلها لعدم صحتها». ا.هـ. والذي في صحيح مسلم (٤٥٠) عن علقمة قال: سألت ابن مسعود رضي الله عنه: هل شهد أحدٌ منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا.. الحديث.

(٤) في د: «الأمر».

(٥) أخرجه البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) في أ، هـ: «دليل».

﴿مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ذكر في «البقرة»(١).

(٣٠) ﴿دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ هو رسول الله ﷺ.

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ ﴿مِّن﴾ هنا للتبعيض على الأصح، أي: يغفر لكم الذنوب التي فعلتم قبل الإسلام، وأما التي بعد الإسلام فهي في مشيئة الله. وقيل: معنى التبعيض: أن المظالم لا تُغفَر، وقيل: إن ﴿مِّن﴾ زائدة.

﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: من النار. واختَلف الناس هل للجنِّ ثوابٌ زيادةً على النجاة من النار، أم ليس لهم ثواب إلَّا النجاة خاصةً؟

(٣١) ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ يحتمل أن يكون من كلام الجن، أو من كلام الله تعالى. ومعنى ﴿لَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾: لا يفوتُ.

(٣٢) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ الآيةَ؛ احتجاجٌ على بعث الأجساد بخِلْقة السماوات والأرض.

﴿وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ يقال: عَيِيتُ بالأمرِ: إذا لم تعرفْه، فالمعنى: أنه تعالى عَلِم كيف خَلْقُ السماوات، وأحكم خِلْقتها؛ فلا شكَّ أنه قادرٌ على إحياء الموتى.

﴿بِقَادِرٍ﴾ في موضع رفع؛ لأنه خبر ﴿أَنَّ﴾، وإنما دخلت الباء؛ لاشتمال النفي في أول الآية على ﴿أَنَّ﴾ وخبرها(٢).

﴿بَلَىٰٓ﴾ جوابٌ لما تقدَّم؛ أي: هو قادر على أن يُحيي الموتى.

(٣٤) ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ هذا خطابٌ للنبي ﷺ، أي: اصبر على تكذيب قومك. وأولو العزم هم: نوحٌ، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، وقيل: هم الثمانيةَ عشرَ المذكورون في سورة «الأنعام»؛ لقوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقيل: كلُّ من لَقِي من أمته شدةً. وقيل: الرسل كلهم أولو عزم؛ فـ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ على هذا: لبيان الجنس، وعلى الأقوال المتقدمة: للتبعيض.

---

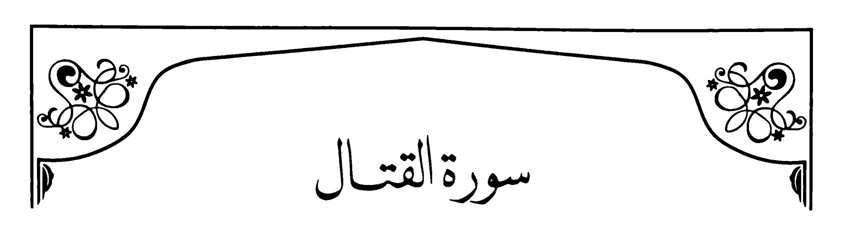
(١) انظر تفسير الآية (٤٠).

(٢) عبارة الكشاف (١٤/ ٣١٦): «وإنما دخلت الباء؛ لاشتمال النفي في أول الآية على ﴿أنَّ﴾ وما في حيِّزها».

﴿وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ أي: لا تستعجل نزول العذاب بهم، فإنهم صائرون إليه؛ فإنهم[1] إذا هلكوا كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلَّا ساعةً من نهار؛ لاستقصار أعمارهم.

﴿بَلَٰغٌ﴾ خبر ابتداء مضمر، تقديره: هذا الذي وُعِظتم به بلاغٌ، بمعنى: كفايةٌ في الموعظة، أو بلاغ من الرسول ﷺ، أي: بلَّغَ هذه المواعظَ والبراهين.

(١) في د: «وإنهم».



سورة القتال

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ۝٣ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۝٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٩ ۞أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ۝١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝١١

(١) ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ **يعني**: كفار قريش، وعموم اللفظ يصلح لكلِّ كافرٍ. كما أن قوله بعد هذا: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني به: الصحابةَ، وعموم اللفظ يصلح لكل مؤمن.

﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ **يحتمل أن يكون** ﴿صَدُّواْ﴾ بمعنى: أعرضوا، فيكون غيرَ متعدٍّ، أو بمعنى: صدوا الناسَ، فيكون متعدِّيًا. و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الإسلام والطاعة.

﴿أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أي: أبطلها وأحبطها. وقيل: المراد بـ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ هنا: ما أنفقوا في غزوة بدر، فإن هذه السورة نزلت بعد بدر. واللفظ أعم من ذلك.

(٢) ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ﴾ هذا تجريدٌ؛ للاختصاص والاعتناء، بعد عموم قوله: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، ولذلك أكَّده بالجملة الاعتراضية، وهي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾.

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ **قيل**: معناه: أصلح حالهم وشأنهم. **وحقيقة البال**: الخاطر الذي في القلب، وإذا صلَح القلب صلَح الجسد كلُّه، **فالمعنى**: إصلاح دينهم بالإيمان والإخلاص والتقوى.

﴿٤﴾ ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ أصله: «فاضربوا الرقابَ ضربًا»، ثم حَذف الفعل وأقام المصدر مُقامه. والمراد: اقتلوهم، ولكن عبَّر عنه بضرب الرقاب؛ لأنه الغالب في صفة القتل.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أي: هزمتموهم، **والإثخان**: أن يَكثر فيهم القتل والأسر.

﴿فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ عبارةٌ عن الأسر.

﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ **المنُّ**: العتق، **والفداء**: فكُّ الأسير بمال، وهما جائزان. فإن مذهب مالك: أن الإمام مخيَّر في الأُسارى بين خمسة أشياء؛ وهي: المن، والفداء، والقتل، والاسترقاق، وضرب الجزية[1].

وقيل: لا يجوز المنَّ ولا الفداء؛ لأن الآية منسوخة بقوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، فلا يجوز على هذا إلَّا قتلُهم، **والصحيح** أنها محكمة. وانتصب ﴿مَنًّا﴾ و﴿فِدَآءً﴾ على المصدرية، والعامل فيهما: فعلان مضمران.

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ **الأوزار في اللغة**: الأثقال، **فالمعنى**: حتى تذهب وتزول أثقالها، وهي آلاتها. **وقيل**: **الأوزار**: الآثام؛ لأن الحرب لا بدَّ أن يكون فيها آثامٌ في أحد الجانبين.

واختُلف في الغاية المرادة هنا: **فقيل**: حتى يُسلم الجميع، وحينئذ تضع الحرب أوزارها، **وقيل**: حتى تقتلوهم وتَغلِبوهم، **وقيل**: حتى ينزلَ عيسى بن مريم عليه السلام.

قال ابن عطية: ظاهر اللفظ أنها استعارة يراد بها التزام الأمر أبدًا، كما تقول: «أنا أفعلُ كذا إلى يوم القيامة»[2].

---

(١) ومذهب أحمد أن الإمام يخيَّر فيهم بين أربعة أشياء، وهي كما في مذهب مالك إلا ضرب الجزية. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٠/ ٨١).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٦٤١).

(٤) ﴿ذَٰلِكَ﴾ تقديره: الأمرُ ذلك.

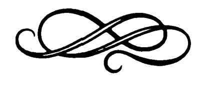
﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ أي: لو شاء الله لأهلك الكفار بعذابٍ من عنده، ولكنه تعالىٰ أراد اختبار المؤمنين، وأن يبلوَ بعضَ الناس ببعض.

(٦) ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ أي: جعلهم يَعرِفون منازلهم فيها، فهو من المعرفة، وقيل: معناه طيَّبها لهم، فهو من العَرْف، وهو طِيبُ الرائحة، وقيل: معناه شرَّفها ورفعها، فهو من الأعراف التي هي الجبال.

(٨) ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ أي: عِثارًا وهَلاكًا. وانتصابه علىٰ المصدرية، والعامل فيه فعلٌ مضمر[1]، وعلىٰ هذا الفعل عُطِف قوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

(١٠) ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ أي: لكفار قريش أمثالُ عاقبة الكفار المتقدِّمين من الدَّمار والهلاك.

(١١) ﴿مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: وليُّهم وناصرهم، وكذلك: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ معناه: لا ناصر لهم. ولا يصحُّ[2] أن يكون المولىٰ هنا بمعنىٰ السيد؛ لأن الله مولىٰ المؤمنين والكافرين بهذا المعنىٰ. ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله: ﴿رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢]؛ لأن معنىٰ المولىٰ مختلِفٌ في الموضعين؛ فمعنىٰ ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾: ربُّهم، وهذا علىٰ العموم في جميع الخلق، بخلاف قوله: ﴿مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فإنه خاصٌّ بالمؤمنين؛ لأنه بمعنىٰ الوليِّ الناصر.



(١) أي: أتعس الذين كفروا تعسًا. الكشاف (١٤/ ٣٣٠).

(٢) في أ، هـ: «ولا يصلح».

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَاكُلُونَ كَمَا تَاكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوىً لَّهُمْ ﴿١٣﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلتِے أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٤﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَاتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٥﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلتِے وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفّىً وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِے ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَمِنْهُم مَّن يَّسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفاً أُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٧﴾ وَٱلذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدىً وَءَاتِيهُمْ تَقْوِيٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَاتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمُۥٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرِيٰهُمْ ﴿١٩﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُومِنِينَ وَٱلْمُومِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوِيٰكُمْ ﴿٢٠﴾

﴿١٣﴾ ﴿وَيَاكُلُونَ كَمَا تَاكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ عبارةٌ عن كثرة أكلهم، أو عن غفلتهم عن النظر كالبهائم.

﴿١٤﴾ ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلتِے أَخْرَجَتْكَ﴾ يعني: مكة، وخروجه ﷺ منها وقت الهجرة. ونَسب الإخراج إلىٰ القرية[1]، والمراد أهلها؛ لأنهم آذَوْه حتىٰ خرج.

﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ الضمير للقرىٰ المتقدِّمة المذكورة في قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ وجمَعه حمْلًا علىٰ المعنىٰ، والمراد: أهلكنا أهلها.

﴿١٥﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: علىٰ حجة، ويعني به: النبيَّ ﷺ، كما يعني قريشًا بقوله: ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾، واللفظ أعم من ذلك.

﴿١٦﴾ ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ ذكر في «الرعد»[2].

(١) قال في المحرر الوجيز (٧/ ٦٤٥): «حملًا علىٰ اللفظ».

(٢) قال في إعرابها هناك: «﴿مثلُ الجنة﴾ هنا وفي «القتال»: أي: صفتُها، وليس بضرب مثل لها، والخبر عند سيبويه: محذوف متقدِّم، تقديره: فيما يتلىٰ عليكم: صفةُ الجنة، وقال الفرَّاء: الخبر متأخِّر، وهو: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾». ا.هـ فيجيء الوجهان هنا، ويكون الخبر علىٰ قول الفراء في هذه الآية: ﴿فيها أنهار..﴾. =

﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ أي: غيرِ متغيِّر.

﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ﴾ تقديره: أَمَثَلُ أهلِ الجنة المذكورة كمَن هو خالدٌ في النار؟ فحَذف هذا التقديرَ المرادَ به النفيُ، وإنما حَذفه لدلالة التقدير المتقدِّم، وهو قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني: المنافقين، وجاء «يستمعون» بلفظ الجمع؛ رعْيًا لمعنىٰ ﴿مَّنْ﴾[1].

﴿قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ روي أنه عبد الله بن مسعود ﷺ[2].

﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ كانوا يقولون ذلك علىٰ أحد وجهين: إمَّا احتقارًا لكلامه، كأنهم قالوا: أيُّ فائدة فيه، وإما جهلًا ونسيانًا؛ لأنهم كانوا وقتَ كلامه مُعْرِضين عنه. و﴿ءَانِفًا﴾ معناه: الساعةَ الماضيةَ قريبًا، وأصله: مِن استأنفتُ الشيءَ: إذا ابتدأتَه.

﴿١٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى﴾ يعني: المؤمنين. والضمير في ﴿زَادَهُمْ﴾ : لله تعالىٰ، أو للكلام الذي قال فيه المنافقون: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾. وقيل: يعني بـ﴿الَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ﴾ قومًا من النصارىٰ آمنوا بمحمد ﷺ، فاهتداؤهم: هو إيمانهم بعيسىٰ ﵇، وزيادة الهدىٰ: إسلامهم.

﴿١٩﴾ ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ الضمير للمنافقين، والمعنىٰ: هل ينتظرون[3] إلَّا الساعةَ؛

= وقال الزمخشري في إعرابها: ﴿مَثَلُ الجنة﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿كمن هو خالدٌ..﴾، وجعله من الكلام الذي في صورة الإثبات ومعناه النفي والإنكار، كأنه قيل: أمَثَلُ الجنة كمَن هو خالدٌ في النار؟ أي: كمثل جزاء مَن هو خالد في النار، وقوله: ﴿فيها أنهار﴾ داخل في حكم صلة ﴿التي﴾، أي: التي فيها أنهار، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هي فيها أنهار، أو في موضع الحال. الكشاف (١٤/ ٣٣٧-٣٣٩).

(١) كذا وردت هذه العبارة في جميع النسخ، وهو سهوٌ، فإن آية سورة القتال: ﴿يستمع إليك﴾ بالإفراد، وليست بالجمع، وإنما وردت بالجمع في سورة يونس فقط، وآية سورة القتال مثل آية الأنعام: ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾، وقال المؤلف هناك في تفسيرها: «وأفرد ﴿يستمع﴾ وهو فعلُ جماعةٍ؛ حَمْلًا علىٰ لفظ «مَن»»، وعلَّق في طرة نسخة «ب» علىٰ هذا الموضع تعليقًا فيه أدبٌ مع المؤلف فيقول: «هذا والله أعلم مما غلط فيه المؤلف ﷺ؛ فإنه ﴿يستمع﴾ بلفظ المفرد لا الجمع؛ رعْيًا للفظ «مَن» لا لمعناه، والكمال لله تعالىٰ، وهذا من سهو المؤلف، وحاشاه أن يجهل مثل هذا».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٩٠٥) عن ابن بريدة.

(٣) في د: «ينظرون».

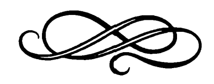
لأنها قريبة.

﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي: علاماتها، والذي كان قد جاء من ذلك: مبعث محمد ﷺ؛ لأنه قال: «أنا من أشراط الساعة»[1]، و«بعثت أنا والساعة كهاتين»[2].

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ أي: كيف لهم الذِّكرىٰ إذا جاءتهم الساعة بغتة؛ فلا يقدرون علىٰ عمل ولا تنفعهم التوبة؟ ففاعل ﴿جَآءَتْهُمْ﴾: الساعة، و﴿ذِكْرَىٰهُمْ﴾ مبتدأ، وخبره الاستفهام المتقدِّم، والمراد به: الاستبعاد.

(٢٠) ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: دُمْ علىٰ العلم بذلك. واستدلَّ بعضهم بهذه الآية علىٰ أن النظر[3] والعلم قبل العمل؛ لأنه قدَّم قوله: ﴿فَٱعْلَمْ﴾ علىٰ قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ﴾.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ قيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: تصرُّفكم في الدنيا، ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾: إقامتكم في القبور، وقيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: تصرُّفكم في اليقَظة، ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾: منامكم.



(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولكن جاء عن معاذ ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ستٌّ من أشراط الساعة: موتي..» الحديثَ. أخرجه أحمد (٢١٩٩٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٨٥٣٨)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٢٢)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٢٣)، ويغني عنه ما في البخاري (٣١٧٦) من حديث عوف بن مالك ﷺ مرفوعًا: «اعدد ستًّا بين يدي الساعة: موتي..».

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥٠) من حديث سهل بن سعد ﷺ.

(٣) في أ، د، هـ: «علىٰ النظر».

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢١﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢٢﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٤﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٩﴾

﴿٢١﴾ ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ كان المؤمنون يقولون ذلك على وجه الحرص على نزول القرآن، والرغبة فيه؛ لأنهم كانوا يفرحون به، ويستوحشون من إبطائه.

﴿مُّحْكَمَةٌ﴾ يحتمل أن يريد بالمحكمة: ليس فيها منسوخ، أو يريد متقنةً. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: «سورة مُحْدَثة»[1].

﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ يعني: المنافقين، ونظرُهم ذلك من شدَّة الخوف من القتال؛ لأن نظَر الخائف قريبٌ من نظر المغشِّي عليه.

﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه بمعنى: أحقُّ، وخبره على هذا: ﴿طَاعَةٌ﴾، والمعنى: أن الطاعةَ والقول المعروف أولى لهم وأحقُّ.

والآخر: أن ﴿أَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ كلمةٌ معناها: التهديد والدعاء عليهم كقولك: «ويلٌ لهم»، ومنه: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة:٣٣]، فيُوقف على ﴿أَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ على هذا القول، ويكون ﴿طَاعَةٌ﴾ ابتداء كلام، تقديره: طاعةٌ وقولٌ معروف أمثلُ، أو المطلوبُ منهم طاعة وقول معروف، أو قولهم لك يا محمد طاعةٌ وقول معروف بألسنتهم دون قلوبهم.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٠٩).

(٢١) ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أسند العزم إلىٰ الأمر مجازًا، كقولك: نهاره صائمٌ وليله قائمٌ.

﴿صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ يحتمل أن يريد: صِدْقَ اللسان، أو صدق العزم والنية، وهو أظهر.

(٢٢) ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ هذا خطابٌ للمنافقين المذكورين، خرج من الغَيْبة إلىٰ الخطاب؛ ليكون أبلغَ في التَّوبيخ. والمعنىٰ: هل يُتوقَّع منكم الإفسادُ في الأرض وقطع الأرحام إن توليتم؟[1] ومعنىٰ ﴿تَوَلَّيۡتُمۡ﴾: صرتم ولاةً علىٰ الناس وصار الأمر لكم، وعلىٰ هذا قيل: إنها نزلت في بني أمية[2]، وقيل: معناه: أعرضتم عن الإسلام.

(٢٥) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾ نزلت في المنافقين الذين نافقوا بعد إسلامهم. وقيل: نزلت في قوم من اليهود، كانوا قد عرفوا نبوة محمد ﷺ من التوراة، ثم كفروا به.

﴿سَوَّلَ لَهُمۡ﴾ أي: زيَّن لهم ورجَّاهم أمانيَهم.

﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ أي: مدَّ لهم في الأماني والآمال. والفاعل: هو الشيطان، وقيل: الله تعالىٰ، والأول أظهر؛ لتناسب الضميرين الفاعِلَين، في ﴿سَوَّلَ﴾ و﴿أَمۡلَىٰ﴾.

(٢٦) ﴿سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ﴾ قال ذلك اليهود للمنافقين. و﴿بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ﴾: يعنون به: مخالفةَ رسول الله ﷺ ومحاربتَه.

(٢٧) ﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: كيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة، يعني: ملكَ الموت ومن معه. والفاء رابطة للكلام مع ما قبله، والمعنىٰ: هذا جزَعهم مِن ذكر القتال؛ فكيف يكون حالهم حين[3] الموت؟

﴿يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ﴾ ضمير الفاعل للملائكة. وقيل: إنه للكفار؛ أي: يضربون وجوه أنفسهم، وذلك ضعيف.



(١) الاستفهام للتقرير، والمعنىٰ: فالمتوقع منكم الإفساد.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٤/ ١٩٧)، قال: «نزلت في بني أمية وفي بني هاشم».

(٣) في أ، هـ: «عند».

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ *يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

﴿٢٩﴾ ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ الآيةَ؛ معناها: أظنَّ المنافقون أن لن يفضحهم الله؟ والضِّغْن: الحقد، ويراد به هنا: النفاق والبُغض في الإسلام وأهله.

﴿٣٠﴾ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ أي: لو نشاء لأريناك المنافقين بأعيانهم حتىٰ تعرفهم بعلاماتهم، ولكن الله ستَر عليهم؛ إبقاءً عليهم وعلىٰ أقاربهم من المسلمين. وروي أن الله لم يذكر له واحدًا منهم باسمه.

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ معنىٰ ﴿لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾: مَقصِده وطريقته. وقيل: اللحن: هو الخفيُّ المعنىٰ، كالكناية والتعريض. والمعنىٰ: أنه ﷺ سيعرفهم من دلائل كلامهم، وإن لم يعرِّفْه الله بهم علىٰ التَّعيين.

﴿٣١﴾ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: نختبركم.

﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ أي: نعلَمه علمًا ظاهرًا في الوجود تقوم به الحجة عليكم؛ وقد علِم الله الأشياءَ قبل كونها، ولكنه أراد إقامة الحجة علىٰ عباده؛ بما يصدر منهم. وكان الفضيل بن عياض إذا

قرأ هذه الآية بكىٰ، وقال: «اللهم لا تَبتلِنا؛ فإنك إن ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا»[١].

﴿٣٢﴾ ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: خالفوه وعادوه. ونزلت الآية في المنافقين، وقيل: في اليهود.

﴿٣٣﴾ ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ يَحتمل أربعة معان:

أحدها: لا تبطلوا أعمالكم بالكفر بعد الإيمان.

والثاني: لا تبطلوا حسناتكم بفعل السيئات، ذكره الزمخشري[٢]، وهذا علىٰ مذهب المعتزلة، خلافًا للأشعرية؛ فإن مذهبهم أن السيئات لا تُبطِل الحسنات.

والثالث: لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والعُجْب.

والرابع: لا تبطلوا أعمالكم بأن تقطعوها قبل تمامها.

وعلىٰ هذا أخَذ الفقهاءُ الآية، ولذلك يستدلون بها علىٰ أن من ابتدأ نافلةً لم يجز له قطعها، وهذا أبعد هذه المعاني، والأول أظهرها[٣]؛ لقوله قبل ذلك في الكفار أو المنافقين: ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، فكأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا أعمالكم مثلَ هؤلاء الذين أحبط الله أعمالهم بكفرهم وصدِّهم عن سبيل الله ومشاقَّتهم الرسولَ.

﴿٣٤﴾ ﴿فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ هذا قطعٌ بأن من مات علىٰ الكفر لا يغفر الله له، وقد أجمع المسلمون علىٰ ذلك.

﴿٣٥﴾ ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ أي: لا تضعفوا عن مقاتلة الكفار وتبتدئوهم بطلب الصُّلح، فهو كقوله: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦٢].

﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ أي: لن يَنقصكم أجورَ أعمالكم، يقال: وَتَرْتُ الرجلَ أَتِرُه: إذا نَقصتَه شيئًا، أو أذهبتَ له متاعًا.

﴿٣٦﴾ ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ أي: لا يسألكم جميعها، إنما يسألكم في الزكاة ما يَخِفُّ

(١) نقله الثعلبي في تفسيره (٢٤/ ٢٠٩).
(٢) الكشاف (١٤/ ٣٥٨).
(٣) في أ، ج، هـ: «أظهر».

عليكم، مثل ربع العشر، وذلك خفيف.

(٣٨) ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ﴾ معنىٰ ﴿يُحْفِكُمْ﴾: يُلِحُّ عليكم، والإحفاء: هو أشد السؤال، و﴿تَبْخَلُواْ﴾ جواب الشرط.

﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ الفاعل: الله تعالىٰ، أو البخل، والمعنىٰ: يخرج ما في قلوبكم من البخل وكراهة الإنفاق.

(٣٩) ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ منصوبٌ علىٰ التخصيص، أو منادىٰ.

﴿لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الجهادَ أو الزكاة.

﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: إنما ضَرر بخلِه علىٰ نفسه؛ فكأنه بَخِلَ علىٰ نفسه بالثواب الذي يستحقُّه بالإنفاق.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأتِ[1] بقومٍ علىٰ خلاف صفتكم، بل[2] راغبين في الإنفاق في سبيل الله. فقيل: إن هذا الخطاب لقريش، والقوم غيرهم: الأنصار؛ وهذا ضعيف؛ لأن الآية مدنية، نزلت والأنصار حاضرون، وقيل: الخطاب لكلِّ مَن كان حينئذ بالمدينة، والقوم: هم أهل اليمن، وقيل: فارس.

* * *

(١) في ب، ج، د، هـ: «يأتي».
(٢) العبارة في الكشاف (١٤/ ٣٦٦) دون لفظة «بل»، وكأنها أنسب.



نزلت هذه السورة حين انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، لما أراد أن يعتمر بمكة فصدَّه المشركون، وقال ﷺ لعمر رضي الله عنه وهما راجعان إلىٰ المدينة: «لقد نزلت عليَّ سورة هي أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها»(١).

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطاً مُّسْتَقِيماً ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُومِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰناً مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْمُنَٰفِقَٰتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَٰتِ الظَّآنِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿٧﴾ *إِنَّا أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٨﴾ لِّتُومِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ فَسَنُوتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴿١٠﴾

﴿١﴾ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾ **يحتمل هذا الفتح في اللغة أن يكون من الفتح بمعنىٰ الحُكْم،** أي: حكَمنا لك علىٰ أعدائك، أو من الفتح بمعنىٰ العَطاء، كقوله: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٣) من حديث أسلم مولىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومسلم (١٧٨٦) -واللفظ له- من حديث أنس رضي الله عنه.

رَّحْمَةٍ﴾[فاطر: ٢]، أو من فتح البلاد. واختُلف في المراد بهذا الفتح علىٰ أربعة أقوال:

الأول: أنه فتح مكة، وعدَه الله به قبل أن يكون، وذَكَره بلفظ الماضي لتحقُّقه، وهو علىٰ هذا بمعنىٰ فتح البلاد.

الثاني: أنه ما جرىٰ في الحديبيَة من بيعة الرِّضوان، ومن الصُّلح الذي عقَده رسول الله ﷺ مع قريش، وهو علىٰ هذا بمعنىٰ: الحكم، أو بمعنىٰ العطاء.

ويدل علىٰ صحة هذا القول: أنه لما وقع صلح الحديبيَة شقَّ ذلك علىٰ بعض المسلمين؛ لشروطٍ كانت فيه، حتىٰ أنزل الله هذه السورة، وتبيَّن أن ذلك الصلحَ له عاقبةٌ محمودة، **وهذا هو الأرجح**؛ لأنه روي أنها لما نزلت قال بعض الناس: ما هذا الفتح وقد صدَّنا المشركون عن البيت؟ فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: «بل هو أعظم الفتوح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالرَّاح، ورغِبوا إليكم في الأمان»[1].

الثالث: أنه ما أصاب المسلمون بعد الحديبيَة من الفتوح، كفتح خيبر وغيرها.

الرابع: أنه الهداية إلىٰ الإسلام، ودليل هذا القول قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ فجعل الفتح علةً للمغفرة، **ولا حجة في ذلك**؛ إذ يُتصوَّرُ في الجهاد وغيره أن يكون علةً للمغفرة أيضًا، أو تكون اللام للصَّيرورة والعاقبة، لا للتعليل، فيكون المعنىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾ فكان عاقبة أمرك أنْ جمَع الله لك بين سعادة الدنيا والآخرة؛ بأن غفر لك، وأتمَّ نعمته عليك، وهداك ونصَرك.

﴿٤﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ أي: السُّكون والطُّمأنينة، **يعني**: سكونَهم في صلح الحديبية وتسليمَهم لفعل رسول الله ﷺ، **وقيل**: معناه الرحمة.

﴿٦﴾ ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ **معناه**: أنهم ظنوا أن الله يخذل المؤمنين، فقالوا: لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلىٰ أهليهم أبدًا. **وقيل**: معناه: أنهم لا يعرفون الله بصفاته، فذلك هو ظن السَّوء به، **والأول أظهر**؛ بدليل ما بعده.

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٦٠)، عن موسىٰ بن عقبة عن الزهري.

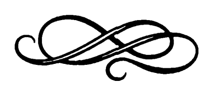
﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ **يحتمل أن يكون: خبرًا، أو دعاءً.**

٨ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ **أي: تشهدُ علىٰ أمتك.**

٩ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ **أي: تعظِّموه، وقيل: تنصروه. وقرئ: «تُعَزِّزوه» بزاءين منقوطتين**[1]. **والضمير في** ﴿تُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾: **للنبي ﷺ، وفي** ﴿تُسَبِّحُوهُ﴾: **لله تعالىٰ، وقيل: الثلاثة لله.**

١٠ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ **هذا تشريفٌ للنبي ﷺ؛ حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله، ثم أكَّد هذا المعنىٰ بقوله:** ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ **وذلك علىٰ وجه التخيُّل والتمثيل، يريد: أن يد رسول الله ﷺ التي تعلو أيديَ المبايعين له هي يد الله في المعنىٰ، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، وإنما المراد أنَّ عقْدَ ميثاق البيعة مع الرسول ﷺ، كعقدهِ مع الله، كقوله:** ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٧٩]. **وتأوَّل المتأوِّلون ذلك بأن يد الله معناها: النعمة أو**[2] **القوة، وهذا بعيد هنا**[3]. **ونزلت الآيةُ في بيعة الرضوان تحت الشجرة وسنذكرها بعدُ.**

﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ **يعني: أنَّ ضررَ نكْثِه علىٰ نفسه. ويريد بالنَّكث هنا: نَقْضَ البيعة.**



(١) هي قراءة ابن عباس رضي الله عنه. المحرر الوجيز (٧/ ٦٧١).

(٢) في ب، د: «و».

(٣) [التعليق ١٠٠] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُهُ: «وذلك علىٰ وجهِ التخييلِ والتمثيلِ...»، إلخ: أقولُ: قد أحسَنَ المؤلِّفُ في ترجيح هذا الرأي، وتنظيرِ الآيةِ بقولِهِ تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، وأحسَنَ في ردِّه قولَ المتأوِّلينَ اليَدَ بالنِّعْمة.
وما رجَّحه هو ما ذكَرَهُ ابنُ القيِّم رحمه الله، والآيةُ مع هذا تدلُّ علىٰ إثباتِ اليدِ لله تعالىٰ [انظر: مختصر الصواعق (ص ٥٢٩ ط. دار الفكر). وانظر الكلام علىٰ صفة اليَدِ: (ص ٥١١-٥٣٠)].

سَيَقُولُ لَكَ اَلْمُخَلَّفُونَ مِنَ اَلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اَللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اَللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ اَلرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ اَلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ اُلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ اَللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ اُلْمُخَلَّفُونَ إِذَا اَنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَاخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ اَللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اَللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ اَلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ اُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُوتِكُمُ اُللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى اَلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى اَلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى اَلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اِللَّهَ وَرَسُولَهُ نُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا اَلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ نُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾

﴿١١﴾ ﴿سَيَقُولُ لَكَ اَلْمُخَلَّفُونَ مِنَ اَلْأَعْرَابِ﴾ الآيةَ؛ سماهم بالمخلَّفين؛ لأنهم تخلفوا عن غزوة الحديبيَة.

والأعراب: هم أهل البوادي من العرب، لما خرج رسول الله ﷺ إلىٰ مكة ليعتمر، رأوا أنه يستقبل عدوًّا كثيرًا من قريش وغيرهم، فقعدوا عن الخروج معه، ولم يكن إيمانهم متمكِّنًا، فظنوا أنه لا يرجع هو ولا المؤمنون من ذلك السفر، ففضحهم الله في هذه السورة، وأَعلم رسولَ الله ﷺ بقولهم واعتذارهم قبل أن يصل إليهم، وأَعلمه أنهم كاذبون في اعتذارهم.

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد قولهم: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾؛ لأنهم كذَبوا في ذلك، أو قولهم: ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ ؛ لأنهم قالوا ذلك رياءً من غير توبة ولا صدق.

﴿١٢﴾ ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هالكين؛ مِن البَوار، وهو الهلاك، ويعني به: الهلاكَ في الدين.

(١٥) ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ الآيَةَ؛ أخبر الله نبيه ﷺ أن المخلَّفين عن غزوة الحديبيَة يريدون الخروج معه إذا خرج إلىٰ غزوة أخرىٰ، وهي غزوة خيبر، فأمره الله بمنعهم من ذلك، وأن يقول لهم: ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ أي: يريدون أن يبدِّلوا وعْدَ الله لأهل غزوة الحديبية، وذلك أن الله وعَدَهم أن يعوِّضَهم من غنيمة مكة غنيمةَ خيبر وفتْحَها، وأن يكون ذلك مختصًّا بهم دون غيرهم، وأراد المخلَّفون أن يشاركوهم في ذلك، فهذا هو ما أرادوا من التبديل.

وقيل: ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: قوله: ﴿لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوّاً﴾ [التوبة: ٨٤]، وهذا ضعيف؛ لأن هذه الآية نزلت في رجوع رسول الله ﷺ من تبوك بعد الحديبيَة بمدَّة.

﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ يريد: وعْدَه باختصاصه أهلَ الحديبية بغنائم خيبر.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ معناه: يَعِزُّ عليكم أن نُصِيبَ معكم مالًا وغنيمة. و﴿بَلْ﴾ هنا: للإضراب عن الكلام المتقدِّم، وهو قوله: ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾، فمعناها: ردٌّ أن يكون الله حكَم بأن لا يتبعوهم. وأما ﴿بَلْ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ كَانُواْ لاَ يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ فهي إضرابٌ عن وصف المؤمنين بالحسد، وإثباتٌ لوصف المخلَّفين بالجهل.

(١٦) ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ اُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ اختُلِف في هؤلاء القوم علىٰ أربعة أقوال:

الأول: أنهم هوازن ومَن حارب النبيَّ ﷺ في غزوة حُنين.

والثاني: أنهم الروم؛ إذ دعا رسول الله ﷺ الناسَ إلىٰ قتالهم في غزوة تبوك.

والثالث: أنهم أهل الردَّة من بني حَنيفة وغيرهم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

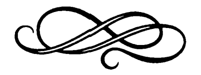
والرابع: أنهم الفرس.

ويتقوىٰ القول الأول والثاني: بأنَّ ذلك ظهَر في حياة النبي ﷺ. وقوَّىٰ المنذر بن سعيد القول الثالث؛ بأن الله جعل حُكْمهم القتل أو الإسلام ولم يذكر الجزية، قال: وهذا لا يوجد إلَّا في أهل الردَّة. قلت: وكذلك هو موجودٌ في كفار العرب؛ إذ لا تؤخذ منهم الجزية فيقوِّي ذلك أنهم هوازن.

﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ عطفٌ على ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ﴾. وقال ابن عطية: هو مستأنفٌ[1].

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ يريد: في غزوة الحديبية.

﴿١٧﴾ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآيةَ؛ معناها: أن الله تعالىٰ عذَر الأعمىٰ والأعرج والمريض في تركهم للجهاد؛ بسبب أعذارهم.



(١) المحرر الوجيز (٧/ ٦٧٦)، وعبارته: «على القطع، أي: أو هم يُسلمون دون حرب»، وانظر لمزيد الإيضاح: حاشية الطِّيبي على الكشاف (١٤/ ٣٩٤).

﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾

﴿١٨﴾ ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النارَ إن شاء الله أحدٌ من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها»(١). وفي الحديث أنهم كانوا ألفًا وأربع مئة(٢)، وقيل: ألفًا وخمس مئة.

وسبب هذه البيعة: أن رسول الله ﷺ لما بلغ الحديبية، وهي موضعٌ على نحو عشرة أميال من مكة، أرسل عثمانَ بن عفان رضي الله عنه رسولًا إلى أهل مكة، يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر، وأنه لا يريد حربًا، فلما وصل إليهم عثمان حبَسه أقاربه؛ كرامةً له، فصرخ صارخ أن عثمان قد قُتِل، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة على القتال وأن لا يفِرَّ أحد، وقيل: بايعوه على الموت، ثم جاء عثمان بعد ذلك سالمًا، وانعقد الصلح بين رسول الله ﷺ

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٦) من حديث جابر عن أم مبشّر رضي الله عنها.
(٢) أخرجه البخاري (٤٨٤٠)، ومسلم (١٨٥٦) عن جابر رضي الله عنه.

وأهل مكة؛ علىٰ أن يرجع ذلك العام ويعتمرَ في العام المقبل. **والشجرة المذكورة**: كانت سَمُرَةً هنالك، ذهبت بعد سنين، فمرَّ عمر بن الخطاب ﷺ بالموضع في خلافته، فاختلف الصحابة في موضعها[١].

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ **يعني**: من صدق الإيمان وصدق العزم علىٰ ما بايعوا عليه. **وقيل**: من كراهة البيعة علىٰ الموت، وهذا باطل؛ لأنه ذمٌّ للصحابة. وقد ذكرنا ﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾[٢].

﴿وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ **يعني**: فتح خيبر، **وقيل**: فتح مكة، **والأول أشهر؛ أي**: جعل الله ذلك ثوابًا لهم علىٰ بيعة الرضوان، زيادةً إلىٰ ثواب الآخرة. وأما المغانم الكثيرة المذكورة أوَّلًا: فهي مغانم خيبر، وهي المعطوفة علىٰ الفتح القريب. وأما المغانم الكثيرة التي وعدهم الله -وهي المذكورة ثانيًا-: فهي كل ما يَغنَمه المسلمون إلىٰ يوم القيامة. والإشارة بقوله: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ﴾ إلىٰ خيبر. **وقيل**: إن المغانم التي وعدهم: مغانم خيبر، والإشارة بـ﴿هَٰذِهِۦ﴾ إلىٰ صلح الحديبية.

﴿٢٠﴾ ﴿وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ﴾ أي: كفَّ أهلَ مكة عن قتالكم في الحديبية. **وقيل**: كفَّ اليهود وغيرهم عن الإضرار بنسائكم وذرِّيتكم بينما[٣] خرجتم إلىٰ الحديبية.

﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: تكون هذه الفِعْلة -وهي كفُّ أيدي الناس عنكم- آيةً للمؤمنين، يستدلُّون بها علىٰ النصر. **واللام تتعلَّق بفعل محذوفٍ، تقديره**: فعل الله ذلك لتكون آيةً للمؤمنين.

﴿٢١﴾ ﴿وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا﴾ **يعني**: فتحَ مكة بعد ذلك[٤]. **وقيل**: فتحَ بلاد فارس والروم، **وقيل**: مغانم هوازن في حنين. **والمعنىٰ**: لم تقدروا أنتم عليها، وقد أحاط الله بها بقدرته ووهبها لكم. **وإعراب** ﴿أُخۡرَىٰ﴾: معطوفٌ علىٰ ﴿عَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ﴾ ، أو مفعولٌ

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٧٥).
(٢) في أول السورة.
(٣) في د: «حين».
(٤) قوله: «بعد ذلك» زيادة من أ، هـ.

بفعل مضمر تقديره: أعطاكم أخرىٰ، أو مبتدأ.

(٢٢) ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ **يعني**: أهل مكة.

(٢٣) ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ **أي**: عادته. **والإشارة**: إلىٰ يوم بدر، **وقيل**: الإشارة إلىٰ نَصْرِ الأنبياء قديمًا.

(٢٤) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ روي في سببها: أن جماعة من فتيان قريش خرجوا إلىٰ الحديبية، ليصيبوا من عسكر رسول الله ﷺ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في جماعةٍ من المسلمين فهزموهم وأسرُوا منهم قومًا، وساقوهم إلىٰ رسول الله ﷺ فأطلقهم[1]. **فكفُّ أيدي الكفار**: هو أن هُزِموا وأُسِروا. **وكفُّ أيدي المؤمنين عن الكفار**: هو إطلاقهم من الأسر، وسلامتهم من القتل. وقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ **يعني**: من بعد ما أخذتموهم أُسارىٰ.

(٢٥) ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ **يعني**: أهل مكة.

﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ **يعني**: أنهم منعوهم عن العمرة بالمسجد الحرام عامَ الحديبية.

﴿وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ **الهدْيُ**: ما يُهدَىٰ إلىٰ البيت من الأنعام، وكان رسول الله ﷺ قد ساق حينئذ مئة بَدنةٍ، **وقيل**: سبعين؛ ليُهْدِيَها. **والمعكوف**: المحبوس. و﴿مَحِلَّهُۥ﴾: موضع نحره؛ يعني: مكة والبيت. وإعراب ﴿ٱلْهَدْيَ﴾ عطفٌ علىٰ الضمير المفعول في ﴿صَدُّوكُمْ﴾، و ﴿مَعْكُوفًا﴾ حالٌ من ﴿ٱلْهَدْيَ﴾، و﴿أَن يَبْلُغَ﴾ مفعولٌ بالعَكْفِ. **فالمعنىٰ**: صدُّوكم عن المسجد الحرام، وصدُّوا الهدْيَ عن أن يبلغ محِلَّه. **والعكف المذكور يعني به**: منْعَ المشركين للهدي عن بلوغ مكة، أو حَبْسَ المسلمين للهدي بينما ينظرون في أمرهم.

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٠) عن ابن أبزىٰ، قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٤٣): «وهذا السياق فيه نظر؛ فإنه لا يجوز أن يكون عام الحديبية؛ لأن خالدًا لم يكن أسلم؛ بل قد كان طليعةَ المشركين يومئذ، كما ثبت في الصحيح [صحيح البخاري ٢٧٣١].. فهذا السياق فيه خلل، قد وقع فيه شيء فليتأمل، والله أعلم». ا.هـ.
وفي صحيح مسلم (١٨٠٨): عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا علىٰ رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غِرَّةَ النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سِلْمًا فاستحياهم، فأنزل الله ﷻ هذه الآية.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ الآيةَ؛ تعليلٌ لصرف الله المؤمنين عن استئصال أهل مكة بالقتل، وذلك أنه كان بمكة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يُخْفون إيمانهم، فلو سلَّط الله المسلمين على أهل مكة، لقتلوا أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم، ولكن الله كفَّهم عنهم؛ رحمةً بالمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم.

وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوفٌ، تقديره: لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لسلَّطناكم عليهم.

﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ في موضع بدل من ﴿رِجَالٌ﴾ و﴿نِسَآءٌ﴾ ، أو بدلٌ من الضمير المفعول في ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾. والوطء هنا: الإهلاك بالسيف وغيره.

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ﴾ أي: تصيبكم من قتلهم مشقَّةٌ وكراهة. واختُلف هل يعني الإثمَ في قتلهم؟ أو الدية؟ أو الكفَّارة؟ أو الملامة؟ أو عيب الكفار لهم؛ بأن يقولوا: قَتلوا أهل دينهم؟ أو تألُّمَ نفوسهم من قتل المؤمنين؟

وهذا أظهر؛ لأن قتل المؤمن الذي لا يُعلَم إيمانه وهو بين أهل الحرب لا إثم فيه ولا دية، ولا ملامة، ولا عيب.

﴿لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يعني: رحمته[1] للمؤمنين الذين كانوا بين أظهر الكفار، بأنْ كفَّ سيوف المسلمين عن الكفار من أجلهم. أو رحمته لمن يشاء من الكفار؛ بأن يُسلموا بعد ذلك. واللام تتعلَّق بمحذوفٍ يدلُّ عليه سياق الكلام، تقديره: كان كفُّ القتل عن أهل مكة ليدخل الله في رحمته من يشاء.

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ معنى ﴿تَزَيَّلُوا﴾: تميَّزوا عن الكفار، والضمير للمؤمنين المستُورِين الإيمان؛ أي: لو انفصلوا عن الكفار لعذَّبنا الكفار. فقوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ جواب ﴿لَوْ﴾ الثانية، وجواب الأولى محذوفٌ كما ذكرنا.

ويحتمل أن يكون ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ جواب ﴿لَوْلَا﴾ [2] الأولى، وكُرِّرت «لو» الثانية تأكيدًا.

---

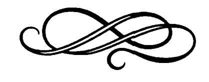
(١) في ج، د: «رحمة».

(٢) في أ، ب، ج، د: «لو».

﴿٢٦﴾ ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ يعني: أَنَفَة الكفر[1]، وهي منعُهم للنبي ﷺ والمسلمين عن العمرة، ومنعُهم من أن يُكتَب في كتاب الصُّلح «بسم الله الرحمن الرحيم»، ومنعهم من أن يُكتب «محمد رسول الله»، وقولهم: «لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك[2]، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك». والعامل في ﴿إِذْ جَعَلَ﴾: محذوفٌ تقديره: اذكر، أو قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾. والسَّكينة: هي سكون المسلمين ووقارهم حين جرىٰ ذلك.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال الجمهور: هي «لا إله إلا الله»، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ[3]. وقيل: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، وقيل: «لا إله إلا الله، والله أكبر»، وهذه كلها متقاربة. وقيل: هي «بسم الله الرحمن الرحيم» التي أبىٰ الكفار أن تُكتب.

﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أي: كانوا كذلك في علم الله وسابق قضائه لهم. وقيل: أحقَّ بها من اليهود والنصارىٰ.



---

(١) في ب، ج: «الكفار».

(٢) في أ، ب، ج: «لتابعناك».

(٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند (٢١٢٥٤)، والترمذي (٣٢٦٥) وقال: «غريب»، والطبراني في الكبير (١/ ١٩٩)، والطبري (٢١/ ٣١٠) من حديث أبي بن كعب ﷺ، وفي إسناده ثُوير بن أبي فاختة، وهو ضعيف رُمي بالرفض. تقريب التهذيب (١٩٠).

لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

﴿٢٧﴾ ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ كان رسول الله ﷺ قد رأىٰ في منامه عند خروجه إلىٰ العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه، بعضهم محلِّقون وبعضهم مقصِّرون، وروي أنه أتاه ملَكٌ في النوم فقال له: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ الآيةَ، فأخبر الناس برؤياه، وظنوا أن ذلك يكون في ذلك العام، فلما صدَّه المشركون عن العمرة عام الحديبية قال المنافقون: أين الرؤيا؟ ووقع في نفوس المسلمين شيءٌ من ذلك، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾[1] أي: تلك الرؤيا صادقة، وسيخرج تأويلها بعد ذلك، فاطمأنت قلوب المؤمنين، وخرج رسول الله ﷺ في العام المقبل، هو وأصحابه فدخلوا مكة واعتمروا، وأقاموا بمكة ثلاثة أيام، وظهر صدق رؤياه، وتلك عُمرة القضية، ثم فتَح مكة بعد ذلك، ثم حج هو وأصحابه. و﴿صَدَقَ﴾ في هذا الموضع يتعدَّىٰ إلىٰ مفعولين. و﴿بِٱلْحَقِّ﴾ يتعلَّق بـ﴿صَدَقَ﴾ [2]، أو بـ﴿ٱلرُّءْيَا﴾ علىٰ أن يكون حالًا منها[3].

﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لما كان الاستثناء بمشيئة الله يقتضي الشكَّ في الأمر، وذلك محالٌ علىٰ الله؛ اختُلف في هذا الاستثناء علىٰ خمسة أقوال:

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٣١٦-٣١٧) عن مجاهد وقتادة وابن زيد.

(٢) الكشاف (١٤/ ٤١٤): «أي: صدَقه فيما رأىٰ، وفي كونه وحصوله صِدْقًا مُلْتبسًا بالحق، أي: بالغرض الصحيح والحكمة البالغة».

(٣) الكشاف (١٤/ ٤١٤): «أي: صدَقه الرؤيا مُلْتبسة بالحق، علىٰ معنىٰ: أنها لم تكن من أضغاث الأحلام».

الأول: أنه استثناءٌ قاله الملَك الذي رآه النبي ﷺ في المنام، فحكىٰ الله مقالته كما وقعت.

والثاني: أنه تأديبٌ من الله لعباده؛ ليقولوا: «إن شاء الله» في كل أمرٍ مستقبَل.

والثالث: أنه استثناءٌ بالنظر إلىٰ كل إنسان علىٰ حِدَته؛ لأنه يمكن أن يَتِمَّ له الوعد، أو يموت أو يمرض؛ فلا يتمُّ له.

والرابع: أن الاستثناء راجع إلىٰ قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾، لا لدخول المسجد الحرام.

والخامس: أن «إن شاء الله» بمعنىٰ: «إذْ[1] شاء الله».

﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ الحِلاق والتَّقصير من سنة الحج والعمرة، والحلاق أفضل من التقصير، لقول رسول الله ﷺ: «رحم الله المحلقين» ثلاثًا، ثم قال في المرة الآخرة: «والمقصرين»[2].

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ﴾ يريد: ما قدَّره من ظهور الإسلام في تلك المدَّة؛ فإنه لما انعقد الصلح، وارتفعت الحرب رغب الناس في الإسلام، فكان رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية في ألف وخمس مئة، وقيل: ألف وأربع مئة، وغزا غزوة الفتح بعدها بعامين ومعه عشرة آلاف.

﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾ **قيل:** يعني: فتح خيبر، **وقيل:** بيعة الرضوان، **وقيل:** صلح الحديبية، **وهذا هو الأصح**؛ لأن عمر قال لرسول الله ﷺ: أوفتحٌ[3] هو يا رسول الله؟ قال: «نعم»[4]. **وقيل:** هو فتح مكة، **وهذا ضعيف**؛ لأن معنىٰ قوله: ﴿مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ قبل دخول المسجد الحرام، وإنما كان فتح مكة بعد ذلك، فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة وعمرة القضية عام سبعة، وفتح مكة عام ثمانية.

---

(١) في أ، ج، د: «إذا» والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز (٧/ ٦٨٧).
(٢) أخرجه البخاري (١٧٢٧)، ومسلم (١٣٠١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٣) في د: «أفتح».
(٤) أخرجه البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥) من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه.

﴿٢٨﴾ ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ ذكر في «براءة»[١].

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: شاهدًا بأن محمدًا رسول الله، أو شاهدًا بإظهار دينه.

﴿٢٩﴾ ﴿وَالذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ **يعني**: جميع أصحابه، **وقيل**: من شهد معه الحديبية. **وإعراب** ﴿الذِينَ﴾ معطوفٌ علىٰ ﴿مُّحَمَّدٌ﴾، و﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ صفةٌ، و﴿أَشِدَّآءُ﴾ خبرٌ عن الجميع. **وقيل**: ﴿الذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ مبتدأ، و﴿أَشِدَّآءُ﴾ خبره، و﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ خبر ﴿مُّحَمَّدٌ﴾، **ورجح ابن عطية هذا**[٢].

والأول عندي أرجح؛ لأن الوصف بالشدة والرحمة يشمل النبي ﷺ وأصحابه ﭫ، وأما علىٰ ما اختاره ابن عطية؛ فيكون الوصف بالشدة والرحمة مختصًّا بالصحابة دون النبي ﷺ، وما أحَقَّ النبيَّ ﷺ بالوصف بذلك؛ لأن الله قال فيه: ﴿بِالْمُومِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال له: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَالْمُنَٰفِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤] فهذا هو الشدة علىٰ الكفار والرحمة بالمؤمنين.

﴿سِيمَاهُمْ فِے وُجُوهِهِم﴾ **السِّيما**: العلامة، **وفيه ستة أقوال**:

الأول: أنه الأثر الذي يحدث في جبهة المصلي من كثرة السجود.

الثاني: أنه أثر التراب في الوجه.

الثالث: أنه صُفْرة الوجه من السَّهر والعبادة.

الرابع: حُسْن الوجه؛ لما ورد في الحديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»[٣] وهذا الحديث غير صحيح، بل وقع فيه غلطٌ من الراوي، فرفعه إلىٰ النبي ﷺ

---

(١) انظر تفسير الآية (٣٣).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٦٨٨-٦٨٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٣)، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٠٩)، وقال ابن عدي في الكامل (٢/ ٣٠٥): «وبلغني عن محمد بن عبد الله بن نمير أنه ذكر له هذا الحديث عن ثابت [بن موسىٰ الزاهد] فقال: باطل، شُبِّه علىٰ ثابت، وذلك أن شريك كان مزَّاحا، وكان ثابت رجلا صالحا فيشتبه أن يكون ثابت دخل علىٰ شريك وكان شريك يقول: الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر عن النبي ﷺ قال. فالتفت فرأىٰ ثابتًا فقال يمازحه: من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار، فظن ثابت لغفلته أن هذا الكلام الذي قال شريك هو من الإسناد الذي قرأه فحمله علىٰ ذلك، وإنما ذلك قول شريك والإسناد الذي قرأه متن حديث معروف»، وقال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٦١): «الصحيح أنه موقوف».

وهو غير مرويٍّ عنه.

الخامس: أنه الخشوع.

السادس: أن ذلك يكون في الآخرة، يجعل الله لهم نورًا من أثر السجود كما يجعل غُرَّةً من الوضوء، وهذا بعيد؛ لأن قوله: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ وصفُ حالهم في الدنيا، فيكون[1] ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ كذلك.

والأول هو الأظهر، وقد كان بوجه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وعلي بن عبد الله بن العباس أثرٌ ظاهر من كثرة السجود[2].

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي: وصفُهم فيها، وتمَّ الكلام هنا، ثم ابتدأ قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾. وقيل: إن ﴿مَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ عطفٌ على ﴿مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾، ثم ابتدأ قوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ وتقديره: هم كزرعٍ، والأول أظهر؛ ليكون وصفهم في التوراة بما تقدَّم من الأوصاف الحسان، وتمثيلهم في الإنجيل بالزَّرع المذكور بعد ذلك، وعلى هذا: يكون ﴿مَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ بمعنى التشبيه والتمثيل. وعلى القول الآخر: يكون المثَل بمعنى الوصف كـ﴿مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾.

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ هذا مثلٌ ضربه الله للإسلام؛ حيث بدأ ضعيفًا، ثم قَوِيَ وظهر. وقيل: الزرع مثلٌ للنبي ﷺ؛ لأنه بُعِث وحده فكان كالزرع حبَّةً واحدة، ثم كثر المسلمون فهم كالشَّطءِ، وهو فِراخ السُّنبلة التي تنبت حول الأصل. ويقال: بإسكان الطاء، وفتحها دون مد، وفتحها مع المد، وهي لغات[3].

---

(١) في أ، هـ: «فتكون».

(٢) قال في الكشاف (١٤/ ٤٢١): «وكان كلٌّ من العَلِيِّين -عليّ بن الحسين زين العابدين، وعليّ بن عبد الله بن عباس أبي الأملاك [أي: الخلفاء]-، يقال له: ذو الثَّفِنات؛ لأنَّ كثرة سجودهما أحدثت في مواقعِه منهما أشباه ثَفِنات البعير». ا.هـ وثفِنات البعير: ما يقع على الأرض من أعضائه إذا غَلُظ. قاله الجوهري في الصحاح.

(٣) قرأ ابن كثير وابن ذكوان عن ابن عامر ﴿شطَأه﴾ بفتح الطاء، وقرأ الباقون من السبعة بإسكانها. وقرئ في الشاذ «شطَاءَهُ» بفتح الطاء مع المد، قرأ بها عيسى بن عمر. المحرر الوجيز (٧/ ٦٩١).

﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي: قوَّاه، وهو من المؤازرة بمعنىٰ المعاونة. ويحتمل أن يكون الفاعل الزرع، والمفعول ﴿شَطْـَٔهُۥ﴾، أو بالعكس؛ لأن كل واحد منهما يقوِّي الآخر. وقيل: معناه: ساواه طولًا، فالفاعل علىٰ هذا: الشطء. ووزن ﴿ءَازَرَهُۥ﴾ أفعَله، وقيل: فاعَلَه، وقرئ بقصر الهمزة علىٰ وزن فَعَلَ(١).

﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ أي: صار غليظًا.

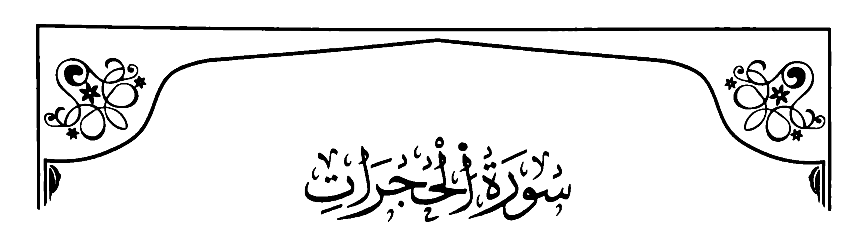
﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ السُّوق: جمع ساق، أي: قام الزرع علىٰ سوقه. وقيل: ﴿كَزَرْعٍ﴾ يعني: النبي ﷺ، ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ بأبي بكر، ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ بعمر، ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ بعثمان، ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ بعليِّ بن أبي طالب رضي الله عنهم(٢).

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ تعليلٌ لما دلَّ عليه المثَل المتقدِّم من قوَّة المسلمين، فهو يتعلَّق بفعلٍ يدلُّ عليه الكلام تقديره: جعَلهم الله كذلك؛ ليغيظ بهم الكفار. وقيل: يتعلَّق بـ ﴿وَعَدَ﴾، وهو بعيد.

﴿مِنْهُم﴾ لبيان الجنس، لا للتبعيض؛ لأنه وعدٌ عمَّ جميعَهم رضي الله عنهم.



(١) روىٰ ابن ذكوان عن ابن هشام: ﴿فأَزَرَه﴾ بقصر الهمزة، وقرأ الباقون بالمد.
(٢) حكاه النقاش عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في المحرر الوجيز (٧/ ٦٩١).



يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ اِ۬للَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَاتَّقُواْ اُ۬للَّهَۖ إِنَّ اَ۬للَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ اِ۬لنَّبِےٓءِ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ اَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَۖ ﴿٢﴾ إِنَّ اَ۬لذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اِ۬للَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ اَ۬لذِينَ اَ۪مْتَحَنَ اَ۬للَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۖ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَأَجْرٌ عَظِيمٌۖ ﴿٣﴾ اِنَّ اَ۬لذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ اِ۬لْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَۖ ﴿٤﴾ وَلَوَ اَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراٗ لَّهُمْۖ وَاللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞۖ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْماَۢ بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَۖ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اَ۬للَّهِۖ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِے كَثِيرٖ مِّنَ اَ۬لَامْرِ لَعَنِتُّمْۖ وَلَٰكِنَّ اَ۬للَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ اُ۬لِايمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِے قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ اُ۬لْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَۖ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُ۬لرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلاٗ مِّنَ اَ۬للَّهِ وَنِعْمَةٗۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞۖ ﴿٨﴾ ۞وَإِن طَآئِفَتَٰنِ مِنَ اَ۬لْمُومِنِينَ اَ۪قْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتِ اِحْدَىٰهُمَا عَلَى اَ۬لُاخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ اُ۬لتِے تَبْغِے حَتَّىٰ تَفِےٓءَ اِلَىٰٓ أَمْرِ اِ۬للَّهِۖ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ اَ۬للَّهَ يُحِبُّ اُ۬لْمُقْسِطِينَۖ ﴿٩﴾ إِنَّمَا اَ۬لْمُومِنُونَ إِخْوَةٞ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۖ وَاتَّقُواْ اُ۬للَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَۖ ﴿١٠﴾

﴿١﴾ ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ اِ۬للَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تتكلَّموا بأمرٍ قبل أن يتكلَّم هو به، ولا تقطعوا في رأيٍ إلَّا بنظره.

والثاني: لا تُقدِّموا الولاةَ بمحضره؛ فإنه يقدِّم من شاء.

والثالث: لا تتقدَّموا بين يديه إذا مشىٰ، وهذا إنما يجري علىٰ قراءة يعقوب: ﴿لَا تَقَدَّمُواْ﴾ بفتح التاء والقاف والدال.

والأول هو الأظهر؛ لأن عادة العرب الاشتراكُ في الرأي، وأن يتكلم كلُّ أحدٍ بما يظهر له، فربما فعَل ذلك قومٌ مع النبي ﷺ، فنهاهم الله عن ذلك، ولذلك قال مجاهد: معناه: لا تَفْتَاتُوا على الله شيئًا حتى يذكره على لسان رسوله ﷺ[١]. وإنما قال: ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ﴾؛ لأن النبي ﷺ إنما يتكلم بوحي الله[٢].

﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ أمر الله المؤمنين أن يتأدَّبوا مع النبي ﷺ بهذا الأدب؛ كرامةً له وتعظيمًا.

وسببها: أن بعض جفاة الأعراب[٣] كانوا يرفعون أصواتهم.

﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ مفعول من أجله، تقديره: مخافةَ أن تحبط أعمالكم إذا رفعتم أصواتكم فوق صوته، أو جَهرتم له بالقول ﷺ. فالمفعول من أجله يتعلَّق بالفعلين معًا من طريق المعنى.

وأما من طريق الإعراب: فيتعلق عند البصريين بالثاني وهو: ﴿لَا تَجْهَرُوا﴾، وعند الكوفيين بالأول وهو ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾. وهذا الإحباط؛ لأن قلةَ الأدب معه ﷺ والتقصيرَ في توقيره يُحبط الحسنات وإن فعله مؤمن؛ لعظيم ما وقع فيه من ذلك. وقيل: إن الآية خطابٌ للمنافقين، وهذا ضعيف؛ لقوله في أولها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وقوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فإنه لا يصح أن يقال هذا لمنافق؛ فإنه يفعله جُرْأةً وهو يقصده.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر وعمر ﷺ، فإنه لما نزلت الآية قبلها قال أبو بكر ﷺ: «والله يا رسول الله لا كلمتك إلَّا سرًّا[٤]»[٥]، وكان عمر ﷺ يخفي كلامه حتى يستفهمه النبي ﷺ[٦]. ولفظها مع ذلك على عمومه.

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٣٦)، ولفظه: «لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه».

(٢) في ج: «بوحي من الله».

(٣) في ب، هـ: «العرب».

(٤) في ج، د: «إسرارًا».

(٥) أخرجه الحاكم (٣٧٢٠) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٦) أخرجه البخاري (٧٣٠٢).

ومعنىٰ ﴿امْتَحَنَ﴾: اختبر، فوجدها كما يجب، مثل ما يُختبَر الذهب بالنار، فيوجدُ طيِّبًا. وقيل: معناه: درَّبها للتقوىٰ؛ حتىٰ صارت قوية علىٰ احتماله بغير تكلُّف. وقيل: معناه: أخلصها اللهُ للتقوىٰ.

﴿٤﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿الْحُجُرَاتِ﴾: جمع حُجْرة، وهي قطعةٌ من الأرض يُحْجَر حولها بحائط، وكان لكل واحدة من أزواج النبي ﷺ حجرة. ونزلت الآية في وفد بني تميم، قدموا علىٰ النبي ﷺ فدخلوا المسجد ودنَوْا من حجرات أزواج النبي ﷺ، فوقفوا خارجها ونادَوْا: «يا محمد! اخرج إلينا، يا محمد! اخرج إلينا»، فكان في فعْلِهم ذلك جفاءٌ وبداوة وقلة توقير، فتربَّص رسول الله ﷺ مدة ثم خرج إليهم، فقال له واحد منهم -وهو الأقرع بن حابس-: يا محمد إنَّ مدحي زَيْنٌ وذمِّي شَيْنٌ، فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك! ذلك الله تعالىٰ»[1].

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يَحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون فيهم قليلٌ ممن يعقل، ونفَىٰ العقل عن أكثرهم، لا عن جميعهم.

والآخر: أن يكون جميعهم ممن لا يعقل، وأوقع القلَّة موضعَ[2] النفي.

والأول أظهر في مقتضىٰ اللفظ، والثاني أبلغ في الذم.

﴿٥﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ يعني: خيرًا في الثواب، وفي انبساط نفس النبي ﷺ لهم، وقضائه لحوائجِهم. وإنكارُ فِعْلهم فيه تأديبٌ لهم، وتعليمٌ لغيرهم.

﴿٦﴾ ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ سببها: أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلىٰ بني المصطلق؛ ليأخذ زكَواتهم[3]، فروي أنه كان معاديًا لهم، فأراد إذايتهم، فرجع من بعض طريقه وكذَب عليهم، وقال للنبي ﷺ: إنهم قد منعوني الصَّدقة وطردوني وارتدُّوا،

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٩٩١)، والطبري (٢١/ ٣٤٦) من حديث الأقرع بن حابس، وإسناد أحمد رجاله رجال الصحيح، كما في مجمع الزوائد (٧/ ٢٣٨)، وصحح إسناده السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ٥٣٩). وأخرجه الترمذي (٣٢٦٧) وحسنه، والنسائي في الكبرىٰ (١١٤٥١)، والطبري (٢١/ ٣٤٥) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) في ب، هـ: «موقع».

(٣) في أ، د، هـ: «زكاتهم».

فغضب رسول الله ﷺ وهمَّ بغزوهم، ونظر في ذلك، فوَرَدَ وفْدُهم منكرين لذلك[١].

وروي أن الوليد بن عقبة لما قَرُبَ منهم خرجوا إليه مُتَلقِّين له، فرآهم علىٰ بعدٍ ففزع منهم وظنَّ بهم الشر، وانصرف فقال ما قال[٢]. وروي أنه بلغه أنهم قالوا: لا نعطيه صدقةً ولا نطيعه، فانصرف وقال ما قال.

فالفاسق المشار إليه في الآية: هو الوليد بن عقبة، ولم يزل بعد ذلك يفعل أفعال الفُسَّاق، حتىٰ صلىٰ بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران، ثم قال لهم: أزيدكم؟[٣]. ثم هي باقيةٌ فيمن اتَّصف بهذه الصفة إلىٰ آخر الدهر.

وقرئ ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ من التبيين، و﴿فَتَثَبَّتُوٓاْ﴾ بالثاء[٤] من التثبُّت[٥]، ويقوي هذه القراءة: أنها لما نزلت روي أن رسول الله ﷺ قال: «التثبُّت[٦] من الله، والعجلة من الشيطان»[٧]. واستدلَّ بهذه الآية القائلون بقَبول خبر الواحد؛ لأن دليلَ الخطاب يقتضي أن خبر غير الفاسق مقبولٌ.

قال المنذر البَلُّوطي: وهذه الآية تردُّ علىٰ من قال: إن المسلمين كلهم عدول؛ لأن الله أمر بالتبين[٨] قبل القَبول، فالمجهول الحالِ يُخشَىٰ أن يكون فاسقًا.

﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمَاۢ بِجَهَٰلَةٖ﴾ في موضع المفعول من أجله، تقديره: مخافةَ أن تصيبوا قومًا بجهالة. والإشارة إلىٰ قتال بني المصطلق؛ لـمَّا ذَكر عنهم الوليد ما ذَكر.

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٤٥٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٣)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٧٤) عن الحارث بن ضرار الخزاعي، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٣٨): «ورجال أحمد ثقات»، وقال السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ٥٤٥): «بسند جيد».

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٥٠) عن أم سلمة وابن عباس ﷺ.

(٣) في أ، هـ زيادة: «إن شئتم».

(٤) قرأ حمزة والكسائي بالثاء من التثبُّت، وقرأ الباقون بالباء من التبيُّن.

(٥) في أ، ب، هـ: «التثبيت».

(٦) في ب، هـ: «التثبيت».

(٧) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٥٢) عن قتادة مرسلًا، ولفظه: «التبيُّن من الله..»، وعليه؛ فليس في هذه الرواية دلالةٌ علىٰ تقوية هذه القراءة، بل فيها دلالة علىٰ تقوية القراءة الأولىٰ.

(٨) في ب، ج، د: «بالتبيين».

﴿٧﴾ ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ أي: لشَقِيتم، والعنت: المشقة. وإنما قال: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ ولم يقل: «لو أطاعكم»؛ للدلالة على أنهم كانوا يريدون استمرار طاعته ﷺ لهم، والحق خلاف ذلك، وإنما الواجب أن يطيعوه لا أن يطيعَهم، وذلك أن رأي رسول الله ﷺ خيرٌ وأصوب من رأي غيره، ولو أطاع الناسَ في رأيهم[١] لهلَكوا، فالواجب عليهم الانقياد إليه والرجوع إلى أمره، وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ الآيةَ.

﴿٩﴾ ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ **اختُلف في سبب نزولها: فقال الجمهور**: هو ما وقع بين المسلمين وبين المتحزِّبين منهم لعبد الله بن أبيٍّ ابنِ سلول حين مرَّ به رسول الله ﷺ وهو متوجهٌ إلى زيارة سعد بن عبادة ﷺ في مرضه، فقال عبد الله بن أبيٍّ للنبي ﷺ: لقد آذاني نتَنُ حمارِك، فردَّ عليه عبد الله بن رواحة ﷺ وتلاحى الناس حتى وقع بين الطائفتين ضربٌ بالجريد[٢]، ويروى: بالحديد[٣]. وقيل: سببها أن فرقتين من الأنصار وقع بينهما قتال، فأصلحه رسول الله ﷺ بعد جُهْدٍ، ثم حُكْمها باقٍ إلى آخر الدهر. وإنما قال: ﴿ٱقْتَتَلُواْ﴾ ولم يقل: «اقتتلا»؛ لأن الطائفة في معنى القوم والناس، فهي -في المعنى- جمعٌ.

﴿وَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي﴾ أَمر الله في هذه الآية بقتال الفئة الباغية، وذلك إذا تبين أنها باغية. **فأما الفتن التي تقع بين المسلمين؛ فاختَلف العلماء فيها على قولين:**

أحدهما: أنه لا يجوز النهوض في شيءٍ منها ولا القتال، وهذا مذهب سعد بن أبي وقاص، وأبي ذر، وجماعة من الصحابة ﷺ، وحجَّتهم: قول رسول الله ﷺ: «قتال المسلم كفر»[٤]، وأَمْرُه ﷺ بكسر السيوف في الفتن[٥].

---

(١) في أ، هـ: «آرائهم».

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩١)، ومسلم (١٧٩٩) من حديث أنس ﷺ، وأخرجاه أيضًا -البخاري (٦٢٠٧)، ومسلم (١٧٩٨)- من حديث أسامة بن زيد ﷺ.

(٣) انظر: فتح الباري (٥/ ٢٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) عن ابن مسعود ﷺ.

(٥) في حديث أبي بكرة ﷺ، وفيه أن النبي ﷺ قال: «يَعمَد إلى سيفه فيدق على حده بحجر». أخرجه مسلم (٢٨٨٧)، والمراد: كسر السيف حقيقة. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٩).

والقول الثاني: أن النهوض فيها واجبٌ؛ لِتَكُفَّ الطائفة الباغية، وهذا مذهب علي، وعائشة، وطلحة، والزبير، وأكثر الصحابة ﷺ، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء، **وحجتهم**: هذه الآية.

فإذا فرَّعنا على القول الأول: فإن دخَل داخلٌ علىٰ مَن اعتزل الفريقين منزلَه، يريد نفسه أو ماله فعليه دفْعُه عن نفسه وإن أدَّىٰ ذلك إلىٰ قتله؛ لقوله ﷺ: «مَن قُتِل دون نفسه وماله فهو شهيد»[1].

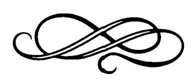
وإذا فرَّعنا على القول الثاني: فاختُلف مع من يكون النهوض في الفتن؟

فقيل: مع السَّواد الأعظم، **وقيل**: مع العلماء، **وقيل**: مع مَن يَرىٰ أن الحقَّ معه.

وحكم القتال في الفتن: أن لا يُجهَز علىٰ جريح، ولا يُطلَب هارب، ولا يُقتَلَ أسيرٌ، ولا يُقسَم فيءٌ.

﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ﴾ أي: ترجعَ إلىٰ الحق.

(١٠) ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إنما ذكره بلفظ التثنية؛ لأن أقلَّ مَن يقع بينهم البغيُ اثنان. **وقيل**: أراد بالأخوين: الأوس والخزرج. **وقرئ** ﴿بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ﴾ بالتاء علىٰ الجمع[2]، **وقرئ** «بَيْنَ إِخْوَانِكُمْ» بالنون[3] علىٰ الجمع أيضًا.



---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٨٠)، مسلم (١٤١) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ، وليس فيه لفظة: «نفسه»، ولكن جاء في حديث سعيد بن زيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «.. ومن قتل دون دمه فهو شهيد»، أخرجه أحمد (١٦٥٢)، والترمذي (١٤٢١) وصححه، والنسائي (٤١٠٦).

(٢) وهي قراءة يعقوب.

(٣) قرئ بها في الشاذ، وهي قراءة ابن مسعود وزيد بن ثابت وابن سيرين والحسن وعاصم الجحدري وثابت البناني وحماد بن سلمة. المحرر الوجيز (٨/ ١٤).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

﴿١١﴾ ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ نهيٌ عن السُّخرية، وهي الاستهزاء بالناس.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: لعلَّ المسخورَ منه خيرٌ من السَّاخر عند الله، وهذا تعليلٌ للنهي.

﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾ لما كان القوم لا يقع إلَّا علىٰ الذُّكران عطَف النساء عليهم.

﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا يطعنْ بعضكم علىٰ بعض. واللمز: العيب، سواءٌ كان بقولٍ أو إشارة أو غير ذلك، وسنذكر الفرق بينه وبين الهَمْز في سورة «الهمزة». و﴿أَنفُسَكُمْ﴾ هنا بمنزلة قوله: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٥٩].

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ أي: لا يدعُ أحدٌ[1] أحدًا بلقَبٍ، والتَّنابز بالألقاب: التَّداعي بها. وقد أجاز المحدِّثون أن يقال: الأعمش والأعرج ونحوه، إذا دعت إليه الضرورة، ولم يقصد النقص والاستخفاف.

﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ يريد بـ﴿ٱلِٱسْمُ﴾: أن يُسمَّىٰ الإنسانُ فاسقًا بعد أن سُمِّي مؤمنًا، وفي ذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: استقباحُ الجمع بين الفسوق وبين الإيمان، فمعنىٰ ذلك: أن مَن فعل شيئًا من هذه الأشياء التي نُهِي عنها فهو فاسقٌ وإن كان مؤمنًا.

---

(١) في د: «أحدكم».

والآخر: بئس ما يقوله الرجل للآخر: «يا فاسق» بعد إيمانه، كقولهم لمن أسلم من اليهود: «يا يهودي».

الثالث: أن يَجعل مَن فَسَقَ غيرَ مؤمن، وهذا على مذهب المعتزلة[1].

﴿١٢﴾ ﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ يعني: ظن السَّوء بالمسلمين، وأما ظنُّ الخير فهو حسَنٌ.

﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ **قيل:** معنى الإثم هنا: الكذب لقوله ﷺ: «**الظن أكذب الحديث**»[2]؛ لأنه قد لا يكون مطابقًا للأمر. **وقيل:** إنما يكون إثمًا إذا تكلَّم به، وأما إذا لم يتكلَّم به فهو في فُسحةٍ؛ لأنه لا يَقدِر على دفع الخواطر. واستدلَّ بعضهم بهذه الآية على صحة سدِّ الذرائع في الشرع؛ لأنه أمَر باجتناب كثيرٍ من الظن، وأخبر أن بعضه إثمٌ؛ فأمر باجتناب أكثرَ من الإثم؛ احترازًا من الوقوع في البعض الذي هو إثم.

﴿وَلاَ تَجَسَّسُواْ﴾ أي: لا تبحثوا عن مُخبَّآت الناس. وقرأ الحسن: «تَحَسَّسُوا» بالحاء[3]. **والتجسُّس بالجيم:** في الشر، **وبالحاء:** في الخير. **وقيل:** التجسُّس: ما كان مِن وراءَ وراءَ، والتحسُّس -بالحاء-: الدخول والاستعلام.

﴿وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾ **المعنى:** لا يذكرْ أحدكم من أخيه المسلم ما يكره لو سمعه. **والغِيبة:** هي ما يَكره الإنسان ذكْرَه من خَلْقه أو خُلُقه أو دينه أو أفعاله أو غير ذلك، وفي الحديث أنه ﷺ قال: «الغِيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره»، قيل: يا رسول الله وإن كان

---

(١) [التعليق ١٠١] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ المؤلِّفِ: «الثالثُ: أن يُجعَلَ مَن فسَقَ غيرَ مؤمِنٍ...»، إلخ:
أقولُ: الفرقُ بين الوجهِ الثاني والثالثِ: أنَّ المراد بالوجهِ الثاني: مَن أطلَقَ على أخيهِ: «فَاسِق»؛ على وجهِ السَّبِّ مغايَظةً له لخصومةٍ بينهما.
فأمَّا الثالثُ، فمعناه: الحكمُ على المسلِمِ العاصي: بأنه فاسِقٌ، وليس بمؤمِنٍ، فيُخرِجُهُ عن الإيمانِ، ويَجعَلُهُ في منزلةٍ بين الإيمانِ والكفرِ؛ وهذا - كما قال المؤلِّفُ - على مذهَبِ المعتزِلةِ؛ فإنهم يَجعَلُونَ مرتكِبَ الكبيرةِ في منزِلةٍ بين المنزلَتَيْنِ، لا هو مؤمِنٌ، ولا هو كافرٌ:
فخالَفُوا أهلَ السُّنَّةِ الذين يقولونَ: «إنَّ مرتكِبَ الكبيرةِ معه أصلُ الإيمانِ؛ فهو مؤمِنٌ ناقصُ الإيمانِ».
وخالَفُوا الخوارجَ الذين يقولونَ: «مرتكِبُ الكبيرةِ كافِرٌ».
ثم يتفِقُ الخوارجُ والمعتزِلةُ على حُكْمِهِ في الآخِرة، وهو الخلودُ في النار.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، مسلم (٢٥٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ١٩).

حقًّا؟ قال: «إذا قلت باطلًا فذلك البهتان»[١]. وقد رُخِّص في الغِيبة في مواضع؛ منها: في التَّجريح في الشهادة، والرواية، والنصيحة في النكاح وشبهه، وفي التحذير من أهل الضَّلال.

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ شبَّه اللهُ تعالىٰ الغِيبةَ بأكْل لحم ابن آدم ميتًا، والعرب تشبِّه الغيبةَ بأكل اللحم، ثم زاد في تقبيحه أن جعَله ميتًا؛ لأن الجيفة مستقذَرةٌ. ويجوز أن يكون ﴿مَيْتًا﴾ حالًا: من الأخِ، أو من لحمِه. وقيل: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ إخبارٌ عن حالهم بعد التَّقرير، كأنه لما قررهم: «هل يحبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا؟» أجابوا فقالوا: «لا نحبُّ ذلك»، فقال لهم: «فكرهتموه»، وبَعْدَ هذا محذوفٌ تقديره: «فكذلك فاكرهوا الغيبة التي هي تُشبِهه»، وحُذِف هذا؛ لدلالة الكلام عليه، وعلىٰ هذا المحذوف يُعطَف قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، قاله أبو علي الفارسي[٢].

وقال الرُّماني: كراهةُ هذا اللحم يدعو إليها الطبع، وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل، وهو أحقُّ أن يجاب؛ لأنه بصيرٌ عالم، والطبع أعمىٰ جاهل[٣]. وقال الزمخشري: في هذه الآية مبالغات كثيرة: منها: الاستفهام الذي معناه التقرير، ومنها: جَعْلُ ما هو في الغاية من الكراهة موصولًا بالمحبة، ومنها: إسناد الفعل إلىٰ ﴿أَحَدُكُمْ﴾، والإشعار بأن أحدًا من الأحَدِينَ لا يحب ذلك، ومنها: أنْ لم يَقتصر علىٰ تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتىٰ جعله ميتًا، ومنها: أنْ لم يَقتصر علىٰ تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتىٰ جعله أخًا[٤].

﴿١٣﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ الذَّكر والأنثىٰ هنا: آدم ﷺ وزوجُه[٥]. قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد الجنس، كأنه قال: إنا خلقنا كلَّ واحد منكم من ذكر وأنثىٰ[٦].

---

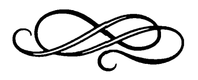
(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) عن أبي هريرة ﷺ.
(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٢٢).
(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٢٢).
(٤) الكشاف (١٤/ ٥٠٢).
(٥) في د زيادة: «حواء».
(٦) المحرر الوجيز (٨/ ٢٣).

والأول أظهر وأصحُّ؛ لقوله ﷺ: «الناس من آدم، وآدم من التراب»[(١)].

ومقصود الآية: التسويةُ بين الناس، والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، فبيَّن الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسَب والنسب؛ إنما هو بالتقوىٰ، قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ أن يكون أكرم الناس فليتَّقِ الله»[(٢)].

وروي أن سبب الآية أن رسول الله ﷺ أمَر بني بياضة أن يزوِّجوا أبا هند امرأةً منهم، فقالوا: كيف نزوِّج نساءنا[(٣)] لموالينا؟[(٤)]

﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ **الشُّعوب**: جمع شَعبٍ -بفتح الشين-، وهو أعظم من القبيلة، وتحته القبيلة، ثم البطن، ثم الفَخْذ، ثم الفَصِيلة، وهم القرابة الأَدْنَوْن. فمُضَر وربيعة وأمثالهما: شعوبٌ، وقريش قبيلةٌ، وبنو عبد مناف بطن، وبنو هاشم فخْذ -ويقال بإسكان الخاء؛ فرقًا بينه وبين الجارحة-، وبنو عبد المطلب فصيلة. وقيل: الشعوب: في العجم، والقبائل: في العرب، والأسباط: في بني إسرائيل. ومعنىٰ ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾: ليعرف بعضكم بعضًا.



(١) أخرجه أحمد (٨٧٣٦)، وأبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٦) وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه الحاكم (٧٧٠٧) وصححه، عن محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي صحيح مسلم (٢٣٧٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قيل: يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم».
(٣) في د: «بناتِنا».
(٤) أخرجه أبو داود في المراسيل (٢٣٠) عن الزهري مرسلًا.

*﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿١٤﴾ ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ نزلت في بني أسد بن خزيمة[1]، وهي قبيلة كانت تجاور المدينةَ، أظهروا الإسلام، وكانوا إنما يحبون المغانم وعرَضَ الدنيا، فأكْذبهم الله في قولهم: «آمنا»، وصدَّقهم لو قالوا: «أسلمنا». وهذا على أن الإيمان هو التَّصديق بالقلب، والإسلام هو الانقياد للنطق[2] بالشهادتين والعملِ بالجوارح، فالإسلام والإيمان في هذا الموضع متباينان في المعنى، وقد يكونان متفقينِ، وقد يكون الإسلامُ أعمَّ من الإيمان فيدخل الإيمان فيه، حسَبما ورد في مواضع أُخر[3].

﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ معنى ﴿لَا يَلِتْكُم﴾: لا يَنقُصْكم شيئًا من أجور أعمالكم. وفيه لغتان: يقال: لات، وعليه قراءة نافع: ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ بغير همز، ويقال: ألَت، وعليه قراءة من قرأ: ﴿لَا يَأْلِتْكُم﴾ بهمزة قبل اللام[4].

فإن قيل: كيف يعطيهم أجور أعمالهم وقد قال إنهم لم يؤمنوا؛ ولا تُقبَل الأعمالُ[5] إلَّا من مؤمن؟

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٨٨) عن مجاهد.
(٢) في ب: «إلى النطق».
(٣) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٤).
(٤) قرأ أبو عمرو بهمزة قبل اللام، وقرأ الباقون بحذف الهمزة.
(٥) في د: «ولا يَقبل الأعمالَ».

فالجواب: أن طاعة الله ورسوله تجمع صدق الإيمان وصلاح الأعمال، **فالمعنىٰ**: إن رجعتم عما أنتم عليه من الإيمان بألسنتكم دون قلوبكم، وعملتم أعمالًا صالحة فإن الله لا يَنقصكم منها شيئًا.

(١٥) ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ أي: لم يشكُّوا في إيمانهم، وفي ذلك تعريضٌ بالأعراب المذكورين؛ لأنهم في شكٍّ، وكذلك قوله في هؤلاء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ تعريضٌ أيضًا بالأعراب؛ إذ كذَبوا في قولهم: آمنَّا. وإنما عطف ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ بـ«ثُمَّ»؛ إشعارًا بثبوت إيمانهم في الأزمنة المتراخية المتطاولة.

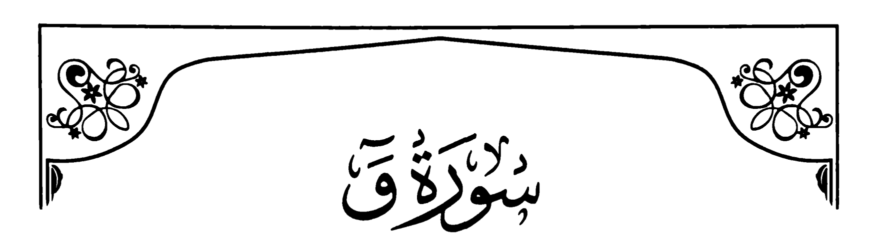
﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ يريد: جهاد الكفار؛ لأنه دليلٌ علىٰ صحة الإيمان. ويَبعد أن يريد: جهاد النفس والشيطان؛ لقوله: ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

(١٧) ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ﴾ نزلت في بني أسد أيضًا[1]؛ فإنهم قالوا للنبي ﷺ: إنا آمنا بك واتَّبعناك ولم نحاربْك كما فعلت هوازن وغطفان وغيرهم.

﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ أي: هداكم للإيمان علىٰ زعمكم، ولذلك قال: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. و﴿يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ يَحتمل أن يكون بمعنىٰ: يُنعِم عليكم، أو بمعنىٰ: يَذكر إنعامه، وهذا أحسن؛ لأنه في مقابلة: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾.



(١) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (١١٤٥٥)، والبزار (١١/ ٣٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه الطبري (٢١/ ٣٩٧) عن سعيد بن جبير.



سورة ق

قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَٰلِكَ رَجْعُۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ *وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكاً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقاً لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

﴿١﴾ تكلَّمنا على حروف الهجاء في «البقرة». **ويختصُّ ﴿قٓ﴾: بأنه قيل فيه: إنه من اسم الله: القاهر، أو القادر، وقيل: هو اسمٌ للقرآن[1]، وقيل: هو اسم الجبل[2] الذي يحيط بالدنيا.**

﴿وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ﴾ من المجد، وهو الشَّرف والكرَم. وجواب هذا القسم محذوفٌ، تقديره: ما ردُّوا أمرك بحجة وما كذَّبوك ببرهان وشبه ذلك، وعن هذا المحذوفِ وقَع الإضرابُ بـ«بل». وقيل: الجواب: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾، وقيل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾، وقيل: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾، وهذه الأقوال ضعيفة متكلَّفة.

﴿٢﴾ **﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ الضمير في ﴿عَجِبُوٓاْ﴾ لكفار قريش، والمنذر: هو**

---

(١) في أ، هـ: «القرآن».

(٢) في د: «للجبل».

محمد ﷺ. **وقيل**: الضمير لجميع الناس، واختاره ابن عطية، قال: ولذلك قال تعالىٰ: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[١] أي: الكافرون من الناس. **والصحيح**: أنه لقريش، وقوله: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر؛ لقصد ذمِّهم بالكفر، كما تقول: «جاءني فلان، فقال الفاجر كذا» إذا قصدتَ ذمه.

وقوله: ﴿مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: إن كان الضمير لقريش: فمعنىٰ ﴿مِّنْهُمْ﴾: من قبيلتهم، يعرفون صِدْقَه وأمانته وحسَبه فيهم، وإن كان الضمير لجميع الناس: فمعنىٰ ﴿مِّنْهُمْ﴾: إنسان مثلهم. وتعجُّبهم[٢] يَحتمل[٣] أن يكون مِن أن يبعث الله بشرًا، أو من الأمر الذي يتضمَّنه الإنذار، وهو الحشر، ويؤيد هذا ما يأتي بعدُ.

﴿٣﴾ ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ العامل في ﴿إِذَا﴾: محذوفٌ، تقديره: أنُبعَثُ إذا متنا؟

﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ **الرَّجْعُ**: مصدرُ رَجَعتُه، والمراد به: البعث بعد الموت، ومعنىٰ ﴿بَعِيدٌ﴾ أي: بعيد الوقوع عندهم. **وقيل**: الرجع: الجواب، أي: جوابهم هذا بعيدٌ عن الحق، وعلىٰ هذا يكون قوله: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ من كلام الله تعالىٰ، وأما علىٰ الأول: فهو حكايةُ كلام الكفار، وهو أظهر.

﴿٤﴾ ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ هذا ردٌّ علىٰ الكفار في إنكارهم للبعث. ومعناه: قد علمنا ما تنقص الأرض من لحومهم وعظامهم؛ فلا يصعب علينا بعثهم، قال رسول الله ﷺ: «كل جسد ابن آدم تأكله الأرض، إلَّا عُجْبَ الذَّنَب، منه خُلِق وفيه[٤] يُرَكَّب»[٥]. **وقيل**: المعنىٰ: قد علمنا ما يحصل في بطن الأرض من موتاهم، والأول قول ابن عباس ﷺ[٦]، والجمهور، وهو أظهر.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٣٢) ولم أقف من كلامه علىٰ ما يدل أنه اختاره وارتضاه، وإنما حكاه عن جمهور المتأولين.

(٢) في أ: «وتعجيبهم».

(٣) في د: «وتعجبهم تحيُّرهم، فيحتمل..».

(٤) في د: «ومنه» وهو موافق لرواية البخاري.

(٥) أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) عن أبي هريرة ﷺ.

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٠٤).

﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ يعني: اللوح المحفوظ، ومعنىٰ ﴿حَفِيظٌۢ﴾: جامعٌ لا يَشِذُّ عنه شيء، وقيل: معناه: محفوظ من التبديل والتغيير.

﴿٥﴾ ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ هذا الإضراب أُتبع به الإضرابَ الأول؛ للدلالة علىٰ أنهم جاؤوا بما هو أقبح من تعجُّبهم[1]، وهو التَّكذيب بالحق الذي هو النبوة، وما تضمَّنته من الإخبار بالحشر وغير ذلك. وقال ابن عطية: هذا الإضراب عن كلام محذوفٍ تقديره: «ما أجادوا النظرَ»، أو نحو ذلك[2].

﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ أي: مضطرب؛ لأنهم تارةً يقولون: ساحر، وتارة شاعر، وغير ذلك من أقوالهم[3]. وقيل: معناه: مُنكَر، وقيل: ملتبِس، وقيل: مختلِط.

﴿٦﴾ ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ يعني: بالنجوم.

﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ أي: من شِقَاقٍ، وذلك دليلٌ علىٰ إتقان الصَّنعة.

﴿٧﴾ ﴿رَوَٰسِيَ﴾ يعني: الجبالَ.

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي: من كل نوع جميل.

﴿٩﴾ ﴿مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ يعني: المطرَ كلَّه. وقيل: إنما الماء المبارك مطرٌ[4] مخصوص يُنزله الله كلَّ سنة، وليس كلُّ المطر[5] يتصف بالبركة، وهذا ضعيف.

﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يُحصد.

﴿١٠﴾ ﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ أي: طويلاتٍ.

﴿طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ الطَّلع: أول ما يظهر من التمر، وهو أبيضُ منَضَّدٌ كحبِّ الرُّمان، فما دام ملتصقًا بعضُه ببعض فهو نضيد، فإذا تفرَّق فليس بنضيد.

---

(١) في أ: «تعجيبهم».
(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٣٣).
(٣) في د زيادة: «الفاسدة».
(٤) في د: «ماء».
(٥) في ب، ج، د: «مطر».

﴿١١﴾ ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ تمثيلٌ لخروج الموتىٰ من القبور بخروج النبات من الأرض.

﴿١٢﴾ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ قومٌ كانت لهم بئر عظيمة، وهي الرَّسُّ، بُعِث إليهم نبيٌّ فجعلوه في الرسِّ وردَموا عليه، فأهلكهم الله.

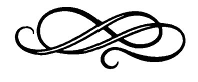
﴿١٤﴾ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ **يعني**: قوم شعيب، وقد ذُكِر[١].

﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ ذكر في «**الدخان**»[٢].

﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي: حلَّ بهم الهلاك.

﴿١٥﴾ ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ يقال: عَيِيَ بالأمرِ: إذا لم يعرف عمَله. **والخلق الأول**: خلق الإنسان من نطفة ثم من علقة، **وقيل**: يعني: خلْقَ آدم ﵇، **وقيل**: خلْقَ السماوات والأرض، **والأول أظهر**. **ومقصود الآية**: الاستدلال بالخِلْقة الأُولىٰ علىٰ البعث، والهمزة للإنكار.

﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: هم في شكٍّ من البعث، وإنما نكَّر الخلق الجديد؛ لأنه كان غير معروف عند الكفار المخاطَبين، وعرَّف الخلقَ الأول؛ لأنه معروف معهود.



(١) انظر تفسير الآية (٧٨) من سورة الحجر، وتفسير الآية (١٧٦) من سورة الشعراء.
(٢) انظر تفسير الآية (٣٥).

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾

﴿١٦﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني: جنس الإنسان[1]، ومعنىٰ ﴿تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾: تحدِّثه به نفسُه في فكرتها، وذلك أخفىٰ الأشياء. وقيل: يعني: آدم عليه السلام، ووسوستُه: عند أكله من الشجرة، والأول أظهر وأشهر.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ هو عِرْقٌ كبير في العُنُق، وهما وريدان عن يمين وشمال، وهذا مثَلٌ في فَرْطِ القُرْب، والمراد به: قربُ علم الله واطِّلاعُه علىٰ عبده. وإضافة الحبل إلىٰ الوريد كقولك: «مسجد الجامع»، أو يراد بالحبل: العاتق[2].

﴿١٧﴾ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني: الملَكين الحافِظَين الكاتِبَينِ للأعمال. والتلقِّي: هو تلقِّي الكلام بحفظه وكتابته. والعامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾، وقيل: مضمرٌ تقديره: اذكر. واختاره ابن عطية[3].

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي: قاعد. وقيل: مُقَاعِد، بمعنىٰ مُجَالِس، وردَّه ابن عطية:

---

(١) في ب، ج، د: «الناس».

(٢) عبارة الكشاف (١٤/ ٥٣٦): «أن يُراد: حبلُ العاتق، فيضاف إلىٰ الوريد كما يضاف إلىٰ العاتق؛ لاجتماعهما في عضوٍ واحد»، فلعلَّ الأقرب في عبارة ابن جزيٍّ أن تكون: «أو يراد بالوريد العاتق»، فيكون الحبل الذي هو الوريد مضافًا إلىٰ العاتق؛ أي: حبل العاتق، فلا يكون الشيء مضافًا إلىٰ نفسه.

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٣٩).

بأن المُقَاعِد إنما يكون مع قعود الإنسان، والقاعد يكون على جميع هيئات الإنسان[١].

إنما أفرده وهما اثنان؛ لأن التقدير: «عن اليمين قعيدٌ، وعن الشمال قعيد من المتلقِّيين»، فحذف أحدهما؛ لدلالة الآخر عليه. وقال الفراء: لفظ «قعيد» يدلُّ على الاثنين والجماعة[٢]؛ فلا يُحتاج إلىٰ حذف.

﴿١٨﴾ ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ العتيد: الحاضر، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن مقعد الملكين على الثنيَّتين[٣]، قلمهما اللسان، ومدادهما الرِّيق»[٤]. وعموم الآية يقتضي: أن الملكينِ يكتبان جميع كلام العبد، ولذلك قال الحسن وقتادة: يَكتب الملكان جميع الكلام فيُثبتُ الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك[٥]. وقال عكرمة: إنما تُكتب[٦] الحسنات والسيئات لا غيرُ[٧].

﴿١٩﴾ ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ أي: بلقاء الله، أو فراق الدنيا. وفي مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «وجاءت سكرة الحق بالموت»، وكذلك قرأها أبو بكر الصديق رضي الله عنه[٨].

وإنما قال: ﴿جَآءَتْ﴾ بالماضي؛ لتحقُّق الأمر وقربه، وكذلك ما بعده من الأفعال.

﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: تفرُّ وتَهرب، والخطاب للإنسان.

﴿٢١﴾ ﴿سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ السَّائق: ملَكٌ يسوقه. وأما الشهيد: فقيل: ملك آخر يشهد عليه، وهو الأظهر، وقيل: صحائف الأعمال، وقيل: جوارح الإنسان.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٣٩-٤٠).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٧).

(٣) في د: «الشفتين»، والمثبت موافق لما في الرواية عند الثعلبي.

(٤) أخرج الثعلبي في تفسيره (٢٤/ ٤٥٥) بإسناده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا، وإسناده ضعيف جدًا، فيه أرطاة بن الأشعث وهو هالك واهٍ. لسان الميزان لابن حجر (٢/ ١٨). وأخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ٤٢٥) عن معاذ رضي الله عنه مرفوعًا، وإسناده ضعيف جدًا، فيه علي بن بشر، وهو ضعيف (لسان الميزان ٥/ ٥٠٣)، ونعيم بن المورِّع، ضعيف يروي موضوعات (لسان الميزان ٨/ ٢٩٠).

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٢٥).

(٦) في ب، ج: «تكتب».

(٧) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٢٥).

(٨) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٢٨).

﴿٢٢﴾ ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ خطابٌ للإنسان الذي يقتضيه قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، يريد: أنه كان غافلًا عما لقِي في الآخرة. وقيل: هو خطابٌ لمحمد ﷺ؛ أي: كنتَ في غفلة من هذا القَصص؛ وهذا في غاية الضعف؛ لأنه خروجٌ عن سياق الكلام.

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ يريد بكَشْفِ الغِطاء: معاينةَ أمور الآخرة.

﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: يُبصِر ما لم يكن يبصره قبلُ، قال رسول الله ﷺ: «الناس نيامٌ؛ فإذا ماتوا انتبهوا»[1].

﴿٢٣﴾ ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ القرين هنا: الشيطان الذي كان يُغويه. وقيل: الملَك الذي يسوقه، وقيل: الملَك الذي يتولَّىٰ عذابه في جهنم، والأول أرجح؛ لأنه هو القرين المذكور بعدُ، ولقوله: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٥]. ومعنىٰ قوله: ﴿مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾، أي: هذا الإنسان حاضرٌ لديَّ، قد أَعْتَدتُه ويسَّرتُه[2] لجهنم، وكذلك المعنىٰ إن قلنا: إن القرين هو الملَك السَّائق. وإن قلنا: إنه أحد الزبانية: فمعناه: هذا العذاب لديَّ حاضرٌ.

ويَحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا لَدَيَّ﴾: موصوفةً أو موصولة، فإن كانت موصوفة: فـ﴿عَتِيدٌ﴾ صفةٌ لها، وإن كانت موصولة: فـ﴿عَتِيدٌ﴾: بدلٌ منها، أو خبرٌ بعد خبر، أو خبرُ مبتدإٍ محذوف. و﴿مَا﴾ هي خبر المبتدإِ[3] علىٰ هذه الوجوه. ويَحتمل أن يكون ﴿عَتِيدٌ﴾ الخبر، وتكون ﴿مَا﴾ بدلًا من ﴿هَٰذَا﴾، أو منصوبة بفعل مضمر.

﴿٢٤﴾ ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ خطابٌ للملَكين السائقِ والشهيد. وقيل: إنه خطابٌ لواحد علىٰ أن يكون بالنون المؤكِّدة الخفيفة، ثم أُبدل منها ألف، أو علىٰ أن يكون معناه: «ألقِ ألقِ» فثنَّىٰ مبالغةً وتأكيدًا، أو علىٰ أن يكون علىٰ عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم: «خليليَّ»، و«صاحبيَّ»، وهذا كله تكلُّفٌ بعيد، ومما يدلُّ علىٰ أن الخطاب لاثنين قوله: ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾.

---

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٩٩٣): «لم أجده مرفوعًا، يعزىٰ إلىٰ علي بن أبي طالب»، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ٦٩١): «هو من قول علي بن أبي طالب».

(٢) في ب: «واحتضرته».

(٣) وهو ﴿هذا﴾ من قوله: ﴿هذا ما لدي عتيد﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ **قيل**: منَّاع للزكاة[1] المفروضة، **والصحيح**: العموم.

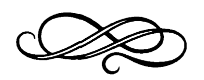
﴿مُّرِيبٍ﴾ شاكٌّ في الدين؛ فهو من الرَّيب بمعنى الشك.

﴿٢٦﴾ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ **يحتمل** أن يكون مبتدأ، وخبره ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾، وأدخل فيه الفاء؛ لتضمُّن معنى الشرط، أو يكون بدلًا أو صفةً، ويكون ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ تكرارًا؛ للتوكيد.

﴿٢٧﴾ ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ **القرين هنا**: شيطانه الذي وُكِّل به في الدنيا **بلا خلاف**. ومعنى ﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾: ما أوقعتُه في الطُّغيان، ولكنه طغَى باختياره. وإنما حذف الواو هنا؛ لأن هذه جملة مستأنَفة، بخلاف قوله: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ قبلَ هذا؛ فإنه عطفٌ.

﴿٢٨﴾ ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ﴾ خطاب للناس وقرنائِهم من الشياطين.

﴿٢٩﴾ ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ أي: قد حكمتُ بتعذيب الكفار؛ فلا تبديل لذلك. **وقيل**: معناه: لا يَكذِب أحدٌ لديَّ؛ لعلمي بجميع الأمور، فالإشارة على هذا: إلى قول القرين: ﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾.



(١) في أ، هـ: «قيل: معناه الزكاة».

يَوْمَ يَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ اِمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ اِلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ اَلرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ اُدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ اُلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمَ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمُۥٓ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشاً فَنَقَّبُواْ فِي اِلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ اِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ اَوَ اَلْقَى اَلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا اَلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ اِلشَّمْسِ وَقَبْلَ اَلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اَلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ اَلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ اِلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ اَلصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ اُلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا اَلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَّقَّقُ اُلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَنْ يَّخَافُ وَعِيدِۦ ﴿٤٥﴾

﴿٣٠﴾ ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ **الفعل مسندٌ إلىٰ جهنم، وقيل:** إلىٰ خزنتها من الملائكة، **والأول أظهر.** واختُلف هل تتكلم جهنم حقيقةً، أو مجازًا بلسان الحال؟ **والأظهر:** أنه حقيقة، وذلك علىٰ الله يسير. **ومعنىٰ قولها:** ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أنها تطلب الزيادة وكانت لم تمتلئ. **وقيل:** معناه: لا مزيد؛ أي: ليس عندي موضعٌ للزيادة، فهي علىٰ هذا قد امتلأت، **والأول أظهر وأرجح؛** لما ورد في الحديث: «**لا تزال جهنم يُلقىٰ فيها وتقول: هل من مزيد، حتىٰ يضع الجبَّار فيها قَدَمَه**»[1]، وفي هذا الحديث كلام ليس هذا موضعه.

والمزيد يحتمل أن يكون: مصدرًا كالمحِيض، أو اسمَ مفعول، **فإن كان مصدرًا:** فوزنه مَفْعِل، **وإن كان اسم مفعول:** فوزنه مَفْعُول.

﴿٣١﴾ ﴿وَأُزْلِفَتِ اِلْجَنَّةُ﴾ **أي:** قُرِّبت، ثم أكَّد ذلك بقوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ **أي:** كثير الرُّجوع إلىٰ الله، فهو مِن: آبَ يؤوب: إذا رجع. **وقيل:** هو المسبِّح لله؛ من قوله: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠].

(١) أخرجه البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨) عن أنس ﵁.

﴿حَفِيظٌ﴾ أي: حافظ لأوامر الله فيفعلها، ولنواهيه فيتركها.

(٣٣) ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: اتقىٰ الله وهو غائب عن الناس، فالمجرور في موضع الحال. و ﴿مَّنْ خَشِيَ﴾ بدلٌ، أو مبتدأ. فإن قيل: كيف قرَن بالخشية الاسمَ الدالَّ علىٰ الرحمة؟

فالجواب: أن ذلك لقصد المبالغة في الثناء علىٰ مَن يخشىٰ الله؛ لأنه يخشاه مع علمه برحمته وعفوه، قال ذلك الزمخشري[1].

ويَحتمل أن يكون الجواب عن ذلك: أن الرحمن قد صار يُستعمل استعمال الاسم الذي ليس بصفة، كقولنا: الله[2].

(٣٥) ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قيل: يعني: النظرَ إلىٰ وجه الله، كقوله: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. وقيل: يعني: ما لم يخطر علىٰ قلوبهم، كما ورد في الحديث مما يرويه النبي ﷺ عن ربه أنه قال: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر»[3].

(٣٦) ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ الضمير في ﴿هُمْ﴾ للقرون المتقدِّمة، وفي ﴿مِنْهُم﴾ لكفار قريش.

﴿فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ أي: طافوا فيها. وأصله: دُخولها من أنقابها، أو من التَّنقيب عن الأمر؛ بمعنىٰ البحثِ عنه.

﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ أي: قالوا: هل من مَهرب عن الله؟ أو عن العذاب؟

(٣٧) ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أي: قلبٌ واعٍ يعقل ويفهم.

﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: استمع وهو حاضرُ القلب.

(٣٨) ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ اللُّغوب: الإعياء والتعب.

---

(١) الكشاف (١٤/ ٥٥٢).

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣٩) ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ **يعني**: كفار قريش وغيرهم.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ **يحتمل أن يريد**: التسبيح باللسان، **أو** يريد الصلاة، **وقد ذكر الزمخشري الوجهين**[١]. **وقال ابن عطية**: معناه: صلِّ بإجماعٍ من المتأوِّلين[٢]، **وهي علىٰ هذا** إشارةٌ إلىٰ الصلوات الخمس فـ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: الصبح، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾: العصر والظهر، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾: المغرب والعشاء. **وقيل**: هي[٣] النوافل.

(٤٠) ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ **قال عمر بن الخطاب**[٤]، **وعلي بن أبي طالب**[٥] رضي الله عنهما: **يعني**: الركعتين بعد المغرب، **وقال ابن عباس** رضي الله عنهما: هي النوافل بعد الفرائض[٦]، **وقيل**: الوتر.

(٤١) ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ معناه: انتظر، فهو عامل في ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ علىٰ أنه مفعول به صريح. **وقيل**: المعنىٰ: استمع لما نقصُّ عليك من أهوال القيامة، فعلىٰ هذا: لا يكون عاملًا في ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ ويوقف علىٰ ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ ، **والأول أظهر**.

﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ **المنادي هنا**: هو إسرافيل الذي يَنفخ في الصُّور، قيل[٧]: إنما وصفه بالقرب؛ لأنه يسمعه جميعُ الخلق. **وقيل**: **المكان**: صخرة بيت المقدس، وإنما وصفها بالقرب لقربها من مكة، **وقيل**: لقربها من السماء؛ لأنها أقرب الأرض إلىٰ السماء بثمانية عشر ميلًا[٨]، **وهذا ضعيف**.

(٤٢) ﴿يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ **يعني**: خروجَ الناس من القبور.

(٤٤) ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ **العامل في هذا الظرفِ**: معنىٰ قوله: ﴿حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾، **أو هو بدلٌ مما قبله**.

---

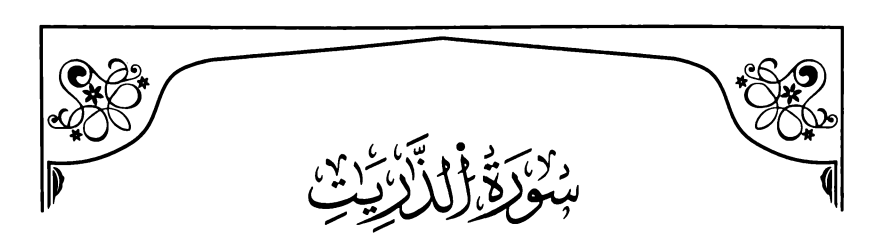
(١) الكشاف (١٤/ ٥٥٩).
(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٧).
(٣) في ب، ج: «يعني».
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٨٨٤٦).
(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٦٩)، وابن أبي شيبة (٨٨٤٥).
(٦) أخرجه البخاري (٤٨٥٢) والطبري (٢١/ ٤٧٣).
(٧) في أ، ب: «وقيل».
(٨) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٧٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٠) عن كعب الأحبار.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ أي: بقهَّار تقهرهم على الإيمان، فهو كقوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]. وقيل: إنه إخبارٌ بأنه ﷺ رؤوف بهم، غيرُ جبَّار عليهم، وهذا أظهر.

﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ [فاطر: ١٨]؛ لأنه لا ينفع التذكيرُ إلَّا فيمن(١) يخاف.

---

(١) في د: «من».



سورة الذاريات

وَالذَّٰرِيَٰتِ ذَرْواً ﴿١﴾ فَالْحَٰمِلَٰتِ وِقْراً ﴿٢﴾ فَالْجَٰرِيَٰتِ يُسْراً ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَٰتِ أَمْراً ﴿٤﴾ اِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ اَلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ اِلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِے قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُوفَكُ عَنْهُ مَنُ اُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ اَلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ اَلذِينَ هُمْ فِے غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ اُلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى اَلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا اَلذِے كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ اَلْمُتَّقِينَ فِے جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتِيٰهُمْ رَبُّهُمُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ اَلَيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْاَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِے أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِے اِلْاَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِے أَنفُسِكُمُۥٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِے اِلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ اِلسَّمَآءِ وَالْاَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾

﴿١﴾ ﴿وَالذَّٰرِيَٰتِ ذَرْواً﴾ هي[1] الرِّيحُ تَذْرُو[2] التراب وغيره، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿تَذْرُوهُ اُلرِّيَٰحُ﴾ [الكهف: ٤٤]. وانتصب ﴿ذَرْواً﴾ علىٰ المصدرية.

﴿٢﴾ ﴿فَالْحَٰمِلَٰتِ وِقْراً﴾ هي السَّحاب تحمل المطر. والوِقْر: الحِمْل، وهو مفعول به.

﴿٣﴾ ﴿فَالْجَٰرِيَٰتِ يُسْراً﴾ هي السُّفن تجري في البحر. وإعراب ﴿يُسْراً﴾: صفةٌ لمصدر محذوف، ومعناه: بسهولة.

﴿٤﴾ ﴿فَالْمُقَسِّمَٰتِ أَمْراً﴾ هي الملائكة تقسِّم أمورَ الملكوت، من الأرزاق والآجال وغير ذلك. و ﴿أَمْراً﴾ مفعول به. وقيل: إن ﴿الْحَٰمِلَٰتِ وِقْراً﴾: السفن، وقيل: جميع الحيوان الحامل. وقيل: إن ﴿الْجَٰرِيَٰتِ يُسْراً﴾: السحاب، وقيل: الجواري من الكواكب.

(١) في ب، ج: «يعني».
(٢) في أ، هـ: «تذرُّ».

والأول أشهر، وهو قول علي بن أبي طالب ﷺ[١].

﴿٥﴾ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ **هذا جواب القسم. ويحتمل** ﴿تُوعَدُونَ﴾ **أن يكون: من الوعد أو من الوعيد، والأظهر: أنه يراد به البعث في الآخرة، وهو يشمل الوعد والوعيد.**

﴿٦﴾ ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ **الدين هنا: الجزاء، وقيل: الحساب.**

﴿٧﴾ ﴿وَالسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ **أي: ذات الطرائق، مثل الطرائق التي تكون في الماء إذا هبَّت عليه الرياح**[٢]**، وكذلك حُبُك الزرع، وهي الطرائق التي فيه. وقيل: الحبك: النجوم، وقيل:** زينة السماء، **وقيل:** حسن خِلْقتها. وواحد الحُبُك: حِبَاكٌ أو حَبِيكة.

﴿٨﴾ ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ **يحتمل** أن يكون خطابًا لجميع الناس؛ لأنهم اختلفوا، فمنهم مؤمن ومنهم كافر، ويحتمل أن يكون خطابًا للكفار خاصة؛ لأنهم اختلفوا فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: شاعر.

﴿٩﴾ ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ معنىٰ ﴿يُؤْفَكُ﴾: يُصرَف، **والضمير في** ﴿عَنْهُ﴾ **يَحتمل أربعةَ أوجه:**

أحدها: أن يكون للنبي ﷺ، أو للقرآن، أو للإسلام، **والمعنىٰ:** يُصرف عن الإيمان به من صُرف، أي: من سبَق في علم الله أنه مصروف.

الثاني: أن يكون الضمير لـ ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾، أو للدين المذكور، **والمعنىٰ:** يصرف عن الإيمان به مَن صُرف.

الثالث: أن يكون الضمير للقول المختلِف، **والمعنىٰ:** يصرف عن ذلك القول إلىٰ الإسلام من قضَىٰ الله بسعادته، **وهذا القول حسَنٌ**، إلَّا أنَّ عُرْف الاستعمال في «**أُفِك يُؤفَك**» إنما هو في الصَّرْف من خير إلىٰ شر، وهذا من شرٍّ إلىٰ خير.

الرابع: أن يكون الضمير للقول المختلف، وتكون «عن» سببية، **والمعنىٰ:** يصرف بسبب ذلك القول من صُرف عن الإيمان.

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٧٩-٤٨٤)، والحاكم (٣٧٣٦) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) في ب، د: «الريح».

(١٠) ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾ دعاءٌ عليهم، كقولهم: قاتلكَ الله. وقيل: إن ﴿قُتِلَ﴾ بمعنىٰ: لُعِن. قال ابن عطية: واللفظة لا تقتضي ذلك[١]. وقال الزمخشري: أصله الدعاء بالقتل، ثم جرىٰ مجرىٰ: لُعِن وقَبُحَ[٢]. و﴿ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾: الكذَّابون، وأصل الخَرْص: التَّخمين والقول بالظن. والإشارة: إلىٰ الكفار، وقيل: إلىٰ الكهان، والأول أظهر.

(١١) ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ﴾ الغَمْرة: ما يغطِّي عقلَ الإنسان، وأصله: غَمرة الماء، والمراد به هنا: الجهالة والغفلة عن النظر.

(١٢) ﴿يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ أي: يقولون: «متىٰ يوم الدين؟» علىٰ وجه الاستبعاد والاستخفاف.

(١٣) ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾ هذا جوابٌ عن سؤالهم. ومعنىٰ ﴿يُفۡتَنُونَ﴾: يُحْرَقون ويُعذَّبون، ومنه قيل للحَرَّة: «فَتِينٌ»؛ كأن الشمس أحرقت حجارتها. ويحتمل أن يكون ﴿يَوۡمَ هُمۡ﴾ : معربًا، والعامل فيه مضمر تقديره: يقع ذلك يومَ هم علىٰ النار يفتنون. وأن يكون مبنيًّا؛ لإضافته إلىٰ مبني، وعلىٰ هذا يجوز أن يكون في موضع نصْبٍ بالفعل المضمر حسَبما ذكرنا، أو في موضع رفع، والتقدير: هو يومَ هم علىٰ النار يفتنون.

(١٤) ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا حَرْقكم.

(١٦) ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ﴾ يعني: يأخذون في الجنة ما أعطاهم ربهم من الخيرات والنِّعَم[٣]. وقيل: المعنىٰ: آخذين في الدنيا ما آتاهم[٤] ربهم من شرعه، والأول أظهر وأرجح؛ لدلالة الكلام عليه.

(١٧) ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ الهُجُوع: النوم. وفي معنىٰ الآية قولان:

أحدهما -وهو الصحيح-: أنهم كانوا ينامون قليلًا من الليل، ويقطعون أكثر الليل بالسهر في الصلاة والتضرُّع والدعاء.

والآخر: أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلًا ولا كثيرًا.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٦٥).

(٢) الكشاف (١٥/ ١٢).

(٣) في د: «والنعيم».

(٤) في أ، هـ: «أعطاهم».

ويختلف الإعراب باختلاف المعنيين: فأما على القول الأول: ففي الإعراب أربعة أوجه:

الأول: أن يكون ﴿قَلِيلًا﴾ خبرَ ﴿كَانُوا﴾ و﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾ فاعل بـ﴿قَلِيلًا﴾؛ لأن قليلًا صفة مشبَّهةٌ باسم الفاعل، وتكون ﴿مَا﴾ مصدرية، والتقدير: كانوا قليلًا هجوعُهم من الليل.

والثاني: مثل هذا، إلَّا أنَّ ﴿مَا﴾ موصولة، والتقدير: كانوا قليلًا الذي يهجعون فيه من الليل.

والثالث: أن تكون ﴿مَا﴾ زائدة، و﴿قَلِيلًا﴾ ظرف، والعامل فيه ﴿يَهْجَعُونَ﴾، والتقدير: كانوا يهجعون وقتًا قليلًا من الليل.

والرابع: مثل هذا، إلا أن ﴿قَلِيلًا﴾ صفة لمصدر محذوف، والتقدير: كانوا يهجعون هجوعًا قليلًا.

وأما على القول الثاني: ففي الإعراب وجهان:

أحدهما: أن تكون ﴿مَا﴾ نافية، و﴿قَلِيلًا﴾ ظرف، والعامل فيه: ﴿يَهْجَعُونَ﴾ ، والتقدير: كانوا ما يهجعون قليلًا من الليل.

والآخر: أن تكون ﴿مَا﴾ نافية، و﴿قَلِيلًا﴾ خبر «كان»، والمعنى: كانوا قليلًا في الناس، ثم ابتدأ بقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾. وكلا الوجهين باطلٌ عند أهل العربية؛ لأن «ما» النافية لا يَعمل ما بعدها فيما قبلها، فظهر ضعف هذا المعنى ببطلان إعرابه.

(١٨) ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم، والأسحار: آخر الليل، وقد جاء في الحديث: «أن الله تعالى يقول في الثلث الآخر من الليل: من يستغفرني فأغفر له»[1]. وقيل: معنى ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾: يصلُّون، وهذا بعيد من اللفظ.

(١٩) ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ الحقُّ هنا: نوافل الصدقات. وقيل: المراد الزكاة، وهذا بعيد؛ لأن الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة. وقيل: إن الآية منسوخة بالزكاة، وهذا لا يُحتاج إليه؛ لأن النسخ إنما يكون مع التعارض، ولا تعارض بين الزكاة والنوافل، وتسمية النوافل بالحق كقوله: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٤] وإن كان غيرَ واجب.

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة ﷺ.

وقال بعض العلماء: في المال حقٌّ سوى الزكاة، ورجحه ابن عطية[1]. واختَلف الناس في المحروم، حتى قال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم؟[2]

فقيل[3]: المحروم: الذي ليس له في بيت المال سهمٌ، وقيل: الذي أُجِيحت ثمرتُه، وقيل: الذي ماتت ماشيته، وقيل: هو الكلب، وهذه الأقوال أمثلة، والمعنى الجامع لها: أن المحروم الذي حرَمه الله المالَ بأيِّ وجهٍ كان.

(٢١) ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ﴾ إشارةٌ إلى ما في خِلْقة الإنسان من الآيات والعبر، ولقد قال بعض العلماء: إن فيه خمسةَ آلاف حكمة، وقال بعضهم: الإنسان نسخةٌ مختصرة من العالم كلِّه.

(٢٢) ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ معنى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾: المطر، وقيل: القضاء والقدر. ويحتمل أن يكون ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الوعد أو الوعيد، والكلُّ في السماء، ولذلك قيل: يعني: الجنة والنار، وقيل:[4] الخير والشر.

(٢٣) ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ هذا جواب القسم، والضمير: لما تقدَّم من الآيات والرزق، أو لـ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾.

﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ أي: حقٌّ مثلَ نُطْقِكم لا يمكن الشكُّ فيه، و﴿مَآ﴾ زائدةٌ. وقرئ ﴿مِّثْلَ﴾ بالنصب والرفع[5]، فالرفع: صفة لـ﴿حَقٌّ﴾ ، والنصب: على الحال من ﴿حَقٌّ﴾، أو من الضمير المستتر فيه، أو صفةٌ لـ﴿حَقٌّ﴾، وبُني لإضافته إلى مبنيٍّ، أو لتركيبه مع ﴿مَآ﴾ فيصير نحو: «أينما» و«كلَّما».



(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٠٨).
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٥١٨).
(٣) في أ، د، هـ: «وقيل».
(٤) في ب زيادة: «يعني».
(٥) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب.

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾

﴿٢٤﴾ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ المراد بالاستفهام في مثل هذا: التفخيم والتهويل. وضيف إبراهيم: هم الملائكة الذين جاؤوه ليبشروه بالولد وبإهلاك قوم لوط. ووصفهم بـ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ لأنهم مُكْرَمون عند الله، أو لأن إبراهيم ﷺ أكرمهم؛ لأنه خدَمهم بنفسه، وعجَّل لهم الضيافة، والعامل في ﴿إِذْ دَخَلُوا﴾ علىٰ هذا: ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾. ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوفًا، تقديره: اذكر.

﴿٢٥﴾ ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ نُصِب هذا؛ لأنه في معنىٰ الطلب، وهو مفعول بفعل مضمر، ورُفِع الثاني؛ لأنه خبرٌ، تقديره: أمري سلامٌ، وهذا علىٰ أن يكون السلام بمعنىٰ السلامة. وإن كان بمعنىٰ التحية: فإنما رفع الثاني؛ ليدلَّ علىٰ إثبات السلام، فيكون قد حيَّاهم بأكثر مما حيَّوه، وينتصب السلام الأول -علىٰ هذا- علىٰ المصدرية، تقديره: سلَّمْنا عليك سلامًا، ويرتفع الثاني بالابتداء، تقديره: سلامٌ عليكم.

﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: لم يعرفْهم.

﴿٢٧﴾ ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ يحتمل أن تكون ﴿أَلَا﴾: حضًّا على الأكل، أو تكون الهمزة للإنكار، دخلت على «لا» النافية.

﴿٢٨﴾ ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ إنما خاف منهم لـمَّا لم يأكلوا.

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحاق ﷺ؛ لقوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ [هود: ٧٠].

﴿٢٩﴾ ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ أي: صيحةٍ، وذلك قولها: ﴿يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [هود: ٧١]، وهو مِن صَرَّ القلمُ وغيره: إذا صوَّت. وقيل: معناه: في جماعة من النساء.

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي: ضربته حياءً منهم وتعجُّبًا[1] من وِلادتها وهي عجوز.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ تقديره: قالت: أنا عجوز عقيم؛ فكيف ألدُ؟ أو تقديره: أتلد عجوز عقيم؟

﴿٣١﴾ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما شأنكم وخبركم[2]؟ والخطب أكثر ما يقال[3] في الشدائد.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ يعني: قوم لوط. وقد ذكرنا الحجارة و﴿مُسَوَّمَةً﴾ في «هود»[4].

﴿٣٥﴾ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الضمير المجرور لقرية قوم لوط؛ لأن الكلام يدلُّ عليها وإن لم يتقدَّم ذكرها. والمراد بـ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: لوطٌ ﷺ وأهله، أمرهم الله بالخروج من القرية؛ لينجوا من العذاب الذي أصاب أهلها. ووصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين؛ لأنهم جمعوا الوصفين. وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان في «الأحزاب»[5].

﴿٣٨﴾ ﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾، أو على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾.

---

(١) في أ، هـ: «تعجبيًا».
(٢) في أ، هـ: «وجزعكم»!
(٣) في أ، هـ: «يكون».
(٤) انظر تفسير الآية (٨٢).
(٥) انظر تفسير الآية (٣٥).

(٣٩) ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ معنىٰ ﴿تَوَلَّىٰ﴾: أعرض عن الإيمان، وركنه: سلطانه وقوته.

﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي: قال: إن موسىٰ ساحرٌ أو مجنون، فـ ﴿أَوْ﴾ للشكِّ، أو للتقسيم. وقيل: بمعنىٰ الواو، وهذا ضعيف، ولا يستقيم هنا.

(٤٠) ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: فعل ما يُلام عليه، يعني: فرعون.

(٤١) ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ وصفها بالعُقْم؛ لأنها لا بركة فيها من إنشاءِ مطرٍ أو إلقاح شجر.

(٤٢) ﴿كَٱلرَّمِيمِ﴾ أي: الفاني المتقطِّع. والعموم هنا يراد به الخصوص فيما أُذِن للريح أن تُهلِكه.

(٤٣) ﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الحين: هي الثلاثة الأيام بعد عَقْرهم الناقة.

والآخر: أن الحين: من أول بعث صالح عليه السلام إلىٰ حين هلاكهم، وعلىٰ هذا: يكون ﴿فَعَتَوْاْ﴾ مرتَّبًا بعد تمتُّعهم، وأما علىٰ الأول: فيكون إخبارًا عن حالهم غير مرتَّب علىٰ ما قبله.

(٤٤) ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ يعني: الصيحة التي صاحها جبريل عليه السلام.

﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي: يعاينونها؛ لأنها كانت بالنهار.



وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَےْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّے لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلاَ تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً ـاخَرَ إِنِّے لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ الاَّ قَالُواْ سَاحِرٌ اَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ اَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُومِنِينَ ﴿٥٥﴾ *وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَالاِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُّطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوباً مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلاَ يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلذِينَ كَفَرُواْ مِن يَّوْمِهِمُ ٱلذِے يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

﴿٤٧﴾ ﴿وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ أي: بقوة. وانتصب ﴿السَّمَآءَ﴾ بفعل مضمر.

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن معناه: قادرون؛ فهو من الوُسْع وهو الطَّاقة، ومنه ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدْرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦] أي: القويِّ على الإنفاق.

والآخر: جعلنا السماء واسعةً، أو جعلنا بينها وبين الأرض سعةً.

والثالث: أوسعنا الأرزاق بمطر السماء.

﴿٤٨﴾ ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ﴾ الماهد: الموطِّئُ للموضع.

﴿٤٩﴾ ﴿وَمِن كُلِّ شَےْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: نوعين مختلفين، كالليل والنهار، والسواد والبياض، والصحة والمرض، وغير ذلك.

﴿٥٠﴾ ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أمرٌ بالرجوع إليه[1] بالتوبة والطاعة، وفي اللفظ تحذيرٌ وترهيب.

﴿٥٣﴾ ﴿اَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ توقيفٌ وتعجيب، أي: هم بمثابة مَن أَوصىٰ بعضهم بعضًا أن يقول ذلك.

(١) في أ، هـ: «إلى الله».

(٥٤) ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ منسوخٌ بالسيف.

﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: قد بلَّغتَ الرسالة؛ فلا لوم عليك.

(٥٦) ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ قيل: معناه: خلقتهم لكي آمرهم بعبادتي، وقيل: ليتذلَّلوا لي؛ فإن جميع الإنس والجن متذلِّلٌ.

(٥٧) ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ أي: ما أريد أن يَرزقوا أنفسَهم ولا غيرهم.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ أي: لا أريد أن يطعمونِ؛ لأني منزَّه عن الأكل وعن صفات البشر، وأنا غنيٌّ عن العالمين[1]. وقيل: المعنىٰ: ما أريد أن يطعموا عبيدي، فحذف المضاف تجوُّزًا، وقيل: معناه: ما أريد أن ينفعوني؛ لأني غنيٌّ عنهم، وعبَّر عن النفع العام بالإطعام، والأول أظهر.

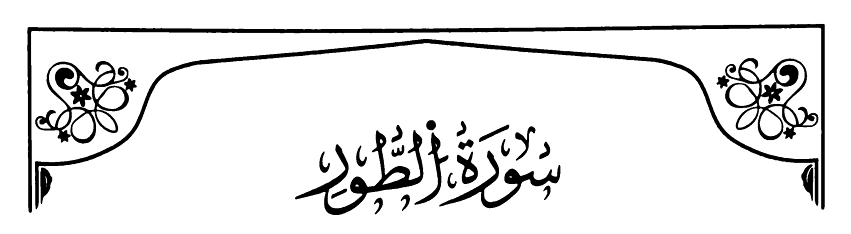
(٥٨) ﴿ٱلْمَتِينُ﴾ أي: الشديدُ القوةِ.

(٥٩) ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوباً﴾ الذَّنوب: النصيب، ويريد به هنا: نصيبًا من العذاب، وأصل الذنوب: الدَّلْو. والمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: كفار قريش، وبـ﴿أَصْحَابِهِمْ﴾ : مَن تقدَّم من الكفار.

(٦٠) ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ يحتمل أن يريد يوم القيامة، أو يوم هلاكهم ببدر، والأول أرجح؛ لقوله في «المعارج»: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٤] يعني: يوم القيامة.



(١) في د: «عن العطاء».



وَالطُّورِ وَكِتَٰبٖ مَّسْطُورٖ ﴿١﴾ فِے رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴿٢﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٣﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٤﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٥﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٦﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٧﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَآءُ مَوْراً ﴿٨﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً ﴿٩﴾ فَوَيْلٞ يَوْمَئِذٖ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ اَلذِينَ هُمْ فِے خَوْضٖ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِے كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٢﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمَ انتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٣﴾ اِصْلَوْهَا فَاصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمُۥٓ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِے جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ﴿١٥﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتِيٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقِيٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيٓـٔاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصْفُوفَةٖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿١٨﴾ وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّٰتُهُم بِإِيمَٰنٍ اَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّٰتِهِمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَےْءٖ كُلُّ امْرِءِۢ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿١٩﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحْمٖ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٠﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَّا لَغْوٞ فِيهَا وَلَا تَاثِيمٞ ﴿٢١﴾ *وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٞ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٞ مَّكْنُونٞ ﴿٢٢﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٣﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِےٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٤﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقِيٰنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٥﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ أَنَّهُۥ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٦﴾

﴿١﴾ ﴿وَالطُّورِ﴾ هو الجبل الذي كلَّم اللهُ عليه موسىٰ عليه السلام. وقيل: الطور: كلُّ جبل، فكأنه أقسم بجنس الجبال.

﴿وَكِتَٰبٖ مَّسْطُورٖ﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: القرآن، وقيل: صحائف الأعمال.

﴿٢﴾ ﴿فِے رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾ الرَّقُّ في اللغة: الصَّحيفة، وخُصِّصت في العُرف بما كان من جلد. والمنشور: خلاف المطويِّ.

﴿٤﴾ ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ هو بيتٌ في السماء السابعة، يدخله[1] كلَّ يوم سبعون ألف ملك، ولا يعودون إليه أبدًا، وبهذا هو عمرانُه، وهو حِيالَ الكعبة. وقيل: البيت المعمور: الكعبة، وعمرانها: بالحُجَّاج والطَّائفين، والأول أشهر، وهو قول علي وابن عباس ﷺ[2].

﴿٥﴾ ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ يعني: السماء.

﴿٦﴾ ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ هو بحر الدنيا. وقيل: بحرٌ في السماء تحت العرش، والأول أظهر وأشهر.

ومعنىٰ ﴿الْمَسْجُورِ﴾: المملوء ماءً، وقيل: الفارغ من الماء، ويُروىٰ أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة[3]، واللغة تقتضي الوجهين؛ لأن اللفظ من الأضداد. وقيل: معناه: الموقَد نارًا، من قولك: سجرتُ التنورَ، واللغة أيضًا تقتضي هذا، وروي أن جهنم في البحر[4].

﴿٧﴾ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ هذا جواب القسم، ويعني: عذاب الآخرة.

﴿٩﴾ ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ أي: تجيءُ وتذهب، وقيل: تدور، وقيل: تنشقُّ[5]. والعامل في الظرف: ﴿وَاقِعٌ﴾، أو ﴿دَافِعٍ﴾، أو محذوفٌ.

﴿١٢﴾ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ الخوض: التخبُّط في الأباطيل، شُبِّه بخوض الماء.

﴿١٣﴾ ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ أي: يُدفعون بتعنيف[6]. و﴿يَوْمَ﴾ بدلٌ من الظرف المتقدِّم.

﴿١٥﴾ ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ توبيخٌ للكفار علىٰ ما كانوا يقولونه في الدنيا من أن القرآن سحر.

﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ توبيخٌ أيضًا لهم، وتهكُّم بهم؛ أي: هل أنتم لا تبصرون هذا العذاب الذي حلَّ بكم كما كنتم في الدنيا لا تبصرون الحقائق؟

---

(١) في ب: «يدخل إليه في».
(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٥٦٣-٥٦٤).
(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٥٦٩) عن ابن عباس ﷺ.
(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٥٦٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٥) عن علي ﷺ.
(٥) في ب، ج، هـ: «تتشقق».
(٦) في ب: «بعنف».

﴿١٦﴾ ﴿فَاصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ ليس المراد بذلك الأمرَ بالصبر ولا النهي عنه، وإنما المراد: التسوية بين الصبر وعدمه في أن كل واحدة من الحالين لا تنفعهم، ولا تخفِّفُ عنهم شيئًا من العذاب.

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذا تعليلٌ لما ذكر من عذابهم، وليس تعليلًا للصبر ولا لعدمه كما قال بعض الناس.

﴿١٨﴾ ﴿فَٰكِهِينَ﴾ يحتمل أن يكون معناه: أصحابَ فاكهة، فيكون نحو: «لَابِنٍ»، و«تامرٍ»، أو يكون من الفَكَاهة بمعنى السُّرور.

﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ أو على ﴿ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾، أو تكون الواو للحال[1].

﴿١٩﴾ ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ﴾ أي: يقال لهم: كلوا.

﴿هَنِيٓـًٔا﴾ صفة لمصدر محذوف، تقديره: كلوا أكلًا هنيئًا. ويحتمل أن يكون واقعًا موقعَ فعلٍ تقديره: هنأكُم الأكلُ والشرب.

﴿٢٠﴾ ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ الحُور: جمع حَوْراء، وهي الشديدةُ بياضَ بياضِ العين وسوادَ سوادِها. والعِين: جمع عَيْناء، وهي الكبيرة العين[2] مع جمالها. وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿بِحُورٍ﴾؛ لأنه تضمَّن قولُه: ﴿زَوَّجْنَٰهُم﴾ معنى: قرَنَّاهم، قاله الزمخشري، وقال: إن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ معطوفٌ على ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: قرنَّاهم بحورٍ؛ للتلذُّذ بهنَّ، وبالذين آمنوا؛ للأنس معهم[3]. والأظهر: أن الكلام تمَّ في قوله: ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾، ويكون ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مبتدأً، خبره ﴿أَلْحَقْنَا﴾.

﴿٢١﴾ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ معنى الآية: ما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته في الجنة، وإن كانوا

(١) و«قد» بعدها مضمرة. الكشاف (١٥/ ٤٧).
(٢) في ب، ج، د: «العينين».
(٣) الكشاف (١٥/ ٤٩).

دونه في العمل؛ لتقرَّ بهم عينه»(١)، فذلك كرامة للأبناء بسبب الآباء، فقيل: إن ذلك في الأولاد الذين ماتوا صغارًا، وقيل: علىٰ الإطلاق في أولاد(٢) المؤمنين. و ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ في موضع الحال من الذرية، والمعنىٰ: أنهم اتبَعوا آباءهم في الإيمان. وقال الزمخشري: إن هذا المجرور يتعلق بـ﴿أَلْحَقْنَا﴾ ، والمعنىٰ عنده: بسبب الإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم(٣). والأول أظهر. فإن قيل: لم قال: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ بالتنكير؟

فالجواب: أن المعنىٰ: بشيءٍ من الإيمان لم يكونوا به أهلًا لدرجة آبائهم، ولكنهم لحقوا بهم كرامةً للآباء، فالمراد: تقليل إيمان الذرية، ولكنه رفَع درجتهم، فكيف إذا كان إيمانًا عظيمًا؟

﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: ما نقَصناهم من ثواب أعمالهم، بل وفَّيْنا لهم أجورهم، وقيل: المعنىٰ: ألحقنا ذريتهم بهم، وما نقَصناهم شيئًا من ثواب أعمالهم بسبب ذلك، بل فعلنا ذلك تفضُّلًا؛ زيادةً إلىٰ ثواب أعمالهم. والضمير علىٰ القولين: يعود علىٰ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وقيل: إنه يعود علىٰ الذرية.

﴿كُلُّ امْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مُرْتَهَنٌ، فإمَّا أن تنجيَه حسناتُه، أو تُهلكه سيئاته.

(٢٢) ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ الإمداد: هو الزيادة مرة بعد مرة.

(٢٣) ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتعاطونها إذ هم جلساءُ علىٰ الشَّراب.

﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ اللغو: الكلام الساقط، والتأثيم: الذنب، فهي بخلاف خمر الدنيا.

(٢٤) ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ يعني: خُدَّامهم.

﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ اللؤلؤ: الجوهر، والمكنون: المصون، وذلك لحسنه، وقيل: هو الذي لم يخرج من الصَّدَف.

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٥/ ٣٠)، والبزار في مسنده -كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٤٣٢)، ومجمع الزوائد (٧/ ٢٤٥)- عن ابن عباس ﷺ مرفوعًا، وفي كلا الإسنادين ضعف. وأخرجه الطبري (٢١/ ٥٧٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٦)، والحاكم (٣٧٤٤)، والبيهقي (٢١٢٩٠) موقوفًا علىٰ ابن عباس ﷺ.

(٢) في ج، د: «الأولاد».

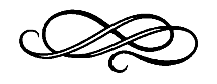
(٣) الكشاف (١٥/ ٤٩).

(٢٦) ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: كنا في الدنيا خائفين من الله، **والإشفاق**: شدة الخوف.

(٢٧) ﴿ٱلسَّمُومِ﴾ **أشدُّ الحر، وقيل**: هو من أسماء جهنم.

(٢٨) ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ **يحتمل أن يكون**: بمعنىٰ نعبده، أو من الدعاء بمعنىٰ الرغبة. و﴿مِن قَبْلُ﴾ يعنون: في الدنيا قبل لقاء الله.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ **البَرُّ**: الذي يَبَرُّ عبادَه ويحسن إليهم. وقرئ ﴿أَنَّهُۥ﴾: **بفتح الهمزة**[1]: علىٰ أن يكون مفعولًا من أجله، أو يكون هذا اللفظ هو المدعوّ به، وقرئ بكسرها: علىٰ الاستئناف.



(١) قرأ نافع والكسائي بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها.

فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ الْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَٰتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ * وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ السَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ الَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ الَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

﴿٢٩﴾ ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ هذا خطابٌ للنبي ﷺ، أي: ذكِّر الناس. ثم نفَىٰ عنه ما نسبه إليه الكفار من الكهانة والجنون. ومعنىٰ ﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾: بسبب إنعام اللهِ عليك.

﴿٣٠﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ ﴿أَمْ﴾ في هذا الموضع وفيما بعده: للاستفهام بمعنىٰ الإنكار. والتربُّص: الانتظار. و﴿رَيْبَ الْمَنُونِ﴾: حوادث الدهر، وقيل: الموت، وكانت قريش قد قالت: إنما هو شاعر ننتظر[1] به ريب المنون، فيَهلِك كما هلَك مَن كان قبله من الشعراء، كزهير والنابغة.

﴿٣١﴾ ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟﴾ أمرٌ علىٰ وجه التهديد.

---

(١) في ب، د: «نتربص».

(٣٠) ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ **الأحلام**: العقول؛ أي: كيف تأمرهم عقولهم بهذا؟ **والإشارة**: إلىٰ قولهم: هو شاعر، أو إلىٰ ما هم عليه من الكفر والتكذيب. وإسناد الأمر إلىٰ الأحلام مجازٌ، كقوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: ٨٧].

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا: بمعنىٰ «بل». ويحتمل أن تكون بمعنىٰ: «بل» وهمزة الاستفهام، بمعنىٰ الإنكار، كما هي في هذه المواضع كلها.

(٣١) ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ أي: اختَلَقه من تلقاء نفسه. **وضمير الفاعل**: لرسول الله ﷺ، **وضمير المفعول**: للقرآن.

(٣٢) ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ ردٌّ عليهم، وإقامة حجة عليهم، والأمر هنا للتعجيز.

(٣٣) ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ **فيه ثلاثة أقوال**:

أحدها: أن معناه: أم خُلقوا من غير ربٍّ أنشأهم واستعْبدهم؛ فهم من أجل ذلك لا يعبدون الله؟

الثاني: أم خُلقوا من غير أب ولا أمٍّ، كالجمادات؛ فهم لا يؤمَرون ولا يُنهَون كحال الجمادات؟

الثالث: أم خُلقوا من غير أن يُحاسَبوا ولا يجازوا بأعمالهم؟ فهو علىٰ هذا كقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٦].

﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ **معناه**: أهم الخالقون لأنفسهم بحيث لا يعبدون الخالق؟ **وقيل**: أهم الخالقون للمخلوقات بحيث يتكبَّرون؟

(٣٥) ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ **المعنىٰ**: أعندهم خزائن الله بحيث[1] يستغنون عن عبادته؟ **وقيل**: أعندهم خزائن الله بحيث يعطون من شاؤوا، ويمنعون من شاؤوا، ويخصُّون بالنبوَّة من شاؤوا؟

﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ أي: الأرباب الغالبون، **وقيل**: المصيطر: المسلَّط القاهر.

---

(١) في ب زيادة: «إنهم» وفي ج: «هم».

﴿٣٨﴾ ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِۖ﴾ **يعني: أم لهم سلم يصعدون به**[1] **إلىٰ السماء، فيسمعون ما تقول الملائكة، بحيث يعلمون صحة دعواهم؟ ثم عجَّزَهم بقوله:** ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ **أي: بحجةٍ واضحة علىٰ دعواهم.**

﴿٤٠﴾ ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرٗا فَهُم مِّن مَّغْرَمٖ مُّثْقَلُونَ﴾ **المعنىٰ: أتسألهم علىٰ الإسلام أُجرةً، فيَثقُل عليهم غُرْمها؛ فيشقّ عليهم اتباعك؟**

﴿٤١﴾ ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ **المعنىٰ: أعندهم علم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتىٰ يقولوا: لا نبعث، وإن بعثنا لم نعذَّب؟ وقيل: المعنىٰ: فهم يكتبون للناس سُننًا وشرائع من عبادة الأصنام وتسييب السَّوائب وشبه ذلك.**

﴿٤٢﴾ ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدٗاۖ﴾ **إشارةٌ إلىٰ كيدهم في دار الندوة بالنبي ﷺ، حيث تشاوروا في قتله أو إخراجه.**

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ **أي: المغلوبون في الكيد. و**﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ **يعني: من تقدَّم الكلام فيهم، وهم قريش، فوضع الظاهر موضع المضمر، ويحتمل أن يريد جميع الكفار.**

﴿٤٣﴾ ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِۚ﴾ **المعنىٰ: هل لهم إله غير الله يعصمهم من عذاب الله ويمنعهم منه؟ وحصَر الله في هذه الآيات جميع المعاني التي توجب التكبُّر والبعدَ من الدخول في الإسلام ونفاها عنهم؛ ليبين أنَّ تكبرهم من غير موجِبٍ، وكُفْرَهم من غير حجة.**

﴿٤٤﴾ ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرْكُومٞ﴾ **كانوا قد طلبوا أن يُنزِل عليهم كِسْفًا من السماء. فالمعنىٰ: أنهم لو رأوا الكسف ساقطًا عليهم لبلَغ بهم الطغيان والجهل والعناد أن يقولوا: ليس بكسف وإنما هو سحاب مركوم، أي: كثيفٌ بعضه فوق بعض.**

﴿٤٥﴾ ﴿فَذَرْهُمْ﴾ **منسوخٌ بالسيف.**

﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ **يعني: يوم القيامة، والصَّعْقة فيه: هي النفخة الأولىٰ، وقيل غير ذلك، والصحيح ما ذكرنا؛ لقوله في «المعارج» عن يوم القيامة:** ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي كَانُواْ

---

(١) في ب، ج: «فيه».

يُوعَدُونَ﴾[المعارج:٤٤].

﴿٤٥﴾ ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ **يعني**: **قتلهم يوم بدر**، **وقيل**: **الجوع بالقحط**، **وقيل**: **عذاب القبر**.

﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ **أي**: **اصبر على تكذيبهم لك وإمهالنا لهم**؛ **فإنا نراك**.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ **فيه ثلاثة أقوال**:

أحدها: **أنه قول «سبحان الله»**، ومعنى ﴿حِينَ تَقُومُ﴾: حين تقوم من كل مجلس، **وقيل**: أراد: حين تقوم وتقعد وفي كل حال، وجعل القيام مثالًا.

الثاني: أنه[1] الصلوات النوافل.

والثالث: أنها[2] الصلوات الفرائض، فـ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ الظهر والعصر، أي: حين تقوم من نوم القائلة، ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾: المغرب والعشاء، ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: الصبح.

ومن قال: هي النوافل، جعل ﴿إِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: ركعتي الفجر.

---

(١) في ب: «أنها».

(٢) في د: «أنه».



سُورَةُ النَّجْمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾

﴿١﴾ **﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه الثريا؛ لأنها غلَب عليها التسمية بالنجم، ومعنىٰ ﴿هَوَىٰ﴾: غرب، أو انتثر يوم القيامة.

الثاني: أنه جنس النجوم، ومعنىٰ ﴿هَوَىٰ﴾: كما ذكرنا، أو انقضَّت تَرْجُم الشياطين.

الثالث: أنه من نجوم القرآن، وهي الجملة التي تنزل منه، و﴿هَوَىٰ﴾ علىٰ هذا: معناه نزل.

﴿٢﴾ **﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ هذا جواب القسم، والخطاب لقريش. و﴿صَاحِبُكُمْ﴾ هو النبي ﷺ، فنفىٰ عنه الضَّلالَ والغيَّ، والفرق بينهما: أن الضلال بغير قصد، والغيَّ بقصْدٍ وتكسُّبٍ.**

﴿٣﴾ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ﴾ أي: ليس يتكلَّم بهواه وشهوته، وإنما يتكلم بما يوحي الله[1] إليه.

﴿٤﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ يعني: القرآن.

﴿٥﴾ ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ضمير المفعول للقرآن، أو للنبي ﷺ. والشديد القُوَىٰ: جبريل عليه السلام، وقيل: الله تعالىٰ، والأول أرجح؛ لقوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ﴾ [التكوير: ٢٠]، و﴿الْقُوَىٰ﴾ جمع: قوَّة.

﴿٦﴾ ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قوَّة، وقيل: ذو هيئة حسنة، والأول هو الصحيح في اللغة.

﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ أي: استوىٰ جبريل في الجو؛ إذ رآه رسول الله ﷺ وهو بحِراء. وقيل: معنىٰ ﴿اسْتَوَىٰ﴾: ظهر في صورته له ست مئة جناح قد سدَّ الأفق، بخلاف ما كان يتمثل به من الصُّوَر إذا نزل للوحي، وكان ينزل في صورة دِحْيَةَ.

﴿٧﴾ ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ الضمير لجبريل عليه السلام، وقيل: لمحمد ﷺ، والأول أصح.

﴿٨﴾ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ الضميران[2] لجبريل عليه السلام؛ أي: دنا من محمد ﷺ فتدلَّىٰ في الهواء، وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره: تدلَّىٰ فدنا.

﴿٩﴾ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ القابُ: مقدار المسافة، أي: كان جبريل من محمد ﷺ في القُرْب بمقدار قوسين عربيين[3]، ومعناه: من طرف العود إلىٰ طرفه الآخر، وقيل: من الوتر إلىٰ العود. وقيل: ليس القوس التي يُرمىٰ بها، وإنما هو[4] ذراعٌ تقاس بها المقادير، ذكره الثعلبي، وقال: إنه من لغة أهل الحجاز[5]. وتقدير الكلام: فكان مقدارُ مسافةِ قُرْبِ جبريل من محمد ﷺ مثلَ قابِ قوسين، ثم حُذِفت هذه المضافات.

---

(١) في ب: «بوحي».
(٢) في ب، هـ: «الضمير».
(٣) في أ، هـ: «عربيتين».
(٤) في أ، هـ: «هي».
(٥) الكشاف والبيان (٢٥/ ٨٩).

ومعنىٰ ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أو أقرب، و﴿أَوْ﴾ هنا مثل قوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، **وأشبه التأويلات فيها: أنه إذا نظر إليه البشر احتمل عنده أن يكون قاب قوسين أو يكون أدنىٰ.** وهذا الذي ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل عليه السلام **هو الصحيح**، وقد ورد ذلك عن رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح[1]. وقيل: إنها لله تعالىٰ، **وهذا القول يردُّ عليه الحديث والعقل؛ إذ يجب تنزيه الله تعالىٰ عن تلك الأوصاف من الدنو والتدلي وغير ذلك**[2].

﴿١٠﴾ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ **في هذه الضمائر ثلاثة أقوال:**

الأول: أن المعنىٰ: أوحىٰ الله إلىٰ عبده محمد ﷺ ما أوحىٰ.

الثاني: أوحىٰ الله إلىٰ عبده جبريل عليه السلام ما أوحىٰ. وعاد الضمير علىٰ الله في القولين؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك وإن لم يتقدَّم ذكره، فهو كقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

الثالث: أوحىٰ جبريل عليه السلام إلىٰ عبد الله محمد ﷺ ما أوحىٰ. وفي قوله: ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ إبهامٌ يقتضي التفخيم والتعظيم.

﴿١١﴾ ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ أي: ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رأىٰ بعينه، بل صدَّق بقلبه أن الذي رأىٰ بعينه حقٌّ. **والذي رأىٰ: هو جبريل عليه السلام**، يعني: حين رآه قد ملأ الأفق، وقيل: الذي رأىٰ: ملكوت السماوات والأرض، **والأول أرجح**؛ لقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٧) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) **[التعليق ١٠٢] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ المؤلِّفِ:** «وهذا الذي ذكَرْنا: أنَّ هذه الضمائرَ المتقدِّمةَ لجبريلَ، هو الصحيحُ...»، إلخ: **أقولُ:** قد أصاب المؤلِّفُ في تصحيحِهِ أنَّ الضمائرَ في الآياتِ لجبريلَ عليه السلام.
وأمَّا قولُهُ في تضعيفِ القولِ الثاني: أنَّ الضمائرَ تعودُ إلىٰ اللهِ: «إنَّ هذا القولَ يَرُدُّ عليه الحديثُ والعقلُ»:
فأقولُ: يريدُ بالحديثِ: ما رواه البخاريُّ (٣٢٣٥)، عن عائشةَ رضي الله عنها، لمَّا سُئِلَتْ عن قولِه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾، قالت: «ذَاكَ جِبْرِيلُ».
وأمَّا قولُ المؤلِّفِ: «والعقلُ»، فمعناه: أنَّ العقلَ يَدُلُّ علىٰ امتناعِ الدُّنُوِّ مِن اللهِ تعالىٰ؛ وهذا يجري علىٰ مذهبِ مَن ينفي علوَّ اللهِ فوق المخلوقات، وينفي قيامَ الأفعالِ الاختياريَّةِ به سبحانه.
وهذا خلافُ ما دلَّت عليه نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ مِن علوِّهِ تعالىٰ فوقَ سمواتِهِ علىٰ عرشِهِ، وأنه فعَّالٌ لما يريد، والله أعلم.

وقيل: الذي رأىٰ: هو الله تعالىٰ، وقد أنكرت ذلك عائشة ﵂[١]، وسئل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنَّىٰ أراه؟»[٢].

﴿١٢﴾ ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ هذا خطاب لقريش، والمعنىٰ: أتجادلونه علىٰ ما يرىٰ، وكانت قريش قد كذَّبته لما قال إنه رأىٰ ما رأىٰ.

﴿١٣﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: لقد رأىٰ محمدٌ جبريلَ ﵇ مرةً أخرىٰ، وهي ليلة الإسراء. **وقيل**: ضمير المفعول لله تعالىٰ، وأنكرت ذلك عائشة ﵂، وقالت: «من زعم أن محمدًا رأىٰ ربه فقد أعظم الفرية علىٰ الله تعالىٰ»[٣].

﴿١٤﴾ ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ هي شجرة في السماء السابعة، قال رسول الله ﷺ: «ثمرها كالقلال، وورقها كآذان الفيلة»[٤]. وسمِّيت سدرة المنتهىٰ؛ لأنها إليها ينتهي علم كل عالم، ولا يعلم ما وراءها إلَّا الله تعالىٰ. **وقيل**: سميت بذلك؛ لأن ما نزل من أمر الله يُتَلَقَّىٰ[٥] عندها، فلا يتجاوزها ملائكة العلْو إلىٰ أسفل، ولا يتجاوزها ملائكة السّفْلِ إلىٰ أعلىٰ.

﴿١٥﴾ ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ يعني: أن الجنة التي وعد الله عباده هي عند سدرة المنتهىٰ. **وقيل**: هي جنة أخرىٰ تأوي إليها أرواح الشهداء، والأول أظهر وأشهر.

﴿١٦﴾ ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ فيه إبهامٌ؛ لقصد التعظيم. قال ابن مسعود ﵁: غَشِيها فَراشٌ من ذهب[٦]، **وقيل**: كثرة الملائكة، **وفي الحديث** أن رسول الله ﷺ قال: «فغشيها ألوان لا أدري ما هي»[٧]، وهذا أولىٰ أن تفسَّر به الآية.

﴿١٧﴾ ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما زاغ بصر محمد ﷺ عما رآه من العجائب، بل أثبتها وتيقَّنها، ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما تجاوز ما رأىٰ إلىٰ غيره.

---

(١) في الحديث الذي تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه مسلم (١٧٨).
(٣) في الحديث الذي تقدم تخريجه.
(٤) أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس ﵁.
(٥) في أ، ج، د: «يلتقي».
(٦) أخرجه مسلم (١٧٣).
(٧) أخرجه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣) من حديث أنس عن أبي ذر ﵄.

﴿١٨﴾ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ **يعني**: ما رأىٰ ليلة الإسراء من السماوات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك. **ويحتمل أن تكون** ﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: مفعولًا، أو نعتًا لـ ﴿ءَايَٰتِ رَبِّهِ﴾، والمعنىٰ يختلف علىٰ ذلك[١].

﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ هذه أوثانٌ كانت تُعبد من دون الله، فخاطب اللهُ مَن كان يعبدها من العرب علىٰ وجه التوبيخ لهم. **وقال ابن عطية**: إن الرؤية هنا من رؤية العين؛ لأن الأوثان المذكورة أجرامٌ مرئية[٢].

فأما اللات: فصنم كان بالطائف، وقيل: كان بالكعبة.

وأما العزَّىٰ: فكانت صخرة بالطائف، وقيل: شجرة، فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها، فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل، فضربها بالسيف حتىٰ قتلها. وقيل: كانت بيتًا تعظِّمه العرب. وأصل لفظ العزىٰ: مؤنثة الأعَزِّ.

وأما مناة: فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة، وكانت أعظم هذه الأوثان، **قال ابن عطية**: ولذلك قال تعالىٰ: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ فأكَّدها بهاتين الصفتين[٣]. **وقال الزمخشري**: ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ ذمٌّ وتحقير؛ أي: المتأخرة الوضيعة القدر، ومنه: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٦].

﴿٢١﴾ ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ كانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأوثان بنات الله، فأنكر الله عليهم ذلك، أي: كيف تجعلون لأنفسكم الأولادَ الذكور، وتجعلون لله البناتِ التي هي عندكم حقيرة بغيضة؟

وقد ذُكر هذا المعنىٰ في «**النحل**»[٤] وغيرها. **ويحتمل أن يكون أنكر عليهم جعْلَ** هذه الأوثان شركاءَ لله تعالىٰ؛ مع أنهن إناث، والإناث حقيرة بغيضة عندهم.

---

(١) فعلىٰ الأول يكون المعنىٰ: لقد رأىٰ الكبرىٰ من آيات ربه، وعلىٰ الثاني يكون المعنىٰ: لقد رأىٰ بعضًا من آيات ربه الكبرىٰ. المحرر الوجيز (٨/ ١١٥).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ١١٥).

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ١١٦).

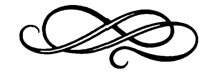
(٤) انظر تفسير الآية (٥٧) وما بعدها.

(٢٢) ﴿تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ أي: هذه القسمة التي قسمتم جائرةٌ غير عادلة، **يعني**: جَعْلَهم الذكور لأنفسهم والإناث لله تعالىٰ. ووزن ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ فُعْلىٰ -بضم الفاء-، ولكنها كسرت للياء التي بعدها.

(٢٣) ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ الضمير للأوثان. وقد ذكر المعنىٰ في «**الأعراف**» في قوله: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ﴾ [الأعراف: ٧٠].

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ **يعني**: أنهم يقولون أقوالًا بغير حجة، كقولهم: إن الملائكة بنات الله، وقولهم: إن الأصنام تشفع لهم وغير ذلك.

(٢٤) ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا للإنكار، والإنسان: جنس بني آدم؛ أي: ليس لأحدٍ ما يتمنىٰ، بل الأمور بيد الله. **وقيل**: إن الإشارة إلىٰ ما طمع فيه الكفار من شفاعة الأصنام، **وقيل**: إلىٰ قول العاصي بن وائل: لأوتين مالًا وولدًا، **وقيل**: هو تمني بعضهم أن يكون نبيًّا، والأحسن حمل اللفظ علىٰ إطلاقه.



*وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾

﴿٢٦﴾ ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾ الآية؛ ردٌّ على الكفار في قولهم: إن الأوثان تشفع لهم، كأنه يقول: الملائكة الكرام لا تغني شفاعتهم شيئًا إلَّا بإذن الله فكيف أوثانكم؟

﴿إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ معناه: أن الملائكة لا يشفعون لشخص إلَّا بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة فيه، ويرضىٰ عنه.

﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾ يعني: قولهم: إن الملائكة بنات الله، ثم ردَّ عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ أي: إلىٰ ذلك انتهىٰ علمهم؛ لأنهم علموا ما ينفع في الدنيا ولم يعلموا ما ينفع في الآخرة.

﴿٣٠﴾ ﴿لِيَجْزِيَ﴾ اللام متعلقة بمعنىٰ ما قبلها، والتقدير: إن الله ملَك أمر السماوات والأرض؛ ليجزي الذي أساؤوا بما عملوا، وقيل: يتعلق بـ﴿ضَلَّ﴾ و﴿اهْتَدَىٰ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ ذكرنا الكبائر في «النساء»[1].

---

(١) انظر تفسير الآية (٣١).

﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ **فيه أربعة أقوال:**

الأول: أنه صغائر الذنوب، فالاستثناء على هذا منقطع.

الثاني: أنه الإلمام بالذنوب على وجه الفَلْتة والسَّقْطة دون دوام عليها.

الثالث: أنه ما ألَـمُّوا به في الجاهلية من الشرك والمعاصي.

الرابع: أنه الهمُّ بالذنب وحديث النفس به دون أن يفعل.

﴿أَجِنَّةٞ﴾ جمع جنين.

﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ أي: لا تنسبوا أنفسكم إلى الصَّلاح والخير. **قال ابن عطية:** ويحتمل أن يكون نهيًا عن أن يزكِّي بعض الناس بعضًا[1]، وهذا بعيد؛ لأنه تجوز التزكية في الشهادة وغيرها.



(١) المحرر الوجيز (٨/ ١٢٣).

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ *وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

﴿٣٣﴾ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ الآيةَ؛ نزلت في الوليد بن المغيرة[1]، وقيل: نزلت في العاصي بن وائل[2].

﴿٣٤﴾ ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ أي: قطع العطاء وأمسك.

﴿٣٧﴾ ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ قيل: وفَّىٰ طاعةَ الله في ذبح ولده، وقيل: وفَّىٰ تبليغ الرسالة، وقيل: وفَّىٰ شرائع الإسلام، وقيل: وفَّىٰ الكلمات التي ابتلاه الله بهن، وقيل: وفَّىٰ هذه العشر الآيات: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾وما بعدها.

﴿٣٨﴾ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ذُكِر فيما تقدم[3]، وهذه الجملة تفسيرٌ لما في صحف إبراهيم وموسىٰ ﷺ.

﴿٣٩﴾ ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ السعي هنا: بمعنىٰ العمل. وظاهرها: أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره، وهي حجة لمالك في قوله: لا يصوم أحد عن وليه إذا مات وعليه صيام.

(١) قاله مجاهد كما في تفسير الطبري (٢٢/ ٧٢).
(٢) قاله السدي كما في المحرر الوجيز (٨/ ١٢٤).
(٣) انظر تفسير الآية (١٥) من سورة الإسراء.

واتفق العلماء على أن الأعمال المالية كالصدقة والعتق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره، ويصلُ نفعُها إلىٰ مَن فُعِلت عنه، واختلفوا في الأعمال البدنية كالصلاة والصيام. وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ١٩].

والصَّحيح أنها مُحكمة؛ لأنها خبر، والأخبار لا تُنسخ. وفي تأويلها ثلاثة أقوال:

الأول: أنها إخبار عما كان في شريعة غيرنا، فلا يلزم في شريعتنا.

الثاني: أن للإنسان ما عمل بحقٍّ، وله ما عمل له غيره بهبة العامل له، فجاءت الآية في إثبات الحقيقة[1] دون ما زاد عليها.

الثالث: أنها في الذنوب، وقد اتُّفق على أنه لا يَحمل أحدٌ ذنب أحد، ويدلُّ على هذا قوله قبلها: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ كأنه يقول: لا يؤاخَذ أحدٌ بذنب غيره ولا يؤاخذ إلَّا بذنب نفسه.

﴿٤٠﴾ ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ قيل: معناه: يراه الخلق يوم القيامة، والأظهر: أن صاحبه هو الذي يراه؛ لقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٨].

﴿٤٢﴾ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: إلىٰ الله المصير في الآخرة.

والآخر: أن معناها: أن العلوم تنتهي إلىٰ الله، ثم يقف العلماء عند ذلك، وروي أن رسول الله ﷺ قال في الآية[2]: «لا فكرة في الرب»[3].

---

(١) كذا في جميع النسخ الخطية! ولعل الصواب: «الحَقِّيَّة» نسبة إلىٰ الحق، أي: مقصد الآية إثبات الحقِّية في العمل، أي: ما يستحقُّه بعمله وسعيه دون ما زاد علىٰ ذلك، والله أعلم.

(٢) قوله: «في الآية» لم ترد في ب، هـ.

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٥/ ١٦٣) عن أبي بن كعب ﷺ مرفوعًا، وفي إسناده أبو جعفر الرازي، قال أحمد والنسائي: «ليس بالقوي» (تهذيب الكمال ٣٣/ ١٩٥) وقال ابن حجر في التهذيب (١١٢٦): «صدوق سيء الحفظ»، وفي إسناده -أيضًا- من لم أقف لهم علىٰ ترجمة. وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده في كتاب العظمة (١/ ٢١٧) عن سفيان الثوري من قوله.

(٤٣) ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ **قيل**: معناه: **أضحك أهل الجنة، وأبكىٰ أهل النار، وهذا تخصيص لا دليل عليه، وقيل**: أبكىٰ السماء بالمطر، وأضحك الأرض بالنبات، **وهذا مجاز، وقيل**: خلق في بني آدم الضَّحِكَ والبكاء. **والصحيح: أنه عبارةٌ عن الفرح والحزن؛ لأن الضحك دليلٌ علىٰ السُّرور والفرح، كما أن البكاء دليل علىٰ الحزن، فالمعنىٰ: أنه** تعالىٰ أحزن من شاء من عباده، وسرَّ من شاء.

(٤٤) ﴿أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ **يعني**: الحياة المعروفة والموت المعروف. **وقيل**: أحيا بالإيمان وأمات بالكفر، **والأول أرجح؛ لأنه حقيقة.**

(٤٦) ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ **يعني**: المنيَّ.

﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ من قولك: أَمنىٰ الرجل: إذا خرج منه المنيُّ.

(٤٧) ﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ **يعني**: الإعادة للحشر.

(٤٨) ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ أي: أكسب عبادَه المال، وهو من قُنْية المال، وهي كسبه وادِّخاره. **وقيل**: معنىٰ ﴿أَقْنَىٰ﴾: أفقر، **وهذا لا تقتضيه اللغة، وقيل**: معناه: أرضىٰ، **وقيل**: قنَّع عبدَه.

(٤٩) ﴿ٱلشِّعْرَىٰ﴾ نجمٌ في السماء، وتسمىٰ كلب الجبَّار، وهما شِعْرَيَان: الغُميصاء والعَبور، وخصَّها بالذكر دون سائر النجوم؛ لأن بعض العرب كان يعبدها.

(٥٠) ﴿عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ وصفها بـ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾؛ لأنها كانت في قديم الزمان، فهي أُولىٰ بالإضافة إلىٰ الأمم المتأخرين، **وقيل**: إنما سميت أُولىٰ؛ لأن ثمَّ عادًا أخرىٰ متأخرة، **وهذا لا يصحُّ. وقرأ نافع**[1] ﴿عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ بإدغام تنوين ﴿عَادًا﴾ في لام ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ بعد حذف الهمزة، ونقل حركتها إلىٰ اللام، وضعَّف المازني والمبرِّد هذه القراءة. وهَمَزَ قالون الواو، دون وَرْش. **وقرأ الباقون علىٰ الأصل** بكسر تنوين ﴿عَادًا﴾ وإسكان لام ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾.

(٥١) ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ **أي**: ما أبقىٰ منهم أحدًا، **وقيل**: ما أبقىٰ عليهم.

---

(١) وأبو عمرو.

﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ هي مدينة قوم لوط. ومعنىٰ ﴿أَهْوَىٰ﴾: طرَحها من علوٍ إلىٰ سفْلٍ. وفي قوله: ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ تعظيمٌ للأمر.

﴿٥٥﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ هذا مخاطبة للإنسان علىٰ الإطلاق، معناه: بأيِّ نعم ربك تشكُّ؟

﴿٥٦﴾ ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ يعني: القرآن، أو النبي ﷺ. ومعنىٰ ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾: من نوعها وصِفتها.

﴿٥٧﴾ ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ أي: قَرُبت القيامة.

﴿٥٨﴾ ﴿كَاشِفَةٌ﴾ يحتمل لفظُه ثلاثة أوجه:

أن يكون مصدرًا كالعاقبة[1]، أي: ليس لها كشفٌ.

وأن يكون بمعنىٰ: كاشف، والتاء للمبالغة كعلَّامة.

وأن يكون صفةً لمحذوف تقديره: نفسٌ كاشفة، أو جماعة كاشفة. ويحتمل معناه وجهين: أحدهما: أن يكون من الكشف بمعنىٰ الإزالة؛ أي: ليس لها مَن يُزيلها إذا وقعت. والآخر: أن يكون بمعنىٰ الاطِّلاع؛ أي: ليس لها مَن يعلم وقتها إلَّا الله.

﴿٥٩﴾ ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ الإشارةُ إلىٰ القرآن، وتعجُّبهم منه: إنكاره[2].

﴿٦١﴾ ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ أي: لاعبون لاهون، وقيل: غافلون مفرِّطون.

﴿٦٢﴾ ﴿فَاسْجُدُواْ لِلَّهِ وَاعْبُدُواْ﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي[3] وغيره، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: قرأها رسول الله ﷺ فسجد، وسجد كل من كان معه[4].

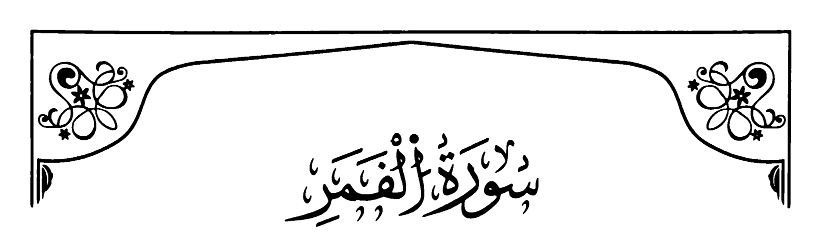
---

(١) في أ، ج، د، هـ: «كالعافية».

(٢) في د: «إنكارهم له».

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤/ ٢٣٠).

(٤) أخرجه البخاري (١٠٦٧)، ومسلم (٥٧٦).



اِقْتَرَبَتِ اِلسَّاعَةُ وَانشَقَّ اَلْقَمَرُ ۝١ وَإِنْ يَّرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ اَلَانۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ اِلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ اُلدَّاعِ إِلَىٰ شَےْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعاً اَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ اَلَاجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى اَلدَّاعِ يَقُولُ اُلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥ أَنِّے مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ اَلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا اَلَارْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى اَلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِے بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِے وَنُذُرِ ۝١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا اَلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِے وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِے يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ اُلنَّاسَ كَأَنَّهُمُۥٓ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِے وَنُذُرِ ۝٢١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا اَلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٢٢

۝١ ﴿اِقْتَرَبَتِ اِلسَّاعَةُ﴾ أي: قَرُبت القيامة، ومعنى قربها: أنه بقي إليها[1] من الزمان قليلٌ بالنسبة إلىٰ ما مضىٰ، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وأشار بالسبابة والوسطىٰ[2].

﴿وَانشَقَّ اَلْقَمَرُ﴾ هذا إخبارٌ عما جرىٰ في زمان رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشًا سألته آية فأراهم انشقاق القمر، فقال ﷺ: «اشهدوا»[3]. وقال ابن مسعود ﵁: انشقَّ القمر فرأيته

(١) في أ، هـ: «لها».

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٠١)، ومسلم (٢٩٥٠) من حديث سهل بن سعد ﵁، وأخرجاه أيضًا -البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١)- من حديث أنس ﵁، وأخرجه البخاري (٦٥٠٥) من حديث أبي هريرة ﵁، ومسلم (٨٦٧) من حديث جابر ﵁.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠) عن ابن مسعود ﵁.

فِرقتين، فرقة وراء الجبل وأخرىٰ دونه[1]. وقيل: معنىٰ ﴿انشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ أنه ينشق يوم القيامة، وهذا قول باطلٌ، تردُّه الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر، وقد اتفقت الأمة علىٰ وقوع ذلك، وعلىٰ تفسير الآية بذلك إلَّا من لا يُعتبر قوله.

﴿٢﴾ ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ هذه الضمائر لقريش. والآية المشار إليها: انشقاق القمر، وعند ذلك قالت قريش: سحَر محمد القمر. ومعنىٰ ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: دائم، وقيل: معناه: ذاهب يزول عن قريب، وقيل: معناه: شديد، وهو علىٰ هذا من المِرَّة، وهي القوة.

﴿٣﴾ ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي: كل شيء لا بدَّ له من غاية، فالحق يحِقُّ والباطل يَبطُل.

﴿٤﴾ ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ﴿ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ يراد بها: ما ورد في القرآن من القَصص والبراهين والمواعظ. و﴿مُزْدَجَرٌ﴾ : اسم مصدر بمعنىٰ: ازدجارٌ، أو اسم موضع بمعنىٰ: أنه مظنة أن يُزدَجر به.

﴿٥﴾ ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ بدلٌ من ﴿مَا فِيهِ﴾ ، أو خبر ابتداء مضمر.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ يحتمل أن تكون ﴿مَا﴾: نافية، أو استفهامية لمعنىٰ[2] الاستبعاد والإنكار.

﴿٦﴾ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أَعرض عنهم؛ لعلمك أن الإنذار لا ينفعهم.

﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾ : مضمر تقديره: اذكر، أو قوله: ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بعد ذلك. وليس العامل فيه ﴿تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾؛ لفساد المعنىٰ، فقد تمَّ الكلام في قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فيوقف عليه.

وقيل: إن المعنىٰ: تول عنهم إلىٰ يومِ يدع الداع، والأول أظهر وأشهر.

والداعي: جبريل، أو إسرافيل إذ ينفخ في الصُّور. والشيء النُّكُر: الشديد الفظيع، وأصله من الإنكار؛ أي: هو منكورٌ؛ لأنه لم يُرَ قطُّ مثلُه، والمراد به: يوم القيامة.

﴿٧﴾ ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ كنايةٌ عن الذِّلة. وانتصب ﴿خُشَّعًا﴾ علىٰ الحال من الضمير في

(١) في الحديث السابق.

(٢) في ج، د، هـ: «بمعنىٰ».

﴿يَخْرُجُونَ﴾.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: من القبور.

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ شبَّههم بالجراد في خروجهم من الأرض، ففيه استدلالٌ على البعث، كالاستدلال بخروج النبات. وقيل: إنما شبههم بالجراد في كثرتهم، وأن بعضهم يموج في بعض.

(٨) ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين، وقيل: ناظرين إلى الداعي.

(٩) ﴿فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا﴾ يعني: نوحًا ﷺ، ووصْفُه هنا بالعبد تشريفٌ له واختصاصٌ.

﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ أي: زجروه بالشَّتم والتَّخويف، وقالوا له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦].

(١٠) ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ أي: قد غلبني الكفار فانتصرْ لي، أو انتصر لنفسك. وقالت المتصوفة: معناه: قد غلبتني نفسي حين دعوت على قومي فانتصر مني، وهذا بعيد ضعيف.

(١١) ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ عبارةٌ عن كثرة المطر، فكأنه يخرج من أبواب، وقيل: فتحت يومئذ في السماء أبواب حقيقةً. والمنهمر: الكثير.

(١٢) ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ يعني: ماء السماء وماء الأرض.

﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: قُضِي في الأزل. ويحتمل أن يكون المعنى: أنه قُدِر بمقدار معلوم، وروي في ذلك أنه علا فوق الأرض أربعين ذراعًا[1].

(١٣) ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ يعني: السفينة. والدُّسُر: هي المسامير، واحدها دِسَار، وقيل: هي مقادم السفينة، وقيل: أضلاعها، والأول أشهر.

---

(١) قال في المحرر الوجيز (٨/ ١٤٣): «ورووا أن ماء الأرض علا سبعة عشر ذراعًا، وكان ماء السماء ينزل عليه بقيَّة أربعين ذراعًا أو نحو هذا؛ لأنه مما اختلفت فيه الروايات، ولا خبر يقطع العذر في شيء من هذا التحديد».

(١٤) ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ عبارة عن حفظ الله ورَعْيِه لها[1].

﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: جزاءً لنوح ﷺ، **وقيل**: جزاء لله تعالىٰ، **والأول أظهر**. وانتصب ﴿جَزَآءً﴾ علىٰ أنه مفعول من أجله، والعامل فيه: ما تقدم من فتح أبواب السماء وما بعده من الأفعال؛ أي: فعلنا ذلك كلَّه جزاءً لنوح.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿كُفِرَ﴾: من الكفر بالدين، والتقدير: «لمن كُفِر به» فحذف الضمير، أو يكون من الكفر بالنعمة؛ لأن نوحًا ﷺ نعمة من الله كفَرها قومه، فلا يحتاج علىٰ هذا إلىٰ ضميرٍ محذوف.

(١٥) ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ **الضمير**: للقصة المذكورة، أو الفِعْلة، أو السفينة، وروي في هذا المعنىٰ: أنها بقيت علىٰ الجودي حتىٰ نظر إليها أوائل هذه الأمة[2].

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ تحضيض علىٰ الادِّكار، فيه ملاطفةٌ جميلة من الله لعباده. ووزن ﴿مُّدَّكِرٍ﴾ مُفْتَعِل، وأصله: «مُذْتكِر» ثم أُبدل من التاء دال وأُدغمت فيها الذال.

(١٦) ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ توقيفٌ فيه تهديد[3] لقريش. **والنُّذر**: جمع نذير.

(١٧) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهَّلناه للحفظ، وهذا معلوم بالمشاهدة، فإنه يحفظه الأطفال الأصاغر وغيرهم حفظًا بالغًا بخلاف غيره من الكتب، وقد روي أنه لم يُحفظ شيء من كتب الله عن ظهر قلب إلَّا القرآن[4]. **وقيل**: معنىٰ الآية: سهَّلناه للفهم والاتعاظ به؛ لما تضمن من البراهين والحكم البليغة. وإنما كَرَّر هذه الآيةَ وقولَه: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؛ لينبِّه السامع عند كل قصة، فيعتبر بها؛ إذ كل قصة من القَصص التي ذَكر عبرة وموعظة، فختم كل واحدة بما يوقظ[5] السامع من الوعيد في قوله:

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٧٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٢٨) عن قتادة.

(٣) في أ: «وتهديدٌ».

(٤) نسبه إلىٰ سعيد بن جبير: الثعلبيُّ (٢٥/ ٢٢٤)، والواحدي في البسيط (٢١/ ١٠٢)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٨/ ١٤٥).

(٥) في أ: «يعظ».

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، ومن الملاطفة في قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

(١٩) ﴿رِيحاً صَرْصَراً﴾ أي: مصوِّتة، فهو من الصَّرير بمعنى: الصوت، وقيل: معناه: باردةً؛ فهو من الصِّر.

﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ روي أنه كان يوم أربعاء، حتى رأى بعضهم أن كل يوم أربعاء نحس[١]، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «آخر أربعاء من الشهر يوم نحس[٢] مستمر»[٣].

(٢٠) ﴿تَنزِعُ النَّاسَ﴾ أي: تقلعهم من مواضعهم.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ أعجاز النخل: هي أصولها، والمنقعر: المنقطع، شبه الله عادًا لما هلكوا بذلك؛ لأنهم طِوالٌ عظام الأجساد كالنخل. وقيل: كانت الريح تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادًا[٤] بلا رؤوس، فشبههم بأعجاز النخل؛ لأنها دون أغصان. وقيل: كانوا قد حفروا حفرًا يمتنعون فيها من الريح، فهلكوا فيها، فشبههم بأعجاز النخل إذا كانت في حفرها.



---

(١) في ب، ج، هـ: «نحيس».

(٢) في ج، د، هـ: «نحيس».

(٣) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٨/ ١٤٦): «..الدولابي أبو بشر قد ذكر حديثًا رواه أبو جعفر المنصور عن أبيه محمد عن أبيه علي عن أبيه عبد الله بن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر»»ا.هـ وقال في الدر المنثور (١٤/ ٨١): «وأخرج[ـه] وكيع في الغُرَر، وابن مردويه، والخطيب [في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٨٤] بسند ضعيف»، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٧٣)، وذكر ابن حجر في لسان الميزان (٨/ ٥٩) أنه حديث منكر، في إسناده مسلمة بن الصَّلت، متروك الحديث.

(٤) في أ: «أجسادٌ»، وفي د: «أجسادهم».

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةُۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾

﴿٢٤﴾ ﴿أَبَشَرًا﴾ هو صالح ﷺ، وانتصب بفعل مضمر. والمعنىٰ: أنهم أنكروا أن يتبعوا بشرًا، وطلبوا أن يكون الرسول من الملائكة، ثم زادوا أن أنكروا أن يتبعوا واحدًا وهم جماعة كثيرون.

﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: عناءٍ، وقيل: معناه: جنون، وقيل: معناه: همٌّ وغم، وأصله: من السعير بمعنىٰ النار، وكأنه احتراق النفس بالهم.

﴿٢٥﴾ ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أنكروا أن يخصه الله بالنبوة دونهم، وذلك جهل منهم؛ فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

﴿أَشِرٌ﴾ أي: بَطِرٌ متكبر.

﴿٢٨﴾ ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةُۢ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لهم يوم وللناقة يوم من غير أن يتعدوا علىٰ الناقة، فالضمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾ يعود علىٰ ثمود وعلىٰ الناقة؛ تغليبًا للعقلاء. وقيل: إن الضمير لثمود، والمعنىٰ: أن لا يتعدىٰ بعضهم علىٰ بعض.

﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ أي: محضورٌ مشهود.

﴿٢٩﴾ ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ﴾ يعني: عاقرَ الناقة، واسمه قُدار، وهو أُحَيمر ثمود وأشقاها.

﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ أي: اجترأ علىٰ أمر عظيم، وهو عقْر الناقة، **وقيل**: تعاطَىٰ السيف.

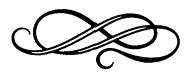
﴿٣١﴾ ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاح جبريل عليه السلام صيحةً ماتوا منها.

﴿فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ **الهشيم**: ما تكسَّر وتفتَّت من الشجر وغيرها. **والمحتظر**: الذي يَعمل الحظيرة، وهي حائطٌ من الأغصان أو القصب ونحو ذلك، يكون تحليقًا للمواشي أو للسكنىٰ، فشبه الله ثمود لما هلكوا بما يتفتت من الحظيرة من الأوراق وغيرها. **وقيل**: المحتظر: المحترق.

﴿٣٤﴾ ﴿حَاصِبًا﴾ ذكر في «**العنكبوت**»[1].

﴿٣٦﴾ ﴿فَتَمَارَوْاْ بِالنُّذُرِ﴾ أي: تشكَّكوا.

﴿٣٧﴾ ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ **الضيف هنا**: هم الملائكة الذين أرسلهم الله إلىٰ لوط عليه السلام، ليُهلكوا قومه، وكان قومه قد ظنوا أنهم من بني آدم، وأرادوا منهم الفاحشة، فطمس جبريل عليه السلام علىٰ أعينهم، فاستوت مع وجوههم. **وقيل**: إن هذا الطمس عبارة عن عدم رؤيتهم لهم، وأنهم دخلوا منزل لوط فلم يروا فيه أحدًا.



(١) انظر تفسير الآية (٤٠).

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ۝٤١ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٤٢ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ۝٤٣ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ۝٤٤ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾

۝٤٣ ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ﴾ هذا خطاب لقريش علىٰ وجه التهديد، والهمزة للإنكار. ومعناه: هل الكفار منكم خيرٌ عند الله من الكفار المتقدمين المذكورين؛ بحيث هلكوا هم لما كذَّبوا الرسل وتنجون أنتم وقد كذبتم رسلكم؟ بل الذي أهلكهم يُهلككم.

﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ معناه: أم لكم في كتاب الله براءة من العذاب؟

۝٤٤ ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ أي: نحن نجتمع وننتصر لأنفسنا بالقتال.

۝٤٥ ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ هذا وعدٌ من الله لرسوله بأنْ يُهزم جمع قريش، وقد ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة.

۝٤٧ ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ المراد بـ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ هنا: الكفار، وضلالهم: في الدنيا، والسُّعر لهم: في الآخرة، وهو الاحتراق. وقيل: أراد بـ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ القدرية؛ لقوله في الرد عليهم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾، والأول أظهر.

۝٤٨ ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ أي: يُجَرُّون فيها.

۝٤٩ ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾ المعنىٰ: أن الله خلق كل شيء بقدر، أي: بقضاءٍ معلوم سابق في الأزل. ويحتمل أن يكون معنىٰ ﴿بِقَدَرٍ﴾: بمقدار في هيئته وصفاته[1] وغير ذلك،

(١) أ، ج: «وصفته».

والأول أرجح، وفيه حجة لأهل السنة على القدرية. وانتصب ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ بفعل مضمر يفسِّره: ﴿خَلَقْنَاهُ﴾.

﴿٥٠﴾ ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ عبارةٌ عن سرعة التكوين ونفوذ أمر الله. **والواحدة** يراد بها الكلمة، وهي قوله: «كن».

﴿٥١﴾ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ **يعني**: أشباهكم من الكفار.

﴿٥٢﴾ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: كل ما فعلوه مكتوب في صحائف الأعمال.

﴿٥٣﴾ ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: مكتوب، وهو من السَّطْر، تقول: سطرت واستطرت بمعنى واحد. **والمراد بالصغير والكبير**: أعمالُهم، **وقيل**: جميع الأشياء.

﴿٥٤﴾ ﴿وَنَهَرٍ﴾ **يعني**: أنهار الماء والخمر واللبن والعسل، واكتفى باسم الجنس.

﴿٥٥﴾ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: في مكان مرْضيٍّ.





﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٢ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٣ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٤ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٥ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٦ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝٧ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝٨ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝٩ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝١٠ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۝١٢ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٣ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٤ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ۝١٥ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٦ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٧ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝١٨ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٩ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ۝٢٠ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۝٢٢ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٣﴾

(١) ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ هذا تعديد نعمة على من علَّمه الله القرآن. وقيل: معنى ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾: جعله علامة وآية لمحمد ﷺ، والأول أظهر. وارتفع ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ بالابتداء، والأفعال التي بعده أخبارٌ متوالية، ويدلُّ على ذلك مجيئها دون حرف عطف.

(٢) ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ قيل: جنس الناس، وقيل: يعني: آدم عليه السلام، وقيل: يعني: محمدًا ﷺ، ولا دليل على التخصيص، فالأول أصح.

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ يعني: النطقَ والكلام.

(٣) ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي: يجريان في الفلك بحسابٍ معلوم وترتيب مقدَّر، وفي ذلك دليل على الصانع الحكيم المريد القدير.

(٤) ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ النجم عند ابن عباس رضي الله عنهما: هو النبات الذي لا ساق له كالبقول،

والشجر: النبات الذي له ساق[(١)]. **وقيل**: **النجم**: جنس نجوم السماء. **والسجود**: عبارة عن التذلُّل والانقياد لله تعالىٰ، **وقيل**: سجود النجم: غروبه، وسجود الشجر: بظلِّه.

(٧) ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ **يعني**: الميزان المعروف الذي يوزن به الطعام وغيره، وكرَّر ذكره؛ اهتمامًا بأمره، **وقيل**: أراد العدل.

(٩) ﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ **أي**: لا تَنقُصوا إذا وزنتم.

(١٠) ﴿لِلْأَنَامِ﴾ **أي**: للناس، **وقيل**: الإنس والجن، **وقيل**: الحيوان كله.

(١١) ﴿ٱلْأَكْمَامِ﴾ **يحتمل أن يكون جمع كُمٍّ** -بالضم-، وهو ما يغطي ويلفُّ النخل من الليف، وبه شُبِّه كُمُّ القميص، أو يكون جمع كِمٍّ -بكسر الكاف-، وهو غلاف الثمرة.

(١٢) ﴿ٱلْعَصْفِ﴾ ورق الزرع، **وقيل**: التِّبْن.

﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ **قيل**: هو الريحان المعروف، **وقيل**: كل مشموم طيِّبِ الريح من النبات، **وقيل**: هو الرزق.

(١٣) ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ **الآلاء**: هي النعم، واحدها: إِلَىٰ علىٰ وزن: مِعًىٰ، **وقيل**: أَلَىٰ علىٰ وزن قَفًا، **وقيل**: أَلْيٌ علىٰ وزن أَمْرٍ، وإِلْيٌ علىٰ وزن حِصْن. والخطاب للثقلين الإنس والجن؛ بدليل قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾. وروي أن هذه الآية لما قرأها رسول الله ﷺ سكت أصحابه فقال: «إن جواب الجن خير من سكوتكم، إني لما قرأتها علىٰ الجن قالوا: لا نكذِّب بشيءٍ من آلاء ربِّنا»[(٢)]. وكرر هذه الآيةَ؛ تأكيدًا ومبالغة، **وقيل**: إن كل موضع منها يرجع إلىٰ معنىٰ الآية التي قبله فليس بتأكيد؛ لأن التأكيد لا يزيد علىٰ ثلاث مرات.

(١٤) ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ **الإنسان هنا**: آدم، **والصَّلصال**: الطين اليابس، فإذا طُبِخ فهو فخَّار.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٢)، والحاكم (٣٧٦٩) وصححه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٩١) وقال: «غريب»، والحاكم (٣٧٦٦) وصححه ووافقه الذهبي، عن جابر ﷺ، وأخرجه الطبري (٢٠/ ١٩٠)، والبزار في مسنده (١٢/ ١٩٠) من حديث ابن عمر ﷺ، وفيه عمرو بن مالك الراسبي، قال في مجمع الزوائد (٧/ ٢٥٤): «وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(١٣) ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ **الجان**: الجن، **يعني**: إبليس والد الجن. **والمارج**: اللهيب المضطرب من النار.

(١٥) ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ يريد: مشرق الشمس والقمر، ومغرب الشمس والقمر، **وقيل**: مشرقَي الصيف والشتاء ومغربَيهما.

(١٧) ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ ذكر في «**الفرقان**»[١].

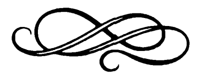
﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ أي: يلتقي ماء هذا وماء هذا، وذلك إذا نزل المطر في البحر على القول بأن البحر العذب هو المطر. وأما على القول بأن البحر العذب هو الأنهار والعيون، فالتقاؤهما: بانصباب الأنهار في البحر. وأما قول من قال: إن البحرين بحرُ فارس والروم، أو بحر القُلزُوم واليمن **فضعيف**؛ لقوله في «**الفرقان**»: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣]، وكل واحد من هذه أُجاج. والمراد بـ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ في هذه السورة ما أراد في «**الفرقان**».

(١٨) ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي: حاجز، **يعني**: جِرم الأرض، أو حاجزًا من قدرة الله.

﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ أي: لا يبغي أحدهما على الآخر بالاختلاط، **وقيل**: لا يبغيان على الناس بالفَيض.

(٢٠) ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ **اللؤلؤ**: كبار الجوهر، **والمرجان**: صغاره، **وقيل** بالعكس، **وقيل**: إن المرجان حجر أحمر، **قال ابن عطية**: وهذا هو الصَّواب[٢]. وأما قوله: ﴿مِنْهُمَا﴾ ولا يخرج إلَّا من أحدهما، فقد تكلمنا عليه في «**فاطر**»[٣].

(٢٢) ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَآتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ **يعني**: السفن، وسماها مُنشَآت؛ **لأن الناس** يُنشؤونها. **وقرئ بكسر الشين**[٤]: بمعنى أنها تنشئ السيرَ أو تنشئ الموج. **والأعلام**: الجبال، شبه السفن بها.



(١) انظر تفسير الآية (٥٣).
(٢) المحرر الوجيز (٨/ ١٦٧).
(٣) انظر تفسير الآية (١٢).
(٤) قرأ حمزة وشعبة بخلف عنه بكسر الشين، وقرأ الباقون بفتحها.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾

(٢٦) ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الضمير في ﴿عَلَيْهَا﴾ للأرض، يدل على ذلك سياق الكلام وإن لم يتقدم لها ذكر. ويعني بـ﴿مَنْ عَلَيْهَا﴾: بني آدم وغيرهم من الحيوان، ولكنه غلَّب العقلاء.

(٢٧) ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ **الوجه هنا عبارة عن الذات**[1]. و﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ صفة الذات؛ لأن من أسمائه تعالى الجليل، ومعناه يَقْرُب من معنى العظيم. وأما وصفه بالإكرام فيحتمل أن يكون: بمعنى أنه يُكرم عباده كما قال في «الإسراء»: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، أو بمعنى أن عباده يكرمونه بتوحيده وتسبيحه وعبادته.

(٢٩) ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ **المعنى**: أن كل من في السماوات والأرض يسأل حاجته من الله، فمنهم من يسأله بلسان المقال، وهم المؤمنون، ومنهم من يسأله بلسان الحال؛ لافتقار الجميع إليه.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ **المعنى**: أنه تعالى يتصرَّف في ملكوته تصرُّفًا يظهر في كل يوم، من العطاء والمنع، والإماتة والإحياء، وغير ذلك. وروي: أن رسول الله ﷺ قرأها فقيل له:

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٢٢).

وما ذلك الشأن؟ قال: «من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرِّج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين»[١].

وسئل بعضهم: كيف قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ والقلم قد جف بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة؟ فقال: هو في شأن يُبديه لا في شأن يَبتديه[٢].

﴿٢٩﴾ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ معناه الوعيد، كقولك لمن تهدده: «سأتفرغ لعقوبتك»، وليس المعنىٰ: التفرغ من شغل. ويحتمل أن يريد: انتهاء مدة الدنيا، وإنه حينئذ ينقضي شأنها، فلا يبقىٰ إلا شأن الآخرة، فعبَّر عن ذلك بالتفرغ. قال جعفر بن محمد: سمَّىٰ الإنس والجن ثَقَلين، لأنهما ثُقِّلَا بالذنوب[٣].

﴿٣١﴾ ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا﴾ هذا كلامٌ يقال للجن والإنس يوم القيامة، ومعناه: إن استطعتم الهروب والخروج من أقطار السماوات والأرض فافعلوا، وروي أنهم يفرُّون يومئذ؛ لما يرون من أهوال القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكة، قد أحاطت بالأرض فيرجعون[٤]. وقيل: بل خوطبوا بذلك في الدنيا؛ والمعنىٰ: إن استطعتم الخروج عن قهر الله وقضائه عليكم فافعلوا. وقوله: ﴿فَانفُذُوا﴾ أمرٌ يراد به التعجيز.

﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ أي: لا تقدرون علىٰ النفوذ إلا بقوة، وليس لكم قوة.

﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَنُحَاسٌ﴾ الشُّواظ: لهب النار. والنحاس: الدخان، وقيل: هو الصُّفْر يذاب ويُصبُّ علىٰ رؤوسهم. وقرئ ﴿شُوَاظٌ﴾ بضم الشين وكسرها[٥] وهما لغتان. وقرئ ﴿نُحَاسٌ﴾[٦]: بالرفع عطفًا علىٰ ﴿شُوَاظٌ﴾، وبالخفض عطفًا علىٰ ﴿نَّارٍ﴾.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٢) وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٥)، وابن حبان (٦٨٩)، والبزار (١٠/ ٧٣)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٢٧٨) عن أبي الدرداء ﷺ مرفوعًا، وحسن إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ٢٨). وذكره البخاري تعليقًا من قول أبي الدرداء (٦/ ١٤٥).

(٢) قاله الحسين بن الفضل لعبد الله بن طاهر لما سأله عنها. انظر: الكشاف (١٥/ ١٦٤).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٥/ ٣٣٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢١٧) عن الضحاك.

(٥) قرأ ابن كثير بكسر الشين، وقرأ الباقون بضمها.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع.

﴿٣٧﴾ ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾، وقال ابن عطية: جوابها محذوف[1].

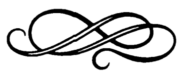
﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ معنىٰ ﴿وَرْدَةً﴾: حمراء كالوردة، وقيل: هو من الفَرَس الوَرْدِ. قال قتادة: السماء اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء[2]. والدِّهان: جمع دُهْنٍ كالزيت وشبهه، شبَّه السماء يوم القيامة به؛ لأنها تُذاب من شدَّة الهول، وقيل: شبه لمعانها بلمَعان الدُّهن، وقيل: إن الدهان هو الجلد الأحمر.

﴿٣٩﴾ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ السؤال المنفي هنا هو علىٰ وجه الاستخبار وطلب المعرفة؛ إذ لا يُحتاج إلىٰ ذلك؛ لأن المجرمين يُعرفون بسيماهم، ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة في صحائفهم، وأما السؤال الثابت في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] وغيره، فهو سؤال علىٰ وجه الحساب والتوبيخ، فلا تعارض بين النفي والإثبات. وقيل: إن ذلك باختلاف المواطن، والأول أحسن.

﴿٤١﴾ ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ يعني: بعلامتهم[3] وهي سواد الوجوه وغير ذلك. و﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ هنا الكفار؛ بدليل قوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ قيل: معناه: يؤخذ بعض الكفار بناصيته وبعضهم بقدميه. وقيل: بل يؤخذ كل واحد بناصيته وقدميه، فيطوىٰ ويطرح في النار.

﴿٤٤﴾ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ الحميم: الماء السُّخْن، والآني: الشديد الحرِّ. وقيل: الحاضر من قولك: أَنَىٰ الشيءُ: إذا حضر، والأول أظهر.



(١) المحرر الوجيز (٨/ ١٧٥)، وقال: «جواب ﴿فَإِذَا﴾ محذوف، مقصودٌ به الإبهام، كأنه تعالىٰ يقول: فإذا انشقَّت السماء فما أعظم الهول!».
(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٢٨).
(٣) في أ: «بعلاماتهم».

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

﴿٤٦﴾ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: القيام بين يديه للحساب، ومنه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]. **وقيل**: قيام الله عليه بأعماله، ومنه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٤]. **وقيل**: معناه: «لمن خاف ربه»، وأقحم المقام، كقولك: خفت جانب فلان. واختُلف هل الجنتان لكل خائف على انفراده أو لصنف الخائفين؟ وذلك مبني على قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ هل يراد به واحد أو جماعة؟ **وقال الزمخشري**: إنما قال ﴿جَنَّتَانِ﴾ ؛ لأنه خاطب الثقلين، فكأنه قال: جنة للإنس وجنة للجن[1].

﴿٤٨﴾ ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ ثنَّى «ذات» هنا على الأصل؛ لأن أصله: «ذوات»، **قاله ابن عطية**[2].

---

(١) الكشاف (١٥/ ١٧١).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ١٧٧)، فردَّ عينها في التثنية، ولم يقل: «ذاتا»، وانظر: البحر المحيط لأبي حيان (١٧/ ٤٢٤).

والأفنان: جمع فَنَنٍ، وهو الغصن، أو جمع فَنٍّ، وهو الصِّنف من الفواكه وغيرها.

(٥٢) ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ أي: نوعان.

(٥٤) ﴿وَجَنَا ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ **الجنى**: هو ما يُجتنىٰ من الثمار، و﴿دَانٍ﴾: قريب. **وروي** أن الإنسان يجتني الفاكهة في الجنة علىٰ أيِّ حال كان، من قيام أو جلوسٍ أو اضطجاع؛ لأنها تتدلىٰ له إذا أرادها. وفي قوله: ﴿وَجَنَا ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ ضربٌ من ضروب التجنيس.

(٥٦) ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ ذكر في «**الصافات**»[1].

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ المعنىٰ: أنهن أبكار، و﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ معناه: لم يفتضَّهُنَّ. **وقيل**: الطمث: الجماع سواء كان لبكر أو غيرها. ونفَىٰ أن يطمثهن إنس أو جان؛ مبالغةً وقصدًا للعموم، فكأنه قال: لم يطمثهن شيء. **وقيل**: أراد: لم يطمث نساءَ الإنس إنسٌ، ولم يطمث نساءَ الجن جنٌّ، وهذا علىٰ القول بأن الجن[2] يدخلون الجنة ويتلذَّذون فيها بما يتلذذ البشر.

(٥٨) ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ شبَّه النساء بالياقوت والمرجان في الحمرة والجمال. وقد ذكر معنىٰ المرجان في أول السورة.

(٦٠) ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ **المعنىٰ: أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن الله إليه بالجنة. ويحتمل أن يكون الإحسان هنا هو الذي سأل عنه جبريل رسول الله ﷺ فقال له: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**[3]، وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة، فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين، **ويقوي هذا**: أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العليِّ، وجعل جنتين دونهما لمن كان دون ذلك، فالجنتان المذكورتان أوَّلًا للسابقين، والمذكورتان بعد ذلك لأصحاب اليمين حسَبما ورد في «**الواقعة**».

وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين، أعلىٰ من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما، فقال هنا: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾، وقال في الأُخريين: ﴿عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾، والجرْي أشدُّ من النضخ،

---

(١) انظر تفسير الآية (٤٨).

(٢) في ج: «وعلىٰ هذا القول فإن الجن..».

(٣) تقدم تخريجه.

وقال هنا: ﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ﴾، وقال هناك: ﴿فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾، وكذلك صفات الحور هنا أبلغ من صفاتها هناك، وكذلك صفات البُسُط، ويفسِّر ذلك قول رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب آنيتهما وكل ما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وكل ما فيهما»[١].

﴿٦٤﴾ ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ أي: تضربان إلىٰ السَّواد من شدَّة الخضرة.

﴿٦٦﴾ ﴿عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ أي: تفوران بالماء، **والنضخ** -بالخاء المعجمة- أشد من النضح -بالحاء المهملة-.

﴿٦٨﴾ ﴿فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾ خصَّ النخل والرمان بالذكر بعد دخولهما في الفاكهة؛ تشريفًا لهما، وبيانًا لفضلهما علىٰ سائر الفواكه، وهذا هو التَّجريد.

﴿٧٠﴾ ﴿خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾ خيرات: جمع خَيْرة. **وقال الزمخشري وغيره**: أصله خَيِّراتٌ بالتشديد ثم خُفِّف، كمَيْتٍ، وقد قرئ بالتشديد[٢]. قالت أم سلمة ﵂: يا رسول الله! أخبرني عن قوله تعالىٰ: ﴿خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾ قال: «خيرات الأخلاق، حسان الوجوه»[٣].

﴿٧٢﴾ ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾ **الحور**: جمع حَوراء، **والمقصورات**: المحجوبات؛ لأن النساء يُمْدحن بملازمة البيوت ويُذْممن بكثرة الخروج. **والخيام**: هي البيوت التي من الخشب والحشيش ونحو ذلك، وخيام الجنة من لؤلؤ.

﴿٧٦﴾ ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ﴾ الرَّفرف: البُسُط، **وقيل**: الوسائد، **وقيل**: رياض الجنة.

﴿وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ﴾ **العبقري**: الطَّنافِس[٤]، **وقيل**: الزَّرَابيُّ[٥]، **وقيل**: الديباج الغليظ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠) عن أبي موسىٰ الأشعري ﵁.

(٢) الكشاف (١٥/ ١٧٥). والقراءة بالتشديد في الشاذ، قرأ بها بكر بن حبيب السهمي وأبو عثمان النهدي وابن مِقسَم. البحر المحيط (٢٠/ ١٥٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٦٣)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٢٧٨)، والكبير (٢٣/ ٣٦٧)، قال في مجمع الزوائد (٧/ ٢٥٥): «وفيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي».

(٤) الطنافس جمع طنفسة، قال النسفي في طلبة الطلبة (١٤٩): «هي كل بساط له خمل -بفتح الخاء وتسكين الميم- أي هُدْب».

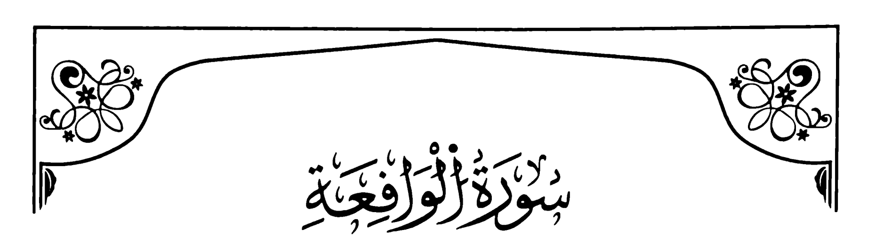
(٥) قال الزجاج: هي البُسُط، وقال الفرّاء: هي الطَّنافِس لَهَا خَمْل رَقيق. تهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ١٣٧)، فهي بمعنىٰ الطنافس.

وهو منسوب إلىٰ عَبْقَرَ، وتزعم العرب أنه بلد الجن، فإذا أعجبها شيء نسبته إليه.

(٧٨) ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ **ذُكر** ﴿تَبَٰرَكَ﴾ في «**الفرقان**»[1] وغيرها. **والاسم هنا يراد به المسمَّىٰ علىٰ الأظهر. وقرأ الجمهور** ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾ بالياء، صفة لـ﴿رَبِّكَ﴾ ، **وقرأ ابن عامر** بالواو، صفة للاسم. وقد ذُكر معنىٰ: ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

---

(١) انظر تفسير الآية (١).



روى ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدًا»[1]. ولما حضرت ابنَ مسعود رضي الله عنه الوفاةُ قيل له: ما تركت لبناتك؟ قال: تركت لهن سورة الواقعة[2].

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢٥٧)، وأحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٧٢٦)، والحارث بن أبي أسامة في مسنده (٢/ ٧٢٩) والثعلبي في تفسيره (٢٥/ ٤٠٠-٤٠١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٢٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٩١)، وابن عساكر في تاريخه (٣٣/ ١٨٦). وفي العلل المتناهية لابن الجوزي (١/ ١٠٥): «قال أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر»، وضعفه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/ ٤٠٧).

(٢) تخريجه في الأثر قبله.

(١) ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ يعني: إذا قامت القيامة، فالواقعة: اسم من أسماء القيامة يدل علىٰ هولها، كالطَّامَّة والصَّاخَّة.

وقيل: الواقعة: الصيحة، وهي النفخة في الصور، وقيل: الواقعة: صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة، وهذا بعيد.

(٢) ﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

الأول: أن تكون ﴿كَاذِبَةٌ﴾ مصدرًا كالعاقبة، والمعنىٰ: ليس لها كذب ولا ردٌّ.

الثاني: أن تكون ﴿كَاذِبَةٌ﴾ صفة لمحذوف، كأنه قال: ليس لها حالة كاذبة؛ أي: هي صادقة الوقوع ولا بدَّ، وهذا المعنىٰ قريب من الأول.

الثالث: أن يكون التقدير: ليس لها نفْسٌ كاذبة أي: تَكْذِب في إنكار البعث؛ لأن كل نفس تؤمن حينئذ.

(٣) ﴿خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ﴾ تقديره: هي خافضة رافعة، فينبغي أن يوقف علىٰ ما قبله لبيان المعنىٰ. والمراد بالخفض والرفع: أنها تخفض أقوامًا إلىٰ النار، وترفع أقوامًا إلىٰ الجنة. وقيل: ذلك عبارةٌ عن هولها؛ لأن السماء تنشق، والأرض تُزلزل[1] وتمدُّ، والجبال تُنسَف؛ فكأنها تخفض بعض هذه الأجرام وترفع بعضها.

(٤) ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا﴾ أي: زُلزلت وحركت تحريكًا شديدًا. و﴿إِذَا﴾ هنا بدل من ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾، ويحتمل أن يكون العامل فيه ﴿خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ﴾.

(٥) ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ﴾ أي: فُتِّتت، وقيل: سيِّرت.

(٦) ﴿هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾ الهباء: ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة، ولا تكاد ترىٰ إلَّا في الشمس إذا دخلت علىٰ كُوَّة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[2]. وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: هو ما تطاير من حوافر الدواب من التراب[3]. وقيل: ما تطاير من شرَر النار، فإذا طَفِئ لم يوجد

(١) في د: «تتزلزل».
(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٨٤) من طريق علي بن أبي طلحة عنه.
(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٨٥).

شيءٌ[١]. والمنبثُّ: المفترق[٢].

﴿٧﴾ ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً﴾ هذا خطاب لجميع الناس؛ لأنهم ينقسمون يوم القيامة إلىٰ هذه الأصناف الثلاثة، وهم: السابقون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال. فأما السابقون: فهم أهل الدرجات العلىٰ في الجنة. وأما أصحاب اليمين: فهم سائر أهل الجنة. وأما أصحاب الشمال: فهم أهل النار.

﴿٨﴾-﴿١١﴾ ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ هذا ابتداءٌ وخبر، فيه معنىٰ التعظيم، كقولك: زيد ما زيد؟ و﴿ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ يحتمل أن تكون مشتقةً من اليُمْن وهو ضد الشؤم، وتكون ﴿ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ مشتقة من الشؤم. أو تكون ﴿ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ من ناحية اليمين، و﴿ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ من ناحية الشمال، واليد الشُّؤْمَىٰ هي الشمال، وذلك لأن العرب تجعل الخير من اليمين، والشر من الشمال، أو لأن أهل الجنة يُحملون إلىٰ جهة اليمين، وأهل النار يحملون إلىٰ جهة الشمال. أو يكون من أخذ الكتب[٣] باليمين أو الشمال.

﴿١٠﴾ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الأول: مبتدأ، والثاني خبره علىٰ وجه التعظيم، كقولك: «أنت أنت»، أو علىٰ معنىٰ أن السابقين إلىٰ الطاعة هم السابقون إلىٰ الجنة. وقيل: إن ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الثاني صفة للأول أو تأكيدٌ، والخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾، والأرجح أن يكون الثاني خبر الأول؛ لأنه في مقابلة قوله: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٩﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٠﴾ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾، وعلىٰ هذا يوقف علىٰ ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الثاني، ويُبتدئ بما بعده.

﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ الثُّلَّة: الجماعة من الناس، فالمعنىٰ: أن السابقين من الأولين أكثر من السابقين من الآخِرين. والأولون: هم أول هذه الأمة، والآخِرون: هم المتأخرون من هذه الأمة، والدليل علىٰ ذلك: ما روي أن رسول الله ﷺ

(١) في أ: «يجد شيئا»، وفي ب، ج: «يوجد شيئًا».
(٢) في ج، هـ: «المتفرق».
(٣) في ب، د، هـ: «الكتاب».

قال: «**الفرقتان في أمتي**»[1]، وذلك لأن صدْر هذه الأمة خير ممن بعدهم، فكثُر السابقون من السلف الصالح، وقلُّوا بعد ذلك، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «**خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم**»[2]. **وقيل**: إن الفرقتين في أمة كل نبيٍّ، فالسابقون في كل أمة يكثرون في أولها ويقلون في آخرها. **وقيل**: إن الأولين هم من كان قبل هذه الأمة، والآخِرين هم هذه الأمة، فيقتضي هذا: أن السابقين من الأمم المتقدمة أكثر من السابقين من هذه الأمة، **وهذا بعيد**. **وقيل**: إن السابقين يراد بهم الأنبياء؛ لأنهم كانوا في أول الزمان أكثر مما كانوا في آخِره.

(١٧) ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ **السُّرر**: جمع سرير. **والموضونة**: المنسوجة، **وقيل**: المشبَّكة بالدر والياقوت، **وقيل**: معناه: متواصلة قد أُدنِي بعضها من بعض.

(١٨) ﴿مُتَقَٰبِلِينَ﴾ **أي**: وجوه بعضهم إلىٰ بعض.

(١٩) ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ **الولدان**: صغار الخدم، **والمخلَّدون**: الذين لا يموتون. **وقيل**: المقرَّطون بالخَلَدات، وهي ضرب من الأقراط، **والأول أظهر**.

(٢٠) ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ **الأكواب**: جمع كوب، وهو الإناء وهو الذي لا أُذُن له ولا خرطوم يُمسَك به. **والأباريق**: جمع إبريق، وهو الإناء الذي له خرطوم أو أذن يمسك به.

(٢١) ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ ذكر في «**الصافات**»[3].

(٢٢) ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ **أي**: لا يَلحق رؤوسهم الصداعُ الذي يصيب من خمر الدنيا. **وقيل**: لا يُفرَّقون عنها، فهو من الصَّدْع وهو الفُرقة. ومعنىٰ ﴿لَا يُنزِفُونَ﴾: لا يَسكرون.

(٢٣) ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ **قيل**: يتخيَّرون ما شاؤوا؛ لكثرتها، **وقيل**: متخيَّرة؛ أي: مَرْضيَّة.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٣٤)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢/ ٦٧)، والثعلبي (٢٥/ ٤٨٤) من حديث ابن عباس ﷺ مرفوعًا، وضعفه الطبري وابن عدي.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) عن ابن مسعود ﷺ، وأخرجاه أيضًا -البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥)- عن عمران بن حصين ﷺ.

(٣) انظر تفسير الآية (٤٥).

﴿٢٢﴾ ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قد ذُكر معناه[١]. **وقرئ بالرفع**[٢]، على تقدير: فيها حور، أو عطفٌ على الضمير في ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ [٣]، أو على ﴿وِلْدَانٌ﴾ ، **وبالخفض**: عطفٌ على المعنى، كأنه قال: ينعَّمون بهذا كله وبحور عين، **وقيل**: خفضٌ على الجوار.

﴿كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ شبههن باللؤلؤ في البياض، ووصَفه بالمكنون؛ لأنه أبعد عن تغير حُسْنه، وسألت أم سلمة رسول الله ﷺ عن هذا التشبيه فقال: «**صفاؤهن كصفاء الدر في الأصداف الذي لا تمسه الأيدي**»[٤].

﴿٢٥﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ **اللغو**: الكلام الساقط كالفُحْش وغيره. **والتأثيم**: مصدر، بمعنى: لا يؤثِّم أحدٌ هناك نفسه ولا غيره.

﴿٢٦﴾ ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا﴾ انتصب ﴿سَلَـٰمًا﴾ على أنه بدلٌ من ﴿قِيلًا﴾ ، أو صفة له، أو مفعول به لـ﴿قِيلًا﴾؛ لأن معناه: قولٌ، ومعنى السلام على هذا التحية، **والمعنى**: أنهم يُفشون السلام فيسلمون سلامًا بعد سلام. **ويحتمل** أن يكون معناه: السلامة، فينتصب بفعل مضمر تقديره: اسلَموا[٥] سلامًا.

﴿٢٧﴾ ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ هذا مبتدأ وخبره، قُصد به التعظيم فيوقف عليه، ويبتدأ بما بعده. **ويحتمل** أن يكون الخبر ﴿فِى سِدْرٍ﴾ ، ويكون ﴿مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ اعتراضًا، **والأول أحسن**. وكذلك إعراب ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ **السِّدر**: شجر معروف، **قال ابن عطية**: وهو الذي يقال له: شجر أم غيلان[٦]. وهو كثير في بلاد المشرق، وهو في بعض بلاد الأندلس دون بعض. **والمخضود**: الذي لا شوك فيه، كأنه خُضِد شوكه، وذلك أن سدر الدنيا له شوك، فوصف

---

(١) انظر تفسير الآية (١٨) من سورة الطور.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع.

(٣) **فيكون التقدير**: استقرُّوا هم وحورٌ عينٌ حال كونهم متكئين. انظر: المحرر الوجيز (٨/ ١٩٦) والكشاف (١٥/ ١٩١).

(٤) هو جزء من حديث أم سلمة ﵂ الذي تقدم في آخر سورة الرحمن، وتقدم تخريجه.

(٥) في ب، د: «سلموا».

(٦) المحرر الوجيز (٨/ ١٩٧).

سدر الجنة بضد ذلك. **وقيل: المخضود**: هو المُوْقَر الذي انثنت أغصانه من كثرة حِملِه، فهو علىٰ هذا: مِن خَضَد الغصنَ: إذا ثنَاه.

﴿٢٩﴾ ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ **الطَّلح**: شجرٌ عِظامُ كثيرة الشوك، **قاله ابن عطية**[1]. **وقال الزمخشري**: هو شجر الموز[2]. **وحكىٰ ابن عطية** هذا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما[3]، وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «وطلع منضود» بالعين، فقيل له: إنما هو «وطلح» فقال: ما للطلح وللجنة! فقيل له: أنصلحها[4] في المصحف؟ فقال: المصحف اليوم لا يغيَّر[5]. **والمنضود**: الذي نُضِدَ بالثمر من أعلاه إلىٰ أسفله، حتىٰ لا يظهر له ساق.

﴿٣٠﴾ ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أي: منبسط لا يزول؛ لأنه لا تنسخه شمس، وقال رسول الله ﷺ: **«إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها واقرؤوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾»**[6].

﴿٣١﴾ ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾: أي: مصبوب، وذلك عبارة عن كثرته. **وقيل**: المعنىٰ: أنه جارٍ في غير أخاديد، **وقيل**: المعنىٰ: أنه يجري من غير ساقية ولا دلو ولا تعب.

﴿٣٣﴾ ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي: لا ينقطع إبَّانُها كفاكهة الدنيا، فإن شجر الجنة تثمر في كل وقت، ولا تمتنع ببعد تناوُلِها ولا بغير ذلك من وجوه المنع.

﴿٣٤﴾ ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ هي الأسِرَّة، وقد روي أن ارتفاع سريرٍ منها مسيرة خمس مئة عام[7]. **وقيل**: هي النساء، وهذا بعيد.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ١٩٧).
(٢) الكشاف (١٥/ ١٩٦).
(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣١٠-٣١١).
(٤) في ب، هـ: «أتصلحها».
(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٠٩).
(٦) أخرجه البخاري (٣٢٥٢) -واللفظ له- ومسلم (٢٨٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٧) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣١٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٢)، وأحمد (١١٧١٩)، والترمذي (٢٥٤٠) وقال: «غريب»، وابن حبان (٧٤٠٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا. وذكر ابن كثير في تفسير (٧/ ٥٣٠) والسيوطي في الدر المنثور (١٤/ ١٩٧) أن الترمذي حسَّنه، وليس في المطبوع، وحسن ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٤٨) إسناد أحمد.

﴿٣٧﴾ ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ﴾ الضمير لنساء الجنة، فإن سياق الكلام يقتضي ذلك، وإن لم يتقدم ذكرهن، ولكن قد تقدَّم ذكر الفُرش وهي تدل على النساء. وأما من قال: إن الفرش هي النساء فالضمير عائد عليها. وقيل: يعود على الحور العين المذكورات قبل هذا، وذلك بعيد، فإن ذلك في وصف جنات السابقين، وهذا في وصف جنات أصحاب اليمين. ومعنى إنشاء النساء: أن الله تعالى يخلقهن في الجنة خَلْقًا آخر في غاية الحسن -بخلاف الدنيا-، فالعجوز ترجع شابة والقبيحة ترجع حسَنة.

﴿٣٨﴾ ﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا﴾ روي: أنهن دائمات البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرًا[(١)].

﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿عُرُبًا﴾ جمع عَروب، وهي المتودِّدة إلى زوجها بإظهار محبته، وعبَّر عنهن ابن عباس ﷺ: بأنهن العواشق لأزواجهن[(٢)]، وقيل: هي الحسنة الكلام.

﴿أَتۡرَابٗا ۝ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ أي: مستوياتٍ في السن مع أزواجهن، وروي أنهم يكونون في سن أبناء ثلاثة وثلاثين عامًا[(٣)]. و﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ يتعلق بقوله: ﴿أَنشَأۡنَٰهُنَّ﴾ على ما قال الزمخشري[(٤)]، ويحتمل أن يتعلق بـ﴿أَتۡرَابٗا﴾ ، وهذا هو الذي يقتضيه المعنى؛ أي: أترابٌ لأزواجهن.

﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ أي: جماعة من أول هذه الأمة وجماعة من آخرها، وقد قال رسول الله ﷺ: «الفرقتان من أمتي»[(٥)]، وفي ذلك ردٌّ على من قال إنهما من غير هذه الأمة. وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثلةً من الأولين وثلة من الآخرين، بخلاف السابقين فإنهم قليلٌ في الآخرين؛ وذلك لأن السابقين في أول هذه الأمة أكثر منهم في آخرها؛ لفضيلة السلف الصالح، وأما أصحاب اليمين فكثيرٌ في أولها وآخِرها.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ١٦٠) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، قال في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٧١): «فيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي وهو كذاب»، وأخرجه الثعلبي عن المسيب بن شريك من قوله، والمسيب متروك. لسان الميزان لابن حجر (٦/ ٣٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٢٤) من طريق العوفي عنه، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٢) من طريق الضحاك عنه.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٢) من طريق الضحاك عن ابن عباس ﷺ.

(٤) الكشاف (١٥/ ٢٠١).

(٥) تقدم تخريجه.

وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ * قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ **السموم**: الحر الشديد. **والحميم**: الماء الحار جدًّا. **واليحموم**: هو الأسود. **والظل من يحموم**: هو الدخان **في قول الجمهور**، **وقيل**: سُرَادق النار المحيط بأهلها؛ فإنه يرتفع من كل جهة حتىٰ يُظلَّهم، **وقيل**: هو جبل في جهنم.

﴿٤٦﴾ ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ **معنىٰ** ﴿يُصِرُّونَ﴾: **يدومون من غير إقلاع**. و﴿ٱلْحِنثِ﴾: هو الإثم، **وقيل**: هو الشرك، **وقيل**: الحنث في اليمين؛ أي: اليمين الغموس.

﴿٤٧﴾ ﴿أَئِذَا مِتْنَا﴾ **الآيةَ؛ معناها**: أنهم أنكروا البعث بعد الموت. **وقد ذكرنا قراءة الاستفهامين في «الرعد»**[1]، و ﴿أَوَءَابَآؤُنَا﴾ في **«الصافات»**[2].

(١) انظر تفسير الآية (٥).

(٢) انظر تفسير الآية (١٧).

﴿٥٤﴾ ﴿أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ خطاب لكفار قريش وسائر الكفار.

﴿٥٧﴾ ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ الضمير للمأكول.

﴿٥٨﴾ ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ وزن ﴿ٱلْهِيمِ﴾ فُعلٌ بضم الفاء، وكسرت الهاء لأجل الياء، وهو جمع أَهْيم، وهو الجمل الذي أصابه الهُيام -بضم الهاء-، وهو داء مُعطِّش يشرب معه الجمل حتىٰ يموت أو يسقم، والأنثىٰ هَيْماء. وقيل: جمع هائم وهائمة، وقيل: الهِيم: الرمال التي لا تَروىٰ من الماء، وهو علىٰ هذا جمع هَيام -بفتح الهاء-. وقرئ ﴿شُرْبَ﴾ بضم الشين[1]، واختلف هل هو مصدر أو اسم المشروب؟ وقرئ بالفتح، وهو مصدر. **فإن قيل**: كيف عطف قوله: ﴿فَشَٰرِبُونَ﴾ علىٰ ﴿شَٰرِبُونَ﴾ ومعناهما واحد؟

فالجواب: أن المعنىٰ مختلف؛ لأن الأول يقتضي الشرب مطلقًا، والآخر يقتضي الشرب الكثير المُشْبِه لشرب[2] الهيم.

﴿٥٩﴾ ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ **النُّزل**: أول ما يأكله الضيف، فكأنه يقول: هذا أول عذابهم فما ظنك بسائره؟

﴿٦٠﴾ ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ تحضيضٌ علىٰ التصديق إما بالخالق تعالىٰ، وإما بالبعث؛ لأن الخلقة الأولىٰ دليل عليه.

﴿٦١﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ هذه الآية وما بعدها تتضمن إقامة براهين علىٰ الوحدانية وعلىٰ البعث، وتتضمن أيضًا وعيدًا وتعديدَ نِعم. ومعنىٰ ﴿تُمْنُونَ﴾: تقذفون المنيَّ في رحم المرأة.

﴿٦٢﴾ ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ هذا توقيفٌ يقتضي أن يجيبوا عليه بأن الله هو الخالق لا إله إلا هو.

﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: جعلناه مقدرًا بآجال معلومة وأعمار منها طويل وقصير ومتوسط.

---

(١) قرأ نافع وعاصم وحمزة بضم الشين، وقرأ الباقون بفتحها.

(٢) في ب، ج، هـ: «بشرب».

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ **المسبوق على الشيء**: هو المغلوب عليه؛ بحيث لا يقدر عليه. و﴿نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾: معناه: نُهلككم ونستبدل قومًا غيركم، **وقيل**: نمسخكم قردة وخنازير. و﴿نُنشِئَكُمْ﴾ معناه: نبعثكم بعد هلاككم. و﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ معناه: ننشئكم في خِلْقةٍ لا تعلمونها، على وجهٍ لا تصل عقولكم إلى فهمه. فمعنى **الآية**: أن الله قادر على أن يهلككم وعلى أن يبعثهم، ففيها تهديدٌ واحتجاج على البعث.

۝٦٥ ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تحضيضٌ على التذكُّرِ والاستدلالِ بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة، وفي هذا دليل على صحة القياس.

۝٦٧ ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ **المراد بالزراعة هنا**: إنبات ما يُزرع وتمام خلقته؛ لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يدَّعيه غيره، قال رسول الله ﷺ: «**لا يقولنَّ أحدكم زرعت، ولكن يقول حرثت**»[1]. **والمراد بالحرث**: قلب الأرض وإلقاء الزَّريعة فيها، وقد يقال لهذا: زرع، ومنه قوله: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: ٢٩].

۝٦٨ ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ **الحطام**: اليابس المتفتت، **وقيل**: معناه تبنٌ بلا قمح.

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أي: تطَّرِحون الفَكَاهة وهي المسرَّة، يقال: رجلٌ فَكِهٌ: إذا كان مسرورًا منبسط النفس، ويقال: تفكَّه إذا زالت عنه الفَكاهة فصار حزينًا؛ لأن صيغة «**تفعَّل**» تأتي لزوال الشيء، كقولهم: تحرَّج وتأثَّم: إذا زال عنه الحرج والإثم، **فالمعنى**: صرتم تحزنون على الزرع لو جعله الله حطامًا.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٤٨)، وابن حبان (٥٧٢٣)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٨٠)، والبزار في مسنده (١٧/ ٣٠٨)، والبيهقي في السنن (١١٧٥٢) وضعَّفه، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا. قال في مجمع الزوائد (٤/ ٢١٧): «وفيه مسلم بن أبي مسلم الجرمي ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات»، وقال ابن حجر في لسان الميزان (٨/ ٥٦): «وليس في إسناده من ينظر فيه غير مسلم هذا»، ومسلم هذا ذكره ابن حبان في الثقات (٩/ ١٥٨)، ووثقه الخطيب في تاريخ بغداد (١٥/ ١٢٠)، وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٤٠٩): «وذكره [أي: الحديث] عبد الحق في أحكامه في باب إحياء الموات من جهة البزار وسكت عنه، فهو صحيح عنده، وأقره ابن القطان على ذلك».

وقد عبر بعضهم عن ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ بأن معناه: تتفجعون، **وقيل**: تندمون، **وقيل**: تعجبون، وهذه معانٍ متقاربة، والأصل ما ذكرنا.

(٦٩) (٧٠) ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ **تقديره**: تقولون ذلك لو جعل الله زرعكم حطامًا. **والمُغرم** المعذَّب؛ لأن الغرام هو أشد العذاب. ويحتمل أن يكون من الغُرْم؛ أي: مثقلون بما غَرِمنا من النفقة على الزرع. **والمحروم**: الذي حرمه الله الخير.

(٧٢) ﴿مِنَ الْمُزْنِ﴾ هي السَّحاب، **والأُجاج**: الشديد الملوحة. **فإن قيل**: لم ثبتت اللام في قوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ وسقطت من قوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾؟ **فالجواب**: من وجهين:

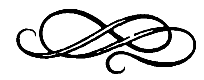
أحدهما: أنه أغنى إثباتُها أولًا عن إثباتها ثانيًا مع قرب الموضعين.

والآخر: أن هذه اللام تدخل للتأكيد، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب؛ للدلالة على أن الطعام أوكد من الشراب؛ لأن الإنسان لا يشرب إلا بعد أن يأكل.

(٧٤) (٧٥) ﴿النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أي: تقدحونها من الزِّناد. والزناد قد يكون من حجرين، ومن حجر وحديدة، ومن شجر وهو المرخ والعَفَار، ولما كانت عادة العرب في زنادهم من شجر قال الله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ أي: الشجرة التي تُزْنَد منها النار. **وقيل**: أراد بالشجرة نفس النار؛ كأنه يقول: نوعها أو جنسها، فاستعار الشجرة لذلك، **وهذا بعيد**.

(٧٦) ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ **أي**: تذكِّر بنار جهنم.

﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ **المتاع**: ما يُتمتَّع به. **ويحتمل المقوين أن يكون من الأرض القَوَاء**، وهي الفيافي، **فمعنى المقوين**: الذين دخلوا في القَواء، ولذلك عبر ابن عباس رضي الله عنهما عنه: بالمسافرين[1]، ويحتمل أن يكون من قولهم: أقوى المنزلُ: إذا خلا، **فمعناه**: الذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام، ولذلك عبَّر بعضهم عنه: بالجائعين.



(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٥٦) من طريق العوفي وعلي بن أبي طلحة عنه.

*﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٨ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٩ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ۝٨٠ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ۝٨١ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٨٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٣ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ۝٨٤ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٥ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ۝٨٦ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٧ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ۝٨٨ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ۝٨٩ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٩٠ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٩١ فَرَوۡحٌ وَرَيۡحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٩٢ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩٣ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩٤ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٥ فَنُزُلٌ مِّنۡ حَمِيمٍ ۝٩٦ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٧ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ۝٩٨ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٩٩﴾

۝٧٨ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ «لا» في هذا الموضع وأمثاله زائدة، وكأنها زيدت لتأكيد القسم، أو لاستفتاح الكلام، نحو: «ألَا». وقيل: هي نافية لكلام الكفار، كأنه يقول: لا صحة لما يقول الكفار، وهذا ضعيف، والأول أحسن؛ لأن زيادة «لا» كثيرةٌ معروفة في كلام العرب. و ﴿مَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ فيه قولان:

أحدهما -قول ابن عباس رضي الله عنهما[1]-: إنها نجوم القرآن؛ إذ أُنزل على النبي ﷺ مقطَّعًا بطول عشرين سنة، فكل قطعة منه نجمٌ.

والآخر -قول كثير من المفسرين-: إن النجوم الكواكب، ومواقعها: مغاربها ومساقطها، وقيل: مواضعها من السماء، وقيل: انكدارها يوم القيامة.

۝٧٩ ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ هذه جملة اعتراض بين القسم وجوابه. وقوله: ﴿لَّوۡ تَعۡلَمُونَ﴾ اعتراضٌ بين الموصوف وصفته، فهو اعتراض في اعتراض، والمقصود بذلك: تعظيم المقسَم به، وهو مواقع النجوم. وجواب القسم: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ﴾ وأعاد الضمير على القرآن؛ لأن المعنى يقتضيه، أو لأنه مذكور على قول من قال: إن ﴿مَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ نزول القرآن.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٥٩)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٩)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢٨٧)، والحاكم (٣٧٨١) وصححه ووافقه الذهبي.

﴿٨١﴾ ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ﴾ أي: مصون، **والمراد بهذا الكتاب المكنون:** المصاحف التي كُتب فيها القرآن، أو صحف القرآن بأيدي الملائكة عليهم السلام.

﴿٨٢﴾ ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ الضمير يعود على الكتاب المكنون. **ويحتمل** أن يعود على القرآن المذكور قبله، **إلَّا أن هذا ضعيف لوجهين:**

أحدهما: أن مسَّ الكتاب حقيقة، ومس القرآن مجاز، والحقيقة أولىٰ من المجاز. **والآخر:** أن الكتاب أقرب، والضمير يعود علىٰ أقرب مذكور.

فإذا قلنا: إنه يعود علىٰ الكتاب المكنون: فإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصُّحف التي بأيدي الملائكة: فـ﴿ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ يراد به الملائكة؛ لأنهم مطهَّرون من الذنوب والعيوب، والآية إخبارٌ أنه لا يمسه إلَّا هم دون غيرهم. **وإن قلنا إن الكتاب المكنون هو المصحف الذي[1] بأيدي الناس: فيحتمل** أن يريد بالمطهَّرين المسلمين؛ لأنهم مطهَّرون من الكفر، أو يريد المطهرين من الحدث الأكبر، وهو الجنابة والحيض، فالطهارة علىٰ هذا: الاغتسال، أو المطهرين من الحدث الأصغر، فالطهارة علىٰ هذا: الوضوء.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾: خبرًا، أو نهيًا. **علىٰ أنه قد أنكر بعض الناس أن يكون نهيًا،** وقال: لو كان نهيًا لكان بفتح السين. **وقال المحققون:** إن النهيَ يصح مع ضم السين؛ لأن الفعل المضاعف إذا كان مجزومًا واتصل به ضمير المفرد المذكر ضُمَّ عند التقاء الساكنين؛ إتْباعًا لحركة الضمير.

وإذا جعلناه خبرًا فيحتمل أن يقصد به مجرَّد الإخبار، أو يكون خبرًا بمعنىٰ النهي، **وإذا كان لمجرَّد الإخبار، فالمعنىٰ:** أنه لا ينبغي أن يمسَّه إلَّا المطهرون؛ أي: هذا حقُّه وإن وقع خلافُ ذلك.

واختلف الفقهاء فيمن يجوز له مس المصحف علىٰ حسَب الاحتمالات في الآية: فأجمعوا علىٰ أنه لا يجوز أن يمسه كافر؛ لأنه إن أراد بالمطهَّرين المسلمين، فذلك ظاهر، وإن أراد الطهارة من الحدث فالإسلام حاصل مع ذلك.

(١) في أ، ب: «الصحف التي».

وأما المحدِث ففيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه لا يجوز أن يمسه الجنب ولا الحائض ولا المحدث حدثًا أصغر، وهذا قول مالك وأصحابه[(١)]، ومنعوا أيضًا أن يحمله بعِلَاقة أو وِسادة[(٢)].

وحجتهم: الآية، علىٰ أن يراد بالمطهرين الطهارةُ من الحدث الأكبر والأصغر، وقد احتج مالك في الموطأ بالآية علىٰ المسألة. ومن حجتهم أيضًا: كتاب رسول الله ﷺ إلىٰ عمرِو بن حزم: «**أن لا يمس القرآن إلا طاهر**»[(٣)].

القول الثاني: أنه يجوز مسه للجنب والحائض والمحدث حدثًا أصغر، وهو مذهب أحمد بن حنبل[(٤)] والظاهرية، وحملوا المطهَّرين علىٰ أنهم المسلمون أو الملائكة، أو جعلوا ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ لمجرد الإخبار.

والقول الثالث: أنه يجوز مسه بالحدث الأصغر دون الأكبر، (وحمل صاحبُ هذا القول المطهَّرين علىٰ أنه يراد به: الطهارة من الحدث الأكبر)[(٥)].

ورخص مالك في مسه علىٰ غير وضوء للمعلم والصِّبيان؛ لأجل المشقة.

---

(١) وأبي حنيفة والشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ٧١).

(٢) وأجازه أبو حنيفة وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ٧٣).

(٣) رواه مالك (٥٣٦) عبد الله بن أبي بكر ابن حزم مرسلا، ورواه أبو داود في المراسيل (١٢٢) عن الزهري، قال: قرأت صحيفة عند آل أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ذكر أن رسول الله ﷺ كتبها لعمرو بن حزم، وفيها: «ولا يمس القرآن إلا طاهر»، قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٥٤٥): «وهذه وجادة جيدة، قد قرأها الزهري وغيره، ومثل هذا ينبغي الأخذ به». وأخرجه ابن حبان (٦٥٥٩)، والحاكم (١٤٤٧)، والدارقطني (٤٣٩) عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده متصلا، وضعَّف المتصلَ أبو داود في كتاب المراسيل، والنسائي (٤٧٧١). وقال ابن عبد البر في التمهيد (١٧/ ٣٩٦): «كتاب النبي ﷺ لعمرو بن حزم إلىٰ أهل اليمن في السنن والفرائض والديات كتاب مشهور عند أهل العلم، معروف يستغني بشهرته عن الإسناد»، واحتج أحمد بكتابه. وانظر تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي (١/ ٢٢٧)، والبدر المنير لابن الملقن (٢/ ٤٩٩).

(٤) في نسبة هذا القول إلىٰ الإمام أحمد نظرٌ، وقد تَبع ابنُ جزيٍّ في هذه النسبة ابنَ الفرس في أحكام القرآن (٣/ ٥١٨)، ومذهب الإمام أحمد المعروف الذي نقله أصحابه أنه يحرم علىٰ المحدث حدثًا أصغر أو أكبر مسُّ المصحف. انظر: المغني (١/ ٢٠٢)، والمقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ٧١).

(٥) سقط من أ، ج، هـ.

واختلفوا في قراءة الجنب القرآنَ[1]: فمنعه الشافعي وأبو حنيفة[2] مطلقًا، وأجازه الظاهرية مطلقًا، وأجاز مالك قراءة الآيات اليسيرة.

واختلفوا في قراءة الحائض والنفساء للقرآن عن ظهر قلب: فعن مالك في ذلك روايتان[3]، وفرَّق بعضهم بين الكثير واليسير.

﴿٨٤﴾ ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ هذا خطاب للكفار، **والحديث المشار إليه**: هو القرآن. و﴿مُّدْهِنُونَ﴾: معناه متهاونون، وأصله من المداهنة، وهي لين الجانب والموافقة بالظاهر لا بالباطن، **وقال ابن عباس** رضي الله عنهما: معناه: مكذِّبون[4].

﴿٨٥﴾ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ **قال ابن عطية**: أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين في المطر: إنه نزل بنَوء كذا وكذا[5]. **فالمعنى**: تجعلون شُكْرَ رِزقِكُم التكذيبَ، فحذف «شُكْرَ»؛ لدلالة المعنى عليه. **وقرأ علي ابن أبي طالب** رضي الله عنه: «وتجعلون شكركم أنكم تَكْذِبون»، **وكذلك قرأ ابن عباس**[6]، **إلَّا أنه قرأ** «تُكذِّبون» بضم التاء وبالتشديد كقراءة الجماعة، وقراءة علي رضي الله عنه بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب، أي: يَكْذبون في قولهم: نزل المطر بنَوء كذا.

ومن هذا المعنى قول رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يقول: أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب، وكافر بي مؤمن بالكوكب، فأما من قال: مُطِرْنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا و**[7]**كوكب كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»[8].

---

(١) في ب، د: «للقرآنِ».
(٢) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ١٠٨).
(٣) ومنعه أبو حنيفة والشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ١٠٨).
(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٦٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٤) من طريق العوفي عنه.
(٥) المحرر الوجيز (٨/ ٢١٣).
(٦) أخرجهما الطبري (٢٢/ ٣٧٠-٣٧١).
(٧) في ب، د: «أو».
(٨) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١) عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

والمنهي عنه في هذا الباب: أن يعتقد أن للكواكب تأثيرًا في المطر، وأما مراعاة العوائد التي أجراها الله تعالىٰ فلا بأس به كقوله ﷺ: «إذا نشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عينٌ غُدَيْقةٌ»[1]، وقد قال عمر للعباس رضي الله عنهما وهما في الاستسقاء: كم بقي من نوء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يقولون: إنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعًا، قال ابن المسيب: فما مضت سبع حتىٰ مطروا[2].

وقيل: إن معنىٰ الآية: تجعلون سببَ رزقكم تكذيبَكم للنبي ﷺ؛ فإنهم كانوا يقولون: إن آمنا به حرَمنا الله الرزق، كقولهم: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ [القصص: ٥٧]، فأنكر الله عليهم ذلك. **وإعراب** ﴿أَنَّكُمْ﴾ **علىٰ هذا القول**: مفعول بـ﴿تَجْعَلُونَ﴾ علىٰ حذف مضاف تقديره: تجعلون سبب رزقكم التكذيب، ويحتمل أن يكون مفعولًا من أجله، تقديره: تجعلون رزقكم حاصلًا من أجل أنكم تكذبون. **وأما علىٰ القول الأول** فإعراب ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ مفعولٌ، لا غير.

﴿٨٦﴾ ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ ﴿لَوْلَآ﴾ هنا عرْضٌ. والضمير في ﴿بَلَغَتِ﴾ للنفس؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك. **وبلوغها للحلقوم**: حين الموت. والفعل الذي دخلت عليه ﴿لَوْلَآ﴾ هو قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾؛ أي: هلَّا رددتم النفس حين الموت. **ومعنىٰ الآية**: احتجاج علىٰ البشر وإظهار لعجزهم بأنهم إذا حضر أحدَهم الموت لم يقدروا أن يردُّوا روحه إلىٰ جسده، وذلك دليلٌ علىٰ أنهم عبيد مقهورون.

﴿٨٧﴾ ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ هذا خطاب لمن يحضر الميتَ من أقاربه وغيرهم، **يعني**: تنظرون إليه ولا تقدرون له علىٰ شيء.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٥١٩) بلاغًا. وقال السيوطي في تدريب الراوي (١/ ٢٤٢): «صنف ابن عبد البر كتابا في وصل ما في الموطأ من المرسل والمنقطع، والمعضل، قال: وجميع ما فيه من قوله: «بلغني»، ومن قوله: «عن الثقة» عنده مما لم يسنده: أحدٌ وستون حديثا، كلها مسندة من غير طريق مالك، إلا أربعة لا تعرف» وذكر منها هذا الحديث.

وأخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٣٧١) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، وإسناده ضعيف جدًّا، فيه الواقدي، وهو متروك (تقريب التهذيب ٨٨٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٧٠)، والبيهقي (٦٤٥٥).

(٨٨) ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ **يحتمل أن يريد قُرْب نفسه تعالىٰ بعلمه واطِّلاعه، أو قرب الملائكة الذين يقبضون الأرواح، فيكون من قرب المسافة.**

﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ **إن أراد بقوله: ﴿نَحْنُ أَقْرَبُ﴾: الملائكة فقوله: ﴿لَّا تُبْصِرُونَ﴾ من رؤية العين، وإن أراد نفسه تعالىٰ: فهو من رؤية القلب.**

(٨٩) (٩٠) ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿لَوْلَآ﴾ **هنا عرْض كالأولىٰ، وكررت للتأكيد والبيان لما طال الكلام، والفعل الذي دخلت عليه ﴿لَوْلَآ﴾ الأولىٰ والثانية قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾؛ أي: هلَّا رددتم النفس إلىٰ الجسد إذا بلغت الحلقوم ﴿إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: غير مربوبين ومقهورين، فافعلوا ذلك إن كنتم صادقين في كفركم. وترتيب الكلام: فلولا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقومَ إن كنتم غير مدينين؟ فارجعوها إن كنتم صادقين.**

(٩١) ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ **الضمير في ﴿كَانَ﴾ للمتوفَّىٰ. وكرر هنا ما ذكره في أول السورة من تقسيم الناس إلىٰ ثلاثة أصناف: السابقين، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال. فالمراد بـ﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ هنا: السابقون المذكورون هناك.**

(٩٢) ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ **الرَّوح: الاستراحة، وقيل: الرحمة، وروي أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿فَرُوْحٌ﴾ بضم الراء[1]، ومعناه الرحمة، وقيل: الخلود، أي: بقاء الروح. وأما الريحان: فقيل: إنه الرزق، وقيل: الاستراحة، وقيل: الطيب، وقيل: الريحان المعروف في الدنيا يلقاه في الجنة. وفي قوله: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ ضرب من ضروب التجنيس.**

(٩٤) ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ **معنىٰ هذا علىٰ الجملة: نجاة أصحاب اليمين وسعادتهم. والسَّلام هنا يحتمل أن يكون: بمعنىٰ السلامة، أو التحية. والخطاب في ذلك يحتمل: أن يكون للنبي ﷺ، أو لأحد أصحاب اليمين. فإن كان للنبي ﷺ: فالسلام بمعنىٰ السلامة، والمعنىٰ: سلام لك يا محمد منهم، أي: لا ترىٰ فيهم إلا السلامة من العذاب.**

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٣٥٢)، وأبو داود (٣٩٩١)، والترمذي (٢٩٣٨) وحسنه، والنسائي في الكبرىٰ (١١٥٠٢)، والحاكم (٢٩٢٤) وصححه ووافقه الذهبي، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وإن كان الخطاب لأحد أصحاب اليمين: فالسلام بمعنىٰ التحية، والمعنىٰ: سلام لك، أي: تحية لك يا صاحب اليمين من إخوانك، وهم أصحاب اليمين، أي: يسلمون عليك، فهو كقوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾، أو يكون بمعنىٰ السلامة، والتقدير: سلامة لك يا صاحب اليمين، ثم يكون قوله: ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ خبر ابتداء مضمر تقديره: أنت من أصحاب اليمين.

﴿٩٢﴾ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ **يعني**: الكفار، وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة.

﴿٩٣﴾ ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ **النُّزل**: أول شيء يُقدَّم للضيف.

﴿٩٥﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ **الإشارة إلىٰ** ما تضمنته هذه السورة من أحوال الخلق في الآخرة. و﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾: معناه الثابت من اليقين. **وقيل**: إن الحق واليقين بمعنىٰ واحد، فهو من إضافة الشيء إلىٰ نفسه، **كقولك**: مسجد الجامع. **واختار ابن عطية** أن يكون كقولك في أمر تؤكده: «هذا يقين اليقين» أو «صواب الصواب»، بمعنىٰ: أنه نهاية الصواب[1].

﴿٩٦﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»[2]. فلذلك استحب مالك[3] وغيره أن يقول في السجود: «سبحان ربي الأعلىٰ»، وفي الركوع: «سبحان ربي العظيم»، وأوجبه الظاهرية[4].

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٢١٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤١٤)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، وابن خزيمة (٦٠٠)، وابن حبان (١٨٩٨)، والحاكم (٨١٨) من حديث عقبة بن عامر ﷺ، وصححه الحاكم، وتعقَّبه الذهبي بقوله: «إياس [بن عامر] ليس بالمعروف»، وقال ابن حبان في صحيحه: «إياس بن عامر من ثقات المصريين»، وقال ابن حجر في تقريب التهذيب (١٥٧): «صدوق».

(٣) وأحمد في إحدىٰ الروايتين.

(٤) وأحمد في الرواية الأخرىٰ، وهي المذهب عند المتأخرين. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/ ٦٧٠).

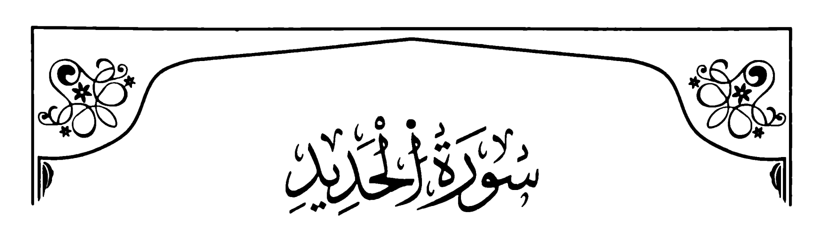
ويحتمل أن يكون المعنىٰ: سبِّح الله بذكر أسمائه، والاسم هنا: جنس الأسماء، و ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ صفة للرب، أو يكون الاسم هنا واحدًا، و ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ صفة له، فكأنه أمره أن يسبح بالاسم الأعظم، ويؤيد هذا ويشير إليه: اتصال سورة «**الحديد**» بها، وفي أولها التسبيح وجملةٌ من أسماء الله وصفاته.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: اسم الله الأعظم موجود في ست آيات من أول سورة الحديد[1]. وروي أن الدعاء بعد قراءتها مستجاب[2].



(١) عزاه إلىٰ ابن عباس رضي الله عنهما في المحرر الوجيز (٨/ ٢١٦)، ولم أقف عليه من قوله، وعزاه في الدر المنثور (١٤/ ٢٦٢) إلىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال: «أخرجه ابن النجار في تاريخ بغداد، بسند ضعيف»، وساقه السيوطي في جمع الجوامع (١٨/ ٣٣٩) بإسناد ابن النجار، وفيه عمرو بن ثابت الكوفي، متروك رُمي بالرفض. تهذيب الكمال (٢١/ ٥٥٣).

(٢) في الأثر المتقدم عن علي رضي الله عنه.



سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ * ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لاَ تُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُومِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدَ اخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّومِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنَ انفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾

﴿١﴾ ﴿سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ **هذا التسبيح المذكور هنا وفي أول سائر السور المسبِّحات يحتمل أن يكون حقيقةً**، وأن يكون بلسان الحال؛ لأن كلَّ ما[1] في السماوات والأرض دليلٌ على وجود الله وقدرته وحكمته، والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وذكر التسبيح هنا وفي «الحشر» و«الصف» بلفظ الماضي، وفي «الجمعة» و«التغابن» بلفظ المضارع، وكل واحد منهما يقتضي الدَّوام.

(١) في ب، د: «من».

﴿٣﴾ ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ أي: الذي ليس لوجوده بداية، ولا لبقائه نهاية.

﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ أي: **الظاهر** للعقول بالأدلة والبراهين الدالَّة عليه، **الباطن**: الذي لا تدركه الأبصار، **أو الباطن** الذي لا تصل العقول إلىٰ معرفة كُنْه ذاته. **وقيل: الظاهر**: العالي علىٰ كل شيء، فهو من قولك: ظهَرتُ علىٰ الشيء: إذا علوتَ عليه، **والباطن**: الذي بطَن كل شيء أي: علم باطنه، **والأول أظهر وأرجح**[1]. ودخلت الواو بين هذه الصفات؛ لتدل علىٰ أنه تعالىٰ جامعٌ لها، مع اختلاف معانيها. وفي ذلك مطابقة لفظية، وهي من أحسن أدوات البيان.

﴿٤﴾ ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ قد ذُكِر، وكذلك ما بعده[2].

﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ **يعني**: أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته، **وأجمع العلماء علىٰ تأويل هذه الآية بذلك.**

﴿٦﴾ ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ﴾ ذكر في «**الحج**»[3]، و«**لقمان**»[4].

﴿٧﴾ ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ **يعني**: الإنفاق في سبيل الله وطاعته. **روي أنها** نزلت في الإنفاق في غزوة تبوك، وعلىٰ هذا: روي أن قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ﴾ نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإنه جهز جيش العسرة يومئذ[5]. ولفظ الآية مع ذلك عام، وحكمها باق لجميع الناس. وقوله: ﴿مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ **يعني**: أن الأموال التي بأيديكم إنما هي أموال الله؛ لأنه خلقها، ولكنه متَّعكم بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها،

---

(١) [**التعليق ١٠٣**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: قولُ المؤلِّفِ: «والأوَّلُ أظهَرُ وأرجَح»: **أقولُ**: يريد: القولَ الأوَّلَ في تفسيرِ الظاهِرِ والباطِنِ مِن أسماءِ الله، والصوابُ في تفسيرِ هذَيْنِ الاسمَيْنِ هو القولُ الثاني؛ لأنه الموافِقُ لتفسيرِه ﷺ؛ إذْ قال في الدعاءِ: «**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**» [أخرجه مسلم (٢٧١٣)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه].

وإنَّما رجَّح المؤلِّفُ القولَ الأوَّلَ؛ فرارًا مِن إثباتِ علوِّه تعالىٰ بذاتِهِ فوقَ مخلوقاتِهِ، ونفيُ ذلك هو مذهبُ الأشاعِرةِ، وإثباتُهُ هو مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ؛ كما تقدَّم قريبًا [انظر التعليق ١٠٢].

(٢) انظر تفسير الآية (٥٣) من سورة الأعراف، وتفسير الآية (٢) من سورة سبأ.

(٣) انظر تفسير الآية (٥٩).

(٤) انظر تفسير الآية (٢٨).

(٥) قاله الضحاك كما في المحرر الوجيز (٨/ ٢٢٠).

فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء، فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكها أن تنفقوها فيه. ويحتمل أن يعني: ﴿جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ﴾ ممن كان قبلكم فورثتم عنهم الأموال، فأنفقوها قبل أن تخلِّفوها لمن بعدكم، كما خلَّفها لكم مَن كان قبلكم. **والمقصود على كل وجه**: تحريضٌ على الإنفاق وتزهيدٌ في الدنيا.

﴿٨﴾ ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُومِنُونَ بِاللَّهِ﴾ **معناه**: أيُّ شيء يمنعكم من الإيمان، والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة والمعجزات الظاهرة؟ فقوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهام يراد به الإنكار، و ﴿لاَ تُومِنُونَ﴾ في موضع الحال من معنى الفعل الذي يقتضيه ﴿مَا لَكُمْ﴾[1] ، والواو في قوله: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال.

﴿وَقَدَ اَخَذَ مِيثَٰقَكُمُۥٓ﴾ **يحتمل أن يكون هذا الميثاق** ما جَعل في العقول من النظر الذي يؤدي إلى الإيمان، أو يكون الميثاق الذي أخذه على بني آدم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام، وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى.

﴿٩﴾ ﴿هُوَ أَلذِے يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍ﴾ **يعني**: محمدًا ﷺ، **والعبودية هنا**: للتشريف والاختصاص، **والآيات هنا**: القرآن.

﴿١٠﴾ ﴿وَمَا لَكُمُۥٓ أَلاَّ تُنفِقُواْ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِ﴾ **معناه**: أيُّ شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله والله يرث ما في السماوات والأرض إذا أفنى[2] أهلها؟ ففي ذلك تحريضٌ على الإنفاق وتزهيد في الدنيا.

﴿لاَ يَسْتَوِے مِنكُم مَّنَ اَنفَقَ مِن قَبْلِ اِ۬لْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ **الفتح هنا**: فتح مكة، **وقيل**: صلح الحديبية، **والأول أظهر وأشهر**.

ومعنى الآية: التفاوت في الأجر والدرجات بين من أنفق في سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة، وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك؛ فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفًا، والحاجة إلى الإنفاق والقتال كانت أشد.

---

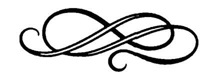
(١) قال في الكشاف (١٥/ ٢٣٣): «كما تقول: مالك قائمًا، بمعنى: ما تصنع قائمًا».

(٢) في د: «فني».

ويؤخذ من الآية: أن من أنفق في شدةِ الحاجة أعظمُ أجرًا ممن أنفق في حال الرخاء. وفي الآية حذفٌ دلَّ عليه الكلام، تقديره: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق من بعد الفتح وقاتل، ثم حذف هذا؛ لدلالة قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾.

وفي هذا المعنىٰ قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثلَ أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفه»[1]، يعني: السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة، ويدخل في الخطاب كل من يأتي إلىٰ يوم القيامة.

﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ أي: كل واحدة من الطائفتين الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدهم الله الجنة.



(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) عن أبي سعيد ﷺ، ومسلم (٢٥٤٠) عن أبي هريرة ﷺ.

مَّن ذَا ٱلذِے يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَٰعِفُهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُومِنِينَ وَٱلْمُومِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرِيٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا ٱلَانْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُوراًۖ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُۖ يُنَادُونَهُمُۥٓ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمُۥٓ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلَامَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ ٱلْغَرُورُۖ ﴿١٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُوخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلذِينَ كَفَرُواْۖ مَأْوِيٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلِيٰكُمْۖ وَبِيسَ ٱلْمَصِيرُۖ ﴿١٤﴾ ۞أَلَمْ يَانِ لِلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّۖ وَلَا يَكُونُواْ كَالذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلَامَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَۖ ﴿١٥﴾ إِعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلَارْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَۖ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌۖ ﴿١٧﴾ وَالذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَالشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمُۥٓ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ وَالذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِۖ ﴿١٨﴾

﴿١١﴾ ﴿مَّن ذَا ٱلذِے يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ ذكر في «البقرة»[1].

﴿١٢﴾ ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ العامل في الظرف: ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، أو تقدير: اذكر.

﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ قيل: إن هذا النور استعارةٌ يراد به الهدىٰ والرضوان. والصحيح هو قول الجمهور: أنه حقيقة، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ[2]، فالمعنىٰ علىٰ هذا: أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نورٌ يضيء قُدَّامهم وعن يمين كل واحد منهم، وقيل: يكون أصله في أيمانهم، يحملونه فينبسط[3] نوره قدَّامهم. وروي أن نور كل

(١) انظر تفسير الآية (٢٤٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٩٧-٣٩٨) عن قتادة قال: ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلىٰ عدنِ أَبْيَنَ، فصنعاءَ، فدونَ ذلك، حتىٰ إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه»، وهو مرسل.

(٣) في ب: «فيسطع».

أحد علىٰ قدْر إيمانه، فمنهم من يكون نوره كالنخلة السَّحوق[١]، ومنهم من يضيء ما قرُب من قدميه، ومنهم من يضيء مرة ويَهِمُّ بالانطفاء مرة[٢]. **قال ابن عطية**: ومن هذه الآية أخذ الناس مَشْيَ الـمُعتَق بالشمعة قُدَّام مُعتِقه إذا مات[٣].

﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ تقديره: يقال لهم ذلك.

﴿١٣﴾ ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ ﴿يَوْمَ﴾: بدلٌ من ﴿يَوْمَ تَرَى﴾، أو متعلِّق بـ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ، أو بمحذوف تقديره: اذكر. **ومعنىٰ الآية**: أن كل مؤمن ومُظْهرٍ للإيمان يُعطىٰ يوم القيامة نورًا، فيبقىٰ نور المؤمنين، وينطفئ نور المنافقين، فيقول المنافقون للمؤمنين: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ أي: نأخذ منه ونستضيء به.

ومعنىٰ ﴿ٱنظُرُونَا﴾: انتظرونا، وذلك لأن المؤمنين يُسرعون إلىٰ الجنة كالبرق الخاطف، والمنافقون ليسوا كذلك، ويحتمل أن يكون من النظر؛ أي: انظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضاؤوا بنورهم، **ولكن يَضْعف هذا؛ لأن «نظَر»** إذا كان بمعنىٰ النظر بالعين يتعدَّىٰ بـ«إلىٰ». **وقرئ** ﴿أَنظِرُونَا﴾ بهمزة قطع[٤]، ومعناه: أخِّرونا، أي: أمهلوا في مشيكم حتىٰ نَلحقكم.

﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ **يحتمل أن يكون هذا**: من قول المؤمنين، أو من قول الملائكة. ومعناه: الطَّرد للمنافقين، والتهكُّم بهم؛ لأنهم قد علموا أنهم ليس وراءَهم نور. و﴿وَرَآءَكُمْ﴾ ظرفٌ، العامل فيه ﴿ٱرْجِعُوا۟﴾، **وقيل**: إنه لا موضع له من الإعراب، وإنه كما لو قال: «ارجعوا ارجعوا».

ومعنىٰ هذا الرجوع: ارجعوا إلىٰ الموقف فالتمسوا فيه النور، أو ارجعوا إلىٰ الدنيا

---

(١) النخلة السَّحُوق: أي الطويلة التي بَعُد ثمرُها علىٰ المجتني. لسان العرب، مادة (سحق).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٩٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٦)، وابن أبي شيبة (٣٥٧٠٠)، والحاكم (٣٤٢٤) وصححه ووافقه الذهبي، عن ابن مسعود ﷺ.

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٢٢٦).

(٤) قرأ حمزة بقطع الهمزة وكسر الظاء، وقرأ الباقون بوصل الهمزة وضم الظاء.

فالتمسوا النور بتحصيل الإيمان، أو ارجعوا خائبين، وتنحَّوا عنا فالتمسوا نورًا آخر، فلا سبيل لكم إلىٰ هذا النور.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ أي: ضُرب بين المؤمنين والمنافقين بسور يفصل بينهم، وفي ذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه. **وقيل**: إن هذا السور هو الأعراف، وهو سور[1] بين الجنة والنار، **وقيل**: هو الجدار الشرقي من بيت المقدس، **وهذا بعيد**.

﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ **باطنه**: هو جهة المؤمنين، **وظاهره**: هو جهة المنافقين وهي خارجهُ، كقولك: ظاهر المدينة أي: خارجها. **والضمير في** ﴿بَاطِنُهُۥ﴾ ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾: يحتمل أن يكون: للسور، أو للباب، **والأول أظهر**.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين فيقولون لهم: ألم نكن معكم في الدنيا؟ يريدون إظهارهم للإيمان.

﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: أهلكتموها وأضللتموها بالنفاق.

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: أبطأتم بإيمانكم، **وقيل**: تربَّصتم الدوائرَ بالنبي ﷺ وبالمسلمين.

﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ أي: شككتم في الإيمان.

﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ أي: طول الأمل والتمني، ومن ذلك أنهم كانوا يتمنون أن يَهلِك النبي ﷺ والمؤمنون، أو يُهزَموا، إلىٰ غير ذلك من الأمانيِّ الكاذبة.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: الفتح وظهور الإسلام، أو موت المنافقين علىٰ الحال الموجبة للعذاب.

﴿ٱلْغَرُورُ﴾ هو الشيطان.

﴿١٤﴾ ﴿هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي: هي أولىٰ بكم، **وحقيقة المولىٰ**: الولي الناصر، فكأنَّ هذا استعارةٌ منه، أي: لا وليَّ لكم تأوون إليه إلَّا النار.

﴿١٥﴾ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ معنىٰ ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾: ألم يَحِنْ، يقال:

---

(١) في ج: «سد».

أَنَىٰ الأمرُ: إذا حان وقته. **وذِكْرُ الله يحتمل أن يريد به: القرآن، أو الذِّكر، أو التذكير** بالمواعظ. وهذه آية موعظة وتذكير. **قال ابن عباس** ﷺ: عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن[1]. وسمع الفضيل بن عياض قارئًا يقرأ هذه الآية فقال: قد آن، فكان سبب رجوعه إلىٰ الله[2]. وحُكي أن عبد الله بن المبارك أخذ العود في صباه ليضربه، فنطق بهذه الآية، فكسره ابن المبارك، وتاب إلىٰ الله[3].

﴿وَلَا يَكُونُواْ كَالَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ﴾ عَطَفَ ﴿وَلَا يَكُونُواْ﴾ علىٰ ﴿أَن تَخْشَعَ﴾، **ويحتمل أن يكون نهيًا. والمراد**: التحذير من أن يكون المؤمنون كأهل الكتب المتقدمة وهم اليهود والنصارىٰ.

﴿وَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ **أي**: مدة الحياة، **وقيل**: انتظار القيامة، **وقيل**: انتظار الفتح، **والأول أظهر**.

(١٦) ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ **أي**: يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات. **وقيل**: إنه تمثيل للقلوب؛ **أي**: يحيي الله القلوب بالمواعظ كما يحيي الأرض بالمطر، وفي هذا تأنيس للمؤمنين الذين نُدبوا إلىٰ أن تخشع قلوبهم، **والأول أرجح**؛ لأنه الحقيقة.

(١٧) ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ﴾ بتشديد الصاد، من الصدقة، وأصله: «المتصدقين»، وكذلك قرأ أُبيّ بن كعب[4]. وقرئ بالتخفيف[5] من التصديق، أي: صدَّقوا الرسولَ ﷺ.

﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ﴾ معطوف علىٰ المعنىٰ، كأنه قال: «إن الذين تصدقوا وأقرضوا». وقد ذكرنا معنىٰ ﴿أَقْرَضُواْ﴾ في قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

(١٨) ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ مبالغة من الصِّدق، أو من التصديق. **وكونه من الصِّدق أرجح**؛ لأن صيغة «فِعِّيل» لا تبنىٰ إلَّا من فعل ثلاثي في الأكثر، وقد حُكي بناؤها من رباعي، كقولهم: رجل مِسِّيكٌ: مِن أَمسك.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٨).
(٢) ذكرها الثعلبي بإسناده في تفسيره (٢٦/ ٦٦).
(٣) ذكرها الثعلبي بإسناده في تفسيره (٢٦/ ٦٩).
(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٢٣٢).
(٥) قرأ ابن كثير وشعبة عن عاصم بتخفيف الصاد، وقرأ الباقون بالتشديد.

﴿وَالشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ **يحتمل أن يكون** ﴿الشُّهَدَآءُ﴾: مبتدأ وخبره ما بعده، **أو يكون معطوفًا على الصِّدِّيقين. فإن كان مبتدأ: ففي المعنىٰ قولان:**

أحدهما: أنه جمع شهيد في سبيل الله، فأخبر أنهم عند ربهم لهم أجرهم ونورهم.

والآخر: أنه جمع شاهد، ويراد بهم الأنبياء ﷺ؛ لأنهم يشهدون علىٰ قومهم.

وإن كان معطوفًا: ففي المعنىٰ قولان:

أحدهما: أنه جمع شهيد، فوصف الله المؤمنين بأنهم صِدِّيقون وشهداء، أي: جمعوا الوصفين، وروي في هذا المعنىٰ: أن رسول الله ﷺ قال: «مؤمنو أمتي شهداء» وتلا هذه الآية[1].

والآخر: أنه جمع شاهد؛ لأن المؤمنين يشهدون علىٰ الناس، كقوله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٢].

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ **هذا خبرٌ عن الشهداء خاصة إن كان مبتدأ، وخبر عن المؤمنين إن كان** ﴿الشُّهَدَآءُ﴾ **معطوفًا. و**﴿نُورُهُمْ﴾ **هو النور الذي يكون لهم يوم القيامة، حسَبما ذكر في هذه السورة، وقيل: هو عبارة عن الهدىٰ والإيمان.**



(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤١٤) عن البراء بن عازب ﷺ مرفوعًا، وإسناده ضعيف، فيه إسماعيل بن يحيىٰ الشيباني، متهم بالكذب. تهذيب الكمال (٣/ ٢١٣)، وتقريب التهذيب (١٤٥).

إِعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ اَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرِيٰهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰماً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٩﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُوتِيهِ مَنْ يَّشَآءُ وَاللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمُۥٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢١﴾ لِّكَيْلَا تَاسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتِيٰكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٢﴾ ٱلذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَامُرُونَ ٱلنَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَّتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٣﴾ لَقَدَ اَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَنْ يَّنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِالْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٤﴾

﴿١٩﴾ ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ اَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ **الآيةَ؛ معناها:** تشبيه الدنيا بالزرع الذي يُنبته الغيث في سرعة تغيُّره بعد حسنه، وتحطُّمه بعد ظهوره. و﴿ٱلْكُفَّارَ﴾ هنا يراد به: الزُّرَّاع، فهو من قولهم: كفَرتُ الحبَّ: أي سترتُه تحت الأرض، وخصَّهم بالذكر؛ لأنهم أهل البصَر بالزرع والفِلاحة، فلا يعجبهم إلا ما هو حقيقٌ أن يُعجِب.

وقيل: أراد الكفار بالله، وخصَّهم بالذكر؛ لأنهم أشد إعجابًا بالدنيا وأكثر حرصًا عليها.

﴿٢٠﴾ ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ **أي:** سابقوا إلى الأعمال التي تستحقون بها المغفرة، **فقيل:** المعنىٰ: كونوا في أول صفٍّ من القتال، **وقيل:** احضروا تكبيرة الإحرام مع الإمام، **وقيل:** كونوا أول داخل إلىٰ المسجد، وآخر خارج منه، وهذه أمثلة، **والمعنىٰ العام:** المسابقة إلىٰ جميع الأعمال الصالحة. وقد استدل بها قوم علىٰ أن الصلاة في أول الوقت أفضل.

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ **السماء هنا يراد به:** جنس السماوات، بدليل قوله في **«آل عمران»:** ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ، وقد ذكرنا هناك معنىٰ ﴿عَرْضُهَا﴾.

(٢١) ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ **المعنىٰ**: أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تكون، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه علىٰ الماء**»[١].

والمصيبة هنا: عبارة عن كل ما يُصيب[٢] من خير أو شر، **وقيل**: أراد به المصيبة في العرف، وهو ما يصيب من الشر، وخصَّ ذلك بالذكر؛ لأنه أهم علىٰ الناس.

و﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ **يعني**: القحوط والزلازل وغير ذلك. و﴿فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ **يعني**: الموت، والفقر، وغير ذلك. و ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾ معناه: نخلقها. **والضمير يعود**: علىٰ المصيبة، أو علىٰ أنفسكم، أو علىٰ الأرض، **وقيل**: يعود علىٰ جميعها؛ لأن المعنىٰ صحيح في كلها.

(٢٢) ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ **المعنىٰ**: فعَل الله ذلك وأخبركم به لكي تُسلِّموا لقضاء الله، ولا تكترثوا بأمور الدنيا. ومعنىٰ ﴿لَا تَأْسَوْا۟﴾: لا تحزنوا، أي: فلا تحزنوا علىٰ ما فاتكم منها ولا تفرحوا بها. وقرأ الجمهور: ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ بالمدِّ؛ أي: بما أعطاكم الله من الدنيا. وقرأ أبو عمرٍو: ﴿بِمَآ أَتَاكُمْ﴾ بالقصر؛ أي: بما جاءكم من الدنيا. **فإن قيل**: إن الإنسان لا يملك نفسه عن أن يفرح بالخير ويحزن للشر، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه -لما أُتي بمال كثير-: «**اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا**»[٣].

فالجواب: أن النهي عن الفرح إنما هو عن الذي يقود إلىٰ الكِبْر والطغيان، وعن الحزن الذي يُخرج عن الصبر والتسليم.

﴿كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ **المختال**: صاحب الخيلاء، **والفخور**: الشديد الفخر علىٰ الناس.

(٢٣) ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بدل من ﴿كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ، أو خبر ابتداء مضمر تقديره: هم الذين، أو منصوب بإضمار: أعني، أو مبتدأ وخبره محذوف[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما.

(٢) في ب زيادة: «الإنسان».

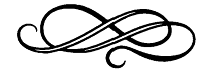
(٣) ليس هذا من قول أبي بكر رضي الله عنه، وإنما هو من قول عمر رضي الله عنه، أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٧)، وابن أبي شيبة (٣٤٤٧٤)، والبخاري تعليقًا (٨/ ٩٣).

(٤) معناه الوعيد والذم. المحرر الوجيز (٨/ ٢٣٧).

﴿٢٥﴾ ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ **الكتاب هنا**: جنس الكتب. **والميزان**: العدل، **وقيل**: الميزان الذي يوزن به. وروي أن جبريل نزل بالميزان ودفعه إلىٰ نوح وقال له: مُرْ قومك يزنوا به[1].

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ عبَّر عن خلقه وإيجاده بالإنزال، **وقيل**: بل أنزله حقيقة؛ لأن آدم عليه السلام نزل من الجنة ومعه المطرقة والإبرة[2].

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ **يعني**: أنه يُعمل منه سلاحٌ للقتال، ولذلك قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾. **والمنافع للناس**: سكك الحرث والمسامير وغير ذلك.



(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (١٥/ ٢٥٤)، ولم أقف عليه مسندًا.
(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٢٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

﴿٢٦﴾ ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي: من ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام مهتدون قليلون، وأكثرهم فاسقون؛ لأن منهم اليهود والنصارىٰ وغيرهم.

﴿٢٧﴾ ﴿قَفَّيْنَا﴾ ذكر في «البقرة»[1].

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ هذا ثناء عليهم بمحبة بعضهم في بعض، كما وصف أصحاب محمد ﷺ بأنهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ الرهبانية: هي الانفراد في الجبال، والانقطاع عن الناس في الصوامع، ورفض النساء وترك الدنيا. ومعنىٰ ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾: أحدثوها من غير أن يشرعها الله لهم. وإعراب ﴿رَهْبَانِيَّةً﴾ معطوف علىٰ ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾، أي: جعل الله في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية، و﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ صفة للرهبانية، والجعْل هنا بمعنىٰ الخلق. والمعتزلة يعربون ﴿رَهْبَانِيَّةً﴾ مفعولًا بفعل مضمر يفسِّره ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾؛ لأن مذهبهم أن الإنسان يخلق أفعاله، فأعربوها علىٰ مذهبهم، وكذلك أعربها أبو علي الفارسي[2].

وذكر الزمخشري الوجهين[3][4].

(١) انظر تفسير الآية (٨٦).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٨/ ٢٤٠).

(٣) الكشاف (١٥/ ٢٥٨-٢٥٩).

(٤) [التعليق١٠٤] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قولُ المؤلِّف: «وإعرابُ «رَهْبَانِيَّةً»: معطوفٌ علىٰ «رَأْفَةً وَرَحْمَةً»...»، إلخ: أقولُ: تضمَّن كلامُ المؤلِّفِ ذكرَ الوجهَيْنِ في إعرابِ «رَهْبَانِيَّةً»؛ هل هي عطفٌ علىٰ =

﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ **كتبنا هنا: بمعنىٰ فرضنا وشرعنا. وفي هذا قولان:**

أحدهما: أن الاستثناء منقطع، والمعنىٰ: ما كتبنا عليهم الرهبانية، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم؛ ابتغاءَ رضوان الله.

والآخر: أن الاستثناء متصل، والمعنىٰ: كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ ولقراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها»[1].

﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي: لم يدوموا عليها، ولم يحافظوا علىٰ الوفاء بها، يعني: أن جميعهم لم يرعوها وإن رعاها بعضهم. والضمير في ﴿رَعَوْهَا﴾ للذين ابتدعوا الرهبانية، وكان يجب عليهم إتمامها، وإن لم يكتبها الله سبحانه وتعالىٰ عليهم؛ لأن من دخل في شيء من النوافل وجب عليه إتمامه. **وقيل:** الضمير لمن جاء بعد الذين ابتدعوا الرهبانية من أتباعهم.

(٢٧) ﴿وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ **إن قيل:** كيف خاطب الذين آمنوا وأمرهم بالإيمان وتحصيل الحاصل لا يُبتغَىٰ؟ **فالجواب من وجهين:**

أحدهما: أن معنىٰ ﴿ءَامِنُواْ﴾ دوموا علىٰ الإيمان واثبتوا عليه.

والآخر: أنه خطاب لأهل الكتاب، **فالمعنىٰ:** يا أيها الذين آمَنوا بموسىٰ وعيسىٰ آمِنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويؤيد هذا: قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي: نصيبين،

= «رَأْفَةً وَرَحْمَةً»، أو نصبٌ علىٰ الاشتغالِ بفعلٍ محذوفٍ يفسِّرُهُ ما بعده، والتقديرُ: وابتدَعُوا رهبانيَّةً؟ ورجَّح المؤلِّفُ الوجهَ الأوَّل، ونسَبَ الثانيَ للمعتزِلةِ؛ حيثُ زعَمُوا أنَّ ذلك لئلا يتعلَّقَ الجَعْلُ - بمعنىٰ الخلقِ - بالرهبانيَّةِ، وهي مِن فعلِ العبدِ، وعندَهم: أنَّ العبدَ هو الذي يخلُقُ فعلَهُ.

وأقولُ: إنَّ الإعرابَ الثانيَ هو الراجِحُ، وقد ذهَبَ إليه جَمْعٌ؛ كالزَّجَّاجِ والعُكْبَرِيِّ، والبغويِّ والقُرْطُبِيِّ، وابنِ القيِّمِ وابنِ عاشورٍ وغيرِهم؛ وذلك لأنَّ مفعولَ «جعَلَ» في الآيةِ مقيَّدٌ في القلوبِ: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ﴾ [الحديد:٢٧]، والرهبانيَّةٌ: سلوكٌ ظاهِرٌ، وليس في إعرابِ «رهبانيَّةً» علىٰ الوجهِ الثاني، حجَّةٌ للمعتزِلة، ولا منفعةٌ للمخالِفِ؛ قاله الشيخُ الطاهِرُ بنُ عاشورٍ رحمه الله [في التحرير والتنوير (٢٧/ ٤٢٣)].

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٢٤٠).

وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يؤتَون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي...**» الحديث[1].

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ **يحتمل أن يريد**: النور الذي يسعىٰ بين أيدي المؤمنين يوم القيامة، أو يكون عبارة عن الهدىٰ. **ويؤيد الأول**: أنه مذكور في هذه السورة، **ويؤيد الثاني**: قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُوراً يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام:١٢٣].

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ «لا» في قوله: ﴿لِّئَلَّا﴾ زائدة، **والمعنىٰ**: ليعلم أهل الكتاب، وكذلك قرأها ابن عباس رضي الله عنهما[2]، وقرأ ابن مسعود: «لكي يعلم»[3]. **والمعنىٰ إن كان الخطاب لأهل الكتاب**: يا أهل الكتاب آمِنوا بمحمد ﷺ؛ ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لا يقدرون علىٰ شيء من فضل الله الذي وعد مَن آمن منكم، وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة؛ لأنهم لم يُسلموا، فلا ينالون شيئًا من ذلك.

وإن كان الخطاب للمسلمين فالمعنىٰ: ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرون أن ينالوا شيئًا مما أعطىٰ الله المسلمين من تضعيف الأجر والنور والمغفرة.

وقد روي أن سبب الآية: أن اليهود افتخرت علىٰ المسلمين، فنزلت الآية في الرد عليهم[4]، فهذا يقوي هذا القول.

وروي أيضًا أن سببها: أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا علىٰ غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجرهم مرتين[5]، فنزلت الآية مُعْلمةً أن المسلمين مثلهم في ذلك.

---

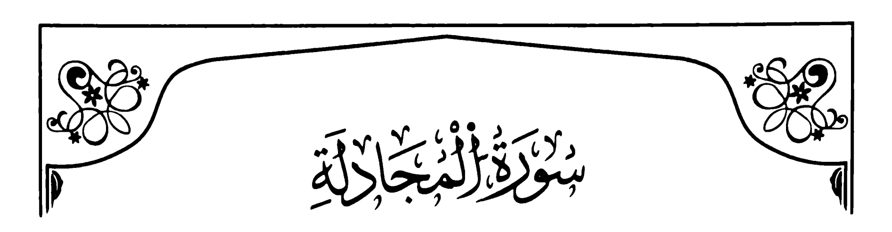
(١) تقدم تخريجه.

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٢٤٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٣٦) عن سعيد بن جبير، وهو مرسل. تخريج أحاديث الكشاف، للزيلعي (٣/ ٤١٩).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤١) عن مقاتل بن حيان.



قَدْ سَمِعَ اَللَّهُ قَوْلَ اَلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى اَللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ اَللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ اَلذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمُۥٓ إِنُ اُمَّهَٰتُهُمُۥٓ إِلَّا اَلَٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ اَلْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اَللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَالذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَّتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَّتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَٰلِكَ لِتُومِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ اُللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ اَلِيمٌ ۝٤ إِنَّ اَلذِينَ يُحَآدُّونَ اَللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ اَلذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدَ اَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اُللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصِيهُ اُللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦

۝١ ﴿قَدْ سَمِعَ اَللَّهُ قَوْلَ اَلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ **نزلت الآية في خولة بنت حكيم، وقيل:** خولة بنت ثعلبة، **وقيل:** خولة بنت خويلد، **وقيل:** اسمها: جميلة. وكانت امرأةَ أوس بن الصامت الأنصاري أخي عبادة بن الصامت ﷺ، فظاهر منها، وكان الظِّهار في الجاهلية يوجب تحريمًا مؤبَّدًا، فلما فعل أوسٌ ذلك جاءت امرأته إلىٰ رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: إن أوسًا أكل شبابي ونثرتُ له بطني[1]، فلما كَبِرتُ ومات أهلي ظاهر مني! فقال رسول الله ﷺ: «ما أراك إلا قد حرمتِ عليه»، فقالت: يا رسول الله لا تفعل! فإني وحيدة، ليس لي أهل سواه، فراجعها رسول الله ﷺ بمثل مقالته فراجعته، فهذا هو جدالها[2].

(١) أرادت أنها كانت شابة تلد الأولاد عنده. النهاية لابن الأثير (٩/ ٤٠٦٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٤٦) وما بعدها في عدة آثار اختصر ابن جزي سياقها.

﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ كانت تقول: «اللهم إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفقري»[١]. وروي أنها كانت تقول: «اللهم إن لي منه صبيةً صغارًا إن ضممتهم إليَّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا»[٢].

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ **المحاورة**: هي المراجعة في الكلام. قالت عائشة ﵂: سبحان من وسع سمعه الأصوات! لقد كنت حاضرة وكان بعض كلام خولة يخفىٰ عليَّ وسمع الله كلامها[٣]. ونزل القرآن في ذلك، فبعث رسول الله ﷺ في زوجها وقال له: «أَتُعتِق رقبة؟»، فقال: والله ما أملكها. فقال: «أتصوم شهرين متتابعين؟»، فقال: والله ما أقدر، فقال له: «أتطعم ستين مسكينًا؟» فقال: لا أجد إلا أن يعينني رسول الله ﷺ بمعونة وصلاة، يريد الدعاء، فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعًا، وقيل: بثلاثين صاعًا ودعا له، فكفَّر بالإطعام وأمسك زوجته[٤].

﴿الَّذِينَ يُظَّهَّرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم﴾ قرئ ﴿يَظَّهَّرُونَ﴾ بألف بعد الظاء وبحذفها، وبالتشديد والتخفيف[٥]، والمعنىٰ واحد وهو إيقاع الظِّهار. **والظهار المجمع عليه**: هو أن يقول الرجل لامرأته: «أنت عليَّ كظهر أمي». ويجري مجرىٰ ذلك عند مالك[٦]: تشبيه الزوجة بكل امرأة محرَّمة علىٰ التأبيد، كالبنت والأخت وسائر المحرمات بالنسب، والمحرمات بالرضاع والمصاهرة، سواءٌ ذكَر لفظ الظَّهْر أو لم يذكره، كقوله: «أنت علي كأمي» أو «كبطن أمي» أو «يدها» أو «رجلها»، خلافًا للشافعي؛ فإن ذلك كلَّه ليس عنده بظهار؛ لأنه وقَف عند لفظ

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٥١) في رواية محمد بن كعب القرظي.

(٢) تفسير الثعلبي (٢٦/ ١٢٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٥٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٢)، وأحمد (٢٤١٩٥)، والنسائي (٣٤٠٦)، وابن ماجه (١٨٨)، والحاكم (٣٧٩١) وصححه ووافقه الذهبي، والبخاري تعليقا (٩/ ١١٧) بلفظ: «الحمد لله -أو تبارك- الذي وسع سمعه الأصوات..».

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٤٩) من طريق العوفي عن ابن عباس ﵄.

(٥) قرأ عاصم: ﴿يُظَاهِرون﴾ بضم الياء وتخفيف الظاء والهاء وكسرها وألف بينهما، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ﴿يَظَّاهَرون﴾ بفتح الياء وتشديد الظاء وألف بعدها وبتخفيف الهاء وفتحها، وقرأ الباقون كذلك ولكنهم بتشديد الهاء من غير ألف ﴿يَظَّهَّرون﴾.

(٦) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ٢٢٨).

الآية، وقاس مالك عليه؛ لأنه رأىٰ أن المقصد تشبيه حلال بحرام.

﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ﴾ ردَّ الله بهذا علىٰ من كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة، وأخبر تعالىٰ أن تصيير الزوجة أمًّا باطلٌ؛ فإن الأم في الحقيقة إنما هي الوالدة.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ﴾ أخبر تعالىٰ أن الظهار منكر وزور، **فالمنكر**: هو الذي لا تعرف له حقيقة، **والزور**: هو الكذب، وإنما جعله كذبًا؛ لأن المظاهر يصيِّر امرأته كأمه، وهي لا تصير كذلك أبدًا. **والظهار محرَّم، ويدل علىٰ تحريمه أربعة أشياء**:

أحدها: قوله تعالىٰ: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ﴾؛ فإن ذلك تكذيب للمُظاهر.

والثاني: أنه سماه منكرًا.

والثالث: أنه سماه زورًا.

والرابع: قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾، فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن ذنب. وهو مع ذلك لازم للمظاهر حتىٰ يرفعَه بالكفارة.

﴿٣﴾ ﴿وَالذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ اختَلف الناس في معنىٰ قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾ **علىٰ ستة أقوال**:

الأول: أنه إيقاع الظهار في الإسلام، فالمعنىٰ: أنهم كانوا يظاهرون في الجاهلية، فإذا فعلوه في الإسلام فذلك عَودٌ إليه، **هذا قول ابن قتيبة**[1]، فتجب الكفارة عنده بنفس الظهار، بخلاف أقوال غيره، فإن الكفارة لا تجب إلا بالظهار والعَود معًا.

الثاني: أن العود هو وطء الزوجة، روي ذلك عن مالك[2]، فلا تجب الكفارة علىٰ هذا حتىٰ يطأ، فإذا وطئ[3] وجبت عليه الكفارة، سواءٌ أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت.

الثالث: أن العود هو العزم علىٰ الوطء، وروي هذا أيضًا عن مالك، فإذا عزم علىٰ الوطء وجبت الكفارة، سواءٌ أمسك الزوجة أو طلَّقها أو ماتت.

---

(١) غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٤٥٦-٤٥٧).

(٢) وهو قول أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ٢٦٨).

(٣) في ب، ج: «وطئها».

الرابع: أن العود هو العزم على الوطء وعلى إمساك الزوجة، وهذا أصح الروايات عن مالك.

الخامس: أنه العزم على الإمساك خاصة، وهذا مذهب الشافعي، فإذا ظاهر ولم يطلقها بعد الظهار لزمته الكفارة.

السادس: أنه تكرار الظهار مرة أخرى، وهذا مذهب الظاهرية، **وهو ضعيف؛** لأنهم لا يرون الظهار يوجب حكمًا في أول مرة، وإنما يوجبه في الثانية، وإنما نزلت الآية فيمن ظاهر أول مرة، فذلك يردُّ عليهم.

ويختلف معنى ﴿لِمَا قَالُواْ﴾ **باختلاف هذه الأقوال**: فأما على قول ابن قتيبة والظاهرية: فـ«ما» مصدرية، **والمعنى**: يعودون لقولهم. وأما على سائر الأقوال فـ«ما» بمعنى «الذي»، **والمعنى**: يعودون للوطء الذي حرَّموه، أو للعزم عليه، أو للإمساك الذي تركوه، أو للعزم عليه.

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ جعل الله الكفارة في الظهار على ثلاثة أنواع مرتبة، لا ينتقل إلى الثاني حتى يعجز عن الأول، ولا ينتقل إلى الثالث حتى يعجز عن الثاني: **فالأول**: تحرير رقبة. **والثاني**: صيام شهرين متتابعين. **والثالث**: إطعام ستين مسكينًا.

فأما الرقبة: فاشترط مالك أن تكون مؤمنة[1]؛ لأن مذهبه حمل المطلق على المقيد، وجاءت هنا مطلقة، وجاءت في كفارة القتل مقيدة بالإيمان.

وأما صيام الشهرين: فاشتُرط فيه التتابع، **فإن أفسد الصائمُ التتابع باختياره**: ابتدأه من أوله باتفاق. **وإن أفسده بعذر كالمرض والنسيان**: **فقال مالك**[2]: يبني على ما كان معه، **وقال أبو حنيفة**: يبتدئ، وروي القولان عن الشافعي.

وأما الإطعام: فمشهور مذهب مالك: أنه مدٌّ لكل مسكين بمد هشام[3]، واختُلف في مد هشام: **فقيل**: إنه مدَّان غيرَ ثلث بمد النبي ﷺ، **وقيل**: إنه مدٌّ وثلث، **وقيل**: إنه مدان.

(١) وهو ظاهر مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ٢٩٨).

(٢) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ٣٣٠).

(٣) هو هشام بن إسماعيل بن الوليد بن المغيرة المخزومي، عامل المدينة لعبد الملك بن مروان. انظر: شرح الزرقاني على الموطأ (٢/ ٢٢٢).

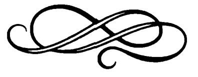
وقال الشافعي وابن القصَّار: يطعم مدًّا بمد النبي ﷺ لكل مسكين[1]. ولا يجزئه إلا كمال عدد الستين، فإن أطعم مسكينًا واحدًا ستين يومًا: لم يُجْزِه عند مالك والشافعي[2]، خلافًا لأبي حنيفة[3]، وكذلك إن أطعم ثلاثين مرتين. والطعام يكون من غالب قوت البلد.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ **مذهب مالك**[4] **والجمهور**: أن المسيس هنا يراد به الوطء وما دونه من اللمس والتقبيل، فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئًا من ذلك حتىٰ يكفِّر. **وقال الحسن والثوري**[5]: أراد الوطء خاصة، فأباحا ما دونه قبل الكفارة. وذكر الله قوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ في التحرير والصوم، ولم يذكره في الإطعام، فاختلف العلماء في ذلك: فحمل مالك[6] الإطعام علىٰ ما قبله، ورأىٰ أنه لا يكون إلا قبل المسيس، وجعل ذلك من المطلق الذي يحمل علىٰ المقيد. **وقال أبو حنيفة**[7]: يجوز للمظاهر إذا كان من أهل الإطعام أن يطأ قبل الكفارة؛ لأن الله لم ينص في الإطعام أنه قبلَ المسيس.

(٤) ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟﴾ **قال ابن عطية**: الإشارة إلىٰ الرخصة في النقل من التحرير إلىٰ الصوم[8]، **وقال الزمخشري**: المعنىٰ: ذلك البيان والتعليم لتؤمنوا[9]، **وهذا أظهر**؛ لأنه أعم.

(٥) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ﴾ أي: يخالفون ويعادون.

﴿كُبِتُوا۟﴾ أي: أُهلكوا، **وقيل**: لُعنوا، **وقيل**: كُبِت الرجل: إذا بقي خَزْيان. ونزلت الآية في المنافقين واليهود[10].



(١) وكذا عند أحمد، مد بر أو مدَّان من غيره بمد النبي ﷺ. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ٣٥٣).
(٢) وأحمد، إلا أن لا يجد غيره فيجزئه في ظاهر مذهبه. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ٣٤٦).
(٣) وأحمد في الرواية الأخرىٰ.
(٤) وأحمد في إحدىٰ الروايتين، وهي المذهب عند الأصحاب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ٢٦٧).
(٥) وأحمد في الرواية الأخرىٰ، وهي ظاهر قول الخرقي.
(٦) وأحمد والجمهور. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ٢٦٥).
(٧) وأحمد في الرواية الأخرىٰ، اختارها أبو بكر غلام الخلال.
(٨) المحرر الوجيز (٨/ ٢٤٧).
(٩) الكشاف (١٥/ ٢٧٨).
(١٠) قاله في المحرر الوجيز (٨/ ٢٤٨).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ *أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

﴿٧﴾ ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ **يحتمل أن يكون النجوىٰ هنا:** بمعنىٰ الكلام الخفي، فيكون ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ مضافًا إليه، أو بمعنىٰ الجماعة من الناس، فيكون ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ بدلًا، أو صفة، **والأول أحسن.**

﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ **يعني:** بعلمه وإحاطته، وكذلك ﴿سَادِسُهُمْ﴾ ، و ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾.

﴿٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ نزل في قوم من اليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون علىٰ المؤمنين، فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك فعادوا[1]. **وقيل:** نزلت في المنافقين، **والأول أرجح؛** لقوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾؛ لأن هذا من

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٣) عن مقاتل بن حيان.

فعل اليهود. والأحسن أن يريد اليهود والمنافقين معًا؛ لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْماً غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ فنزلت في الطائفتين.

﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ فيقولون: «السام عليك يا محمد»، بدلًا من «السلام عليكم[١]»، والسام: الموت، وهو ما أرادوه بقولهم، فكان رسول الله ﷺ يقول لهم: «وعليكم»، فسمعتهم عائشة ﵂ يومًا فقالت: بل عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: «مهلًا يا عائشة! إن الله يكره الفحش والتفحُّش»، قالت: أما سمعت ما قالوا؟ قال: «أما سمعت ما قلت لهم؟ إني قلت: وعليكم»[٢].

ويريد بقوله: ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾: قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٦١].

﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ كانوا يقولون: لو كان نبيًّا لعذَّبنا الله بإذايته، فقال الله: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: يكفيهم ذلك عذابًا.

﴿١٠﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قيل[٣]: يعني: النجوىٰ بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وحذف وصفها بذلك؛ لدلالة الأول عليه. وقيل: أراد نجوىٰ اليهود والمنافقين، ويؤيد هذا قوله: ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

﴿١١﴾ ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ﴾ اختُلف في سبب الآية: فقيل: نزلت في مَقاعد الحرب والقتال[٤]. وقيل: نزلت بسبب ازدحام الناس في مجلس رسول الله ﷺ وحرصهم علىٰ القرب منه[٥]. وقيل: أقام النبي ﷺ قومًا ليُجلسَ أشياخًا من أهل بدر في مواضعهم، فنزلت الآية[٦].

---

(١) في أ، هـ: «عليك».
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٠)، ومسلم (٢١٦٥).
(٣) لم ترد في ب، د.
(٤) قاله ابن عباس ﵄. أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٧٨).
(٥) قاله مجاهد وقتادة. أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٧٧).
(٦) قاله مقاتل بن حيان. أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٣).

ثم اختُلف هل هي مقصورة علىٰ مجلس النبي ﷺ أو هي عامة في جميع المجالس؟ فقال قوم: إنها مخصوصة، ويدلُّ علىٰ ذلك قراءة ﴿فِي الْمَجْلِسِ﴾ بالإفراد. **وذهب الجمهور** إلىٰ أنها عامة، ويدل علىٰ ذلك قراءة ﴿الْمَجَالِسِ﴾ بالجمع، **وهذا هو الأصح،** ويكون ﴿الْمَجْلِسِ﴾ بالإفراد علىٰ هذا للجنس.

والتفسُّح المأمور به: هو التوسُّع دون القيام، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **«لا يُقم أحدٌ أحدًا من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا»**[1]. **وقد اختُلف في هذا** النهي عن القيام من المجلس لأحد؛ هل هو علىٰ التحريم أو الكراهة؟

﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: يوسِّع لكم في جنته ورحمته، (وقيل: في قبوركم، وقيل: في بيوتكم)[2].

﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا﴾ أي: إذا قيل لكم: ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك. **واختُلف في هذا النشوز المأمور به: فقيل:** إذا دُعوا إلىٰ قتال أو صلاة أو فعل طاعةٍ. **وقيل:** إذا أُمروا بالقيام من مجلس رسول الله ﷺ؛ لأنه كان يحب الانفراد أحيانًا، وربما جلس قوم حتىٰ يؤمَروا بالقيام. **وقيل:** المراد: القيام في المجلس للتوسُّع.

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ **فيها قولان:**

أحدهما: يرفع اللهُ المؤمنين العلماءَ درجاتٍ، فقوله: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ صفة لـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، كقولك: «جاءني العاقل والكريم»، وأنت تريد رجلًا واحدًا.

والثاني: يرفع اللهُ المؤمنين والعلماء الصنفين جميعًا درجاتٍ.

فالدرجات علىٰ الأول: للمؤمنين بشرط أن يكونوا علماء، **وعلىٰ الثاني:** للمؤمنين الذين ليسوا علماء، وللعلماء أيضًا، ولكن بين درجات العلماء وغيرهم تفاوت يؤخذ من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) سقط من أ، ب، ج، د، هـ، وهو مستدرك من نسخة خزانة القرويين، ونسخة مركز الملك فيصل، وأشار إلىٰ هذين القولين في الكشاف (١٥/ ٢٨٧).

موضع آخر، كقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»(١)، وقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلًا»(٢)، وقوله عليه السلام: «يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»(٣) فإذا كان لهم فضل على العابدين والشهداء، فما ظنك بفضلهم على سائر المؤمنين!

﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: سببها أن قومًا من شبان المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي ﷺ في غير حاجة، إلا لتظهر(٤) منزلتهم، وكان النبي ﷺ سمْحًا لا يرد أحدًا، فنزلت الآية مشدِّدةً في أمر المناجاة(٥). وقيل: سببها: أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاته ﷺ(٦).

وهذه الآية منسوخة باتفاق، نسَخها قوله بعدها: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ الآيةَ، فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة، بعد أن كان قد أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته عليه السلام.

واختُلف هل كان هذا النسخ بعد أن عُمل بالآية أم لا؟ فقال قوم: لم يعمل بها أحد. وقال قوم: عمل بها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فإنه روي أنه كان له دينار فصرفه بعشرة دراهم وناجاه عشر مرات، تصدق في كل مرة منها بدرهم، وقيل: تصدق في كل مرة بدينار(٧). ثم أنزل الله الرخصة لمن كان قادرًا على الصدقة، وأما من لم يجد فالرخصة لم تزل ثابتةً له بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢) وصححه، وابن ماجه (٢٢٣)، وابن حبان (٨٨) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥) وقال: «حسن صحيح غريب» عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٣١٣) عن عثمان رضي الله عنه، وضعف إسناده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/ ١٣)، والبوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٢٦٠).

(٤) في أ: «ليظهروا».

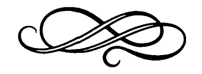
(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنه بمعناه، وانظر: المحرر الوجيز (٨/ ٢٥٤).

(٦) قاله مقاتل كما في المحرر الوجيز (٨/ ٢٥٤).

(٧) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٨٣)، وابن أبي شيبة (٣٢٧٨٨)، والحاكم (٣٧٩٤) وصححه ووافقه الذهبي.

﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ التوبة هنا يراد بها: عفو الله عنهم في تركهم للصدقة التي أُمروا بها، أو[1] تخفيفها بعد وجوبها.

﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: دُوموا علىٰ هذه الأعمال التي هي قواعد شرعكم، دون ما كنتم قد كلِّفتم من الصدقة عند المناجاة.



(١) في ب، ج: «و».

*﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْماً غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلاَ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْئاً أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَـٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـٰٓئِكَ فِي ٱلأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِيۤ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوۤاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

﴿١٤﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْماً غَضِبَ ٱللَّهُ﴾ نزلت في قوم من المنافقين تولوا قومًا من اليهود، وهم الذين غضب الله عليهم.

﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ﴾ يعني: أن المنافقين ليسوا من المسلمين، ولا من اليهود، فهو كقوله فيهم: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَىٰ هَـٰؤُلاۤءِ وَلاَ إِلَىٰ هَـٰؤُلاۤءِ﴾ [النساء: ١٤٣].

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: أن المنافقين كانوا إذا عوتبوا على سوء أقوالهم وأفعالهم حلفوا أنهم ما قالوا ولا فعلوا، وقد صدر ذلك منهم مرارًا كثيرة هي مذكورة في السِّيَر وغيرها.

﴿١٦﴾ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ أصل الجُنَّة: ما يُستتَر به ويُتقَّى به المحذورُ كالتُّرس، ثم استُعمل هنا استعارةً؛ لأنهم كانوا يُظهرون الأَيمان لتُعصم دماؤهم وأموالهم. وقرئ «اتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ» بكسر الهمزة[1].

(١) وهي قراءة الحسن البصري. المحرر الوجيز (٨/ ٢٥٦).

(١٩) ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: غلب عليهم وتملَّك نفوسَهم.

(٢٠) ﴿فِي الْأَذَلِّينَ﴾ أي: في جملة الأذلين؛ أي: معهم.

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: قضىٰ وقدَّر.

(٢٢) ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآيَةَ؛ معناها: لا تجد مؤمنًا يحب كافرًا ولو كان أقرب الناس إليه، وهذه حال المؤمن الصادق الإيمان، ولذلك كان الصحابة ﷺ يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا كفارًا، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح ﷺ أباه يوم أحد[١]، وقتل مصعب بن عمير ﷺ أخاه عزيز[٢] بن عمير يوم أحد، ودعا أبو بكر الصديق ﷺ ابنه يوم بدر للبراز فأمره النبي ﷺ أن يقعد[٣]. وقيل: إن الآية نزلت في حاطب حين كتب إلىٰ المشركين يخبرهم بأخبار رسول الله ﷺ[٤]. والأحسن أنها علىٰ العموم. وقيل: نزلت فيمن يصحب السلطان[٥]، وذلك بعيد.

﴿يُوَادُّونَ﴾ هذه مفاعلة من المودَّة، فتقضي أن المودَّة من الجهتين.

﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾ أي: عاداه وخالفه.

﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي: أثبته فيها كأنه مكتوب.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: بلطف وهدىٰ وتوفيق، وقيل: بالقرآن، وقيل: بجبريل ﷺ.

﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ هذه[٦] في مقابلة قوله: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾. والحزب: هم الجماعة المتحزِّبون لمن أُضِيفوا إليه.

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٦/ ١٦٧) عن ابن مسعود ﷺ، ثم قال: «قال الواقدي: كذلك يقول أهل الشام، ولقد سألت رجالًا من بني الحارث بن فهر فقالوا: توفي أبوه من قبل الإسلام».

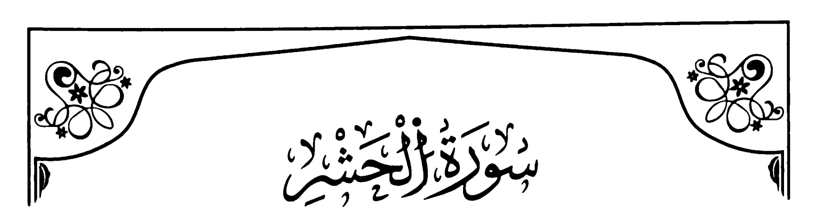
(٢) الذي في سيرة ابن هشام (١/ ٦٤٥) أن اسمه: «أبو عزيز»، وفي تفسير الثعلبي والواحدي: «عبيد بن عمير»!

(٣) ذكره الواحدي في البسيط (٢١/ ٣٥٧) عن عطاء عن ابن عباس ﷺ.

(٤) ذكره الثعلبي (٢٦/ ١٦٦)، والواحدي في البسيط (٢١/ ٣٥٧).

(٥) أخرجه ابن مردويه عن سفيان الثوري، كما في الدر المنثور (١٤/ ٣٢٩).

(٦) في ج، د: «هذا».



نزلت هذه السورة(١) في اليهود(٢) بني النَّضِير، وكانوا في حصون بمقرُبة من المدينة، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فأرادوا غدره، فأطْلعه الله علىٰ ذلك فخرج إليهم وحاصرهم إحدىٰ وعشرين ليلة حتىٰ صالحوه علىٰ أن يخرجوا من حصونهم، فخرجوا منها وتفرقوا في البلاد.

سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ اَهْلِ الْكِتَٰبِ مِن دِيٰرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمُۥٓ أَنْ يَّخْرُجُوا وَظَنُّوٓا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَيٰهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا *وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُومِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَٰٓأُوْلِي الْاَبْصٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيٰا وَلَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ عَذَابُ النّٰارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ اَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَّشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنَ اَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ الْاَغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ ءَاتَيٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ الْمُهَٰجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْاِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُوثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُّوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْاِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

(١) في أ: «الآية».

(٢) في د: «يهود».

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ **يعني**: بني النضير.

﴿لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ﴾ **في معناه أربعة أقوال:**

أحدها: أنه حشر القيامة، أي: خروجهم من حصونهم أولُ الحشر، والقيامُ من القبور آخرُه، وروي في هذا المعنىٰ: أن رسول الله ﷺ قال لهم: «امضوا هذا أول الحشر، وأنا علىٰ الأثر»[١].

الثاني: أن المعنىٰ: لأول موضع الحشر وهو الشام، وذلك أن أكثر بني النضير خرجوا إلىٰ الشام، وقد جاء في الأثر: أن حشر[٢] القيامة إلىٰ أرض الشام[٣]. وروي في هذا المعنىٰ: أن النبي ﷺ قال لبني النضير: «اخرجوا». قالوا: إلىٰ أين؟ قال: «إلىٰ أرض المحشر[٤]»[٥].

الثالث: أن المراد: الحشر في الدنيا الذي هو الجلاء والإخراج، فإخراجهم من حصونهم: أول الحشر، وإخراج أهل خيبر: آخره.

الرابع: أن معناه: إخراجهم[٦] من ديارهم لأول ما حَشر لقتالهم؛ لأنه أول قتال قاتلهم رسول الله ﷺ.

وقال الزمخشري: اللام في قوله: ﴿لِأَوَّلِ﴾ بمعنىٰ: «عند»، كقولك: جئت لوقت كذا[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٩٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٥) عن الحسن مرسلًا.

(٢) في ب زيادة: «الناس يوم»

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٠٨) وأحمد (٢٠٠١١) والنسائي في الكبرىٰ (١١٣٦٧) والطبراني في الأوسط (٦/ ٢٧٥)، والكبير (١٩/ ٤٢٧) من حديث حكيم بن معاوية البهزي، عن أبيه معاوية بن حيدة عن النبي ﷺ، قال محققو المسند ط. مؤسسة الرسالة: «إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الصحيح غير حكيم- وهو ابن معاوية بن حيدة القشيري- وهو صدوق حسن الحديث، وغير والده معاوية بن حيدة، فقد روىٰ لهما أصحاب السنن وعلق لهما البخاري».

(٤) في د، هـ: «الحشر».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٥)، عن ابن عباس ﷺ، قال في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٢٠): «رواه البزار وفيه أبو سعد البقال والغالب عليه الضعف».

(٦) في د، هـ: «أخرجهم».

(٧) الكشاف (١٥/ ٣٠٤).

﴿مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ﴾ **يعني**: لكثرة عُدَّتهم ومنَعة حصونهم.

﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ عبارةٌ عن أخذ الله لهم.

﴿يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ **أما إخراب المؤمنين**: فهو هدم أسوار الحصون ليدخلوها، وأسند ذلك إلىٰ الكفار في قوله: ﴿يُخۡرِبُونَ﴾؛ لأنه كان بسبب كفرهم وغدرهم. **وأما إخراب الكفار لبيوتهم فلثلاثة مقاصد:**

أحدها: حاجتهم إلىٰ الخشب والحجارة؛ ليسدُّوا بها أفواه الأزِقَّة ويحصِّنوا ما خرَّبه المسلمون من الأسوار.

والآخر: ليحملوا معهم ما أعجبهم من الخشب والسواري وغير ذلك.

والثالث: أن لا تبقىٰ مساكنهم مبنيةً للمسلمين، فهدموها شحًّا عليها.

﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ استدلَّ الذين أثبتوا القياس في الفقه بهذه الآية، واستدلالهم بها ضعيف خارج عن معناها.

﴿٣﴾ ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ **الجلاء**: هو الخروج عن الوطن، **فالمعنىٰ**: لولا أن كتب الله علىٰ بني النضير خروجَهم عن أوطانهم لعذبهم في الدنيا بالسيف كما فعل بإخوانهم بني قريظة، ولهم مع ذلك عذاب النار.

﴿٤﴾ ﴿شَآقُّواْ﴾ ذكر في «**الأنفال**»[1].

﴿٥﴾ ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ **اللِّينة**: هي النخلة، **وقيل**: هي الكريمة من النخل، **وقيل**: النخلة التي ليست بعَجْوة، **وقيل**: ألوان النخل المختلطة. **وسبب الآية**: أن رسول الله ﷺ لما نزل علىٰ حصون بني النضير قطع المسلمون بعض نخلهم، وأحرقوا، فقال بنو النضير: ما هذا الإفساد يا محمد وأنت تنهىٰ عن الفساد! فنزلت الآية[2] مُعْلمةً أن كل ما جرىٰ من قطعٍ أو إمساك فإن الله أذن للمسلمين في ذلك؛ ليُخزي الفاسقين بني النضير.

---

(١) انظر تفسير الآية (١٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥١٠) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان.

واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب، فإن الله قد صوب فعل من قطع النخل ومن تركها.

واختلف العلماء في قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم، فأجازه الجمهور؛ لهذه الآية، ولإقرار رسول الله ﷺ على تحريق نخل بني النضير.

وكرهه قوم؛ لوصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه الجيشَ الذي وجههم[1] إلى الشام أن لا يقطعوا شجرًا مثمرًا[2].

﴿٦﴾ ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ معنى ﴿أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾: جعله فيئًا لرسول الله ﷺ. و﴿أَوْجَفْتُمْ﴾ من الوجيف، وهو سرعة السير. والركاب: هي الإبل. والمعنى: أن ما أعطى اللهُ رسولَه من أموال بني النضير لم يمش المسلمون إليه بخيل ولا إبل ولا تعبوا فيه، ولا حصَّلوه بقتال، ولكن حصَل بتسليط رسوله ﷺ على بني النضير، فأعلم الله مِن هذه الآية أن ما أُخِذ لبني النضير[3] وما أُخِذ مِن فَدَك فهو فيءٌ خاص للنبي[4] ﷺ، يَفعل فيه ما يشاء؛ لأنه لم يُوجَف عليها، ولا قوتلت كبير قتال، فهي بخلاف الغنيمة التي تؤخذ بالقتال، فأخذ رسول الله ﷺ لنفسه من أموال بني النضير قوت عياله، وقسَم سائرها في المهاجرين، ولم يعطِ الأنصار منها شيئًا، غير أن أبا دُجانة وسهلَ بن حنيف شَكَوَا فاقةً فأعطاهما رسول الله ﷺ منها، هذا قول جماعة. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ ينفق منها على أهله نفقة سنة، وما بقي جعله في السلاح والكُراع عدة في سبيل الله[5].

قال قوم من العلماء: وكذلك كل ما فتحه الأئمة مما لم يوجَف عليه، فهو لهم خاصة يأخذون منه حاجتهم ويصرفون باقيَه في مصالح المسلمين.

---

(١) في ج، د: «وجهه».
(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٢٩٣) عن يحيى بن سعيد.
(٣) في أ: «ما أخذه من بني النضير».
(٤) في أ، هـ: «بالنبي».
(٥) أخرجه البخاري (٢٩٠٤)، ومسلم (١٧٥٧).

(٧) ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنَ اَهْلِ ٱلْقُرىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآيةَ؛ **اضطرب الناس في تفسير هذه الآية وحكمها اضطرابًا عظيمًا، فإن ظاهرها: أن الأموالَ التي تؤخذ للكفار تكون لله** وللرسول ومن ذكر بعد ذلك ولا يُخرج منها خمسٌ، ولا تقسم علىٰ من حضر الوقيعة، وذلك يعارض ما ورد في «**الأنفال**» من إخراج الخمس، وقسمة سائر الغنيمة علىٰ من حضر الوقيعة!

فقال بعضهم: إن هذه الآية منسوخة بآية «**الأنفال**»، **وهذا خطأ**؛ لأن آية «**الأنفال**» نزلت قبل هذه بمدة. **وقال بعضهم**: إن آية «**الأنفال**» في الأموال التي تغنم ما عدا الأرض، وإن هذه الآية في أرض الكفار، قالوا: ولذلك لم يقسم عمر بن الخطاب ﷺ أرض مصر والعراق، بل تركها لمصالح المسلمين، **وهذا التخصيص لا دليل عليه**. وقيل غير ذلك، **والصحيح**: أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين آية «**الأنفال**»، **فإن آية «الأنفال»** في حكم الغنيمة التي تؤخذ بالقتال وإيجاف الخيل والركاب، فهذا يخرج منه الخمس ويقسم[1] بقيته علىٰ الغانمين.

وأما هذه الآية: ففي حكم الفيء، وهو ما يؤخذ من أموال الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، وإذا كان كذلك، فكل واحدة من الآيتين في معنىٰ غير معنىٰ الأخرىٰ، ولها حكم غير حكم الأخرىٰ، فلا تعارض بينهما ولا نسخ. وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفيء وفي «**الأنفال**» لفظ الغنيمة، وقد تقرَّر في الفقه الفرق بين الغنيمة والفيء، وأن حكمهما مختلف.

قال أبو محمد ابنُ الفَرس: وهو قول الجمهور وبه قال مالك وجميع أصحابه، وهو أظهر الأقوال[2]. وأما فعل عمر ﷺ في أرض مصر والعراق، **فالصحيح**: أنه فعل ذلك لمصلحة المسلمين بعد استطابة نفوس الغانمين. فقوله تعالىٰ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنَ اَهْلِ ٱلْقُرىٰ﴾ يريد بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كما كانت أموال بني النضير،

(١) في ب، ج: «وتقسم».
(٢) أحكام القرآن، لابن الفرس (٣/ ٨٩).

ولكنه حذف هذا؛ لقوله في الآية قبل هذا: ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾، فاستغنىٰ بذكر ذلك أولًا عن ذكره ثانيًا، ولذلك لم تدخل الواو العاطفة في أول هذه الجملة؛ لأنها من تمام الأولىٰ فهي غير أجنبية منها، فإنه بيَّن في الآية الأولىٰ حكم أموال بني النضير، وبين في هذه حكم ما كان مثلها من أموال غيرهم علىٰ العموم. ويصرف الفيء فيما يصرف فيه خمس الغنائم؛ لأن الله سوَّىٰ بينهما في قوله: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، وقد ذكرنا ذلك في «**الأنفال**» فأغنىٰ عن إعادته. وقد ذكرنا في «**الأنفال**» معنىٰ قوله: ﴿لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ وما بعد ذلك[1].

﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ أي: كي لا يكون الفيءُ الذي أفاء الله علىٰ رسوله من أهل القرىٰ دولةً ينتفع به الأغنياء دون الفقراء، وذلك أن رسول الله ﷺ قسَم أموال بني النضير علىٰ المهاجرين فإنهم كانوا حينئذ فقراء، ولم يعط الأنصار منها شيئًا، فإنهم كانوا أغنياء، فقال بعض الأنصار: لنا سهمنا من هذا الفيء، فأنزل الله هذه الآية[2].

والدولة -بالضم والفتح-: ما يدول الإنسان[3]؛ أي: يدور عليه من الخير، **ويحتمل** أن يكون من المداولة؛ أي: كي لا يَتداول ذلك المالَ الأغنياءُ بينهم، ويبقىٰ الفقراء بلا شيء.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ نزلت بسبب الفيء المذكور، أي: ما آتاكم الرسول من الفيء فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، فكأنها أمرٌ للمهاجرين بأخذ الفيء ونهيٌ للأنصار عنه. ولفظ الآية مع ذلك عامٌّ في أوامر رسول الله ﷺ ونواهيه، ولذلك استدلَّ بها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه علىٰ أن المنع من لبس المُحْرِم المخيطَ، ولعْنَ الواشمة والواصلة: في القرآن؛ لورود ذلك عن رسول الله ﷺ[4].

---

(١) انظر تفسير الآية (٤١).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٨/ ٢٦٥).

(٣) في ب: «علىٰ الإنسان».

(٤) استدلاله بها علىٰ لعن الواشمة والواصلة أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، (٤٨٨٧)، ومسلم (٢١٢٥)، واستدلاله بها علىٰ المنع من لبس المحرم للمخيط أخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٦/ ٢٢٠).

﴿٨﴾ ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ هذا بدلٌ من قوله: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ ليبيِّن بذلك أن المراد المهاجرون، ووصَفهم بأنهم ﴿أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾؛ لأنهم هاجروا من مكة وتركوا فيها أموالهم وديارهم.

﴿٩﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ هم الأنصار، و﴿ٱلدَّارَ﴾: هي المدينة؛ لأنها كانت بلدَهم، والضمير في ﴿قَبْلِهِمْ﴾ للمهاجرين. **فإن قيل**: كيف قال ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ وإنما تُتَبوَّأُ الدار -أي: تُسكَن- ولا يُتبوأ الإيمان؟ **فالجواب من وجهين**:

الأول: أن معناه: تبوؤوا الدارَ وأخلصوا الإيمان، فهو كقوله: فعلفْتُها[1] تِبْنًا وماء باردًا[2] تقديره: علفتها تبنًا وسقيتها ماء.

الثاني: أن المعنىٰ: أنهم جعلوا الإيمان كأنه موطنٌ لهم؛ لتمكُّنهم فيه، كما جعلوا المدينة كذلك. **فإن قيل**: قوله: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ يقتضي أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان، فأما سبْقهم لهم بنزول المدينة فلا شك فيه؛ لأنها كانت بلدَهم، وأما سبْقهم لهم بالإيمان فمشكل! لأن أكثر المهاجرين أسلموا قبل الأنصار. **فالجواب من وجهين**:

أحدهما: أنه أراد بقوله: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: من قبل هجرتهم.

والآخر: أنه أراد: تبوؤوا الدار مع الإيمان معًا؛ أي: جمعوا بين الحالتين قبل المهاجرين؛ لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لا بتبوُّئِ[3] الدار، فيكون: ﴿ٱلْإِيمَٰنَ﴾ علىٰ هذا مفعولًا معه، **وهذا الوجه أحسن**؛ لأنه جواب عن هذا السؤال، وعن السؤال الأول، فإنه إذا كان ﴿ٱلْإِيمَٰنَ﴾ مفعولًا معه لم يلزم السؤال الأول؛ إذ لا يلزم إلا إذا كان ﴿ٱلْإِيمَٰنَ﴾ معطوفًا علىٰ ﴿ٱلدَّارَ﴾.

---

(١) في د: «علفتها».

(٢) هذا صدر بيت، وعجزه: «حتىٰ شتتْ همّالةً عيْنَاهَا». قال بدر الدين العيني في «المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية»: «هذا رجَز مشهور بين القوم، ولم أر أحدًا عزاه إلىٰ راجزه».

(٣) في ب، د: «بنزول».

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ **قيل**: إن الحاجة هنا: بمعنىٰ الحسد، ويحتمل أن تكون بمعنىٰ الاحتياج علىٰ أصلها. والضمير في ﴿يَجِدُونَ﴾ للأنصار، وفي ﴿أُوتُوا۟﴾ للمهاجرين، **والمعنىٰ**: أن الأنصار تطيب نفوسهم بما يعطاه المهاجرون من الفيء وغيره، فلا يجدون في صدورهم شيئًا بسبب ذلك.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: يؤثرون غيرهم بالمال علىٰ أنفسهم ولو كانوا في غاية الاحتياج. **والخصاصة**: هي الفاقة. **وروي أن سبب هذه الآية**: أن رسول الله ﷺ لما قسم هذه القرىٰ علىٰ المهاجرين دون الأنصار قال للأنصار: «**إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم، وشاركتموهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وتركتم لهم هذه**» فقالوا: بل نقسم لهم من أموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة[1].

وروي أيضًا أن سببها: أن رجلًا من الأنصار أضاف رجلًا من المهاجرين، فذهب الأنصاري بالضيف إلىٰ منزله فقالت له امرأته: والله ما عندنا إلا قوت الصِّبيان، فقال لها: نوِّمي صِبيانك وأطفئي السراج، وقدِّمي ما عندك للضيف، ونوهمه نحن أنَّا نأكل ولا نأكل، ففعلا ذلك، فلما غدا علىٰ رسول الله ﷺ قال له: «**عجب الله من فعلكما البارحة**» ونزلت الآية[2].

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ **شحُّ النفس**: هو البخل والطمع. وفي هذا إشارةٌ إلىٰ أن الأنصار وقاهم الله شح أنفسهم فمدحهم الله بذلك، وبأنهم يؤثرون علىٰ أنفسهم، وبأنهم لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتي المهاجرون، وأنهم يحبون المهاجرين.

﴿١٠﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ هذا معطوفٌ علىٰ المهاجرين والأنصار المذكورين قبل.

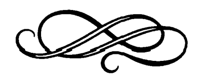
---

(١) ذكره الثعلبي عن ابن عباس ﷺ، ولم يسنده، وذكره الواحدي في البسيط (٢١/ ٣٨١) عن الكلبي عن ابن عباس ﷺ، والكلبي متروك متهم بالكذب والرفض. تقريب التهذيب (٨٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤) عن أبي هريرة ﷺ.

فالمعنى: أن الفيء للمهاجرين والأنصار ولهؤلاء الذين جاؤوا من بعدهم، **ويعني بهم**: الفرقة الثالثة من الصحابة وهم ما عدا المهاجرين والأنصار، كالذين أسلموا يوم فتح مكة.

وقيل: يعني: من جاء بعد الصحابة، وهم التابعون ومن تبعهم إلى يوم القيامة، وعلى هذا حملها مالك فقال: إن مَن قال في أحدٍ من الصحابة قول سوء فلا حظَّ له في الغنيمة والفيء؛ لأن الله وصف الذين جاؤوا بعد الصحابة بأنهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ ، فمن قال ضدَّ ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله[1].



(١) انظر: النوادر والزيادات، لابن أبي زيد (٣/ ٣٩٨)

*أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾

﴿١١﴾ **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ الآيةَ؛ نزلت في عبد الله ابن أبيٍّ ابنِ سلول وقوم من المنافقين، بعثوا إلىٰ بني النضير، وقالوا لهم: اثبتوا في حصونكم فإنا معكم كيفما تقلَّبت حالكم[1].**

﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي: لا نسمع فيكم قول قائل، ولا نطيع مَن يأمرنا بخذلانكم. ثم كذَّبهم الله في هذه المواعيد التي وعدوا بها. فإن قيل: كيف قال: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ بعد قوله: ﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾؟ فالجواب: أن المعنىٰ: علىٰ الفرض والتقدير؛ أي: لو فرضنا أن يَنصروهم لوَلَّوا الأدبار.

﴿١٣﴾ **﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الرَّهبة: هي الخوف. والمعنىٰ: أن المنافقين واليهود يخافون الناس أكثر مما يخافون الله.**

﴿١٤﴾ **﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ أي: لا يقدرون علىٰ قتالكم مجتمعين إلا وهم في قرىٰ محصنة بالأسوار والخنادق، أو من وراء الحيطان دون أن يخرجوا إليكم.**

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ يعني: عداوةَ بعضهم لبعض.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٣٤) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان.

﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ أي: تظن أنهم مجتمعون بالألفة والمودة وقلوبهم متفرقة[1] بالمخالفة والشحناء.

(١٥) ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيباً﴾ أي: هؤلاء اليهودُ كمثل الذين من قبلهم، يعني: اليهود بني قينقاع؛ فإن رسول الله ﷺ أجلاهم عن المدينة قبل بني النضير، فكانوا مثَلًا لهم. وقيل: يعني: أهل بدرٍ الكفارَ، فإنهم قبلهم ومثّلٌ لهم في أنْ غُلِبوا وقُهِروا، والأول أرجح؛ لأن قوله: ﴿قَرِيباً﴾ يقتضي أنهم كانوا قبلهم بمدة يسيرة، وذلك أوقعُ على بني قينقاع، وأيضًا فإن تمثيل بني النضير ببني قينقاع أليقُ؛ لأنهم يهود مثلهم، وأُخرجوا من ديارهم كما فُعل بهم، وذلك هو المراد بقوله: ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾. و﴿قَرِيباً﴾ ظرف زمان.

(١٦) ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ مثَّل الله المنافقين الذين أغووا اليهود بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشيطان؛ فإنه يُغوي ابن آدم ثم يتبرأ منه. والمراد بالشيطان والإنسان هنا: الجنس. وقيل: أراد الشيطان الذي أغوىٰ قريشًا يوم بدر وقال لهم: إني جارٌ لكم. وقيل: المراد بالإنسان بَرْصيص العابد؛ فإنه استُودع امرأة فزين له الشيطان الوقوع عليها فحمَلت فخاف الفضيحة فزين له الشيطانُ قَتْلَها فلما وُجدت مقتولة تبيَّن ما فعل، فتعرض له الشيطانُ وقال له: اسجد لي وأنجيك، فسجد له فتركه الشيطان وقال له: إني بريء منك[2]، وهذا ضعيف في النقل، والأول أرجح.

(١٧) ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾ الضميران يعودان على الشيطان والإنسان، وفي ذلك تمثيل للمنافقين واليهود.



(١) في ج، د، هـ: «مفترقة».

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٤١)، والحاكم (٣٨٠١) وصححه ووافقه الذهبي عن علي رضي الله عنه موقوفًا، وأخرجه الطبري (٢٢/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٨) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه الطبري (٢٢/ ٥٤٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان (٨٠) عن عُبيد بن رفاعة الزرقي عن النبي ﷺ، وهو مرسل (تخريج أحاديث الإحياء ١/ ٩٠٩)، وليس فيها ذكر اسم الراهب، وإنما ذكره السهيلي في التعريف والإعلام (٣٢٧): «ويقال اسم هذا الراهب: برصيصا [كذا].. ولا أنا منه على ثقة».

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسِيهُمُۥٓ أَنفُسَهُمُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوَ انزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِے لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِے لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُومِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِے ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

﴿١٨﴾ ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ هذا أمرٌ بأن تنظر كلُّ نفس ما قدمت من أعمالها ليوم القيامة. **ومعنىٰ ذلك:** محاسبة النفس لتكفَّ عن السيئات وتزيد من الحسنات، وإنما عبَّر عن يوم القيامة بـ﴿غَدٍ﴾ تقريبًا له؛ لأن كل ما هو آتٍ قريب. **فإن قيل:** لم كرر الأمر بالتقوىٰ؟ **فالجواب من وجهين:**

أحدهما: أنه تأكيد.

والآخر -وهو الأحسن-: أنه أمر بالتقوىٰ أولًا استعدادًا ليوم القيامة، ثم أمر به ثانيًا؛ لأن الله خبير بما يعملون، فلما اختلف الموجِبان كرَّره مع كل واحد منهما.

﴿١٩﴾ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ **يعني:** الكفار[1]. **والنسيان هنا يحتمل أن يكون:** بمعنىٰ الترك، أو الغفلة؛ **أي:** نسوا حقَّ الله فأنساهم حقوق أنفسهم والنظرَ لها.

﴿٢١﴾ ﴿لَوَ انزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ **الآيةَ؛** توبيخٌ لابن آدم علىٰ قسوة قلبه، وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن، فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدَّع لو سمع القرآن فما ظنك بابن آدم!

﴿٢٢﴾ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ﴾ **أي:** يعلم ما غاب عن المخلوقين وما شاهدوه. **وقيل: الغيب:** الآخرة، **والشهادة:** الدنيا، **والعموم أحسن.**

(١) في د زيادة: «والمنافقين».

(٢٣) ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ مشتقٌّ من التقدُّس[1]، وهو التنزُّه عن صفات المخلوقين، وعن كل نقص وعيب، وصيغة فُعُّول للمبالغة كالسُّبُّوح.

﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ **في معناه قولان: أحدهما**: الذي سَلِم عبادُه من جَوْره. **والآخر**: السَّليم من النقائص. وأصله مصدر بمعنىٰ السلامة، ثم وُصِف به مبالغةً، أو علىٰ حذف مضاف تقديره: ذو السلام.

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ **فيه قولان: أحدهما**: أنه من الأمن؛ أي: الذي أَمَّن عباده. **والآخر**: أنه من الإيمان؛ أي: المصدِّق لعباده في إيمانهم، أو في شهادتهم علىٰ الناس يوم القيامة، أو المصدِّق نفسَه في أقواله.

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ **في معناه ثلاثة أقوال**: الرقيب والشاهد والأمين. **قال الزمخشري**: أصله «مؤيمن» بالهمزة ثم أبدلت هاء[2].

﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ **في معناه قولان: أحدهما**: أنه من الإجبار بمعنىٰ القهر. **والآخر**: أنه من الجبر؛ أي: يَجبُر عباده برحمته، **والأول أظهر**.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ أي: الذي له التكبُّر حقًّا.

(٢٤) ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ أي: الخالق، يقال: برأ الله الخلق أي: خلقهم، ولكن البارئ والفاطر يراد بهما: الذي بدأ الخلق واخترعه.

﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ أي: خالق الصور.

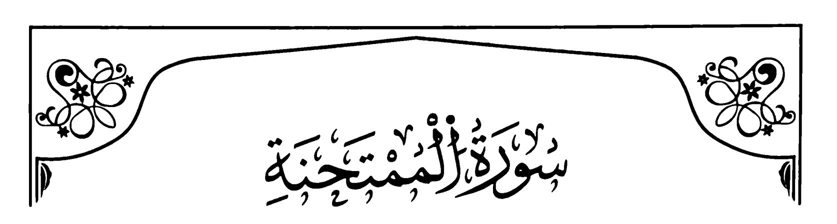
﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ **قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»**[3]. **قال المؤلف**: قرأت القرآن علىٰ الأستاذ الصالح أبي عبد الله ابن الكمَّاد فلما بلغت إلىٰ آخر سورة «**الحشر**» قال لي: ضع يدك علىٰ رأسك، فقلت له: ولم ذلك؟ قال: لأني قرأت علىٰ القاضي أبي علي بن أبي الأحوص فلما انتهيت إلىٰ خاتمة «**الحشر**»

(١) في أ، هـ: «التقديس».
(٢) الكشاف (١٥/ ٣٤٤).
(٣) تقدم تخريجه.

قال لي: ضع يدك على رأسك، وأسند الحديث إلى عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قرأت على النبي ﷺ فلما انتهيت إلى خاتمة «الحشر» قال لي: «ضع يدك على رأسك». قلت: ولم ذاك يا رسول الله فداك أبي وأمي؟ قال: «أقرأني جبريل القرآن فلما انتهيت إلى خاتمة «الحشر»، قال لي: ضع يدك على رأسك يا محمد، قلت: ولم ذاك؟ قال: إن الله تبارك وتعالى افتتح القرآن فضرب فيه فلما انتهى إلى خاتمة سورة «الحشر» أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها، فقالت: يا ربنا ولم ذاك؟ قال: لأنه شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت»[1].



(١) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان (١/ ١٩٠) وأخرجه من طريقه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢/ ٢٥٣)، وقال السيوطي في «ذيل اللآلئ المصنوعة» (١/ ١٠٨): «قال الذهبي: هذا حديث باطل»، وانظر: لسان الميزان، لابن حجر (٦/ ٥٢٤).



يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّے وَعَدُوَّكُمُۥٓ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمُۥٓ أَن تُومِنُواْ بِاللَّهِ رَبِّكُمُۥٓ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰداً فِے سَبِيلِے وَابْتِغَآءَ مَرْضَاتِے تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَآ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَنْ يَّفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَد ضَّلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَّثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمُۥٓ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمُۥٓ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمُۥٓ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمُۥٓ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِے إِبْرَٰهِيمَ وَالذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمُۥٓ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَالْبَغْضَآءُ أَبَداً حَتَّىٰ تُومِنُواْ بِاللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَےْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلذِينَ كَفَرُواْ وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمُۥٓ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَالْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَمَنْ يَّتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾

﴿١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّے وَعَدُوَّكُمُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾ **العدوُّ**: يَنطلق علىٰ الواحد والجماعة، **والمراد به**: هنا كفار قريش، وهذه الآيات[1] نزلت بسبب حاطب بن أبي بلتعة ﷺ، وذلك أن رسول الله ﷺ أراد الخروج إلىٰ مكة عام الحديبية، فورَّىٰ عن ذلك بخيبر، فشاع في الناس أنه خارج إلىٰ خيبر، وأخبر هو جماعةً من كبار أصحابه بقصده إلىٰ مكة، منهم حاطب، فكتب بذلك حاطب إلىٰ قوم من أهل مكة، فجاء

(١) في ب، ج، د: «الآية».

الخبر إلىٰ رسول الله ﷺ من السماء، فبعث علي بن أبي طالب والزبير والمقداد وقال: «**انطلِقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخٍ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلىٰ المشركين**»، فانطلقوا حتىٰ وجدوا المرأة، فقالوا لها: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب، ففتشوا جميع رحلها فما وجدوا شيئًا، فقال بعضهم: ما معها كتاب! فقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ما كَذَب رسول الله ﷺ ولا كُذب، والله لتُخرِجنَّ الكتاب أو لنجرِّدنَّكِ! قالت: أعرضوا عني، فأخرجته من قرون رأسها، وقيل: أخرجته من حُجْزَتِها، فجاؤوا به إلىٰ رسول الله ﷺ فقال لحاطب: «**من كتب هذا؟**» قال: أنا يا رسول الله، ولكن لا تعجل عليَّ، فوالله ما فعلت ذلك ارتدادًا عن ديني، ولا رغبة في الكفر، ولكني كنت امرأً مُلصَقًا في قريش، ولم أكن من أنفُسها، فأحببت أن تكون لي عندهم يدٌ يرعونني بها في قرابتي، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «**صدَق حاطبٌ، إنه من أهل بدر، وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع علىٰ أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، لا تقولوا لحاطب إلا خيرًا**»[1]. فنزلت الآية عتابًا لحاطب، وزجرًا عن أن يفعل أحد مثل فعله، وفيها مع ذلك تشريف له؛ لأن الله شهد له بالإيمان في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ عبارةٌ عن إيصال المودَّة إليهم. و«ألقىٰ» يتعدَّىٰ بحرف جر، وبغير حرف جر كقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٨]. **وهذه الجملة** في موضع الحال من الضمير في قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾، أو في موضع الصفة لـ﴿أَوْلِيَآءَ﴾، أو استئناف.

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ﴾ حال من الضمير في ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾، أو في ﴿تُلْقُونَ﴾.

﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: يخرجون الرسول ويخرجونكم، **يعني**: إخراجهم من مكة، فإنهم ضيقوا عليهم وآذوهم حتىٰ خرجوا مهاجرين إلىٰ المدينة، ومنهم من خرج[2] إلىٰ أرض الحبشة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) عن علي رضي الله عنه.

(٢) في ب زيادة: «مهاجرًا».

﴿أَن تُؤمِنُواْ﴾ مفعولٌ من أجله؛ أي: يخرجونكم من أجل إيمانكم.

﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰداً فِي سَبِيلِي﴾ جواب هذا الشرط محذوف؛ لدلالة ما قبله عليه وهو ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ﴾، والتقدير: إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوِّي وعدوَّكم أولياء. و ﴿جِهَٰداً﴾ : مصدر في موضع الحال، أو مفعول من أجله، وكذلك ﴿ابْتِغَآءَ﴾.

(٢) ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ معناه: إن يظفروا بكم.

﴿وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: تمنوا أن تكفروا فتكونوا مثلهم. قال الزمخشري: وإنما قال: ﴿وَدُّواْ﴾ بلفظ الماضي بعد أن ذكر جواب الشرط بلفظ المضارع؛ لأنه أراد: ودُّوا كفْرَكم قبل كل شيء[١].

(٣) ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ إشارةٌ إلىٰ ما قصد حاطب ﷺ مِن رعْي قرابته.

﴿يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون من الفصل بالحكم بينهم، أو من الفصل بمعنىٰ التفريق؛ أي: يُفرَّق بينكم وبين قرابتكم يوم القيامة. وقيل: إن العامل في ﴿يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ﴾ ما قبله، وذلك بعيد.

(٤) ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَالذِينَ مَعَهُمْ﴾ الإسوة: هو الذي يُقتدَىٰ به. فأمر الله المسلمين أن يقتدوا بإبراهيم الخليل ﷺ وبالذين معه في عداوة الكفار والتبرِّي منهم. ويعني بـ﴿وَالذِينَ مَعَهُمْ﴾ : من آمن به من الناس. وقيل: الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريبًا من عصره، ورجح ابن عطية[٢] هذا القول بما ورد في الحديث أن إبراهيم ﷺ قال لزوجته: «ما علىٰ الأرض مؤمن بالله غيري وغيرك»[٣].

﴿بُرَءَآؤُاْ﴾ جمع بريء.

---

(١) الكشاف (١٥/ ٣٥٢).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٢٧٩).

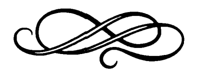
(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١) عن أبي هريرة ﷺ.

﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي: كذَّبناكم في أقوالكم، ويَحتمل أن يكون عبارةً عن إفراط البغض فيهم والمقاطعة لهم.

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ هذا استثناءٌ من قوله: ﴿إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، فالمعنىٰ: اقتدُوا بهم في عداوتهم للكفار، ولا تقتدوا بهم في هذا؛ لأن إبراهيم ﷺ وعد أباه أن يستغفر له، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. وقيل: الاستثناء من التبري والقطيعة، والمعنىٰ: تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار، إلا أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ هذا من كلام إبراهيم ﷺ والذين معه، وهو متصل بما قبل الاستثناء، فهو من جملة ما أُمر أن يُقتدَىٰ به.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في معناه قولان: أحدهما: لا تنصرهم علينا فيكون ذلك لهم فتنةً وسببَ ضلالةٍ؛ لأنهم يقولون: غلبناهم لأنَّا علىٰ الحق، وهم علىٰ الباطل. والآخر: لا تسلِّطهم علينا فيفتنونا عن ديننا، ورجح ابن عطية هذا؛ لأنه دعاء لأنفسهم، وأما علىٰ القول الآخر فهو دعاء للكفار، ولكن مقصدهم ليس الدعاء للكفار، وإنما هو دعاء لأنفسهم بالنصر؛ بحيث لا يَفتتن الكفار بذلك[1].



(١) المحرر الوجيز (٨/ ٢٨١).

*عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

﴿٧﴾ **﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ لما أمر الله المسلمين بعداوة الكفار ومقاطعتهم امتثلوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة، فعلم الله صدقهم فآنسهم بهذه الآية، ووعدهم بأن يجعل بينهم مودة، وهذه المودة كملت في فتح مكة فإنه أسلم حينئذ سائر قريش. وقيل: المودَّة تزوُّج النبي ﷺ أمَّ حبيبة رضي الله عنها بنت أبي سفيان بن حرب سيد قريش، وردَّ ابن عطية هذا القول بأن تزوج أم حبيبة كان قبل نزول هذه الآية[1].**

﴿٨﴾ **﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ رخص الله للمسلمين في مبرَّة[2] من**

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٢٨٢).
(٢) في هامش د: «خ: مودة».

لم يقاتلهم[1] من الكفار، واختُلف فيهم على أربعة أقوال:

الأول: أنهم قبائل من العرب منهم خزاعة وبنو الحارث بن كعب؛ كانوا قد صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يقاتلوه، ولا يُعِينوا عليه.

الثاني: أنهم مِن كفار قريش، من لم يقاتل المسلمين ولا أخرجهم من مكة. والآية على هذين القولين منسوخة بالقتال.

الثالث: أنهم النساء والصبيان، وفي هذا ورد أن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت: يا رسول الله إن أمي قدمت عليّ وهي مشركة أفأصلها؟ قال: «نعم صِلِي أمَّك»[2].

الرابع: أنه أراد من كان بمكة من المؤمنين الذين لم يهاجروا. وأما الذين نهى الله عن مودَّتهم لأنهم قاتلوا المسلمين وظاهروا على إخراجهم: فهم كفار قريش.

(١٠) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُومِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ أي: اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن، وإنما سماهن مؤمنات لظاهر حالهن. **وقد اختُلف في هذا الامتحان على ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن تُستحلف المرأة أنها ما هاجرت بسبب بغضها في زوجها، ولا لخوفٍ ولا غير ذلك من أعراض الدنيا سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة.

والثاني: أن يُعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

والثالث: أن تُعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا؛ مِن ترك الإشراك والسرقة وقتل أولادهن، وترك الزنا والبهتان والعصيان، فإذا أقرَّت بذلك فهو امتحانها، **قالته عائشة** رضي الله عنها[3].

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُومِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ نزلت هذه الآية إِثْر صلح الحديبية، وكان ذلك الصلح قد تضمن أن يَردَّ المسلمون إلى الكفار كل من جاء مسلمًا من الرجال والنساء،

---

(١) في د: «من لم يقاتلوهم في الدين».

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٩١)، ومسلم (١٨٦٦).

فنسخ الله أمْر النساء بهذه الآية، ومنع مِن ردِّ المؤمنة إلىٰ الكفار إذا هاجرت إلىٰ المسلمين، وكانت المرأة التي هاجرت حينئذ أُميمة بنت بشر امرأة حسان بن الدَّحداحة، وقيل: سُبيعة الأسلمية، ولما هاجرت جاء زوجها فقال: يا محمد ردها علينا، فإن ذلك في الشرط لنا عليك، فنزلت الآية، فامتحنها رسول الله ﷺ فلم يردَّها، وأعطىٰ مهرها لزوجها.

وقيل: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط، هربت من زوجها إلىٰ المسلمين. واختلف في الرجال هل حكمهم في ذلك كالنساء فلا تجوز المهادنة علىٰ ردِّ من أسلم منهم، أو تجوز حتىٰ الآن؟ علىٰ قولين، والأظهر: الجواز؛ لأنه إنما نسخ ذلك في النساء.

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ هذا تعليلٌ للمنع من ردِّ المرأة إلىٰ الكفار، وفيه دليل علىٰ ارتفاع النكاح بين المشركين والمسلمات.

﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ يعني: أعطوا الكفار ما أعطوا نساءهم من الصَّدُقات إذا هاجرن، ثم أباح للمسلمين تزوُّجهن بالصَّداق.

﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ العِصَم: جمع عصمة النكاح، فأمر الله المسلمين أن يفارقوا نساءهم الكوافر، يعني: المشركات من عبدة الأوثان، فالآية علىٰ هذا محكمة. وقيل: يعني: كل كافرة، فعلىٰ هذا: نُسخ منها جواز تزوج الكتابيات بقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

وروي أن الآية نزلت في امرأة لعمر بن الخطاب ﷺ، كانت كافرة فطلقها[(١)].

﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ أي: اطلبوا من الكفار ما أنفقتم من الصَّدُقات علىٰ أزواجكم اللاتي فَرَرْنَ إلىٰ الكفار، وليَطلب الكفار منكم ما أنفقوا علىٰ أزواجهم اللاتي هاجرن إلىٰ المسلمين.

(١١) ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ معنىٰ ﴿فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: هروب نساء المسلمين إلىٰ الكفار. والخطاب في قوله: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ و﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم﴾: للمسلمين.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٨٣) عن ابن شهاب الزهري.

وقوله: ﴿عَاقَبْتُمْ﴾ ليس من العقاب على الذنب، وإنما هو من العُقْبىٰ؛ أي: أصبتم عقبىٰ وهي الغنيمة، أو من التعاقب على الشيء، كما يتعاقب الرجلان على الدابة إذا ركبها هذا مرة وهذا مرة أخرىٰ، فلما كان نساء المسلمين يهربون[1] إلى الكفار ونساء الكفار يهربون[2] إلى المسلمين جَعل ذلك كالتعاقب على النساء.

وسبب الآية: أنه لما قال الله: ﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾ قال الكفار: لا نرضىٰ بهذا الحكم، ولا نعطي صَداق من فرَّت زوجته إلينا من المسلمين، فأنزل الله هذه الآية الأخرىٰ، وأَمر المسلمين أن يدفعوا الصَّداق لمن فرَّت زوجته من المسلمين إلى الكفار[3].

ويكون هذا المدفوع من مال[4] الغنائم على قول من قال: إن معنىٰ ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: غنمتم، وقيل: من مال الفيء، وقيل: من الصَّدُقات التي كانت تدفع للكفار إذا فرَّ أزواجهم إلى المسلمين، فأزال الله دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه.

وهذه الأحكام التي تضمنتها هذه الآية قد ارتفعت؛ لأنها نزلت في قضايا معينة، وهي مهادنة النبي ﷺ مع مشركي العرب، ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع الهدنة؛ إذ لا تجوز لنا مهادنة المشركين من العرب، إنما هو في حقهم الإسلام أو السيف، وإنما تجوز مهادنة أهل الكتاب والمجوس؛ لأن الله قال في المشركين: ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وقال في أهل الكتاب: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال النبي ﷺ في المجوس: «سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب»[5].

(١٢) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ الْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ هذه البيعة بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا، وكان رسول الله ﷺ يبايعهن بالكلام، ولا تَمَسُّ يده يد امرأة، ورد هذا

(١) في د، هـ: «يهربن».
(٢) في د، هـ: «يهربن».
(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٨٦) عن ابن شهاب الزهري.
(٤) لم ترد هذه الكلمة في ب، د.
(٥) تقدم تخريجه.

في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها[1]. **وقيل**: إنه ﷺ لفَّ على يده ثوبًا كثيفًا، ثم لمس النساءُ يده كذلك[2]. **وقيل**: إنه غمس يده في إناء فيه ماء ثم دفعه إلى النساء فغمسنَ أيديَهن فيه[3].

﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ﴾ **معناه عند الجمهور**: أن تَنسب المرأة إلى زوجها ولدًا ليس له، وكانت المرأة تلتقط الولد فتقول لزوجها: هذا ولدي منك. وإنما قال: ﴿يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾؛ لأن بطنَها الذي تحمل فيه الولد بين يديها، وفرجَها الذي تلد به بين رجليها. **واختار ابن عطية**: أن يكون البهتان هنا على العموم في أن يُنسب إلى الرجل غيرُ ولده، أو يُفترَىٰ على أحد بالقول، أو تكذب المرأة فيما ائتمنها الله عليه من الحيض والحمل وغير ذلك[4]. وإلى هذا أشار بعض الناس بأن قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ يراد به: اللسان والفم، وبين الأرجل يراد به: الفروج

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أي: لا يعصينك فيما جاءت به الشريعة من الأوامر والنواهي، ومن ذلك: النهي عن النياحة وشق الجيوب، ووصل الشعر وغير ذلك مما كان نساء الجاهلية يفعلْنه.

وورد في الحديث: أن النساء لما بايعْنَ رسول الله ﷺ هذه المبايعة، فقرَّرهنَّ على أن لا يسرقن قالت هند بنت عتبة -وهي امرأة أبي سفيان بن حرب-: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، فهل عليَّ إن أخذت من ماله بغير إذنه، قال: «**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**»، فلما قررهن على أن لا يزنين، قالت هند: يا رسول الله أتزني الحرة؟

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧١١)، ومسلم (١٨٦٦).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٦/ ٣٢٢) عن الشعبي دون إسناد، وأخرجه أبو داود في المراسيل (٢٧٤) عن الشعبي مرسلا.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٦/ ٣٢٢) وأخرجه ابن مردويه -كما في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٤٦٣)- من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وفي إسناده أبو مطيع البلخي وهو ضعيف (لسان الميزان ٣/ ٢٤٦)، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ١٤٩) عن عروة بن مسعود الثقفي، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٤٥).

(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٢٨٧).

فقال ﷺ: «لا تزني الحرة»، يعني في غالب الأمر، وذلك أن الزنا في قريش إنما كان في الإماء، فلما قال: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ قالت: نحن ربَّيناهم صغارًا وقتلتهم أنت ببدر كبارًا، فضحك رسول الله ﷺ، فلما وقفهنَّ على أن لا يعصينه في معروف، قالت: ما جلسنا هذا المجلس وفي أنفسنا أن نعصيَك[1].

وهذه المبايعة للنساء غير معمول بها اليوم؛ لأنه أجمع العلماء على أنه ليس على الإمام أن يشترط عليهن هذا، فإما أن تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ، أو يكون تَرْكُ هذه الشروط؛ لأنها قد تقرَّرت[2] وعُلِمت من الشريعة بالضرورة، فلا حاجة إلى اشتراطها.

﴿١٣﴾ ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: اليهود، وكان بعض فقراء المسلمين يتودَّد إليهم ليصيبوا من أموالهم. وقيل: يعني: كفار قريش، والأول أظهر؛ لأن الغضب قد صار عرفًا لليهود كقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧].

﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ من قال: إن القوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود: فمعنى ﴿يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾: يئسوا من خير الآخرة والسعادة فيها. ومن قال: إن القوم الذين غضب الله عليهم هم كفار قريش: فالمعنى: يئسوا من وجود الآخرة وصحَّتها؛ لأنهم مكذبون بها تكذيبًا جزمًا.

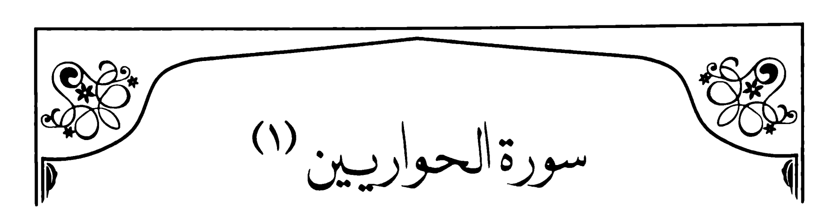
وقوله: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد: كما يئس الكفار المكذِّبون بالبعث من بعث أصحاب القبور، فقوله: ﴿مِنْ أَصْحَابِ﴾ يتعلق بـ﴿يَئِسَ﴾، وهو على حذف مضاف.

والآخر: أن يكون ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ لبيان الجنس؛ أي: كما يئس الكفار الذين في القبور من سعادة الآخرة؛ لأنهم تيقَّنوا أنهم يُعذَّبون[3] فيها.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٥٩٦) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) في ب: «قرِّرت».
(٣) في ب، د: «معذبون».



سورة الحواريين [1]

سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩

۝٢ ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ **في سببها ثلاثة أقوال:**

أحدها -قول ابن عباس ﷺ-: أن جماعة قالوا: وددنا أن نعرف أحب الأعمال إلى الله فنعمله، ففرض الله الجهاد، فكرهه قوم، فنزلت الآية[2].

والآخر: أن قومًا من شُبَّان المسلمين كانوا يتحدثون عن أنفسهم في الغزو بما لم يفعلوا، ويقولون: فعلنا وصنعنا، وذلك كذب، فنزلت؛ زجرًا لهم.

والثالث: أنها نزلت في المنافقين؛ لأنهم كانوا يقولون للمؤمنين: نحن معكم ومنكم، ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك، وهذا ضعيف؛ لأنه خاطبهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾،

---

(١) قال السخاوي في «جمال القراء وكمال الإقراء» (ص: ٩٢): «سورة الصف، وتسمى سورة الحواريين».

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٠٦) من طريق علي والعوفي عنه.

إلا أن يريد أنهم آمنوا بزعمهم، وفيما يُظهِرون. ومع ذلك فحكم الآية على العموم في زجْر مَن يقول ما لا يفعل.

﴿٣﴾ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كان بعض السلف يستحيي أن يعظ الناس؛ لأجل هذا الآية، ويقول: أخاف من مقت الله. والمقت: هو البغض لريبة أو نحوها. وانتصب ﴿مَقْتًا﴾ على التمييز، و ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ فاعل ﴿كَبُرَ﴾. وقيل: فاعل ﴿كَبُرَ﴾ محذوفٌ، تقديره: كبر فعلُكم مقتًا، و﴿أَن تَقُولُواْ﴾ بدل من الفاعل المحذوف، أو خبر ابتداء مضمر.

﴿٤﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ ورود هذه الآية هنا دليل على أن الآية التي قبلها في شأن القتال. وقال بعض الناس: قتال الرَّجَّالة أفضل من قتال الفرسان؛ لأن التراصَّ فيه يتمكَّن أكثر مما يتمكن للفرسان، قال ابن عطية: هذا ضعيف، خفِي على قائله مقصدُ الآية، وليس المراد نفس التصافِّ[1]، وإنما المقصد: الثبوت والجدُّ في القتال[2].

﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ المرصوص: هو الذي ضُمَّ بعضُه إلى بعض. وقيل: هو المعقود بالرصاص، ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظة.

﴿٥﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ كانوا يؤذونه بسوء الكلام وبعصيانه وتنقُّصه[3]. وانظر في «الأحزاب» قوله: ﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ هذا إقامة حجة عليهم، وتوبيخٌ لهم، وتقبيحٌ لإذايته مع علمهم بأنه رسول الله، ولذلك أدخل «قد» الدالة على التَّحقيق.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ هذه عقوبةٌ على الذنب بذنب. وزَيغ القلب: هو ميله عن الحق.

﴿٦﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إنما قال موسى ﷺ: ﴿يَٰقَوْمِ﴾، وقال عيسى ﷺ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ لأنه لم يكن له فيهم أبٌ.

---

(١) في أ: «التراصّ».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٢٩٢).

(٣) في أ، د، هـ: «وتنقيصه».

﴿مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرِيٰةِ﴾ معناه مذكور في «البقرة» في قوله: ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ﴾ عن كعب: أن الحواريين قالوا لعيسىٰ ﷺ: يا روح الله هل بعدنا من أمة؟ قال: نعم، أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء[١].

﴿إِسْمُهُۥ أَحْمَدُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس علىٰ قدمي، وأنا العاقب فلا نبي بعدي»[٢]. وأحمد: مشتقٌّ من الحمد، فيَحتمل أن يكون: فعلًا سمِّي به، أو يكون صفة سمي بها كأحمر، ويحتمل أن يكون: بمعنىٰ حامد، أو بمعنىٰ محمود كمحمد.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْبَيِّنَٰتِ﴾ يحتمل أن يريد: عيسىٰ أو محمد -عليهما الصلاة والسلام-. ويؤيد الأول: اتصاله بما قبله، ويؤيد الثاني: قوله: ﴿وَهُوَ يُدْعىٰ إِلَى ٱلِاسْلَٰمِ﴾؛ لأن الداعيَ إلىٰ الإسلام هو محمد ﷺ.

﴿٨﴾ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ ذكر في «براءة»[٣].



(١) تفسير الثعلبي (٢٦/ ٣٥٣).
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤) عن جبير بن مطعم ﷺ.
(٣) انظر تفسير الآية (٣٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ۝١٤﴾

(١١) ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ تفسيرٌ للتجارة المذكورة. **قال الأخفش**: هو عطف بيان عليها، **وقال الزمخشري**: هو استئناف[1].

(١٢) ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ جزمٌ في جواب ﴿تُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنه بمعنى الأمر، وقد قرأ ابن مسعود رضي الله عنه: «آمنوا وجاهدوا» على الأمر[2]. **وقال الفراء**: هو جواب ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ ؛ لأنه يقتضي التحضيض.

(١٣) ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ ارتفع ﴿أُخْرَىٰ﴾ على أنه خبر ابتداء مضمر تقديره: ولكم نعمة أخرى، أو[3] انتصب على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره: ويمنحكم أخرى، وقيل: هو مخفوض بالعطف على ﴿تِجَٰرَةٍ﴾ ، وهذا ضعيف.

﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ تفسيرٌ للأخرى، فهو بدل منها، أو خبر ابتداء مضمر تقديره هي نصرٌ.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ **قال الزمخشري**: عطفٌ على ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾؛ لأنه في معنى الأمر[4].

(١٤) ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ جمع ناصر، وقد غلَب اسم الأنصار على الأوس والخزرج، وسماهم الله به، وليس ذلك المراد هنا.

---

(١) قال: «كأنهم قالوا: كيف نعمل؟ فقال: ﴿تؤمنون..﴾». الكشاف (١٥/ ٣٩١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٦١٧)، والمحرر الوجيز (٨/ ٢٩٦).

(٣) في ب، ج، د، هـ: «و».

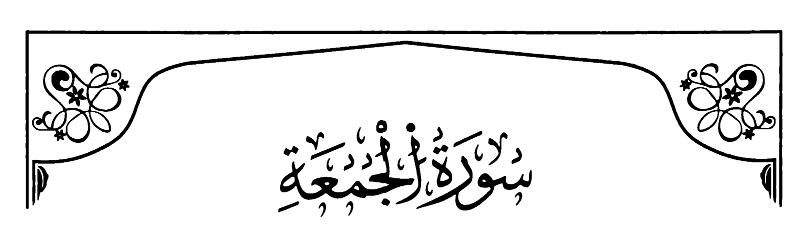
(٤) الكشاف (١٥/ ٣٩٥).

﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ هذا التشبيه محمول على المعنى؛ لأن ظاهره: كونوا أنصارًا لله كقول عيسى، والمعنى: كونوا أنصارًا لله كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى: من أنصاري إلى الله. وقد ذكر في «آل عمران» معنى الحواريين و﴿أَنصَارِيَ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1].

﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ قيل: إنهم ظهروا بالحجة، وقيل: بل غلبوا الكفار بالقتال بعد رفع عيسى عليه السلام، وقيل: إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد ﷺ.

---

(١) انظر تفسير الآية (٥١).



يُسَبِّحُ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمُ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ ذَالِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُوتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٤ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُواْ التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِيسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِئَايَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥ قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُواْ إِن زَعَمْتُمُ أَنَّكُمُ أَوْلِيَاءُ لِلهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝٧ قُلِ انَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨

۝١ ﴿الْقُدُّوسِ﴾ ذكر في «**الحشر**»[1].

۝٢ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ **يعني: محمدًا ﷺ. و﴿الأُمِّيِّينَ﴾: هم العرب، وقد ذكر معنى الأُمِّي في «الأعراف»**[2].

۝٣ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ **عطفٌ على ﴿الأُمِّيِّينَ﴾، وأراد بهؤلاء: فارس، سئل رسول الله ﷺ: من هؤلاء الآخرون؟ فأخذ بيد سلمان الفارسي ﷺ، وقال: «لو كان العلم بالثريا لناله رجال من هؤلاء» يعني: فارس**[3]**. وقيل: هم الروم. و﴿مِّنْهُمْ﴾ على هذين القولين يريد**

---

(١) انظر تفسير الآية (٢٣).

(٢) انظر تفسير الآية (١٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦) عن أبي هريرة ﷺ بلفظ: «لو كان الدين..». وأما لفظ: «لو كان العلم..» فأخرجه أحمد في مسنده (٧٩٥٠) من حديث أبي هريرة ﷺ دون ذكر سلمان.

به: في البشرية وفي الدين، لا في النسب. **وقيل**: هم أهل اليمن، **وقيل**: هم التابعون، **وقيل**: هم سائر المسلمين، **والأول أرجح**؛ لوروده في الحديث الصحيح.

﴿لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ﴾ أي: لم يلحقوا بهم وسيلحقون، وذلك أن «لمَّا» لنفْي الماضي القريب من الحال.

﴿٤﴾ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ إشارةٌ إلىٰ نبوة محمد ﷺ وهداية الناس به.

﴿٥﴾ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ **يعني**: اليهودَ، ومعنىٰ ﴿حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ كُلِّفوا العمل بها والقيامَ بأوامرها ونواهيها، و﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾: لم يطيعوا[1] أمرها، ولم يعملوا بها، شبههم الله بالحمار الذي يحمل الأسفار علىٰ ظهره، ولا يدري ما فيها.

﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ **يعني**: اليهود الذين كذَّبوا محمدًا ﷺ وهم الذين حُمِّلوا التوراة ولم يَحْملوها؛ لأن التوراة تنطق بنبوته ﷺ، فكل من قرأها ولم يؤمن به فقد خالف التوراة.

﴿٦﴾ ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ ذكر في «البقرة»[2].



(١) في هـ: «يطيقوا».
(٢) انظر تفسير الآية (٩٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝١١﴾

۝٩ ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ **النداء للصلاة**: هو الأذان لها. و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ بيانٌ لـ ﴿إِذَا﴾، وتفسير له. و ﴿ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يراد به: الخطبة والصلاة.

ويتعلق بهذه الآية ثماني مسائل:

الأولىٰ: اختُلف في الأذان للجمعة هل هو سنة كالأذان لسائر الصلوات؟ أو واجب لظاهر هذه الآية؟ لأنه شرَط في السعي لها أن يكون عند الأذان، والسعيُ واجب فالأذان واجب.

الثانية: كان الأذان للجمعة علىٰ عهد رسول الله ﷺ علىٰ جدار المسجد، وقيل: علىٰ باب المسجد، وقيل: كان بين يديه ﷺ وهو علىٰ المنبر، وقد كان بنو أمية يأخذون بهذا، وبقي بقرطبة زمانًا، وهو باقٍ بالمشرق إلىٰ الآن.

قال أبو محمد ابن الفَرس: قال مالك في «المجموعة»[1]: إن هشام بن عبد الملك هو الذي أحدث الأذان بين يديه، قال: وهذا دليل علىٰ أن الحديث في ذلك ضعيف[2].

الثالثة: كان المؤذن[3] للجمعة واحدًا، ثم زاد عثمان ﵁ النداءَ علىٰ الزَّوراء[4] ليسمع الناس، واختلف الفقهاء هل المستحب أن يؤذن فيها اثنان أو ثلاثة؟

---

(١) المجموعة علىٰ مذهب مالك وأصحابه، كتاب ألَّفه محمد بن إبراهيم بن عبدوس (ت ٢٦٠هـ) من كبار أصحاب سحنون. انظر: الديباج المذهب (٢/ ١٧٤).

(٢) أحكام القرآن، لابن الفرس (٣/ ٥٥٨)، يعني الحديث الذي جاء أنه كان بين يديه ﷺ أذان، فضعَّفه ابن الفرس بقول مالك هذا، قال: «فلو كان ذلك في زمن النبي ﷺ لم يقل: إنه مُحدث».

(٣) في أ: «الأذان».

(٤) قال القاضي عياض في المشارق (١/ ٣١٥): «هو موضع بالمدينة عند السوق قرب المسجد، وذكر الداودي أنه مرتفع كالمنار».

الرابعة: السعي في الآية بمعنىٰ المشي لا بمعنىٰ الجري، وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «فامضوا إلىٰ ذكر الله»[١] وهذا تفسير للسعي، فهو بخلاف السعي في قول رسول الله ﷺ: «إذا نودي للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون»[٢].

الخامسة: حضور الجمعة واجب؛ لحمل الأمر الذي في الآية علىٰ الوجوب باتفاق، إلا أنها لا تجب علىٰ المرأة ولا الصبي ولا المريض باتفاق.

ولا تجب علىٰ العبد والمسافر عند مالك[٣] والجمهور، خلافًا للظاهرية، وتعلقوا بعموم الآية.

وحجة الجمهور: قول رسول الله ﷺ: «الجمعة واجبة علىٰ كل مسلم في جماعة إلا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض»[٤]، وحجتهم في المسافر: أن رسول الله ﷺ كان لا يقيم الجمعة في السفر.

واختُلف هل تسقط الجمعة بسبب المطر أم لا؟ وهل يجوز للعروس التخلف عنها أم لا؟ والمشهور: أنها لا تسقط عنهما؛ لعموم الآية.

السادسة: اختلف متىٰ يتعين الإقبال إلىٰ الصلاة؟ فقيل: إذا زالت الشمس، وقيل: إذا أذن المؤذن، وهو ظاهر الآية.

السابعة: اختُلف في الموضع الذي يجب منه السعي إلىٰ الجمعة؟

فقيل: ثلاثة أميال وهو مذهب مالك[٥]، وقيل: ستة أميال، وقيل: تجب علىٰ مَن

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٩٠٨)، ومسلم (٦٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ١٦٩).

(٤) أخرجه أبو داود (١٠٦٧) من حديث طارق بن شهاب، وقال: «طارقُ بن شهاب قد رأىٰ النبيَّ ﷺ، ولم يسمع منه شيئًا»، فهو مرسل، ووصله الحاكم (١٠٦٢) بذكر أبي موسىٰ رضي الله عنه فيه، وصححه ووافقه الذهبي، قال البيهقي في السنن (٣/ ٢٤٦): «وليس بمحفوظ»، وقال أيضًا (٣/ ٢٦٠): «هذا الحديث وإن كان فيه إرسال فهو مرسل جيد، فطارق من خيار التابعين.. ولحديثه هذا شواهد»، وصحح إسناده ابن رجب في فتح الباري (٥/ ٣٢٧)، وابن الملقن في البدر المنير (٤/ ٦٣٧)، وجود إسناده ابن كثير في إرشاد الفقيه (١/ ١٩٠).

(٥) وأحمد، وهذا إن كان خارج المصر، وأما أهل المصر فيلزمهم كلهم، قربوا أو بعدوا. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ١٦١).

داخِلُ المصر، وقيل: على من سمع النداء، وقيل: على من آواه الليل إلى أهله.

الثامنة: اختلف في الوالي هل هو من شرط[1] الجمعة أم لا؟ على قولين، والمشهور: سقوطه؛ لأن الله لم يشترطه في الآية.

﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَۚ﴾ أمرٌ بترك البيع يوم الجمعة إذا أخذ المؤذنون في الأذان، وذلك على الوجوب، فيقتضي تحريم البيع. واختلف في البيع الذي يُعقد في ذلك الوقت هل يفسخ أم لا؟

واختلف في بيع من لا تلزمهم الجمعة من النساء والعبيد؛ هل يجوز في ذلك الوقت أم لا؟ والأظهر: جوازه؛ لأنه إنما منع منه مَن يُدعَى إلى الجمعة، ويجري النكاح في ذلك الوقت مجرى البيع في المنع.

﴿١٠﴾ ﴿فَانتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ هذا الأمر للإباحة باتفاق، حكَى الإجماعَ على ذلك ابن عطية[2] وابن الفرس[3].

﴿وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ قيل: معناه طلب المعاش، فالأمر على هذا إباحة، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الفضل المبتغى: عيادة مريض، أو صلة صديق، أو اتباع جِنازة»[4]. وقيل: هو طلب العلم، وإن صح الحديث لم يُعدَل إلى سواه.

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾ سبب الآية: أن رسول الله ﷺ كان قائمًا على المنبر يخطب يوم الجمعة، فأقبلت عِير من الشام بطعام، وصاحب أمرها دِحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه، وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سرورًا بها، فلما دخلت العير كذلك انفضَّ أهل المسجد إليها، وتركوا رسول الله ﷺ قائمًا على المنبر، ولم يبق معه إلا اثنا عشر رجلًا، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أنا أحدهم[5].

---

(١) في أ، هـ: «شروط».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٣٠٤).

(٣) أحكام القرآن (٣/ ٥٦٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٤٤) من حديث أبي عامر الصائغ، عن أبي خلف، عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا، قال الذهبي في ميزان الاعتدال (٤/ ٥٤٣): «أبو عامر الصائغ، عن أبي خلف، عن أنس: قال الأزدي: كان يضع الحديث»، وأبو خلف: قال ابن حجر في التقريب (١١٤١): «متروك»، فالحديث ضعيف جدا.

(٥) أخرجه البخاري (٩٣٦)، ومسلم (٨٦٣) عن جابر رضي الله عنه.

وذكر بعضهم: أن منهم العشرة المشهود لهم بالجنة(١)، **واختُلف في الثاني عشر: فقيل:** عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، **وقيل:** عمار بن ياسر رضي الله عنه.

وقيل: إنما بقي معه ﷺ ثمانية(٢)، **وروي أنه ﷺ قال:** «لولا هؤلاء لقد كانت الحجارة سُوِّمت في السماء على المنفضِّين»(٣).

وظاهر الآية: يقتضي أن الجماعة شرط في الجمعة وهو مذهب مالك والجمهور، إلا أنهم اختلفوا في مقدار الجماعة الذين تنعقد بهم الجمعة؟

فقال مالك: ليس في ذلك عدد محدود، وإنما هم جماعة تقوم بهم قرية، **وروى ابن الماجشون عن مالك:** ثلاثون(٤)، **وقال الشافعي**(٥): أربعون، **وقال أبو حنيفة:** ثلاثة مع الإمام، **وقيل:** اثنا عشر، عددَ الذي بقوا مع النبي ﷺ.

فإن قيل: لم قال: ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهو؟ **فالجواب من وجهين:**

أحدهما: أنه أراد: انفضوا إلى اللهو وانفضوا إلى التجارة، ثم حَذف أحدهما؛ لدلالة الآخر عليه. **قاله الزمخشري**(٦).

والآخر: أنه قال ذلك تهمُّمًا بالتجارة؛ إذ كانت أهم، وكانت هي سبب اللهو، ولم يكن اللهو سببَها، **قاله ابن عطية**(٧).

(١١) ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ﴾ اختلف في القيام في الخطبة هل هو واجب أم لا؟ وإذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها أم لا؟ **فمن أوجبه واشترطه:** أخذ بظاهر الآية من ذكر القيام، **ومن لم يوجبه:** رأى أن ما فعله النبي ﷺ من ذلك لم يكن على الوجوب.

---

(١) نقله ابن عطية عن والده. المحرر الوجيز (٨/ ٣٠٥)

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٦/ ٤٣١) من رواية الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما، والكلبي متروك.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٣٦) عن مقاتل بن حيان مرسلًا.

(٤) في ب زيادة: «رجلًا».

(٥) وأحمد في ظاهر المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ١٩٨).

(٦) الكشاف (١٥/ ٤٢٠).

(٧) المحرر الوجيز (٨/ ٣٠٥-٣٠٦).

ومذهب مالك[1]: **أن مِن سنة الخطبة الجلوس قبلها والجلوس بين الخطبتين. وقال أبو حنيفة: لا يجلس بين الخطبتين؛ لظاهرِ الآية، وذِكْرِ القيام فيها دون جلوس. وحجة مالك:** فعل رسول الله ﷺ.

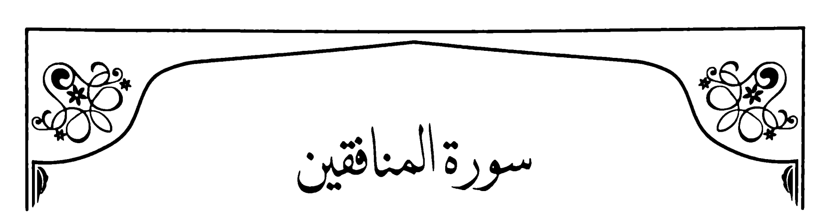
﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ﴾ **إن قيل:** لم قدَّم اللهو هنا على التجارة وقدم التجارة قبل هذا على اللهو؟

فالجواب: أن كل واحد من الموضعين جاء على ما ينبغي فيه؛ وذلك أن العرب تارة يبتدئون بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل، كقولك: «فلان يخون في الكثير والقليل» فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه، وتارة يبتدئون بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر، كقولك: «فلان أمين على القليل والكثير» فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه، ولو عُكس في كل واحد من المثالين لم يكن حسنًا؛ فإنك لو قدمتَ في الخيانة ذكر القليل لعُلم أنه يخون في الكثير من باب أولى وأحرى، ولو قدمتَ في الأمانة ذكر الكثير لعُلم أنه أمين في القليل من باب أولى وأحرى، فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة.

وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ قدم التجارة هنا ليبيِّن أنهم ينفضون إليها، وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذي هو دونها، وقوله: ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ﴾ قدم اللهو ليبين أن ما عند الله خير من اللهو، وأنه أيضًا خير من التجارة التي هي أعظم منه، ولو عكَس كل واحد من الموضعين لم يَحسن.



(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ٢٣٨).



سورة المنافقين

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾

(١) ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فلذلك كذَّبهم الله في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: كذَبوا في دعواهم الشهادة بالرسالة. وأما قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ فليس من كلام المنافقين، وإنما هو من كلام الله تعالىٰ، ولو لم يذكره لكان يوهم أن قولَه: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ إبطالٌ للرسالة، فوسَّطه بين حكاية قول المنافقين وبين تكذيبهم؛ ليُزيل هذا الوهم وليحقِّق الرسالة، وعلىٰ هذا ينبغي أن يوقف علىٰ قوله: ﴿لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾.

(٢) ﴿جُنَّةً﴾ ذكر في «**المجادلة**»[١].

---

(١) انظر تفسير الآية (١٦).

(٣) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ **الإشارةُ إلىٰ** سوء عملهم، أو إلىٰ فضيحتهم وتوبيخهم. **وأما قوله:** ﴿ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ **فيَحتمل وجهين:**

أحدهما: أن يكون فيمن آمن منهم إيمانًا صحيحًا، ثم نافق بعد ذلك.

والآخر: أن يريد: آمنوا في الظاهر، كقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٣].

(٤) ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ **يعني:** أنهم حِسانُ الصُّور.

﴿وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ **يعني:** أنهم فصحاء. والخطاب في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ﴾ وفي قوله: ﴿تَسْمَعْ﴾: للنبي ﷺ، ولكل مخاطَب.

﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ شبَّههم بالخشب في قلة أفهامهم، فكان لهم مَنظر بلا مَخْبر. **وقال الزمخشري:** إنما شبههم بالخشب المسندة إلىٰ حائط؛ لأن الخُشب إذا كانت كذلك لم يكن فيها منفعة، بخلاف الخشب التي تكون في سَقف أو مغروسةً في جدار؛ فإن فيها حينئذ منفعة، فالتشبيه علىٰ هذا في عدم المنفعة[(١)]. وقيل: كانوا يستندون في مجلس رسول الله ﷺ، فشبههم في استنادهم بالخشب المسنَدة إلىٰ الحائط[(٢)].

﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ عبارةٌ عن شدَّة خوفهم من المسلمين، وذلك أنهم كانوا إذا سمعوا صياحًا ظنوا أن النبي ﷺ يأمر بقتلهم.

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاءٌ عليهم يتضمن ذمَّهم وتقبيحَ أحوالهم.

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يصرفون عن الإيمان مع[(٣)] ظهوره؟

(٥) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾ **أي:** أمالوها إعراضًا واستكبارًا. **وقَصصُ هذه الآية وما بعدها:** أن رسول الله ﷺ خرج في غزوة بني المصطلق، فبلغ الناس إلىٰ ماء ازدحموا عليه، فكان ممن ازدحم جَهْجاه بن سعيد[(٤)] أجير لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسِنان الجُهني حليفٌ لعبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، فلطم

---

(١) الكشاف (١٥/ ٤٢٩).

(٢) في ب، د: «حائط».

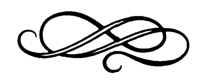
(٣) في ب، د: «بعد».

(٤) الذي سيرة ابن هشام (٢/ ٢٩٠): «جهجاه بن مسعود»، وفي الإصابة (٢/ ٢٦٤): « جهجاه بن سعيد، وقيل: ابن قيس، وقيل: ابن مسعود».

الجهجاه سنانًا، فغضب سنان ودعا بالأنصار ودعا الجهجاه بالمهاجرين، فقال عبد الله بن أبيّ: والله ما مَثلنا ومَثلُ هؤلاء -يعني المهاجرين- إلا كما قال الأول: «سَمِّنْ كلبَك يأكلْك»، ثم قال: لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني بالأعزِّ: نفسه وأتباعه، ويعني بالأذلِّ: رسول الله ﷺ ومن معه، ثم قال لقومه: إنما يقيم هؤلاء المهاجرون بالمدينة بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم، ولو قطعتم ذلك عنهم لفرُّوا عن مدينتكم، فسمعه زيد بن أرقم ﷺ فأخبر بذلك رسولَ الله ﷺ، فبلغ ذلك عبدَ الله بن أبي، فحلف أنه ما قال شيئًا من ذلك، وكذَّب زيدًا، فنزلت السورة عند ذلك، فبعث رسول الله ﷺ في زيد، وقال له: «لقد صدَّقك الله يا زيد»، فخَزِيَ عبدُ الله بن أبي، ومقته الناس، فقيل له: امض إلىٰ رسول الله ﷺ يستغفرْ لك! فلوَىٰ رأسه إنكارًا لهذا الرأي، وقال: أمرتموني بالإسلام فأسلمت، وأمرتموني بأداء زكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني أن أسجد لمحمد! ثم مات عبد الله بن أبيٍّ بعد ذلك بقليل[1].

وأُسندت هذه الأقوال التي قالها عبد الله بن أبيٍّ إلىٰ ضمير الجماعة؛ لأنه كان له أتباع من المنافقين يوافقونه عليها.

(٦) ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ روي أنه لما نزلت ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨١] قال رسول الله ﷺ: «لأزيدن علىٰ السبعين»[2] فلما فعل عبد الله بن أبيٍّ وأصحابه ما فعلوا شدَّد الله عليهم في هذه السورة، وأخبر أنه لا يغفر لهم بوجه. وفي هذا نظر؛ لأن هذه السورة نزلت في غزوة بني المصطلق قبل الآية الأخرىٰ بمدَّة.



(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٥٥، ٦٦٧) عن زيد بن أرقم، وعن ابن إسحاق، وهو عند البخاري (٤٩٠٠) ومسلم (٢٧٧٢) من حديث زيد بن أرقم ﷺ مختصرًا.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠) عن ابن عمر ﷺ.

*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

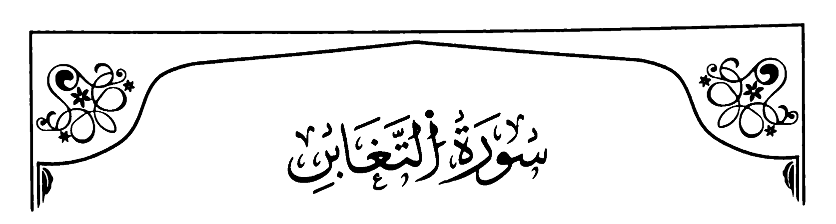
﴿٩﴾ ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: لا تَشغلْكم. و ﴿ذِكْرِ اللَّهِ﴾ هنا: على العموم في الصلاة والدعاء والعبادة. **وقيل:** يعني: الصلاة المكتوبة، **والعموم أولى.**

﴿١٠﴾ ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾ عمومٌ في الزكاة وصدقة التطوع والنفقة في الجهاد وغير ذلك. **وقيل:** يعني: الزكاة المفروضة، **والعموم أولى.**

﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ **بالجزم:** عطفٌ على موضع جواب الشرط[1]. **وقرأ أبو عمرٍو** ﴿وَأَكُونَ﴾ بالنصب عطفٌ على ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾.



(١) والتقدير: إن تؤخِّرني أصَّدقْ وأكنْ من الصالحين. المحرر الوجيز (٨/ ٣١٦).



سورة التغابن

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ *زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾

﴿٢﴾ **﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ في تأويل الآية وجهان:**

أحدهما: هو الذي خلقكم فكان يجب على كل واحد منكم الإيمان به، لكن منكم من كفر ومنكم من آمن، فالكفر والإيمان على هذا: هو اكتساب العبد.

والآخر: أن المعنى: هو الذي خلقكم على صنفين: فمنكم من خلقه مؤمنًا ومنكم من خلقه كافرًا، فالإيمان والكفر على هذا: هو ما قضى الله على كل أحد.

والأول أظهر؛ لأن عطفه على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ بالفاء يقتضي أنَّ الكفر والإيمان واقعان بعد الخلقة، لا في أصل الخلقة.

﴿٣﴾ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ ذكر معناه في مواضع[١].

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ تعديد نعمةٍ في حُسنِ خِلقة بني آدم؛ لأنهم أحسن صورة من جميع أنواع الحيوان وإن وجد بعض الناس قبيح المنظر، فلا يخرجه ذلك عن حسْن الصورة الإنسانية، وإنما هو قبيحٌ بالنظر إلىٰ من هو أحسن منه من الناس. وقيل: يعني: العقل والإدراك الذي خُصَّ به الإنسان، والأول أرجح؛ لأن الصورة إنما تنطلق علىٰ الشَّكل.

﴿٥﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ خطاب لقريش وسائر الكفار.

﴿٦﴾ ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ معناه: أنهم استبعدوا أن يرسل الله بشرًا، أو تكبَّروا عن اتباع بشر. والبشر: يقع علىٰ الواحد والجماعة.

﴿٧﴾ ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾ قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: زعم كناية عن كذب[٢].

﴿٩﴾ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾ : ﴿لَتُنَبَّؤُنَّ﴾، أو ﴿خَبِيرٌ﴾، أو محذوفٌ تقديره: اذكر. ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾، يعني: يوم القيامة.

و﴿ٱلتَّغَابُنِ﴾ : مستعارٌ مِن تغابُن الناس في التجارة، وذلك إذا فاز السُّعداء بالجنة، فكأنهم غبَنوا الأشقياء في منازلهم التي كانوا ينزلون منها لو كانوا سعداء، فالتغابن علىٰ هذا بمعنىٰ الغَبْن، وليس علىٰ المتعارف في صيغة تفاعل من كونها بين اثنين، كقولك: تضارب وتقاتل، إنما هي فعلُ واحدٍ كقولك: تواضع، قاله ابن عطية[٣].

وقال الزمخشري: يعني: نزول السُّعداء منازل الأشقياء ونزول الأشقياء منازل السعداء، والتغابن علىٰ هذا بين اثنين، قال: وفيه تهكُّم بالأشقياء؛ لأن نزولهم في جهنم ليس في الحقيقة بغَبْن للسعداء[٤].

---

(١) انظر تفسير الآية (٥) من سورة يونس، وتفسير الآية (٨٥) من سورة الحجر، وتفسير الآية (٢٦) من سورة ص.

(٢) أخرجه الطبري بإسناده في تفسيره (٢٣/ ٩) إلىٰ ابن عمر رضي الله عنهما قال: «زعم: كُنْيَة الكذب».

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٣٢١).

(٤) الكشاف (١٥/ ٤٥٥).

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ اِلَّا بِإِذْنِ اِ۬للَّهِۖ وَمَنْ يُّومِنۢ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۖ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَےْءٍ عَلِيمٌۖ (١١) وَأَطِيعُواْ اُ۬للَّهَ وَأَطِيعُواْ اُ۬لرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا اَ۬لْبَلَٰغُ اُ۬لْمُبِينُۖ (١٢) اُ۬للَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَعَلَى اَ۬للَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اِ۬لْمُومِنُونَۖ (١٣) يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنَ اَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْۖ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اَ۬للَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۖ (١٤) اِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۖ وَاللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌۖ (١٥) فَاتَّقُواْ اُ۬للَّهَ مَا اَ۪سْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْۖ وَمَنْ يُّوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُ۬لْمُفْلِحُونَۖ (١٦) إِن تُقْرِضُواْ اُ۬للَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۖ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌۖ (١٧) عَٰلِمُ اُ۬لْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِۖ اِ۬لْعَزِيزُ اُ۬لْحَكِيمُۖ (١٨)

(١١) ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ اِلَّا بِإِذْنِ اِ۬للَّهِۖ﴾ **يحتمل أن يريد بالمصيبة**: الرزايا، وخصَّها بالذكر لأنها أهم على الناس، أو يريد جميع الحوادث من خير وشر. و ﴿بِإِذْنِ اِ۬للَّهِۖ﴾ عبارةٌ عن قضائه وإرادته تعالىٰ.

﴿وَمَنْ يُّومِنۢ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۖ﴾ **قيل**: معناه: من يؤمن بأن كل شيء بإذن الله يهد الله قلبه للتَّسليم والرِّضا بقضاء الله، وهذا حسَنٌ، **إلا أن العموم أحسن منه**.

(١٤) ﴿إِنَّ مِنَ اَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْۖ﴾ **سببها**: أن قومًا أسلموا وأرادوا الهجرة، فثبطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة، فحذرهم الله من طاعتهم في ذلك[١].

وقيل: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي[٢]، وذلك أنه أراد الجهاد فاجتمع أهله وأولاده[٣] فشكَوا من فراقه، فرقَّ لهم ورجع، ثم إنه ندم وهم بمعاقبتهم، فنزلت الآية محذِّرةً من فتنة الأولاد، ثم صرف تعالىٰ عن معاقبتهم بقوله: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ﴾ الآيةَ. ولفظ الآية مع ذلك علىٰ عمومه في التحذير ممن يكون للإنسان عدوًّا من أهله وأولاده، سواء كانت عداوتهم بسبب الدين أو الدنيا.

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٨)، والترمذي (٣٣١٧) وصححه، والحاكم (٣٨١٤) وصححه ووافقه الذهبي، عن ابن عباس ﷺ.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥) عن عطاء بن يسار.

(٣) في أ، هـ: «وولده».

(١٥) ﴿وَاللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ترغيبٌ في الآخرة وتزهيد في الأموال والأولاد، التي فُتن الناس بها.

(١٦) ﴿فَاتَّقُوا۟ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ قيل: إن هذا ناسخ لقوله: ﴿اتَّقُوا۟ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وروي أنه لما نزل ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ شقَّ ذلك على الناس حتى نزل ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[1]. وقيل: لا نسخ بينهما؛ لأن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ معناه: فيما استطعتم؛ إذ لا يمكن أن يفعل أحد إلا ما يستطيع، فهذه الآية -على هذا- مُبيِّنة لتلك، وتحرَّزَ بالاستطاعة من الإكراه والنسيان وما لا يؤاخَذ به العبيد[2]. وإعراب ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ظرفية.

﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ منصوبٌ بإضمار فعل لا يظهر عند سيبويه. وقيل: هو مفعول بـ ﴿أَنفِقُوا۟﴾؛ لأن الخير بمعنى المال. وقيل: هو نعتٌ لمصدر محذوف تقديره: أنفقوا إنفاقًا خيرًا لأنفسكم.

﴿وَمَن يُوقَ﴾ ذكر في «الحشر»[3].

(١٧) ﴿إِن تُقْرِضُوا۟﴾ ذكر في «البقرة»[4].

﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ذكر في «اللغات»[5].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٩) عن قتادة.
(٢) في د: «العبد».
(٣) انظر تفسير الآية (٩).
(٤) انظر تفسير الآية (٢٤٣).
(٥) انظر المواد (١٢٩)، و (٥٤٠).



سُورَةُ الطَّلَاقِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۝١ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُومِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣ وَالَّاءِ يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّاءِ لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝٤ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝٥ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ *وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى ۝٦ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧

۝١ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ **إن قيل:** لم نودي النبي ﷺ وحده ثم جاء بعد ذلك خطاب الجماعة؟ **فالجواب:** أنه لما كان حكم الطلاق يشترك فيه النبي ﷺ وأمته، قيل: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمْ﴾ خطابًا له ولهم، وخُصَّ هو ﷺ بالنداء أولًا تعظيمًا له، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: «يا فلان افعلوا»، أي: افعل أنت وقومك، ولأنه ﷺ هو المبلِّغ إلى

أمته[١]، فكأنه قال: يا أيها النبي إذا طلقت أنت وأمتُك.

وقيل: تقديره: يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم، وهذا ضعيف؛ لأنه يقتضي أن هذا الحكم مختصٌّ بأمته دونه. **وقيل:** إنه خوطب النبي ﷺ بـ﴿طَلَّقْتُمُ﴾ تعظيمًا له، كما تقول للرجل المعظَّم: «أنتم فعلتم»، وهذا أيضًا ضعيف؛ لأنه يقتضي اختصاصه ﷺ بالحكم دون أمته. ومعنىٰ ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ هنا: إذا أردتم الطلاق. واختُلف في الطلاق هل هو مباح أو مكروه؟ وأما إذا كان علىٰ غير وجه السنة فهو ممنوع، ولكنه يلزم، وأما اليمين بالطلاق فممنوع[٢].

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ تقديره: طلقوهن مستقبلاتٍ لعدتهن، ولذلك قرأ عثمان وابن عباس وأبيّ بن كعب ﷺ: «فطلقوهن في قُبُلِ عِدَّتهن»[٣]، وقرأ ابن عمر ﷺ: «لقُبُلِ عدتهن»[٤]، ورويت القراءتان عن رسول الله ﷺ[٥]. ومعنىٰ ذلك كله: أن لا يطلِّقَها وهي حائض، فهو منهي عنه بإجماع؛ لأنه إذا فعل ذلك لم يقع طلاقه في الحال التي أمره الله بها وهو استقبال العدة.

واختلف في النهي عن الطلاق في الحيض هل هو معلَّل بتطويل العدة، أو هل هو تعبُّد؟ **والصحيح** أنه معلَّل بذلك، وينبني علىٰ هذا الخلاف فروع: منها: هل يجوز إذا رضيت به المرأة أم لا؟ ومنها: هل يجوز طلاقها في الحيض وهي حامل أم لا؟ ومنها: هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهي حائض أم لا؟ فالتعليل بتطويل العدَّة يقتضي جواز هذه الفروع، والتعبُّد يقتضي المنع. ومن طلق في الحيض لزمه الطلاق، ثم أُمر بالرجعة علىٰ وجه الإجبار عند مالك[٦]، ودون إجبار عند الشافعي[٧] حتىٰ تطهر، ثم تحيض ثم تطهر،

---

(١) في ب، د: «لأمته».

(٢) في أ، ب: «فهو ممنوع».

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٣٢٧).

(٤) أخرجها مالك في الموطأ (١٨٦٠).

(٥) قراءة «فطلقوهن في قُبُلِ عِدَّتهن» أخرجها مسلم (١٤٧١) من حديث ابن عمر ﷺ، وقراءة «القُبُلِ عدتهن» أخرجها عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٣١٥) من حديث ابن عمر ﷺ أيضًا.

(٦) وأحمد في رواية اختارها ابن أبي موسىٰ.

(٧) وأحمد في ظاهر المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٢/ ١٧٦).

ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك، حسَبما ورد في حديث ابن عمر ﵄ حين طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر ﵁ للنبي ﷺ فقال له: «**مُرْهُ فليراجعها حتىٰ تطهر ثم تحيض ثم تطهر؛ فإن شاء طلق وإن شاء أمسك**»[1]. واشترط مالك أن يطلقها في طهر لم يمسها فيه؛ لتعتد بذلك الطهر، فإنه إن طلقها في طهر بعد أن جامعها فيه فلا تدري هل تعتد بالوضع أو بالأقراء؟ فليس طلاقًا لعدَّتها كما أمره الله.

﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ أمَر بذلك لما يُبنَىٰ عليها من الأحكام، في الرجعة والسكنىٰ والميراث وغير ذلك.

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ نهىٰ الله سبحانه وتعالىٰ أن يُخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذي طلقها فيه، ونهاها أن تخرج هي باختيارها، فلا يجوز لها المبيت عن بيتها، ولا أن تغيب عنه نهارًا إلا لضرورة التصرف، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة، فإن كان المسكن مِلكًا للزوج، أو مكترًىٰ عنده لزمه إسكانها فيه، وإن كان المسكن لها فعليه كراؤه مدة العدة، وإن كانت قد أمتعته فيه مدة الزوجية؛ ففي لزوم خَرْجِ[2] العدة له قولان في المذهب، والصحيح لزومه؛ لأن الإمتاع قد انقطع بالطلاق.

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ **اختُلف في هذه الفاحشة التي أباحت خروج المعتدَّة ما هي؟ علىٰ خمسة أقوال:**

الأول: أنها الزنا، فتُخرج لإقامة الحدِّ، قاله الليث بن سعد والشعبي.

الثاني: أنه سوء الكلام مع الأصهار، فتخرج ويسقط حقها من السكنىٰ، ويلزمها الإقامة في مسكن تتخذه حفظًا للنسب، قاله ابن عباس ﵄[3]، ويؤيده قراءة أبي بن كعب: «إلا أن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١).

(٢) في ب، ج: «خروج»، والمثبت هو الصواب، والإمتاع: هو إعطاء الزوجة للزوج شيئًا في عقد النكاح أو بعده، مثل إمتاعه بسكنىٰ دارها، والمراد بخَرْج العدة: أجرة البيت مدةَ العدة، فإن الأجرة واجبة علىٰ الزوج لها حينئذ. انظر: القوانين الفقهية (٣٦٣)، والبحر المحيط (٢٠/ ٣٦٦)، وشرح ميارة «الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام»، ط. دار الكتب العلمية (١/ ٢٨٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٤).

يفحشْنَ عليكم»[١].

الثالث: أنه جميع المعاصي من القذف والزنا والسرقة وغير ذلك، فمتىٰ فعلت شيئًا من ذلك سقط حقها في السكنىٰ، قاله ابن عباس ﵄ أيضًا[٢]، وإليه مال **الطبري**[٣].

الرابع: أنه الخروج عن[٤] بيتها خروجَ انتقال، فمتىٰ فعلت ذلك سقط حقها في السكنىٰ، **قال ابن الفرس**: وإلىٰ هذا ذهب مالك في المرأة إذا نشزت في العدة[٥].

الخامس: أنه النشوز قبل الطلاق، فإذا طلقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكنىٰ، قاله قتادة.

﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ المراد به: الرجعة عند الجمهور، أي: أحصوا العدة وامتثلوا ما أُمرتم به، لعل الله يحدث الرَّجعة لنسائكم. وقيل: المعنىٰ: لعل الله يحدث أمرًا من نسخ هذه الأحكام، وهذا بعيد. وقيل: إن سبب الرجعة المذكورة في الآية: تطليق النبي ﷺ لحفصة بنت عمر ﵄، فأمره الله بمراجعتها[٦].

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يريد: آخر العدة. **والإمساك بمعروف**: هو تحسين العشرة، وتوفية النفقة. **والفراق بالمعروف**: هو أداء الصَّداق، والإمتاع حين الطلاق، والوفاء بالشروط ونحو ذلك.

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ هذا خطاب للأزواج، **والإشهاد المأمور به**: هو علىٰ الرجعة **عند الجمهور**، وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحب؟ علىٰ قولين في المذهب.

---

(١) ذكرها في المحرر الوجيز (٨/ ٣٢٩)، وفي تفسير عبد بن حميد -كما في الدر المنشور (٤/ ٢٩١)- أن هذه القراءة لأبيٍّ ﵁ في آية سورة النساء [١٩]: ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٦).

(٤) في ب، د: «من».

(٥) أحكام القرآن (٣/ ٥٧٤).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٩) -وكما في تفسير ابن كثير (٨/ ١٤٢)- عن قتادة عن أنس ﵁، وأخرجه الطبري (٢٣/ ٣٠) عن قتادة مرسلًا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة[1]، وذلك أظهر؛ لأن الإشهاد به يرفع الإشكال والنزاع، ولا فرق في هذا بين الرجعة والطلاق. وقد ذكرنا العدالة في «البقرة»[2].

وقوله: ﴿ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ يدل على أنه إنما يَشهد في الطلاق والنكاح الرجالُ دون النساء، وهو مذهب مالك[3]، خلافًا لمن أجاز شهادة النساء في ذلك. وقوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ يعني: من المسلمين، وقيل: من الأحرار، فيؤخذ من ذلك: ردُّ شهادة العبيد، وهو مذهب مالك[4].

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ هذا خطاب للشهود. وإقامة الشهادة يحتمل أن يريد به: القيام بها، فإذا استُشهد وجب عليه أن يشهد، وهو فرض كفاية، وإلى هذا المعنى أشار ابن الفرس[5]، ويحتمل أن يريد: إقامتها بالحق دون ميل ولا غرض، وبهذا فسره الزمخشري[6]، وهو أظهر؛ لقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ فهو كقوله: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٤].

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدم من الأحكام.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجاً﴾ قيل: إنها في الطلاق، ومعناها: من يتق الله فيطلق طلقة واحدة، حسَبما تقتضيه السنة يجعل له مخرجًا بجواز الرجعة متى ندم على الطلاق، وفي هذا المعنى روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لمن طلق ثلاثًا: إنك لم تتق الله فبانَتْ منك امرأتُك، ولا أرى لك مخرجًا[7]؛ أي: لا رجعة لك. وقيل: إنها على العموم؛ أي: من يتق الله في أقواله وأفعاله يجعل الله له مخرجًا من كرب الدنيا والآخرة، وقد روي هذا أيضًا

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤١) من طريق علي بن أبي طلحة عنه رضي الله عنه.
(٢) انظر تفسير الآية (٢٨١).
(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٠/ ١٦).
(٤) وأبي حنيفة والشافعي، خلافًا لأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٩/ ٣٩٧).
(٥) أحكام القرآن (٣/ ٥٧٦).
(٦) الكشاف (١٥/ ٤٧١).
(٧) أخرجه أبو داود (٢١٩٧)، وصححه ابن حجر في الفتح (٩/ ٣٦٢).

عن ابن عباس ﷺ[١]، وهذا أرجح لخمسة أوجه:

أحدها: حمل اللفظ على عمومه، فيدخل في ذلك الطلاق وغيره.

الثاني: أنه روي أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، وذلك أنه أسر ولده وضُيق عليه رزقُه، فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمره بالتقوى، فلم يلبث إلا يسيرًا وانطلق ولده ووسع الله رزقه[٢].

والثالث: أنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قرأها فقال: «مخرجًا من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة»[٣].

والرابع: روي أنه ﷺ قال: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾..» الآيةَ، فما زال يقرؤها ويعيدها[٤].

الخامس: قوله: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، فإن هذا لا يناسب الطلاق، وإنما يناسب التقوى على العموم.

قال بعض العلماء: الرزق على نوعين: رزق مضمون لكل حي طولَ عمره، وهو الغذاء الذي تقوم به الحياة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[هود: ٦]، ورزق موعود للمتقين خاصة، وهو المذكور في هذه الآية.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: كافيهِ بحيث لا يحتاج معه إلى غيره. وقد تكلَّمنا على التوكل في «آل عمران»[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٣) من طريق علي بن أبي طلحة عنه ﷺ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٩) عن محمد بن إسحاق.

(٣) أخرجه الثعلبي (٢٦/ ٥٦٠) عن عطاء بن يسار عن ابن عباس ﷺ، وفي إسناده ابن وهب الدينوري، وهو متروك، وسعيد بن راشد الحنفي وهو منكر الحديث. ميزان الاعتدال، للذهبي (٢/ ١٣٥، ٤٩٤)، فالإسناد ضعيف جدًّا.

(٤) أخرجه أحمد (٢١٥٥١)، والنسائي في الكبرى (١١٥٣٩)، وابن ماجه (٤٢٢٠)، وابن حبان (٦٦٦٩)، والحاكم (٣٨١٩) وصححه ووافقه الذهبي، من حديث أبي ذر ﷺ.

(٥) انظر تفسير الآية (١٥٩).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي: يَبلغ ما يريد ولا يُعجِزه شيء، وهذا حضٌّ على التوكل وتأكيد له؛ لأن العبد إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله توكل عليه وحده ولم يعوِّل على سواه[١].

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ أي: مقدارًا معلومًا ووقتًا محدودًا.

﴿٤﴾ ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ روي أنه لما نزل قوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦] قالوا: يا رسول الله فما عدة من لا قُرْءَ لها من صِغَرٍ أو كبر؟ فنزلت هذه الآية[٢] مُعْلمة أن المطلقة إذا كانت ممن لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر، فقوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ يعني: التي انقطعت حيضتها لكبر سنها، وقوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾ يعني: الصغيرة التي لم تبلغ المحيض، وهو معطوف على ﴿ٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ﴾، أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره: واللائي لم يحضن كذلك. وقوله: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ هو من الريب بمعنى الشك، وفي معناه قولان:

أحدهما: إن ارتبتم في حكم عدتها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر.

والآخر: إن ارتبتم في حيضتها[٣] هل انقطع أو لم ينقطع.

فهي على التأويل الأول: في التي انقطعت حيضتها لكبرها حسَبما ذكرنا، وهو الصحيح. وهي على التأويل الثاني: في المرتابة وهي التي غابت عنها الحيضة وهي في سن مَن تحيض، وقد اختلف العلماء في عدتها على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ثلاثة أشهر خاصة حسَبما تقتضيه الآية على هذا التأويل. والآخر: أنها ثلاثة أشهر بعد تسعة أشهر تستبرئ بها أَمَد الحمل، وهذا مذهب مالك[٤]، وقدوته في ذلك عمر بن الخطاب ﷺ. والثالث: أنها تعتد بالأقراء ولو بقيت ثلاثين سنة حتى تبلغ سن من لا تحيض، وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة.

---

(١) في ج: «ما سواه».

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٠)، والحاكم (٣٨٢١) وصححه ووافقه الذهبي، من حديث أبي بن كعب ﷺ.

(٣) في ج: «حيضها».

(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ٦٨).

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ **هذه الآية عند مالك والشافعي وأبي حنيفة**[1] **وسائر العلماء**: عامة في المطلقات والمتوفَّىٰ عنهن، فمتىٰ كانت إحداهن حاملًا فعدتها وضع حملها.

وقال علي بن أبي طالب[2] **وابن عباس**[3] رضي الله عنهم: إنما هذه الآية في المطلقات الحوامل فهن اللاتي عدتهن وضع حملهن، وأما المتوفىٰ عنها إذا كانت حاملًا فعدتها -عندهما- أبعد الأجلين: إما الوضع أو انقضاء الأربعة الأشهر وعشرٍ.

فحجة الجمهور: حديث سبيعة الأسلمية رضي الله عنها أنها كانت تحت سعد بن خولة رضي الله عنه فتوفي في حجة الوداع وهي حبلىٰ، فلما وضعت خطبها أبو السنابل بن بَعْكَك، فسألت رسول الله ﷺ فقال لها: «**انكحي من شئت**»[4]. وقد ذُكر أن ابن عباس رضي الله عنهما رجع إلىٰ هذا الحديث لما بلغه، ولو بلغ عليًا رضي الله عنه لرجع إليه.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن هذه الآية التي نزلت في سورة النساء القصرىٰ -يعني: سورة «**الطلاق**»- نزلت بعد الآية التي في «**البقرة**»: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾ [البقرة: ٢٣٤][5]. فهي مخصِّصة لها حسَبما قاله جمهور العلماء.

(٦) ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم﴾ أمر الله بإسكان المطلقات طول العدة. **فأما المطلقة غير المبتوتة**: فيجب لها علىٰ زوجها السكنىٰ والنفقة باتفاق. **وأما المبتوتة: ففيها ثلاثة أقوال: أحدها**: أنها يجب لها السكنىٰ دون النفقة، وهو مذهب مالك والشافعي[6]. **والثاني**: أنها يجب لها السكنىٰ والنفقة، وهو مذهب أبي حنيفة. **والثالث**: أنها ليس لها

---

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ١١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٧٣٨١)، (١٧٣٨٥)، (١٧٣٨٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١٧١٤)، والبيهقي في السنن (١٥٤٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٠٩)، ومسلم (١٤٨٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥٣١٨)، ومسلم (١٤٨٤).

(٥) أخرجه البخاري (٤٩١٠).

(٦) وأحمد في إحدىٰ الروايتين.

سكنىٰ ولا نفقة(١).

فحجة مالك: حديث فاطمة بنت قيس ﵂، وهو أن زوجها طلقها ألبتة، فقال لها رسول الله ﷺ: «**ليس لك عليه نفقة**»(٢)، فيؤخذ من هذا أن لها السكنىٰ دون النفقة.

وحجة من أوجب لها السكنىٰ والنفقة: قول عمر بن الخطاب ﵁: لا ندع آيةً من كتاب ربنا لقول امرأة، فإني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «**لها السكنىٰ والنفقة**»(٣).

وحجة من لم يجعل لها لا سكنىٰ ولا نفقة: أن في بعض الروايات عنها أنها قالت: لم يجعل لي رسول الله ﷺ نفقة ولا سكنىٰ(٤).

وقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ معناه: أسكنوهن مكانًا من بعض مساكنكم، فـ ﴿مِنْ﴾ للتبعيض، ويفسِّر ذلك قول قتادة: لو لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه(٥).

﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ **الوُجْد:** هو الطاقة والسعة في المال، **فالمعنىٰ:** أسكنوهن مسكنًا مما تقدرون عليه. **وإعرابه:** عطف بيان لقوله: ﴿حَيْثُ سَكَنتُم﴾. ويجوز في الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها بمعنىٰ واحد، والضم أكثر وأشهر(٦).

﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ اتفق العلماء علىٰ وجوب النفقة في العدة للمطلقة الحامل؛ عملًا بهذه الآية؛ سواء كان الطلاق رجعيًا أو بائنًا. واتفقوا علىٰ أن للمطلقة غير الحامل النفقة في العدة إذا كان الطلاق رجعيًا. فإن كان بائنًا فاختلفوا في نفقتها حسَبما ذكرناه.

وأما المتوفَّىٰ عنها إذا كانت حاملًا: فلا نفقة لها عند مالك(٧) **والجمهور**؛ لأنهم رأوا أن

---

(١) وهو الرواية الأخرىٰ في مذهب أحمد، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ٣١٠).
(٢) أخرجه مسلم (١٤٨٠).
(٣) أخرجه مسلم (١٤٨٠).
(٤) أخرجه مسلم (١٤٨٠).
(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٠).
(٦) قراءة السبعة بالضم، وروىٰ روح عن يعقوب بالكسر، وقرأ الأعرج والحسن وأبو حيوة بالفتح. المحرر الوجيز (٨/ ٣٣٣).
(٧) وأحمد في إحدىٰ الروايتين، وهي المذهب.

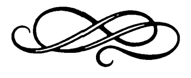
هذه الآية إنما هي في المطلقات. وقال قوم: لها النفقة في التركة[١].

﴿وَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ المعنىٰ: إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلقات أولادكم فآتوهن أجرة الرضاع، وهي النفقة وسائر المؤن حسَبما ذُكر في كتب الفقه.

﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ هذا خطاب للرجال والنساء، والمعنىٰ: أن يأمر كل واحد صاحبه بخيرٍ، من المسامحة والرفق والإحسان. وقيل: معنىٰ ﴿ٱتَمِرُوا۟﴾ تشاوروا، ومنه: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ [القصص: ١٩].

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ المعنىٰ: إن تشطَّطت الأم علىٰ الأبِ في أجرة الرضاع، وطلبت منه كثيرًا؛ فللأب أن يسترضع لولده امرأة أخرىٰ بما هو أرفق به، إلا أن لا يقبل الطفل غير ثدي أمه، فتجبر حينئذ علىٰ رضاعه بأجرة مثلها ومِثْل الزوج.

﴿٧﴾ ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ الآيةَ؛ أمرٌ بأن ينفق كل أحد علىٰ مقدار حاله[٢]، ولا يكلَّف الزوج ما لا يطيق، ولا تُضيَّع الزوجة بل يكون الحال معتدلًا. وفي الآية دليل علىٰ أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس، وهو مذهب مالك[٣]، خلافًا لأبي حنيفة فإنه اعتبر الكفاية. ومن عجَز عن نفقة امرأته: فمذهب مالك والشافعي[٤] أنها تطلق عليه، خلافًا لأبي حنيفة. وإن عجَز عن الكسوة دون النفقة: ففي التطليق عليه قولان في المذهب.



(١) وهي رواية عن أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ٣٢٥).
(٢) في ب، ج: «ماله».
(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ٢٨٩).
(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ٣٦٣).

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

﴿٨﴾ ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ أي: حاسبنا أهلها، **قيل: يعني**: الحساب في الآخرة، وكذلك العذاب المذكور بعده، **وقيل: يعني**: في الدنيا، **وهذا أرجح**؛ لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، ولأن قوله: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا﴾ و﴿عَذَّبْنَاهَا﴾ بلفظ الماضي؛ فهو حقيقة فيما وقع، مجاز فيما لم يقع. فمعنىٰ ﴿حَاسَبْنَاهَا﴾ أي: واخذناهم بجميع ذنوبهم ولم يُغتفر لهم شيء من صغائرها. **والعذاب**: هو عقابهم في الدنيا. **والنُّكْر**: هو الشديد الذي لم يُعهد مثله.

﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا﴾ **الذكر هنا**: هو القرآن، **والرسول**: هو محمد ﷺ. وإعراب ﴿رَّسُولًا﴾: مفعول بفعل مضمر تقديره: أرسل رسولًا، **هذا الذي اختاره ابن عطية**[1]، **وهو أظهر الأقوال**.

وقيل: إن الذكر والرسول معًا يراد بهما القرآن، والرسول علىٰ هذا: بمعنىٰ الرسالة. **وقيل**: إنهما يراد بهما القرآن، علىٰ حذف مضاف تقديره: ذكرًا ذا رسول. **وقيل**: يراد بهما النبي ﷺ، والذكر من أسمائه، **وهذا ضعيف**. **وقيل**: ﴿رَّسُولًا﴾ مفعول بالمصدر الذي هو الذكر. **وقال الزمخشري**: الرسول هو جبريل ﵇ أبدل من الذكر؛ لأنه نزل به، **أو سمي** ذكرًا لكثرة ذكره لله[2]، **وهذا كله بعيد**.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٣٣٦).

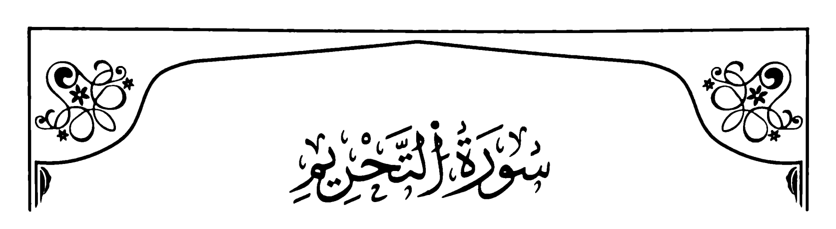
(٢) الكشاف (١٥/ ٤٨٤).

﴿١٢﴾ ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ **لا خلاف أن السماوات سبع، وأما الأرض فاختلف فيها: فقيل:** إنها سبع أرضين؛ لظاهر هذه الآية، ولقوله ﷺ: «**من غصب شبرًا من أرض طُوِّقه يوم القيامة من سبع أَرَضين**»[1]، **وقيل:** إنما هي واحدة. **فقوله:** ﴿مِثۡلَهُنَّ﴾: على القول الأول: يعني به المماثلة في العدد، وعلى القول الثاني: يعني به المماثلة في عِظَم الجِرْم وكثرة العُمَّار، وغير ذلك، **والأول أرجح.**

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ **يحتمل أن يريد بالأمر:** الوحيَ، أو أحكامَ الله وتدبيره لخلقه.



(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠) عن سعيد بن زيد رضي الله عنه.



يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيءُ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَّاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُومِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُّبَدِّلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّومِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُومَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

﴿١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ **في سبب نزولها روايتان:**

إحداهما: أن رسول الله ﷺ جاء يومًا إلىٰ بيت زوجه حفصة بنت عمر بن الخطاب ﭫ، فوجدها قد مرت لزيارة أبيها، فبعث في جاريته ماريَة فقال معها[1] في البيت، فجاءت حفصة فقالت: يا رسول الله أما كان في نسائك أهون عليك مني؟ أتفعل هذا في بيتي وعلىٰ فراشي؟ فقال لها رسول الله ﷺ مترضِّيًا[2] لها: «أيرضيك أن أحرمها؟»، قالت: نعم، فقال: «إني قد حرَّمتها»[3]. **والرواية الأخرىٰ:** أن رسول الله ﷺ

(١) في د: «فقعد معهما»، وفي هـ: «فدخل معها».

(٢) في ب، ج، د: «مرتضيًا».

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨٤-٨٨) عن ابن عباس وزيد بن أسلم وغيرهما.

كان يدخل على زوجه زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلًا، فاتفقت عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة على أن تقول له من دنا منها: أكلتَ مَغافير، والمغافير: صمغ العُرْفُط، وهو حلوٌ كريه الريح، ففعلن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «لا ولكني شربت عسلًا»، فقلن له: جرَسَتْ نحله العرفط[1]، فقال رسول الله ﷺ: «لا أشربه أبدًا»، وكان يكره أن توجد منه رائحة كريهة، فدخل بعد ذلك على زينب فقالت: ألا أسقيك من ذلك العسل؟ فقال: «لا حاجة لي به»[2]. فنزلت الآية عتابًا له على أن يضيِّق على نفسه بتحريم الجارية أو تحريم العسل. والرواية الأولى أشهر، وعليها تكلم الناس في فقه السورة، وقد خرَّج الرواية الثانية البخاري وغيره.

ولنتكلم على فقه التحريم:

فأما تحريم الطعام والمال وسائر الأشياء ما عدا النساء: فلا يلزم، ولا شيء عليه عند مالك، وأوجب عليه أبو حنيفة[3] كفارة.

وأما تحريم الأمَة: فإن نوى به العتق لزم، وإن لم ينوِ به ذلك لم يلزم، وكان حكمه ما ذكرنا في الطعام.

وأما تحريم الزوجة: فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة: **فقال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعائشة** رضي الله عنهم **وغيرهم:** إنما يلزم[4] فيه كفارة يمين[5]. **وقال مالك في المشهور عنه:** هي ثلاث تطليقات في المدخول بها، ويُنَوَّى في غير المدخول بها فيُحكم بما نوى من طلقة أو اثنتين أو ثلاث. **وقال ابن الماجشون:** هي ثلاث في الوجهين[6]. **وروي عن مالك:** أنها طلقة بائنة، **وقيل:** طلقة رجعية.

---

(١) أي: أكلتْ العرفطَ، يقال للنحل: الجوارس. النهاية لابن الأثير (٢/ ٦٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٦٨)، ومسلم (١٤٧٤) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٥٠٣).

(٤) في أ، هـ: «تلزم».

(٥) وهو رواية عن أحمد، وقول أبي حنيفة والشافعي. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٢/ ٢٧٠).

(٦) وهو الرواية الثانية عن أحمد، والرواية الثالثة -وهي المذهب-: أنه ظهار. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٢/ ٢٦٦).

﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي: تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحل الله لك، يعني: تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة، وهذا يدلُّ على أنها نزلت في تحريم الجارية.

وأما تحريم العسل فلم يقصد به رضا أزواجه، وإنما تركه لرائحته.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في هذا إشارة إلى أن الله غفر له ما عاتبه عليه من التحريم، على أن عتابه في ذلك إنما كان كرامة له، وإنما وقع العتاب على تضييقه ﷺ على نفسه، وامتناعه مما كان له فيه أَرَب. وبئس ما قال الزمخشري في أن هذا كان منه زلة؛ لأنه حرَّم ما أحل الله![1] وذلك قلة أدبٍ على منصب النبوة.

﴿٢﴾ ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ التحِلَّة: هي الكفارة، وأحال تعالى هنا على ما ذكر في سورة «المائدة» من صفتها[2]. واختلف في المراد بها هنا:

فأما على قول من قال: إن الآية نزلت في تحريم الجارية: فاختلف في ذلك: فمن قال: إن التحريم يلزم فيه كفارة يمين استدلَّ بها، ومن قال: إن التحريم يلزم منه[3] طلاق قال: إن الكفارة هنا إنما هي لأن رسول الله ﷺ حلف، فقال: «والله لا أطؤها أبدًا»[4].

وأما على القول بأن الآية نزلت في تحريم العسل: فاختلف أيضًا: فمن أوجب في تحريم الطعام كفارةً قال: هذه الكفارة للتحريم، ومن قال: لا كفارة فيه قال: إنما هذه الكفارة لأنه حلف أن لا يشربه. وقيل: هي في يمينه ﷺ أن لا يدخل على نسائه شهرًا.

﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ يَحتمل أن يكون: بمعنى الولي الناصر، أو بمعنى السيد الأعظم.

﴿٣﴾ ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ اختُلف في هذا الحديث على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه تحريم الجارية، فإنه لما حرمها قال لحفصة: «لا تخبري بذلك أحدًا».

---

(١) الكشاف (١٥/ ٤٩١).

(٢) انظر تفسير الآية (٩١).

(٣) في أ، هـ: «فيه».

(٤) أخرجه أبو داود في المراسيل (٢٤٠) عن قتادة بلفظ: «والله لا أقربها»، وأخرجه الحافظ الضياء في المختارة (١/ ٣٠٠) عن عمر ﷺ، وصحح إسناده، وصححه -أيضًا- ابن كثير في تفسيره (٨/ ١٥٩).

والآخر: أنه قال[(١)]: إن أبا بكر وعمر ﭬ يليان الأمر من بعده[(٢)].

والثالث: أنه قوله: «شربت عسلًا»، والأول أشهر. و﴿بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ﴾ هي حفصة ﭫ.

﴿وَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ﴾ كانت حفصة قد أخبرت عائشة بما أسرَّ إليها رسول الله ﷺ من تحريم الجارية، فأخبر الله رسوله ﷺ بذلك، فعاتب حفصة علىٰ إفشائها لسره وطلَّقها، ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها، وقيل: لم يطلقها.

فقوله: ﴿وَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ﴾ حذف المفعول وهو عائشة ﭫ، وقوله: ﴿وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ أي: أطلعه علىٰ إخبارها به. وقيل: معناه: أظهر الله عليه[(٣)] الحديثَ، من الظهور. وقوله: ﴿عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ﴾ أي: عاتب حفصة ﭫ علىٰ بعضه وأعرض عن بعضه؛ حياء وتكرُّمًا، فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلَّات والتقصير في العتاب. وقرئ ﴿عَرَفَ﴾ بالتخفيف[(٤)]، من المعرفة.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ﴾ أي: لما أخبر النبي ﷺ حفصة بأنها قد أفشت سره، ظنت أن عائشة هي التي أخبرته به، فقالت له: ﴿مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ﴾، فلما أخبرها أن الله هو الذي أنبأه به سكتت وسلَّمت.

﴿٤﴾ ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ هذا خطاب لعائشة وحفصة ﭫ، وتوبتهما: مما جرىٰ منهما في قصة تحريم الجارية أو العسل. ومعنىٰ ﴿صَغَتۡ﴾: أي: مالت عن الصواب، وقرأ ابن مسعود ﭬ: «زاغت»[(٥)]، والمعنىٰ: إن تتوبا إلىٰ الله فقد صدر منكما يوجب التوبة.

---

(١) في د زيادة: «لحفصة».
(٢) في د: «بعدي».
(٣) أي: علىٰ النبي ﷺ. الكشاف (١٥/ ٤٩٧).
(٤) قرأ الكسائي بتخفيف الراء، وقرأ الباقون بالتشديد.
(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٣).

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ **المعنىٰ: إن تعاونتما عليه ﷺ بما يسوؤه من إفراط الغَيرة، وإفشاء سرِّه ونحو ذلك فإن له من ينصره.**

و﴿مَوْلَىٰهُ﴾ **هنا:** يحتمل أن يكون بمعنىٰ السيد الأعظم، فيوقف علىٰ ﴿مَوْلَىٰهُ﴾، ويكون ﴿جِبْرِيلُ﴾ مبتدأ، و﴿ظَهِيرٌ﴾ خبره وخبر ما عُطف عليه. ويحتمل أن يكون المولىٰ هنا بمعنىٰ: الولي الناصر، فيكون ﴿جِبْرِيلُ﴾ معطوفًا، فيوصل مع ما قبله، ويوقف علىٰ ﴿صَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ويكون ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مبتدأ و﴿ظَهِيرٌ﴾ خبره، **وهذا أظهر وأرجح لوجهين:**

أحدهما: أن معنىٰ الناصر أليق بهذا الموضع، فإن ذلك كرامة للنبي ﷺ وتشريفٌ له، وأما إذا كان بمعنىٰ السيد فذلك يشترك فيه النبي ﷺ مع غيره؛ لأن الله تعالىٰ مولىٰ جميع خلقه بهذا المعنىٰ، فليس في ذلك إظهار مزية له.

الوجه الثاني: أنه ورد في الحديث الصحيح: أنه لما وقع ذلك جاء عمر رضي الله عنه إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء؛ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك»[1]، فنزلت الآية موافقةً لقول عمر، فقوله: «معك» يقتضي معنىٰ النصرة.

﴿صَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ اختلف في ﴿صَٰلِحُ﴾ هل هو مفرد أو جمع محذوف النون للإضافة؟ **فعلىٰ القول بأنه مفرد:** هو أبو بكر **الصديق** رضي الله عنه، وقيل: علي بن أبي طالب رضي الله عنه. **وعلىٰ القول بأنه جمع:** فهو علىٰ العموم في كل صالح.

۞ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ **الآيةَ؛ نصرة للنبي ﷺ. وروي أن عمر رضي الله عنه قال ذلك ونزل القرآن بموافقته، ولقد قال عمر رضي الله عنه حينئذ للنبي ﷺ: «والله يا رسول الله لئن أمرتني بضرب عنق حفصة لضربت عنقها»**[2]. وقد ذكرنا معنىٰ الإسلام والإيمان والقنوت[3].

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٧٩).

(٣) انظر تفسير الآية (٣٥) من سورة الأحزاب.

والسائحات: معناه الصائمات، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[١]، وقد روي عن النبي ﷺ[٢]. وقيل: معناه مهاجرات، وقيل: ذاهبات إلى الله؛ لأن أصل السياحة الذهاب في الأرض. وقوله: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ **قال بعضهم**: المراد بالأبكار هنا: مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون[٣]؛ فإن الله يزوج النبي ﷺ إياهما في الجنة، **وهذا يفتقر إلى نقل صحيح**[٤]. ودخلت الواو هنا للتقسيم، ولو سقطت لاختلَّ المعنى؛ لأن الثيوبة والبَكارة لا يجتمعان، **وقال الكوفيون**: هي واو الثمانية، **وذلك ضعيف**.

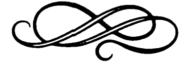
٦ ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ أي: أطيعوا الله، وأمروا أهليكم بطاعته؛ لتقوا أنفسكم وأهليكم بطاعته من النار، فعبر بالمسبَّب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة.

﴿وَقُودُهَا﴾ ذكر في «**البقرة**»[٥].

﴿مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ **يعني**: زبانية النار. **وغِلَظُهم**[٦] وشدتهم: **يحتمل أن يريد في** أجرامهم، أو في قسوة[٧] قلوبهم.

﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ **قيل**: إن هذا تأكيد لقوله: ﴿لَّا يَعۡصُونَ﴾. **وقيل**: إن معنى ﴿لَّا يَعۡصُونَ﴾ امتثال الأمر، ومعنى ﴿يَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ جِدُّهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من عذاب الناس.

٧ ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَ﴾ **يعني**: يوم القيامة. **ويحتمل أن يكون هذا**: خطابًا من الله للكفار، أو خطابًا من الملائكة.



(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠١) من طريق العوفي عنه.

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٩٤) من دون إسناد، ولم أقف على إسناد له.

(٣) كذا العبارة في جميع النسخ الخطية! ولعل صوابها: «والمراد بالثيبات: آسية امرأة فرعون». انظر: التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٣٤٢).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير -كما في تفسير ابن كثير (٨/ ١٦٦) ولم أقف عليه في معجمه- عن بريدة رضي الله عنه.

(٥) انظر تفسير الآية (٢٣).

(٦) في ب: «وغلظتهم».

(٧) في ب، ج: «قساوة».

*﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٨ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٩ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ۝١٠ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝١١ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ۝١٢﴾

۝٨ ﴿تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ **قال عمر بن الخطاب** ﷺ: التوبة النصوح: هي أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه أبدًا، ولا يريد أن يعود[1]. **وقيل**: معناه: توبة خالصة، فهو من قولهم: عسل ناصحٌ: إذا خلُص من الشمع. **وقيل**: هي أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت، كتوبة الثلاثة الذين خُلِّفوا. **وقال الزمخشري**: وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي، والنصح في الحقيقة صفة التائبين، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسَهم[2]. وقد تكلَّمنا على التوبة في قوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١] في «**النور**».

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ **العامل في** ﴿يَوْمَ﴾ **يحتمل أن يكون ما قبله، أو ما بعده، أو محذوف تقديره: اذكر. والوقف والابتداء يختلف على ذلك.**

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ **يحتمل أن يكون معطوفًا على** ﴿النَّبِيَّ﴾، أو مبتدأ وخبره بعده.

﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ﴾ ذكر في «**الحديد**»[3].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٢)، وابن أبي شيبة (٣٥٦٣٢)، والحاكم وصححه.
(٢) الكشاف (١٥/ ٥١١).
(٣) انظر تفسير الآية (١٢).

(٩) ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ ذكر في «براءة»[١].

(١٠) ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ قيل: اسم امرأة نوح والغة، واسم امرأة لوط والهة، وهذا يفتقر إلىٰ صحة النقل.

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: خانت امرأة نوح في أنها كانت تقول: إنه مجنون، وخانت امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذا قدموا عليه، وكانتا مع ذلك كافرتين[٢]. وقيل: خانتا بالزنا، وأنكر ابن عباس رضي الله عنهما ذلك[٣] وقال: ما زنت امرأة نبي قط؛ تنزيهًا من الله لهم عن هذا النقص.

وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفار الذين بينهم وبين الأنبياء وسائل، كأنه يقول: لا يُغني أحد عن أحد ولو كان أقرب الناس إليه؛ كقرب امرأة نوح وامرأة لوط من أزواجهما. وقيل: هو مثَل لأزواج النبي ﷺ فيما ذكر في أول السورة، وهذا باطل؛ لأن الله إنما ضربه للذين كفروا. ﴿ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ اسمها آسية، وكانت قد آمنت بموسىٰ عليه السلام، فبلغ ذلك فرعون فأمر بقتلها، فدعت بهذا الدعاء فقبض الله روحها، وروي في قَصصها غير هذا مما يطول وهو غير صحيح.

(١١) ﴿مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ تعني: كفره وظلمه، وقيل: مضاجعته لها، وهذا ضعيف.

(١٢) ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا﴾ يعني: الفرج الذي هو الجارحة، وإحصانها له: هو صيانتها وعِفَّتها عن كل مكروه. وقيل: يعني فرج درعها، وهذا ضعيف.

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ عبارةٌ عن نفخ جبريل عليه السلام في فرجها، فخلق الله فيه عيسىٰ عليه السلام. وأضاف الله الروح إلىٰ نفسه إضافةَ مخلوق إلىٰ خالقه، وفي ذلك تشريف له.

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ كلمات ربها: يحتمل أن يريد بها: الكتب التي أنزل[٤]،

---

(١) انظر تفسير الآية (٧٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٣٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٢)، والحاكم (٣٨٣٣) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) في الأثر الذي قبله.

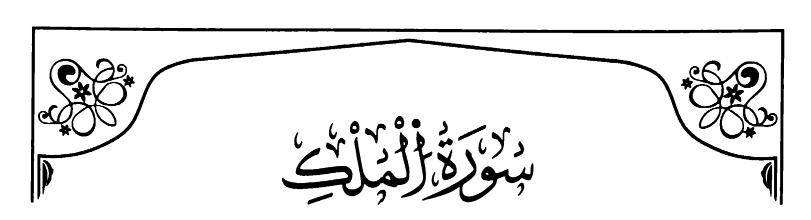
(٤) في د: «أنزل الله».

أو كلامه مع الملائكة وغيرهم. و﴿كِتَٰبِهِۦ﴾ **بالتوحيد**[1]: **يحتمل أن يريد به**: التوراة، أو الإنجيل، أو جنس الكتب، **وقرئ بالجمع** يعني: جميع كتب الله.

﴿مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ أي: من العابدين. **فإن قيل**: لم قال ﴿مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ بجمع المذكَّر وهي أنثىٰ؟ **فالجواب**: أن القنوت صفة تجمع الرجال والنساء، فغلَّب الذكور.



(١) قرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم بالجمع، وقرأ الباقون بالتوحيد.



سُورَةُ اُ۬لْمُلْكِ

ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه السورة كل ليلة إذا أخذ مضجعه[1].

وأنه ﷺ قال: «إنها تنجي من عذاب القبر»[2].

تَبَٰرَكَ اَ۬لذِے بِيَدِهِ اِ۬لْمُلْكُ وَهُوَ عَلَيٰ كُلِّ شَےْءٖ قَدِيرٌ ۝١ اِ۬لذِے خَلَقَ اَ۬لْمَوْتَ وَالْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمُۥٓ أَيُّكُمُۥٓ أَحْسَنُ عَمَلاٗۖ وَهُوَ اَ۬لْعَزِيزُ اُ۬لْغَفُورُ ۝٢ اِ۬لذِے خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقاٗۖ مَّا تَرَيٰ فِے خَلْقِ اِ۬لرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَارْجِعِ اِ۬لْبَصَرَ هَلْ تَرَيٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ اَ۪رْجِعِ اِ۬لْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبِ اِلَيْكَ اَ۬لْبَصَرُ خَاسِئاٗ وَهُوَ حَسِيرٞۖ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا اَ۬لسَّمَآءَ اَ۬لدُّنْيا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُوماٗ لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ اَ۬لسَّعِيرِۖ ۝٥ وَلِلذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِيسَ اَ۬لْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ اُ۬لْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقاٗ وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ اَ۬لْغَيْظِۖ كُلَّمَآ اُ۬لْقِيَ فِيهَا فَوْجٞ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَاتِكُمْ نَذِيرٞۖ ۝٨ قَالُواْ بَلَيٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اَ۬للَّهُ مِن شَےْءٍ اِنَ اَنتُمُۥٓ إِلَّا فِے ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِےٓ أَصْحَٰبِ اِ۬لسَّعِيرِ ۝١٠ فَاعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْۖ فَسُحْقاٗ لِّأَصْحَٰبِ اِ۬لسَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ اَ۬لذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَأَجْرٞ كَبِيرٞ ۝١٢ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمُۥٓ أَوِ اِجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ اِ۬لصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اَ۬للَّطِيفُ اُ۬لْخَبِيرُ ۝١٤

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٦٥٩)، والترمذي (٢٨٩٢)، والنسائي في الكبرىٰ (١٠٤٧٦)، وابن أبي شيبة (٣٠٤٣٥) والحاكم (٣٥٤٥) وقال: «صحيح علىٰ شرط مسلم» ووافقه الذهبي، عن جابر رضي الله عنه، بلفظ: أن النبي ﷺ كان لا ينام حتىٰ يقرأ ﴿الم تنزيل﴾ السجدة و﴿تبارك الذي بيده الملك﴾.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٩٠) وقال: «غريب»، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٧٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا، وفي إسناده يحيىٰ بن عمرو بن مالك النُّكري، وهو ضعيف كما في التقريب (١٠٦٣)، وذكر الذهبي هذا الحديث من مناكيره في الميزان (٤/ ٣٩٩). وأخرجه النسائي في الكبرىٰ (١٠٤٧٩) والحاكم (٣٨٣٩) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في الأوسط (٦/ ٢١٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٧٠): «ورجاله ثقات».

(١) ﴿تَبَٰرَكَ﴾ فعل مشتقٌّ من البرك، **وقيل**: معناه: تعاظم، وهو مختص بالله تعالىٰ، ولم يُنطق له بمضارع.

﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ **يعني**: مُلك السماوات والأرض والدنيا والآخرة. **وقيل**: **يعني**: مُلْك الملوك في الدنيا، فهو كقوله: ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦]، **والأول أعمُّ وأعظم**.

(٢) ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ **يعني**: موت الخلق وحياتهم. **وقيل**: **الموت**: الدنيا؛ لأن أهلها يموتون، **والحياة**: الآخرة؛ لأنها باقية، فهو كقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وهو علىٰ هذا وصفٌ بالمصدر، **والأول أظهر**.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليختبركم، واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم الحجة بما يصدر منهم، وقد كان الله عَلِمَ ما[1] يفعلون قبل كونه، **والمعنىٰ**: ليبلوكم فيجازيَكم بما ظهر منكم.

﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ روي أن رسول الله ﷺ قرأها فقال: «**أيكم أحسن عقلًا**[2]، **وأشدكم لله خوفًا، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله**»[3].

(٣) ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ أي: بعضها فوق بعض. **والطِّباق**: مصدرٌ وُصفت به السماوات، أو علىٰ حذف مضاف تقديره: ذوات طباق، **وقيل**: إنه جمع طَبَقة.

﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ أي: من قلةِ تناسُبٍ وخروج عن الإتقان، **والمعنىٰ**: أن خلقة السماوات في غاية الإتقان، بحيث ليس فيها ما يَعيبها من الزيادة والنقصان والاختلاف. **وقيل**: أراد خِلقةَ جميع المخلوقات. ولا شك أن جميع المخلوقات متقنةٌ، ولكن تخصيص الآية بخلقة السماوات أظهر؛ لورودها بعد قوله: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ

---

(١) في ب: «عَلِمَ بما»، وفي د: «عالمًا بما».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «عملًا»، والمثبت موافق لما في الرواية.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٣٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٠٦)، وابن مردويه في تفسيره -كما في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ١٤٥)- والثعلبي (٢٧/ ٨٨) عن ابن عمر ﷺ، وهو من حديث داود بن المحبَّر، رواه في كتاب العقل له كما في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ١٤٥)، وداود قال ابن حجر في التقريب (٣٠٨): «متروك، وأكثر كتاب العقل الذي صنفه موضوعات»، وانظر: تهذيب الكمال (٨/ ٤٤٧).

طِبَاقاً﴾، فكأن قولَه: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ بيانٌ وتكميل لما قبله. والخطاب في قوله: ﴿مَّا تَرَىٰ﴾ و﴿ارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ وما بعده: للنبي ﷺ، أو لكل مخاطَب ليعتبر.

﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ **الفطور**: الشُّقوق، جمع فَطْر وهو الشَّق. **ورجْعُ البصر**: ترديده في النظر. **ومعنى الآية**: الأمر بالنظر إلى السماء فلا يُرى فيها شِقاق ولا خَلل[1]، بل هي ملتئمة مستوية.

﴿٤﴾ ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي: انظر نظرًا بعد نظر للتثبُّت والتحقيق. **وقال الزمخشري**: معنى التثنية في ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ التكثير، لا مرتين خاصة، كقولهم: «لبيك» فإن معناه إجاباتٌ كثيرة[2].

﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ **الخاسئ**: هو المبعَد عن الشيء الذي طَلب، **والحسير**: هو الكليل الذي أدركه التعب. **فمعنى الآية**: أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شِقاقًا أو خَللًا رجع بصرك ولم تر شيئًا من ذلك، فكأنه خاسئ؛ لأنه لم يَحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل، وهو مع ذلك كليلٌ من شدة النظر وكثرة التأمل.

﴿٥﴾ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ **السماء الدنيا**: هي القريبة منا. **والمصابيح**: يراد بها النجوم، فإن كانت النجوم كلها في السماء الدنيا فلا إشكال، وإن كانت في غيرها من السماوات فقد زُيِّنت السماء الدنيا لأنها ظاهرة فيها لنا. ويحتمل أن يريد أنه زيَّن السماء الدنيا بالنجوم التي فيها دون التي في غيرها، على أن القول بمواضع الكواكب وفي أيِّ سماءٍ هي لم يرد في الشريعة.

﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ﴾ أي: جعلنا منها رجومًا؛ لأن الكواكب الثابتة ليست تَرجم الشياطين، فهو كقولك: «أكرمت بني فلان»: إذا أكرمتَ بعضهم. **والرُّجوم**: جمع رجْمٍ، وهو مصدر سُمِّي به ما يُرجم به.

---

(١) في د: «خلال».

(٢) الكشاف (١٥/ ٥٣٨).

قال الزمخشري: معنىٰ كون النجوم رجومًا للشياطين: أن الشهب تنقضُّ من النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء، فالشهب الراجمة منفصلة من نار الكواكب، لا أن الراجمة هي الكواكب أنفسها؛ لأنها ثابتة في الفلك(١).

قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: زينةُ السماء، ورجومُ الشياطين، وليهتدَىٰ بها في ظلمات البر والبحر(٢).

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ يعني: للشياطين.

(٧) ﴿سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقاً﴾ الشَّهيق: أقبح ما يكون من صوت الحمار، ويعني به هنا: ما يُسمع من صوت جهنم؛ لشدَّة غليانها وهَوْلها، أو شهيق أهلها، والأول أظهر.

﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ أي: تغلي بأهلها غليان القدر بما فيها.

(٨) (٩) ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ أي: تكاد جهنم ينفصل بعضها من بعض؛ لشدَّة غيظها علىٰ الكفار. فيحتمل أن تكون هي المغتاظة بنفسها، ويحتمل أن يريد غيظ الزبانية، والأول أظهر؛ لأن حال الزبانية يُذكر بعد هذا. وغيظ النار يحتمل أن يكون حقيقة بإدراكٍ يخلقه الله لها، أو يكون عبارةً عن شدتها.

﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي: كلما أُلقي في جهنم جماعة من الكفار سألهم الزبانية: هل جاءكم(٣) نذير؟ أي: رسول، وهذا السؤال علىٰ وجه التوبيخ وإقامة الحجة عليهم، ولذلك اعترفوا فقالوا: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾. وقوله: ﴿كُلَّمَآ﴾ يقتضي أن يقال ذلك لكل جماعةٍ تُلقَىٰ في النار.

(١٠) ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ يحتمل أن يكون: من قول ملائكة النار للكفار، أو من قول الكفار للرسل في الدنيا.

(١١) ﴿وَقَالُواْ﴾ الضمير للكفار؛ أي: لو كنا نسمع كلام الرسل ونعقل الصواب ما كنا في أصحاب السعير.

---

(١) الكشاف (١٥/ ٥٤٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ١٩٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٢٩١٣)، والبخاري تعليقًا (٤/ ١٠٧).

(٣) في أ، ب: «جاءهم».

(١١) ﴿فَاعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ﴾ اعترافهم هذا في وقتٍ لا ينفعهم الاعتراف. وذنبهم هنا: يراد به تكذيب الرسل.

﴿فَسُحْقاً لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ انتصب ﴿فَسُحْقاً﴾ بفعل مضمرٍ علىٰ معنىٰ الدعاء عليهم.

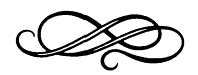
(١٢) ﴿بِالْغَيْبِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: وهم غائبون عن الناس، ففي ذلك وصفٌ لهم بالإخلاص.

والآخر: أن الغيب ما غاب عنهم من أمور الآخرة وغيرها، علىٰ أن هذا القول إنما يحسن في قوله: ﴿يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢].

(١٣) ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ **المعنىٰ**: سواءٌ جهرتم أو أسررتم فإن الله يعلم الجهر والسر.

(١٤) ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ هذا برهان علىٰ أن الله تعالىٰ يعلم كل شيء؛ لأن الخالق يعلم مخلوقاته. **ويحتمل أن يكون** ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ فاعلًا يراد به الخالق، والمفعول محذوفٌ تقديره: ألا يعلم الخالق خَلْقَه، أو يكون ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ مفعولًا، والفاعل مضمر تقديره: ألا يعلم الله من خلق، **والأول أرجح**؛ لأن ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ إذا كان مفعولًا اختصَّ بمن يعقل، والمعنىٰ الأول يعمُّ من يعقل ومن لا يعقل.



هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ * أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

﴿١٥﴾ **﴿ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾** فَعول هنا بمعنىٰ: مفعول، أي: مذلولة، فهي كرَكُوب وحَلُوب.

﴿فَٱمْشُوا۟ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ ابن عباس رضي الله عنهما: هي الجبال[1]، وقيل: الجوانب والنواحي، وقيل: الطرق. والمعنىٰ: تعديد النعمة في تسهيل المشي علىٰ الأرض، فاستعار لها الذِّلَّ والمناكب؛ تشبيهًا بالدواب.

﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ يعني: البعث يوم القيامة.

﴿١٦﴾ **﴿ءَأَمِنتُم﴾** الآيةَ؛ مقصودها التهديد والتخويف للكفار، وكذلك الآية التي بعدها.

﴿تَمُورُ﴾ ذكر في «**الطور**»[2].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢٨) من طريق علي عنه.

(٢) انظر تفسير الآية (٧).

(١٨) (١٩) ﴿حَاصِبًا﴾ يحتمل أن يريد: حجارةً، أو ريحًا شديدة.

﴿نَذِيرِ﴾ بمعنىٰ الإنذار، وكذلك ﴿نَكِيرِ﴾ بمعنىٰ الإنكار.

(٢٠) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ﴾ تنبيهٌ علىٰ الاعتبار بطيران الطيور في الهواء من غير شيء يمسكها. و ﴿صَافَّاتٍ﴾ جمع صافَّة، وهي التي تبسط جناحيها للطيران. **والقبض**: ضم الجناحين إلىٰ الجنب. وعطف ﴿يَقْبِضْنَ﴾ علىٰ ﴿صَافَّاتٍ﴾ ؛ لأن الفعل في معنىٰ الاسم تقديره: قابضات. **فإن قيل**: لِمَ لمْ يقل «قابضات» علىٰ طريقة ﴿صَافَّاتٍ﴾؟

فالجواب: أن بسط الجناحين هو الأصل في الطيران، كما أن مدَّ الأطراف هو الأصل في السباحة، فذُكر بصيغة اسم الفاعل؛ لدوامه وكثرته، وأما قبض الجناحين فإنما يفعله الطير[1] قليلًا للاستراحة والاستعانة، فذَكره بلفظ الفعل؛ لقلته.

(٢١) (٢٢) ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ خطاب للكفار علىٰ وجه التوبيخ والتهديد وإقامة الحجة عليهم. ودخلت «أَمْ» التي يراد بها الإنكار علىٰ «مَنْ» فأدغمت فيها، وكذلك ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ﴾. والضمير في ﴿أَمْسَكَ﴾: لله؛ أي: من يرزقكم إن مَنع الله رزقه.

﴿بَل لَّجُّوا﴾ أي: تمادوا في العتوِّ والنفور عن الإيمان.

(٢٣) ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ الآيَةَ؛ توقيفٌ علىٰ الحالتين، أيهما أهدىٰ، والمراد بها: توبيخ الكفار. **وفي معناها قولان**:

أحدهما: أن المشي هنا استعارة في سلوك طريقة الهدىٰ والضلال في الدنيا.

والآخر: أنه حقيقة في المشي في الآخرة؛ لأن الكافر يُحمل إلىٰ جهنم علىٰ وجهه. **فأما علىٰ القول الأول: فقيل**: إن الذي يمشي مكبًّا: أبو جهل، والذي يمشي سويًّا: محمد ﷺ، وقيل: حمزة، **وقيل**: هي علىٰ العموم في كل مؤمن وكافر. وقد تمشي هذه الأقوال أيضًا علىٰ القول الثاني.

والمكبُّ: هو الذي يقع علىٰ وجهه، يقال: أكب الرجلُ، وكبَّه غيره، فالمتعدي دون همزة، والقاصر بالهمزة، بخلاف سائر الأفعال.

---

(١) في ب، ج، هـ: «الطائر».

(٢٦) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ الضمير للكفار، والوعد يراد به: البعث، أو عذابهم في الدنيا.

(٢٧) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ ضمير الفاعل للكفار، وضمير المفعول للعذاب الذي يتضمَّنه الوعد.

﴿زُلْفَةً﴾ أي: قريبًا، وقيل: عِيانًا.

﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: ظهر فيها السوء لما حل بهم.

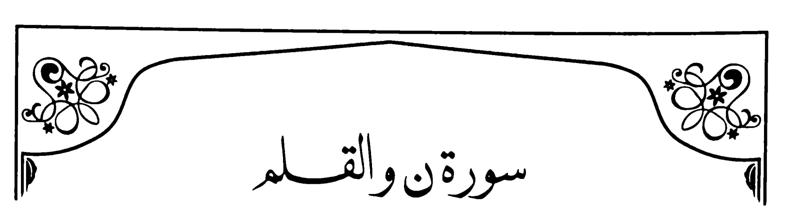
﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ تفتعلون من الدعاء؛ أي: تطلبون وتستعجلون به. والقائلون لذلك: الملائكة، أو يقال لهم بلسان الحال[1].

(٢٨) ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ﴾ الآيةَ؛ سببها: أن الكفار كانوا يتمَّنون هلاك النبي ﷺ والمسلمين، فأمره الله أن يقول لهم: إن أهلكني الله وأهلك من معي أو رحمنا؛ فإنكم لا تنجون من العذاب الأليم علىٰ كل حال. والهلاك هنا يحتمل أن يراد به: الموت، أو غيره. ومعنىٰ ﴿مَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: من يمنعهم من العذاب.

(٣٠) ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ الآيةَ؛ احتجاجٌ علىٰ المشركين. والغَوْر: مصدر وصف به فهو بمعنىٰ غائر؛ أي: ذاهب في الأرض. والمعين: الكثير، واختلف هل وزنه فَعِيل أو مَفعول؟ فالمعنىٰ: إن غار ماؤكم الذي تشربون هل يأتيكم إله غير الله بماء معين؟

---

(١) [التعليق ١٠٥] قال الشيخ عبد الرحمن البرّاك: قولُهُ تعالىٰ: ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [الملك:٢٧]: أقولُ: نظيرُهُ قولُهُ سبحانه: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات:١٤]؛ وهذا معنىٰ ما قاله المؤلِّفُ: أنه افتِعالٌ مِن الدعاءِ؛ بمعنىٰ: طَلَبِ الشيءِ، وعُدِّيَ بالباءِ؛ كقولِهِ تعالىٰ: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج:١].
وقولُ المؤلِّفِ: «والقائلون لذلك: الملائكةُ، أو يقالُ لهم بلسانِ الحالِ»:
أقولُ: منشَأُ هذا التردُّدِ: أنَّ الفعلَ مبنيٌّ للمفعولِ: «قِيلَ»؛ فيَحتمِلُ ما ذكَرَهُ المؤلِّفُ، ويَحتمِلُ أنَّ القائلَ هو اللهُ؛ توبيخًا للكافِرين؛ كقولِهِ تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأحقاف:٣٤]، الله أعلم.



سورة ن والقلم

نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ اَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ اَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ الْاَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ الْجَنَّةِ إِذَ اَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ *فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنُ اُغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمُۥ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمُۥ أَلَمْ اَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُّبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْاَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

﴿١﴾ ﴿نٓ﴾ حرفٌ من حروف الهجاء، وقد تقدم الكلام عليها في «البقرة». **ويختص ﴿نٓ﴾ بأنه قيل:** إنه حرف من «الرحمن»، فإن حروف الرحمن في ﴿الٓر﴾ و﴿حمٓ﴾ ، و﴿نٓ﴾.

وقيل: إن نون[1] هنا يراد به: الحوت، وزعموا أنه الحوت الأعظم الذي عليه الأرَضون السبع، وهذا لا يصح، على أن النون بمعنى الحوت معروف في اللغة، ومنه: ذو

---

(١) في ب، د: «ن».

النون. **وقيل**: إن نون هنا يراد به الدَّوَاة، وهذا غير معروف في اللغة.

ويَبطل قول من قال إنه الحوت أو الدَّواة: بأنه لو كان كذلك لكان معربًا بالرفع أو النصب أو الخفض، ولكان في آخره تنوين، فكونه موقوفًا دليل علىٰ أنه حرف هجاء نحو ﴿الٓمٓ﴾ وغيره من حروف الهجاء الموقوفة.

﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ **اختُلف فيه علىٰ قولين: أحدهما**: أنه القلم الذي كُتب به في اللوح المحفوظ، فالضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ للملائكة. **والآخر**: أنه القلم المعروف عند الناس، أقسم الله به لما فيه من المنافع والحِكَم، والضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ علىٰ هذا لبني آدم.

(٢) ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ هذا جواب القسم، وهو خطاب لمحمد ﷺ **معناه**: نفي ما نسبه الكفار له من الجنون. و﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ اعتراضٌ بين ﴿مَآ﴾ وخبرها، كما تقول: «أنت -بحمد الله- فاضل». والمجرور في موضع الحال، **وقال الزمخشري**: إن العامل فيه: ﴿بِمَجْنُونٍ﴾[١].

(٣) ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ ذكر في «**فصلت**»[٢].

(٤) ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا ثناءٌ علىٰ خُلُق رسول الله ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان خلق رسول الله ﷺ القرآن»[٣] تعني: التأدُّب بآدابه وامتثال أوامره.

وعبَّر ابن عباس رضي الله عنهما عن الخلق بالدين والشرع[٤]، وذلك رأس الخلق. **وتفصيل ذلك**: أن رسول الله ﷺ جمع كل فضيلة، وحاز كل خَصلة جميلة، فمن ذلك: شرف النسب، ووفور العقل، وصحة الفهم، وكثرة العلم، وكثرة العبادة، وشدَّة الحياء، والسخاء، والصدق، والشجاعة، والصبر، والشكر، والمروءة، والتؤدة، والاقتصاد، والزهد، والتواضع، والشفقة، والعدل، والعفو، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، وحسن المعاشرة، وحسن التدبير، وفصاحة اللسان، وقوة الحواس، وحسن الصورة، وغير ذلك،

(١) الكشاف (١٥/ ٥٦٧).
(٢) انظر تفسير الآية (٧).
(٣) أخرجه مسلم (٧٤٦).
(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٠) من طريق علي والعوفي عنه.

حسَبما ورد في أخباره وسِيَره ﷺ ولذلك قال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[١].

وقال الجنيد: سمي خُلُقه عظيمًا؛ لأنه لم تكن له هِمَّةٌ سوىٰ الله ﷻ[٢].

﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ قيل: إن ﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ هنا بمعنىٰ المجنون، ويحتمل غير ذلك من معاني الفتنة. والخطاب في قوله: ﴿فَسَتُبْصِرُ﴾ للنبي ﷺ، وفي قوله: ﴿وَيُبْصِرُونَ﴾ لكفار قريش.

واختُلف في الباء التي في قوله: ﴿بِأَييِّكُمُ﴾ علىٰ أربعة أقوال: الأول: أنها زائدة. الثاني: أنها غير زائدة، والمعنىٰ: بأيكم الفتنة، فأوقع ﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ موقع الفتنة، كقولهم: «ما له معقول» أي: عقل. الثالث: أن الباء بمعنىٰ «في»، والمعنىٰ: في أيِّ فريق منكم المفتون، واستَحسن ابنُ عطية هذا[٣]. الرابع: أن المعنىٰ: «بأيكم فتنة المفتون» ثم حَذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

﴿٩﴾ ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ المداهنة: هي الملاينة والمداراة فيما لا ينبغي، وروي أن الكفار قالوا للنبي ﷺ: لو عبدت آلهتنا لعبدنا إلهك، فنزلت الآية[٤].

ولم ينتصب ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ في جواب التمني؛ بل رفْعه بالعطف علىٰ ﴿تُدْهِنُ﴾. قاله ابن عطية[٥]. وقال الزمخشري: هو خبر مبتدإ محذوف تقديره: فهم يدهنون[٦].

﴿١٠﴾ ﴿حَلَّافٍ﴾ كثير الحَلِف في الحق والباطل.

﴿مَّهِينٍ﴾ هو الضعيف الرأي والعقل، قال ابن عطية: هو مِن مَهُنَ: إذا ضعف، فالميم فاء

---

(١) أخرجه أحمد (٨٩٥٢)، والحاكم (٤٢٢١) وقال: «صحيح علىٰ شرط مسلم» ووافقه الذهبي، من حديث أبي هريرة ﷺ بلفظ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٤٣): «ورجاله رجال الصحيح»، وأخرجه البزار (١٥/ ٣٦٤) والبيهقي (٢٠٧٨٢) بلفظ: «مكارم الأخلاق».

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٧/ ١٥٤).

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٣٦٧).

(٤) ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٣٦٨).

(٥) المحرر الوجيز (٨/ ٣٦٨).

(٦) الكشاف (١٥/ ٥٧٣).

الفعل[١]، **وقال الزمخشري**: هو من المهانة، وهي الذِّلة والحقارة[٢]. **وقال ابن عباس** رضي الله عنهما: المهين: الكذاب[٣].

(١١) ﴿هَمَّازٍ﴾ هو الذي يَعيب الناس.

﴿مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ أي: كثير المشي بالنميمة، يقال: نميم ونميمة بمعنىٰ واحد، قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمام**»[٤].

(١٢) ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي: شحيح؛ لأن الخير هنا هو المال. **وقيل**: معناه: مناع من الخير؛ أي: يمنع الناس من الإسلام، والعمل الصالح.

﴿مُعْتَدٍ﴾ من العدوان، وهو الظلم.

﴿أَثِيمٍ﴾ من الإثم، وهو ارتكاب المحرمات.

(١٣) ﴿عُتُلٍّ﴾ أي: غليظ الجسم، قاسي القلب، بعيد الفهم، كثير الجهل.

﴿زَنِيمٍ﴾ أي: ولد زنا، **وقيل**: هو الذي في عنقه زَنَمةٌ كزنمة الشاة التي تتعلَّق في حلْقها، **وقيل**: معناه: مريب قبيح الأفعال، **وقيل**: ظلوم، **وقيل**: لئيم[٥].

وقوله: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد ما ذكرنا من عيوبه، فهذا الترتيب في الوصف لا في الزمان. **واختلف في الموصوف بهذه الأوصاف الذميمة**: **فقيل**: لم يُقصد بها شخصٌ معين، بل كل من اتَّصف بها. **وقيل**: المقصود بها: الوليد بن المغيرة؛ لأنه وصفه بأنه ذو مال وبنين، وكان كذلك، **وقيل**: أبو جهل، **وقيل**: الأخنس بن شَرِيق، ويؤيد هذا: أنه كانت له زنَمة في عنقه، **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: عرفناه بزنمته[٦]، وكان أيضًا من ثقيف، ويعدُّ في بني زُهرة، فيصح وصفه بزنيم علىٰ القولين، **وقيل**: الأسود بن عبد يغوث.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٣٦٨).
(٢) الكشاف (١٥/ ٥٧٤).
(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٨) من طريق العوفي عنه.
(٤) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) عن حذيفة رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «قتَّات» بدل «نمام».
(٥) في ب، د: «لائم».
(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٦٤) من طريق العوفي عنه.

﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ في موضع مفعول من أجله، متعلِّق بقوله: ﴿لاَ تُطِعْ﴾ أي: لا تطعه بسبب كثرة ماله وبنيه.

ويجوز أن يتعلق بما بعده، والمعنىٰ علىٰ هذا: أنه قال في القرآن: أساطير الأولين؛ لأنه ذو مال وبنين، يتكبَّر بماله وبنيه، والعامل في ﴿أَن كَانَ﴾ علىٰ هذا فعلٌ من المعنىٰ، ولا يجوز أن يعمل فيه ﴿قَالَ﴾ الذي هو جواب ﴿إِذَا﴾؛ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله، والأول أظهر. وقد تقدم معنىٰ ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[1].

﴿١٦﴾ ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ أصل الخرطوم: أنف السَّبُع، ثم استعير للإنسان استخفافًا به، وتقبيحًا له. والمعنىٰ: نجعل له سِمَةً -وهي العلامة- علىٰ خرطومه، واختلف في هذه السِّمَة: فقيل: هي الضربة بالسيف يوم بدر، وقيل: علامة من نار تجعل علىٰ أنفه في جهنم، وقيل: علامة تجعل علىٰ أنفه يوم القيامة؛ ليعرف بها.

﴿١٧﴾ ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: بلونا قريشًا كما بلونا أصحاب الجنة، وكانوا إخوة من بني إسرائيل لهم جنة، روي: أنها بمقربة من صنعاء[2]، فحلفوا أن لا يعطوا مسكينًا منها شيئًا، وباتوا عازمين علىٰ ذلك، فأرسل الله علىٰ جنتهم طائفًا من نار فأحرقتها[3]، فلما أصبحوا إلىٰ جنتهم لم يروها، فحسبوا أنهم أخطؤوا الطريق، ثم تبينوها فعرفوها، وعلموا أن الله عاقبهم فيها بما قالوا، فندموا وتابوا إلىٰ الله.

ووجه تشبيه قريش بأصحاب الجنة: أن الله أنعم علىٰ قريش ببعث محمد ﷺ، كما أنعم علىٰ أصحاب الجنة بالجنة، فكفر هؤلاء بهذه النعمة كما فعل أولئك، فعاقبهم الله كما عاقبهم.

وقيل: شبَّه قريشًا لما أصابهم الجوع بشدة القحط، حين دعا عليهم رسول الله ﷺ؛ بأصحاب الجنة لما هلكت جنتهم.

---

(١) انظر تفسير الآية (٢٦) من سورة الأنعام
(٢) انظر: التعريف والإعلام للسهيلي (٣٤٣).
(٣) في د: «فأحرقها».

﴿إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ أي: حلفوا أن يقطعوا غَلَّة جنتهم عند الصباح، وكانت الغلة تمرًا[1].

﴿١٨﴾ ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ في معناه ثلاثة أقوال: **أحدها**: لم يقولوا: «إن شاء الله» حين حلفوا ليصرمُنَّها. **والآخر**: لا يستثنون شيئًا من ثمرها إلا أخذوه لأنفسهم. **والثالث**: لا يتوقفون في رأيهم ولا ينثنوا[2] عنه؛ أي: لا يرجعون عنه.

﴿١٩﴾ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ﴾ **قال الفراء**: الطائف الأمر الذي يأتي بالليل[3].

﴿٢٠﴾ ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ فيه أربعة أقوال: **الأول**: أصبحت كالليل؛ لأنها اسودَّتْ لِما أصابها، **والصَّريم في اللغة**: الليل. **الثاني**: أصبحت كالنهار؛ لأنها ابيضَّت كالحصيد، ويقال: «صريم» لليل وللنهار. **الثالث**: أن الصريم: الرماد الأسود بلغة بعض العرب. **الرابع**: أصبحت كالمصرومة؛ أي: المقطوعة.

﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ﴾ أي: نادىٰ بعضهم بعضًا حين أصبحوا، وقال بعضهم لبعض: ﴿أَنِ اغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أي: جنتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ لها أي: حاصدين[4] لثمرها.

﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿يَتَخَافَتُونَ﴾ يكلِّم بعضهم بعضًا في السِّر، ويقولون: ﴿لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾. و﴿أَنْ﴾ في قوله: ﴿أَنِ اغْدُواْ﴾ و﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ حرف عبارة وتفسير.

﴿٢٥﴾ ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ **في الحرد أربعة أقوال: الأول**: أنه المنع. **والثاني**: أنه القصد. **الثالث**: أنه الغضب. **الرابع**: أن الحرد اسم علَمٍ للجنة.

و﴿قَادِرِينَ﴾ **يحتمل أن يكون من القدرة**؛ أي: قادرين في زعمهم، أو من التقدير بمعنىٰ التضييق؛ أي: ضيَّقوا علىٰ المساكين.

---

(١) في ج، د، هـ: «ثمرًا».

(٢) كذا في النسخ الخطية بحذف النون، وهو معطوف علىٰ فعل مرفوع بثبات النون، فكان الأصل أن يقول: «ولا ينثنون»، ولكن يمكن حمل سقوط النون هنا علىٰ مجرَّد التخفيف، وهي لغة صحيحة، ومنه حديث: «لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا». انظر: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك (٢٣٩).

(٣) معاني القرآن، للفراء (٣/ ١٧٥).

(٤) في د: «قاطعين».

(٢٦) (٢٧) ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي: أخطأنا طريق الجنة، قالوا ذلك لما لم يعرفوها، فلما عرفوها ورأوا ما أصابها قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: حَرمنا الله خيرها.

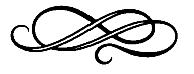
(٢٨) (٢٩) ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: خيرهم وأفضلهم، ومنه: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٢] أي: خِيارًا.

﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: تقولون: «سبحان الله». **وقيل**: هو عبارة عن طاعة الله وتعظيمه، **وقيل**: أراد الاستثناء في اليمين بقولهم[١]: «إن شاء الله»، **والأول أظهر**؛ لقولهم بعد ذلك: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَآ﴾، **والمعنى**: أن هذا الذي هو أفضلُهم كان قد حضَّهم على التسبيح.

(٣٠) ﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾ أي: يلوم[٢] بعضهم بعضًا على ما كانوا عزموا عليه من منع المساكين، أو على غفلتهم عن التسبيح، بدليل قوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾.

(٣٢) ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾ **يَحتمل أنْ طلبوا البدل**: في الدنيا، أو في الآخرة، **والأول أرجح**؛ لأنه روي عن ابن مسعود ﷺ أن الله أبدلهم جنةً يَحمل البغل منها عنقودًا[٣].

(٣٣) ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: مثل هذا العذاب الذي نزل بأهل الجنة ينزل بقريش.



(١) في أ، ج، هـ: «كقولهم».
(٢) في أ: «يلوموا».
(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٧/ ٢٢٤) دون إسناد.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿٣٥﴾ ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الهمزة للإنكار؛ أي: كيف يُسوِّي الله بين المسلمين والمجرمين؟ بل يجازي كل أحد بعمله، **والمراد بالمجرمين هنا: الكفار.**

﴿٣٦﴾ ﴿مَا لَكُمْ﴾ توبيخ للكفار، و﴿مَا﴾ مبتدأ و﴿لَكُمْ﴾ خبره، **وتمَّ الكلام هنا؛ فينبغي أن يوقف عليه.**

﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ توبيخ آخر، أي: كيف تحكمون بأهوائكم وتقولون ما ليس لكم به علم؟

﴿٣٨﴾ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ هذه الجملة معمول ﴿تَدْرُسُونَ﴾ ، وكان أصل ﴿إِنَّ﴾ الفتح وكسرت لأجل اللام التي في خبرها، و﴿تَخَيَّرُونَ﴾ معناه: تختارون لأنفسكم. **ومعنى الآية:** هل لكم كتاب من عند الله تدرسون فيه أنَّ لكم ما تختارونه لأنفسكم.

﴿٣٩﴾ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ **المعنى:** هل حلفنا لكم أيمانًا أن لكم ما تحكمون؟

ومعنىٰ ﴿بَٰلِغَةٌ﴾: ثابتة واصلة إلىٰ يوم القيامة. وقوله: ﴿إِنَّ لَكُمْ﴾ هو جواب القسم الذي يقتضيه[1] الأيمان، ولذلك أكده بـ﴿إِنَّ﴾ واللام. و﴿مَا تَحْكُمُونَ﴾ هو اسم ﴿إِنَّ﴾، دخلت عليه اللام المؤكدة.

﴿٤٠﴾ ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي: يا محمد! اسأل قريشًا أيهم زعيم بهذه الأمور؟ والزَّعيم: هو الضَّامن للأمر، القائمُ به.

﴿٤١﴾ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ هذا تعجيز للكفار، ومعناه: إن كان لكم شركاء يقدرون علىٰ شيء فأتوا بهم.

واختلف هل قوله: ﴿فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ في الدنيا؛ أي: أحضروهم حتىٰ يُرىٰ حالهم؟ أو هل يقال لهم ذلك يوم القيامة؟ والشُّركاء: هم المعبودون من الأصنام وغيرها. وقال الزمخشري: معناه: أم لكم ناسٌ يشاركونكم في هذا القول، ويوافقونكم عليه؟ فأتوا بهم، يعني: أنهم لا يوافقهم أحد عليه[2]. والأول أظهر.

﴿٤٢﴾ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال المتأولون: ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدَّته، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينادي منادٍ يوم القيامة لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيَتْبَع الشمس من كان يعبد الشمس، ويتبع القمر من كان يعبد القمر، ويتبع كل أحد ما كان يعبد، ثم تبقىٰ هذه الأمة وغُبَّرات[3] من أهل الكتاب معهم منافقوهم فيقال لهم: ما شأنكم؟ فيقولون: ننتظر ربنا، قال: فيجيئهم الله في غير الصورة التي عرفوه، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، قال فيقول: أتعرفونه بعلامة ترونها؟ فيقولون: نعم، فيكشف لهم عن ساق، فيقولون: نعم أنت ربنا ويخرُّون للسجود فيسجد كل مؤمن، وترجع أصلاب المنافقين عظمًا واحدًا فلا يستطيعون سجودًا»[4]. وتأويل الحديث كتأويل الآية[5].

---

(١) في أ: «تقتضيه».

(٢) الكشاف (١٥/ ٥٩٤).

(٣) جمع غُبَّر: أي: بقايا. النهاية لابن الأثير (٧/ ٢٩٦٥)

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٥) [التعليق ١٠٦] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قولُ المؤلفِ ﷺ: «﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢]؛ قال المتأوّلون: ذلك عبارةٌ عن هَوْلِ يوم القيامةِ وشِدَّتِهِ...»، إلخ: أقولُ: اكتفىٰ المؤلِّف ﷺ بذكرِ قولِ المتأوِّلين في الآية، وهو أنَّ معنىٰ «يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»؛ أي: يُكشَفُ عن هَوْلِ يومِ القيامة، والساقُ علىٰ هذا هي الشِّدَّةُ، =

﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ تفسيره في الحديث الذي ذكرنا. **فإن قيل**: كيف يُدعون في الآخرة إلىٰ السجود وليست الآخرة دار تكليف؟ **فالجواب**: أنهم يدعون إليه علىٰ وجه التوبيخ لهم علىٰ تركهم السجود لله في الدنيا، لا علىٰ وجه التكليف والعبادة.

(٤٣) ﴿وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ أي: قد كانوا في الدنيا يُدعون إلىٰ السجود فيمتنعون منه، وهم سالمون في أعضائهم قادرون عليه.

(٤٤) ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ تهديدٌ للمكذبين بالقرآن. وإعراب ﴿مَن يُكَذِّبُ﴾ مفعول معه، أو معطوف. وقد ذكرنا في «**الأعراف**» ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ وما بعده[١].

(٤٦) ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ معناه: أنت لا تسألهم أُجرةً علىٰ الإسلام فتثقل عليهم، فلا عذر لهم في تركهم الإسلام. وقد فسرنا هذا وما بعده في «**الطور**»[٢].

(٤٨) ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يقتضي مسالمة للكفار، نُسخت بالسيف.

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ هو يونس عليه السلام، وسماه صاحب الحوت؛ لأن الحوت ابتلعه، وهو أيضًا ذو النون، والنون هو الحوت. وقد ذكرنا قصته في «**الأنبياء**»[٣] و«**الصافات**»[٤]. فنهىٰ الله محمدًا ﷺ أن يكون مثله في الضجر والاستعجال حتىٰ ذهب مغاضبًا. وروي أن هذه الآية نزلت لما همَّ النبي ﷺ أن يدعو علىٰ الكفار.

= ومِن معاني الساق في اللغة: الشِّدَّةُ؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة:٢٩]؛ أي: اتصلَتِ الشِّدَّةُ بالشِّدَّةِ عند الموت، وذكَرَ المؤلِّفُ الحديثَ، وأجراه مُجْرَىٰ الآية.

والقولُ الثاني - الذي أعرَضَ عنه المؤلِّفُ -: أنَّ المرادَ بالساقِ: ساقُ اللهِ تعالىٰ؛ كما في روايةٍ في الصحيح: «فَيَكشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ» [أخرجه البخاري (٤٩١٩)؛ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه]؛ فالحديثُ يفسِّرُ الآيةَ، فيكونُ معناها: يومَ يَكشِفُ ربُّنا عن ساقِه.

ويؤيِّدُ ذلك: أنه حينئذٍ يسجُدُ له كلُّ مَن كان يسجُدُ في الدنيا استجابةً وطاعة، ويَعجِزُ المنافِقونَ عن السجود؛ كما يدُلُّ لذلك الآيةُ والحديث، والآيةُ تَحتمِلُ القولَيْن، وتفسيرُها بما دَلَّ عليه الحديثُ أولىٰ؛ فإنَّ السُّنَّةَ تفسِّرُ القرآن.

(١) انظر تفسير الآية (٨٦).
(٢) انظر تفسير الآية (٣٨).
(٣) انظر تفسير الآية (٨٦).
(٤) انظر تفسير الآية (١٣٩).

﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ هذا آخر ما جرىٰ ليونس ﷺ، ونداؤه: هو قوله في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. والمكظوم: الشَّديد الحزن.

﴿٤٩﴾ ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ هذا جواب ﴿لَّوْلَآ﴾، والمنفي هو الذمُّ، لا نَبْذُه بالعراء؛ فإنه قد قال في «الصافات»: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ [الصافات: ١٤٥]، فالمعنىٰ: لولا رحمة الله لنُبذ بالعراء وهو مذموم، لكنه نبذ وهو غير مذموم. وقد ذكرنا العراء في «الصافات»[١].

﴿٥١﴾ ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ﴾ عبارة عن شدة عداوتهم. و﴿إِن﴾ مخفَّفة من الثقيلة، بدليل دخول اللام.

و﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ معناه: يُهلكونك، كقولك: «نظر فلان إلىٰ عدوِّه نظرًا كاد يَصرعه»، وأصله: مِن زلق القدم. وقرئ بفتح الياء وضمها[٢]، وهما لغتان.

وقيل: إن المعنىٰ: يأخذونه بالعين، وكان ذلك في بني أسد، كان الرجل منهم يجوع ثلاثة أيام فلا يتكلم علىٰ شيء إلا أصابه بالعين، فأراد بعضهم أن يصيب النبي ﷺ فعصمه الله من ذلك[٣]. وقال الحسن: دواء الإصابة بالعين قراءة هذه الآية[٤].

﴿٥٢﴾ ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني: القرآن؛ أي: هو موعظة وتذكير للخلق.

---

(١) انظر تفسير الآية (١٤٥).
(٢) قرأ نافع بفتح الياء، وقرأ الباقون بضمها.
(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٧/ ٢٥٩) عن الكلبي.
(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٧/ ٢٦٣) دون إسناد.



ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرِيكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِالْقَارِعَةِ ﴿٣﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِالطَّاغِيَةِ ﴿٤﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٥﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمُۥٓ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٦﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٧﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَالْمُوتَفِكَٰتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٨﴾ فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمُۥٓ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿٩﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴿١٠﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذْنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١١﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٢﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٣﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٤﴾ وَانشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٥﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٦﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٧﴾ *فَأَمَّا مَنُ اُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٨﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿١٩﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢٠﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢١﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٢﴾ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيٓـٔاً بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٣﴾ وَأَمَّا مَنُ اُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ ﴿٢٤﴾ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمُ اُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمَ اَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَّلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُومِنُ بِاللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ اِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾

﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ هي القيامة، ووزنها فَاعِلة. **وسميت الحاقة**: لأنها تَحِقُّ، أي: يصحُّ وجودها، ولا ريب في وقوعها، أو لأنها حَقَّت[1] لكل أحد جزاء عمله، أو لأنها تبدي حقائق الأمور.

(١) في ب: «حَقَّقت».

﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ ﴿مَا﴾ استفهامية يراد بها التعظيم، وهي مبتدأ وخبرها ما بعده، والجملة خبر ﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾. وكان الأصل: «الحاقة ما هي؟»، ثم وضع الظاهر موضع المضمر زيادةً في التعظيم والتهويل.

وكذلك ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ لفظه الاستفهام، والمراد به: التعظيم والتهويل.

﴿٣﴾ ﴿بِٱلۡقَارِعَةِ﴾ هي القيامة، سميت بذلك؛ لأنها تَقرع القلوب بأهوالها.

﴿٤﴾ ﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ يعني: الصيحة التي أخذت ثمود، وسميت بذلك لأنها جاوزت الحدَّ في الشدة. وقيل: الطاغية مصدر، فكأنه قال: أهلكوا بطُغيانهم، فهو كقوله: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾[الشمس: ١١]، وقيل: هي صفة لمحذوف تقديره: أهلكوا بسبب الفِعلة الطاغية، أو الفئة الطاغية. والباء على هذين القولين: سببية، وعلى القول الأول: كقولك: «قتلت زيدًا بالسيف».

﴿٥﴾ ﴿بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ﴾ ذكر في «فصلت»[1].

﴿عَاتِيَةٖ﴾ أي شديدة، وسميت بذلك؛ لأنها عَتَتْ على عاد، وقيل: عَتت على خُزَّانها[2]، فخرجت بغير إذنهم.

﴿٦﴾ ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ﴾ روي أنها بدأت صبيحة يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وتمادت بهم إلى آخر يوم الأربعاء تكملةَ الشهر[3].

﴿حُسُومٗا﴾ ابن عباس ﷺ: معناه: كاملةً متتابعة لم يتخلَّلْها غير ذلك[4]. وقيل: معناه شؤمًا ونَحسًا، وقيل: هو جمع حاسم، من الحسْم وهو القطع؛ أي: قطعتهم بالإهلاك. فـ﴿حُسُومٗا﴾ على القولين الأولين: مصدر في موضع الحال، وعلى الثالث: حال، أو مفعول من أجله.

---

(١) انظر تفسير الآية (١٥).

(٢) في د: «خزنتها».

(٣) ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٣٨٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢١٢) من طريق علي عنه.

﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ جمع صريع، وهو المطروح بالأرض. **والضمير المجرور يعود** على منازلهم؛ لأن المعنى يقتضيها وإن لم يتقدم ذكرها، أو على الأيام والليالي، أو على الريح.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ تقدم في «القمر» معنى تشبيههم بأعجاز النخل[1]. **والخاوية**: هي التي خَلتْ من طول بِلَاها وفسادِها.

﴿٧﴾ ﴿مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ أي: من بقيَّة، **وقيل**: من فئة باقية، **وقيل**: إنه مصدر بمعنى البقاء.

﴿٨﴾ ﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ يريد: من تقدم قبله من الأمم الكافرة، وأقربهم إليه قوم شعيب، والظاهر أنهم المراد؛ لأن عادًا وثمود قد ذُكرَا، وقوم لوط هم المؤتفكات، وقوم نوح قد أشير إليهم في قوله: ﴿لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾. وقرئ ﴿قِبَلَهُۥ﴾ بكسر القاف وفتح الباء[2]، ومعناه: جنده وأتباعه.

﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ **إما أن يكون** مصدرًا بمعنى الخطيئة، أو صفةً لمحذوف تقديره: بالفِعلة الخاطئة.

﴿٩﴾ ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ **إن عاد الضمير على فرعون وقومه**: فالرسول موسى عليه السلام، **وإن عاد على المؤتفكات**: فالرسول لوط عليه السلام، **وإن عاد على الجميع**: فالرسول اسم جنس، أو بمعنى الرسالة.

﴿رَّابِيَةً﴾ أي: عظيمة، وهو من قولك: ربا الشيء: إذا كثر.

﴿١٠﴾ ﴿طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ عبارة عن كثرته، **فيحتمل أن يريد**: أنه طغى على أهل الأرض، أو على خُزَّانه، يعني: وقت طوفان نوح عليه السلام.

﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ هي السفينة، **فإن أراد سفينة نوح**: فمعنى ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾: حملنا آباءكم؛ لأن كل مَن على الأرض من ذرية نوح عليه السلام وأولاده الثلاثة الذين كانوا معه في السفينة، **وإن أراد جنس السفن**: **فالخطاب على حقيقته.**

---

(١) انظر تفسير الآية (٢٠).

(٢) قرأ أبو عمرو والكسائي بكسر القاف وفتح الباء، وقرأ الباقون بفتح القاف وإسكان الباء.

(١١) ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ الضمير للفِعلة، وهي الحَمل في السفينة. وقيل: للسفينة، فإن أراد جنس السفن: فالمعنىٰ: أنها تذكرة بقدرة الله ونعمته لمن ركبها أو سمع بها، وإن أراد سفينة نوح: فقد قيل: إن الله أبقاها حتىٰ رأىٰ بعضَ عِيدانها أوائلُ هذه الأمة.

﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ الضمير يعود علىٰ ما عاد عليه ضمير ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾، وهذا يقوِّي أن يكون للفعلة.

والأذن الواعية: هي التي تفهم ما تسمع وتحفظه، يقال: وَعَيْتُ العلم: إذا حصَّلتَه، ولذلك عبَّر بعضهم عنها بأنها التي عقَلت عن الله. **وروي** أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «إني دعوت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ»، قال عليّ: فما نسيت بعد ذلك شيئًا سمعته[1].

قال الزمخشري: إنما قال: ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ بالتوحيد والتنكير؛ للدلالة علىٰ قلة الوعاة، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم، وللدلالة علىٰ أن الأذن الواحدة إذا عقَلت عن الله تعالىٰ فهي المعتبَرة عند الله دون غيرها[2].

(١٢) ﴿نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ **يعني**: نفخة الصَّعق، وهي الأولىٰ.

(١٣) ﴿فَدُكَّتَا﴾ الضمير للأرض والجبال. **ومعنىٰ** ﴿دُكَّتَا﴾: ضرب بعضها ببعض حتىٰ تندقَّ، **وقال الزمخشري**: والدكُّ أبلغ من الدقِّ[3]، **وقيل**: معناه: بسطت حتىٰ تستويَ الأرض والجبال.

(١٤) ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة، **وقيل**: صخرة بيت المقدس، **وهذا ضعيف**.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٢٢) عن مكحول، قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٢١١): «وهو حديث مرسل»، وأخرجه الثعلبي (٢٧/ ٢٨٨) عن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، مرسلًا، وهو ضعيف جدًّا، فيه إسحاق بن محمد بن مروان عن أبيه، ولا يحتج بحديثه، وأبوه السدي الصغير متروك متهم بالكذب. ميزان الاعتدال (١/ ٢٠٠)، (٤/ ٣٢)، وقد عدَّ شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الحديث من الموضوعات في كتب التفسير، في مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٣٥٤).

(٢) الكشاف (١٥/ ٦١٣).

(٣) الكشاف (١٥/ ٦١٦).

(١٥) ﴿وَاهِيَةٌ﴾ أي: مسترخية ساقطة القوة، ومنه قولهم: «دار واهية» أي: ضعيفة الجُدرات.

(١٦) ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ **الملك هنا**: اسم جنس.

والأرجاء: الجوانب، واحدها رَجا -مقصور-، والضمير يعود على السماء، **والمعنى**: إن الملائكة يكونون يوم القيامة على جوانب السماء؛ لأنها إذا وهت وقفوا على أطرافها. **وقيل**: يعود على الأرض؛ لأن المعنى يقتضيه، وإن لم يتقدم ذكرها، وروي في ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفًا على جوانب الأرض، **والأول أظهر وأشهر**.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ **ابن عباس** ﷺ: هي ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم أحد عدَّتهم[(١)]. **وقيل**: ثمانية أملاك، رؤوسهم عند العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة، **ويؤيد هذا**: ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة قوَّاهم الله بأربعة سواهم»[(٢)].

(١٧) ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ خطاب لجميع العالم، **والعرض**: البعث و[(٣)]الحساب.

﴿خَافِيَةٌ﴾ أي: حالٌ خافية من الأعمال والسرائر. **ويَحتمل المعنى**: لا يخفى من أجسادكم شيء؛ لأنهم يُحشرون حفاة عراة.

(١٨) ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ الكتاب هنا: صحائف الأعمال.

﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ ﴿هَآؤُمُ﴾ اسم فعل، **قال ابن عطية**: معناه: تعالوا[(٤)]. **وقال الزمخشري**: هو صوت يفهم منه معنى: «خُذْ»، و﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ مفعولٌ يطلبه ﴿هَآؤُمُ﴾ و﴿ٱقْرَءُواْ﴾ من طريق المعنى، تقديره: «هاؤم كتابي اقرؤوا كتابي» ثم حُذف[(٥)] لدلالة الآخر عليه[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٢٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٠) من طرق عنه.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٢٩) عن ابن إسحاق قال: بلغنا أن النبي ﷺ.. وذكره. قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٨٥): «وهو معضل».

(٣) في أ، هـ: «أو».

(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٣٩٢).

(٥) أي: حذف مفعول ﴿هاؤم﴾.

(٦) الكشاف (١٥/ ٦٢١).

وعَمل فيه العامل الثاني -وهو ﴿ٱقْرَءُواْ﴾- عند البصريين، والعامل الأول -وهو ﴿هَآؤُمُ﴾ - عند الكوفيين. والدليل على صحة قول البصريين: أنه لو أُعمل الأول لقال: «اقرؤوه».

والهاء في ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ للوقف، وكذلك في ﴿حِسَابِيَهْ﴾ و﴿مَالِيَهْ﴾ و﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾. وكان الأصل أن تسقط في الوصل، لكنها ثبتت فيه مراعاةً لخطِّ المصحف، وقد أسقطها في الوصل بعضهم.

ومعنى الآية: أن العبد الذي يُعطى كتابه بيمينه يقول للناس: «اقرؤوا كتابيه» على وجه الاستبشار والسرور بكتابه.

(١٩) ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ الظن هنا: بمعنى اليقين.

(٢٠) ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ أي: ذات رضا، كقولهم: «تامِرٌ» لصاحب التمر، قال ابن عطية: ليست بناء اسم فاعل[1]. وقال الزمخشري: يجوز أن يكون اسم فاعل، نُسب الفعل إليها مجازًا، وهو لصاحبها حقيقة[2].

(٢٣) ﴿قُطُوفُهَا﴾ جمع قِطْف -بكسر القاف-[3] وهو ما يُجتنَى من الثمار ويقطف كالعنقود.

﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبة، وروي أن العبد يأخذها بفمه من شجرها على أيِّ حال كان من قيام أو جلوس أو اضطجاع[4].

(٢٤) ﴿أَسْلَفْتُمْ﴾ أي: قدمتم من الأعمال الصالحة.

﴿فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ أي: الماضية، يعني: أيام الدنيا.

(٢٥) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ هم الكفار بدليل قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾، فجعل علةَ إعطائهم كتبهم[5] بشمالهم عدمَ إيمانهم.

---

(١) أي: أنها على النَّسب، وليست بناء اسم فاعل؛ إذ هي بمعنى: مرضيَّة. المحرر الوجيز (٨/ ٣٩٣)، وانظر: الدر المصون للسمين الحلبي (١٠/ ٤٣٤).

(٢) الكشاف (١٥/ ٦٢٢).

(٣) قوله «بكسر القاف» زيادة من أ، هـ.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٣٣).

(٥) في أ، د: «كتابهم».

وأما المؤمنون فيعطون كتبهم[1] بأيمانهم، لكن اختلف فيمن يدخل النار منهم، هل يعطىٰ كتابه قبل دخوله النار؟ أو بعد خروجه منها؟ وهذا أرجح لقوله: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾؛ لأن هذا كلام مسرور، فيبعد أن يقوله من يُحمل إلىٰ النار.

(٢٥) ﴿فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ أي: يتمنىٰ أنه لا يعطاه[2] كتابه. وقال ابن عطية: يتمنىٰ أن يكون معدومًا لا يجري عليه شيء[3]، والأول أظهر.

(٢٧) ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ أي: ليت الموتة الأولىٰ كانت القاضية، بحيث لا يكون بعدها بعثٌ ولا حياة.

(٢٨) ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾ يحتمل أن يكون نفيًا، أو استفهامًا يراد به النفي.

(٢٩) ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ أي: زال عني ملكي وقدرتي، وقيل: ذهبت عني حجتي.

(٣٠) ﴿خُذُوهُ﴾ خطاب للزبانية، يقوله لهم: الله تعالىٰ، أو الملائكة بأمر الله[4].

﴿فَغُلُّوهُ﴾ أي: اجعلوا غُلًّا في عنقه، وروي أنها نزلت في أبي جهل[5].

(٣١) (٣٢) ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ معنىٰ ﴿ذَرْعُهَا﴾: أي مبلغ أذرع كَيلها.

واختلف في هذا الذراع، فقيل: إنه الذراع المعروف، وقيل: هو بذراع الملَك، وقيل: في الذراع سبعون باعًا، كل باع كما بين مكة والكوفة. ولله در الحسن البصري في قوله: الله أعلم بأيِّ ذراع هي![6]

وجعلها سبعين ذراعًا؛ لإرادة وصفها بالطول، فإن السبعين من الأعداد التي تَقصد بها العرب التكثير. ويحتمل أن تكون هذه السلسلة لكل واحد من أهل النار، أو تكون بين جميعهم، وقد حكىٰ الثعلبي ذلك[7].

---

(١) في أ، ج، د: «كتابهم».
(٢) في د: «لا يعطىٰ».
(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٣٩٣).
(٤) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٨٤).
(٥) أخرجه ابن المنذر عن ابن جريج كما في الدر المنثور (١٤/ ٦٨٠).
(٦) ذكره الثعلبي (٢٧/ ٣١٣)، والواحدي في البسيط (٢٢/ ١٧٩) دون إسناد.
(٧) أي: حكىٰ الاحتمال الثاني. تفسير الثعلبي (٢٧/ ٣١٥-٣١٦).

﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أي: أَدخلوه، وروي أن هذه السلسلة تدخل في فم الكافر وتخرج على دبره[1]، فـ﴿اسْلُكُوهُ﴾ على هذا من المقلوب في المعنى، كقولهم: «أدخلتُ القَلَنْسُوة في رأسي». وروي: أنها تُلوَىٰ عليه حتىٰ تَغُمَّه وتضغطه[2]، فالكلام على هذا على وجهه وهو المسلوك فيها.

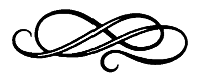
وإنما قدم قوله: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ﴾ على ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ لإرادة الحصر؛ أي: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة. وكذلك قدَّم ﴿الْجَحِيمَ﴾ على ﴿صَلُّوهُ﴾ لإرادة الحصر أيضًا.

(٣٤) ﴿طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ **يحتمل** أنْ أراد إطعام المسكين، فوضع الاسم موضع المصدر، أو يُقدَّر: «لا يحض على بذل طعام المسكين».

وأضاف الطعام إلى المسكين؛ لأن له إليه نسبة. ووصْفُه بأنه لا يحض على طعام المسكين يدلُّ على أنه لا يُطعمه من باب أولى وأحرى. وهذه الآية تدل على عِظَم الصدقة وفضلها؛ لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر بالله.

(٣٥) ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ **فيه قولان: أحدهما**: ليس له صديق. **والآخر**: ليس له شراب، ولا طعام إلا من غسلين، **فإن الحميم**: الماء الحار، **والغسلين**: صديد أهل النار **عند ابن عباس** رضي الله عنهما[3]، **وقيل**: شجر يأكله أهل النار، **وقال اللغويون**: هو ما يجري من الجراح إذا غُسلت، وهو «فِعْلين» من الغَسل.

(٣٧) ﴿الْخَاطِئُونَ﴾ جمع خاطئ وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمِّدًا، والمخطئ: الذي يفعله بغير تعمُّد.



(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٣٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٢).
(٢) ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٣٩٥)، والكشاف (١٥/ ٦٢٦).
(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٤٠) من طريق علي عنه.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ «لا» زائدة غير نافية.

﴿بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ **يعني**: جميع الأشياء؛ لأنها تنقسم إلىٰ ما يُبصَر وما لا يبصر، كالدنيا والآخرة، والإنس والجن، والأجسام والأرواح، وغير ذلك.

﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا جواب القسم، والضمير للقرآن. **والرسول الكريم**: جبريل، **وقيل**: محمد عليهما الصلاة والسلام.

﴿٤١﴾ ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ **قال ابن عطية**: يحتمل أن تكون ﴿مَّا﴾ نافيةً، فنفىٰ إيمانهم بالجملة، أو تكون مصدرية، فوصف إيمانهم بالقِلَّة[1]. **وقال الزمخشري**: القلة هنا بمعنىٰ العدم؛ أي: لا تؤمنون ولا تَذَّكَّرون ألبتةَ[2].

﴿٤٤﴾ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ **التقوُّل**: هو أن ينسب إلىٰ أحد ما لم يَقل. **ومعنىٰ الآية**: لو تقوَّل علينا محمد لعاقبناه، ففي ذلك برهان علىٰ أن القرآن[3] من عند الله.

﴿٤٥﴾ ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ **ابن عباس** ﷺ: اليمين هنا: القوة[4]، ومعناه: لو تقوَّل علينا لأخذناه بقوتنا. **وقيل**: هي عبارة عن الهوان، كما يقال لمن يُسجَن: أُخِذ بيده وبيمينه.

وقال الزمخشري: معناه: لو تقوَّل علينا لقتلناه، ثم صور صورة القتل ليكون أهول،

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٣٩٧).

(٢) الكشاف (١٥/ ٦٣٠).

(٣) في ب زيادة: «كلام الله وهو..».

(٤) ذكره الثعلبي (٢٧/ ٣٢٠)، والواحدي في البسيط (٢٢/ ١٩٠).

وعبر عن ذلك بقوله: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾؛ لأن السيَّاف إذا أراد أن يضرب المقتول في جيده أخذ بيده اليمنىٰ؛ ليكون ذلك أشد عليه؛ لنظره إلىٰ السيف[1].

﴿٤٦﴾ ﴿الْوَتِينَ﴾ نياط القلب، وهو عرقٌ إذا قُطع مات صاحبه، فالمعنىٰ: لقتلناه.

﴿٤٧﴾ ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ الحاجز: المانع، والمعنىٰ: لو عاقبناه لم يمنعه أحد منكم ولم يدفع عنه عقابنا[2]. وإنما جمع ﴿حَاجِزِينَ﴾؛ لأن ﴿أَحَدٍ﴾ في معنىٰ الجماعة.

﴿٤٨﴾ ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ﴾ الضمير: للقرآن، وقيل: لمحمد ﷺ، والأول أظهر.

﴿٥٠﴾ ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: حسرة عليهم في الآخرة؛ لأنهم يتأسَّفون إذا رأوا ثواب المؤمنين.

﴿٥١﴾ ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ قال الكوفيون: هذا من إضافة الشيء إلىٰ نفسه، كقولك: مسجد الجامع.

وقال الزمخشري: المعنىٰ: عين اليقين، ومحض اليقين[3]، وقال ابن عطية: ذهب الحذاق[4] إلىٰ أن الحق مضاف إلىٰ الأبلغ من وجوهه[5].

---

(١) الكشاف (١٥/ ٦٣٢).

(٢) في أ، هـ: «عقابًا».

(٣) الكشاف (١٥/ ٦٣٤).

(٤) عبارته: ذهب البصريون والحذاق..

(٥) المحرر الوجيز (٨/ ٣٩٨)، يعني: أنه من باب إضافة المترادفين علىٰ سبيل المبالغة، كما تقول: هذا يقين اليقين، وصواب الصواب. انظر: البحر المحيط (٢٠/ ٢٠١)، والدر المصون (١٠/ ٢٣٢)، فقول الزمخشري وابن عطية واحد، وهو قول البصريين.



سَالَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اَللَّهِ ذِے اِ۬لْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ
اُ۬لْمَلَٰٓئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِے يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ﴿٥﴾
اِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيداً ﴿٦﴾ وَنَرِيٰهُ قَرِيباً ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ اُ۬لسَّمَآءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ اُ۬لْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلاَ يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيماً ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْۖ يَوَدُّ اُ۬لْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِے مِنْ عَذَابِ
يَوْمَئِذٍۢ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ اِ۬لتِے تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِے اِ۬لْاَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ
يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظِيٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٌ لِّلشَّوِيٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنَ اَدْبَرَ وَتَوَلَّيٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَيٰٓ
﴿١٨﴾ إِنَّ اَلِانسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعاً ﴿١٩﴾ اِذَا مَسَّهُ اُ۬لشَّرُّ جَزُوعاً ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ اُ۬لْخَيْرُ مَنُوعاً ﴿٢١﴾ اِلاَّ
اَ۬لْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ اَ۬لذِينَ هُمْ عَلَيٰ صَلاَتِهِمْ دَآئِمُونَۖ ﴿٢٣﴾ وَالذِينَ فِے أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ
وَالْمَحْرُومِۖ ﴿٢٥﴾ وَالذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ اِ۬لدِّينِۖ ﴿٢٦﴾ وَالذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَامُونٍۖ ﴿٢٨﴾ وَالذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلاَّ عَلَيٰٓ أَزْوَٰجِهِمُۥٓ أَوْ مَا
مَلَكَتَ اَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَۖ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ اِبْتَغَيٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُ۬لْعَادُونَۖ ﴿٣١﴾
وَالذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَۖ ﴿٣٢﴾ وَالذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَۖ ﴿٣٣﴾ وَالذِينَ هُمْ عَلَيٰ
صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ اُوْلَٰٓئِكَ فِے جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَۖ ﴿٣٥﴾

﴿١﴾ ﴿سَالَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ من قرأ ﴿سَأَلَ﴾ بالهمز[1]: **احتمل معنيين: أحدها: أن يكون بمعنىٰ الدعاء؛ أي: دعا داع بعذاب واقع، وتكون الإشارة إلىٰ قول الكفار: «أمطر علينا حجارة من السماء»، وكان الذي قالها النضر بن الحارث. والآخر: أن يكون بمعنىٰ الاستخبار؛ أي: سأل سائل عن عذاب واقع، والباء علىٰ هذا بمعنىٰ: «عن»، وتكون الإشارة إلىٰ قولهم: «متىٰ هذا الوعد؟» وشبه ذلك.**

(١) قرأ نافع وابن عامر بألف من غير همز، وقرأ الباقون بالهمز.

وأما من قرأ ﴿سَالَ﴾ بغير همز: فيحتمل وجهين: الأول: أن يكون مخففًا من المهموز، فيكون فيه المعنيان المذكوران. **والثاني:** أن يكون من سال السيل: إذا جرىٰ، **ويؤيد ذلك:** قراءة ابن عباس رضي الله عنهما: «سال سَيْلٌ»(١)، وتكون الباء علىٰ هذا كقولك: «ذهبت بزيد».

وإذا كان من السيل احتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون شبَّه العذاب في شدته وسرعة وقوعه بالسيل.

وثانيهما: أن يكون حقيقة، قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: في جهنم واد يقال له: سائل(٢).

فتلخَّص من هذا: أن في القراءة بالهمز(٣) معنيين، وفي القراءة بغير همز أربعة معان.

﴿٢﴾ ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ **يحتمل أن يتعلَّق** بـ﴿وَاقِعٍ﴾، وتكون اللام: بمعنىٰ «علىٰ»، أو تكون صفة للعذاب. **أو يتعلق** بـ﴿سَالَ﴾ إذا كانت بمعنىٰ: دَعا، أي: دعا للكافرين بعذاب. أو يكون مستأنفًا، كأنه قال: هو للكافرين.

﴿٣﴾ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ **يحتمل أن يتعلق** بـ﴿وَاقِعٍ﴾؛ أي: واقع من عند الله، أو بـ﴿دَافِعٌ﴾؛ أي: ليس له دافع من عند الله، أو يكون صفة لـ﴿عَذَابٍ﴾،أو مستأنفًا.

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ جمع مَعْرَج، وهو المصعد إلىٰ علوٍ، كالسُّلَّم والمدارج التي يُرتقىٰ بها. **قال ابن عطية:** هي هنا مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة(٤)، **وقيل:** هي المراقي إلىٰ السماء، **وهذا أظهر؛** لأنه فسَّرها بما بعدها من عروج الملائكة والروح إليه، أي: إلىٰ عرشه، ومن حيث تهبط أوامره وقضاياه(٥)، **فالعروج:** هو من الأرض إلىٰ العرش(٦).

---

(١) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني (٢/ ٣٣٠)، والمحرر الوجيز (٨/ ٤٠١).

(٢) عزاه إلىٰ زيد بن ثابت رضي الله عنه في المحرر الوجيز (٨/ ٤٠١)، ولم أقف عليه من قوله، وفي تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤٩): «قال ابن زيد [يعني: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم]: قال بعض أهل العلم: هو واد في جهنم يقال له: سائل».

(٣) في أ، ب، ج، هـ زيادة: «يحتمل»!

(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٤٠١).

(٥) في هـ: «وقضاؤه».

(٦) **[التعليق ١٠٧] قال الشيخ عبد الرحمن البرّاك: قولُ المؤلِّفِ رحمه الله: «قال ابنُ عطيَّة: «هي هنا مستعارةٌ في الفضائلِ والصفاتِ الحَمِيدة»: أقولُ:** يريدُ ابنُ عطيَّةَ: أنَّ المعارِجَ أمورٌ معنويَّةٌ، وهي صفاتُ الكمالِ؛ فلا تدلُّ علىٰ علوِّ الذاتِ في حقِّه تعالىٰ، بل علىٰ علوِّ القَدْر، وهذا يتفِقُ مع مذهبِ نفاةِ علوِّ اللهِ بذاتِه. =

والروح هنا: جبريل عليه السلام **بدليل قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾** [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]. **وقيل: الروح:** ملائكة حفَظة على الملائكة، **وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقله، وقيل: الروح:** جنس أرواح الناس وغيرهم.

(٤) **﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ اختلف في هذا اليوم على قولين:**

أحدهما: أنه يوم القيامة. **والآخر:** أنه في الدنيا.

والصحيح: أنه يوم القيامة لقول رسول الله ﷺ في حديث مانع الزكاة: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صُفِّحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد»[1] يعني: يوم القيامة.

ثم اختلف هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة؟ **وهذا هو الأظهر**، أو هل وُصف بذلك لشدة أهواله؟ كما يقال: «يوم طويل» إذا كان فيه مصائب وهموم. **وإذا قلنا إنه في الدنيا: فالمعنى:** أن الملائكة والروح يعرجون في يوم لو عَرج فيه الناس لعرجوا في خمسين ألف سنة، **وقيل:** الخمسون ألف سنة هي مدة الدنيا، والملائكة تعرج وتنزل في هذه المدة. وهذا كله على أن يكون قوله: **﴿فِي يَوْمٍ﴾** يتعلق بـ**﴿تَعْرُجُ﴾** ، ويحتمل أن يكون **﴿فِي يَوْمٍ﴾** صفةً للعذاب، فيتعين أن يكون اليوم يوم القيامة، والمعنى على هذا مستقيم.

(٥) **﴿فَاصْبِرْ﴾** هذا متصل بما قبله من العذاب وغيره، أي: اصبر على أقوال الكافرين حتى يأتيهم العذاب، ولذلك وصفه بالقرب؛ مبالغةً في تسلية النبي ﷺ.

= ولكنَّ ابنَ جُزَيٍّ رحمه الله رجَّح أنَّ المعارجَ هي المَصاعِدُ إلى السماء؛ بدليل قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، ولكنه قال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى عرشِهِ.

وهذا تأويلٌ بصرفِ الكلامِ عن ظاهِرِه، وهو أنها تعرُجُ إلى الله، ولا مُوجِبَ لهذا التأويلِ إلا النَّزعةُ إلى نفيِ العلوِّ الذي هو مذهَبُ القوم.

وقد جاء في السُّنَّةِ: ما يشهدُ لظاهِرِ الآية، وهو قولُهُ صلى الله عليه وسلم: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ»، وفيه: «ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ - كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي...»؛ الحديثَ [أخرجه البخاري (٧٤٢٩)، ومسلم (٦٣٢)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه].

والصوابُ في الآيةِ: أنَّ الملائكةَ والرُّوحَ تَعرُجُ إلى اللهِ.

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيداً﴾ **يحتمل أن يعود الضمير علىٰ العذاب، أو علىٰ اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة. والبعيد يحتمل أن يراد به بُعْد الزمان، أو بُعْد الإمكان. وكذلك القرب يحتمل أن يراد به** قرب الزمان؛ لأن كل آت قريب، ولأن الساعة قد قربت، أو قرب الإمكان؛ لقدرة الله عليه.

(٨) ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ **﴿يَوْمَ﴾ هنا**: بدل من ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ، أو بدل من الضمير المنصوب في ﴿نَرَىٰهُ﴾. أو منصوب بقوله: ﴿قَرِيباً﴾، أو بقوله: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾، أو بفعل مضمر تقديره: اذكر، أو: يقعُ العذاب يوم تكون السماء كالمهل.

والمهل: هو دُرْدِيُّ الزيت[1]، شبَّه السماء به في سوادها وانكدار أنوارها يوم القيامة، **وقيل**: هو ما أذيب من الفضة ونحوها، شبَّه السماء به في تلوُّنه.

(٩) ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ **العِهن**: هو الصوف، شبَّه الجبال به في انتفاشه وتخلخل[2] أجزائه، **وقيل**: هو الصوف المصبوغ ألوانًا، فكيون التشبيه في الانتفاش، وفي اختلاف الألوان؛ لأن الجبال منها بيض وسود وحمر.

(١٠) ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾ **الحميم هنا**: الصديق، **والمعنىٰ**: لا يَسأل أحدٌ من حميمِه نصرةً ولا إغاثة[3]؛ لعلمه أنه لا يقدر له علىٰ شيء، **وقيل**: لا يسأله عن حاله؛ لأن كل أحد مشغول بنفسه.

(١١) ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ **يقال**: بَصُرَ الرجلُ بالرجل: إذا رآه، وبصَّرتُه إياه -بالتشديد-: إذا أريتَه إياه. والضميران يعودان علىٰ الحميمين؛ لأنهما في معنىٰ الجمع. **والمعنىٰ**: أن كل حميم يُبَصَّر حميمَه يوم القيامة فيراه، ولكنه لا يسأله.

(١٢) ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ **يعني**: امرأته.

(١٣) ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ **يعني**: القرابة الأقربين.

(١) هو ما يبقىٰ في أسفله. «لسان العرب» مادة (درد).
(٢) في ج، د: «وتخلل».
(٣) في أ، هـ: «إعانة».

﴿تُـْوِيهِ﴾ أي: تضمُّه، فيحتمل أن يريد: تضمه في الانتماء إليها، أو في نصرته وحفظه من المضرَّات.

﴿١٤﴾ ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ الفاعل الافتداء الذي يقتضيه ﴿لَوْ يَفْتَدِي﴾ ، وهذا الفعل معطوف على ﴿لَوْ يَفْتَدِي﴾، وإنما عطَفه بـ﴿ثُمَّ﴾ إشعارًا ببعد النجاة وامتناعها، ولذلك زجره عن ذلك بقوله: ﴿كَلَّآ﴾.

﴿١٥﴾ ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ الضمير للنار؛ لأن العذاب يدل عليها، ويحتمل أن يكون ضميرَ القصة وفسَّره بالخبر. و﴿لَظَىٰ﴾ علَم لجهنم، مشتقٌّ من اللظى بمعنى اللهب.

﴿١٦﴾ ﴿نَزَّاعَةٌ لِّلشَّوَىٰ﴾ الشَّوىٰ: أطراف الجسد، وقيل: جلد الرأس، فالمعنى: أن النار تنزعها ثم تعاد. و﴿نَزَّاعَةٌ﴾ بالرفع[1]: بدل من ﴿لَظَىٰ﴾، أو خبر ابتداء مضمر، أو خبرٌ لـ﴿إِنَّهَا﴾ إن جعلنا ﴿لَظَىٰ﴾: منصوبًا على التخصيص أو بدلًا من الضمير، أو خبرٌ ثان لـ﴿إِنَّهَا﴾ إن جعلنا ﴿لَظَىٰ﴾ خبرًا لها. و﴿نَزَّاعَةً﴾ بالنصب: حال.

﴿١٧﴾ ﴿تَدْعُواْ مَنَ اَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ يعني: الكفار الذين تولوا عن الإسلام، ودعاؤها لهم: عبارة عن أخذها لهم. وقال ابن عباس ﷺ: تدعوهم حقيقة بأسمائهم وأسماء آبائهم[2]. وقيل: معناه: تُهلِك، حكاه الخليل عن العرب[3].

﴿١٨﴾ ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ يقال: أوعيتُ المال وغيره: إذا جمعتَه في وعاء. فالمعنى: جمع المال وجعله في وعاء، وهذه إشارة إلى قوم من أغنياء الكفار جمعوا المال من غير حِلِّه ومنعوه من حقِّه.

﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ اَلِانسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ الإنسان هنا: اسم جنس، بدليل الاستثناء منه. وسئل أحمد بن يحيى -مؤلف «الفصيح»- عن الهَلوع؟ فقال: قد فسَّره الله فلا تفسيرَ أَبْيَن من تفسيره، وهو قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ اُلشَّرُّ جَزُوعاً ۞ وَإِذَا مَسَّهُ اُلْخَيْرُ مَنُوعاً﴾[4]. وذكر الله ذلك على وجه

---

(١) روى حفص عن عاصم بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.
(٢) ذكره الثعلبي (٢٧/ ٣٥٤)، والواحدي في الوسيط (٢٢/ ٢٢٢)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٨/ ٤٠٦).
(٣) ذكره الثعلبي (٢٧/ ٣٥٤)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٨/ ٤٠٦).
(٤) نقله في الكشاف (١٦/ ١٨).

الذمّ لهذا الخُلُق، ولذلك استثنىٰ منه المصلين؛ لأن صلاتهم تحملهم علىٰ قلة الاكتراث بالدنيا، فلا يجزَعون من شرها ولا يبخلون بخيرها.

(٢٣) ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ **الدوام عليها**: هو المواظبة بطول العمر، **والمحافظة عليها** المذكورة بعد هذا: هي أداؤها في أوقاتها وتوفية الطهارة لها.

(٢٤) ﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ قد ذكرنا في «الذاريات» معنىٰ ﴿حَقٌّ﴾، والسائل والمحروم[1]. **ووصفه هنا بالمعلوم** إن أراد الزكاة: فهي معلومة المقدار شرعًا، وإن أراد غيرها: فمعنىٰ المعلوم: أن العبد يجعل علىٰ نفسه وظيفةً معلومة عنده.

(٢٨) ﴿غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أي: لا يكون أحد آمنًا منه؛ فإن الأمن من عذاب الله حرام، فلا ينبغي للعبد أن يزول عنه الخوف حتىٰ يدخل الجنة.

(٣٢) ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ ذكر في «المؤمنين»، وكذلك ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾[2].

(٣٣) ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: يعني: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله[3]. **وقال الجمهور**: يعني: الشهادة عند الحكام، ثم اختلف علىٰ هذا في معنىٰ القيام بها؟ **فقيل**: هو التحقيق لها، كقوله ﷺ: «علىٰ مثل الشمس فاشهد[4]»[5]، **وقيل**: هو المبادرة إلىٰ أدائها من غير امتناع.

فأما إن دعي الشاهد إلىٰ الأداء: فهو واجب عليه. **وأما إذا لم يُدع إلىٰ الأداء**: **فإن الشهادة علىٰ ثلاثة أقسام**:

أحدها: حقوق الناس، فلا يجوز أداؤها حتىٰ يدعوَه صاحب الحق إلىٰ ذلك.

---

(١) انظر تفسير الآية (١٩).

(٢) انظر تفسير الآية (٥).

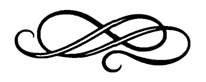
(٣) ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٤١٠) ولم أقف عليه مسندًا.

(٤) في ب، هـ: «فاشهدوا».

(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء، ط. دار الكتب العلمية (٧/ ٤٣٠)، والحاكم (٧٠٤٥) والبيهقي (٢٠٥٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الحاكم، وتعقَّبه الذهبي بقوله: «واهٍ، فيه عمرو بن مالك البصري، قال ابن عدي: كان يسرق الحديث، ومحمد بن سليمان بن مشمول ضعفه غير واحد» مختصر تلخيص الذهبي، لابن الملقن (٥/ ٢٥١٥)، وضعفه ابن حجر في البلوغ (٣٥٨).

والثاني: حقوق الله التي يستدام فيها التحريم كالطلاق والعتق والأحباس، فيجب أداء الشهادة بذلك، دُعي أو لم يدع.

الثالث: حقوق الله التي لا يستدام فيها التحريم كالحدود، فهذا ينبغي ستره حتىٰ يُدعىٰ إليه.



فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

﴿٣٦﴾ ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين مقبلين إليك بأبصارهم، كان رسول الله ﷺ إذا صلَّىٰ أقبل إليه الكفار ينظرون إليه ويستمعون قراءته. ومعنىٰ ﴿قِبَلَكَ﴾: في جهتك وما يليك.

﴿٣٧﴾ ﴿عِزِينَ﴾ أي: جماعاتٍ شتىٰ وهو جمع عِزَة -بتخفيف الزاي-، وأصله: عِزْوَة، وقيل: عِزْهَة، ثم حذفت لامها وجمعت بالواو والنون عوضًا من اللام المحذوفة.

﴿٣٨﴾ ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كانوا يقولون: إن كان ثَم جنة فنحن أهلها.

﴿٣٩﴾ ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ لهم عما طمعوا فيه من دخول الجنة.

﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ كنايةٌ عن المنيِّ الذي خلق منه الإنسان. وفي المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه:

الأول: تحقير الإنسان والردُّ علىٰ المتكبرين، كما قال بعضهم: إن الإنسان خلق من نطفة مَذِرة[1]، ويصير جيفة قذرة، وهو فيما بين ذلك يحمل العَذِرة.

الثاني: الردُّ علىٰ الكفار في طمعهم أن يدخلوا الجنة، كأنه يقول: إنا خلقناكم مما خلقنا منه سائر الناس، فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح؛ لأنكم سواء في الخلقة.

الثالث: الاحتجاج علىٰ البعث بأن الله خلقهم من ماء مهين، فهو قادر علىٰ أن يعيدهم، كقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦] إلىٰ آخر السورة.

---

(١) المذرة: القذرة. القاموس المحيط (م ذ ر).

﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ معناه: أقسم، و«لا» زائدة.

﴿ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ ذكرت في «الصافات»[1].

﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ تهديد للكفار بإهلاكهم، وإبدال قومٍ خير منهم.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: مغلوبين، والمعنىٰ: إنا لا نَعجِز عن التبديل المذكور، أو عن البعث.

﴿٤٢﴾ ﴿فَذَرْهُمْ﴾ وعيد لهم، وفيه مهادنة منسوخة بالسيف.

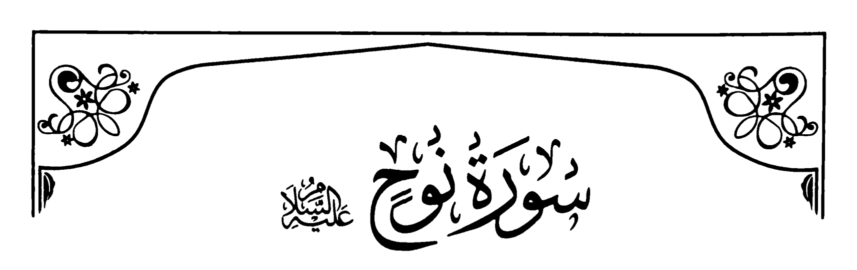
﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ يعني: يوم القيامة، بدليل أنه أبدل منه: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور.

﴿٤٣﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ النَّصْب: الأصنام، وأصله: كل ما نُصب إلىٰ الإنسان، فهو يَقصد إليه مسرعًا؛ مِن علَم أو بناء أو غير ذلك. وفيه لغات: فتح النون وإسكان الصاد، وضمهما، وضم النون وإسكان الصاد[2]. و ﴿يُوفِضُونَ﴾ معناه: يسرعون، والمعنىٰ: أنهم يسرعون الخروج من القبور إلىٰ المحشر، كما يسرعون المشي إلىٰ أصنامهم في الدنيا.



(١) انظر تفسير الآية (٥).

(٢) قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم بضم النون والصاد، وقرأ الباقون بفتح النون وإسكان الصاد. وقرئ في الشاذ بضم النون وإسكان الصاد، وهي قراءة الحسن وقتادة. المحرر الوجيز (٨/ ٤١٤).



إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحاً اِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنَ اَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَّاتِيَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ (١) قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّے لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) اَنُ اُعْبُدُواْ اُ۬للَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُوَخِّرْكُمُۥٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمّيًۖ اِنَّ أَجَلَ اَ۬للَّهِ إِذَا جَآءَ لاَ يُوَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَۖ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّے دَعَوْتُ قَوْمِے لَيْلًا وَنَهَاراً (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَاراً (٦) وَإِنِّے كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِےٓ ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَاسْتَكْبَرُواْ اُ۪سْتِكْبَاراً (٧) ثُمَّ إِنِّے دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً (٨) ثُمَّ إِنِّيَ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمُۥٓ إِسْرَاراً (٩) فَقُلْتُ اُ۪سْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمُۥٓ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ اِ۬لسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمُۥٓ أَنْهَٰراً (١٢) مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلهِ وَقَاراً (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمُۥٓ أَطْوَاراً (١٤) *اَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ اَ۬للَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقاً (١٥) وَجَعَلَ اَ۬لْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ اَ۬لشَّمْسَ سِرَاجاً (١٦) وَاللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ اَ۬لَارْضِ نَبَاتاً (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمُۥٓ إِخْرَاجاً (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ اُ۬لَارْضَ بِسَاطاً (١٩) لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجاً (٢٠)

(١) ﴿أَنَ اَنذِرْ﴾ و﴿اَنُ اُعْبُدُواْ﴾ **يحتمل أن تكون** ﴿اَنْ﴾: **مفسِّرةً، أو مصدرية على تقدير: «بأن أنذر» و«بأن اعبدوا»، والأول أظهر.**

﴿عَذَابٌ اَلِيمٌ﴾ **يحتمل أن يريد عذاب الآخرة، أو الغرق الذي أصابهم.**

(٤) ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ ﴿مِّن﴾ **هنا للتبعيض؛ أي: يغفر لكم ما فعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا؛ لأن الإسلام يَجبُّ ما قبله، ولم يضمن أن يغفر لهم ما بعد إسلامهم؛ لأن ذلك في مشيئة الله تعالى. وقيل: إن** ﴿مِّن﴾ **هنا زائدة، وذلك باطل؛ لأن «مِن» لا تزاد عند سيبويه إلا في غير الواجب، وقيل: هي لبيان الجنس، وقيل: لابتداء الغاية، وهذان قولان**

ضعيفان في المعنىٰ، والأول هو الصحيح؛ لأن التبعيض فيه متجه.

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ **ظاهر هذا:** يقتضي أنهم إن فعلوا ما أُمروا به أُخروا إلىٰ أجل مسمىٰ، وإن لم يفعلوا لم يؤخَّروا، وذلك مقتضَىٰ القول بالأجلين، وهو مذهب المعتزلة، **وعلىٰ هذا حملها الزمخشري**[1].

وأما علىٰ مذهب أهل السنة: فهي من المشكلات، **وتأولها ابن عطية فقال:** ليس للمعتزلة في الآية تعلُّقٌ؛ لأن المعنىٰ: أن نوحًا ﷺ لم يعلم هل هم ممن يؤخَّر أو ممن يعاجَل؟ ولا قال لهم: إنكم تؤخَّرون عن أجلٍ قد حان، لكن قد سبق في الأزل أنهم إمَّا ممن قُضي له بالإيمان والتأخير، أو ممن قضي له بالكفر والمعاجلة[2].

وكأنَّ نوحًا ﷺ قال لهم: آمنوا يظهر في الوجود أنكم ممن قُضي له بالإيمان والتأخير، وإن بقيتم علىٰ كفركم يظهر في الوجود أنكم ممن قُضي عليه بالكفر والمعاجلة، فكأنَّ الاحتمال الذي يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يُبرزه الغيب من حالهم؛ إذ يمكن أن يُبرز إمَّا الإيمان والتأخير، وإما الكفر والمعاجلة، وأما عند الله: فالحال الذي يكون منهم معلومٌ مقدَّر محتوم، وأجلهم كذلك معلوم مقدَّر محتوم.

﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ **هذا يقتضي أن الأجل محتوم، كما قال تعالىٰ:** ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، وفي هذا حجة لأهل السنة وتقوية للتأويل الذي ذكرنا، وفيه أيضًا ردٌّ علىٰ المعتزلة في قولهم بالأجلين، **ولما كان كذلك قال الزمخشري:** إن ظاهر هذا مناقض لما قبله من الوعد بالتأخير إن آمنوا، وتأول ذلك علىٰ مقتضىٰ مذهبه بأن الأجل الذي لا يؤخَّر هو الأجل الثاني، وذلك أن قوم نوح قضَىٰ الله أنهم إن آمنوا عمَّرهم الله مثلًا ألف عام، وإن لم يؤمنوا عمرهم تسع مئة عام، فالألف عام هي التي لا تؤخر إذا جاءت، والتسع مئة عام هي التي وعدوا بالتأخير عنها إلىٰ الألف عام إن آمنوا[3].

---

(١) الكشاف (١٦/ ٢٩).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٤١٦).

(٣) الكشاف (١٦/ ٢٩).

(٧) ﴿دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ أي: دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم، فذَكر المغفرة التي هي مسبَّبٌ عن الإيمان؛ ليظهر قبح إعراضهم عنه؛ فإنهم أعرضوا عن سعادتهم.

﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ فعلوا ذلك لئلا يسمعوا كلامه، **فيحتمل** أنهم فعلوا ذلك حقيقة، أو يكون ذلك عبارة عن إفراط إعراضهم حتىٰ كأنهم فعلوا ذلك.

﴿وَاسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ أي: جعلوها غِشاوة عليهم؛ لئلا يسمعوا كلامه، أو لئلا يراهم. **ويحتمل** أنهم فعلوا ذلك حقيقة، أو يكون عبارة عن إفراط إعراضهم.

﴿وَأَصَرُّواْ﴾ أي: داموا علىٰ كفرهم.

(٨) ﴿دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً﴾ إعراب ﴿جِهَاراً﴾: مصدر من المعنىٰ، كقولك: قعد القُرْفصاءَ[١]، أو صفة لمصدر محذوف تقديره: دُعاءً جهارًا، أو مصدر في موضع الحال؛ أي: مجاهرًا.

(٩) ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾ ذكر أولًا أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهارًا، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار، وهذه غايةُ الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة صلىٰ الله علىٰ نبينا وعليه.

قال ابن عطية: **الجِهار**: دعاؤهم في المحافل ومواضع اجتماعهم، **والإسرار**: دعاء كل واحد علىٰ حِدَتِه[٢].

(١١) ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾ ﴿مِّدْرَاراً﴾ :مِفْعَالٌ من الدَّرِّ، وهو كثرة الماء. وفي الآية دليل علىٰ أن الاستغفار يوجب نزول الأمطار، ولذلك خرج عمر بن الخطاب ﷺ إلىٰ الاستسقاء فلم يزد علىٰ أن استغفر ثم انصرف، فقيل له: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: «والله لقد استسقيت أبلغ الاستسقاء»، ثم نزل المطر[٣]، وشكا رجل إلىٰ الحسن الجدبَ، فقال له: استغفر الله[٤].

---

(١) قال أبو عُبيد في غريب الحديث (١/ ٢١٠): «وَأما القرفصاء فَهُوَ أَن يجلس الرجل كجلوس المحتبي وَيكون احتباؤه بيدَيْهِ يضعهما علىٰ سَاقيه كَمَا يحتبي بِالثَّوْبِ تكون يَدَاهُ مَكَان الثَّوْب».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٤١٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٩٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٤٥)، وابن أبي شيبة (٨٤٢٩)، وعبد الرزاق (٣/ ٨٦)، وسعيد بن منصور (٥/ ٣٥٣)، والبيهقي (٦٤٢٣).

(٤) ذكره الثعلبي (٢٧/ ٣٨٨)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٨/ ٤١٧).

﴿١٣﴾ ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن الوقار بمعنىٰ: التوقير والكرامة، **فالمعنىٰ**: ما لكم لا ترجون أن يوقِّركم الله في دار ثوابه. **قال ذلك الزمخشري**، وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ علىٰ هذا: بيان للموقِّر، ولو تأخر لكان صفة لـ﴿وَقَارًا﴾ [(١)].

الثاني: أن الوقار بمعنىٰ: التُّؤدة والتثبت، **والمعنىٰ**: ما لكم لا ترجون الله تعالىٰ متثبِّتين؛ حتىٰ تتمكنوا من النظر بوقاركم[(٢)]، وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ علىٰ هذا: مفعول دخلت عليه اللام، كقولك: «ضربت لِزيدٍ»، وإعراب ﴿وَقَارًا﴾ علىٰ هذا: مصدر في موضع الحال.

الثالث: أن الرجاء هنا بمعنىٰ الخوف، والوقار بمعنىٰ: العظمة والسلطان، **فالمعنىٰ**: ما لكم لا تخافون عظمة الله وسلطانه، و﴿لِلَّهِ﴾ علىٰ هذا صفة[(٣)] للوقار في المعنىٰ.

الرابع: أن الرجاء بمعنىٰ الخوف، والوقار بمعنىٰ الاستقرار، من قولك: وقَرَ في المكان: إذا استقرَّ فيه، **والمعنىٰ**: ما لكم لا تخافون الاستقرار في دار القرار إما في الجنة أو النار.

﴿١٤﴾ ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ أي: طورًا بعد طور، يعني: أن الإنسان كان نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، إلىٰ سائر أحواله. وقيل: الأطوار: الأنواع المختلفة، فالمعنىٰ: أن الناس علىٰ أنواع في ألوانهم وأخلاقهم وألسنتهم وغير ذلك.

﴿١٥﴾ ﴿طِبَاقًا﴾ ذكر في «**الملك**»[(٤)].

﴿١٦﴾ ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ القمر إنما هو في السماء الدنيا، وساغ أن يقول ﴿فِيهِنَّ﴾ لأن القمر لما كان في إحداهن فهو في الجميع، كقولك: فلان في الأندلس كذا: إذا كان في بعضها. والشمس في السماء الرابعة، وقيل: في الخامسة. وجَعْل القمرِ نورًا والشمس سراجًا؛ لأن ضوء السراج أقوىٰ من النور، فإن السراج هو الذي يضيء فيُبصَر به، والنور قد يكون أقل من ذلك.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٣٤).

(٢) في أ: «يتمكنوا من النظر لوقارهم».

(٣) كذا في النسخ الخطية! ولعلَّ الصواب: «صلةً للوقار»، أي: لا تخافون عظمةً لله. انظر: الكشاف (١٦/ ٣٥).

(٤) انظر تفسير الآية (٣).

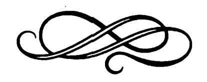
﴿١٧﴾ ﴿وَاللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ هذه عبارة عن إنشائهم من تراب الأرض. و﴿نَبَاتٗا﴾: مصدر على غير الصَّدْر[1]، أو يكون تقديره: أنبتكم فنبتُّم نباتًا، ويحتمل أن يكون منصوبًا على الحال.

﴿١٨﴾ ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا﴾ يعني: بالدفن.

﴿وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾ يعني: بالبعث من القبور.

﴿١٩﴾ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا﴾ شبه الأرض بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها. وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كُرَيَّةٍ[2]، خلافًا لما ذهب إليه أهل التعديل، وفي ذلك نظر.

﴿٢٠﴾ ﴿سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾ ذكر في «الأنبياء»[3].



(١) انظر التعليق عند تفسير الآية (٣٧) من سورة آل عمران.

(٢) في أ، ب، هـ: «كورية»، وفي المصباح المنير (ك ر ي): «والنسبة إليها [أي: إلى الكُرَة] كُرَيٌّ وَكُرَيَّةٌ على لفظها».

(٣) انظر تفسير الآية (٣١).

فَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِے وَاتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَاراً ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْراً كُبَّاراً ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وُدّاً وَلَا سُوَاعاً ﴿٢٣﴾ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴿٢٤﴾ وَقَدَ اَضَلُّواْ كَثِيراً وَلَا تَزِدِ اِلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلاً ﴿٢٥﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمُۥٓ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَاراً ﴿٢٦﴾ فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ اِ۬للَّهِ أَنصَاراً ﴿٢٧﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى اَ۬لْأَرْضِ مِنَ اَ۬لْكَٰفِرِينَ دَيَّاراً ﴿٢٨﴾ اِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ﴿٢٩﴾ رَّبِّ إِغْفِرْ لِے وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُومِناً وَلِلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ اِلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَاراً ﴿٣٠﴾

﴿٢١﴾ ﴿وَاتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَاراً﴾ يعني: اتبعوا أغنياءهم وكبراءهم. وقرئ ﴿وَلَدُهُۥٓ﴾ بفتحتين، وَ﴿وُلْدُهُۥٓ﴾ بضم الواو وسكون اللام[1]، وهما بمعنىٰ واحد.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَكَرُواْ مَكْراً كُبَّاراً﴾ الكبَّار -بالتشديد- أبلغ من الكُبَار -بالتخفيف-، والكبَار المخفف أبلغ من الكبير.

﴿٢٣﴾ ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: وصَّىٰ بعضهم بعضًا بذلك.

﴿وَلَا تَذَرُنَّ وُدّاً وَلَا سُوَاعاً﴾ هذه أسماء أصنامٍ كان قوم نوح يعبدونها. وروي أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا، فلما ماتوا صوَّرهم أهل ذلك العصر من حجارة، وقالوا: ننظر إليها لنتذكَّر أعمالهم، فهلك ذلك الجيل وكثر تعظيم مَن بعدهم لتلك الصور، حتىٰ عبدوها من دون الله، ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها -وقيل: بل الأسماء فقط- إلىٰ قبائل من العرب، فكان ودٌّ لكلْبٍ بدُومة الجندل، وكان سواع لهذيل، وكان يغوث لمراد، وكان يعوق لهمْدَان، وكان نسرٌ لذي الكَلَاع من حمير[2]. وقرئ ﴿وُدّاً﴾ بفتح الواو وضمها[3]، وهما لغتان.

﴿٢٥﴾ ﴿وَقَدَ اَضَلُّواْ كَثِيراً﴾ الضمير للرؤساء من قوم نوح، والمعنىٰ: أضلوا كثيرًا من أتباعهم. وهذا من كلام نوح ﷺ، وكذلك ﴿وَلَا تَزِدِ اِلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلاً﴾ من كلامه، وهو دعاء

(١) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح الواو واللام، وقرأ الباقون بضم الواو وإسكان اللام.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٢٠) عن ابن عباس ﷺ.

(٣) قرأ نافع بضم الواو، وقرأ الباقون بفتحها.

عليهم. وقال الزمخشري: إنه معطوف على قوله: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ والتقدير: قال: رب إنهم عصوني، وقال: ﴿لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾[١].

﴿٢٦﴾ ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ هذا من كلام الله، إخبارٌ عن أمرهم. و«ما» زائدة للتأكيد، وإنما قدم هذا المجرور للتأكيد أيضًا؛ ليبين أن إغراقهم وإدخالهم النارَ إنما كان بسبب خطيئاتهم، وهي الكفر وسائر المعاصي.

﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ يعني: جهنم، وعبَّر عن ذلك بالفعل الماضي؛ لأن الأمر محقَّق. وقيل: أراد عرضهم على النار، وعبر عنه بالإدخال.

﴿٢٨﴾ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿دَيَّارًا﴾: من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما في الدار دَيَّارٌ؛ أي: ما بها أحد، ووزنه: فَيْعَال، وكان أصله: دَيْوَار، ثم قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وليس وزنه فَعَّال؛ لأنه لو كان كذلك لقيل: دوَّار؛ لأنه مشتق من الدَّوْر أو من الدار.

وروي أن نوحًا ﷺ لم يدع على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن يئس من إيمانهم، وبعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم[٢].

﴿٣٠﴾ ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ يؤخذ من هذا: أن سنة الدعاء أن يقدم الإنسان الدعاء لنفسه على الدعاء لغيره، وكان والدا نوح ﷺ مؤمنين. قال ابن عباس ﵄: لم يكن لنوح أب كافر ما بينه وبين آدم ﷺ، واسم والد نوح: لَـمَكُ بن مُتَوَشْلِخ وأمه شَمخا بنت أَنوش، حكاه الزمخشري[٣].

﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ قيل: بيته: المسجد، وقيل: السفينة، وقيل: شريعته، سماها بيتًا استعارة، وهذا بعيد، وقيل: داره، وهذا أرجح؛ لأنه الحقيقة.

(١) الكشاف (١٦/ ٤٠-٤١)، وحكاه قبله الثعلبي (٢٧/ ٤٠٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٠٨)، عن قتادة، وذكره الثعلبي (٢٧/ ٤٠٧) عن محمد بن كعب ومقاتل والربيع وابن زيد.

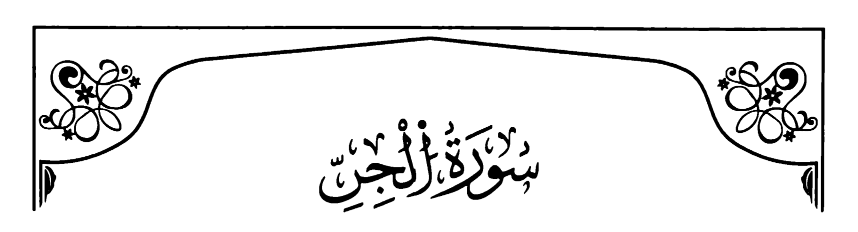
(٣) الكشاف (١٦/ ٤٤).

﴿وَلِلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِۖ﴾ هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم، وفيه دليل على جواز ذلك، خلافًا لمن قال من المتأخرين إنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم، وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة.

قال بعض العلماء: إن الإله الذي استجاب لنوح عليه السلام، فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار، حقيقٌ أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات.

﴿تَبَاراًۖ﴾ أي: هلاكًا.





قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَاناً عَجَباً ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَداً ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَداً ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطاً ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَداً ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَاباً رَّصَداً ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَداً ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَباً ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَداً ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَباً ﴿١٥﴾ وَأَن لَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقاً ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ نَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَداً ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً ﴿١٩﴾

﴿١﴾ **﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ تقدمت في «الأحقاف» قصة هؤلاء الجن الذين استمعوا القرآن من النبي ﷺ وأسلموا[1].**

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَاناً عَجَباً﴾ أي: قال بعضهم لبعض. و﴿عَجَباً﴾ مصدر وصف به للمبالغة؛ لأن العجَب مصدر قولك: عجبتُ عجَبًا، وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: ذا عجب.

(١) انظر تفسير الآية (٢٨).

﴿٣﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ **جَدُّ الله**: جلاله وعظمته، **وقيل**: غناه، من قولك: فلان مجدودٌ: إذا استغنىٰ. **وقرئ** ﴿إِنَّهُۥ﴾ في هذا الموضع بفتح الهمزة وكسرها، وكذلك فيما بعده إلىٰ قوله: ﴿وَإِنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾[1].

فأما الكسر: فاستئنافٌ، أو عطف علىٰ ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ ؛ لأنه كُسر في معمول القول، فيكون ما عطف عليه من قول الجن.

وأما الفتح: **فقيل**: إنه عطفٌ علىٰ قوله: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾، **وهذا خطأ من طريق المعنىٰ**؛ لأن قوله: ﴿ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾ في موضع معمول ﴿أُوحِيَ﴾، فيلزم أن يكون المعطوف عليه مما أوحي وأن لا يكون من كلام الجن! وهو من كلام الجن، **وقيل**: إنه معطوف علىٰ الضمير المجرور في قوله: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ **وهذا ضعيف**؛ لأن الضمير المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض، **وقال الزمخشري**: هو معطوف علىٰ محل الجار والمجرور في ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ ، كأنه قال: صدقناه وصدقنا أنه تعالىٰ جدُّ ربنا، وكذلك ما بعده[2].

ولا خلاف في فتح ثلاثة مواضع هي: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ ، و﴿أَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ ، و﴿أَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾؛ لأن ذلك مما أوحي، لا من كلام الجن.

﴿٤﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ هذا من كلام الجن، **وسفيهُهم**: أبوهم إبليس، **وقيل**: هو اسم جنس لكل سفيه منهم، **واختار ذلك ابن عطية**[3].

والشَّطط: التعدي ومجاوزة الحد.

﴿٥﴾ ﴿وَإِنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: ظننا أن الأقوال التي كان الجن والإنس يقولونها علىٰ الله صادقة وليست بكذب؛ لأنا ظننا أنه لا يكذب أحد علىٰ الله.

﴿٦﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ **تفسير هذا**: ما روي أن العرب كانوا إذا حلَّ أحدهم بوادٍ صاح بأعلىٰ صوته: «يا عزيزَ هذا الوادي إني أعوذ بك من

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بفتح الهمزة من الاثنتي عشرة آية، وقرأ الباقون بالكسر فيهن.

(٢) الكشاف (١٦/ ٤٨).

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٤٢٨).

السفهاء الذين في طاعتك»[1]، ويعتقد أن ذلك الجنيَّ الذي بالوادي يحميه.

﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾ ضمير الفاعل: للجن، وضمير المفعول: للإنس، **والمعنىٰ**: أن الجن زادوا الإنس ضلالًا وإثمًا لما عاذوا بهم، أو زادوهم تخويفًا لما رأوا ضعف عقولهم. **وقيل**: ضمير الفاعل: للإنس، وضمير المفعول: للجن، **والمعنىٰ**: إن الإنس زادوا الجن تكبُّرًا وطغيانًا لما عاذوا بهم، حتىٰ كان الجني يقول: أنا سيد الجن والإنس.

﴿٧﴾ ﴿وَإِنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَداً﴾ الضمير في ﴿ظَنُّواْ﴾ لكفار الإنس، و ﴿ظَنَنتُمْ﴾ خطاب الجن بعضهم لبعض، **فالمعنىٰ**: أن كفار الإنس والجن ظنوا أن لن يبعث الله أحدًا. **والبعث هنا يحتمل أن يريد به**: بعث الرسل، أو البعث من القبور.

﴿٨﴾ ﴿وَإِنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً﴾ هذا إخبار عما حدث عند مبعث النبي ﷺ مِن منع الجن من استراق السمع في السماء ورجمهم بالنجوم.

واللمس: المس، واستعير هنا للطلب. **والحرس**: اسمٌ مفرد في معنىٰ الحُرَّاس، كالخَدَم في معنىٰ الخُدَّام، ولذلك وُصِفَ بشديدٍ وهو مفرد. **ويحتمل أن يريد به**: الملائكة الحُرَّاس، أو النجوم الحارسة، وكرر الشهب؛ لاختلاف اللفظ.

﴿٩﴾ ﴿وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ **المقاعد**: جمع مقعد، وقد فسر رسول الله ﷺ صورة قعود الجن أنهم كانوا واحدًا فوق واحد، فمتىٰ أُحرق الأعلىٰ طَلع الذي تحته مكانه، فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلىٰ الكهان ويزيدون معها، ثم يزيد الكهان للكلمة مئة كَذْبةٍ[2].

﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْأَنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَاباً رَّصَداً﴾ الرَّصَد اسم جمع للراصد[3]، كالحرَس للحارس، **وقال ابن عطية**: هو مصدر وُصف به[4]، ومعناه: مُنتظَر.

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٢٢) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري (٤٨٠٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) في أ، ب، هـ: «للواحد».
(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣١).

قال بعضهم: إن رمي الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعث النبي ﷺ، **واختار ابن عطية والزمخشري**: أنه كان قبل المبعث قليلًا، ثم زاد بعد المبعث وكثر حتىٰ منع الجن من استراق السمع بالكلية[1].

والدليل أنه كان قبل المبعث: قول رسول الله ﷺ لأصحابه وقد رأىٰ كوكبًا انقضَّ: «**ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية؟**» قالوا: كنا نقول وُلد ملِك أو مات ملك، فقال رسول الله ﷺ: «**ليس الأمر كذلك**»، ثم وصف استراق الجن للسمع[2]، وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك في أشعارهم.

﴿١٠﴾ ﴿وَإِنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآيَةَ، **قال ابن عطية**: معناه لا ندري أيؤمِن الناس بهذا النبي فيَرشدوا، أو يكفرون به فينزلَ بهم الشر؟[3] **وقال الزمخشري**: معناه: لا ندري هل أراد الله بأهل الأرض خيرًا أو شرًا من عذاب أو رحمة، أو من خذلان أو توفيق؟

﴿١١﴾ ﴿وَإِنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: منا قوم دون ذلك، فحذف الموصوف، وأراد به: الذين ليس صلاحهم كاملًا، أو الذين ليس لهم صلاح، فإن «دون» قد تكون بمعنىٰ «**أقل**»، أو بمعنىٰ «**غير**».

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ **الطَّرائق**: المذاهب والسِّيَر وشبهها، **والقِدَد**: المختلفة، وهو جمع قِدَّة. وهذا بيان للقسمة المذكورة قبلُ، وهو علىٰ حذف مضاف؛ أي: كنا ذوي طرائق، أو كنا في طرائق.

﴿١٢﴾ ﴿وَإِنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ **الظن هنا**: بمعنىٰ العلم. **قال ابن عطية**: هذا إخبار منهم عن حالهم بعد إيمانهم[4]، **ويحتمل** أن يكونوا اعتقدوا هذا الاعتقاد قبل إسلامهم.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣٠)، والكشاف (١٦/ ٥٤).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٢٩) عن ابن عباس ﷺ.
(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣١).
(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣٢).

(١٣) ﴿وَإِنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰ﴾ **يعنون: القرآن.**

﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ **البخس**: النقص والظلم، **والرَّهَق**: تحميل ما لا يطاق. **وقال ابن عباس** ﷺ: البخس: نقص الحسنات، والرهق: الزيادة في السيئات[1].

(١٤) ﴿وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ **يعني**: الظالمين، يقال قسَط الرجل: إذا جار، وأقسط -بالألف-: إذا عدل. **وهاهنا انتهىٰ ما حكاه الله من كلام الجن.**

وأما قوله: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾ **فيحتمل أن يكون من بقية كلامهم**، أو يكون ابتداء كلام الله تعالىٰ، وهو الذي **اختاره ابن عطية**[2].

وأما قوله: ﴿وَأَن لَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ فهو من كلام الله باتفاق، وليس من كلامهم.

﴿تَحَرَّوْاْ﴾ أي: قصدوا الرَّشَد.

(١٦) ﴿وَأَن لَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ **الماء الغَدَقُ**: هو الكثير، وذلك استعارة في توسيع الرزق. **والطريقة**: هي طريقة الإسلام وطاعة الله، **فالمعنىٰ**: لو استقاموا علىٰ ذلك لوسَّع الله أرزاقهم، فهو كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٥].

وقيل: هي طريقة الكفر، **والمعنىٰ علىٰ هذا**: لو استقاموا علىٰ الكفر لوسع الله عليهم في الدنيا؛ إملاءً لهم واستدراجًا، ويؤيد هذا قوله: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾، **والأول أظهر.**

والضمير في ﴿ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ **يحتمل أن يكون**: للمسلمين، أو للقاسطين المذكورين، أو لجميع الجن، أو للجن الذين استمعوا النبي[3] ﷺ، أو لجميع الخلق.

(١٧) ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ **إن كانت الطريقة الإيمانَ والطاعة**: فمعنىٰ الفتنة: الاختبار هل يشكرون أم لا؟ **وإن كانت الطريقة الكفرَ**: فمعنىٰ الفتنة: الإضلال والاستدراج.

﴿نَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ معنىٰ ﴿نَسْلُكْهُ﴾: ندخله. **والصَّعَد**: الشديد المشقة، وهو مصدر

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٣٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٨).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣٣).

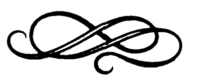
(٣) في د، هـ: «للنبي».

صَعِد يَصعَد، ووصف بالمصدر للمبالغة، يقال: فلان في صعَدٍ؛ أي: في مشقة، وقيل: صعَدٌ: جبل في النار[١].

﴿١٨﴾ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ أراد المساجد على الإطلاق وهي بيوت عبادة الله، وروي: أن الآية نزلت بسبب تغلُّب قريش على الكعبة[٢]، وقيل: أراد الأعضاء التي يُسجَد عليها، واحدها مَسجَد -بفتح الجيم-، وهذا بعيد. وعطف ﴿أَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ على ﴿أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾. وقال الخليل: معنى الآية: لأنَّ المساجد لله لا تدعوا مع الله أحدًا؛ أي: لهذا السبب فلا تعبدوا غير الله، فالعامل في ﴿أَنَّ﴾: ﴿لَا تَدْعُوا۟﴾.

﴿١٩﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ ﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ هنا: محمد ﷺ، ووصفه بالعبودية؛ اختصاصًا له وتقريبًا[٣] وتشريفًا. وقال الزمخشري: إنما سماه هنا ﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ ، ولم يقل الرسول أو النبي؛ لأن هذا واقع في كلام رسول الله ﷺ عن نفسه؛ لأنه مما أوحي إليه، فذَكر النبيُّ ﷺ نفسَه على ما يقتضيه التواضع والتذلُّل[٤]. وهذا الذي قاله بعيد، مع أنه إنما يتمكن على قراءة ﴿أَنَّهُ لَمَّا قَامَ﴾ بفتح الهمزة، فيكون عطفًا على ﴿أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ ، وأما على القراءة بالكسر على الاستئناف: فيكون إخبارًا من الله، أو من جملة كلام الجن، فيَبطل ما قاله.

﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ اللِّبَد: الجماعات، واحدها لِبْدَة. والضمير في ﴿كَادُوا۟﴾ يحتمل أن يكون للكفار من الناس، أي: كادوا يجتمعون على الردِّ عليه وإبطال أمره، أو يكون للجن الذين استمعوا، أي: كادوا يجتمعون عليه لاستماع القرآن، والتبرُّك به.



(١) في هـ: «جهنم».
(٢) ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٤٣٤).
(٣) في هامش د: «خ: وتكريمًا».
(٤) الكشاف (١٦/ ٦٤).

قَالَ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّے وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَداٗ ﴿٢٠﴾ قُلِ اِنِّے لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاٗ وَلَا رَشَداٗ ﴿٢١﴾ قُلِ اِنِّے لَن يُّجِيرَنِے مِنَ اَ۬للَّهِ أَحَدٞ وَلَنَ اَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَداً ﴿٢٢﴾ اِلَّا بَلَٰغاٗ مِّنَ اَ۬للَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَنْ يَّعْصِ اِ۬للَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنَ اَضْعَفُ نَاصِراٗ وَأَقَلُّ عَدَداٗ ﴿٢٤﴾ قُلِ اِنَ اَدْرِےٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيَ أَمَداً ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ اُ۬لْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَداً ﴿٢٦﴾ اِلَّا مَنِ اِرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَداٗ ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدَ اَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَےْءٍ عَدَداًۢ ﴿٢٨﴾

﴿٢٢﴾ ﴿مُلْتَحَداً﴾ أي: ملجأ.

﴿٢٣﴾ ﴿اِلَّا بَلَٰغاٗ﴾ بدل من ﴿مُلْتَحَداً﴾؛ أي: لا أجد ملجئًا[1] إلا بلاغ الرسالة[2]، أو بدل من ﴿ضَرّاٗ وَلَا رَشَداٗ﴾: أي: لا أملك شيئًا إلا بلاغ الرسالة، ويحتمل أن يكون استثناء منقطعًا[3].

﴿مِّنَ اَ۬للَّهِ﴾ **قال الزمخشري**: هذا الجار والمجرور ليس بصلةٍ لبلاغ، إنما هو بمعنىٰ: بلاغًا كائنًا من الله[4]. **ويحتمل عندي**: أن يكون متعلقًا بـ﴿بَلَٰغاٗ﴾، والمعنىٰ: بلاغ عن الله.

﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ **قال الزمخشري**: إنه معطوف علىٰ ﴿بَلَٰغاٗ﴾، كأنه قال: إلا التبليغ والرسالة[5]. ويحتمل أن يكون ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ معطوفًا علىٰ اسم الله[6].

---

(١) في ب، هـ: «منجىٰ».

(٢) فيكون استثناء متصلا، أي: لن يجيرني من الله أحد إلا بلاغًا، فإني إن بلَّغت رحمني بذلك وعصمني، والإجارة مستعارة للبلاغ؛ إذ هو سبب إجارة الله تعالىٰ ورحمته. انظر: المحرر الوجيز (٨/ ٤٣٧)، والدر المصون (١٠/ ٥٠١).

(٣) قال في الدر المصون (١٠/ ٥٠١): «أي: لكن إن بلغت عن الله رحمني؛ لأن البلاغ من الله لا يكون داخلا تحت قوله: ﴿ولن أجد من دونه ملتحدا﴾؛ لأنه لا يكون من دون الله، بل يكون من الله وبإعانته وتوفيقه».

(٤) الكشاف (١٦/ ٧٠).

(٥) الكشاف (١٦/ ٧٠).

(٦) قال في البحر المحيط (٢١/ ٢٩): «أي: إلا أن أبلِّغ عن الله وعن رسالاته».

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ جمع ﴿خَالِدِينَ﴾ على معنى ﴿مَنْ يَعْصِ﴾؛ لأنه في معنى الجمع. والآية في الكفار، وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين؛ لأن مذهبهم خلودُهم في النار. والدليل على أنها في الكفار وجهان:

أحدهما: أنها مكية، والسور المكية إنما الكلام فيها مع الكفار.

والآخر: دلالة ما قبلها وما بعدها على أن المراد بها الكفار.

﴿٢٤﴾ ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ تعلَّقت ﴿حَتَّى﴾ بقوله: ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ وجُعلت غاية لذلك، والمعنى: أنهم يَكْفرون ويتظاهرون عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون، قال ذلك الزمخشري، وقال أيضًا: يجوز أن يتعلق بمحذوفٍ يدل عليه المعنى، كأنه قيل: لا يزالون على ما هم عليه من الكفر حتى إذا رأوا ما يوعدون[1]، وهذا أظهر.

﴿٢٥﴾ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿إِنْ﴾ هنا نافية، والمعنى: قل: لا أدري أقريب ما توعدون أم بعيد، وعبَّر عن بُعده بقوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾. ويعني بـ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾: قتْلَهم ببدر، أو يوم القيامة.

﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿وَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ أي: لا يُطلع على علم الغيب أحدًا إلا من ارتضى، وهم الرسل؛ فإنه يطلعهم على ما شاء من ذلك. و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ لبيان الجنس، لا للتبعيض. والرسول هنا يَحتمل أن يراد به: الرسل من الملائكة، وعلى هذا حملها ابن عطية[2]، أو الرسل من بني آدم، وعلى هذا حملها الزمخشري[3]، واستَدل بها على نفي كرامات الأولياء الذين يدَّعون المكاشَفة بالغيوب؛ فإن الله خصَّ الاطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم. وفيها أيضًا دليل على إبطال الكِهانة والتنجيم وسائر الوجوه التي يدعِي أهلُها الاطلاع على الغيب؛ لأنهم ليسوا من الرسل.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٧١).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣٨).

(٣) الكشاف (١٦/ ٧٣).

﴿وَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَداً﴾ **المعنىٰ: أن الله يسلك من بين يدي الرسول** ومن خلفه ملائكة يكونون رصَدًا يحفظونه من الشياطين[1]. وقد ذكرنا ﴿رَصَداً﴾ في هذه السورة. **قال بعضهم**: ما بعث الله رسولًا إلا ومعه ملائكة يحرسونه حتىٰ يبلِّغ رسالة[2] ربه.

﴿٢٨﴾ ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدَ اَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ **في الفاعل بـ﴿يَعْلَمَ﴾ ثلاثة أقوال:**

الأولىٰ: أي: ليعلم اللهُ أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم، أي: يعلمه موجودًا، وقد كان علم ذلك قبل كونه.

الثاني: ليعلم محمدٌ أن الملائكة الرَّصَد قد أبلغوا رسالات ربهم.

الثالث: ليعلم من كفر أن الرسل قد أبلغوا الرسالة، **والأول أظهر**.

وجَمَعَ الضمير في ﴿اَبْلَغُواْ﴾ وفي ﴿رَبِّهِمْ﴾ حملًا علىٰ المعنىٰ؛ لأن ﴿مَنِ اِرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ يراد به جماعة.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: أحاط الله بما عند الرسل من العلوم والشرائع. وهذه الجملة معطوفة علىٰ قوله: ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ ؛ لأن معناه أنه قد علم، **قال ذلك ابن عطية**[3]، **ويحتمل** أن تكون هذه الجملة في موضع الحال.

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَےْءٍ عَدَداً﴾ هذا عمومٌ في جميع الأشياء. و﴿عَدَداً﴾ منصوب علىٰ الحال، أو تمييز، أو مصدر من معنىٰ ﴿أَحْصَىٰ﴾.



(١) في أ، ب، ج: «الشيطان».

(٢) في ج: «رسالات».

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣٨).



يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوُ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٢﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٣﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٦﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٧﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٨﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿٩﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١٠﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١١﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٢﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٤﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٦﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٧﴾

﴿١﴾-﴿٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ نداء للنبي ﷺ، ووزن ﴿ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ مُتَفَعِّل فأصله: مُتَزَمِّل، ثم سكنت التاء وأدغمت في الزاي. **وفي تسمية النبي ﷺ بالمزمل ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه كان في وقت نزول الآية متزمِّلًا في كساء أو لحاف، والتزمُّل: الالتفاف في الثياب بضم وتشمير، هذا قول عائشة رضي الله عنها[1] والجمهور.

الثاني: أنه كان قد تزمل في ثيابه للصلاة.

الثالث: أن معناه المتزمل للنبوَّة، أي: المشمِّر، المُجِدُّ في أمرها.

والأول هو الصحيح؛ لما ورد في البخاري ومسلم: أن رسول الله ﷺ لما جاءه الملك

---

(١) لم أقف عليه، وذكر الثعلبي (٢٧/ ٤٦٩) والزمخشري في الكشاف (١٦/ ٨٠) أن قول عائشة رضي الله عنها: أن المزمِّل هو المتزمِّل في ثيابه للصلاة، وهو القول الثاني الذي ذكره المصنف هنا، وانظر: الدر المنثور (١٥/ ٣٦-٣٧).

وهو في غار حراء في ابتداء الوحي رجع ﷺ إلىٰ خديجة ترعد فرائصه، فقال: «زملوني زملوني»، فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[1]، وعلىٰ هذا نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ ، فالتزمُّل[2] علىٰ هذا: تزمله من أجل الرعب الذي أصابه أولَ ما جاء جبريل عليه السلام. وقال الزمخشري: كان نائمًا في قطيفة فنودي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾؛ ليُهَجِّنَ[3] إليه الحالةَ التي كان عليها من التزمُّل في القطيفة؛ لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل[4]. وهذا القول بعيد غير سديد. وقال السهيلي: في ندائه بالمزمل فائدتان:

إحداهما: الملاطفة، فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطَب نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقول النبي ﷺ لعلي: «قم أبا تراب»[5].

والفائدة الأخرىٰ: التنبيه لكل متزمل راقد بالليل؛ ليتنبَّه إلىٰ ذكر الله؛ لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكل من اتصف بتلك الصفة[6].

﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ هذا الأمر بقيام الليل اختلف هل هو واجب أو مندوب؟ فعلىٰ القول بالندب: هو ثابت غير منسوخ، وأما علىٰ القول بالوجوب: ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه فرض علىٰ النبي ﷺ وحده، ولم يزل فرضًا عليه حتىٰ توفي.

الثاني: أنه فرض عليه وعلىٰ أمته، فقاموا حتىٰ انتفخت أقدامهم، ثم نُسخ بقوله في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ الآيةَ، وصار تطوعًا، هذا قول عائشة رضي الله عنها[7] وهو الصحيح. واختلف كم بقي فرضًا؟ فقالت عائشة رضي الله عنها: عامًا[8]، وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: عشرة أعوام، فالآية الناسخة علىٰ هذا مدنية.

---

(١) أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦١) عن جابر رضي الله عنه.
(٢) في ب، هـ: «فالمتزمل».
(٣) أي: يقبِّح، والتهجين: التقبيح. القاموس المحيط (هـ ج ن).
(٤) الكشاف (١٦/ ٧٧).
(٥) أخرجه البخاري (٤٤١)، ومسلم (٢٤٠٩) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.
(٦) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٣٥٥-٣٥٦).
(٧) أخرجه مسلم (٧٤٦).
(٨) في الأثر السابق.

الثالث: أنه فرض عليه ﷺ وعلىٰ أمته، وهو ثابت غير منسوخ، ولكن ليس الليل كله، إلا ما تيسر منه، وهو مذهب الحسن وابن سيرين[1].

﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ في معنىٰ هذا الكلام أربعة أقوال:

الأول -وهو الأشهر والأظهر-: أن الاستثناء من الليل، وقوله: ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدل من ﴿ٱلَّيْلَ﴾، أو من: «قليل»، وجعل النصف قليلًا بالنسبة إلىٰ الجميع، والضميران في: ﴿ٱنقُصْ مِنْهُ﴾ ، و ﴿زِدْ عَلَيْهِ﴾ عائدان علىٰ النصف. والمعنىٰ: أن الله خيَّره بين ثلاثة أحوال، وهي: أن يقوم نصف الليل، أو يَنقص من النصف قليلًا، أو يزيد[2] عليه.

القول الثاني: قال الزمخشري: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء من النصف، كأنه قال: «نصف الليل إلا قليلًا»[3]. فخيَّره علىٰ هذا بين حالتين، وهما: أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ قد تضمن معنىٰ النقص من النصف؛ فلا فائدة زائدة في استثناء القليل من النصف.

القول الثالث: قال الزمخشري أيضًا: يجوز أن يريد بقوله: ﴿ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ نصف النصف، وهو الربع، ويكون الضمير في قوله: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ يعود علىٰ ذلك؛ أي: زد علىٰ الربع فيكون ثلثًا[4]. فالتخيير علىٰ هذا: بين قيام النصف أو الثلث أو الربع، وهذا أيضًا بعيد.

القول الرابع: قال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنىٰ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ الليالي التي يمنعه العذر من القيام فيها، والمراد بـ﴿ٱلَّيْلَ﴾ علىٰ هذا: الليالي، فهو جنس[5]، وهذا بعيد؛ لأنه قد فسر هذا القليل المستثنىٰ بما بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه، فدلَّ ذلك علىٰ أن المراد بالقليل المستثنىٰ بعضُ أجزاء الليل، لا بعض الليالي.

---

(١) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٧١).

(٢) في أ، ج، هـ: «يزاد».

(٣) الكشاف (١٦/ ٨٣).

(٤) الكشاف (١٦/ ٨٧).

(٥) المحرر الوجيز (٨/ ٤٤١).

فإن قيل: لم قيَّد النقص من النصف بالقلة فقال: ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ وأطلق في الزيادة فقال: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ ولم يقل «قليلًا»؟

فالجواب: أن الزيادة تحسُن فيها الكثرة؛ فلذلك لم يقيِّدها بالقلة، بخلاف النقص، فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثيرٌ.

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ **التَّرتيل**: هو التمهُّل والمدُّ وإشباع الحركات وبيان الحروف، وذلك مُعينٌ علىٰ التفكُّر في معاني القرآن، بخلاف الهذِّ الذي لا يَفقه صاحبُه ما يقول، وكان رسول الله ﷺ يُقَطِّع قراءته حرفًا حرفًا، ولا يمرُّ بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمرُّ بآية عذاب، إلا وقف وتعوَّذ[1].

﴿٥﴾ ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ هذه الآية اعتراض بين آيات قيام الليل. **والقول الثَّقيل**: هو القرآن، واختلف في وصفه بالثِّقَل علىٰ خمسة أقوال:

أحدها: أنه سمي ثقيلًا؛ لِمَا كان النبي ﷺ يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه، حتىٰ إن جبينه ليتفصَّد[2] عرَقًا في اليوم الشديد البرد[3]، وقد كان يثقل جسمه ﷺ بذلك حتىٰ إنه إذا أُوحي إليه وهو علىٰ ناقته برَكت به، وأوحي إليه وفَخِذه علىٰ فخذ زيد بن ثابت ﷺ فكادت أن تُرَضَّ فَخِذُ زيد[4]، والثقل علىٰ هذا: حقيقة.

الثاني: أنه ثقيل علىٰ الكفار بإعجازه ووعيده.

الثالث: أن ثقيل في الميزان.

الرابع: أنه كلام له وزنٌ ورجحان.

الخامس: أنه ثقيل لما تضمَّن من التكاليف والأوامر والنواهي، وهذا اختيار ابن عطية[5]، وعلىٰ هذا يناسب الاعتراضُ بهذه الآية قيامَ الليل؛ لمشقته.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧٢) عن حذيفة ﷺ.

(٢) في ب، ج، هـ: «يتفصد».

(٣) أخرجه البخاري (٢) عن عائشة ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٣٢).

(٥) المحرر الوجيز (٨/ ٤٤٢).

(٥) ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ **في الناشئة سبعة أقوال:**

الأول: أنه النفس الناشئة بالليل؛ أي: التي تنشأ[١] من مَضجعها وتقوم للصلاة.

الثاني: الجماعة الناشئة الذين يقومون للصلاة.

الثالث: العبادة الناشئة بالليل؛ أي: تحدث فيه.

الرابع: الناشئة: القيام بعد النوم، فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئةً[٢].

الخامس: الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء.

السادس: الناشئة بين المغرب والعشاء.

السابع: ناشئة الليل: ساعاته كلها.

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾ **يَحتمل معنيين:**

أحدهما: أثقل وأصعب على المصلي، ومنه قول النبي ﷺ: «**اللهم أشدد وطأتك على مضر**»[٣]، والأثقل أعظم أجرًا، **فالمعنى:** تحريضٌ على قيام الليل؛ لكثرة الأجر.

الثاني: أشدُّ ثبوتًا؛ من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس، ويقرب هذا من معنى ﴿أَقْوَمُ قِيلًا﴾. وقرئ ﴿وِطَاءً﴾ بكسر الواو على وزن فِعَال[٤]، ومعناه: موافقةً؛ أي: يوافق القلبُ اللسانَ بحضور[٥] الذهن.

(٦) ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ **السَّبْح هنا:** عبارة عن التصرُّف في الأشغال، **والمعنى:** يكفيك النهار للتصرف في أشغالك، وتفرَّغْ بالليل لعبادة ربك. **وقيل: المعنى:** إن فاتك شيء من صلاة الليل فاخلُفْه بالنهار؛ فإنه طويل يسع فيه ذلك.

(٧) ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ **قيل:** معناه قل: «بسم الله الرحمن الرحيم» في أول صلاتك،

---

(١) في أ، هـ: «تنشوا»!

(٢) في ب: «ناشئة الليل»، وفي د: «ناشئًا».

(٣) أخرجه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) قرأ كذلك أبو عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون ﴿وَطْأً﴾.

(٥) في د: «لحضور».

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: انقطع إليه بالعبادة والتوكُّل عليه وحده، **وقيل: التبتُّل**: رفض الدنيا. و﴿تَبْتِيلًا﴾ مصدرٌ علىٰ غير الصَّدْر[1].

(٨) ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ **الوكيل**: هو القائم بالأمور، والذي تُوكَلُ إليه الأشياء، فهو أمرٌ بالتوكل علىٰ الله.

(٩) ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: علىٰ ما يقول الكفار، والآية منسوخة بالسيف، **وقيل**: إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله تعالىٰ: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا﴾، وأما الصبر فمأمور به في كل وقت.

(١٠) ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا تهديد لهم، وانتصب ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾ علىٰ أنه مفعول معه، أو معطوف.

﴿أُوْلِي النَّعْمَةِ﴾ أي: التنعُّم في الدنيا. وروي أن الآية نزلت في بني المغيرة[2]، وهم قوم من قريش كانوا متنعمين في الدنيا.

(١١) ﴿أَنكَالًا﴾ جمع نِكْلٍ، وهو القيد من الحديد، ويروىٰ أنها قيود سود من نار[3].

(١٢) ﴿وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ﴾ يعني: شجرة الزَّقوم، ومعنىٰ ﴿ذَا غُصَّةٍ﴾: يَغَصُّ به؛ أي: يَختنق، **وقيل**: هو شوك من نار يعترض في حلوقهم[4] لا ينزل ولا يخرج، وروي أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية فصُعق[5].

---

(١) انظر التعليق عند تفسير الآية (٣٧) من سورة آل عمران.

(٢) ذكره مقاتل بن سليمان كما في تفسيره (٤/ ٤٧٦)، وعزاه إليه الواحدي في البسيط (٢٢/ ٣٧٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٨٤) عن حماد.

(٤) في د: «حلقومهم».

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (٨٧)، ومحمد بن نصر (مختصر قيام الليل للمقريزي ١٤٥)، والطبري (٢٣/ ٣٨٥)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣/ ٣٦٧) عن حمران بن أعين عن النبي ﷺ مرسلًا، قال ابن رجب: «إسناده ضعيف مرسل، وحمران ضعيف» (مجموع رسائل ابن رجب ٤/ ١١٣)، وضعفه ابن حجر في نتائج الأفكار (٣/ ١٩٩).

﴿١٣﴾ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ﴾ أي: تهتزُّ وتزلزل. والعامل في ﴿يَوْمَ﴾ : معنىٰ الكلام المتقدم، وهو ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾.

﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ **الكثيب**: كُدْسُ الرمل، **والمهيل**: اللين الرِّخو الذي تَهِيلُه[١] الريح أي: تنشره[٢]، وزنه مفعول. **والمعنىٰ**: أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكثيب.

﴿١٤﴾ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ خطاب لجميع الناس؛ لأن رسول الله ﷺ بعث إلىٰ الناس كافة. **وقال الزمخشري**: هو خطاب لأهل مكة[٣].

﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي: يشهد علىٰ أعمالكم من الكفر والإيمان، والطاعة والمعصية. وإنما يشهد علىٰ من أدركه؛ لقوله ﷺ: «**أقول كما قال أخي عيسىٰ**: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾» [المائدة: ١١٧] [٤].

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ **يعني**: موسىٰ ﷺ، وهو المراد بقوله: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ فاللام للعهد.

﴿١٥﴾ ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي: غليظًا شديدًا.

﴿١٦﴾ ﴿يَوْمًا﴾ مفعول به، وناصبه: ﴿تَتَّقُونَ﴾ أي: كيف تتقون يوم القيامة وأهوالَه إن كفرتم، **وقيل**: هو مفعول به[٥]، علىٰ أن يكون ﴿كَفَرْتُمْ﴾ بمعنىٰ: جحدتم، **وقيل**: هو ظرف؛ أي: كيف لكم بالتقوىٰ يوم القيامة. **ويحتمل** أن يكون العامل فيه محذوف تقديره: اذكر، أو قوله: ﴿السَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾.

﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ﴿الْوِلْدَانَ﴾ جمع وليد، وهو الطفل الصغير. **والشِّيب** -بكسر الشين-: جمع أَشيب، ووزنه فُعْل بضم الفاء، وكسرت لأجل الياء. و﴿يَجْعَلُ﴾ **يحتمل أن يكون**

(١) في أ، هـ: «تثيره»، في ب، ج: «تنشره».
(٢) قوله «أي: تنشره» لم ترد في أ، ب، ج، هـ.
(٣) الكشاف (١٦/ ١٠٠).
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) أي: مفعول بـ﴿كفرتم﴾. الكشاف (١٦/ ١٠٠).

مسندًا إلىٰ الله تعالىٰ، أو إلىٰ اليوم.

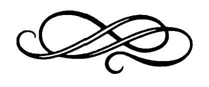
والمعنىٰ: أن الأطفال يَشيبون يوم القيامة، فقيل: إن ذلك حقيقة، وقيل: إنه عبارة عن هول ذلك اليوم، وقيل: إنه عبارة عن طوله.

﴿السَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ الانفطار: الانشقاق. والضمير المجرور يعود علىٰ اليوم؛ أي: تتفطَّر[1] السماء بشدة هوله، ويحتمل أن يعود علىٰ الله؛ أي: تتفطر[2] بأمره وقدرته، والأول أظهر. و﴿السَّمَآءُ﴾ مؤنثة، وجاء ﴿مُنفَطِرٌۢ﴾ بالتذكير لأن تأنيثها غير حقيقي، أو علىٰ الإضافة، تقديره: ذات انفطار، أو لأنه أراد السقف.

﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ الضمير في ﴿وَعْدُهُۥ﴾ يحتمل أن يعود علىٰ اليوم، أو علىٰ الله، والأول أظهر؛ لأنه ملفوظ به.

(١٧) ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ الإشارة إلىٰ ما تقدم من المواعظ والوعيد.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ يريد: سبيل التقرُّب إلىٰ الله، ومعنىٰ الكلام: حضٌّ علىٰ ذلك وترغيب فيه.



(١) في د، هـ: «تنفطر».

(٢) في د، هـ: «تنفطر».

*﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفِهِۦ وَثُلُثِهِۦ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾ **هذه الآية نزلت ناسخة** لما أُمر به في أول السورة من قيام الليل. **ومعناها**: إن الله يعلم أنك ومن معك من المسلمين تقومون قيامًا مختلفًا، مرة يكثر ومرة يقل؛ لأنكم لا تقدرون علىٰ إحصاء أوقات الليل وضبطها، فإنه لا يقدر علىٰ ذلك إلا الله، فخفف عنكم وأمركم أن تقرؤوا ما تيسَّر من القرآن.

﴿وَنِصْفِهِۦ وَثُلُثِهِۦ﴾ **من قرأهما بالخفض**[1]: فهو عطف علىٰ ﴿ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾ ؛ أي: تقوم أقلَّ من ثلثي الليل وأقلَّ من نصفه ومن ثلثه، **ومن قرأ بالنصب**: فهو عطف علىٰ ﴿أَدْنَىٰ﴾؛ أي: تقوم أدنىٰ من ثلثي الليل وتقوم نصفَه تارة وثلثه تارة.

﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ **يعني**: المسلمين، وهو معطوف علىٰ الضمير الفاعل في ﴿تَقُومُ﴾.

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ الضمير يعود علىٰ ما يفهم من سياق الكلام؛ أي: لن تحصوا تقدير الليل، **وقيل**: معناه: لن تطيقوه؛ أي: لن تطيقوا قيام الليل كله.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ عبارة عن التخفيف، كقوله: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المجادلة: ١٣].

﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ أي: إذا لم تقدروا علىٰ قيام الليل كله، فقوموا بعضه، واقرؤوا في صلاتكم بالليل ما تيسر من القرآن، **وهذا الأمر للندب**.

وقال ابن عطية: هو للإباحة عند الجمهور[2].

---

(١) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر بالخفض، وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٤٤٧).

وقال قوم -منهم الحسن وابن سيرين-: هو فرض لا بدَّ منه ولو أقل ما يمكن، حتىٰ قال بعضهم: من صلىٰ الوتر فقد امتثل هذا الأمر.

وقيل: كان فرضًا ثم نسخ بالصلوات الخمس.

وقال بعضهم: هو فرض علىٰ أهل القرآن دون غيرهم.

﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ ذكر الله في هذه الآية الأعذار التي[1] لبني آدم تمنعهم من قيام الليل، فمنها: المرض، ومنها: السفر للتجارة وهي الضرب في الأرض ابتغاء فضل الله، ومنها: الجهاد، ثم كرر الأمر بقراءة ما تيسَّر تأكيدًا للأمر به، أو تأكيدًا للتخفيف، **وهذا أظهر**؛ لأنه ذكره بإِثْرِ الأعذار.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ **يعني**: المكتوبتين.

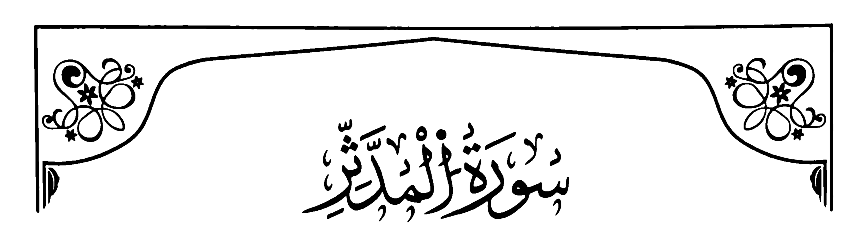
﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ﴾ معناه تصدَّقوا، وقد ذكر في «البقرة»[2].

﴿هُوَ خَيْرًا﴾ نصب ﴿خَيْرًا﴾؛ لأنه مفعول ثان لـ﴿تَجِدُوهُ﴾، والضمير فصْلٌ.

﴿وَاسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾ **قال بعض العلماء**: إن الاستغفار بعد الصلاة مستنبط من هذه الآية، وكان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثًا[3].



(١) في د زيادة: «تكون».
(٢) انظر تفسير الآية (٢٤٣).
(٣) أخرجه مسلم (٥٩١) عن ثوبان رضي الله عنه.



سورة المدثر

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُوداً ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُوداً ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيداً ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنَ اَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيداً ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُوداً ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُوثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرِيكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ *وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمُۥٓ إِلَّا فِتْنَةً لِّلذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰناً وَلَا يَرْتَابَ ٱلذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَالْمُومِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَّشَآءُ وَيَهْدِے مَن يَّشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾

﴿١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ وزنه: مُتَفَعِّل، ومعناه: الذي تدثَّر في كساء أو ثياب، وتسميته بذلك كتسميته بالمزمل حسَبما ذكرنا في موضعه.

وقال السهيلي: في ندائه بـ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ ثلاث فوائد: الاثنتان اللتان ذكرتا في «المزمل»، وفائدة ثالثة؛ وهي: أن العرب يقولون: «النذير العُريان»، للنذير الذي يكون في غاية الجِد والتشمير، والنذير[١] بالثياب ضد هذا، فكأنه تنبيهٌ علىٰ ما يجب من التشمير[٢].

(١) في ب: «التدثر»، وفي ج: «والمدثر»

(٢) التعريف والإعلام للسهيلي (ص:٣٥٧-٣٥٨).

وقيل: إن هذه أول سورة نزلت من القرآن، **والصحيح** أن سورة «**اقرأ**» نزلت قبلها.

(٢) ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي: أنذر الناس، وهذه بِعثة عامة.

(٣) ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: عظِّمه. **ويحتمل** أن يريد قول: «الله أكبر»، **ويؤيد ذلك**: ما روي عن أبي هريرة ﷺ: أن المسلمين قالوا: بم نفتتح صلاتنا؟ فنزلت: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[١]. وقول: ﴿رَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ من المقلوب الذي يُقرأ من أوله وآخره.

(٤) ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ **فيه ثلاثة أقوال**: **أحدها**: أنه حقيقة في تطهير الثياب من النجاسة، واختلف على هذا: هل يحمل على الوجوب فتكون إزالة النجاسة واجبة؟ أو على الندب فتكون سنة؟ **والآخر**: أنه يراد به: الطهارة من الذنوب والعيوب، فالثياب على هذا: مجاز. **الثالث**: أن معناه: لا تلبس الثياب من مكسب خبيث.

(٥) ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ **فيه ثلاثة أقوال**: **الأول**: أن الرِّجز: الأوثان، روي ذلك عن رسول الله ﷺ[٢]، وهو قول عائشة ﷺ[٣]. **والآخر**: أن الرِّجز: السُّخْط والعذاب، وهذا أصله في اللغة، فمعناه: اهجر ما يؤدي إليه ويوجبه. **الثالث**: أنه المعاصي والفجور، **قال بعضهم**: كل معصية رِجز.

(٦) ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ **يحتمل قوله**: ﴿تَمْنُن﴾ أن يكون من معنى العطاء، أو معنى المنِّ، وهو ذكر العطاء وشبهه، أو معنى الضَّعف.

فإن كان من العطاء ففيه وجهان: **أحدهما**: أن معناه: لا تعط شيئًا لتأخذ أكثر منه، قال بعضهم[٤]: هذا خاص بالنبي ﷺ ومباح لأمَّته. **والآخر**: لا تعط الناس عطاء وتستكثره؛ فإن الكريم يستقلُّ ما يُعطي وإنْ كان كثيرًا.

---

(١) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (١٥/ ٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٢٥)، ومسلم (١٦١) من حديث جابر ﷺ، وفي بعض طرقه «قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان»، فيكون هذا من تفسير أبي سلمة وليس من تفسير النبي ﷺ، وجاء عند الحاكم (٢٩٩٣) وصححه تفسير الرجز بالأوثان مصرَّحا برفعه.

(٣) لم أقف عليه من قول عائشة ﷺ، وأخرجه الطبري (٢٣/ ٤١٠) من طريق علي عن ابن عباس ﷺ.

(٤) قاله الضحاك كما في تفسير الطبري (٢٣/ ٤١٥).

وإن كان من المنِّ بالشيء ففيه وجهان: الأول: لا تمنن على الناس بنبوَّتك تستكثر بأَجر أو مكسب تطلبه. الثاني: لا تمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك ويقع لك بها إعجاب. وإن كان من الضعف: فمعناه لا تضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ما حمَّلناك من ذلك.

(٧) ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ أي: اصبر لوجهه وطلب رضاه. ويحتمل أن يريد الصبر على المكاره والمصائب، أو على إذاية الكفار له، أو على العبادة.

(٨) ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ يعني: نُفخ في الصور، ويحتمل أن يريد: النفخة الأولى، أو الثانية.

(١١) ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ هذا وعيد وتهديد، ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة باتفاق.

وفي معنى ﴿وَحِيداً﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: روي أنه كان يلقَّب الوحيد[1]؛ أي: لا نظير له في ماله وشرفه، فكونه وحيدًا نعمةٌ عدَّدها الله عليه. الثاني: أن معناه: خلقته منفردًا ذليلًا. الثالث: أن معناه: خلقته وحدي، فـ﴿وَحِيداً﴾ على هذا من صفة الله تعالى، وإعرابه على هذا: حال من الضمير الفاعل في قوله: ﴿خَلَقْتُ﴾، وهو على القولين الأولين: حال من الضمير المفعول.

(١٢) ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُوداً﴾ أي: كثيرًا، واختلف في مقداره؛ فقيل: ألف دينار، وقيل: عشرة آلاف. وقيل: يعني: الأرض؛ لأنها مُدَّت.

(١٣) ﴿وَبَنِينَ شُهُوداً﴾ أي: حضورًا، وروي أنه كان له عشرة من الأولاد[2] -وقيل: ثلاثة عشر- لا يفارقونه. وأسلم منهم ثلاثة، وهم: خالد، وهشام، وعِمَارة[3].

---

(١) ذكره الثعلبي (٢٨/ ٤١) والواحدي في البسيط (٢٢/ ٤١٨) عن ابن عباس ﷺ.

(٢) في ب، د، هـ: «الولد».

(٣) ذكره الثعلبي (٢٨/ ٤٤) عن مقاتل، وتبعه الزمخشري في الكشاف (١٦/ ١٢٠)، وقال الطيبي في حاشيته على الكشاف: «يُفهم منه أن الوليد بن الوليد لم يسلم، والرواية بخلاف»، ونَقل عن ابن عبد البر في الاستيعاب ما يُثبت إسلامه، وأنه لم يذكر عمارة في كتابه أصلا. وأورد ابن حجر في الإصابة (٨/ ٤١٩) نقل الثعلبي عن مقاتل هذا ثم تعقَّبه بقوله: «والصواب: خالد وهشام والوليد، فأما عمارة فإنه مات كافرا».

(١٤) ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيداً﴾ أي: بسطت له في الدنيا بالمال والعزة وطيب العيش.

(١٥) ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنَ اَزِيدَ﴾ أي: يطمع في الزيادة علىٰ ما أعطاه الله، وهذه غاية الحرص.

(١٦) ﴿كَلَّآ﴾ زجرٌ عما طمع فيه من الزيادة.

﴿عَنِيداً﴾ أي: معاندًا مخالفًا. والآيات هنا: يراد بها القرآن؛ لأن الوليد قال فيه: إنه سحر، ويحتمل أن يريد الدلائل.

(١٧) ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُوداً﴾ الصَّعود: العقبة الصعبة، روي عن النبي ﷺ أنها عقبة في جهنم، كلما صعِدها الإنسان ذاب ثم يعود[1]. فالمعنىٰ: سأشقُّ عليه بتكليفه الصُّعود فيها.

(١٨) ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ أي: ﴿فَكَّرَ﴾ فيما يقول، ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ما يقول في القرآن؛ أي: هيَّأ كلامه. روي أن الوليد سمع القرآن فأعجبه وكاد يسلم، ودخل إلىٰ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فعاتبه أبو جهل، وقال له: إن قريشًا قد أبغضتك لمقاربتك أمر محمد، وما يخلِّصك عندهم إلا أن تقول في كلام محمد قولًا يرضيهم، فافتُتن وقال: أفعلُ ذلك، ثم فكر فيما يقول في القرآن فقال: أقول شعر؟ ما هو شعر، أقول كاهن؟ ما هو بكاهن، أقول: إنه سحر وإنه قول البشر؛ أي: ليس منزلًا من عند الله[2].

(١٩) ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ دعاءٌ عليه وذمٌّ، وكرره تأكيدًا لذمه وتقبيحِ حاله.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون مقتضاه: استحسان منزعه الأول حين أعجبه القرآن، فيكون قوله: ﴿قُتِلَ﴾ لا يراد به الدعاء عليه، وإنما هو كقولهم: «قاتل الله فلانًا ما أشجعه!»، يريدون التعجب من حاله واستعظامَ وصفه[3].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٢٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٣)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٣٦٦) عن عطية العوفي عن أبي سعيد مرفوعًا، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٧٧) بالعوفي، وقال الطبراني: «لم يرفع هذا الحديث عن عمار الدهني إلا شريك، ورواه سفيان بن عيينة، عن عمار الدهني، فوقفه»، وأخرجه موقوفًا من هذا الطريق ابن المبارك في الزهد (٢/ ٩٦)، وعبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٣٦٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٢٩) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه الحاكم (٣٨٧٢) وقال: «صحيح علىٰ شرط البخاري» ووافقه الذهبي، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٤٥٧).

وقال الزمخشري: يحتمل أن يكون ثناءً عليه علىٰ طريقة الاستهزاء، أو حكايةً لقول قريش؛ تهكُّمًا بهم[(١)].

(٢١) ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أي: نظر في قوله، وقدَّر ما يقول.

(٢٢) ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ **البُسور**: هو تقطيب الوجه، وهو أشد من العبوس. وفعَل ذلك من حسده للنبي ﷺ، أو عبس في وجهه ﷺ، أو عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يَدْرِ ما يقول.

(٢٣) ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ أي: أعرض عن الإسلام.

(٢٤) ﴿سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ أي: يُنقل عمن تقدم.

(٢٧) ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ تعظيمٌ لها وتهويل.

(٢٨) ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ﴾ مبالغةٌ في وصف عذابها؛ أي: لا تدع غاية من العذاب إلا أذاقته إياه، أو[(٢)] لا تبقي شيئًا ألقي فيها إلا أهلكته، وإذا أُهلك[(٣)] لم تذره هالكًا بل يعود إلىٰ العذاب.

(٢٩) ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ معنىٰ ﴿لَوَّاحَةٌ﴾: مغيِّرة، يقال: لاحَه السفرُ وغيَّرُه: إذا غيَّره، **والبَشَر**: جمع بَشَرة، وهي الجلدة، **فالمعنىٰ**: أنها تحرق الجلود وتسوِّدها.

وقيل: ﴿لَوَّاحَةٌ﴾: مِن لاح: إذا ظهر، **والبشَر**: الناس؛ أي: تلوح للناس، **وقال الحسن**: تلوح لهم من مسيرة خمس مئة عام[(٤)].

(٣٠) ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ **يعني**: الزبانية خزَنة جهنم، **فقيل**: هم تسعة عشرة ملكًا، **وقيل**: تسعة عشر صفًّا، **وقيل**: تسعة عشر صنفًا من الملائكة، **والأول أشهر**.

---

(١) الكشاف (١٦/ ١٢٥).

(٢) في ب، ج، د، هـ: «و».

(٣) في ب: «أهلكته».

(٤) قول الحسن ذكره الثعلبي (٢٨/ ٥٩) وليس فيه التحديد بمسيرة خمس مئة عام، ولكن ذكر هذا التحديد ابن عطية في المحرر الوجيز (٨/ ٤٥٩) بعد ذكره لقول الحسن، فقال: «فالمعنىٰ: أنها تظهر للناس وهم البشر من مسيرة خمس مئة عام»، وهذا التحديد ذكره الواحدي في البسيط (٢٢/ ٤٣٥) عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣١) ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ **سبب هذه الآية: أنه لما نزل ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهل لقريش: أيعجِز عشرة منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبطشوا به؟ فنزلت الآية**[(١)]. **ومعناها**: أنهم ملائكة لا طاقة لكم بهم. **وروي**: أن الواحد منهم يرمي بالجبل على الكفار[(٢)].

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: جعلناهم هذا العدد ليفتتن الكفار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم، ويقولوا ما قالوا.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: يعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به محمد ﷺ من عدد ملائكة النار حق؛ لأنه موافق لما في كتبهم.

﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ أي: لا يشك ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أن ما قاله محمد ﷺ حق. **فإن قيل**: كيف نفَىٰ عنهم الشك بعد أن وصفهم باليقين، والمعنىٰ واحد وهو تكرار؟ **فالجواب**: أنه لما وصفهم باليقين نفىٰ عنهم أن يشكوا فيما يُستقبل بعد يقينهم الحاصل الآن، فكأنه وصفهم باليقين في الحال والاستقبال. **وقال الزمخشري**: ذلك مبالغة وتأكيد[(٣)].

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ **المرض**: عبارة عن الشك، وأكثر ما يطلق ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ على المنافقين.

فإن قيل: هذه السورة مكية ولم يكن حينئذ منافقون وإنما حدَث المنافقون بالمدينة؟ **فالجواب من وجهين: أحدهما**: أن معناه: يقول المنافقون إذا حدَثوا، ففيه إخبار بالغيب. **والآخر**: أن يريد: مَن كان بمكة من أهل الشك.

وقولهم: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ استبعادٌ لأن يكون هذا من عند الله.

---

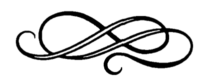
(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٣٦) من طريق العوفي عن ابن عباس ﷺ.

(٢) أخرجه ابن مردويه -كما في الدر المنثور (١٥/ ٨٠)- عن ابن عباس ﷺ، وأخرجه الثعلبي (٢٨/ ٦٠) عن ابن جرير قال: حُدثت حديثًا مرفوعًا إلى النبي ﷺ.. وذكره، قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ١٢١): «غريب».

(٣) الكشاف (١٦/ ١٣٥-١٣٦).

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ **يحتمل القصد بهذا وجهين: أحدهما**: وصف جنود الله بالكثرة؛ أي: هم من كثرتهم لا يعلمهم إلا الله. **والآخر**: رفع اعتراض الكفار على التسعة عشر؛ أي: لا يعلم أعداد جنود الله إلا هو؛ لأن منهم عددًا قليلًا ومنهم عددًا كثيرًا حسَبما أراد الله.

﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ **الضمير** لجهنم، أو للآيات المتقدمة.



كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيراً لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمُۥٓ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤١﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٢﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٣﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٥﴾ حَتَّىٰٓ أَتَيٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٦﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٧﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفَرَةٌ ﴿٤٩﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥٠﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمُۥٓ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفاً مُّنَشَّرَةً ﴿٥١﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأٓخِرَةَ ﴿٥٢﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٣﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٤﴾ وَمَا تَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٥﴾

﴿٣٢﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ للكفار عن كفرهم. **وقال الزمخشري**: هي إنكار لأن يكون لهم ذكرىٰ(١).

﴿٣٣﴾ ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾ أي: ولّىٰ. وقرئ ﴿دَبَرَ﴾ بغير ألف(٢)، والمعنىٰ واحد، **وقيل**: معناه: دبر الليلُ النهارَ؛ أي: جاء في دبره.

﴿٣٤﴾ ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ أي: أضاء، ومنه الإسفار بصلاة الصبح.

﴿٣٥﴾ ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ **الضمير** لجهنم، أو للآيات والنِّذارة؛ أي: هي من الأمور العظام. و﴿ٱلْكُبَرِ﴾ جمع كُبرىٰ، **وقال ابن عطية**: جمع كبيرة(٣)، **والأول هو الصحيح**.

﴿٣٦﴾ ﴿نَذِيراً لِّلْبَشَرِ﴾ تمييزٌ، أو حال من ﴿إِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾. **وقيل**: النذير هنا: الله، فالعامل فيه علىٰ هذا محذوف، **وهذا ضعيف**. **وقيل**: هو حال من أول السورة؛ أي: «قم فأنذر نذيرًا»، **وهذا بعيد**، **قال الزمخشري**: هو من بِدَع التفاسير(٤).

---

(١) الكشاف (١٦/ ١٣٨).

(٢) قرأ نافع وحمزة وحفص عن عاصم ﴿إِذْ﴾ بإسكان الذال ﴿أَدْبَرَ﴾ بهمزة مفتوحة وإسكان الدال، وقرأ الباقون ﴿إذا﴾ بألف بعد الذال ﴿دَبَرَ﴾ بفتح الدال من غير همز قبلها.

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٤٦٢).

(٤) الكشاف (١٦/ ١٤٠).

(٣٧) ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ **التقدُّم**: عبارة عن سلوك طريق الهدىٰ، **والتأخُّر** ضده، و﴿لِمَن شَآءَ﴾ بدل من البشر، أي: هم متمكِّنون من التقدم أو التأخر.

وقيل: معناه الوعيد، كقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩]، وعلىٰ هذا أعرب **الزمخشري** ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ مبتدأ و﴿لِمَن شَآءَ﴾ خبره[١]. **والأول أظهر**.

(٣٨) ﴿رَهِينَةٌ﴾ **قال ابن عطية**: الهاء في ﴿رَهِينَةٌ﴾ للمبالغة، أو علىٰ تأنيث النفس[٢]. **وقال الزمخشري**: ليست بتأنيث «رهين»؛ لأن فعيلًا بمعنىٰ مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي بمعنىٰ الرَّهن؛ أي: كل نفس رهْنٌ عند الله بعملها[٣].

(٣٩) ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾ أي: أهل السعادة؛ فإنهم فكُّوا رقابهم بأعمالهم الصالحة، كما يفكُّ الراهن رهنه بأداء الحق. **وقال عليّ بن أبي طالب** ﷺ: أصحاب اليمين: هم الأطفال[٤]؛ لأنهم لا أعمال لهم يُرتهنون بها. **وقال ابن عباس** ﷺ: هم الملائكة[٥].

(٤٠) ﴿يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي: يسأل بعضهم بعضًا عن حال المجرمين الذين في النار.

(٤١) (٤٢) ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾ أي: ما أدخلكم النار؟ وهذا خطاب للمجرمين، يحتمل أن خاطبهم به: المسؤولون[٦]، أو الملائكة. فأجابوهم بقولهم: ﴿لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ وما بعده، أي: هذا هو الذي أوجب دخولهم النار. وإنما أخّر التكذيب بيوم الدين؛ تعظيمًا له؛ لأنه أكبر جرائمهم.

(٤٤) ﴿نَخُوضُ﴾ **الخوض**: هو كثرة الكلام بما لا ينبغي من الباطل وشبهه.

---

(١) الكشاف (١٦/ ١٤٠).
(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٤٦٤).
(٣) الكشاف (١٦/ ١٤١-١٤٢).
(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٤٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٥)، وابن أبي شيبة (٣٥٦٥٢)، والحاكم (٣٨٧٤) وصححه ووافقه الذهبي.
(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٥٠).
(٦) في د: «المسلمون»، والمثبت هو الموافق لعبارة الكشاف (١٦/ ١٤٣).

﴿٤٦﴾ ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ هو الموت عند المفسرين، وقال ابن عطية: إنما اليقين الذي أرادوا: ما كانوا يكذِّبون به في الدنيا، فيتيقَّنوه بعد الموت[١].

﴿٤٧﴾ ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ إنما ذلك لأنهم كفار، وأجمع العلماء أنه لا يشفع أحد في الكفار. وجمْع ﴿ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ دليلٌ علىٰ كثرتهم، كما ورد في الآثار: «يشفع[٢] الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصالحون»[٣].

﴿٤٨﴾ ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ يعني: كفار قريش.

﴿٤٩﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ المستنفَرة بفتح الفاء[٤]: التي استنفرها الفزَع، وبالكسر: بمعنىٰ النافرة. شبه الكفار بالحمير[٥] النافرة في جهلهم ونفورهم عن الإسلام، ويعني: حمير الوحش.

﴿٥٠﴾ ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ ابن عباس رضي الله عنهما: القسورة: الرماة[٦]، وقال أيضًا: هو الأسد[٧]، وقيل: أصوات الناس، وقيل: الرجال الشِّداد، وقيل: سواد أول الليل.

﴿٥١﴾ ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ المعنىٰ: يطمع كل إنسان منهم أن ينزل عليه كتابٌ من عند الله. ومعنىٰ ﴿مُّنَشَّرَةً﴾: منشورة غير مطوية؛ أي: طرية كما كتبت لم تُطْوَ بعد، وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لن نتبعك حتىٰ تأتي كلَّ واحد منا بكتاب من السماء فيها[٨]: «من رب العالمين إلىٰ فلان بن فلان» نؤمر باتباعك.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٦٥).
(٢) في ب، د: «تشفع».
(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) بلفظ: «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون» في حديث أبي سعيد رضي الله عنه الطويل، وأخرجه ابن ماجه (٤٣١٣) بلفظ: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء» وتقدم تخريجه.
(٤) قرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء، وقرأ الباقون بالكسر.
(٥) في د: «بالحمر».
(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٥٥).
(٧) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٦٠).
(٨) في ب، د: «فيه».

(٥٣) ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عما أرادوه.

﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي: هذه هي العلة والسبب في إعراضهم.

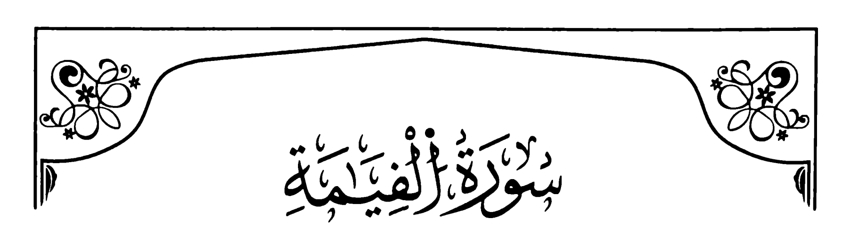
(٥٤) ﴿كَلَّآ﴾ تأكيدٌ للردع الأول، أو ردع عن عدم خوفهم للآخرة.

﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ الضمير لما تقدم من الكلام، أو للقرآن بجملته.

(٥٥) ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ فاعل ﴿شَآءَ﴾ ضمير يعود على ﴿مَن﴾ ، وفي ذلك حضٌّ وترغيب، وقيل: الفاعل هو الله، ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله.

﴿وَأَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي: هو أهلٌ لأن يُتَّقَىٰ؛ لشدة عقابه، وهو أهل لأن يَغفر الذنوب؛ لكرمه وسعة رحمته وفضله.





سورة القيامة

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۝٢١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥

(١) ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ **في الموضعين**: معناه أقسم، و﴿لَآ﴾ زائدة لتأكيد القسم، **وقيل**: هي استفتاح كلام بمنزلة: «أَلَا»، **وقيل**: هي نفيٌ لكلام الكفار.

(٢) ﴿بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب، أو التقصير في الطاعة؛ **فإن النفوس على ثلاثة أنواع**: **فخيرُها**: النفس المطمئنة. **وشرُّها**: النفس الأمَّارة بالسوء. **وبينهما**: النفس اللوَّامة.

وقيل: اللوامة: هي المذمومة الفاجرة، **وهذا بعيد**؛ لأن الله لا يقسم إلا بما يعظِّم من المخلوقات، ويستقيم إن كان ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ نفيًا للقسم.

(٣) ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ **الإنسان هنا**: للجنس، والإشارة به إلى الكفار المنكرين للبعث، **ومعناه**: أيظن أن لن نجمع عظامه للبعث بعد فنائها في التراب؟ وهذه

الجملة هي التي تدل على جواب القسم المتقدم[1].

﴿٤﴾ ﴿بَلَىٰ﴾ تقديره: نجمعها.

﴿قَٰدِرِينَ﴾ منصوب على الحال من الضمير في ﴿نَّجْمَعَ﴾ ، والتقدير: نجمعها ونحن قادرون.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ **البنان**: الأصابع، وفي المعنى قولان:

أحدهما: أنه إخبار بالقدرة على البعث؛ أي: قادرين على أن نسوي أصابعه؛ أي: نخلقها بعد فنائها مستويةً متقَنة، وإنما خص الأصابع دون سائر الأعضاء؛ لدقة عظامها وتفرُّقها.

والآخر: أنه تهديد في الدنيا؛ أي: قادرين أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة، كيد الحمار وخف الجمل، فلا يمكنه تصريف يديه في منافعه، **والأول أليق بسياق الكلام**.

﴿٥﴾ ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ هذه الجملة معطوفة على ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، ويجوز أن تكون استفهامًا مثلها، أو تكون خبرًا. وليست ﴿بَلْ﴾ هنا للإضراب عن الكلام الأول بمعنى إبطاله؛ وإنما هي للخروج منه إلى ما بعده. و﴿يَفْجُرَ﴾ معناه: يفعل أفعال الفجور.

وفي معنى ﴿أَمَامَهُۥ﴾ **ثلاثة أقوال**: **أحدها**: أنه عبارة عما يستقبل من الزمان، أي: يفجر بقية عمره. **الثاني**: أنه عبارة عن اتباع أغراضه وشهواته، يقال: مشى فلان قُدَّامه: إذا لم يرجع عن شيء يريده. والضمير على هذين القولين: يعود على الإنسان. **الثالث**: أن الضمير يعود على يوم القيامة، **والمعنى**: يريد الإنسان أن يفجر قبل يوم القيامة.

﴿٦﴾ ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ﴿أَيَّانَ﴾ معناها: «متى». وهذا السؤال عن يوم القيامة هو على وجه الاستخفاف والاستبعاد له.

﴿٧﴾ ﴿بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ هذا إخبار عن يوم القيامة، **وقيل**: عن حالة الموت، **وهذا خطأ**؛ لأن

(١) وتقديره: لتبعثُنَّ. الكشاف (١٦/ ١٥٧).

القمر لا يخسف عند موت أحد، ولا يجمع بينه وبين الشمس.

و﴿بَرَقَ﴾ **بفتح الراء**[1]: معناه لمع وصار له بريقٌ، **وقُرئ بكسر الراء**، ومعناه تحيَّر من الفزع، **وقيل**: معناه: شَخَصَ، فيتقارب معنىٰ الفتح والكسر.

﴿٨﴾ ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ ذهب ضوؤه، يقال: خسف هو، وخسَفه الله. والخسوف للقمر، والكسوف للشمس، **وقيل**: الكسوف: ذهاب بعض الضوء، والخسوف: ذهاب جميعه، **وقيل**: هما بمعنىً واحد.

﴿٩﴾ ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ **في جمعهما ثلاثة أقوال: أحدها**: أنهما يُجمعان حيث يُطلعهما الله من المغرب. **والآخر**: أنهما يُجمعان يوم القيامة، ثم يُقذف بهما في النار -وقيل: في البحر-، فتكون النار الكبرىٰ. **الثالث**: أنهما يجمعان[2] فيذهب ضوؤهما.

﴿١١﴾ ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ أي: لا ملجأً ولا مُغيث.

﴿١٣﴾ ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أي: بجميع أعماله ما قدَّم منها في أول عمره وما أخَّر في آخره، **وقيل**: ما قدم في حياته وما أخر من سُنَّة أو وصية بعد مماته، **وقيل**: ما قدم من المعاصي وأخر من الطاعات، **وقيل**: ما قدم لنفسه من ماله وما أخر منه لورثته.

﴿١٤﴾ ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ **في معناه قولان:**

أحدهما: أنه شاهدٌ علىٰ نفسه بأعماله؛ إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة.

والآخر: أنه حجة بينة؛ لأن خِلْقته تدل علىٰ خالقه، فوُصف بالبِصَارة مجازًا؛ لأن من نظر فيه أبصر الحق.

والأول أليق بما قبله وما بعده، كأنه قال: ينبأ الإنسان يومئذ بأعماله، بل هو يشهد بأعماله وإن لم يُنبأ بها، وكذلك يلتئم مع قوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾، ويكون هو جواب ﴿لَوْ﴾ حسَبما نذكره.

---

(١) قرأ نافع بفتح الراء، وقرأ الباقون بكسرها.

(٢) في د: «يجتمعان».

﴿١٥﴾ ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أن المعاذير: الأعذار؛ أي: الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها.

والآخر: أن المعاذير: السُّتور؛ أي: أن الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سَدل الستور على نفسه في الدنيا حين يفعل القبائح.

﴿١٦﴾ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود على القرآن، دلت على ذلك قرينة الحال. **وسبب الآية**: أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه؛ مخافة أن ينساه لحينه، فأمره الله أن يُنصت ويستمع[1]، **وقيل**: كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك، وشق عليه، فنزلت الآية، **والأول هو الصحيح**؛ لأنه ورد في البخاري وغيره.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ ضمن الله له أن يجمعه في صدره، فلا يحتاج إلى تحريك شفتيه عند نزوله. **ويحتمل** ﴿قُرْءَانَهُۥ﴾ **هنا وجهين:**

أحدهما: أن يكون بمعنى القراءة، فإن القرآن قد يكون مصدرًا مِن قرأت.

والآخر: أن يكون معناه: تأليفه في صدره، فهو مصدر من قولك: قرأت الشيء أي: جمعتُه.

﴿١٧﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي: إذا قرأه جبريل عليه السلام. فجَعل قراءة جبريل قراءة الله؛ لأنها من عنده. ومعنى ﴿ٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ استمع قراءته واتبعها بذهنك؛ لتحفظها، **وقيل**: اتبع القرآن في الأوامر والنواهي.

﴿١٨﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أي: علينا أن نبيِّنه لك ونجعلك تحفظه، **وقيل**: علينا أن نبين معانيه وأحكامه. **فإن قيل**: ما مناسبة قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ الآيةَ، لما قبلها؟ **فالجواب**: أنه لعله نزل معه في حين واحد، فجُعل على ترتيب النزول.

---

(١) أخرجه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢٠) ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا، وهذا الخطاب توبيخ للكفار ومَن كان علىٰ مثل حالهم في حب الدنيا، و﴿كَلَّاۖ﴾ ردعٌ عن ذلك.

(٢٢) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ بالضاد أي: ناعمة، ومنه ﴿نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤].

(٢٣) ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ هذا من النظر بالعين، وهو نصٌّ في نظر المؤمنين إلىٰ الله تعالىٰ في الآخرة، وهو مذهب أهل السنة. وأنكره المعتزلة، وتأولوا ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بأن معناه: مُنتظِرة، وهذا باطل؛ لأن «نظَر» بمعنىٰ انتظر يتعدَّىٰ بغير حرف جر، تقول: نظرتك أي: انتظرتك، وأما المتعدي بـ«إلىٰ» فهو من نظر العين، ومنه قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٣].

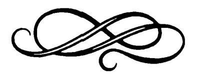
وقال بعضهم: «إلىٰ» هنا ليست بحرف جر، وإنما هي واحد «الآلاء» بمعنىٰ النعم، وهذا تكلُّف في غاية البعد.

وتأوله الزمخشري: بأن معناه كقول الناس: «فلان ناظر إلىٰ فلان» إذا كان يرتجيه ويتعلَّق به[١]، وهذا بعيد.

وقد جاء عن النبي ﷺ في النظر إلىٰ الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنىٰ لا تحتمل التأويل، فهي تفسير للآية.

(٢٤) ﴿بَاسِرَةٌ﴾ أي: عابسة تظهر عليها الكآبة، والبُسور: أشد من العبوس.

(٢٥) ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أي: مصيبة قاصمة الظهر. والظن هنا يحتمل أن يكون: علىٰ أصله، أو بمعنىٰ اليقين.



(١) الكشاف (١٦/ ١٧١).

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿٢٦﴾ ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾ يعني: حالة الموت. و﴿ٱلتَّرَاقِىَ﴾: جمع تَرْقُوَة، وهي عظام أعلىٰ الصدر. والفاعل بـ﴿بَلَغَتِ﴾: نفس الإنسان، دل علىٰ ذلك سياق الكلام، وهو عبارة عن حال الحشرجة وسياق الموت.

﴿٢٧﴾ ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أي: قال أهل المريض: مَن يَرقِيه عسىٰ أن يَشفيَه؟ وقيل: معناه: أن الملائكة تقول: من يَرقَىٰ بروحه؛ أي: يصعد بها إلىٰ السماء؟ فالأول من الرُّقية، وهو أشهر وأظهر، والثاني من الرُّقِيِّ، وهو العلوُّ.

﴿٢٨﴾ ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ أي: تيقَّن المريض أن ذلك الحال فراقُ الدنيا وفراق أهله وماله.

﴿٢٩﴾ ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ هذه عبارة عن شدة كرب الموت وسكَراته، أي: التفَّتْ ساقه علىٰ الأخرىٰ عند السِّياق، وقيل: هو مجاز، كقولك: «كشفت الحرب عن ساقها»: إذا اشتدت، وقيل: معناه: ماتت ساقه فلا تحمله، وقيل: التفَّت: أي: لفها الكفَن إذا كُفِّن. وفي قوله: ﴿ٱلسَّاقُ﴾ و﴿ٱلْمَسَاقُ﴾ ضرب من ضروب التجنيس.

﴿٣٠﴾ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ هذا جواب ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾. و﴿ٱلْمَسَاقُ﴾ مصدر من السَّوق، كقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ «لا» هنا نافية، و﴿صَدَّقَ﴾ هنا يحتمل أن يكون من التصديق بالله ورسله، أو من الصدقة. ونزلت هذه الآية وما بعدها في أبي جهل[1].

﴿٣٣﴾ ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ أي: يتبختر في مشيه[2]، وذلك عبارة عن التكبُّر والخيلاء، وكانت هذه

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٢٤).

(٢) في ب: «مشيته».

المِشْيَة معروفةٌ في بني مخزوم الذين كان أبو جهل منهم.

(٣٤) ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ وعيد وتهديد.

﴿فَأَوْلَىٰ﴾ وعيد ثان، ثم كرر ذلك تأكيدًا. ويروىٰ أن رسول الله ﷺ لبَّبَ[1] أبا جهل وقال له: «إن الله يقول لك: أولىٰ لك فأولىٰ». فنزل القرآن بموافقة ذلك[2].

(٣٥) ﴿أَيَحْسِبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ هذا توبيخ، ومعناه: أيظن أن يترك من غير بعث ولا حساب ولا جزاء، فهو كقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٦]. **والإنسان هنا**: جنس، **وقيل**: نزلت في أبي جهل، ولا يبعد أن يكون سببها خاصًّا ومعناها عامٌّ.

(٣٦) ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ تُمْنَىٰ﴾ **النطفة**: النقطة، و﴿تُمْنَىٰ﴾: من قولك: أمنىٰ الرجل. **ومعنىٰ الآية**: الاستدلال بخِلقة الإنسان علىٰ بعثه، كقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨]. **والعَلَقة**: الدمُ؛ لأن المنيَّ يصير في الرحم دمًا.

(٣٧) ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي: خلقه الله بشرًا فسوىٰ صورته؛ أي: أتقنها.

(٤٠) ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ هذا تقرير واحتجاج. وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ آخر هذه السورة قال: «بلىٰ»[3]، وفي رواية: «سبحانك اللهم بلىٰ»[4].

---

(١) أي: جمع ثيابه عند نحره في الخصومة، ثم جرَّه. القاموس المحيط (ل ب ب).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٢٥) عن قتادة مرسلًا، وأخرج النسائي في الكبرىٰ (١١٥٧٤) والحاكم (٣٨٨١) وصححه ووافقه الذهبي، عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أولىٰ لك فأولىٰ﴾ أشيء قاله رسول الله ﷺ أو شيء أنزله الله؟ قال: «قاله رسول الله ﷺ، ثم أنزله الله».

(٣) أخرجه أحمد (٧٣٩١)، وأبو داود (٨٨٧)، والترمذي (٣٣٤٧) عن أعرابي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وإسناده ضعيف لجهالة الراوي عن أبي هريرة، وأخرجه الحاكم (٣٨٨٢) عن أبي اليسع عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه ووافقه الذهبي، قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند بتحقيقه (٧/ ١٩٨): «أبو اليسع هذا الذي سماه يزيد بن عياض في روايته عن إسماعيل بن أمية عند الحاكم: رجل مجهول قال الذهبي في الميزان (٣/ ٣٨٨)، وتبعه الحافظ في لسان الميزان (٦/ ٤٥٤): «لا يدرىٰ من هو! والسند بذلك مضطرب»، فمن عجب بعد ذلك أن يوافق الذهبي علىٰ تصحيح الحاكم إياه دون تعقيب!»

(٤) أخرجه أبو داود (٨٨٤) عن موسىٰ بن أبي عائشة عن رجل، وسكت عنه، قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٢٨٤): «ولم يسم هذا الصحابي، ولا يضر ذلك»، وقال عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الوسطىٰ (١/ ٣٩٠): «هذا مرسل»، وقال ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/ ٥٠): «وموسىٰ بن أبي عائشة ثقة مخرج له في الصحيح، لكنه وصف بكثرة الإرسال».



سورة الإنسان

هَلَ اَتىٰ عَلَى اَ۬لِانسَٰنِ حِينٞ مِّنَ اَ۬لدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـٔاٗ مَّذْكُوراً ۝١ اِنَّا خَلَقْنَا اَ۬لِانسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ اَمْشَاجٖ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعاَۢ بَصِيراً ۝٢ اِنَّا هَدَيْنَٰهُ اُ۬لسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراٗ وَإِمَّا كَفُوراً ۝٣ اِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكٰ۪فِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلاٗ وَسَعِيراً ۝٤ اِنَّ اَ۬لَابْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ۝٥ عَيْناٗ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اُ۬للَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراٗ ۝٦ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماٗ كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيراٗ ۝٧ وَيُطْعِمُونَ اَ۬لطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِيناٗ وَيَتِيماٗ وَأَسِيراً ۝٨ اِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اِ۬للَّهِۖ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءٗ وَلَا شُكُوراً ۝٩ اِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساٗ قَمْطَرِيراٗ ۝١٠ فَوَقِيٰهُمُ اُ۬للَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ اَ۬لْيَوْمِ وَلَقِّيٰهُمْ نَضْرَةٗ وَسُرُوراٗ ۝١١ وَجَزِيٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيراٗ ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى اَ۬لَارَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساٗ وَلَا زَمْهَرِيراٗ ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاٗ ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكْوَابٖ كَانَتْ قَوَارِيراٗ ۝١٥ قَوَارِيراٗ مِّن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراٗ ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساٗ كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۝١٧ عَيْناٗ فِيهَا تُسَمّ۪يٰ سَلْسَبِيلاٗ ۝١٨ ۞وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاٗ مَّنثُوراٗ ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماٗ وَمُلْكاٗ كَبِيراً ۝٢٠ عَلِيهِمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٞ وَإِسْتَبْرَقٞ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقِيٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباٗ طَهُوراً ۝٢١ اِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً ۝٢٢

۝١ ﴿هَلَ اَتىٰ عَلَى اَ۬لِانسَٰنِ حِينٞ مِّنَ اَ۬لدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـٔاٗ مَّذْكُوراً﴾ ﴿هَلَ﴾ هنا بمعنىٰ التقرير، لا لمجرد الاستفهام، وقيل: هي بمعنىٰ «قد». و﴿اَ۬لِانسَٰنِ﴾ هنا: جنس، والحين الذي أتىٰ عليه: حين كان معدومًا قبل أن يخلق. وقيل: الإنسان هنا: آدم ﷺ، والحين الذي أتىٰ عليه: حين كان طينًا قبل أن ينفخ فيه الروح، وهذا ضعيف لوجهين:

أحدهما: قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ وهو هنا جنس باتفاق؛ إذ لا يصح هذا في آدم عليه السلام.

والآخر: أن مقصد الآية تحقير الإنسان.

(٢) **﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾** أي: أخلاط، **واحدها:** مَشَجٌ بفتح الميم والشين، **وقيل:** مَشْجٌ بوزن: عَدْلٍ. **وقال الزمخشري:** ليس ﴿أَمْشَاجٍ﴾ بجمع، وإنما هو مفرد كقولهم: «بُرْمةٌ أعشارٌ»، ولذلك وقع صفة للمفرد[1].

واختلف في معنى الاختلاط هنا، فقيل: اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء، **وقيل:** اختلاط ماء الرجل والمرأة، وروي أن عظام الإنسان وعصبه من ماء الرجل، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة[2]، **وقيل:** معناه: ألوان وأطوار، أي: يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة.

﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أي: نختبره، وهذه الجملة في موضع الحال، أي: خلقناه مبتلين له. **وقيل:** معناه: نَصْرِفه في بطن أمه نطفة ثم علقة.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ هذا معطوف على ﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾، ومَن جعل ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ بمعنى نصرفه في بطن أمه: فهذا عطف عليه. وقيل: إن ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ مؤخَّر في المعنى؛ أي: جعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه، وهذا تكلُّف بعيد.

(٣) **﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾** أي: سبيل الخير والشر، ولذلك قسم الإنسان إلى قسمين: شاكرٍ وكفورٍ، وهما حالان من الضمير في ﴿هَدَيْنَٰهُ﴾. **والهدى هنا:** بمعنى بيان الطريقين، ومَوْهبة[3] العقل الذي يميز به بينهما، ويحتمل أن يكون بمعنى الإرشاد؛ أي: هَدى

---

(١) الكشاف (١٦/ ١٨٢)، وانظر التعليق على تفسير الآية رقم (٢٢) من سورة الزمر.

(٢) في المحرر الوجيز (٨/ ٤٨٦): «وأسند الطبري حديثًا..» وذكره، ولم أقف عليه في تفسير الطبري، وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس ﷺ كما في الدر المنثور (١٥/ ١٤٩)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٣٦١)، وأبو يعلى في مسنده -كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٢٧٤)- عن جابر ﷺ مرفوعًا في ضمن حديث طويل، وضعفه ابن كثير.

(٣) في د: «وهو هبة».

المؤمن للإيمان والكافر للكفر، ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٧](١).

﴿سَلَٰسِلَا۟﴾ من قرأه بغير تنوين(٢): فهو الأصل؛ إذ هو لا ينصرف؛ لأنه جمعٌ لا نظير له في الآحاد، ومن قرأ بالتنوين: فله ثلاثة توجيهات:

أحدها: أنها لغة لبعض العرب، يصرفون كل ما لا ينصرف إلا «أَفْعَل».

والآخر: أن النون بدل من حرف الإطلاق، وأجرىٰ الوصل مُجرىٰ الوقف.

والثالث: أن يكون صاحب هذه القراءة رَاويةً للشعر، قد عوَّد لسانه صرف ما لا ينصرف، فجرىٰ علىٰ ذلك.

﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمع بارٍّ أو بَرٍّ، ومعناه: العاملون بالبر، وهو غاية التقوىٰ والعمل الصالح، حتىٰ قال بعضهم: الأبرار هم الذين لا يؤذون الذرَّ(٣).

﴿مِن كَأْسٍ﴾ ذكر في «**الصافات**»(٤) معنىٰ الكأس، و ﴿مِن﴾ هنا يحتمل أن تكون: للتبعيض، أو لابتداء الغاية.

﴿مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أي: تمزج الخمر بالكافور، وقيل: المعنىٰ: أنه كافور في طيب رائحته، كما تمدح طعامًا فتقول: هذا مسك.

---

(١) [**التعليق ١٠٨**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ المؤلِّفِ** ﷺ: «ويَحتمِلُ: أن يكونَ بمعنىٰ الإرشادِ...»، إلخ، **أقولُ**: يريدُ: أنَّ الهُدَىٰ في قولِه: ﴿هَدَيْنَٰهُ﴾، يَحتمِلُ أن يكونَ بمعنىٰ: أرشدناهُ:
فإنْ كان الإرشادُ عنده بمعنىٰ: دَلَلْناهُ، فهو بمعنىٰ البيانِ؛ وهو المعنىٰ الأوَّلُ الذي ذكَرَهُ المؤلِّف.
وإنْ كان بمعنىٰ: دَعَوْناهُ إليه، فلا يصحُّ؛ فإنه تعالىٰ لا يدعو إلا إلىٰ سبيلِ الحقِّ، وطريقِ الخير.
وعلىٰ هذا: فالصوابُ: أنَّ «الهُدَىٰ» بمعنىٰ البيانِ، وهو المعنىٰ الأوَّلُ الذي قدَّمه المؤلِّف.
وقولُه: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٨]؛ أي: الهُدَىٰ والضلالُ، والكفرُ والإيمانُ؛ كلٌّ مِن عندِ الله؛ أي: بقَدَرِهِ ومشيئتِه، وهذا هو معنىٰ الإيمانِ بالقَدَرِ خيرِهِ وشرِّه.
وقولُه: «ومَوهِبةِ العقلِ الذي يُميِّزُ به بينَهما»، لعلَّه يريدُ: أنَّ العقلَ مما يُميِّزُ به بين طريقِ الخيرِ وطريقِ الشرِّ، لا أنه يستقِلُّ بذلك، بل التمييزُ التامُّ بين الطريقَيْنِ إنما يكونُ بما بعَثَ اللهُ به رسولَهُ مِن الهُدَىٰ ودِينِ الحقّ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ:٥٢].

(٢) قرأ نافع وهشام عن ابن عامر وشعبة عن عاصم بالتنوين، وقرأ الباقون بغير تنوين.

(٣) قال ذلك الحسن البصري، أورده بإسناده الإمام أحمد في الزهد (٦٣٢)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٠٦).

(٤) انظر تفسير الآية (٤٥).

﴿٦﴾ ﴿عَيْناً﴾ بدل من ﴿كَافُوراً﴾ علىٰ القول بأن الخمر تمزج بالكافور. وبدل من موضع ﴿مِن كَأْسٍ﴾ علىٰ القول الآخر، كأنه قال: يشربون خمرًا خمرَ عين. وقيل: هو مفعول بـ ﴿يَشْرَبُونَ﴾، وقيل: منصوب بإضمار فعل(١).

﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ قال ابن عطية: الباء زائدة، والمعنىٰ: يشربها(٢)، وهذا ضعيف؛ لأن الباء إنما تزاد في مواضع ليس هذا منها، وإنما هي كقولك: «شربت الماء بالعسل»؛ لأن العين المذكورة يمزج بها الكأس من الخمر.

﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ وصْفهم بالعبودية فيه معنىٰ التَّقريب والاختصاص، كقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً﴾ [الفرقان: ٦٣].

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾ أي: يُجْرُونَها(٣) حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرًا سهلًا لا يصعب عليهم. وفي الأثر أن في قصر النبي ﷺ في الجنة عينًا تنفجر إلىٰ قصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين(٤).

﴿٧﴾ ﴿مُسْتَطِيراً﴾ أي: منتشرًا شائعًا، ومنه: «استطار الفجر»: إذا انتشر ضوؤه.

﴿٨﴾ ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ﴾ نزلت هذه الآية وما بعدها في عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين ﭫ، فإنهم كانوا صائمين فلما وضعوا فِطْرَهم ليأكلوه جاء مسكين فدفعوه له، وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين، فلما وضعوا فطرهم جاء يتيم فدفعوه له، وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين، فلما وضعوا فطرهم جاء أسير فدفعوه له، وباتوا طاوين(٥). والآية علىٰ هذا مدنية؛ لأن عليًّا ﭬ إنما تزوج فاطمة ﭭ بالمدينة، وقيل: هي مكية، وليست في علي ﭬ.

---

(١) تقديره: أعني. المحرر الوجيز (٨/ ٤٨٨).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٤٨٨).

(٣) في أ، هـ: «يفجرونها»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٦/ ١٨٩).

(٤) أخرجه الثعلبي بإسناده (٢٨/ ٢٣٥) عن ابن عباس ﭭ في ضمن حديث طويل، وهو خبر باطل، إسناده مظلم، فيه أبو الحسن بن مهران الباهلي، وهو ممن يضع الحديث (ميزان الاعتدال ٤/ ٤٥٥)، والقاسم بن بهرام، وهو متروك (الضعفاء والمتروكون ٣/ ٢٤٢)، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٩١) وقال: «وهذا حديث لا يشك في وضعه».

(٥) أخرجه الثعلبي في الأثر المتقدم، وقد تقدم أنه باطل.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الضمير[1] للطعام؛ أي: يطعمونه مع حبه والحاجة إليه، فهو كقوله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩١] وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، ففي قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ تتميم، وهو من أدوات البيان. وقيل: الضمير لله، وقيل: للإطعام المفهوم من ﴿يُطْعِمُونَ﴾، والأول أرجح وأظهر.

﴿مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ قد ذكرنا المسكين[2] واليتيم[3]. وأما الأسير ففيه خمسة أقوال:

أحدها: أن الأسير الكافر بين[4] المسلمين، ففي إطعامه أجر؛ لأن في كل ذي كبد رطبة[5] أجرًا، وقيل: نسخ ذلك بالسيف.

والآخر: أنه الأسير المسلم إذا خرج من دار الحرب لطلب الفدية.

والثالث: أنه المملوك.

والرابع: أنه المسجون.

والخامس: أنه المرأة؛ لقوله ﷺ «استوصوا بالنساء خيرًا؛ فإنهنَّ عوانٍ عندكم»[6]، وهذا بعيد.

والأول أرجح؛ لأنه روي أن النبي ﷺ كان يؤتىٰ بالأسير المشرك فيدفعه إلىٰ بعض المسلمين ويقول له: «أحسن إليه»[7].

(٩) ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ عبارة عن الإخلاص لله، ولذلك فسَّروه وأكَّدوه[8] بقولهم: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُوراً﴾. والشُّكور: مصدر كالشكر. ويحتمل أنهم قالوا هذا الكلام بألسنتهم، أو قالوه في نفوسهم، فهو عبارة عن النية والقصد.

---

(١) في أ، هـ: «عائد».

(٢) انظر تفسير الآية (٦٠) من سورة التوبة.

(٣) انظر تفسير الآية (٨٢) من سورة البقرة.

(٤) في ج: «بيد».

(٥) في ب، د: «رطب».

(٦) أخرجه الترمذي (١١٦٣) وصححه، والنسائي في الكبرىٰ (٩١٢٤)، وابن ماجه (١٨٥١) عن عمرو بن الأحوص ﷺ. ومعنىٰ قوله: «عوان عندكم» يعني: أسرىٰ في أيديكم.

(٧) ذكره الزمخشري في الكشاف (١٦/ ١٩١) عن الحسن مرسلًا، ولم أقف علىٰ إسناده.

(٨) في ب، د: «فسره وأكده».

(١٠) ﴿يَوْماً عَبُوساً﴾ وَصْفُ اليوم بالعبوس مجازٌ على وجهين:

أحدهما: أن يصف اليوم بصفة أهله، كقولهم: «نهاره صائم» و«ليله قائم»، وروي أن الكافر يَعبِس يومئذ حتىٰ يسيل الدم من عينيه مثل القَطِران[١].

والآخر: أن يشبَّه في شدَّته بالأسد العبوس.

﴿فَمْطَرِيراً﴾ قال ابن عباس ﷺ: معناه طويل[٢]، وقيل: شديد.

(١١) ﴿وَلَقّيٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾ النَّضْرة: التنعُّم. وهذا في مقابلة عبوس الكافر. وقوله: ﴿وَقِيٰهُمْ﴾ و﴿لَقّيٰهُمْ﴾ من أدوات البيان، وهو [٣].

(١٢) ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ أي: بصبرهم علىٰ الجوع وإيثار غيرهم علىٰ أنفسهم، حسَبما ذكرنا من قصة علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ[٤]. وقد ذكرنا ﴿ٱلأَرَآئِكِ﴾[٥].

(١٣) ﴿لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً﴾ عبارة عن اعتدال هوائها؛ أي: ليس فيها حر ولا برد. والزَّمهرير: هو البرد الشديد، وقيل: هو القمر بلغة طيِّئٍ، والمعنىٰ علىٰ هذا: أن الجنةَ[٦] ضياءٌ؛ فلا يحتاج فيها إلىٰ شمس ولا قمر.

(١٤) ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ معناه: أن ظلال الأشجار متدلِّية[٧] عليهم، قريبة منهم؛ لأن الشيء الـمُظِلَّ إذا بَعُدَ فترَ[٨] ظله. وإعراب ﴿دَانِيَةً﴾: معطوف علىٰ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾، وقال الزمخشري: هو معطوف علىٰ الجملة التي قبلها، وهي ﴿لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً﴾؛ لأن هذه جملةٌ في حكم المفرد، تقديره: «غيرَ رائين فيها شمسًا ولا زمهريرًا، ودانيةً»

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٤٧) من رواية عكرمة عن ابن عباس ﷺ.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٤٩) من رواية علي عن ابن عباس ﷺ.

(٣) في جميع النسخ الخطية هنا بياض بمقدار كلمة تقريبًا! ولعله المناسب أن يكتب مكانه: «التجنيس»، وانظر الباب العاشر من المقدمة المقدمة الثانية للكتاب.

(٤) تقدم أن القصة باطلة.

(٥) انظر تفسير الآية (٣١) من سورة الكهف، وتفسير الآية (٥٥) من سورة يس.

(٦) في د: «في الجنة».

(٧) في هامش د: «خ: مدنية».

(٨) في د: «بعُد».

ودخلت الواو للدلالة علىٰ أن الأمرين مجتمعان لهم، أي: جامعين بين البعد عن الحر والبرد وبين دنوِّ الظِّلال[1]. وقيل: هو صفة لـ﴿جَنَّةً﴾، عطفت بالواو كقولك: «فلان عالم وصالح»، وقيل: هو معطوف عليها؛ أي: وجنةً أخرىٰ دانيةً عليهم ظلالها.

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ القطوف: جمع قِطْفٍ، وهو العنقود من النخل والعنب، وشبه ذلك، وتذليلها: هو أن تتدلَّىٰ إلىٰ الأرض. وروي أن أهل الجنة يقطعون الفواكه علىٰ أي حال كانوا من قيام أو جلوس أو اضطجاع؛ لأنها تتدلىٰ لهم كما يريدون[2]. وهذه الجملة في موضع الحال من ﴿دَانِيَةً﴾ ؛ أي: دانية في حال تذليل قطوفها، أو معطوفة عليها.

﴿١٥﴾ ﴿بِـَٔانِيَةٍ﴾ هي جمع إناء ووزنها أَفْعِلة. وقد ذكرنا الأكواب في «الواقعة»[3].

﴿قَوَارِيرَا۠﴾ القوارير: هي الزُّجاج. فإن قيل: كيف يتفق أنها زجاج مع قوله: ﴿مِن فِضَّةٍ﴾؟ فالجواب: أن المراد: أنها في أصلها من فضة وهي تُشْبه الزجاج في صفائها وشَفيفها، وقيل: هي من زجاج، وجعلها من فضة علىٰ وجه التشبيه؛ لشرف الفضة وبياضها. ومن قرأ ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ بغير تنوين[4]: فهو علىٰ الأصل، ومن نوَّنه: فعلىٰ ما ذكرنا في ﴿سَلَٰسِلَا۟﴾.

﴿١٦﴾ ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ هذه صفة للقوارير، والمعنىٰ: قدَّروها علىٰ قدر الأكُفِّ، أو علىٰ قدر ما يحتاجون من الشرب، قال مجاهد: هي لا تَفيض ولا تَغيض[5]، وقيل: قدَّروها علىٰ حسَب ما يشتهون. والضمير الفاعل في ﴿قَدَّرُوهَا﴾ يحتمل أن يكون للشاربين بها، أو للطائفين بها.

---

(١) الكشاف (١٦/ ١٩٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٣٣)، وابن أبي شيبة (٣٥٢٢٠)، وسعيد بن منصور -كما في فتح الباري (٨/ ٦٨٥)- والحاكم (٣٨٨٤) وصححه، عن البراء بن عازب ﷺ.

(٣) انظر تفسير الآية (٢٠).

(٤) قرأ نافع وابن كثير والكسائي وشعبة عن عاصم ﴿كانت قواريرًا﴾ بالتنوين ويقفون بالألف، وقرأ الباقون بغير تنوين، ووقفوا بالألف إلا حمزة فإنه يقف بالألف مع إسكان الراء. وقرأ نافع والكسائي وشعبة عن عاصم ﴿قواريرَ من﴾ بالتنوين ووقفوا بالألف، وقرأ الباقون بغير تنوين ويقفون بغير ألف مع إسكان الراء، إلا هشامًا فإنه يقف عليه بالألف.

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٥٨)، وابن أبي شيبة (٣٦٦١١).

﴿١٧﴾ ﴿مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ هو كما ذكرنا في ﴿مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

﴿١٨﴾ ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ **معناه**: أنه سلسٌ منقادُ الجِرْيَة، **وقيل**: سهل الانحدار في الحلق[1]. **يقال**: شرابٌ سَلسل وسَلْسال وسلسبيل: بمعنىٰ واحد، وزيدت الباء في التركيب؛ للمبالغة في سلاسته، فصارت الكلمة خماسية. **وقيل**: «سل» فعل أمر و«سبيلًا» مفعول به، **وهذا في غاية الضعف**.

﴿١٩﴾ ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ ذكر في «**الواقعة**»[2].

﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ **شبَّههم باللؤلؤ**: في الحسن[3] والبياض، **وبالمنثور منه**: في كثرتهم وانتشارهم في القصور.

﴿٢٠﴾ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ مفعول ﴿رَأَيْتَ﴾ محذوفٌ؛ ليكون الكلام علىٰ الإطلاق في كل ما يرىٰ فيها، و ﴿ثَمَّ﴾ ظرف مكان. **وقال الفراء**: تقديره: «إذا رأيت ما ثَم»، فـ«ما» مفعولة ثم حذفت. **قال الزمخشري**: هذا خطأ؛ لأن «ثَمَّ» صلة لـ«ما»، ولا يجوز حذف الموصول وترك الصلة[4].

﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ **يعني**: كثرة ما أعطاهم الله، حتىٰ إن أدنىٰ أهل الجنة منزلةً له مثل الدنيا وعشرة أمثاله معه، حسَبما ورد في الحديث[5]. **وقيل**: أراد أن الملائكة تسلِّم عليهم، وتستأذن عليهم، فهم بذلك كالملوك.

﴿٢١﴾ ﴿عَالِيهِمْ﴾ **بسكون الياء**[6]: مبتدأ خبره: ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ أي: ما يعلوهم من الثياب ثيابُ سندس. **وقُرئ بالنصب**: علىٰ الحال من الضمير في ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ أو في ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾، **وقال ابن عطية**: العامل فيه ﴿لَقَّيٰهُمْ﴾ أو ﴿جَزَيٰهُم﴾ ، **وقال أيضًا**: يجوز أن

---

(١) في ج: «الحلوق».
(٢) انظر تفسير الآية (١٩).
(٣) في ب: «اللون».
(٤) الكشاف (١٦/ ٢٠٣).
(٥) أخرجه البخاري (٧٥١١) ومسلم (١٨٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.
(٦) قرأ نافع وحمزة بإسكان الياء، وقرأ الباقون بفتحها.

ينتصب على الظرف؛ لأن معناه: «فوقَهم»[1].

وقد ذكرنا معنى السندس والإستبرق[2]. وقرئ: ﴿خُضْرٌ﴾: **بالخفض**[3]: صفة لـ﴿سُندُسٍ﴾، **وبالرفع**: صفة لـ﴿ثِيَابُ﴾. و﴿إِسْتَبْرَقٌ﴾: **بالرفع**[4]: عطف على ﴿ثِيَابُ﴾، **وبالخفض**: عطف على ﴿سُندُسٍ﴾.

﴿وَحُلُّوٓاْ﴾ وزنه: فُعِّلُوا، ومعناه: جُعل لهم حَلْيٌ.

﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ ذكرنا الأساور في «**الكهف**»[5]. **فإن قيل**: كيف قال هنا: ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾، وفي موضع آخر: ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾؟

فالجواب: أن ذلك يختلف باختلاف درجات أهل الجنة، قال رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما»[6]، فلعل الذهب للمقرَّبين، والفضة لأصحاب اليمين، ويحتمل أن يكون أهل الجنة لهم أساور من فضة ومن ذهب معًا.

﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: ليس بنجس كخمر الدنيا، **وقيل**: معناه: أنه لم تعصره الأقدام، **وقيل**: معناه: لا يصير بولًا.

(٢٢) ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ أي: يقال لهم هذا، يقوله الله تعالى أو الملائكة[7].



(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٩٧).
(٢) انظر تفسير الآية (٣١) من سورة الكهف.
(٣) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع.
(٤) قرأ نافع وابن كثير وعاصم بالرفع، وقرأ الباقون بالخفض.
(٥) انظر تفسير الآية (٣١).
(٦) تقدم تخريجه.
(٧) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٨٤).

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَالظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

﴿٢٤﴾ ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ ﴿أَوْ﴾ هنا للتنويع، **فالمعنىٰ**: لا تطع النوعين: فاعلًا للإثم، ولا كافرًا، **وقيل**: هي بمعنىٰ الواو؛ أي: جامعًا للوصفين؛ لأن هذه هي حالة الكفار. وروي أن الآية نزلت في أبي جهل[1]، **وقيل**: إن الآثم: عتبة بن ربيعة، والكفور: الوليد بن المغيرة، **والأحسن** أنها علىٰ العموم؛ لأن لفظها عام، وإن كان سبب نزولها خاصًّا.

﴿٢٥﴾ ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ هذا أمرٌ بذكر الله في كل وقت، **وقيل**: هو إشارة إلىٰ الصلوات الخمس، فالبكرة: صلاة الصبح، والأصيل: الظهر والعصر، ومن الليل: المغرب والعشاء.

﴿٢٧﴾ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا، والإشارة إلىٰ الكفار. **واليوم الثقيل**: يوم القيامة، ووصْفه بالثِّقَل[2] عبارةٌ عن هوله وشدته.

﴿٢٨﴾ ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ **الأَسْرُ**: الخِلقة، **وقيل**: المفاصل والأوصال، **وقيل**: القوة.

﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي: أهلكناهم وأبدلنا منهم غيرهم، **وقيل**: مسخناهم فبدلنا صورهم، وهذا تهديد.

﴿٢٩﴾ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ **الإشارةُ** إلىٰ الآية، أو السورة، أو الشريعة بجملتها.

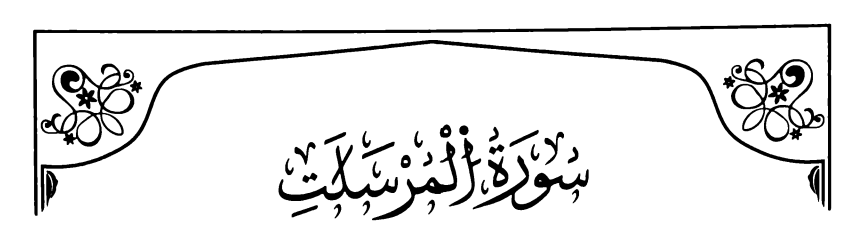
﴿فَمَن شَآءَ﴾ تحضيض وترغيب، ثم قيَّد مشيئتهم بمشيئة الله.

﴿٣١﴾ ﴿وَالظَّٰلِمِينَ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: يعذب الظالمين.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٧٢) عن قتادة.

(٢) في د: «بالثقيل».



سورة المرسلات

وَالْمُرْسَلَٰتِ عُرْفاً (١) فَالْعَٰصِفَٰتِ عَصْفاً (٢) وَالنَّٰشِرَٰتِ نَشْراً (٣) فَالْفَٰرِقَٰتِ فَرْقاً (٤) فَالْمُلْقِيَٰتِ ذِكْراً (٥) عُذْراً اَوْ نُذْراً (٦) اِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ (٧) فَإِذَا اَ۬لنُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا اَ۬لسَّمَآءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا اَ۬لْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا اَ۬لرُّسُلُ اُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ اُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ اِ۬لْفَصْلِ (١٣) وَمَآ أَدْرِيٰكَ مَا يَوْمُ اُ۬لْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥) *أَلَمْ نُهْلِكِ اِ۬لَاوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ اُ۬لَاخِرِينَ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَٰهُ فِے قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) اِلَيٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَّرْنَا فَنِعْمَ اَ۬لْقَٰدِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ اِ۬لَارْضَ كِفَاتاً (٢٥) اَحْيَآءً وَأَمْوَٰتاً (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتاً (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) اِنطَلِقُوٓاْ إِلَيٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢٩) اِنطَلِقُوٓاْ إِلَيٰ ظِلٍّ ذِے ثَلَٰثِ شُعَبٍ (٣٠) لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِے مِنَ اَ۬للَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِے بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَٰتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُوذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَٰذَا يَوْمُ اُ۬لْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَالَاوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠)

اختُلف في معنىٰ المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات علىٰ قولين: أحدهما: أنها الملائكة. **والآخر:** أنها الرياح.

فعلىٰ القول بأنها الملائكة: سماهم المرسلات؛ لأنه تعالىٰ يرسلهم بالوحي وغيره. وسماهم العاصفات؛ لأنهم يَعصفون كما تعصف الرياح في سرعة مضيِّهم[1] إلىٰ امتثال أوامر الله تعالىٰ. وسماهم الناشرات؛ لأنهم ينشرون أجنحتهم في الجو، أو ينشرون

---

(١) في د: «مشيهم».

الشرائع في الأرض، أو ينشرون صحائف الأعمال. **وسماهم الفارقات؛ لأنهم يفرِّقون بين الحق والباطل.**

وعلىٰ القول بأنها الرياح: سماها المرسلات؛ لقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الروم: ٤٧]. **وسماها العاصفات من قوله:** ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢]؛ أي: شديدة. **وسماها الناشرات؛** لأنها تنشر السحاب في الجو، ومنه قوله: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: ٤٧]. وسماها الفارقات؛ لأنها تفرِّق بين السحاب ومنه قوله: ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ [الروم: ٤٧].

وأما ﴿ٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾: فهم الملائكة؛ لأنهم يلقون الذكر للأنبياء عليهم السلام.

والأظهر في المرسلات والعاصفات: أنها الرياح[1]؛ لأن وصْف الريح بالعصف حقيقة.

والأظهر في الناشرات والفارقات: أنها الملائكة؛ لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح، ولأن الملقيات المذكورة بعدها هي الملائكة، ولم يقل أحد إنها الرياح. ولذلك عطَف المتجانسَينِ بالفاء فقال: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ﴾ ، ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو فقال: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾ ، ثم عطف عليه المتجانسينِ بالفاء. وقد قيل في ﴿ٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ و ﴿ٱلْمُلْقِيَٰتِ﴾: إنهم الأنبياء عليهم السلام.

(١) ﴿عُرْفًا﴾ **معناه:** فضلًا وإنعامًا، **وانتصابه:** علىٰ أنه مفعول من أجله، **وقيل:** معناه: متتابِعةً، وهو مصدر في موضع الحال. وأما ﴿عَصْفًا﴾ و ﴿نَشْرًا﴾ و ﴿فَرْقًا﴾: فمصادر، وأما ﴿ذِكْرًا﴾ :فمفعول به.

(٦) ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ **العذر: فسَّره ابن عطية**[2] **وغيره بمعنىٰ:** إعذار الله إلىٰ عباده؛ لئلا تبقىٰ لهم حجة أو عذر. **وفسره الزمخشري:** بمعنىٰ الاعتذار، يقال: عَذَر: إذا محا الإساءة[3]. وأما ﴿نُذْرًا﴾ فمن الإنذار وهو التخويف. وقرئ بضم الذال في الموضعين وبإسكانها[4].

---

(١) في أ، د: «الريح».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٠٤).

(٣) الكشاف (١٦/ ٢٢٢).

(٤) قراءة السبعة ﴿عُذْرًا﴾ بإسكان الذال، وقرأ روح عن يعقوب بضمها. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم ﴿نُذْرًا﴾ بإسكان الذال، وقرأ الباقون بضمها.

ويحتمل أن يكونا مصدرَين، فيكون نصبهما على البدل من ﴿ذِكْرًا﴾، **أو مفعولًا من أجله، أو مفعولًا بـ**﴿ذِكْرًا﴾[1]. **ويحتمل أن يكون** ﴿عُذْرًا﴾ جمع عَذير أو عاذر، و﴿نُذْرًا﴾ جمع نذير، **فيكون نصبهما** على الحال.

(٧) ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ **يعني**: البعث والجزاء، وهو جواب القسم.

(٨) ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ **أي**: زال ضوؤها، **وقيل**: مُحِيتْ.

(٩) ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ **أي**: انشقت.

(١٠) ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ **أي**: صارت غبارًا.

(١١) ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ **أي**: جُعل لها وقت معلوم، فحان ذلك الوقت وجمعت للشهادة على الأمم يوم القيامة. **وقرئ** ﴿وُقِّتَتْ﴾ بالواو[2] وهو الأصل، والهمزة بدل من الواو.

(١٢)-(١٤) ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ هو من الأجل، كالتوقيت من الوقت، وفيه توقيفٌ يراد به تعظيمٌ لذلك اليوم، ثم بيَّنه بقوله: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ أي:[3] يفصل فيه بين العباد، ثم عظَّمه بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾.

(١٥) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ **تكراره في هذه السورة قيل**: إنه تأكيد، **وقيل**: بل في كل آية ما يقتضي التصديق، فجاء ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ راجعًا إلى ما قبله في كل موضع منها.

(١٦) ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ **يعني**: الكفار المتقدمين، كقوم نوح وغيرهم.

(١٧) ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ **يعني**: قريشًا وغيرهم من الكفار بمحمد ﷺ، وهذا وعيدٌ لهم ظهَر مِصداقه يوم بدر وغيره.

(١٨) ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ **أي**: مثلَ هذا الفعل نفعل بكل مجرم؛ يعني الكفار.

(٢٠) ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ **يعني**: المنيّ، **والمهين**: الضعيف.

(٢١) ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ **يعني**: رحم المرأة وبطنها.

---

(١) كأنه تعالى قال: فالملقيات أن تذكر عذرًا. المحرر الوجيز (٨/ ٥٠٤)، والبحر المحيط (٢١/ ١٦٩).

(٢) قرأ أبو عمرو بالواو، وقرأ الباقون بهمزة مضمومة.

(٣) في ب زيادة: «يوم».

(٢٢) ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ **يعني**: وقت الولادة، وهو معلوم عند الله، وهو تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر.

(٢٣) ﴿فَقَدَّرْنَا﴾ **بالتشديد**[١]: من التقدير، **وبالتخفيف**: من القدرة، **فإذا كان من القدرة**: اتفق مع قوله: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾، **وإذا كان من التقدير**: فهو تجنيس.

(٢٥) (٢٦) ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۝ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ **الكِفات**: مِن كفَتَ: إذا ضَمَّ وجمع. **فالمعنىٰ**: أن الأرض تَكْفِتُ الأحياء علىٰ ظهرها، والموتىٰ في بطنها. وانتصب ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ علىٰ أنه مفعول بـ﴿كِفَاتًا﴾ ؛ لأن الكفات اسم لما يُضَمُّ ويُجمَع، فكأنه قال: جامعةً أحياءً وأمواتًا. ويجوز أن يكون المعنىٰ: تكْفِتهم أحياءً وأمواتًا، فيكون نصبهما علىٰ الحال من الضمير[٢]. وإنما نكَّر ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾؛ للتفخيم، ودلالةً علىٰ كثرتهم.

(٢٧) ﴿رَوَاسِيَ﴾ **يعني**: الجبال.

﴿شَامِخَاتٍ﴾ **أي**: مرتفعات.

﴿مَّاءً فُرَاتًا﴾ **أي**: حلوًا.

(٢٩) ﴿انطَلِقُوا﴾ خطاب للمكذبين. وقرأ يعقوب بفتح اللام علىٰ أنه فعل ماض. ثم كرَّره؛ لبيان المنطلَق إليه.

(٣٠) ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ **يعني**: دخان جهنم، ومنه: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٦].

﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ **أي**: يتفرَّع من الدخان ثلاث شعب فتُظِلُّهم، بينما يكون المؤمنون في ظِلِّ العرش، **وقيل**: إن هذه الآية في عَبَدَةِ الصليب؛ لأنه[٣] علىٰ ثلاث شعب، فيقال لهم انطلقوا إليه.

(٣١) ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ نفَىٰ عنه أن يُظلَّهم كما يُظل العرشُ المؤمنين، ونفىٰ أيضًا أن يمنع عنهم اللهب.

---

(١) قرأ نافع والكسائي بتشديد الدال، وقرأ الباقون بالتخفيف.
(٢) انظر: الدر المصون (١٠/ ٦٣٦).
(٣) أي: الصليب.

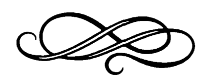
(٣٢) ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ الضمير في ﴿إِنَّهَا﴾ لجهنم، **والقصر**: واحد القصور، وهي الديار العِظام، شبه الشَّرر به في عِظَمه وفي ارتفاعه في الهواء، **وقيل**: هو الغليظ من الشجر، واحده قَصْرةٌ، كجمرة وجمْر.

(٣٣) ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ في **الجمالات قولان**: **أحدهما**: أنه جمع جِمَالٍ، شبه بها الشَّرر، و﴿صُفْرٌ﴾ على ظاهره؛ لأن لون النار يضرب إلى الصفرة. **وقيل**: ﴿صُفْرٌ﴾ هنا: بمعنى سودٌ، يقال: جمل أصفر أي: أسود، وهذا أليق بوصف[1] جهنم. **الثاني**: أن الجمالات: قِطَع النحاس الكبار، فكأنه مشتق من الجُمْلة.

وقرئ «جُمَالَاتٌ» بضم الجيم[2]، وهي قُلُوس السفن، وهي حبالها العِظام.

(٣٥) ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ هذا في مواطن، وقد يتكلَّمون في مواطن أخر؛ كقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١].

(٣٩) ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ تعجيز لهم، وتعريض بكيدهم في الدنيا، وتقريع عليه.



(١) في أ، هـ: «الوصف».

(٢) قراءة السبعة بكسر الجيم، وروى رويس عن يعقوب بضمها.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿٤٣﴾ ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ يقال لهم ذلك في الجنة: بلسان الحال، أو بلسان المقال.

﴿هَنِيٓـًٔا﴾ نصبٌ على الحال، أو على الدعاء.

﴿٤٦﴾ ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟﴾ خطاب للكفار على وجه التهديد، تقديره: قل لهم: كلوا وتمتعوا قليلًا في الدنيا.

﴿٤٨﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ هذا إخبار عن حال الكفار في الدنيا، **وذِكْر الركوع**: عبارةٌ عن الصلاة. **وقيل**: معنى ﴿ٱرْكَعُوا۟﴾: اخشعوا وتواضعوا لله.

وقيل: هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة؛ لأنهم إذا قيل لهم: اركعوا لا يقدرون على الركوع، كقوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، **والأول أشهر وأظهر**.

﴿٥٠﴾ ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير للقرآن.





سُورَةُ النَّبَإِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

﴿١﴾ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أصل ﴿عَمَّ﴾: «عَنْ مَا»، ثم أدغمت النون في الميم، وحذفت ألف «ما»؛ لأنها استفهامية، تقديرها: عن أي شيء يتساءلون؟ وليس المراد بها هنا مجرَّد الاستفهام، وإنما المراد تفخيم الأمر. والضمير في ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: لكفار قريش، أو لجميع الناس، ومعناه: يسأل بعضهم بعضًا.

﴿٢﴾ ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ هو ما جاءت به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك. ويتعلق ﴿عَنِ النَّبَإِ﴾ بفعل محذوف يفسِّره الظاهر، تقديره: يتساءلون عن النبإ. ووقعت هذه الجملة جوابًا عن الاستفهام، وبيانًا للمسؤول عنه، كأنه لما قال: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أجاب فقال: يتساءلون عن النبإ العظيم. وقيل: يتعلق ﴿عَنِ النَّبَإِ﴾ بـ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ الظاهر، والمعنى على هذا: لأيِّ شيء يتساءلون عن النبإ العظيم؟ والأول أفصح وأبرع، وينبغي على ذلك أن يوقف على قوله: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

(٣) ﴿ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ إن كان الضمير في ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ لكفار قريش فاختلافهم أن منهم من يقطع بالتكذيب، ومنهم من يشك، أو يكون اختلافهم قول بعضهم: سحر، وقول بعضهم: شعر وكهانة وغير ذلك. وإن كان الضمير لجميع الناس: فاختلافهم أن منهم المؤمن والكافر.

(٤) ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ردعٌ وتهديد، ثم كرره للتأكيد.

(٦) ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ أي: فراشًا. وإنما ذكر الله تعالىٰ هنا هذه المخلوقات علىٰ جهة[1] التوقيف؛ ليقيم الحجة علىٰ الكفار فيما أنكروه من البعث، كأنه يقول: إن الإله الذي قدَر علىٰ خِلقة هذه المخلوقات العظام قادرٌ علىٰ إحياء الناس بعد موتهم. ويَحتمل أن يذكرها حجةً علىٰ التوحيد؛ لأن الذي خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لا شريك له.

(٧) ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ شبهها بالأوتاد؛ لأنها تمسك الأرض أن تميد.

(٨) ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: مُزدوِجِينَ[2] ذكرًا وأنثىٰ، وقيل: معناه: أنواعًا في ألوانكم وصوركم وألسنتكم.

(٩) ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي: راحة لكم، وقيل: معناه قطعًا للأعمال والتصرُّف، والسَّبْت: القطع، وقيل: معناه: مَوْتًا؛ لأن النوم هو الموت الأصغر، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٣٩].

(١٠) ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ شبهه بالثياب التي تُلبَس؛ لأنه يَستر[3] عن العيون.

(١١) ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي: تُطلب فيه المعيشة، فهو علىٰ حذف مضاف تقديره: ذا معاش. وقال الزمخشري: معناه يُعاش فيه، فجعله بمعنىٰ الحياة في مقابلة السُّبات الذي بمعنىٰ الموت[4].

---

(١) في ب، د: «وجه».
(٢) في ج: «من زوجين».
(٣) في أ، هـ: «ستر».
(٤) الكشاف (١٦/ ٢٤٤).

(١٢) ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً﴾ **يعني**: السماوات.

(١٣) ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً﴾ **يعني**: الشمس، **والوهَّاج**: الوقَّاد الشديد الإضاءة، **وقيل**: الحار الذي يضطرم من شدة لَهَبِه.

(١٤) ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ مَآءً ثَجَّاجاً﴾ يعني: المطر. و ﴿ٱلْمُعْصِرَاتِ﴾: هي السحاب، **وهو مأخوذ** من العَصر؛ لأن السحاب تنعصر فينزل منها الماء، أو من العُصْرة؛ بمعنىٰ الإغاثة، ومنه: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩]. **وقيل**: هي السماوات، **وقيل**: هي الرياح. **والثَّجَّاج**: السريع الاندفاع.

(١٥) ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبّاً وَنَبَاتاً﴾ **الحب**: هو القمح والشعير وسائر الحبوب، **والنبات**: هو العشب.

(١٦) ﴿وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافاً﴾ أي: ملتفَّة، وهو جمع لُفٍّ بضم اللام، وقيل: بالكسر، **وقيل**: لا واحد له.

(١٧) ﴿كَانَ مِيقَـٰتاً﴾ أي: في وقت معلوم.

(١٨) ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ **يعني**: نفخة القيام من القبور.

﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾ أي: جماعاتٍ.

(١٩) ﴿فَكَانَتْ أَبْوَاباً﴾ أي: تنفتح فيكون فيها شِقاق كالأبواب.

(٢٠) ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ أي: حُملت.

﴿فَكَانَتْ سَرَاباً﴾ عبارة عن تلاشيها وفنائها. **والسَّراب في اللغة**: ما يظهر علىٰ البعد أنه ماء، وليس ذلك المراد هنا، وإنما هو تشبيه به في أنه لا شيء.

(٢١) ﴿مِرْصَاداً﴾ أي: موضع الرَّصْد، والرَّصْد: هو الارتقاب والانتظار؛ أي: تنتظر الكفار ليدخلوها، **وقيل**: معناه: طريقًا للمؤمنين يجوزون عليها إلىٰ الجنة؛ لأن الصراط منصوب علىٰ جهنم.

(٢٢) ﴿مَـَٔاباً﴾ أي: مرجعًا.

(٢٣) ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَاباً﴾ جمع حِقْبة أو حقب[١]، وهي المدة الطويلة من الدهر غير محدودة. **وقيل**: إنها محدودة، ثم اختلف في مقدارها، فروي عن النبي ﷺ أنها ثلاثون ألف سنة[٢]، **وقال ابن عباس** رضي الله عنهما: ثمانون سنة[٣]، **وقيل**: ثلاث مئة سنة.

وعلىٰ القول بالتحديد: فالمعنىٰ: أنهم يبقون فيها أحقابًا، كلما انقضىٰ حِقْبٌ جاء آخر إلىٰ غير نهاية.

وقيل: إنه كان يقتضي أن مدة العذاب تنقضي، ثم نسخ بقوله: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً﴾، **وهذا خطأ**؛ لأن الأخبار لا تُنسخ.

وقيل: هي في عُصاة المؤمنين الذين يخرجون من النار، **وهذا خطأ**؛ لأنها في الكفار لقوله: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾.

وقيل: معناها أنهم يبقون أحقابًا[٤] لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا، ثم يبدل لهم نوع آخر من العذاب.

(٢٤) ﴿لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً﴾ أي: لا يذوقون برودةً تخفف عنهم حر النار، **وقيل**: لا يذوقون ماء باردًا، **وقيل**: البرد هنا النوم، **والأول أظهر**.

(٢٥) ﴿إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَاقاً﴾ استثناء من الشراب، وهو متصل. **والحميم**: الماء الحار، **والغسَاق**: صديد أهل النار، وقد ذكر في سورة «داود»[٥].

(٢٦) ﴿جَزَآءً وِفَاقاً﴾ أي: موافقًا أعمالهم؛ لأن أعمالهم كفر وجزاؤهم النار. و ﴿وِفَاقاً﴾: مصدرٌ وُصف به، أو هو علىٰ حذف مضاف تقديره: ذا وفاق.

---

(١) في المحرر الوجيز (٨/ ٥١٧): «جمع حُقَب بضم الحاء وفتح القاف، وحِقَب بكسر الحاء، وحُقُب بضمها وضم القاف».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٣٩٥)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢٩٢) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وضعفه ابن أبي حاتم والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٨١)، والسيوطي في الدر المنثور (١٥/ ٢٠٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٤).

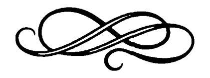
(٤) في أ، هـ: «أحيانًا».

(٥) انظر تفسير الآية (٥٦).

﴿٢٧﴾ ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ هذا مثل ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ وقد ذكر[١].

﴿٢٨﴾ ﴿كِذَّابًا﴾ **بالتشديد**[٢]: مصدر بمعنىٰ تكذيب، **وبالتخفيف**: بمعنىٰ الكذب، أو المكاذبة؛ وهي تكذيب بعضهم لبعض.

﴿٣٠﴾ ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال رسول الله ﷺ: «**ما نزل في أهل النار أشد من هذه الآية**»[٣].



(١) انظر تفسير الآية (٧) من سورة يونس، وتفسير الآية (٢١) من سورة الفرقان.

(٢) قراءة السبعة في هذا الموضع بالتشديد، وقرئ في الشاذ بالتخفيف، قرأ بها علي بن أبي طالب وعوف الأعرابي وعيسىٰ -بخلاف- والأعمش وأبو رجاء. المحرر الوجيز (٨/ ٥٢١).
وأما في الآية الآتية ﴿ولا كذَّابا﴾ فقرأ الكسائي فيها بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٧)- والثعلبي (٢٨/ ٣٣٤) عن الحسن البصري عن أبي برزة الأسلمي ﷺ مرفوعًا، وضعفه ابن كثير في تفسيره، وأخرجه الطبري (٢٤/ ٣٦) عن عبد الله بن عمرو موقوفًا.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ۝٣٦ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝٣٧ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ۝٣٩ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ۝٤٠﴾

۝٣١ **﴿مَفَازًا﴾** أي: موضع فوز، يعني: الجنة.

۝٣٢ **﴿حَدَآئِقَ﴾** أي: بساتين.

۝٣٣ **﴿وَكَوَاعِبَ﴾** جمع كاعب، وهي الجارية التي خرج ثديها.

﴿أَتْرَابًا﴾ أي: على سن واحد[١].

۝٣٤ **﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾** أي: ملأى، **وقيل**: صافية، **والأول أشهر**.

۝٣٦ **﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾** أي: كافيًا، مِن أَحسَبه الشيءُ: إذا كفاه، **وقيل**: معناه: على حسَب أعمالهم.

۝٣٧ **﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بالرفع**[٢]: مبتدأ، أو خبر ابتداء مضمر، **وبالخفض** صفة لـ﴿رَّبِّكَ﴾.

و**﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالخفض**[٣]: صفة، **وبالرفع**: خبر المبتدأ، أو خبر ابتداء مضمر.

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ قال ابن عطية: الضمير للكفار؛ أي: لا يملكون أن يخاطبوه بمعذرة ولا غيرها[٤]، ويحتمل أن يكون المعنى: لا يقدرون أن يخاطبهم كقوله: **﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾**. **وقال الزمخشري**: الضمير لجميع الخلق؛ أي: ليس بأيديهم شيء من خطاب الله[٥].

---

(١) في ب: «واحدة».
(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالرفع، وقرأ الباقون بالخفض.
(٣) قرأ ابن عامر وعاصم بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع.
(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٥٢٣).
(٥) الكشاف (١٦/ ٢٥٨).

﴿٣٨﴾ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ **قيل**: هو جبريل عليه السلام، **وقيل**: ملَك عظيم يكون هو وحده صفًّا، والملائكة صفًّا، **وقيل**: **يعني**: أرواح بني آدم، فهو اسم جنس. و ﴿يَوْمَ﴾ **يتعلق** بـ﴿لاَ يَمْلِكُونَ﴾، أو بـ﴿لاَّ يَتَكَلَّمُونَ﴾.

﴿لاَّ يَتَكَلَّمُونَ﴾ الضمير للملائكة والروح؛ أي: تمنعهم الهيبة من الكلام[1] إلا بعد أن يأذن الله لهم، **وقول الصواب** يكون في ذلك الموطن على هذا. **وقيل**: الضمير للناس خاصة، **والصواب المشار إليه**: قول: «لا إله إلا الله»؛ أي: من قالها في الدنيا.

﴿٣٩﴾ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: الحق وجوده ووقوعه.

﴿فَمَن شَآءَ﴾ تحضيضٌ وترغيب.

﴿٤٠﴾ ﴿عَذَاباً قَرِيباً﴾ **يعني**: عذاب الآخرة، **ووصفَه بالقرب** لأن كل آت قريب، أو لأن الدنيا على آخرها.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ **المرء هنا**: عموم في المؤمن والكافر، **وقيل**: هو المؤمن، **وقيل**: هو الكافر. **والعموم أحسن**؛ لأن كل أحد يرى ما عمل، كقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآيةَ [الزلزلة: ٨].

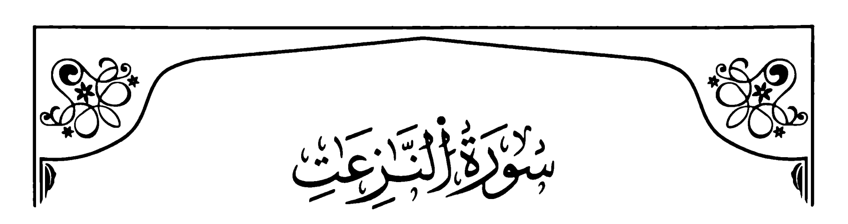
﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰباً﴾ تمنى أن يكون يوم القيامة ترابًا فلا يحاسب ولا يجازَى، **وقيل**: تمنى أن يكون في الدنيا ترابًا؛ أي: لم يخلق. **وروي** أن البهائم تحشر؛ ليقتصَّ لبعضها من بعض، ثم تُردُّ ترابًا، فيتمنى الكافر أن يكون مثلها[2]، **وهذا يقوِّي الأول. وقيل**: الكافر هنا: إبليس، يتمنى أن يكون[3] من تراب مثل آدم وذريته لما رأى ثوابهم، وقد كان احتقر التراب في قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١١].

---

(١) في ب: «كلام الله».

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٤)، والحاكم (٨٧١٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٥)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في د زيادة: «يوم القيامة».



سُورَةُ ٱلنَّٰزِعَٰتِ

وَالنَّٰزِعَٰتِ غَرْقاً ﴿١﴾ وَالنَّٰشِطَٰتِ نَشْطاً ﴿٢﴾ وَالسَّٰبِحَٰتِ سَبْحاً ﴿٣﴾ فَالسَّٰبِقَٰتِ سَبْقاً ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَٰتِ أَمْراً ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ إِذَا كُنَّا عِظَٰماً نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلَ أَتَيٰكَ حَدِيثُ مُوسَيٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَيٰهُ رَبُّهُۥ بِالْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ إِذْهَبِ إِلَيٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَيٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَيٰ أَن تَزَّكَّيٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَيٰ رَبِّكَ فَتَخْشَيٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَيٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَيٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَيٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَيٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَيٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَيٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَالْأُولَيٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَيٰ ﴿٢٦﴾

اختُلف في معنى النَّازعات والنَّاشطات والسَّابقات والسَّابحات والمدبِّرات، فقيل: إنها الملائكة، وقيل: النجوم.

فعلى القول بأنها الملائكة: سماهم نازعات؛ لأنهم ينزعون نفوس بني آدم من أجسادهم(١). وناشطات؛ لأنهم يَنشِطونها؛ أي: يُخرجونها، فهو من قولك: نَشَطتُ الدلوَ من البئر: إذا أخرجتَها. وسابحات؛ لأنهم يَسبحون في سَيْرهم؛ أي: يسرعون، فيسبقون، فيدبِّرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسَبما يأمرهم الله.

وعلى القول بأنها النجوم: سماها نازعات؛ لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب. وناشطات؛ لأنها تَنشِط من برج إلى برج. وسابحات؛ لأنها تسبح في الفَلَك، ومنه: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] ، فتسبق في جريها، فتدبِّر أمرًا من علم الحساب.

---

(١) في ب، ج، د: «أجسادها».

وقال ابن عطية: لا أعلم خلافًا أن ﴿الْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾ الملائكة[1]، وحكىٰ الزمخشري فيها ما ذكرنا[2]. وقد قيل في النَّازعات والنَّاشطات: إنها النفوس، تَنزِعُ من معنىٰ النَّزع بالموت، فتَنشِط من الأجساد. وقيل في السَّابحات والسَّابقات: إنها الخيل، وإنها السُّفن.

﴿١﴾ ﴿غَرْقاً﴾ إن قلنا: إن النازعات الملائكة: ففي معنىٰ ﴿غَرْقاً﴾ وجهان: أحدهما: أنه من الغرَق؛ أي: تُغرق الكفار في جهنم. والآخر: أنه من الإغراق في الأمر، بمعنىٰ المبالغة فيه؛ أي: تبالغ في نزع النفوس حتىٰ تخرجها من أقاصي الأجساد. وإن قلنا: إن النازعات النجوم: فهو من الإغراق بمعنىٰ المبالغة؛ أي: تبالغ في نزعها فتقطع الفلَك كله. وإن قلنا: إنها النفوس: فهو أيضًا من الإغراق؛ أي: تُغرق في الخروج من الجسد.

وإعراب ﴿غَرْقاً﴾ مصدر في موضع الحال، و﴿نَشْطاً﴾ و﴿سَبْحاً﴾ و﴿سَبْقاً﴾: مصادر، و﴿أَمْراً﴾ مفعول به.

وجواب القسم: محذوف، وهو بعث الموتىٰ، بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة. وقيل: الجواب: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ علىٰ تقدير حذف لام التأكيد[3]. وقيل: هو: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝﴾ وهذا بعيد؛ لبعده عن القَسَم، ولأنه إشارة إلىٰ قصة فرعون، لا لمعنىٰ القسم.

﴿٦﴾-﴿٧﴾ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ قيل: الرَّاجفة: النفخة الأولىٰ في الصور، والرَّادفة: النفخة الثانية؛ لأنها تتبعها، ولذلك سماها رادفة، من قولك: رَدِفتُ الشيءَ: إذا تبعتَه، وفي الحديث: «إن بينهما أربعين عامًا»[4].

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٥٢٧).

(٢) الكشاف (١٦/ ٢٦٤-٢٦٧).

(٣) كأنه قال: «لَيومَ». المحرر الوجيز (٨/ ٥٢٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٦) عن قتادة مرسلًا: «بين النفختين أربعون» قال أصحابه: فما سألناه عن ذلك، ولا زادنا علىٰ ذلك، غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة. وأخرج البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوما؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت. أي: أبيت أن أجزم. وانظر: فتح الباري (١١/ ٣٧٠).

وقيل: الراجفة: الموت، والرادفة: القيامة. وقيل: الراجفة: الأرض، من قوله: ﴿تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٣]، والرادفة: السماء لأنها تنشقُّ يومئذ.

والعامل في ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ محذوف، وهو الجواب المقدَّر، تقديره: «لتبعثن يوم ترجف الرجفة». وإن جعلنا: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ الجواب: فالعامل في ﴿يَوْمَ﴾ معنىٰ قوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾، ويكون: ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ في موضع الحال. ويحتمل أن يكون العامل فيه ﴿تَتْبَعُهَا﴾.

﴿٨﴾ ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي: شديدة الاضطراب، والوجيف والوجيب بمعنىٰ واحد. وارتفع ﴿قُلُوبٌ﴾ بالابتداء، و﴿وَاجِفَةٌ﴾ خبره، وقال الزمخشري: ﴿وَاجِفَةٌ﴾ صفة، والخبر: ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾[1].

﴿٩﴾ ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ كناية عن الذل والخوف. وإضافة الأبصار إلىٰ القلوب علىٰ تجوز، والتقدير: قلوبُ أصحابها[2].

﴿١٠﴾-﴿١١﴾ ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ إِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ هذا حكاية قول الكفار في الدنيا. ومعناه علىٰ الجملة: إنكار البعث، فالهمزة في قولهم: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ﴾ للإنكار، ولذلك اتفق القراء علىٰ قراءته بالهمزتين، إلا أن منهم من سهَّل الثانية ومنهم من حققها.

واختلفوا في ﴿إِذَا كُنَّا عِظَٰمًا﴾[3]، فمنهم من قرأه بهمزة واحدة؛ لأنه ليس موضع استفهام ولا إنكار، ومنهم من قرأه بهمزتين؛ تأكيدًا للإنكار المتقدم.

ثم اختلف في معنىٰ ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾ علىٰ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الحالة الأولىٰ، يقال: «رجع فلان في حافرته»: إذا رجع إلىٰ حاله[4] الأولىٰ، فالمعنىٰ: أئنا لمردودون إلىٰ الحياة بعد الموت؟ والآخر: أن الحافرة: الأرض،

---

(١) الكشاف (١٦/ ٢٧٢).

(٢) كذا في النسخ الخطية! ولعله سبق قلم، والصواب: «أبصارُ أصحابِها». الكشاف (١٦/ ٢٧٢).

(٣) قرأ نافع وابن عامر والكسائي بهمزة واحدة، وقرأ الباقون بهمزتين.

(٤) في ب، د: «حالته».

بمعنىٰ محفورة، **فالمعنىٰ**: أئنا لمردودون إلىٰ وجه الأرض بعد الدفن في القبور؟ **والثالث**: أن الحافرة: النار.

والعظام النَّخِرة: البالية المتعفِّنة[1]. وقرئ ﴿نَّخِرَةً﴾ بألف، وبحذف الألف[2]، وهما بمعنىٰ واحد؛ إلا أن حذف الألف أبلغ؛ لأن «فَعِلَ» أبلغُ من «فَاعِل». **وقيل**: معناه: العظام المجوَّفة التي تمر[3] بها الريح فيُسمع لها نخير.

والعامل في ﴿إِذَا كُنَّا﴾ محذوف، تقديره: إذا كنا عظامًا نبعث؟ **ويحتمل** أن يكون العامل فيه: ﴿مَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ ، ولكن إنما يجوز هذا علىٰ قراءة ﴿إِذَا كُنَّا﴾ بهمزة واحدة علىٰ الخبر، ولا يجوز علىٰ قراءته بهمزتين؛ لأن همزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها.

(١٢) ﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ **الكَرَّة**: الرَّجعة. **والخاسرة**: منسوبة إلىٰ الخسران، كقوله: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢٠]؛ أي: ذات رضا، أو معناه: خاسرٌ[4] أصحابها. **ومعنىٰ هذا الكلام**: أنهم قالوا: إن كان البعث حقًّا فكرَّتنا خاسرة؛ لأنَّا ندخل النار.

(١٣) ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ **يعني**: النفخة في الصور للقيام من القبور. وهذا من كلام الله تعالىٰ؛ ردًّا علىٰ الذين أنكروا البعث، كأنه يقول: لا تظنوا أنه صعب علىٰ الله بل هو عليه يسير، فإنما يُنفخ[5] في الصور نفخةٌ واحدة فيقوم الناس من قبورهم.

(١٤) ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ ﴿إِذَا﴾ هنا فجائية، **والسَّاهرة**: وجه الأرض، **والباء**: ظرفية. **والمعنىٰ**: إذا نفخ في الصور حصلوا بالأرض أسرعَ شيء.

(١٥) ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ توقيفٌ وتنبيه، وليس المراد به مجرد الاستفهام.

---

(١) في ب، ج، د: «المتفتتة».

(٢) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بالألف، وقرأ الباقون بغير ألف.

(٣) في أ، هـ: «يمر».

(٤) في ب: «خسر».

(٥) في أ، هـ: «ننفخ».

(١٦) ﴿طُوًى﴾ ذكر في «طه»[1].

(١٧) ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ تفسير للنداء.

(١٨) ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ أن تتطهَّر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل، **وقال بعضهم**: ﴿تَزَكَّىٰ﴾: تُسْلم، **وقيل**: تقول: «لا إله إلا الله»، **والأول أعمُّ**.

(٢٠) ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ قلبَ العصا حية، وإخراج يده بيضاء، وجعَلهما واحدةً؛ لأن الثانية تبعٌ للأولىٰ، ويَحتمل أن يريد الأولىٰ وحدها.

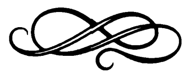
(٢٢) ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ **الإدبار**: كناية عن إعراضه عن الإيمان، و﴿يَسْعَىٰ﴾ عبارة عن جدِّه في الكفر، وفي إبطال أمر موسىٰ عليه السلام. **وقيل**: هو حقيقة؛ أي: قام من مجلسه يفرُّ من مُجالسة موسىٰ عليه السلام، أو يهرب من العصا لما صارت ثعبانًا.

(٢٣) ﴿فَحَشَرَ﴾ أي: جمع جنوده وأهل مملكته.

﴿فَنَادَىٰ﴾ أي: نادىٰ قومه وقال لهم ما قال، **ويحتمل أنه** ناداهم بنفسه، أو أمر من يناديهم، **والأول أظهر**، وقد روي أنه قام فيهم خطيبًا فقال ما قال[2].

(٢٥) ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ **النَّكال**: مصدر بمعنىٰ التنكيل، والعامل فيه ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾ ؛ لأنه بمعناه، **وقيل**: العامل محذوف[3].

و﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾ هي: دار الآخرة، ﴿وَٱلْأُولَىٰٓ﴾: الدنيا، **فالمعنىٰ**: نكال الآخرة بالنار، ونكال الأولىٰ بالغرق. **وقيل**: ﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، ﴿وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، **وقيل**: بالعكس، **فالمعنىٰ**: أخذه الله وعاقبه علىٰ كلمته الآخرة وكلمته الأولىٰ.



(١) انظر تفسير الآية (١١).

(٢) ذكره في الكشاف (١٦/ ٢٧٨).

(٣) وهو فعل مضمر من لفظ «نكال»، كأنه قال: نكَّله نكالَ. المحرر الوجيز (٨/ ٥٣٢).

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ *يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

﴿٢٧﴾ ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ هذا توقيف قُصد به الاستدلال على البعث؛ فإن الذي خلق السماء قادر على خلق الأجساد بعد فنائها.

﴿٢٨﴾ ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ **السَّمْك**: غِلَظ السماء، وهو الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها، ومعنى رَفْعِه: أنه جعله مسيرة خمس مئة عام. وقيل: السَّمْك: السقف.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي: أتقن خِلْقتها، وقيل: جعلها مستوية ليس فيها مرتفَع ولا منخفَض.

﴿٢٩﴾ ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي: جعله مظلمًا، يقال: غطَش الليلُ: إذا أظلم، وأغطشه الله.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ أي: أظهر ضوء الشمس في وقت الضحى. وأضاف الليل والضحى إلى السماء من حيث إنهما ظاهران منها وفيها.

﴿٣٠﴾ ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ أي: بسَطها. واستدل بها من قال: إن الأرض بسيطة غير كُرِيَّة. وقد ذكرنا في «**فصلت**» الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت: ١٠].

﴿٣١﴾ ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ نسب الماء والمرعى إلى الأرض؛ لأنهما يخرجان منها.

فإن قيل: لم قال: ﴿أَخْرَجَ﴾ بغير حرف العطف؟

فالجواب: أن هذه الجملة في موضع الحال، أو تفسيرٌ لما قبلها، **قاله الزمخشري**[١].

(٣٢) ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ أي: أثبتها. ونصْبُ ﴿الْجِبَالَ﴾ بفعل مضمر يدل عليه الظاهر، وكذلك ﴿الأَرْضَ﴾.

(٣٣) ﴿مَتَٰعاً لَّكُمْ﴾ تقديره: فعل ذلك كله تمتيعًا لكم ولأنعامكم؛ لأن بني آدم والأنعام ينتفعون بكل ما ذكر.

(٣٤) ﴿اَلطَّآمَّةُ﴾ هي القيامة، **وقيل**: النفخة الثانية، واشتقاقها من قولك: طمَّ الأمرُ: إذا علا وغلَب.

(٣٦) ﴿وَبُرِّزَتِ اِلْجَحِيمُ لِمَنْ يَّرَىٰ﴾ أي: أُظهرت لكل من يرىٰ، فهي لا تخفىٰ علىٰ أحد.

(٣٩) ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ ذكر في سورة «**الرحمن**»[٢].

﴿وَنَهَى اَلنَّفْسَ عَنِ اِلْهَوَىٰ﴾ أي: ردَّها عن شهواتها وأغراضها الفاسدة. **قال بعض الحكماء**: إذا أردت الصَّواب فانظر هواك وخالفْه. **وقال سهلٌ التُّستري**: لا يَسلم من الهوىٰ إلا الأنبياء وبعض الصديقين.

(٤١) ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ ذكر في «**الأعراف**»[٣].

(٤٢) ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرِيٰهَآ﴾ أي: من ذِكْر[٤] زمانها، **والمعنىٰ**: لست في شيء من ذكر ذلك، **قالت عائشة** ﵂: «كان رسول الله ﷺ يَسأل عن الساعة كثيرًا، فلما نزلت هذه الآية انتهىٰ»[٥].

(٤٣) ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَيٰهَآ﴾ أي: منتهىٰ علمها، لا يعلم متىٰ تكون إلا هو وحده.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٢٨١-٢٨٢).
(٢) انظر تفسير الآية (٤٥).
(٣) انظر تفسير الآية (١٨٧).
(٤) في ب: «ذكرىٰ».
(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٩٩)، والحاكم (٧) وصححه وسكت عنه الذهبي.

(٤٤) ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ أي: إنما بُعثت لتنذر بها، وليس عليك الإخبار بوقتها. وخَصَّ الإنذار بمن يخشاها؛ لأنه هو الذي ينفعه الإنذار.

(٤٥) ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ أخبر أنهم إذا رأوا الساعة ظنوا أنهم لم يلبثوا في الدنيا أو في القبور إلَّا عشيةَ يوم أو ضحىٰ يوم. وأضاف الضحىٰ إلىٰ العشية؛ لما بينهما من الملابسة؛ إذ هما في يوم واحد.





سورة عبس

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

سبب نزول صدر هذه السورة: أن رسول الله ﷺ كان حريصًا علىٰ إسلام قريش، وكان يدعو أشرافهم إلىٰ الله تعالىٰ ليسلموا، فيُسلم بإسلامهم غيرُهم، فبينما هو يومًا مع رجل من عظمائهم -قيل: هو الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة بن ربيعة، وقيل: أمية بن خلف، وقال ابن عباس ﷺ: كانوا جماعة- إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمىٰ ﷺ، فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، وكرر ذلك وهو لا يعلم بتشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطع الأعمىٰ لكلامه، فعبس وأعرض عنه، وذهب الرجل الذي كان مع

رسول الله ﷺ، فنزلت الآية[١].

فكان رسول الله ﷺ إذا رأىٰ عبد الله بن أم مكتوم بعد ذلك يقول: «**مرحبا بمن عاتبني فيه ربي**»، ويبسط له رداءه[٢]، وقد استخلفه علىٰ المدينة مرتين.

﴿١﴾ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أي: عبس في وجه الأعمىٰ وأعرض عنه.

قال ابن عطية: في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العتْب؛ لأن في ذلك بعض الإعراض[٣]، **وقال الزمخشري**: في الإخبار بالغَيبة زيادة في الإنكار[٤]، **وقال غيرهما**: هو إكرامٌ للنبي ﷺ وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب، **وهذا أحسن**.

﴿٢﴾ ﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ في موضع مفعول من أجله، وهو منصوب بـ﴿تَوَلَّىٰٓ﴾ أو ﴿عَبَسَ﴾.

وذِكْر ابن أم مكتوم بلفظ الأعمىٰ؛ ليدل أن عماه هو الذي أوجب احتقاره. وفي هذا دليل علىٰ أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كان لمنفعة، أو يُشْهَرُ صاحبُها بها، ومنه قول المحدِّثين: سليمان الأعمش، وعبد الرحمن الأعرج وغير ذلك.

﴿٣﴾ ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ أي: أيُّ شيء يُطْلعك علىٰ حال هذا الأعمىٰ ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾؛ أي: يتطهَّر وينتفع في دينه بما يسمع منك.

﴿٥﴾ـ﴿٦﴾ ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ أي: تتعرَّض[٥] للغني؛ رجاء أن يسلم.

﴿٧﴾ ﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ أي: لا حرج عليك إذ أن لا[٦] يتزكَّىٰ هذا الغني.

﴿٨﴾ ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ﴾ إشارة إلىٰ عبد الله ابن أم مكتوم ﷺ، ومعنىٰ ﴿يَسۡعَىٰ﴾: يسرع في مشيه من حرصه علىٰ طلب الخير.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٠٣) من طريق العوفي عن ابن عباس ﷺ.
(٢) ذكره الثعلبي (٢٨/ ٤١٧) دون نسبة، وذكره مكي بن أبي طالب في الهداية (٨٠٥٣) من قول سفيان الثوري.
(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٥٣٦).
(٤) الكشاف (١٦/ ٢٩١).
(٥) في أ، ج، هـ: «يتعرَّض».
(٦) في أ، ب: «إذ لا».

(٩) ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ أي: يخشىٰ الله، أو يخاف الكفار وإذايتهم له علىٰ إتيانك، **وقيل**: جاء وليس معه من يقوده، فكان يخشىٰ أن يقع، وهذا ضعيف.

(١٠) ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ أي: تشتغل عنه بغيره، من قولك: لَهِيتُ عن الشيء: إذا تركتَه. **وروي** أن رسول الله ﷺ تأدَّب بما أدبه الله في هذه السورة فلم يُعرض بعدها عن فقير ولا تعرَّض لغني، وكذلك اتَّبعه فضلاء العلماء، فكان الفقراء في مجلس سفيان الثوري كالأمراء، وكان الأغنياء يتمنَّون أن يكونوا فقراء.

(١١) (١٢) ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ عن معاودة ما وقع العتاب فيه.

﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ فيه وجهان: **أحدهما**: إن هذا الكلام المتقدِّم تذكرةٌ؛ أي: موعظة للنبي ﷺ. **والآخر**: إن القرآن تذكرة لجميع الناس، فلا ينبغي أن يُؤثَر فيه أحد علىٰ أحد، **وهذا أرجح**؛ لأنه يناسبه: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ وما بعده.

وأنَّث الضمير في قوله: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ علىٰ معنىٰ: القصة، أو الموعظة، أو السورة، أو القراءة، وذكَّره في قوله: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ علىٰ معنىٰ: الوعظ، أو الذكر، أو القرآن.

(١٣) ﴿فِي صُحُفٍ﴾ صفة لـ﴿تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي: ثابتة في صحف، وهي الصحف المنتسَخة من اللوح المحفوظ، وقيل: هي مصاحف المسلمين.

(١٤) ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ **إن كانت الصحف المصاحف**: فمعناه مرفوعة المقدار، **وإن كان صحف الملائكة**: فمعناه كذلك، أو مرفوعة في السماء. و﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ أي: منزَّهة عن أيدي الشياطين.

(١٥) ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ هم الملائكة، **والسَّفَرة**: جمع سافر؛ وهو الكاتب؛ لأنهم يكتبون القرآن في الصحف، **وقيل**: لأنهم سفراء بين الله وبين عباده. **وقيل**: يعني: القرَّاء من الناس، **والأول أرجح**، وقد قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة»[١]، أي: أنه يعمل مثل عملهم في كتابة القرآن وتلاوته، أو له من الأجر على القرآن مثل أجورهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(١٧) ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ دعاءٌ عليه؛ علىٰ ما جرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ، **ومعناه**: تقبيح حاله، وأنه ممن يستحق أن يقال له ذلك، **وقيل**: معناه: لُعِن، **وهو بعيد**.

﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ تعجُّبٌ[١] من شدَّة كفره، مع أنه كان يجب عليه خلاف ذلك.

(١٨) (١٩) ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ توقيف وتقرير، ثم أجاب عنه بقوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾ يعني: المنيَّ. **ومقصد الكلام**: تحقير الإنسان، وأنه يجب عليه أن يعظِّم الرب الذي خلقه.

﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾ أي: هيأه لما يَصلُح له، ومنه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، **وقيل**: معناه: جعله علىٰ مقدار معلوم في أعضائه وأجله ورزقه وغير ذلك.

(٢٠) ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ نصب ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ بفعل مضمر فسَّره ﴿يَسَّرَهُۥ﴾.

وفي معناه ثلاثة أقوال: أحدها: يسَّر سبيل خروجه من بطن أمه. **والآخر**: أنه سبيل الخير أو الشر، كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]. **الثالث**: سبيل النظر السَّديد المؤدي إلىٰ الإيمان، **والأول أرجح**؛ لعطفه علىٰ قوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾، **وهو قول ابن عباس** رضي الله عنهما[٢].

(٢١) ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ أي: جعله ذا قبر، يقال: قَبَرتُ الميت: إذا دفنتَه، وأقبرتُه: إذا أمرتَ أن يُدفَن.

(٢٢) ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ أي: بعثه من قبره، يقال: نشَر الميتُ: إذا قام، وأنشَره اللهُ. والإشارة بـ﴿إِذَا شَآءَ﴾ ليوم القيامة، أي: الوقت الذي قدَّر أن يَنشره فيه.

(٢٣) ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ للإنسان عما هو فيه.

﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ أي: لم يقض الإنسان -علىٰ تطاول عمره- ما أمره الله. **قال بعضهم**: لا يقضي أحدٌ أبدًا جميع ما افترض الله عليه[٣]؛ إذ لا بدَّ للعبد من تفريط.

---

(١) في أ: «تعجيب».

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ١١١) من طريق العوفي عنه.

(٣) قاله مجاهد فيما أخرجه الطبري عنه (٢٤/ ١١٤).

﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ أمرٌ بالاعتبار في الطعام؛ كيف خلقه الله بقدرته، ويسَّره برحمته، فيجب على العبد طاعتُه وشكره، ويَقبُح معصيته والكفر به. وقيل: فلينظر إلى طعامه إذا صار رجيعًا؛ فيرى حقارة الدنيا وخساسة نفسه، والأول أشهر وأظهر في معنى الآية، على أن القول الثاني صحيح. وانظر كيف فسَّره بقوله: ﴿إِنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ وما بعده؛ ليعدِّد النعم ويظهر القدرة.

وقرئ ﴿أَنَّا صَبَبْنَا﴾ بفتح الهمزة[1]؛ على البدل من الطعام.

﴿٢٦﴾ ﴿شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ يعني: بخروج النبات منها.

﴿٢٧﴾ ﴿حَبًّا﴾ يعني: القمح والشعير وسائر الحبوب.

﴿٢٨﴾ ﴿وَقَضْبًا﴾ قيل: هي الفِصْفِصة[2]، وقيل: علف البهائم، واختار ابن عطية: أنها البقول وشبهها مما يؤكل رَطبًا[3].

﴿٣٠﴾ ﴿غُلْبًا﴾ أي: غليظة ناعمة.

﴿٣١﴾ ﴿وَأَبًّا﴾ الأبُّ: المرعى عند ابن عباس رضي الله عنهما[4] والجمهور، وقيل: التِّبْن[5]، وقد توقف في تفسيره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[6].

﴿٣٣﴾ ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ من أسماء القيامة، وهي مشتقة من قولك: صخَّ الآذانَ: إذا أصمَّها بشدة صياحه، فكأنه إشارة إلى النفخة في الصور، أو إلى شدة الأمر حتى يَصِخُّ[7] من يسمعه

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها.

(٢) هي نَبات كالبرسيم. المعجم الوسيط.

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٥٤١).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠١)، وابن خزيمة (٢١٧٢)، والحاكم (٦٢٩٧) وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) في ج، د: «التين» بالياء، والمثبت هو الصواب، كما في تفسير الثعلبي الكشاف والبيان (١٠/ ١٣٣).

(٦) أثر أبي بكر رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٧٣١)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٣٧٥).
وأثر عمر رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٧٢٩)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٣٧٥)، والطبري (٢٤/ ١٢٠)، والحاكم (٣٨٩٧) وصححه ووافقه الذهبي.

(٧) في د: «يصم».

لصعوبته. **وقيل**: هي من قولك: أصاخ للحديث: إذا استمعه، **والأول هو الموافق للاشتقاق**.

﴿٣٤﴾-﴿٣٧﴾ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنَ أَخِيهِ﴾ الآيةَ، ذكر فرار الإنسان من أحبابه، ورتَّبهم على ترتيب الحنُوِّ والشفقة، فبدأ بالأقل وختم بالأكثر؛ لأن الإنسان أشد شفقة على بنيه مِن كلِّ مَن تقدم ذكره؛ وإنما يفرُّ منهم لاشتغاله بنفسه.

وقيل: إن فراره منهم؛ لئلا يطالبوه بالتَّبِعات، **والأول أرجح وأظهر**؛ لقوله: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي: هو مشغول بشأنه من الحساب والثواب والعقاب، حتى لا يسعه ذكر غيره، وانظر قول الأنبياء عليهم السلام يومئذ: «**نفسي نفسي**»[1].

﴿٣٨﴾ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ أي: مضيئة من السُّرور، وهو من قولك: أسفر الصبح: إذا أضاء.

﴿٤٠﴾ ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ أي: غبار، **والقترة أيضًا**: الغبار، **فقال ابن عطية**: **الغبرة**: هي من العُبوس والكرب، كما يعتري وجهَ المهموم والمريض، **والقترة**: هي غبار الأرض[2]، **وقال الزمخشري**: **الغبرة**: غبار يعلوها، **والقترة**: سواد، فيعظم قبحها[3] باجتماع الغبار والسواد[4].

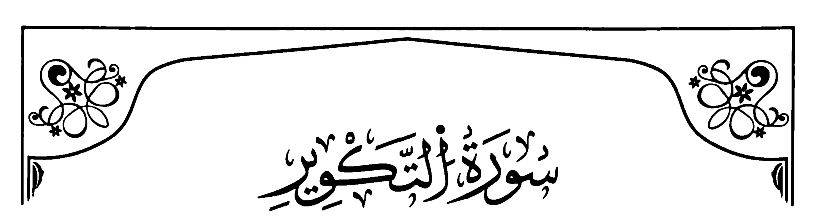
---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٤٣).

(٣) في ج: «قبحهم».

(٤) الكشاف (١٦/ ٣٠٣).



ذكر الله في هذه السورة أهوال القيامة، وما يعتري الموجودات حينئذ من التغيير.

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿١﴾ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ **ابن عباس** رضي الله عنهما: ذهب ضوؤها فأظلمت[1]، **وقيل**: رمي بها، **وقيل**: اضمحلَّت، وأصله من تكوير العمامة؛ لأنها إذا لُفَّت زال انبساطها وصغر جِرْمها.

﴿٢﴾ ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ أي: تساقطت من مواضعها، **وقيل**: تغيَّرت، **والأول أرجح**؛ لأنه موافق لقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]. **وروي** أن الشمس والنجوم تُطرح في جهنم؛ ليراها من عبدها[2]، كما قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٥) وكما في تفسير ابن كثير (٨/ ٣٣٠) عن يزيد بن أبي مريم عن أبيه عن النبي ﷺ، قال ابن رجب: «غريب جدًّا، وأبو بكر بن أبي مريم فيه ضعف» (مجموع رسائل ابن رجب ٤/ ٢٣٢).

﴿٣﴾ ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أي: حُملت، وبعد ذلك تُفَتُّ[1] فتصير هباء ثم تتلاشىٰ.

﴿٤﴾ ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ **العشار**: جمع عُشَراء، وهي الناقة الحامل التي مر لحملها عشرة أشهر، وهي أنفسُ ما عند العرب وأعزُّها، فلا تُعطَّل إلا من شدة الهول. **وتعطيلها**: هو تركها مسيَّبة، أو ترك حلبها.

﴿٥﴾ ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي: جُمعت، **وفي صفة حشرها ثلاثة أقوال: أحدها**: أنها تحشر؛ أي: تبعث يوم القيامة، ليقتصَّ لبعضها من بعض ثم تكون ترابًا. **والآخر**: أنها تحشر بموتها دَفعة واحدة عند هول القيامة، **قاله ابن عباس** رضي الله عنهما، وقال: إنها لا تُبعث، وإنه لا يَحضر القيامةَ إلا الإنس والجن[2]. **والثالث**: أنها تُجمع في أول أهوال القيامة وتفرُّ في الأرض، فذلك حشرها.

﴿٦﴾ ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ **فيه ثلاثة أقوال: أحدها**: ملئت وفجِّر بعضها إلىٰ بعض حتىٰ تعود بحرًا واحدًا. **والآخر**: مُلئت نيرانًا؛ لتعذيب أهل النار. **والثالث**: فُرِّغت من مائها ويَبست.

وأصله: من سجَّرتُ التنور: إذا ملأتَها، **فالقول الأول والثاني**: أليق بالأصل، **والأول والثالث**: موافق لقوله ﴿فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

﴿٧﴾ ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ **فيه ثلاثة أقوال: أحدها**: أن التزويج بمعنىٰ التنويع؛ لأن الأزواج هي الأنواع، **فالمعنىٰ**: جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن. **والآخر**: زوِّجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين. **والثالث**: زوجت الأرواح والأجساد؛ أي: رُدَّت إليها عند البعث، **والأول هو الراجح**؛ لأنه مروي عن النبي ﷺ[3]، وعن عمر بن الخطاب[4] وابن عباس[5].

---

(١) في ب: «تفتتت»، وفي د: «تفتت».

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٣٦)، والحاكم (٣٩٠١) وصححه ووافقه الذهبي، من طريق عكرمة عنه.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٤٢) وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٠) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٤١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٤)، وابن أبي شيبة (٣٥٦٣٣)، والحاكم (٣٩٠٢) وصححه ووافقه الذهبي، عن النعمان عن عمر رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٤٣) من طريق العوفي عنه.

﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ **الموؤودة:** هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حية من كراهته لها، ومن غَيرته عليها، فتُسأل يوم القيامة: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ علىٰ وجه التوبيخ لقاتلها.

وقرأ ابن عباس ﭭ: «وإذا الموؤودة سَأَلَتْ» -بفتح السين والهمزة- «بأيِّ ذنبٍ قُتِلْتُ» -بضم القاف وسكون اللام وضم التاء-[١]. واستدل ابن عباس ﭭ بهذه الآية علىٰ أن أولاد المشركين في الجنة[٢]؛ لأن الله ينتصر لهم ممن ظلمهم.

﴿١٠﴾ ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ هي صحف الأعمال، تنشر ليقرأ كل أحد كتابه، **وقيل:** هي الصحف التي تتطاير بالأيمان والشمائل بالجزاء.

﴿١١﴾ ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ **الكَشْطُ:** هو التقشير، كما يُكشط جلدة الشاة حين تسلخ. وكشط السماء: هو طيها كطي السجل، **قاله ابن عطية**[٣]، **وقيل:** معناه كُشفت، وهذا أليق بالكشط.

﴿١٢﴾ ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أي: أوقدت وأُحميت[٤].

﴿١٣﴾ ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي: قُرِّبت.

﴿١٤﴾ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ هذا جواب ﴿إِذَا﴾ المكررة في المواضع قبل هذا، ومعناه: علمت كل نفس ما أحضرت من عمل، فلفظ النفس مفرد يراد به الجنس والعموم. **قال ابن عطية:** إنما أفردها؛ ليبين حقارتها وذِلَّتها[٥]. **وقال الزمخشري:** هذا من عكس كلامهم الذي يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه، كقوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الحجر: ٢] ومعناه التكثير، وكذلك هنا معناه: أعم الجموع[٦]. و﴿مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ عبارة عن الحسنات والسيئات.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٨/ ٥٤٨)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٣٣٣).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٦).
(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٥٤٨).
(٤) في أ، هـ: «وحميت».
(٥) المحرر الوجيز (٨/ ٥٤٩).
(٦) الكشاف (١٦/ ٣١٣-٣١٤).

﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ ذكرت نظائره[1].

﴿بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ يعني: الدراريَّ السبعة، وهي الشمس والقمر وزُحَل وعُطَارد والمريخ والزُّهَرة والمشتري، وذلك أن هذه الكواكب تَخنس في جريها؛ أي: تتقهقر، فيكون النجم في البرج ثم يَكرُّ راجعًا، وهي جوارٍ في الفلك، وهي تَكنِس[2] في أبراجها؛ أي: تستتر، وهو مشتق من قولك: كَنَسَ الوحشِيُّ: إذا دخل كِنَاسَه، وهو موضعه.

وقيل: يعني: الدراريَّ الخمسة؛ لأنها تستتر بضوء الشمس. وقيل: يعني: النجوم كلها؛ لأنها تَخنس في جريها، وتكنس بالنهار؛ أي: تستتر وتخفَىٰ بضوء الشمس. وقيل: يعني: بقر الوحش، فـ﴿الْخُنَّسِ﴾ علىٰ هذا: من خنَسِ الأنف، و﴿ٱلْكُنَّسِ﴾ من سُكْناها في كِنَاسِها.

﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ يقال عسعس الليل: إذا كان غير مستحكم الظلام، فقيل: ذلك في أوله، وقيل: في آخره، وهذا أرجح؛ لأن آخر الليل أفضل[3]، ولأنه أعقبه بقوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي: استطار واتَّسع ضوؤه.

﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ الضمير للقرآن، والرسول الكريم: جبريل عليه السلام، وقيل: محمد ﷺ.

قال السهيلي: لا يجوز أن يقال إنه محمد ﷺ؛ لأن الآية نزلت في الرد علىٰ الذين قالوا: إن محمدًا قال القرآن، فكيف يخبر الله أنه قوله؟ وإنما أراد جبريل، وأضاف القرآن إليه؛ لأنه جاء به، وهو في الحقيقة قول الله تعالىٰ[4].

وهذا الذي قال السهيلي لا يلزم؛ فإنه قد يضاف إلىٰ محمد ﷺ؛ لأنه تلقاه عن جبريل عليه السلام، وجاء به إلىٰ الناس، ومع ذلك فالأظهر: أنه جبريل عليه السلام؛ لأنه وصفه بقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ وقد وصف جبريل عليه السلام بهذا في قوله: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ﴾[النجم: ٥-٦].

---

(١) انظر تفسير الآية (٧٨) من سورة الواقعة.
(٢) في أ، هـ: «تتكنس».
(٣) في هامش ب صححت: «أضوأ».
(٤) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٣٦٥).

﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ يتعلق بـ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾، وقيل: بـ﴿مَكِينٍ﴾ ، وهذا أظهر. والمكين: الذي له مكانة؛ أي: جاه وتقريب.

(٢١) ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ هذا الظرف إشارةٌ إلىٰ الظرف المذكور قبله، وهو قوله: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: مطاعٍ في ملائكة ذي العرش.

(٢٢) ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ هو محمد ﷺ باتفاق.

(٢٣) ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ ضمير الفاعل: لمحمد ﷺ، وضمير المفعول: لجبريل عليه السلام. وهذه الرؤية: هي رؤيته له بغار حراء علىٰ كرسي بين السماء والأرض، وقيل: هي الرؤية التي رآه عند سدرة المنتهىٰ في الإسراء.

ووصف هذا الأفق بالمبين؛ لأنه روي أنه كان في الشرق[(١)] من حيث تطلع الشمس، وأيضًا فكل أفق فهو مبين.

(٢٤) ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ الضمير للنبي ﷺ. ومن قرأ بالضاد[(٢)]: فمعناه بخيل؛ أي: لا يَبخَل بأداء ما أُلقي إليه من الغيب، وهو الوحي. ومن قرأ بالظاء: فمعناه متَّهم؛ أي: لا يُتَّهم علىٰ الوحي، بل هو أمين عليه، ورجَّح بعضهم هذه القراءة: بأن الكفار لم يَنسبوا رسول الله ﷺ إلىٰ البخل بالوحي، بل اتهموه، فنفَىٰ عنه ذلك.

(٢٥) ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ الضمير للقرآن.

(٢٦) ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ خطابٌ لكفار قريش؛ أي: ليس لكم زوال عن هذه الحقائق.

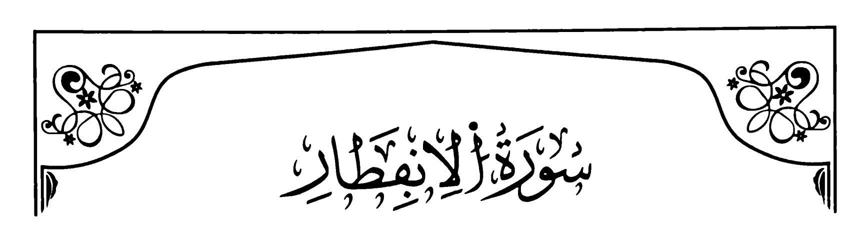
وقد تقدم تفسير بقية السورة في نظائره فيما تقدم[(٣)].

---

(١) في أ، هـ: «المشرق».

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء، وقرأ الباقون بالضاد.

(٣) انظر تفسير الآية (٥٢) من سورة القلم، وتفسير الآية (٥٤، ٥٥) من سورة المدثر، وتفسير الآية (٢٩، ٣٠) من سورة الإنسان.



سورة الانفطار

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

﴿١﴾ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ أي: انشقَّت.

﴿٢﴾ ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ أي: سقطت من مواضعها.

﴿٣﴾ ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي: فرِّغت، وقيل: فجِّر بعضها إلىٰ بعض فاختلطت.

﴿٤﴾ ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ أي: نُبشت عن الموتىٰ الذين فيها. وقال الزمخشري: أصله من البعث والبحث فضمت إليها الراء، والمعنىٰ: بُحثت وأخرج موتاها[١].

﴿٥﴾ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ هذا هو الجواب، ومعناه: علمت كل نفس جميع أعمالها، وقيل: ما قدمت في حياتها وما أخرت مما تركته بعد موتها من سُنَّة[٢] سنَّتها أو وصيَّة أوصت بها. وأفردت النفس والمراد بها العموم حسَبما ذكرنا في «التكوير»[٣].

﴿٦﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ خطابٌ لجنس بني آدم.

﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ هذا توبيخ وعتاب، معناه: أيُّ شيءٍ غرَّك بربك حتىٰ كفرت به،

---

(١) الكشاف (١٦/ ٣٢٣).

(٢) في أ، هـ: «حسنة».

(٣) انظر تفسير الآية (١٤).

أو عصيته، أو غفَلت عنه؟ فدخل في العتاب: الكفار وعصاة المؤمنين، ومن يغفُل عن الله في بعض الأحيان من الصالحين.

وروي أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ فقال: «غرَّه جهله»[1]. وقال عمر رضي الله عنه: «غرَّه جهله وحمقه»، وقرأ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [الأحزاب: ٧٢][2].

وقيل: غرَّه الشيطان المسلَّط عليه، **وقيل**: غرَّه ستر الله عليه، **وقيل**: غرَّه طمعه في عفو الله عنه، **ولا تعارض بين هذه الأقوال**؛ لأن كل واحد منها مما يغرُّ الإنسان، إلا أن بعضها يغرُّ قومًا وبعضها يغر قومًا آخرين.

فإن قيل: ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور؟ **فالجواب**: أن الكريم ينبغي أن يعبد ويطاع؛ شكرًا لإحسانه ومقابلةً لكرمه، ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمةَ[3] وأضاع الشكر الواجب.

﴿٧﴾ ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ بالتشديد والتخفيف[4]؛ أي: عدَّل أعضاءك وجعلها متوازنة[5]، فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى، ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى، ولا إحداهما كَحْلاء والأخرى زرقاء، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضه[6] أسود، وشبه ذلك من الموازنة.

﴿٨﴾ ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ المجرور يتعلَّق بـ ﴿رَكَّبَكَ﴾ ، و﴿مَّا﴾ زائدة، **والمعنى**: ركبك في أي صورة شاء من الحسن والقبح، والطول والقِصَر، والذكورة والأنوثة[7]، وغير ذلك من اختلاف الصور.

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (١٥١) والثعلبي (٢٩/ ١٢) عن صالح بن مسمار، قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ.. وذكره.

(٢) أخرجه وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٨) وانظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٢)، وليس فيه أنه قرأ آية الأحزاب، وإنما ذكر ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز (٨/ ٥٥٤).

(٣) في ب، د: «بالنعمة».

(٤) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد.

(٥) في أ، هـ: «متوازية».

(٦) في ج: «وبعضها».

(٧) في ب: «والذكورية والأنوثية».

ويحتمل أن يتعلق المجرور بمحذوف تقديره: ركبك حاصلًا في أي صورة. **وقيل**: يتعلق بـ﴿عَدَّلَكَ﴾ على أن يكون بمعنى صرَفك؛ أي: صرفك إلى أي صورة شاء، **وهذا** **بعيد**، ولا يتمكن إلا مع قراءة ﴿عَدَلَكَ﴾ بالتخفيف.

﴿٩﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن الغرور المذكور قبلُ، أو التكذيبِ المذكور بعدُ.

﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ هذا خطاب للكفار، **والدين هنا يحتمل** أن يكون بمعنى الشريعة، أو الحساب، أو الجزاء.

﴿١٠﴾ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ **يعني**: الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم.

﴿١٢﴾ ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يعلمون الأعمال بمشاهدتهم لها. **وأما ما لا يُرى ولا يسمع من الخواطر والنيات والذكر بالقلب**: فقيل: إن الله ينفرد بعلم ذلك، وقيل: إن الملك يجد لها ريحًا يدركها به.

﴿١٣﴾ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ **في هذه الآية وفيما بعدها من أدوات البيان: المطابقة** والترصيع[1].

﴿١٦﴾ ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ **فيه قولان: أحدهما**: أن معناه: لا يخرجون منها إذا دخلوها. **والآخر**: لا يغيبون عنها في البرزخ قبل دخولها؛ لأنهم يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا.

﴿١٧﴾ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ تعظيم له وتهويل، وكرَّره للتأكيد، **والمعنى**: أنه من شدته بحيث لا يدري أحدٌ مقدار هوله وعظَمته.

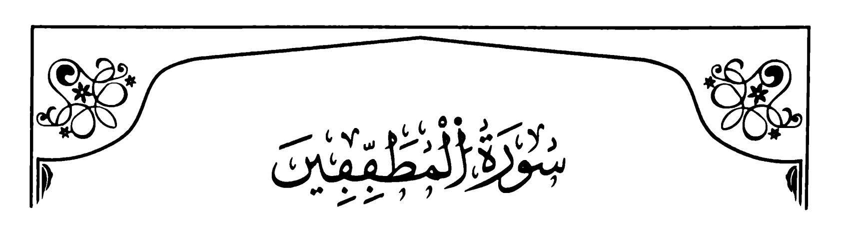
﴿١٩﴾ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي: لا يقدر أحد على منفعة أحد.

وقرئ ﴿يَوْمَ﴾[2]: **بالرفع** على البدل من ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾ ، أو على إضمار مبتدإ، **وبالنصب** على الظرفية بإضمار فعل تقديره: يُجازَون يوم الدين، أو النصب على المفعولية بإضمار فعل تقديره: اذكر، **ويجوز أن يفتح**؛ لإضافته إلى غير متمكِّن، وهو في موضع رفع.

---

(١) راجع الباب العاشر من المقدمة الأولى للكتاب.

(٢) قرأ أبو عمرو وابن كثير برفع الميم، وقرأ الباقون بالنصب.



سورة المطففين

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ *كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿١﴾ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ **التَّطفيف في اللغة**: هو البَخس والنَّقص، **فسَّره بذلك الزمخشري**[1]، **واختاره ابن عطية**[2]. **وقيل**: هو تجاوز الحد في زيادة أو نقصان، **واختاره ابن الفرس**[3]، **وهو أظهر**؛ لأن المراد به هنا: بخس حقوق الناس في المكيال والميزان، بأن يزيد الإنسان

(١) الكشاف (١٦/ ٣٣٣).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٥٧).

(٣) أحكام القرآن (٣/ ٦١٣).

علىٰ حقه أو يَنقص من حق غيره.

وسبب نزول السورة: أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان، يأخذ بالأوفىٰ ويعطي بالأنقص[1]، فالسورة علىٰ هذا مدنية[2]، **وقيل**: مكية؛ لذكر أساطير الأولين، **وقيل**: نزل بعضها بمكة، ونزل أمر التطفيف بالمدينة؛ إذ كانوا أشد الناس فسادًا في هذا المعنىٰ، فأصلحهم الله بهذه السورة.

(٢) ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾ معنىٰ ﴿ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: قبضوا منهم بالكيل، فـ﴿عَلَى﴾ بمعنىٰ «مِن»، وإنما أبدلت منها؛ لما تضمَّن الكلام من معنىٰ التحامل عليهم. ويجوز أن يتعلق ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بـ﴿يَسۡتَوۡفُونَ﴾، وقُدِّم المعمول لإفادة التخصيص.

(٣) ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ معنىٰ ﴿يُخۡسِرُونَ﴾: يَنقصون حقوقَ الناس، وهو من الخسارة، يقال: خَسرَ الرجلُ، وأَخسره غيرُه: إذا جعله يخسر.

و﴿كَالُوهُمۡ﴾ معناه: كالوا لهم، و﴿وَّزَنُوهُمۡ﴾ معناه: وزنوا لهم، ثم حذف حرف الجرِّ فانتصب المفعول؛ لأن هذين الفعلين يتعدَّىٰ كل واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف جرٍّ، يقال: كِلْتُكَ وكِلْتُ لك، ووَزنتك ووزنت لك بمعنىٰ واحد. وحُذف المفعول الثاني، وهو المكيل والموزون.

والواو التي هي ضمير الفاعل: للمطففين، و«هم» الذي هو ضمير المفعول: للناس. **فالمعنىٰ**: إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم طعامًا أو غيره مما يكال أو يوزن بخَسوهم[3] حقوقهم. **وقيل**: إن «هم» في قوله: ﴿كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ﴾ تأكيد للضمير الفاعل.

وقد روي عن حمزة أنه كان يقف علىٰ «كالوا» و«وزنوا» ثم يبتدئ «هم»؛ ليبين هذا المعنىٰ، وهو ضعيف من وجهين: **أحدهما**: أنه لم يثبت في المصحف ألف بعد الواو في «كالوا» و«وزنوا» فدلَّ ذلك علىٰ أن «هم» ضمير المفعول.

---

(١) في أ: «بالناقص».

(٢) قاله السدي فيما نقله عنه الثعلبي (٢٩/ ٣٦).

(٣) في د: «يخسرونهم».

والآخر: أن المعنىٰ علىٰ هذا: أن المطففين إذا تولوا الكيل أو الوزن نَقصوا، وليس ذلك بمقصود؛ لأن الكلام واقع في الفعل لا في المباشِر، ألَا ترىٰ أن ﴿ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ معناه: قبضوا منهم، و﴿كَالُوهُمۡ﴾ و﴿وَّزَنُوهُمۡ﴾ معناه: دفعوا لهم؛ فقابل القبض بالدفع، وأما علىٰ هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود.

قال ابن عطية: ظاهر الآية: أن الكيل والوزن علىٰ البائع وليس ذلك بالجلي، قال: وصدر الآية في المشترين، فهم الذين يستوفون؛ أي[1]: يشاحُّون ويطلبون الزيادة، وقوله: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ في البائعين؛ فهم الذين يُخْسِرون المشتري[2].

﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ **يعني:** يوم القيامة، وهذا تهديد للمطففين، وإنكار لفعلهم. وكان عبد الله بن عمر ﷺ إذا مر بالبائع يقول له: «**اتق الله!** وأوف الكيل، فإن المطففين يُوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن»[3].

﴿٦﴾ ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ **الظرف منصوب:** بقوله: ﴿مَّبۡعُوثُونَ﴾، **وقيل:** بفعل مضمر، **أو بدل** من ﴿يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾. وقيام الناس يوم القيامة علىٰ حسَب اختلافهم، فمنهم من يقوم خمسين ألف سنة وأقل من ذلك، حتىٰ إن المؤمن يقوم علىٰ قدر صلاة مكتوبة.

﴿٧﴾-﴿١٠﴾ ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ علىٰ التطفيف، أو افتتاحُ كلام.

﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ﴾ **كتاب الفجار:** هو ما يكتب من أعمالهم. **والفجار هنا يَحتمل أن يراد به الكفار،** أو المطففين وإن كانوا مسلمين، **والأول أظهر؛** لقوله بعد هذا: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

و﴿سِجِّينٞ﴾: اسم علَم منقول من صفة، علىٰ وزن فِعِّيل للمبالغة، وقد عظَّم أمره بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ﴾، ثم فسَّره بأنه: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ أي: مسطورٌ بيِّنُ الكتابة، وهو كتاب جامع يكتب فيه أعمال الشياطين والكفار والفجار، وهو مشتقٌّ من السِّجْن بمعنىٰ

---

(١) في د: «أو».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٥٨).

(٣) ذكره الثعلبي (٢٩/ ٤٣).

الحبس؛ لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم، أو لأنه مطروح في مكان الهوان والعذاب كالسجن، فقد روي عن النبي ﷺ: أنه في الأرض السفلىٰ[١]، وروي عنه: أنه في بئر هنالك[٢]، وحكىٰ كعب عن التوراة: «أنه في شجرة سوداء هنالك»[٣].

وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنىٰ الآية: أن عِدَاد[٤] الفجار في سجين؛ أي: كُتبوا هنالك في الأزل[٥].

﴿١٣﴾ ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ قد ذكر[٦].

﴿١٤﴾ ﴿بَلۡ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ أي: غطَّىٰ علىٰ قلوبهم ما كَسَبوا من الذنوب، فطمَس بصائرَهم، فصاروا لا يعرفون الرُّشد من الغي. وفي الحديث: «**إن العبد إذا أذنب ذنبًا صارت نكتة سوداء في قلبه، فإذا زاد ذنبًا آخر زاد السواد، فلا يزال كذلك حتىٰ يتغطىٰ، وهو الرَّين**»[٧].

﴿١٥﴾ ﴿لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ حجْبُ الكفار عن الله دليلٌ علىٰ أن المؤمنين لا يُحجبون عنه، وقد استدلَّ بها مالك والشافعي علىٰ صحة رؤية المؤمن لله في الآخرة، وتأولها المعتزلة أن معناها: محجوبون عن رحمته.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٩٧)، وأحمد (١٨٥٣٤)، وابن أبي شيبة (١٢١٨٥)، والثعلبي (٢٩/ ٤٦)، وهو ضمن حديث البراء بن عازب ﵁ الطويل في صفة نعيم القبر وعذابه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧٠): «ورجاله رجال الصحيح»، وصححه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٥٥)، وابن القيم في كتاب الروح (١/ ١١٥) وما بعدها.

(٢) أي في الأرض السابعة، ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٥٦٠)، ولم أقف عليه هكذا، وإنما ورد أنه في بئر في جنهم، أخرجه الطبري (٢٤/ ١٩٦) عن أبي هريرة ﵁ مرفوعًا: «**الفلق: جبٌّ في جهنم مغطىٰ، وأما سجين فمفتوح**»، وأورده ابن كثير في تفسيره (٨/ ٣٤٩) عن الطبري وقال: «حديث غريب منكر لا يصح».

(٣) أخرجه الثعلبي (٢٩/ ٥٢).

(٤) في أ، ب، د: «عدد»، والمثبت موافق لعبارة المحرر الوجيز.

(٥) المحرر الوجيز (٨/ ٥٥٩).

(٦) انظر تفسير الآية (٢٦) من سورة الأنعام.

(٧) أخرجه الطبري (١/ ٢٦٧) وصححه، وأحمد (٧٩٥٢)، والترمذي (٣٣٣٤) وصححه، والنسائي في الكبرىٰ (١٠١٧٩)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، والحاكم (٣٩٠٨) وصححه علىٰ شرط مسلم ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة ﵁.

﴿١٨﴾-﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ **عِلِّيُّون**: اسم علَم للكتاب الذي تكتب فيه الحسنات، وهو جمعٌ منقول من صفةٍ علىٰ وزنِ فِعِّيل للمبالغة، وقد عظَّمه بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾، ثم فسَّره بقوله: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾، وهو مشتقٌّ من العلوِّ؛ لأنه سببٌ في ارتفاع الدرجات في الجنة، أو لأنه مرفوع في مكان عَلِيٍّ، فقد روي عن النبي ﷺ أنه تحت العرش[١]، **وقال ابن عباس** رضي الله عنهما: هو[٢] الجنة[٣].

وارتفع ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ في الموضعين: علىٰ أنه خبر ابتداء مضمر، تقديره: هو كتاب، **وقال ابن عطية**: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ والظرف[٤] مُلغًىٰ[٥]. **وهذا تكلُّف يَفسد به المعنىٰ**.

وقد روي في الأثر ما يفسر الآية، وهو «**أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد، فإن رضيه الله قال: اجعلوه في عليين، وإن لم يرضه قال: اجعلوه في سجين**»[٦].

﴿٢١﴾ ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ **يعني**: الملائكة المقربين.

﴿٢٣﴾ ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ قد ذكر[٧].

﴿يَنظُرُونَ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ينظرون إلىٰ أعدائهم في النار**»[٨]، **وقيل**: ينظرون إلىٰ الجنة وما أعطاهم الله فيها.

---

(١) أخرجه الثعلبي (٢٩/ ٦٧) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وهو ضمن حديثه الطويل، ووردت هذه الزيادة بعض طرقه، وانظر ما سبق في تخريجه.

(٢) في ب زيادة: «في».

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٠٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٩).

(٤) الذي هو ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾، و﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾.

(٥) المحرر الوجيز (٨/ ٥٦٠).

(٦) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص: ١٥٣) من حديث ضمرة بن حبيب، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٩٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في ضمن حديث طويل في قصة الإسراء.

(٧) انظر تفسير الآية (٥٥) من سورة يس.

(٨) ذكره المهدوي في كتابه التحصيل (٧/ ٥٥) وابن عطية في المحرر الوجيز (٨/ ٥٦٣) دون إسناد، وذكر الثعلبي في تفسيره (٢٩/ ٧٢) من قول مقاتل.

﴿٢٤﴾ ﴿نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: بهجته ورَوْنقه، كما يُرىٰ في وجوه أهل الرفاهيَة والعافية. والخطاب في ﴿تَعْرِفُ﴾: للنبي ﷺ، أو لكل مخاطب من غير تعيين.

﴿٢٥﴾ ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ **الرَّحيق**: الخمر الصافية، **والمختوم**: قد فسَّره الله بأن ختامه مسك.

وقرئ ﴿خِتَـٰمُهُۥ﴾ بألف بعد التاء، و﴿خَاتَمُهُ﴾ بألف بعد الخاء، وبفتح التاء وكسرها[1].

وفي معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من الختم علىٰ الشيء، بمعنىٰ جعل الطَّابع عليه، **فالمعنىٰ**: أنه خُتم علىٰ فم الإناء الذي هو فيه بالمسك، كما يختم علىٰ أفواه آنية الدنيا بالطين إذا قصد حفظها وصيانتها.

الثاني: أنه من ختْم الشيء؛ أي: تمامه، فمعناه: خاتم شربه مسك؛ أي: يجد الشارب عند آخر شُربه رائحة المسك ولذَّته.

الثالث: أن معناه: مزاجه مسك؛ أي: يمزج الشراب بالمسك، **وهذا خارج عن اشتقاق اللفظ**.

﴿٢٦﴾ ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ **التنافس في الشيء**: هو الرغبة فيه، والمغالاة في طلبه، والتزاحم عليه.

﴿٢٧﴾ ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ ﴿تَسْنِيمٍ﴾: اسم علَمٍ لعين في الجنة، يشرب منها[2] المقربون صِرْفًا، ويُمزج منه الرحيق الذي يَشرب منه الأبرار، فدل ذلك علىٰ أن درجة المقربين فوق درجات الأبرار، فالمقربون هم السابقون، والأبرار أصحاب اليمين.

﴿٢٨﴾ ﴿عَيْنًا﴾ منصوب علىٰ المدح بفعل مضمر، أو علىٰ الحال من ﴿تَسْنِيمٍ﴾.

﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ بمعنىٰ: يشربها، فالباء زائدة، ويحتمل أن يكون بمعنىٰ: «يشرب منها»، أو كقولك: «شربت الماء بالعسل».

---

(١) قرأ الكسائي: ﴿خاتَمه﴾ بألف بعد الخاء وبفتح التاء -وقرئ في الشاذ بكسرها كما في المحرر الوجيز (٨/ ٥٦٤)-، وقرأ الباقون ﴿خِتامه﴾ بكسر الخاء من غير ألف وبألف بعد التاء.

(٢) في ب، د: «منه».

(٢٩) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ﴾ نزلت هذه الآية في صناديد قريش، كأبي جهل وغيره، مرَّ بهم عليُّ بن أبي طالب ﷺ وجماعة من المؤمنين، فضحكوا منهم واستخفوا بهم[1].

(٣٠) ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ معنىٰ ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾: يغمز بعضهم إلىٰ بعض ويشير بعينه. والضمير في ﴿مَرُّواْ﴾ يحتمل أن يكون: للمؤمنين أو للكفار، والضمير في ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ للكفار لا غير.

(٣١) ﴿فَكِهِينَ﴾ من الفَكاهة، وهي اللهو؛ أي: يتفكَّهون بذكر المؤمنين، والاستخفاف بهم، قاله الزمخشري[2]، ويحتمل أن يريد: يتفكَّهون بنعيم[3] الدنيا.

(٣٢) ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ أي: إذا رأىٰ الكفار المؤمنين نسبوهم إلىٰ الضلال، وقيل: إذا رأىٰ المؤمنون الكفار نسبوهم إلىٰ الضلال، والأول أظهر وأشهر.

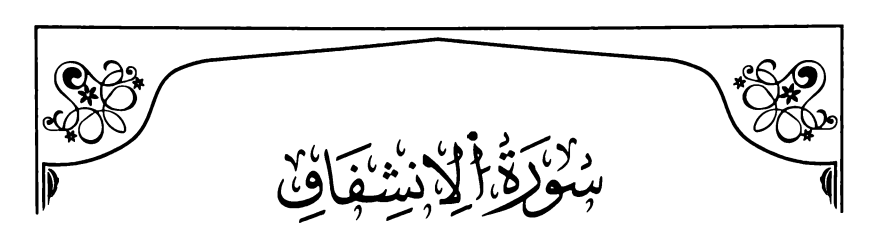
(٣٣) ﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾ أي: ما أرسل الكفار حافظين علىٰ المؤمنين يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدهم أو ضلالهم، فكأنه قال: كلامهم بالمؤمنين[4] فضول منهم.

(٣٤) ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ يعني: بـ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ يوم القيامة؛ إذ تقدم ذكره، فيضحك المؤمنون فيه من الكفار، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا.

(٣٦) ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ معنىٰ ﴿ثُوِّبَ﴾: جوزي، يقال: ثوَّبَه وأثابه: إذا جازاه. وهذه الجملة يحتمل أن تكون متصلة بما قبلها، في موضع معمول ﴿يَنظُرُونَ﴾، فتوصل مع ما قبلها، أو تكون توقيفًا، فيوقف قبلها، ويكون معمول ﴿يَنظُرُونَ﴾ محذوفًا، حسَبما ذكرنا في ﴿يَنظُرُونَ﴾ الذي قبل هذا، وهذا أرجح؛ لاتفاق الموضعين.

---

(١) قاله مقاتل والكلبي كما في تفسير الثعلبي (٢٩/ ٨٦).
(٢) الكشاف (١٦/ ٣٥١).
(٣) في ج، هـ: «بنعم».
(٤) في ب: «في المؤمنين».



إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُوراً ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُوراً ﴿١١﴾ وَيُصَلَّىٰ سَعِيراً ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُوراً ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَّحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيراً ﴿١٥﴾ ۞فَلَآ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَالَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اِتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُومِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمُۥٓ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

﴿١﴾ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ **اختُلف في هذا الانشقاق هل هو تشقُّقها**[1] بالغمام؟ أو انفتاحها أبوابًا؟ وجواب ﴿إِذَا﴾ محذوف؛ ليكون أبلغ في التهويل؛ إذ يقدِّر السامع أقصىٰ ما يتصوره، أو حذف للعلم به؛ اكتفاءً بما في سورة «**التكوير**» و«**الانفطار**» من الجواب.

وقيل: الجواب: ما دل عليه: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ ؛ أي: إذا السماء انشقَّت لقِي[2] الإنسان ربه، وقيل: الجواب: ﴿أَذِنَتْ﴾ علىٰ زيادة الواو، وهذا ضعيف.

﴿٢﴾ ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ معنىٰ ﴿أَذِنَتْ﴾ في اللغة: استمعت، وهو عبارة عن طاعتها لربها، وأنها انقادت إليه حين أراد انشقاقها، وكذلك طاعة الأرض لما أراد مدَّها وإلقاءَ ما فيها.

(١) في ب: «انشقاقها».

(٢) في ج، هـ: «لاقىٰ».

﴿وَحُقَّتْ﴾ أي: حُقَّ لها أن تسمع وتطيع لربها، أو حق لها أن تنشقَّ من أهوال القيامة. وهذه الكلمة من قولهم: «هو حقيقٌ بكذا»، أو «محقوقٌ به»؛ أي: يجب عليه أن يفعله. فالمعنىٰ: يحِقُّ علىٰ السماء أن تسمع وتطيع لربها، أو يحق عليها أن تنشق. ويحتمل أن يكون أصله: «حَقُقَتْ» بفتح الحاء وضم القاف علىٰ معنىٰ التعجُّب، ثم أدغمت القاف في القاف التي بعدها، ونقلت حركتها إلىٰ الحاء.

﴿٣﴾ ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي: زال ما عليها من الجبال حتىٰ صارت مستوية.

﴿٤﴾ ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أي: ألقت ما في جوفها من الموتىٰ، فخرجوا للحشر، وقيل: ألقت ما فيها من الكنوز، وهذا ضعيف؛ لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة، والمقصود ذكر يوم القيامة.

﴿وَتَخَلَّتْ﴾ أي: بقيت خالية مما كان فيها.

﴿٦﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ خطاب للجنس.

﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ **الكَدْح في اللغة**: هو الجد والاجتهاد والسرعة. فالمعنىٰ: إنك في غاية الاجتهاد في السير إلىٰ ربك؛ لأن الزمان يطير[1]، وأنت في كل لحظة تقطع حظًّا من عمرك القصير، فكأنك سائر مسرع إلىٰ الموت، ثم تلاقي ربك. وقيل: المعنىٰ: إنك ذو جِدٍّ فيما تعمل من خير أو شر، ثم تلقىٰ ربك فيجازيك به، **والأول أظهر**؛ لأن ﴿كَادِحٌ﴾ تعدىٰ بـ﴿إِلَىٰ﴾؛ لمَّا تضمَّن معنىٰ السير، ولو كان بمعنىٰ العمل لقال: «لربك».

﴿٧﴾ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ ذكر في «**الحاقة**»[2].

﴿٨﴾ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ **يحتمل أن يكون اليسير بمعنىٰ قليل، أو بمعنىٰ هيِّن سهل**. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**من نوقش الحساب عُذِّب**»، فقالت عائشة ﵂: **ألم يقل الله**: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾. فقال رسول الله ﷺ: «**إنما ذلك**

---

(١) في د: «يُدْبر».

(٢) انظر تفسير الآية (١٨).

العرض، وأما من نوقش الحساب فيَهلِك»[1]، وفي الحديث أيضًا عن رسول الله ﷺ: «إن الله يدني العبد يوم القيامة حتىٰ يضع كنَفه عليه فيقول: فعلتَ كذا وكذا، ويعدد عليه ذنوبه، ثم يقول: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»[2]، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «من حاسب نفسه في الدنيا هوَّن الله حسابه يوم القيامة»[3].

(٩) ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ أي: يرجع إلىٰ أهله في الجنة مسرورًا بما أعطاه الله. والأهل: زوجاته في الجنة من نساء الدنيا، أو من الحور العين، ويحتمل أن يريد: قرابته من المؤمنين، وبذلك فسره الزمخشري[4].

(١٠) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ يعني: الكافر. وروي أن هاتين الآيتين نزلتا في أبي سلمة ابن عبد الأسد، وكان من فضلاء المؤمنين، وفي أخيه أسود، وكان من عتاة الكافرين[5]، ولفظها أعم من ذلك. فإن قيل: كيف قال في الكافر هنا إنه يؤتىٰ كتابه ﴿وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ ، وقال في «الحاقة»: ﴿بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٤] ؟

فالجواب من وجهين: أحدهما: أن يديه تكونان مغلولتين إلىٰ عنقه، وتجعل شماله وراء ظهره[6] فيأخذ بها كتابه. وقيل: تدخل يده اليسرىٰ في صدره وتخرج من ظهره، فيأخذ بها كتابه.

(١١) ﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾ أي: يصيح بالويل والثبور.

(١٣) ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ أي: كان في الدنيا مسرورًا مع أهله، متنعِّمًا غافلًا عن

(١) أخرجه البخاري (١٥٥)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) عن ابن عمر ﵄.

(٣) ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٥٧٠) من حديث ابن عمر ﵄ مرفوعًا، ولم أقف عليه مرفوعًا، ووجدته من قول عمر ﵁: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفىٰ منكم خافية»، أخرجه أحمد في الزهد (ص: ١٢٠)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (ص: ٢٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥٧).

(٤) الكشاف (١٦/ ٣٥٨).

(٥) ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٥٧١).

(٦) في الكشاف (١٦/ ٣٥٨): «تُغلُّ يمناه إلىٰ عنقه، وتجعل شماله وراء ظهره».

الآخرة. وهذا في مقابلة ما حكىٰ عن المؤمن أنه ينقلب إلىٰ أهله مسرورًا في الجنة، وهو ضد ما حكىٰ عن المؤمنين في الجنة من قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦].

(١٤) ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي: لن يرجع إلىٰ الله، والمعنىٰ: أنه يكذب بالبعث.

(١٥) ﴿بَلَىٰٓ﴾ أي: يحور ويُبعث.

(١٦) ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ ذكر في نظائره[١].

﴿بِالشَّفَقِ﴾ هو الحمرة التي تبقىٰ بعد غروب الشمس. وقال أبو حنيفة: هو البياض، وقيل: هو النهار كله، وهذا ضعيف، والأول هو المعروف عند الفقهاء وأهل اللغة.

(١٧) ﴿وَالَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: جَمع وضَمَّ، ومنه الوَسْقُ، وذلك أن الليل يَضم الأشياء ويسترها بظلامه.

(١٨) ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ أي: إذا كمل ليلة أربع عشرة، ووزن ﴿اتَّسَقَ﴾ افْتَعل، وهو مشتقٌّ من الوسق، فكأنه امتلأ نورًا. وفي الآية من أدوات البيان: لزوم ما لا يَلزم؛ لالتزام السين قبل القاف في ﴿وَسَقَ﴾ و﴿اتَّسَقَ﴾.

(١٩) ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ الطبق في اللغة له معنيان:

أحدهما: ما طابق غيره، يقال: هذا طبقٌ لهذا: إذا طابقه.

والآخر: جمع طبَقةٍ.

فعلىٰ الأول يكون المعنىٰ: لتركبن حالًا بعد حال، كل واحدة منها مطابقة للأخرىٰ. وعلىٰ الثاني يكون المعنىٰ: لتركبن أحوالًا بعد أحوال، هي طبقات بعضها فوق بعض. ثم اختلف في تفسير هذه الأحوال، وفي قراءة ﴿تَرْكَبُنَّ﴾[٢]:

فأما من قرأه بضم الباء: فهو خطاب لجنس الإنسان، وفي تفسير الأحوال علىٰ هذا ثلاثة أقوال:

---

(١) انظر تفسير الآية (٧٨) من سورة الواقعة، وتفسير الآية (٣٨) من سورة الحاقة.
(٢) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بفتح الباء، وقرأ الباقون بضمها.

أحدها: أنها شدائد الموت، ثم البعث، ثم الحساب، ثم الجزاء.

والآخر: أنها كون الإنسان نطفة، ثم علقة، إلىٰ أن يخرج إلىٰ الدنيا، إلىٰ أن يَهرَم، ثم يموت.

والثالث: لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم.

وأما من قرأ ﴿تَرْكَبَنَّ﴾ بفتح الباء: فهو خطاب للإنسان علىٰ المعاني الثلاثة التي ذكرنا.
وقيل: هو خطاب للنبي ﷺ، **ثم اختلف القائلون بهذا علىٰ ثلاثة أقوال**:

أحدها: لتركبَن مكابدة الكفار حالًا بعد حال.

والآخر: لتركبَن فتح البلاد شيئًا بعد شيء.

والثالث: لتركبَن السماوات في الإسراء سماءً بعد سماء.

وقوله: ﴿عَن طَبَقٍ﴾ : في موضع الصفة لـ﴿طَبَقاً﴾، أو في موضع حال من الضمير في ﴿تَرْكَبُنَّ﴾، **قاله الزمخشري**[1].

﴿٢٠﴾ ﴿فَمَا لَهُمْ لاَ يُومِنُونَ﴾ الضمير لكفار قريش، **والمعنىٰ**: أيُّ شيء يمنعهم من الإيمان؟

﴿٢١﴾ ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ اُلْقُرْءَانُ لاَ يَسْجُدُونَ﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي[2] وغيره؛ لأن رسول الله ﷺ سجد فيها[3]، وليست عند مالك من عزائم السجَدات.

﴿٢٢﴾ ﴿اِلذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: المذكورين، ووضع الظاهر موضع المضمر؛ ليصفهم بالكفر.

﴿٢٣﴾ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي: بما يجمعون في صدورهم من الكفر والتكذيب، أو بما يجمعون في صحائفهم (من الأعمال القبيحة)[4]، يقال: أَوعيت المال وغيره: إذا جمعتَه.

﴿٢٤﴾ ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ اَلِيمٍ﴾ وضع البِشارة موضع النِّذارة تهكُّمًا بهم.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٣٦٣).

(٢) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤/ ٢٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (٥٧٨) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) سقط من أ، ج، هـ.

﴿٢٥﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ **يعني**: من قضَىٰ له بالإيمان من هؤلاء الكفار، فالاستثناء علىٰ هذا متصل، وإلىٰ هذا أشار ابن عطية[1]، وقال الزمخشري: هو منقطع[2].

﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾ قد ذكر[3].

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٥٧٤).

(٢) الكشاف (١٦/ ٣٦٥).

(٣) انظر تفسير الآية (٧) من سورة حم السجدة.



سُورَةُ الْبُرُوجِ

وَالسَّمَآءِ ذَاتِ اِلْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ اِلْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَٰبُ اُلْأُخْدُودِ (٤) اِلنَّارِ ذَاتِ اِلْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُومِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمُۥٓ إِلَّآ أَنْ يُّومِنُواْ بِاللَّهِ اِلْعَزِيزِ اِلْحَمِيدِ (٨) اِلذِے لَهُۥ مُلْكُ اُلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَےْءٍ شَهِيدٌ (٩) اِنَّ اَلذِينَ فَتَنُواْ اُلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ اُلْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ اَلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ اُلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا اُلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ اَلْفَوْزُ اُلْكَبِيرُ (١١) *إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) اِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ اَلْغَفُورُ اُلْوَدُودُ (١٤) ذُو اُلْعَرْشِ اِلْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) هَلَ اَتِيٰكَ حَدِيثُ اُلْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ اِلذِينَ كَفَرُواْ فِے تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَّرَآئِهِم مُّحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِے لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢)

(١) ﴿وَالسَّمَآءِ ذَاتِ اِلْبُرُوجِ﴾ **البروج**: هي المنازل المعروفة، وهي اثنا عشر، **تقطعها الشمس في السنة، وقيل**: هي النجوم العظام؛ لأنها تتبرَّج؛ أي: تظهر.

(٢) ﴿وَالْيَوْمِ اِلْمَوْعُودِ﴾ هو يوم القيامة باتفاق، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ[1].

(٣) ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ **يحتمل الشاهد والمشهود أن يكون من الشهادة على الأمر، أو يكون من معنى الحضور، وحذف المعمول، وتقديره: مشهود عليه، أو مشهود به، أو مشهود فيه. وقد اضطرب الناس في تفسير الشاهد والمشهود اضطرابًا عظيمًا، ويتلخَّص من**

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٦٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٣)، وأحمد (٧٩٧٢)، والترمذي (٣٣٣٩)، والحاكم (٣٩١٥) من طريق أحمد وصححه ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة ؓ مرفوعًا، وضعفه الترمذي وابن كثير في تفسيره (٨/ ٣٦٤)، وقال: «وقد روي موقوفا على أبي هريرة ؓ، وهو أشبه».

أقوالهم في الشاهد ستة عشر قولًا، يقابلها في المشهود اثنان وثلاثون قولًا(١):

القول الأول: أن الشاهد: هو الله تعالىٰ لقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ [النساء: ٧٨]. **والمشهود علىٰ هذا يحتمل ثلاثة أوجه:**

[١] **أحدها**: أن يكون الخَلْق، بمعنىٰ أنه يشهد عليهم.

[٢] **والآخر**: أن يكون الأعمال، بمعنىٰ أنه يَشهد بها.

[٣] **والثالث**: أن يكون يوم القيامة، بمعنىٰ أنه يشهد فيه؛ أي: يحضر للحساب والجزاء، أو تقع فيه الشهادة علىٰ الناس.

القول الثاني: أن الشاهد: محمد ﷺ لقوله: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: ٧٦]. **والمشهود علىٰ هذا يحتمل أن تكون:**

[٤] أمته؛ لأنه يشهد عليهم.

[٥] أو أعمالهم؛ لأنه يشهد بها.

[٦] أو يوم القيامة؛ لأنه يشهد فيه؛ أي: يحضر، أو تقع فيه الشهادة علىٰ الأمة.

القول الثالث: أن الشاهد: أمة محمد ﷺ؛ لقوله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٢]. **والمشهود علىٰ هذا:**

[٧] سائر الأمم؛ لأنهم يشهدون عليهم.

[٨] أو أعمالهم.

[٩] أو يوم القيامة.

القول الرابع: أن الشاهد: عيسىٰ عليه السلام. **والمشهود:**

[١٠] أمته؛ لقوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٩].

[١١] أو أعمالهم.

[١٢] أو يوم القيامة.

---

(١) الذي ظهر لي واحد وثلاثون قولًا!

القول الخامس: أن الشاهد: جميع الأنبياء. **والمشهود**:

[١٣] أممهم؛ لأن كل نبيٍّ يشهد علىٰ أمته.

[١٤] أو يشهد بأعمالهم.

[١٥] أو يوم القيامة؛ لأنه يشهد فيه.

القول السادس: أن الشاهد: الملائكة الحفَظة. **والمشهود علىٰ هذا**:

[١٦] الناس؛ لأن الملائكة يشهدون عليهم.

[١٧] أو الأعمال؛ لأن الملائكة يشهدون بها.

[١٨] أو يوم القيامة.

[١٩] أو صلاة الصبح؛ لقوله: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ [الإسراء: ٧٨].

القول السابع: أن الشاهد: جميع الناس؛ لأنهم يشهدون القيامة؛ أي: يحضرونها.

[٢٠] والمشهود: يوم القيامة؛ لقوله: ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

القول الثامن: أن الشاهد: الجوارح. **والمشهود عليه**:

[٢١] أصحابها؛ لقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [النور: ٢٤].

[٢٢] أو الأعمال؛ لأن الجوارح تشهد بها.

[٢٣] أو يوم القيامة؛ لأن الشهادة تقع فيه.

القول التاسع: أن الشاهد: الله والملائكة وأولو العلم؛ لقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨].

[٢٤] والمشهود به: الوحدانية.

القول العاشر: أن الشاهد: جميع المخلوقات.

[٢٥] والمشهود به: وجود خالقها، وإثبات صفاته من الحياة والقدرة وغير ذلك.

القول الحادي عشر: أن الشاهد: النجم؛ لما ورد في الحديث: «**لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد**»، وهو النجم(1).

[٢٦] والمشهود على هذا: الليل والنهار؛ لأن النجم يشهد بانقضاء النهار ودخول الليل.

القول الثاني عشر: أن الشاهد: الحجر الأسود.

[٢٧] والمشهود: الناس الذين يحجُّون.

القول الثالث عشر: روي عن النبي ﷺ: أن الشاهد: يوم الجمعة.

[٢٨] والمشهود: يوم عرفة(2). وذلك لأن يوم الجمعة يَشهد بالأعمال، ويوم عرفة يَشهده جمعٌ عظيم من الناس.

القول الرابع عشر: أن الشاهد: يوم عرفة.

[٢٩] والمشهود: يوم النحر، **قاله علي بن أبي طالب** رضي الله عنه(3).

القول الخامس عشر: أن الشاهد: يوم التروية.

[٣٠] والمشهود: يوم عرفة.

القول السادس عشر: أن الشاهد: يوم الاثنين.

[٣١] والمشهود: يوم الجمعة.

(٤) ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ **الكلام هنا في ثلاثة فصول:**

الأول: في جواب القسم، وفيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

وثانيها: أنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، وهذان القولان ضعيفان؛ لبعد القسَم من الجواب.

---

(1) أخرجه مسلم (٨٣٠) عن أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه.

(2) تقدم تخريجه قريبًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٥٧٦)، وفي تفسير الطبري (٢٤/ ٢٦٤) عن علي رضي الله عنه أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة.

وثالثها: أنه: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾، تقديره: لقد قتل.

ورابعها: أنه محذوفٌ، يدلُّ عليه: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾، تقديره: لقد قُتل هؤلاء الكفار كما قُتل أصحاب الأخدود، وذلك أن الكفار من قريش كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام، فذكر الله قصة أصحاب الأخدود وعيدًا للكفار، وتأنيسًا للمسلمين المعذَّبين.

الفصل الثاني: في تفسير لفظها:

فأما ﴿قُتِلَ﴾ فاختلف هل هو دعاء أو خبر؟ واختلف هل هو بمعنىٰ القتل حقيقة، أو بمعنىٰ: لُعِن؟ وأما ﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾ : فهو الشَّق في الأرض، كالخندق وشبهه. وأما ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ **فيحتمل أن يريد به** الكفارَ الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود، أو يريد به المؤمنين الذين حُرقوا فيه، فيكون القتل حقيقةً خبرًا، **والأول أظهر.**

الفصل الثالث: في قصة أصحاب الأخدود، وفيها أربعة أقوال:

القول الأول: ما ورد عن رسول الله ﷺ في حديث طويل معناه: أن ملكًا كافرًا أسلم أهلُ بلاده، فأَمر بالأخدود فخُدَّ في أفواه السكك، وأضرم فيها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فألقوه فيها، ففعلوا ذلك، حتىٰ جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمَّه! اصبري فإنك علىٰ الحق[1].

القول الثاني: أن ملكًا زنىٰ بأخته، ثم أراد أن يُحِلَّ للناس نكاح الأخوات، فأطاعه قوم، ومنهم[2] أخذ المجوس ذلك، وعصاه قوم، فحفر لهم الأخدود وأحرقهم فيه بالنار[3].

القول الثالث: أن نبيَّ أصحابِ الأخدود كان حبشيًّا، وأن الحبشة بقية أصحاب الأخدود[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥) عن صهيب رضي الله عنه.

(٢) في ب: «ومنه».

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٧٠) عن علي رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٣) والثعلبي (٢٩/ ١٦٨) عن علي رضي الله عنه.

القول الرابع: أن صاحب الأخدود: ذو نُوَاس المذكور في قصة عبد الله بن التامر[١] التي وقعت في السِّيَر[٢].

ويَحتمل أن يكون ذو نواس هو الملك الذي ذكره النبي ﷺ، فيتفق هذا القول مع الأول، فإنَّ ذا نواسٍ حفر أخدودًا فأوقد فيه نيرانًا[٣]، وألقىٰ فيها كل من وحَّد الله تعالىٰ واتبع العبد الصالح عبد الله بن التامر.

﴿٥﴾ ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل من ﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾ ، وهو بدل اشتمال، و﴿ٱلْوَقُودِ﴾: ما توقد به النار، **والقصد**: وصف النار بالشدة والعظمة.

﴿٦﴾ ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ **الضمير**: للكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود، وهم أصحاب الأخدود على الأظهر، والعامل في ﴿إِذْ﴾ : قوله: ﴿قُتِلَ﴾.

فروي أن النار أحرقت من المؤمنين عشرين ألفًا[٤]، وقيل: سبعين ألفًا[٥]، فـ﴿قُتِلَ﴾ علىٰ هذا بمعنىٰ: لُعن؛ أي: لعنوا حين قعدوا علىٰ النار لتحريق المؤمنين.

وروي أن الله بعث علىٰ المؤمنين ريحًا قبضت أرواحهم وخرجت النارُ[٦] فأحرقت الكفار الذين كانوا عليها[٧]، فـ﴿قُتِلَ﴾ علىٰ هذا بمعنىٰ القتل الحقيقي؛ أي: قتلتهم النار.

وقيل: الضمير في ﴿إِذْ هُمْ﴾ للمؤمنين، والأول أشهر وأظهر؛ لقوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾.

---

(١) الذي في سيرة ابن هشام (١/ ٣٦): «الثامر» بالثاء.
(٢) رواها ابن إسحاق، انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٤)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٣٦٨).
(٣) في ب، د: «فيها نارًا».
(٤) ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٥٧٩).
(٥) نقله الثعلبي (٢٩/ ١٧٣) عن الكلبي.
(٦) في ب، د: «وأخرجت النارَ».
(٧) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٧٦) عن الربيع بن أنس، وذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٥٧٩) عن ابن إسحاق وأبي العالية.

(٧) ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُومِنِينَ شُهُودٌ﴾ **يحتمل أن يكون بمعنى الشهادة**، أي: يشهد بعضهم لبعض عند الملِك بأنه فعل ما أمره الملِك من التحريق، أو يشهدون بذلك على أنفسهم يوم القيامة.

أو يكون بمعنى الحضور؛ أي: كانوا حاضرين على ذلك الفعل.

(٨) ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُومِنُواْ بِاللَّهِ﴾ أي: ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله، وهذا لا ينبغي أن يُنكر. **فإن قيل**: لم قال ﴿أَن يُؤْمِنُواْ﴾ بلفظ المضارع ولم يقل: «آمنوا» بلفظ الماضي؛ لأن القصة قد وقعت؟

فالجواب: أن التعذيب إنما كان على دوامهم على الإيمان، ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوهم، فلذلك ذكره بلفظ المستقبل، فكأنه قال: إلا أن يدوموا على الإيمان.

(١٠) ﴿إِنَّ ٱلذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِ﴾ **إن كانت هذه الآية في أصحاب الأخدود**: فالفتنة هنا بمعنى الإحراق. **وإن كانت في كفار قريش**: فالفتنة بمعنى المحنة والتعذيب، **وهذا أظهر**؛ لقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾؛ لأن أصحاب الأخدود لم يتوبوا، بل ماتوا على كفرهم، وأما قريش فمنهم من أسلم وتاب. وفي الآية دليل على أن الكافر إذا أسلم يغفر له ما فعل في حين كفره؛ كقوله ﷺ: **«الإسلام يجبُّ ما قبله»**[١].

﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ **يحتمل أن يريد في الآخرة**، فيكون تأكيدًا لعذاب جهنم، أو نوعًا من العذاب زيادةً إلى عذاب جهنم. **ويحتمل أن يريد في الدنيا**، وذلك على رواية أن الكفار أصحابَ الأخدود أحرقتهم النار.

(١٢) ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ **البطش**: هو الأخذ بقوة وسرعة.

(١٣) (١٤) ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي: يبدئ الخلق بالنشأة الأولى، ويعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث. **وقيل**: يبدئ البطش ويعيده؛ أي: يبطش بهم في الدنيا والآخرة، **والأول أظهر وأرجح**؛ لقوله: ﴿أَللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٣٤، الروم: ١٠]. وقد ذكرنا ﴿أَلْوَدُودُ﴾ في «**اللغات**»[٢].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر المادة (٥٦٦).

﴿١٥﴾ ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ أضاف العرش إلىٰ الله، وخصَّه بالذكر؛ لأن العرش أعظم المخلوقات. و ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾: من المجد، وهو الشرف ورفعة القدر. **وقرئ** ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ **بالرفع**[1]: صفة لـ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾، **وبالخفض**: صفة لـ﴿ٱلْعَرْشِ﴾.

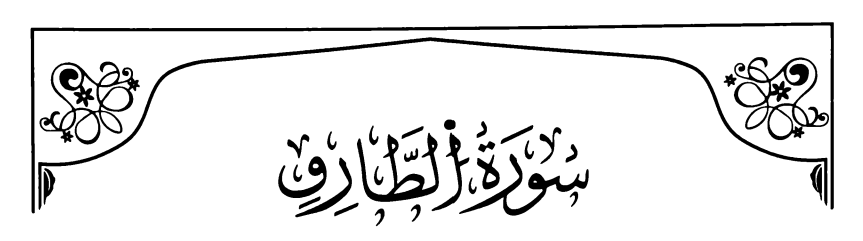
﴿١٧﴾ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ توقيف يراد به التنبيه وتعظيم الأمر. والمقصود بذكر الجنود: تهديد الكفار، وتأنيس النبي ﷺ.

﴿٢٠﴾ ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ﴾ تهديد لهم، معناه: لا يفوتونه، بل يصيبهم عذابه إذا شاء.

﴿٢٢﴾ ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ الذي في السماء. **وقرئ** ﴿مَّحْفُوظٍ﴾ **بالخفض**[2]: صفة للوح، **وبالرفع**: صفة للقرآن؛ أي: حفظه الله من التبديل والتغيير، أو حفظه المؤمنون في صدورهم.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع.
(٢) قرأ نافع بالرفع، وقرأ الباقون بالخفض.



وَالسَّمَآءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَيٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

﴿١﴾ ﴿وَالسَّمَآءِ وَالطَّارِقِ﴾ هذه السماء التي أقسم الله بها: هي[1] المعروفة، وقيل: أراد المطر؛ لأن العرب قد تسميه سماء، وهذا بعيد. والطَّارق في اللغة: ما يَطرق؛ أي: يجيء ليلًا، وقد فسره الله هنا بأنه ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ وهو يطلع ليلًا.

ومعنىٰ ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾: المضيء أو المرتفع، فقيل: أراد جنس النجوم، وقيل: الثريا؛ لأنه الذي تطلق عليه العرب النجم، وقيل: زُحَل؛ لأنه أرفع النجوم؛ إذ هو في السماء السابعة.

﴿٤﴾ ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ هذا جواب القسم، ومعناه عند الجمهور: إنَّ كل نفس من بني آدم عليها حافظ يكتب أعمالها، يعني: الملائكة الحفظة. وروي عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية: «إن لكل نفس حفظة من الله يَذبُّون عنها كما يُذَبُّ عن العسل، ولو وُكِل المرء إلىٰ نفسه طرفة عين لاختطفته الآفَات والشياطين»[2]، وإن صح هذا الحديث فهو المعوَّل عليه.

---

(١) في ب زيادة: «السماء».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص: ٩٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٦٧)، والثعلبي (٢٩/ ٢٠٩) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه مرفوعًا، وضعفه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ١٩٠)، والعراقي في تخريج الإحياء (١/ ٩١٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤٢٥).

وقرئ ﴿لَمَا عَلَيْهَا﴾ بتخفيف الميم[١]: وعلىٰ هذا تكون ﴿إن﴾ **مخففة من الثقيلة، واللام للتأكيد، و«ما» زائدة.**

وقرئ ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد: وعلىٰ هذا تكون ﴿إن﴾ نافية، و﴿لَّمَّا﴾ بمعنىٰ الإيجاب بعد النفي.

﴿٥﴾ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ حذف ألف «ما»؛ لأنها استفهامية، وجوابها ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾. وسمي المنيُّ ماء دافقًا؛ من الدَّفْق، بمعنىٰ الدفع، **فقيل**: معناه: مدفوق، وصاحبه هو الدافق في الحقيقة، **وقال سيبويه**: هو علىٰ النَسَب؛ أي: ذو دفق، **وقال ابن عطية**: يصح أن يكون الماء دافقًا؛ لأن بعضه يدفع بعضًا[٢].

ومقصود الآية: إثبات الحشر، فأُمر الإنسان أن ينظر أصلَ خِلقته؛ ليعلم أن الذي خلقه من ماء دافق قادر علىٰ أن يعيده. **ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله**: أنه لما أخبر أن علىٰ كل نفس حافظًا يحفظ أعمالها؛ أعقبه بالتنبيه علىٰ الحشر حيث تجازَىٰ[٣] كل نفس بأعمالها.

﴿٧﴾ ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ الضمير في ﴿يَخْرُجُ﴾ للماء، **وقال ابن عطية**: يحتمل أن يكون للإنسان[٤]، **وهذا بعيد جدًّا. والترائب**: عظام الصدر، واحدها: تَرِيبة، **وقيل**: هي الأطراف، كاليدين والرجلين، **وقيل**: هي عُصارة القلب، ومنها يكون الولد، **وقيل**: هي الأضلاع التي أسفل الصلب.

والأول هو الصحيح المعروف في اللغة، ولذلك قال ابن عباس ﷺ: هي موضع القلادة ما بين ثَدْيي المرأة[٥]. **ويعني** صلب الرجل وترائبه، وصلب المرأة وترائبها، **وقيل**: أراد: صلب الرجل، وترائب المرأة.

---

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد الميم، وقرأ الباقون بالتخفيف.

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٨٤-٥٨٥).

(٣) في ب: «يجازي».

(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٥٨٥).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٩٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٥).

﴿٨﴾ ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ الضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ لله تعالىٰ، وفي ﴿رَجْعِهِۦ﴾ للإنسان. **والمعنىٰ: أن الله قادر علىٰ رجع الإنسان حيًّا بعد موته، والمراد: إثبات البعث.**

وقيل: إن المعنىٰ: ردُّه ماءً كما كان أول مرة، **وقيل:** ردُّه من الكِبَر إلىٰ الشباب، **وقيل:** الضمير في ﴿رَجْعِهِۦ﴾ للماء الدافق، والمعنىٰ: ردُّه في الإحليل أو في الصلب، **وهذا كله ضعيف بعيد، والقول الأول هو الصحيح المشهور.**

﴿٩﴾ ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ يعني: يوم القيامة. و﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾: جمع سريرة، وهي ما أسرَّ العبد في قلبه من العقائد[1] والنيات، وما أخفىٰ من الأعمال، وبلاؤها: هو تعرُّفها والاطلاع عليها. وروي عن النبي ﷺ أن السرائر: الإيمان والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة[2]، وهذه معظمها، فلذلك خصَّها بالذكر. والعامل في ﴿يَوْمَ﴾ قوله: ﴿رَجْعِهِۦ﴾؛ أي: يَرجعه يوم تبلىٰ السرائر. **واعتُرض:** بالفصل بينهما. **وأُجيب:** بقوة المصدر في العمل.

وقيل: العامل ﴿قَادِرٌ﴾. **واعتُرض:** بتخصيص القدرة بذلك اليوم. وهذا لا يلزم؛ لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقع في ذلك اليوم.

وقال من احترز من الاعتراضين في القولين المتقدمين: العامل فعل مضمر من المعنىٰ، تقديره: يَرجعه يوم تبلىٰ السرائر. **وهذا كله علىٰ المعنىٰ الصحيح في ﴿رَجْعِهِۦ﴾، وأما علىٰ الأقوال الأخر:** فالعامل في ﴿يَوْمَ﴾ مضمر تقديره: اذكر.

﴿١٠﴾ ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ الضمير للإنسان، ولما كان دفع المكاره في الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له؛ أخبره الله أنه يَعدَمهما يوم القيامة.

﴿١١﴾ ﴿وَالسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ **المراد بـ﴿ٱلرَّجْعِ﴾ عند الجمهور:** المطر، وسماه رجعًا بالمصدر لأنه يرجع كل عام، أو لأنه يرجع إلىٰ الأرض. **وقيل: الرَّجع:** السحاب الذي فيه المطر، **وقيل:** هو مصدرُ رجوع الشمس والكواكب من منزلة إلىٰ منزلة.

---

(١) في د زيادة: «والعزائم».

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٦٦) عن أبي الدرداء ﷺ مرفوعًا، وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٥٢٢٦) ورمز له بالصحة! مع أن في إسناده محمد بن يونس الكديمي وهو ضعيف (التقريب ٩١٢).

(١٢) ﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ **يعني**: ما تتصدَّع[(١)] عنه الأرض من النبات، **وقيل**: **يعني**: ما في الأرض من الشِّقاق والخنادق وشبهها.

(١٣) ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ الضمير للقرآن؛ لأن سياق الكلام يقتضيه. **والفصل معناه**: الذي فَصل[(٢)] بين الحق والباطل، كما قيل له: فرقان. **والهزل**: اللهو، **يعني**: أنه جِدٌّ كلُّه.

(١٥) ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ الضمير لكفار قريش. **وكيدهم**: هو ما دبَّروا في شأن رسول الله ﷺ من الإضرار به، وإبطال أمره.

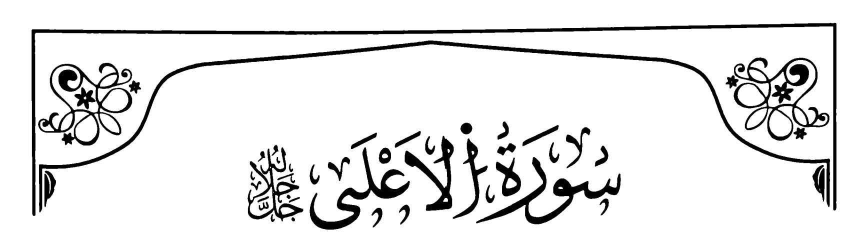
(١٦) ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ هذا تسمية للعقوبة باسم الذنب؛ للمشاكلة بين الفعلين[(٣)].

(١٧) ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لا تستعجل عليهم بالعقوبة لهم، أو بالدعاء عليهم. وهذا منسوخ بالسيف.

﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ أي: إمهالًا يسيرًا قليلًا، **يعني**: إلىٰ قتلهم يوم بدر، أو إلىٰ الدار الآخرة، وجعله يسيرًا؛ لأن كل آتٍ قريبٌ. ولفظ ﴿رُوَيْدًا﴾ هنا: صفة لمصدر محذوف[(٤)]، وقد تقع بمعنىٰ الأمر بالتماهلُ، كقولك: رويدًا يا فلان. وكرَّر الأمر في قوله: ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾، وخالف بينه وبين لفظ ﴿مَهِّلِ﴾؛ لزيادة التسكين والتصبير، **قاله الزمخشري**[(٥)].

---

(١) في أ، د: «تصدع»ن وفي ب: «يتصدع».
(٢) في ب: «يفصل».
(٣) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (١٧) و(٣٩) و(٥٨) و(٦٠).
(٤) تقديره: إمهالًا. الكشاف (١٦/ ٣٨٩).
(٥) الكشاف (١٦/ ٣٨٩).



سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

﴿١﴾ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ **التَّسبيح في اللغة**: التنزيه. **وذكر الاسم هنا يَحتمل وجهين**:

أحدهما: أن يكون المراد المسمَّىٰ، ويكون الاسم صلةً كالزائد، **ومعنىٰ الكلام**: سبح ربك؛ أي: نزِّهه عما لا يليق به، وقد يتخرَّج ذلك علىٰ قول من قال: إن الاسم هو المسمىٰ.

والآخر: أن يكون الاسم مقصودًا بالذكر، **ويحتمل المعنىٰ علىٰ هذا أربعة أوجه**: **الأول**: تنزيه أسماء الله تعالىٰ عن المعاني الباطلة، كالتشبيه والتعطيل. **الثاني**: تنزيه أسماء الله عن أن يُسمىٰ بها صنم أو وثن. **الثالث**: تنزيه أسماء الله عن أن تُذكر في حال الغفلة دون خشوع. **الرابع**: أن المراد قول[1]: «سبحان الله»، ولما كان التسبيح باللسان لا بدَّ فيه من ذكر الاسم أوقع التسبيح علىٰ الاسم، **وهذا القول هو الصحيح**.

(١) في د: «قل».

ويؤيده: ما ورد عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: «سبحان ربي الأعلىٰ»[(١)]، وأنها لما نزلت قال: «اجعلوها في سجودكم»[(٢)]، فدل ذلك علىٰ أن المراد هو التسبيح باللسان مع موافقة القلب، ولا بدَّ في التسبيح باللسان من ذكر اسم الله تعالىٰ؛ فلذلك قال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، مع أن التسبيح في الحقيقة إنما هو لله تعالىٰ لا لاسمه، وإنما ذكر الاسم؛ لأنه هو الذي يوصَل به إلىٰ التسبيح باللسان.

وعلىٰ هذا: يكون موافقًا في المعنىٰ لقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [الواقعة: ٧٧]؛ لأن معناه: نزِّه الله بذكر اسمه، ويؤيد هذا: ما روي عن ابن عباس ﷺ أن معنىٰ ﴿سَبِّحِ﴾: صلِّ باسم ربك[(٣)]؛ أي: صل واذكر في الصلاة اسم ربك. و﴿ٱلْأَعْلَى﴾ **يحتمل أن يكون صفة للربِّ، أو للاسم، والأول أظهر.**

﴿٢﴾ ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ حذف مفعول ﴿خَلَقَ﴾ و﴿سَوَّىٰ﴾؛ لقصد الإجمال الذي يفيد العموم، والمراد: خلق كل شيء فسوَّاه؛ أي: أتقن خِلقته. وانظر ما ذكرنا في قوله: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧].

﴿٣﴾ ﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ ﴿قَدَّرَ﴾ **بالتشديد**[(٤)]: يحتمل أن يكون من القدر والقضاء، أو من التقدير والموازنة بين الأشياء. وقرئ **بالتخفيف**: فيحتمل أن يكون من القدرة، أو التقدير، وحذف المفعول؛ ليفيد العموم.

فإن كان من التقدير فالمعنىٰ: قدَّر لكل حيوان ما يصلحه، فهداه إليه وعرَّفه وجه

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٦٦)، وأبو داود (٨٨٣)، والحاكم (٩٧٠) وصححه ووافقه الذهبي، عن ابن عباس ﷺ مرفوعًا، وقال أبو داود بعد ذكره: «خولف وكيع في هذا الحديث، رواه أبو وكيع وشعبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ موقوفا»، وأخرجه موقوفًا عبد الرزاق (٤٠٥١)، وابن أبي شيبة (٨٧٣٤) والطبري (٢٤/ ٣١٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤١٤)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، وابن خريمة (٦٧٠)، وابن حبان (١٨٩٨)، والحاكم (٣٧٨٣) وصححه ووافقه الذهبي، عن عقبة بن عامر ﷺ. وانظر: البدر المنير (٣/ ٦٠٨).

(٣) ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٥٩٠)، وذكره الثعلبي (٢٩/ ٢٣٦) عنه دون إسناد بلفظ: «صل بأمر ربك الأعلىٰ»، وذكره الطبري (٢٤/ ٣١١) دون نسبة.

(٤) قرأ الكسائي بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتخفيف.

الانتفاع به، **وقيل**: هدىٰ ذكور الحيوان إلىٰ وطء الإناث؛ لبقاء النسل، **وقيل**: هدىٰ المولود عند وضعه إلىٰ مص الثدي، **وقيل**: هدىٰ الناس للخير والشر، والبهائمَ للمراتع، **وهذه الأقوال أمثلة، والأول أعم وأرجح**، فإن هداية الإنسان وسائر الحيوانات إلىٰ مصالحها[1] باب واسع فيه عجائب وغرائب.

وقال الفراء: المعنىٰ: هدىٰ وأضلَّ، واكتفىٰ بالواحدة؛ لدلالتها علىٰ الأخرىٰ[2]، **وهذا بعيد**.

﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿وَالذِے أَخْرَجَ اَلْمَرْعِىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً اَحْوِيٰٓ﴾ **المرعىٰ**: هو النبات الذي ترعاه البهائم. **والغثاء**: هو النبات اليابس المتحطِّم، وقد يقال للزِّبْل غثاء. و ﴿اَحْوِيٰٓ﴾ **معناه**: أسود، وهو صفة لـ﴿غُثَآءً﴾.

والمعنىٰ: أن الله أخرج المرعىٰ أخضر، فجعله بعد خضرته غثاء أسود؛ لأن الغثاء إذا قَدُمَ تعفَّن واسودَّ. **وقيل**: إن ﴿اَحْوِيٰٓ﴾ حال من ﴿اَلْمَرْعِىٰ﴾ ، **ومعناه**: الأخضر الذي يضرب إلىٰ السواد، وفي الكلام علىٰ هذا تقديم وتأخير تقديره: الذي أخرج المرعىٰ أحوىٰ فجعله غثاء، **وفي هذا القول تكلُّف**.

﴿٦﴾ ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسِيٰٓ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، وعده الله أن يُقرئه القرآن فلا ينساه، وفي ذلك معجزة له ﷺ؛ لأنه كان أميًّا لا يكتب، وكان مع ذلك لا ينسىٰ ما أقرأه جبريل عليه السلام من القرآن. **وقيل**: معنىٰ الآية كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ الآيةَ [القيامة: ١٦]؛ فإنه ﷺ كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل عليه السلام خوفًا أن ينساه، فضمن الله له أن لا ينساه. **وقيل**: ﴿فَلَا تَنسِيٰٓ﴾ نهيٌ عن النسيان، وقد علم الله أن ترك النسيان ليس في قدرة البشر، فالمراد: الأمر بتعاهده حتىٰ لا ينساه. **وهذا بعيد؛ لإثبات الألف في** ﴿تَنسِيٰٓ﴾.

﴿٧﴾ ﴿إِلَّا مَا شَآءَ اَللَّهُ﴾ **فيه وجهان: أحدهما**: أن معناه: لا تنسىٰ؛ إلا ما شاء الله أن تنساه، كقوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٥].

---

(١) في هـ: «منافعها».

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٥٦).

والآخر: أنه لا ينسىٰ شيئًا، ولكن قال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ تعظيمًا لله بإسناد الأمر إليه، كقوله ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨] علىٰ بعض الأقوال، وعبر الزمخشري عن هذا بأنه من استعمال التقليل في معنىٰ النفي[١].

والأول أظهر؛ فإن النسيان جائز علىٰ النبي ﷺ فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن، أو فيما قضىٰ الله أن ينساه ثم يذكره، ومن هذا قول النبي ﷺ حين سمع قراءة عبَّاد بن بِشرٍ: «يرحمه الله؛ لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد أُنسيتها»[٢].

﴿٨﴾ ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ عطف علىٰ ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾، ومعناه: نوفِّقك للأمور المرضية التي توجب لك السعادة، **وقيل**: معناه للشريعة اليسرىٰ، من قوله ﷺ: «دين الله يسر»[٣] أي: سهل لا حرج فيه.

﴿٩﴾ ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ **المراد بهذا الشرط**: توبيخ الكفار الذين لا تنفعهم الذكرىٰ، واستبعاد تأثير الذكرىٰ في قلوبهم، كقولك: قد أوصيتك لو سمعتَ. **وقيل**: إن المعنىٰ: فذكر إن نفعت الذكرىٰ وإن لم تنفع، واقتصر علىٰ أحد القسمين؛ لدلالة الآخر عليه، وهذا بعيد وليس عليه الرَّونق الذي علىٰ الأول.

﴿١٠﴾ ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ أي: من يخاف الله.

﴿١١﴾ ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾ **يعني**: الكافر، **وقيل**: نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة[٤]. والضمير المفعول لـ﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾.

﴿١٢﴾ ﴿ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ هي نار جهنم، وسماها كبرىٰ بالنظر إلىٰ نار الدنيا.

وقيل: سماها كبرىٰ بالنظر إلىٰ غيرها من نار جهنم؛ فإنها تتفاضل، وبعضها أكبر من بعض.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٣٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٥)، ومسلم (٧٨٨) عن عائشة ﵂.

(٣) أخرجه البخاري (٣٩) عن أبي هريرة ﵁.

(٤) قاله في الكشاف (١٦/ ٤٠٠)، وعزاه الواحدي في البسيط (٢٣/ ٤٤٤) إلىٰ مقاتل.

وكلا القولين صحيح، إلا أن الأول أظهر، ويؤيده قول رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التي توقدون جزءٌ من سبعين جزءًا من نار جهنم»[١].

﴿١٣﴾ ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ أي: لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة هنيئة. وعطف هذه الجملة بـ﴿ثُمَّ﴾؛ لأن هذه الحالة أشد من صَلْي النار، فكأنها بعده في الشدة.

﴿١٤﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ يحتمل أن يكون ﴿تَزَكَّىٰ﴾ بمعنى الطهارة من الشرك والمعاصي، أو بمعنى الطهارة للصلاة، أو بمعنى أداء الزكاة، وعلى هذا قال جماعة: إنها في يوم الفطر، والمعنى: أدَّى زكاة الفطر، وذكر اسم ربه في طريق المصلى إلى أن يخرج الإمام، وصلى صلاة العيد، وقد روي هذا عن النبي ﷺ[٢]. وقيل: المراد: أدى زكاة ماله وصلى الصلوات الخمس.

﴿١٨﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الإشارة إلى ما ذكر قبلُ من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة، أو إلى ما تضمنته السورة، أو إلى القرآن بجملته. والمعنى: إنه ثابت في كتب الأنبياء المتقدمين كما ثبت في هذا الكتاب.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣) عن أبي هريرة ﵁.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٨)، والبزار (٨/ ٣١٣)، وابن خزيمة (٢٤٢٠) وقال: «غريب»، والثعلبي (٢٩/ ٢٥٠-٢٥١)، والبيهقي (٧٦٦٨)، عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ في قوله: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ قال: «أخرج زكاة الفطر، وخرج إلى المصلى فصلى»، وكثير بن عبد الله ضعيف كما في التقريب (٨٠٨)، وضعف الحديث ابن أبي حاتم، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٢٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١٥/ ٣٦٩).



هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ *أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

﴿١﴾ ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للأمر، وقيل: ﴿هَلْ﴾ بمعنىٰ «قد»، وهذا ضعيف.

﴿الْغَاشِيَةِ﴾ هي القيامة؛ لأنها تغشىٰ جميع الخلق. وقيل: هي النار، من قوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، وهذا ضعيف؛ لأنه ذكر بعد ذلك قسمين: أهل الشقاوة وأهل السعادة.

﴿٢﴾ ﴿خَاشِعَةٌ﴾ أي: ذليلة.

﴿٣﴾ ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ هو من النصَب بمعنىٰ التعب. **وفي المراد بهم ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنهم الكفار، ويحتمل علىٰ هذا يكون عملهم ونصَبهم في الدنيا؛ لأنهم كانوا يعملون أعمال السوء ويتعبون فيها، أو يكون في الآخرة، فيعملون فيها عملًا يتعبون فيه، من جرِّ السلاسل والأغلال وشبه ذلك، ويكون زيادة في عذابهم.

الثاني: أنها في الرهبان الذين يجتهدون في العبادة ولا تقبل منهم؛ لأنهم علىٰ غير الإسلام، وبهذا تأولها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبكىٰ رحمةً لراهب نصراني رآه مجتهدًا[1]، فـ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ علىٰ هذا: في الدنيا، و﴿نَّاصِبَةٌ﴾ إشارة إلىٰ اجتهادهم في العمل، أو إلىٰ أنه لا ينفعهم، فليس لهم منه إلا النَّصَب.

الثالث: أنها في القدرية، وقد روي أن رسول الله ﷺ ذكر القدرية فبكىٰ وقال: «**إن فيهم المجتهد**»[2].

(٥) ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ أي: شديدة الحر، ومنه ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٣]، ووزن ﴿ءَانِيَةٍ﴾ هنا فَاعِلة، بخلاف ﴿ءَانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥] فإن وزنه: أَفْعِلة.

(٦) ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ **في الضَّريع أربعة أقوال:**

أحدها: أنه شوك يقال له: الشِّبْرق، وهو سَمٌّ قاتل، وهذا أرجح الأقوال؛ لأن أرباب اللغة ذكروه، ولأن النبي ﷺ قال: «**الضريع شوك في النار**»[3].

الثاني: أنه الزَّقُّوم؛ لقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤١].

الثالث: أنه نبات أخضر مُنتنٌ يَنبت في البحر، وهذا ضعيف.

الرابع: أنه واد في جهنم، وهذا أضعف[4]؛ لأن ما يجري في الوادي ليس بطعام، إنما هو شراب.

ولله درُّ من قال: الضريع طعام أهل النار، فإنه عمَّ وسَلِم من عُهدة التعيين. واشتقاقه عند بعضهم من المضارعة بمعنىٰ المشابهة؛ لأنه يشبه الطعام الطيب وليس به. **وقيل**: بمعنىٰ: مُضْرِع للبدن، أي: مُضْعِف، **وقيل**: إن العرب لا تعرف هذا اللفظ.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٢٠)، والحافظ البرقاني -كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٥)-، والحاكم (٣٩٢٥).

(٢) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في بغية الباحث للهيثمي (١/ ٢٦٩)، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (١/ ٣٩)، وابن حجر في المطالب العالية (١٢/ ٤٦١)، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٦٨١)، من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه، وضعفه البوصيري.

(٣) أخرجه ابن مردويه بسند واهٍ كما في الدر المنثور (١٥/ ٣٨٥).

(٤) في أ، ب، ج، هـ: «ضعيف».

فإن قيل: كيف قال هنا: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾، وقال في «**الحاقة**»: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦]؟ **فالجواب**: أن الضريع لقوم، والغسلين لقوم، أو يكون أحدهما في حال، والآخر في حال.

(٧) ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ هذه الجملة صفة لـ﴿ضَرِيعٍ﴾ ، أو لـ﴿طَعَامٌ﴾ ، نفىٰ عنه منفعة الطعام، وهي التسمين وإزالة الجوع.

(٨) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ أي: متنعمة في الجنة، أو يظهر عليها نضرة النعيم.

(٩) ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ أي: رضيت في الآخرة لأجل سعيها، وهو عملُها في الدنيا.

(١٠) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ **يحتمل أن يكون** من عُلُوِّ المكان، أو من علو المقدار، أو الوجهين.

(١١) ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ هو من لغو الكلام، ومعناه الفحش[1] وما يُكره، فيحتمل أن يريد: كلمة لاغية، أو جماعة لاغية.

(١٢) ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ **يحتمل أن يريد**: جنس العيون، أو واحدةً شرَّفها بالتعيين.

(١٤) ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ قد ذكرنا ﴿أَكْوَابٌ﴾[2]، ومعنىٰ ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾: حاضرة معدَّة بشرابها. وفي قوله: ﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾ و﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ مطابقة.

(١٥) ﴿وَنَمَارِقُ﴾ جمع نمرقة، وهي الوسادة.

(١٦) ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ هي بُسُطٌ فاخرة، **وقيل**: هي الطَّنَافِس، واحدها: زَرْبِيَّة[3].

﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ أي: متفرقة، وذلك عبارة عن كثرتها، **وقيل**: مبسوطة.

(١٧) ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ حضّ علىٰ النظر إلىٰ خلقتها؛ لما فيها من العجائب في قوتها، وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف، وصبرها علىٰ العطش، وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها، وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها وغير ذلك.

---

(١) في ب، د: «اللحن».
(٢) انظر تفسير الآية (٢٠) من سورة الواقعة.
(٣) انظر التعليق علىٰ تفسير الآية (٧٥) من سورة الرحمن.

وقيل: أراد بالإبل السحاب، وهذا بعيد، وإنما حمل قائلَه عليه مناسبتُها للسماء والأرض والجبال.

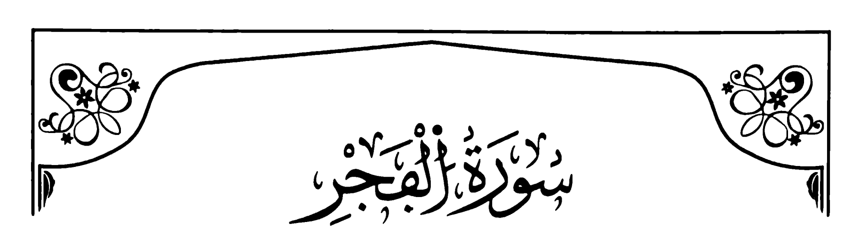
والصحيح أن المراد الحيوان المعروف، وإنما ذكره لما فيه من العجائب، ولاعتناء العرب به؛ إذ كانت معايشهم في الغالب منه، وهو أكثر المواشي في بلادهم.

(٢٢) ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي: قاهر متسلط. وهذا من المنسوخ بالسيف.

(٢٣) ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ﴾ استثناء منقطع، معناه: لكن من تولىٰ وكفر فيعذبه الله. **وقيل**: هو استثناء من مفعول ﴿فَذَكِّرْ﴾ ، **والمعنىٰ**: ذكر كل أحد إلا من تولىٰ حتىٰ يئستَ منه، فهو علىٰ هذا متصل. **وقيل**: هو استثناء من قوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي: لا تتسلط إلا علىٰ من تولىٰ وكفر، وهو علىٰ هذا متصل ولا نسخ فيه؛ إذ لا موادَعة فيه، وهذا بعيد؛ لأن السورة مكية، والموادعة بمكة ثابتة.

(٢٥) ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ أي: رجوعَهم، والآية تهديد.





وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ اَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ اِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ اِلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُواْ الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْاَوْتَادِ ﴿١٠﴾ اِلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي الْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ اِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْاِنسَٰنُ إِذَا مَا ابْتَلَيٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيَ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَيٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴿١٦﴾ فَيَقُولُ رَبِّيَ أَهَٰنَنِ ﴿١٧﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَحُضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٩﴾ وَتَاكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿٢٠﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢١﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْاَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢٢﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٣﴾ وَجِيٓءَ يَوْمَئِذِۢ بِجَهَنَّمَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْاِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٥﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥ أَحَدٌ ﴿٢٧﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥ أَحَدٌ ﴿٢٨﴾ يَٰأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٩﴾ اِرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٣٠﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَٰدِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣١﴾

﴿١﴾ ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم تعالىٰ بالفجر، وهو الطالع كل يوم، كما أقسم بالصبح. وقيل: أراد صلاة الفجر، وقيل: أراد النهار كله. وقيل: فجر يوم الجمعة، وقيل: فجر يوم النحر، وقيل: فجر ذي الحجة، ولا دليل علىٰ هذه التخصيصات. وقيل: أراد انفجار العيون من الحجارة، وهذا بعيد، والأول أشهر وأظهر.

﴿٢﴾ ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ هي عشر ذي الحجة عند الجمهور. وقيل: العشر الأوَّل من المحرم، وفيها عاشوراء، وقيل: العشر الآخِر من رمضان، وقيل: العشر الأول منه.

﴿٣﴾ ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ روي عن النبي ﷺ: أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة[1]؛ وذلك

(١) أخرجه أحمد (١٤٥١١)، والنسائي في الكبرىٰ (٤٠٨٦)، والحاكم (٧٥١٧) وصححه علىٰ شرط مسلم =

لأن يوم النحر عاشر فعدده شفعٌ، ويوم عرفة تاسع فعدده وتر.

وروي عنه ﷺ: أن الشفع يوم عرفة ويوم الأضحىٰ، والوتر ليلة النحر(١).

وروي عنه ﷺ: أنها الصلوات، منها شفع ووتر(٢).

وقيل: الشفع التنفُّل بالصلاة مثنىٰ مثنىٰ، والوتر الركعة الواحدة المعروفة.

وقيل: الشفع العالَم، والوتر الله؛ لأنه واحد.

وقيل: الشفع آدم وحواء، والوتر الله تعالىٰ.

وقيل: الشفع الصفا والمروة، والوتر البيت الحرام.

وقيل: الشفع أبواب الجنة؛ لأنها ثمانية، والوتر أبواب النار؛ لأنها سبعة.

وقيل: الشفع قِرَان الحج، والوتر إفراده.

وقيل: المراد الأعداد، منها شفع ووتر.

فهذه عشرة أقوال. وقرئ ﴿الْوَتْرِ﴾ بفتح الواو وكسرها(٣)، وهما لغتان.

﴿٤﴾ ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ أي: إذا يذهب، فهو كقوله: ﴿وَالَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣]. وقيل: أراد: يُسرَىٰ فيه، فهو علىٰ هذا كقولهم: «ليلُهُ قائمٌ»، والمراد علىٰ هذا: ليلة جمع؛ لأنها التي يُسرَىٰ فيها، والأول أشهر وأظهر.

= ووافقه الذهبي، من حديث جابر ﷺ، قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٢٠٥): «وهذا سند لا بأس برجاله»، وقال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٣٩١): «وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة».

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٧٩) من حديث أبي أيوب ﷺ، وضعفه السيوطي في الدر المنثور (١٥/ ٤٠٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٩٩١٩)، والترمذي (٣٣٤٢)، عن عمران بن عصام عن شيخ من أهل البصرة، عن عمران بن حصين ﷺ مرفوعًا، قال ابن حجر في الفتح (٨/ ٧٠٢): «ورجاله ثقات إلا أن فيه راويًا مبهمًا»، وأخرجه الطبري (٢٤/ ٣٥٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٣) والحاكم (٣٩٢٨) وصححه ووافقه الذهبي عن عمران بن عصام الضبعي -شيخ من أهل البصرة- عن عمران بن حصين ﷺ مرفوعًا، فأسقطوا ذكر الرجل المبهم، قال ابن حجر عقب كلامه السابق: «وقد أخرجه الحاكم من هذا الوجه فسقط من روايته المبهم فاغترَّ فصححه»، قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٣٩٣): «وعندي أن وقفه علىٰ عمران بن حصين أشبه».

(٣) قرأ حمزة والكسائي بكسر الواو، وقرأ الباقون بالفتح.

(٥) ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ هذا توقيف يراد به تعظيم الأشياء التي أقسم بها. **والحِجْر هنا**: هو العقل، كأنه يقول: إن هذا لقسمٌ[١] عظيمٌ عند ذوي العقول. **وجواب القسم محذوف**، وهو: «ليأخذنَّ الله الكفار»، ويدلُّ علىٰ ذلك: ما ذكر بعده من أَخْذ عاد وثمود وفرعون.

(٧) ﴿إِرَمَ﴾ هي قبيلة عاد، سميت باسم أحد أجدادها، كما يقال: «هاشم»: لبني هاشم. **وإعرابه**: بدل من ﴿عَادٍ﴾، أو عطف بيان. وفائدته: أن المراد عادٌ الأولىٰ، فإن عادًا الثانية لا يسمَّون بهذا الاسم. **وقيل**: ﴿إِرَمَ﴾ اسم مدينتهم، فهو علىٰ حذف مضاف تقديره: «بعادِ عادِ إرمَ»، ويدل علىٰ هذا: قراءة ابن الزبير: «بعادِ أَرِمَ» علىٰ الإضافة من غير تنوين «عاد»[٢]. وامتنع ﴿إِرَمَ﴾ من الصرف علىٰ القولين: للتعريف والتأنيث.

﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ **من قال** ﴿إِرَمَ﴾ **قبيلةٌ**: قال ﴿ٱلْعِمَادِ﴾: أعمدة بنيانهم أو أعمدة بيوتهم من الشعر؛ لأنهم كانوا أهل عمود، **وقال ابن عباس** رضي الله عنهما: ذلك كناية عن طول أبدانهم[٣]. **ومن قال** ﴿إِرَمَ﴾ **مدينة**: فـ﴿ٱلْعِمَادِ﴾ الحجارة التي بنيت بها، **وقيل**: القصور والأبراج.

(٨) ﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ **صفة للقبيلة**؛ لأنهم كانوا أعظم الناس أجسامًا، يقال: كان طول الرجل منهم أربع مئة ذراع. **أو صفة للمدينة، وهذا أظهر**؛ لقوله: ﴿فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾، ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا. وروي أنها بناها شدَّاد بن عاد في ثلاث مئة عام، وكان عمره تسع مئة عام، وجعل قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها من الزَّبرجد والياقوت، وفيها أنواع الشجرات والأنهار الجارية، وروي أنه سَمع ذكر الجنة، فأراد أن يعمل مثلها، فلما أتمَّها وسار إليها بأهل مملكته أهلكهم الله بصيحة، وكانت هذه المدينة باليمن، وروي أن بعض المسلمين مر بها في خلافة معاوية[٤].

---

(١) في ب، د، هـ: «القسمَ».

(٢) بفتح الهمزة وكسر الراء من «أَرِمَ». المحرر الوجيز (٨/ ٦٠٧)، والبحر المحيط (٢١/ ٣٤٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٦٥) من طريق العوفي عنه.

(٤) أخرجه الثعلبي (٢٩/ ٣٢٧) عن كعب الأحبار، والذي مرَّ بها رجل من الأعراب اسمه عبد الله بن قلابة، فلما بلغ خبره معاويةَ رضي الله عنه أرسل في طلبه، وأرسل إلىٰ كعب الأحبار فأخبر خبرها وهو خبر مطول، وأشار ابن كثير في تفسيره (٨/ ٣٩٦) إلىٰ ما ذكره الثعلبي، وعقَّب بقوله: «فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، =

وقيل: هي دمشق، وقيل: الإسكندرية، وهذا ضعيف.

﴿٩﴾ ﴿جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ أي: نقَبوه ونحَتوا فيه بيوتًا. والوادي: ما بين الجبلين، وإن لم يكن فيه ماء، وقيل: أراد وادي القرىٰ[١].

﴿١٠﴾ ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ ذكر في «داود»[٢].

﴿١١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ﴾ صفة لعاد وثمود وفرعون، ويجوز أن يكون منصوبًا علىٰ الذم، أو خبرَ ابتداء مضمر.

﴿١٣﴾ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ استعار[٣] السَّوطَ للعذاب؛ لأنه يقتضي من التكرار ما لا يقتضيه السيف وغيره. قاله ابن عطية[٤]، وقال الزمخشري: ذِكْر السوط إشارةٌ إلىٰ عذاب الدنيا؛ إذ هو أهون من عذاب الآخرة، كما أن السوط أهون من القتل[٥].

﴿١٤﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ عبارة عن أنه تعالىٰ حاضر بعلمه في كل مكان وكل زمان، ورقيبٌ علىٰ كل إنسان، وأنه لا يَفوته أحد من الجبابرة والكفار، وفي ذلك تهديد لكفار قريش وغيرهم. والمرصاد: المكان الذي يَترقب[٦] فيه الرصَدُ.

﴿١٥﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾ الابتلاء: هو الاختبار، واختبار الله لعبده لتقوم الحجة علىٰ العبد بما يبدو منه، وقد كان الله عالمًا بذلك قبل كونه. و﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ هنا: جنس، وقيل: نزلت في عتبة بن ربيعة[٧]، وهي مع ذلك علىٰ العموم فيمن كان علىٰ هذه الصفة.

= ولو صح إلىٰ ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخبال فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج، وليس كذلك، وهذا مما يقطع بعدم صحته»، وقال ابن حجر في الكاف الشاف (١٨٤): «آثار الوضع عليه لائحة».

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٤)٣٣٨: «وادي القرىٰ: واد بين الشام والمدينة، وهو بين تيماء وخيبر فيه قرىٰ كثيرة، وبها سمي وادي القرىٰ».

(٢) انظر

(٣) في أ، هـ: «استعارة».

(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٦٠٩).

(٥) الكشاف (١٦/ ٤٢٤).

(٦) في ب، د: «ترتقب».

(٧) ذكره الواحدي في البسيط (٢٣/ ٥٠٨) من رواية عطاء عن ابن عباس ﷺ.

وذكر الله في هذه الآية ابتلاءه للإنسان بالخير، ثم ذكر بعده ابتلاءه بالشر، كما قال في: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وأنكر عليه قوله حين الخير: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ وقوله حين الشر: ﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾. ويتعلق بالآية سؤالان:

السؤال الأول: لم أنكر الله علىٰ الإنسان قوله: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ و﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أن الإنسان يقول: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ علىٰ وجه الفخر بذلك والكبر، لا علىٰ وجه الشكر، ويقول: ﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ علىٰ وجه التشكي من الله وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك، فإن الواجب عليه أن يشكر علىٰ الخير ويصبر علىٰ الشر.

والآخر: أن الإنسان اعتَبر الدنيا فجعل بسْط الرزق فيها كرامة، وتضييقه إهانة، وليس الأمر كذلك؛ فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه، ويضيقه علىٰ[1] أوليائه، فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة، وهذا الإنكار من هذا الوجه علىٰ المؤمن، وأما الكافر فإنما اعتبر الدنيا؛ لأنه لا يصدق بالآخرة، ويرىٰ أن الدنيا هي الغاية، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك.

السؤال الثاني: **إن قيل**: قد قال الله: ﴿فَأَكْرَمَهُۥ﴾ فأثبت إكرامه، فكيف أنكر عليه قوله: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ ؟ **فالجواب من ثلاثة أوجه:**

الأول: أنه لم ينكر عليه ذكره للإكرام، وإنما أنكر عليه ما يدل عليه كلامه من الفخر وقلة الشكر، أو من اعتبار الدنيا دون الآخرة حسَبما ذكرنا في معنىٰ الإنكار.

الثاني: أنه أنكر عليه قوله: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ إذا اعتقد إن إكرام الله له باستحقاقه للإكرام، لا علىٰ وجه التفضُّل والإنعام، كقول قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

الثالث: أن الإنكار إنما هو لقوله: ﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾، لا لقوله: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾؛ فإن قوله: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ اعترافٌ بنعمة الله، وقوله: ﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ شكاية من فعل الله.

(١) في ب: «ويقبضه عن».

﴿١٦﴾ ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ أي: ضيقه، **وقرئ** بتشديد الدال وتخفيفها[١] بمعنىٰ واحد، وفي التشديد مبالغة، **وقيل**: معنىٰ التشديد: جعَله علىٰ قدر معلوم.

﴿١٧﴾ ﴿كَلَّا﴾ زجرٌ عما أنكر من قول الإنسان.

﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ هذا ذمٌّ لما ذكر من الأعمال القبيحة. **ومعنىٰ هذا الإضراب بـ﴿بَل﴾**: كأنه أنكر علىٰ الإنسان ما تقدم، ثم قال: بل تفعلون ما هو شر من ذلك، وهو أن لا تكرموا اليتيم وما ذكر بعده. قال رسول الله ﷺ: «أحب البيوت إلىٰ الله بيت فيه يتيم مكرم»[٢].

﴿١٨﴾ ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ **الحضُّ علىٰ الأمر**: هو الترغيب فيه، ومن لا يحض غيره علىٰ أمر فلا يفعله هو، فكأنه ذمٌّ لترك طعام المسكين. **والطعام هنا**: بمعنىٰ الإطعام، **وقيل**: هو علىٰ حذف مضاف تقديره: لا تحُضُّون علىٰ بذل طعام المسكين. **وقرئ** ﴿تَحَٰٓضُّونَ﴾ بفتح الحاء وألف بعدها[٣]، بمعنىٰ لا يحضُّ بعضكم بعضًا.

﴿١٩﴾ ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ **التُّراث**: ما يُورَث عن الميت من المال، والتاء فيه بدل من واو، **واللمُّ**: الجمع واللف، **والتقدير**: أكلًا ذا لمٍّ، وهو أن يأخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره؛ لأن العرب كانوا لا يعطون من الميراث أنثىٰ ولا صغيرًا، بل ينفرد به الرجال.

﴿٢٠﴾ ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: شديدًا كثيرًا، وهذا ذم للحرص علىٰ المال وشدة الرغبة فيه.

﴿٢١﴾ ﴿دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: سُوِّيت بذهاب جبالها.

﴿دَكًّا دَكًّا﴾ أي: دكًّا بعد دكٍّ، كما تقول: تعلمت العلم بابًا بابًا.

﴿٢٢﴾ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ **تأويله عند المتأولين**: جاء أمره وسلطانه. **وقال المنذر بن سعيد**: معناه ظهوره للخلق هنالك. وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التي يجب الإيمان بها من غير

---

(١) قرأ ابن عامر بتشديد الدال، وقرأ الباقون بتخفيفها.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٣٨٨)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (١/ ٥٥٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ٣٩١-٣٩٢) عن عمر ﷺ مرفوعًا، تفرَّد به إسحاق بن إبراهيم الحنيني، وهو ضعيف (التقريب ١٢٦)، وذكره الذهبي في الميزان (١/ ١٧٩)، وقال: «صاحب أوابد» وعدَّ منها هذا الحديث.

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح الحاء وألف بعدها، وقرأ الباقون بضم الحاء من غير ألف.

تكييف ولا تمثيل[1].

﴿وَالْمَلَكُ﴾ هو اسم جنس، فإنه روي أن الملائكة كلهم يكونون صفوفًا حول الأرض.

﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أي: صفًا بعد صف، قد أحدقوا بالجن والإنس.

(٢٣) ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يومئذ بجهنم معها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرُّونها»[2].

(٢٣) ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من ﴿إِذَا دُكَّتِ﴾، و﴿يَتَذَكَّرُ﴾ هو العامل، وهو جواب ﴿إِذَا دُكَّتِ﴾. والمعنى: أن الإنسان يتذكر يوم القيامة لأعماله في الدنيا، ويندم على تفريطه وعصيانه. و﴿الْإِنسَانُ﴾ هنا: جنس، وقيل: يعني: عتبة بن ربيعة، وقيل: أمية بن خلف.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ هذا على حذف تقديره: «أنى له الانتفاع بالذكرى»، كما تقول: «ندم حين لم تنفعه الندامة».

(٢٤) ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنه يريد الحياة في الآخرة، فالمعنى: يا ليتني قدَّمت عملًا صالحًا للآخرة. والآخر: أنه يريد الحياة الدنيا، فالمعنى: يا ليتني قدَّمت عملًا صالحًا وقْتَ[3] حياتي، فاللام على هذا كقولك: كتبتُ لعشْرٍ من الشهر.

(٢٥) ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ من قرأ بكسر الذال من ﴿يُعَذِّبُ﴾ والثاء من ﴿يُوثِقُ﴾[4]: فالضمير في ﴿عَذَابَهُۥٓ﴾ و﴿وَثَاقَهُۥٓ﴾: لله تعالى، والمعنى: أنه الله يتولى عذاب الكفار ولا يَكِله إلى أحد. ومن قرأ بالفتح: فالضمير للإنسان؛ أي: لا يعذَّب أحد مثل عذابه، ولا يوثَق أحد مثل وَثاقه، وهذه قراءة الكسائي، وروي أن أبا عمرٍو رجع إليها[5]، وهي قراءة حسنة، وقد رويت عن رسول الله ﷺ[6].

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) في ب، د: «في وقت».

(٤) قرأ الكسائي بفتح الذال والثاء، وقرأ الباقون بكسرهما.

(٥) ذكره الثعلبي (٢٩/ ٣٥٧).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٩١) عن خارجة عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عمَّن أقرأه النبي ﷺ، =

(٢٧) ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ أي: الموقنة يقينًا قد اطمأنت به، بحيث لا يتطرَّق إليها شك في الإيمان، وقيل: المطمئنة: التي لا تخاف حينئذ، ويؤيد هذا: قراءة أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه: «يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة»[1].

(٢٨) ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ هذا الخطاب والنداء يكون: عند الموت، وقيل: عند البعث، وقيل: عند انصراف الناس إلىٰ الجنة أو النار، والأول أرجح؛ لما روي أن أبا بكر رضي الله عنه سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال له: «يا أبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك»[2].

﴿رَاضِيَةً﴾ معناه: راضية بما أعطاك الله، أو راضية عن الله. ومعنىٰ المرضية: مرضية عند الله، أو أرضاها الله بما أعطاها.

﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ أي: ادخلي في جملة عبادي الصالحين. وقرئ: «فادخلي في عَبْدِي» بالتوحيد[3]، ومعناه: ادخلي في جسده وهو خطاب للنفس. ونزلت هذه الآية في حمزة[4]، وقيل: في خُبيب بن عَديٍّ الذي صلبه الكفار بمكة[5]، ولفظها يعم كل نفس مطمئنة.

= وفي إسناده خارجة بن مصعب وهو متروك (التقريب ٢٨٣)، وقال الطبري: «واهي الإسناد»، وأخرجه أحمد (٢٠٦٩١)، وأبو داود (٣٩٩٦) من طريق شعبة عن خالد، وقال محققو المسند: «رجاله ثقات رجال الشيخين»، وأخرجه الحاكم (٣٠٠٩) من طريق ابن المبارك عن خالد، وصححه ووافقه الذهبي، قال الحاكم: «والصحابي الذي لم يسمه في إسناده قد سماه غيره مالك بن الحويرث».

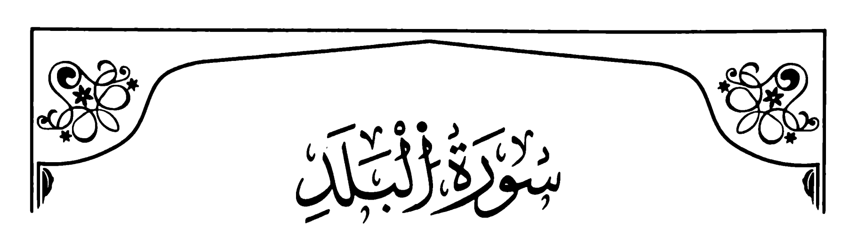
(١) أخرجها الطبري (٢٤/ ٣٩٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٩٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٠)، والثعلبي (٢٩/ ٣٦٦) عن سعيد بن جبير مرسلًا، قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٤٠١): «وهذا مرسل حسن».

(٣) قرأ بها ابن عباس وعكرمة والضحاك ومجاهد وأبو جعفر. المحرر الوجيز (٨/ ٦١٦).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٠) عن بريدة.

(٥) ذكره الثعلبي (٢٩/ ٣٧٣) قولا لم ينسبه، وقاله مقاتل كما في تفسيره (٤/ ٦٩٢).



لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

﴿١﴾ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ أراد مكة باتفاق، وأقسم بها تشريفًا لها، و﴿لَآ﴾ زائدة.

﴿٢﴾ ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ هذه جملة اعتراض بين القسم وما بعده، وفي معناها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنىٰ أنت حالٌّ[1] بهذا البلد؛ أي: ساكن؛ لأن السورة نزلت والنبي ﷺ بمكة.

والآخر: أن معنىٰ ﴿حِلٌّ﴾: تُستحَلُّ حرمتُك ويؤذيك الكفار، مع أن مكة لا يحل فيها قتل صيد ولا بشرٍ، ولا قطع شجر، وعلىٰ هذا قيل: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ نفيٌ؛ أي: لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذاية.

الثالث: أن معنىٰ ﴿حِلٌّ﴾: حلالٌ، يجوز لك في هذا البلد ما شئت من قتل كافر وغير ذلك مما لا يجوز لغيرك، وهذا هو الأظهر؛ لقوله ﷺ: «إن هذا البلد حرام حرَّمه الله يوم خلق السماوات والأرض، لم يَحِلَّ لأحد قبلي ولا يحلُّ لأحد بعدي، وإنما أُحل لي ساعة

(١) في ب، د، هـ: «حلٌّ».

من نهار»[١]، يعني: يوم فتح مكة، وفي ذلك اليوم أمر ﷺ بقتل ابن خطَلٍ وهو متعلق بأستار الكعبة[٢].

فإن قيل: إن السورة مكية، وفتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة؟

فالجواب: أن هذا وعدٌ بفتح مكة، كما تقول لمن تَعِدُه بالكرامة: «أنت مُكْرَمٌ»، يعني: فيما يستقبل، وقيل: إن السورة على هذا مدنية نزلت يوم الفتح، وهذا ضعيف.

(٣) ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه أراد آدم وجميع ولَده[٣].

الثاني: نوح عليه السلام وولده.

الثالث: إبراهيم عليه السلام وولده.

الرابع: محمد ﷺ وولده.

الخامس: جنس كل والد ومولود.

وإنما قال: ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ ولم يقل: «ومن ولد»؛ إشارةً إلى تعظيم المولود كقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦]، قاله الزمخشري[٤].

(٤) ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي: يكابد المشقَّات من هموم الدنيا والآخرة، قال بعضهم: لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابده[٥] ابن آدم[٦]. وأصل الكبَد: من قولك: كَبِدَ الرجلُ فهو أكبد: إذا وَجِعَت كَبِدُه. وقيل: معنى ﴿فِي كَبَدٍ﴾ : واقفًا منتصب القامة، وهذا ضعيف. و ﴿الْإِنسَانَ﴾ على هذين القولين: جنس، وقيل: الإنسان آدم عليه السلام، ومعنى ﴿فِي كَبَدٍ﴾ على هذا: في السماء، وهذا ضعيف، والأول هو الصحيح.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٤٦)، ومسلم (١٣٥٧) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) في د: «أولاده».

(٤) الكشاف (١٦/ ٤٤٣).

(٥) في ج، د، هـ: «يكابد».

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٠٩) عن الحسن.

﴿٥﴾ ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أن معناه: أيظن أن لن يقدر أحد على بعثه وجزائه.

والآخر: أيظن أن لن يقدر أحد أن يغلبه.

فعلى الأول: نزلت في جنس الإنسان الكافر.

وعلى الثاني: نزلت في رجل معيَّن، وهو أبو الأشَدِّ[(١)]، رجل من قريش كان شديد القوة[(٢)]، **وقيل:** عمرو بن عبد ودٍّ[(٣)]، وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة، وقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

﴿٦﴾ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ أي: كثيرًا، وقرئ ﴿لِّبَدًا﴾ بضم اللام وكسرها[(٤)]، وهو جمع لِبْدَةٍ -بالضم والكسر- بمعنى الكثرة. ونزلت الآية عند قوم في الوليد بن المغيرة[(٥)]؛ فإنه أنفق مالًا في إفساد أمر رسول الله ﷺ، **وقيل:** في الحارث بن عامر بن نوفل، وكان قد أسلم وأنفق في الصدقات والكفارات، فقال: لقد أهلكت مالي منذ تبعت محمدًا[(٦)].

﴿٧﴾ ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ **يحتمل أن يكون هذا تكذيبًا له في قوله:** ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾، أو إشارة إلى أنه أنفقه رياء.

---

(١) في تفسير الثعلبي (٢٩/ ٣٨٧)، والبسيط للواحدي (٢٤/ ١٧)، والمحرر الوجيز (٨/ ٦٢٠): «أبو الأشَدَّين».

(٢) عزاه الثعلبي (٢٩/ ٣٨٧) إلى مقاتل، وعزاه الواحدي في البسيط (٢٤/ ١٧) إلى الكلبي ومقاتل.

(٣) حكاه النقاش كما في المحرر الوجيز (٨/ ٦٢٠).

(٤) قراءة السبعة وغيرهم بضم اللام، وأما القراءة بالكسر فقد ذكرها الزمخشري في الكشاف (١٦/ ٤٤٥)، ولم أقف على تسمية من قرأ بها أو ذكر أنها قراءة في هذه الآية، ويظهر أنه وهم، بل قد قال أبو عمرو الداني في جامع البيان (٤/ ١٦٦٧): «وأجمعوا على ضمّ اللام في قوله في البلد: ﴿مالا لبدا﴾، لأن معناه الكثرة فبابه أن تضمّ لامه، والذي في هذه السورة [سورة الجن] معناه جماعات فبابه أن تكسر لامه» ا.هـ، وإنما التي وقع فيها اختلاف القراء قوله تعالى في سورة الجن: ﴿كادوا يكونون عليه لبدا﴾ فروى هشام -بخلف عنه- عن ابن عامر بضم اللام، وقرأ الباقون -وهو الوجه الثاني لهشام- بكسرها.

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (١٦/ ٤٤٥).

(٦) قاله مقاتل كما في تفسير الثعلبي (٢٩/ ٣٩٠).

﴿١٠﴾ ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أي: طريقَي الخير والشر، فهو كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وليس الهدىٰ هنا بمعنىٰ الإرشاد، وقيل: يعني: ثديَي الأم.

﴿١١﴾ ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ الاقتحام: الدخول بشدَّة ومشقَّة.

و﴿ٱلْعَقَبَةَ﴾ عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعد، وجعلها عقبةً استعارة من عقبة الجبل؛ لأنها تصعب ويشق صعودها علىٰ النفوس.

وقيل: هو جبل في جهنم له عقبة لا يجاوزها إلا من عمل هذه الأعمال.

و﴿لَا﴾ هنا: تحضيضٌ بمعنىٰ: «هلَّا»، وقيل: هي دعاء. وقيل: هي نافية، واعتُرض هذا القول: بأن «لا» النافية إذا دخلت علىٰ الفعل الماضي لزم تكرارها. وأجاب الزمخشري بأنها مكرَّرة في المعنىٰ، والتقدير: فلا اقتحم العقبة ولا فك رقبة ولا أطعم مسكينًا[1]. وقال الزجاج: قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يدل علىٰ التكرار؛ لأن التقدير: فلا اقتحم العقبة ولا آمن[2].

﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ تعظيمٌ للعقبة، ثم فسَّرها بفك الرقبة، وهو إعتاقها، وبالإطعام. وقرئ ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [3]: بضم الكاف وخفض الرقبة، وهو علىٰ هذا تفسير للعقبة، وبفتح الكاف ونصب الرقبة، وهو تفسير لـ﴿ٱقْتَحَمَ﴾.

وفك الرقبة: هو عتقها، قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار»[4]. وقال أعرابي لرسول الله ﷺ: دلني علىٰ عمل أنجو به، فقال: «فُكَّ الرقبة وأَعتِق النسمة»، فقال الأعرابي: أليس هذا واحدًا؟ فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) الكشاف (١٦/ ٤٤٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٢٩).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: ﴿فكَّ﴾ بفتح الكاف ﴿رقبةً﴾ بنصب التاء، ﴿أو أطعَم﴾ بفتح الهمزة والميم من غير ألف ولا تنوين، وقرأ الباقون: ﴿فكُّ﴾ برفع الكاف ﴿رقبةٍ﴾ بخفض التاء، ﴿أو إطعامٌ﴾ بكسر الهمزة ورفع الميم منونة وألف قبلها.

(٤) أخرجه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩) عن أبي هريرة ﷺ.

«لا، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها»[١].

وأما فداء أسارى المسلمين من أيدي الكافرين فهو أعظم أجرًا من العتق؛ لأنه واجب، ولو استغرقت فيه أموال المسلمين، ولكنه لا يجزئ في الكفارات عن عتق رقبة.

﴿١٤﴾ ﴿أَوِ اطْعَامٌ﴾ من قرأ ﴿فَكٌّ﴾ بالرفع قرأ ﴿اطْعَامٌ﴾ ، فعطف مصدرًا على مصدر. ومن قرأ ﴿فَكَّ﴾ بالفتح قرأ ﴿أَطْعَمَ﴾ بفتح الهمزة والميم، فعطف فعلًا على فعل.

﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي: ذي مجاعة، يقال: سَغِب الرجلُ: إذا جاع.

﴿١٥﴾ ﴿يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي: ذا قرابة، ففيه أجر إطعام اليتيم وصلة الرحم.

﴿١٦﴾ ﴿أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي: ذا حاجة، يقال: تَرِبَ الرجل: إذا افتقر، وهو مأخوذ من لُصُوقِه بالتراب، وروي عن النبي ﷺ: أنه الذي مأواه المزابل[٢].

﴿١٧﴾ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ﴿ثُمَّ﴾ هنا للتراخي في الرتبة لا في الزمان، وفيها إشارة إلى أن الإيمان أعلى من العتق والإطعام.

ولا يصح أن تكون للترتيب في الزمان؛ لأنه يلزم أن يكون الإيمان بعد العتق والإطعام! ولا يُقبل عمل إلا من مؤمن.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ﴾ أي: وصَّى بعضهم بعضًا بالصبر على قضاء الله، وكأن هذا إشارةٌ إلى صبر المسلمين بمكة على إذاية الكفار.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أي: وصى بعضهم بعضًا برحمة المساكين وغيرهم، **وقيل: المرحمة:** كل ما يؤدي إلى رحمة الله.

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٦٤٧)، وابن حبان (٣٧٤)، والحاكم (٢٨٦١) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (٢١٣١٣)، من حديث البراء بن عازب ﷺ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٣٨): «رواه أحمد ورجاله ثقات».

(٢) أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٤/ ٢١٤)، وفي إسناده عمرو بن حَكَّام، وهو متروك الحديث. انظر: الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي (٢/ ٢٢٥)، وميزان الاعتدال (٣/ ٢٥٤).

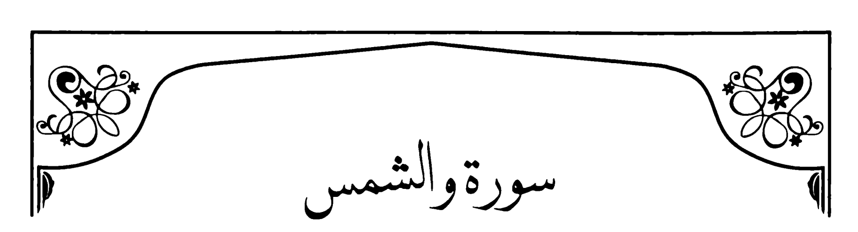
(١٨) (١٩) ﴿ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ جهة اليمين و﴿ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ جهة الشمال. وروي أن الميمنة عن يمين العرش[١]، ويحتمل أن يكونا من اليُمن والشؤم.

(٢٠) ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوصَدَةٌ﴾ أي: مُطبَقة مُغلَقة، يقال: أوصدتُ الباب: إذا أغلقتَه. وفيه لغتان: الهمز، وترك الهمز[٢].

---

(١) ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٦٢٥).

(٢) قرأ أبو عمرو وحمزة وحفص عن عاصم بالهمز، وقرأ الباقون بالإبدال.



سورة والشمس

وَالشَّمْسِ وَضُحَيٰهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَيٰهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهارِ إِذَا جَلَّيٰهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَيٰهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنَيٰهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَيٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَيٰهَا ﴿٨﴾ قَدَ اَفْلَحَ مَن زَكَّيٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّيٰهَآ ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ إِنۢبَعَثَ أَشْقَيٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّيٰهَا ﴿١٤﴾ فَلَا يَخَافُ عُقْبَيٰهَا ﴿١٥﴾

﴿١﴾ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَيٰهَا﴾ **الضُّحىٰ**: ارتفاع الضوء وكماله، **والضَّحَاء** -بالفتح والمد-: بعد ذلك إلىٰ الزوال. وقيل: الضحىٰ النهار كله، والأول هو المعروف في اللغة.

﴿٢﴾ ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَيٰهَا﴾ أي: تَبِعها، وفي تبَعِه لها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يتبعها في كثرة الضوء؛ لأنه أضوأُ الكواكب بعد الشمس، ولا سيما ليلة البدر.

والآخر: أنه يتبعها في طلوعه؛ لأنه يطلع بعد غروبها، وذلك في النصف الأول من الشهر.

الثالث: أن تبَعَهُ لها: أخْذُه من نورها.

﴿٣﴾ ﴿وَالنَّهارِ إِذَا جَلَّيٰهَا﴾ أي: كشفها وأظهرها. والضمير المفعول للشمس، وضمير الفاعل للنهار؛ لأن الشمس تتجلَّىٰ بالنهار، فكأنه هو الذي جلَّاها. وقيل: الضمير الفاعل: لله، وقيل: الضمير المفعول: للظلمة، أو للأرض، أو للدنيا، وهذا كله بعيد؛ لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير عليه.

﴿٤﴾ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَيٰهَا﴾ أي: يغطيها، وضمير المفعول للشمس، وضمير الفاعل للَّيل علىٰ الأصح.

﴿٥﴾ ﴿وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنَيٰهَا﴾ **قيل**: إن «ما» في قوله: ﴿وَمَا بَنَيٰهَا﴾ و ﴿مَا طَحَيٰهَا﴾ و ﴿مَا سَوَّيٰهَا﴾ موصولة بمعنىٰ: «من»، والمراد الله تعالىٰ. **وقيل**: إنها مصدرية، كأنه قال: والسماء وبنيانها[1]، **وضعف الزمخشري هذا بقوله**: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾؛ فإن المراد الله باتفاق، فهذا القول يؤدي إلىٰ فساد النظم[2]. وضعَّف بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات علىٰ الخالق. **فإن قيل**: لم عدَل عن «من» إلىٰ «ما» في قول من جعلها موصولة؟ **فالجواب**: أنه فعل ذلك لإرادة الوصفية، كأنه قال: والقادر الذي بناها.

﴿٦﴾ ﴿طَحَيٰهَا﴾ أي: مدَّها.

﴿٧﴾ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيٰهَا﴾ **تسوية النفس**: إكمال عقلها وفهمها. **فإن قيل**: لم نكَّر النفس؟ **فالجواب من وجهين**:

أحدهما: أنه أراد الجنس، كقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤].

والآخر: أنه أراد نفس آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، **والأول هو المختار**.

﴿٨﴾ ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَيٰهَا﴾ أي: عرَّفها طرق[3] الفجور والتقوىٰ، وجعل لها قوة يصحُّ معها اكتساب أحد الأمرين. ويحتمل أن تكون الواو بمعنىٰ «أو»، كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ [الإنسان: ٣].

﴿٩﴾ ﴿قَدَ اَفْلَحَ مَن زَكَّيٰهَا﴾ **هذا جواب القسم عند الجمهور. وقال الزمخشري**: الجواب محذوف تقديره: ليُدَمْدِمَنَّ الله علىٰ أهل مكة لتكذيبهم النبيَّ ﷺ، كما دَمْدم علىٰ قوم ثمود لتكذيبهم صالحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: وأما ﴿قَدَ اَفْلَحَ﴾ فكلام تابع لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَيٰهَا﴾ علىٰ سبيل الاستطراد[4]، **وهذا بعيد**. والفاعل بـ ﴿زَكَّيٰهَا﴾ ضمير يعود علىٰ ﴿مَن﴾ ، **والمعنىٰ**: قد أفلح من زكىٰ نفسه؛ أي: طهَّرها من الذنوب والعيوب، **وقيل**: الفاعل ضمير الله تعالىٰ، **والأول أظهر**.

---

(١) في أ، هـ: «وبنائها».

(٢) الكشاف (١٦/ ٤٥٩).

(٣) في ب، د: «طريق».

(٤) الكشاف (١٦/ ٤٦٤).

﴿١٠﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ أي: حقَّرها بالكفر والمعاصي. وأصله: دسَّس بمعنىٰ: أخفىٰ؛ فكأنه أخفىٰ نفسه لما حقَّرها، وأُبدل من السين الآخرة حرف علة، كقولهم: «قصَّيْتُ أظفاري»، وأصله: قصَصْتُ.

﴿١١﴾ ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ هو مصدر بمعنىٰ الطُّغيان، قلبت فيه الياء واوًا علىٰ لغة من يقول: «طَغَيْتُ». والباء الخافضة كقولك: «كتبت بالقلم»[1]، أو سببية، والمعنىٰ: بسبب طغيانها. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه كذبت ثمود بعذابها[2]، ويؤيده قوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥].

﴿١٢﴾ ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ العامل في ﴿إِذِ﴾: ﴿كَذَّبَتْ﴾ أو ﴿طَغْوَىٰهَآ﴾. ومعنىٰ ﴿ٱنۢبَعَثَ﴾: خرج إلىٰ عَقْر الناقة بسرعة ونشاط. و﴿أَشْقَىٰهَا﴾: هو الذي عقر الناقة، وهو أُحيمر ثمود، واسمه قُدَار بن سالف، ويحتمل أن يكون ﴿أَشْقَىٰهَا﴾ واقعًا علىٰ جماعة؛ لأن «أفعل» التي للتفضيل إذا أضفته يستوي فيه الواحد والجمع، والأول أظهر وأشهر.

﴿١٣﴾ ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ يعني: صالحًا عليه السلام.

﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: احفظوا ناقة الله، أو احذروا ناقة الله. و﴿سُقْيَٰهَا﴾: شربها من الماء.

﴿١٤﴾ ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ نَسب العقر إلىٰ جماعة؛ لأنهم اتفقوا عليه، وباشَره واحد منهم.

﴿فَدَمْدَمَ﴾ عبارة عن إنزال العذاب بهم، وفيه تهويل.

﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾ أي: بسبب ذنبهم، وهو التكذيب، أو عقر الناقة.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ قال ابن عطية: معناه: فسوَّىٰ القبيلة في الهلاك لم يُفْلت[3] أحد منهم[4]، وقال الزمخشري: الضمير للدمدمة؛ أي: سواها بينهم[5].

---

(١) فتكون للاستعانة مجازًا. الدر المصون (١١/ ٢٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٤٧).

(٣) في أ، د، هـ: «يفت».

(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٦٣٠).

(٥) لم يُفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم. الكشاف (١٦/ ٤٦٧).

﴿١٥﴾ ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا﴾ ضمير الفاعل لله تعالىٰ، والضمير في ﴿عُقْبَـٰهَا﴾ للدَّمدمة والتسوية وهو الهلاك؛ أي: لا يخاف عاقبة إهلاكهم، ولا درَك عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم، وفي ذلك احتقار لهم. وقيل: إن ضمير الفاعل لصالح ﷺ، وهذا بعيد. وقرئ ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ بالفاء وبالواو[1]. وقيل في القراءة بالواو: إن الفاعل ﴿أَشْقَىٰهَا﴾ والجملة في موضع الحال؛ أي: انبعث ولم يخف عقبىٰ فعلته، وهذا بعيد.



(١) قرأ نافع وابن عامر بالفاء، وقرأ الباقون بالواو.



سورة الليل

وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَيٰهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

﴿١﴾ ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أي: يغطِّي، وحذف المفعول وهو الشمس؛ لقوله: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَيٰهَا﴾ [الشمس: ٤]، أو النهار لقوله: ﴿يُغْشِي الَّيْلَ النَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٣]، أو كل شيء يستره[١] الليل.

﴿٢﴾ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أي: ظهر وتبيَّن، والنهار: من طلوع الشمس، واليوم: من طلوع الفجر.

﴿٣﴾ ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ ﴿مَا﴾ بمعنى «من»، والمراد بها: الله تعالى، وعدل عن «مَن» لقصد الوصف، كأنه قال: والقادرِ الذي خلق الذكر والأنثى، وقيل: هي مصدرية. وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ قرأ: «والذكرِ والأنثى»[٢].

﴿٤﴾ ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ هذا جواب القسم، ومعناه: إن عملكم مختلف، فمنه حسنات ومنه سيئات. و﴿شَتَّىٰ﴾ جمع شَتيت.

---

(١) في أ: «ستره».
(٢) أخرجه البخاري (٣٧٦١)، ومسلم (٨٢٤).

﴿٥﴾ ﴿وَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ أي: أعطى ماله في الزكاة والصدقة وشبه ذلك، أو أعطى حقوق الله من طاعته في جميع الأشياء، واتَّقى الله.

﴿٦﴾ ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي: بالخَصلة الحسنة وهي الإسلام، ولذلك عبَّر عنه بعضهم بأنها: «لا إله إلا الله»، أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة.

وقيل: يعني: الأجر والثواب على الإطلاق، وقيل: يعني: الخَلَف على المنفق.

﴿٧﴾ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ أي: نهيِّؤه للطريقة اليسرى، وهي فعل الخيرات وترك السيئات. وضد ذلك ﴿نُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾.

ومنه قوله ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[1]، أي: يهيؤه الله لما قدَّر له، ويسهل عليه فعل الخير أو الشر.

﴿٨﴾-﴿١٠﴾ ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ أي: بخِل بماله، أو بطاعة الله على الإطلاق، فيحتمل الوجهين؛ لأنه في مقابلة ﴿أَعۡطَىٰ﴾ ، كما أن ﴿ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ في مقابلة ﴿ٱتَّقَىٰ﴾ ، و ﴿كَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ في مقابلة ﴿صَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ ، و ﴿نُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ في مقابلة ﴿نُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾. ومعنى ﴿ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾: استغنى عن الله فلم يطعه، أو استغنى بالدنيا عن الآخرة.

ونزلت آية المدح في أبي بكر الصديق رضي الله عنه[2]؛ لأنه أنفق ماله في مرضات الله، وكان يشتري من أسلم من العبيد فيُعتقهم، وقيل: نزلت في أبي الدحداح رضي الله عنه[3]، وهذا ضعيف؛ لأنها مكية، وإنما أسلم أبو الدحداح في المدينة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) عن علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٦٦)، والحاكم (٣٩٤٢) وصححه، من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الثعلبي (٢٩/ ٤٥٩-٤٦١) عن عطاء مرسلًا، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٤٢٠): «وهو حديث غريب جدا»، وضعفه في الدر المنثور (١٥/ ٤٦٤)، وعزاه في المحرر الوجيز (٨/ ٦٤٣) إلى السدي.

وقيل: إن آية الذم نزلت في أبي سفيان بن حرب[1]، وهذا ضعيف؛ لقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾، وقد أسلم أبو سفيان رضي الله عنه بعد ذلك.

(١١) ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ هذا نفيٌ، أو استفهام بمعنىٰ الإنكار. **واختُلف في معنىٰ ﴿تَرَدَّىٰٓ﴾ علىٰ أربعة أقوال:**

الأول: تردَّىٰ أي: هلك، فهو مشتقٌّ من الردىٰ وهو الموت.

[٢] أو تردَّىٰ أي: سقط في القبر.

[٣] أو سقط في جهنم.

[٤] أو تردَّىٰ بأكفانه، من الرِّداء.

(١٢) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ أي: بيان الخير والشر، وليس المراد الإرشاد عند الأشعرية، خلافًا للمعتزلة[2].

(١٤) ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ مخاطبة من الله، أو من النبي ﷺ علىٰ تقدير: «قل».

(١٥) ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ استدل المرجئة بهذه الآية علىٰ أن النار لا يدخلها إلا الكفار؛ لقوله: ﴿ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ **وتأولها الناس بثلاثة أوجه:**

أحدها: أن المعنىٰ: لا يصلاها صَلْيَ خلود إلا الأشقىٰ.

والآخر: أنه أراد نارًا مخصوصة.

الثالث: أنه أراد بـ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ كافرًا معينًا، وهو أبو جهل أو أمية ابن خلف، وقابل به ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ ، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ فخرج الكلام مخرج المدح والذم علىٰ الخصوص، لا مخرج الإخبار علىٰ العموم.

(١٨) ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ من أداء الزكاة، أو من الزكاء؛ أي: يصير زكيًّا عند الله، أو يتطهَّر من ذنوبه. **وهذا الفعل بدل من ﴿ٱلَّذِي يُؤْتِي﴾، أو حال من الضمير.**

---

(١) عزاه الثعلبي (٢٩/ ٤٤٩) إلىٰ الكلبي، وعزاه ابن عطية في المحرر الوجيز (٨/ ٦٣٤) إلىٰ عبد الله بن أبي أوفىٰ.

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (١٠٨).

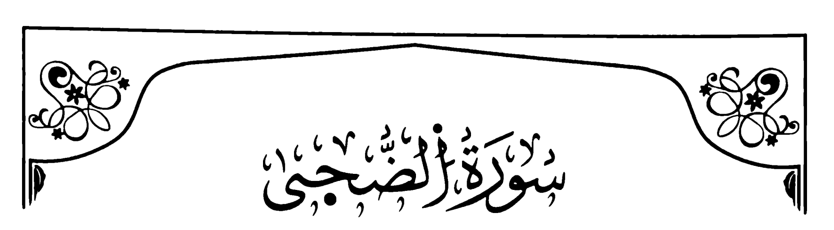
(١٩) ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ أي: لا يفعل الخير جزاءً على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم، بل يفعله ابتداء خالصًا لوجه الله. وقيل: المعنى لا يَقصِد جزاءً من أحد في المستقبل على ما يفعل، والأول أظهر، ويؤيده ما روي أن سبب الآية أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما أعتق بلالًا قالت قريش: كان لبلال عنده يد متقدمة، فنفى الله قولهم[1].

(٢٠) ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ استثناء منقطع.

(٢١) ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ وعدٌ بأن يُرضيَه الله في الآخرة.



(١) ذكره الثعلبي (٢٩/ ٤٥٨) عن سعيد بن المسيب.



وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١

۝١ ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ذكر في «الشمس وضحاها»[١].

۝٢ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ فيه أربعة أقوال:

[١] إذا أقبل.

[٢] وإذا أدبر.

[٣] وإذا أظلم.

[٤] وإذا سكن؛ أي: استقرَّ واستوىٰ، أو سكن فيه الناس والأصوات، ومنه: «ليلة ساجية»: إذا كانت ساكنة الريح، و«طَرْفٌ ساجٍ» أي: ساكن غير مضطرب النظر، وهذا أقرب في الاشتقاق، وهو اختيار ابن عطية[٢].

۝٣ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ بتشديد الدال[٣]: من الوداع، وقرئ بتخفيفها بمعنىٰ: ما تركك، والوداع مبالغة في الترك.

---

(١) انظر تفسير الآية (١).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٦٣٨).

(٣) قراءة السبعة بالتشديد، وقرئ في الشاذ بالتخفيف، وهي قراءة عروة بن الزبير وابنه هشام. المحرر الوجيز (٨/ ٦٣٩).

﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: ما أبغضك. وحذف ضمير المفعول من ﴿قَلَىٰ﴾ و﴿ءَاوَىٰ﴾ و﴿هَدَىٰ﴾ و﴿أَغْنَىٰ﴾ اختصارًا؛ لظهور المعنىٰ، ولموافقة رؤوس الآي.

وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ أبطأ عنه الوحي، فقالت قريش: إن محمدًا ودعه ربه وقلاه، فنزلت تكذيبًا لهم(١).

وقيل: رُمي ﷺ بحجر في إصبَعه فدَمِيت، فمكث ليلتين أو ثلاثًا لا يقوم، فقالت امرأة: ما أرىٰ شيطان محمد إلا قد تركه، فنزلت(٢).

﴿٤﴾ ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ أي: الدار الآخرة خير لك من الدنيا. قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد بالآخرة: حالَه بعد نزول هذه السورة، ويريد بالأولىٰ: حاله قبل نزولها(٣). وهذا بعيد، والأول أظهر وأشهر.

﴿٥﴾ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ روي أنه ﷺ قال لما نزلت: «إذَنْ لا أرضىٰ أن يبقىٰ واحد من أمتي في النار»(٤). قال بعضهم: هذه أرجىٰ آية في القرآن(٥). وقال ابن عباس ﵄: رضاه: أن الله وعده بألْف قصر في الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم(٦). وقيل: رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره، والصحيح أنه وعدٌ يعمُّ كل ما أعطاه في الآخرة، وكل ما أعطاه في الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩٧) عن جندب ﵁.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٢)، والترمذي (٣٣٤٥) وصححه عن جندب ﵁، وأصله في البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧).

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٦٣٩).

(٤) أخرجه الثعلبي (٢٩/ ٤٨٢) عن ابن عباس ﵄ مرفوعًا، وفيه عبد الصمدَ بن علي بن عبد الله بن عباس، قال العقيلي في الضعفاء (٤/ ٨٨): «عبد الصمد بن علي الهاشمي: عن أبيه، عن جده، حديثه غير محفوظ، ولا يعرف إلا به»، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/ ٦٢٠): ليس بحجة. وأخرجه الطبري (٢٤/ ٤٨٨) عن ابن عباس ﵄ موقوفًا، بلفظ: «من رضا محمد ﷺ ألا يدخل أحد من أهل بيته النار».

(٥) قاله أبو جعفر محمد بن علي الباقر كما في تفسير الثعلبي (٢٩/ ٤٧٩) والوسيط للواحدي (٤/ ٥١٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٨٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٣)، وابن أبي شيبة (٣٥١١٣)، والحاكم (٣٩٤٣) وصححه، وقال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٤٢٦): «وهذا إسناد صحيح إلىٰ ابن عباس ﵄، ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف».

﴿٦﴾ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَـَٔاوَىٰ﴾ عدَّد الله نعمه عليه فيما مضىٰ من عمره؛ ليقيس عليه ما يستقبل فتطيب نفسه، ويقوىٰ رجاؤه. و«وَجَدَ» في هذه المواضع تتعدىٰ إلىٰ مفعولين، وهي بمعنىٰ: «علم»؛ فالمعنىٰ: ألم تكن يتيمًا فآواك؟ وذلك أن والده ﷺ توفي وتركه في بطن أمه، ثم ماتت أمه وهو ابن خمسة أعوام، وقيل: ثمانية، فكفِله جدُّه عبد المطلب، ثم مات وتركه ابن اثني عشر عامًا، فكفله عمه أبو طالب.

وقيل: لجعفر الصادق: لم نشأ النبي ﷺ يتيمًا؟ فقال: لئلا يكون عليه حقٌّ لمخلوق[1].

﴿٧﴾ ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّاً فَهَدَىٰ﴾ فيه ستة أقوال:

أحدها: وجدك ضالًّا عن معرفة الشريعة فهداك إليها، فالضلال عبارة عن التوقُّف في أمر الدين حتىٰ جاءه الحق من عند الله، فهو كقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِے مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ﴾ [الشورىٰ: ٤٩]، وهذا هو الأظهر، وهو الذي اختاره ابن عطية[2] وغيره، ومعناه: أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتىٰ بعثه الله، ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به؛ لأنه كان معصومًا من ذلك من قبل النبوة وبعدها.

الثاني: وجدك في قوم ضُلَّال، فكأنك واحد منهم، وإن لم تكن تعبد ما يعبدون، وهذا قريب من الأول.

الثالث: وجدك ضالًّا عن الهجرة فهداك إليها، وهذا ضعيف؛ لأن السورة نزلت قبل الهجرة.

الرابع: وجدك خامل الذكر لا تُعرف، فهدىٰ الناس إليك وهداهم بك، وهذا بعيد عن المعنىٰ المقصود.

الخامس: أنه من الضلال عن الطريق، وذلك أنه ﷺ ضلَّ في بعض شِعاب مكة؛ أي:

(١) أخرجه الثعلبي (٢٩/ ٤٨٦).
(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٦٤٠).

تلِفَ وهو صغير، فردَّه الله إلىٰ جده[1]، **وقيل**: بل ضلَّ من مرضعته حليمة، فرده الله إليها، **وقيل**: بل ضل في طريق الشام حين خرج إليها مع أبي طالب.

السادس: أنه من الضلال بمعنىٰ المحبة[2] أي: وجدك محبًّا لله فهداك إليه، ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم، ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]؛ أي: محبتك ليوسف، وبهذا كان يقول شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير.

﴿٨﴾ ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ﴾ **العائل**: الفقير، يقال: عال الرجل فهو عائل: إذا كان محتاجًا، وأعال فهو مُعيل: إذا كثر عياله. وهذا الفقر والغنىٰ هو في المال.

وغناه[3] ﷺ: هو أن أعطاه الله الكفاف، **وقيل**: هو رضاه بما أعطاه الله، **وقيل**: المعنىٰ: وجدك فقيرًا إليه فأغناك به.

﴿٩﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ أي: لا تغلبْه علىٰ ماله وحقِّه لأجل ضعفه، أو لا تقهره بالمنع من مصالحه، ووجوه القهر كثيرة، والنهي يعمُّ جميعها.

﴿١٠﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ **النَّهْرُ**: هو الانتهار والزجر، فالنهي عنه أمرٌ بالقول الحسن والدعاء للسائل كما قال تعالىٰ: ﴿فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا﴾ [الإسراء: ٢٨]. **ويحتمل** ﴿ٱلسَّآئِلَ﴾ أن يريد به سائل الطعام والمال، وهذا هو الأظهر، أو السائل عن العلم والدين. وفي قوله ﴿تَقۡهَرۡ﴾ و﴿تَنۡهَرۡ﴾ لزوم ما لا يلزم من التزام الهاء قبل الراء.

﴿١١﴾ ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ قيل: معناه: بُثَّ القرآن وبلِّغ الرسالة. **والصحيح** أنه عموم في جميع النعم، قال رسول الله ﷺ: «التحدث بالنعم شكر»[4]. ولذلك كان بعض السلف يقول: «لقد أعطاني الله كذا، ولقد صليت البارحة كذا»، وهذا إنما يجوز إذا ذكره علىٰ وجه الشكر أو ليقتدىٰ به، فأما علىٰ وجه الفخر والرياء فلا يجوز.

---

(١) ذكره الثعلبي (٢٩/ ٤٩٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) في أ، هـ: «أنه بمعنىٰ الضلال من المحبة»!
(٣) في أ، هـ: «وغناؤه».
(٤) تقدم تخريجه.

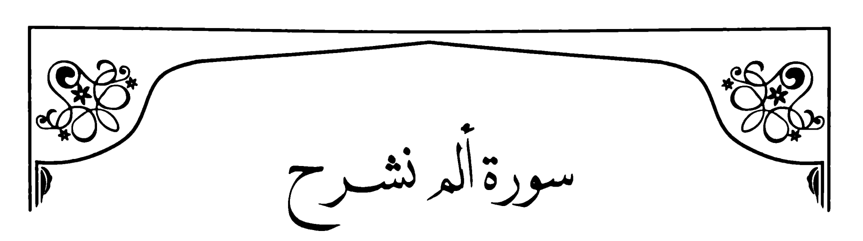
وانظر كيف ذكر الله في هذه السورة ثلاثَ نعمٍ، ثم ذكر في مقابلتها ثلاث وصايا:

فقابل قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً﴾ بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾.

وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّاً﴾ بقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾ علىٰ قول من قال إنه السائل عن العلم، وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ علىٰ القول الآخر.

وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ بقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾ علىٰ القول الأظهر، وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ علىٰ القول الآخر.





سورة ألم نشرح

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾

(١) ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ هذا توقيف معناه: إثبات شرح صدره ﷺ، وتعديد ما ذكر بعده من النعم. وشرح صدره ﷺ: هو اتساعه لتحصيل العلم، وتنويره بالحكمة والمعرفة، وقيل: هو شق جبريل عليه السلام لصدره في صغره، أو في وقت الإسراء، حين أخرج قلبه وغسله.

(٢) ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

الأول -قول الجمهور-: أن الوِزْر: الذنوب، ووضْعُها: هو غفرانها، فهو كقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وهذا على قول من جوَّز صغائر الذنوب على الأنبياء، أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوَّة.

الثاني: أن الوزر: هو أثقال النبوة وتكاليفها، ووضعها على هذا: هو إعانته عليها، وتمهيد عذره بعد ما بلَّغ الرسالة.

الثالث: أن الوزر: هو تحيُّره قبل النبوة؛ إذ كان يرى أن قومه على ضلال، ولم يأته من الله أمر واضح، فوضْعه على هذا: هو بالنبوَّة والهدى للشريعة.

(٣) ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ عبارة عن ثِقَلِ الوزر المذكور وشدته عليه. قال الحارث المحاسبي: إنما وُصفت ذنوب الأنبياء بالثِّقَل، وهي صغائر مغفورة لهم؛ لهمِّهم بها

وتحسُّرهم عليها، فهي ثقيلة عندهم؛ لشدة خوفهم من الله، وهي خفيفة عند الله[(١)]. وهذا كما جاء في الأثر: «**إن المؤمن يرىٰ ذنوبه كالجبل يقع عليه، والمنافق يرىٰ ذنوبه كالذبابة تطير فوق أنفه**»[(٢)].

واشتقاق ﴿أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ من نقض البنيان وغيره، أو من النقيض، وهو الصوت؛ فكأنه يُسمع لظهره نقيض كنقيض ما يُحمل عليه شيءٌ ثقيل.

﴿٤﴾ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي: نوَّهنا باسمك وجعلناه شهيرًا في المشارق والمغارب.

وقيل: معناه اقتران ذكره بذكر الله في الأذان والخطب والتشهد وفي مواضع من القرآن، وقد روي في هذا حديث: إن الله قال له: «**إذا ذكرتُ ذكرتَ معي**»[(٣)].

فإن قيل: لم قال: ﴿لَكَ ذِكْرَكَ﴾ و ﴿لَكَ صَدْرَكَ﴾ مع أن المعنىٰ مستقل دون ﴿لَكَ﴾؟

فالجواب: أن قوله: ﴿لَكَ﴾ تدلُّ علىٰ الاعتناء به والاهتمام بأمره.

﴿٥﴾ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ هذا وعد باليُسر بعد العسر، وإنما ذكره بلفظ ﴿مَعَ﴾ التي تقتضي المقارنة[(٤)]، ليدل علىٰ قرب اليسر من العسر. **فإن قيل**: ما وجه ارتباط هذا مع ما قبله؟

فالجواب: أنه ﷺ كان بمكة هو وأصحابه في عُسر من إذاية الكفار ومن ضيق الحال، فوعده الله باليسر، وقدَّم تعديد النعم تسلية وتأنيسًا؛ لتطيبَ نفسُه ويقوىٰ رجاؤه، كأنه يقول: إن الذي أنعم عليك بهذه النعم سينصرك ويُظهرك ويبدِّل لك هذا العسر بيسرٍ قريب، ولذلك كرر ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ مبالغةً، وقال رسول الله ﷺ: «**لن يغلب عسر**

---

(١) ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٦٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٤٩٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٥) -تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٠)-، وابن حبان (٣٣٨٢)، وأبو يعلىٰ -كما في مجمع الزوائد للهيثمي (٨/ ٤٥٥) وإتحاف الخيرة المهرة للبوصيري (٧/ ١٢٧)- من حديث دَرَّاج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ودراج قال في التقريب (٣١٠): «صدوق، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف»، وحسن إسناده الهيثمي.

(٤) في أ، هـ: «المقاربة».

يسرين»[١]، وقد روي ذلك عن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما[٢].

وتأويله: أن العسر المذكور في هذه السورة واحد؛ لأن الألف واللام للعهد كقولك: «جاءني رجل فأكرمت الرجل»، واليسر اثنان؛ لتنكيره، وقيل: إن اليسر الأول: في الدنيا، والثاني: في الآخرة.

﴿٧﴾ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ هو من النَّصَب بمعنى التعب، والمعنى: إذا فرَغت من أمر فاجتهد في آخر. ثم اختُلف في تعيين الأمرين، فقيل: إذا فرغت من الفرائض فانصب في النوافل، وقيل: إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء، وقيل: إذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك.

﴿٨﴾ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ قدم الجار والجرور ليدل على الحصر؛ أي: لا ترغب إلا إلى ربك وحده.



(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٩٥)، والحاكم (٣٩٥٠) عن الحسن مرسلًا، وأخرجه الطبري أيضا (٢٤/ ٤٩٦) عن قتادة مرسلا، وأخرجه ابن مردويه -كما في الدر المنثور (١٥/ ٥٠١) وتخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٤/ ٢٣٦)- الحسن بن عطية العوفي عن أبيه عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا، والحسن بن عطية ضعيف (التقريب ٢٣٩).

(٢) أثر عمر رضي الله عنه أخرجه مالك في الموطأ (١٢٨٩)، وابن أبي شيبة (١٩٨٣٤) والطبري (٦/ ٣٣٤)، والحاكم (٣١٧٦) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الشعب (١٢/ ٣٥٩).
وأثر ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٣٨)، والبيهقي في الشعب (١٢/ ٣٦٠).



سُورَةُ ٱلتِّينِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

﴿١﴾ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ **فيها قولان:**

الأول: أنه التين الذي يؤكل، والزيتون الذي يعصر، أقسم الله بهما؛ لفضيلتهما على سائر الثمار. روي أن رسول الله ﷺ أكل مع أصحابه تينًا فقال: «لو قلتُ: إن فاكهةً نزلت من الجنة قلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عَجَم، فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النِّقرس»[1]، وقال ﷺ: «نعم السواك الزيتون، من الشجرة المباركة، هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي»[2].

القول الثاني: أنهما موضعان، ثم اختلف فيهما: فقيل: هما جبلان بالشام، أحدهما بدمشق ينبت فيه التين، والآخر بإيلياء ينبت فيه الزيتون، فكأنه قال: ومنابت التين والزيتون. وقيل: التين: مسجد دمشق، والزيتون: مسجد بيت المقدس. وقيل: التين: مسجد نوح، والزيتون: مسجد إبراهيم.

---

(١) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في كتاب الطب النبوي (٢/ ٤٨٥)، والثعلبي (٣٠/ ١٠) من حديث أبي ذر ﷺ، قال المناوي في الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي (٣/ ١١٠٨): «رواه الثعلبي وأبو نعيم في الطب من حديث أبي ذر بإسناد مجهول»، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ١٦٦) بالضعف.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٢١٠)، وأبو نعيم الأصبهاني في كتاب الطب النبوي (٢/ ٦٣٦)، والثعلبي (٣٠/ ١٢) عن معاذ ﷺ، وفي إسناده محمد بن محصن العُكاشي، متروك، كان يضع الحديث على الثقات، فالحديث موضوع. انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٣٧٢).

والأظهر أنهما الموضعان من الشام، وهما اللذان كان فيهما مولد عيسىٰ ﷺ أو مسكنه، وذلك أن الله ذكر بعد هذا الطورَ الذي كلم عليه موسىٰ ﷺ، والبلدَ الذي بعث منه محمدًا ﷺ، فتكون الآية نظير ما في التوراة: «أن الله تعالىٰ جاء من طور سيناء، وطلع من ساعر وهو موضع عيسىٰ، وظهر من جبال فاران، وهي مكة»[1]، وأقسم الله بهذه المواضع التي ذكر في التوراة؛ لشرفها بالأنبياء المذكورين.

﴿٢﴾ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ هو الجبل الذي كلَّم عليه موسىٰ ﷺ وهو بالشام، وأضافه الله إلىٰ ﴿سِينِينَ﴾. ومعنىٰ ﴿سِينِينَ﴾: مبارك، فهو من إضافة الموصوف إلىٰ الصفة، **وقيل**: معناه: ذو الشجر، واحدها سينينة، **قاله الأخفش**. **وقال الزمخشري**: ويجوز أن يعرب إعراب الجمع المذكر بالواو والياء، وأن يلزم الياء وتُحرَّك النون بحركات الإعراب[2].

﴿٣﴾ ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ هو مكة باتفاق، و ﴿ٱلْأَمِينِ﴾ : من الأمانة، أو من الأمن؛ لقوله: ﴿إِجْعَلْ هَٰذَا بَلَداً ءَامِناً﴾ [البقرة: ١٢٥].

﴿٤﴾ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: **أن حُسْن[3] التقويم**: هو حسن الصورة وكمال العقل والشباب والقوة، و ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ : الضعف والهرم والخرَف، فهو كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾ [يس: ٦٧]، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفاً وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٣]. وقولُه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بعد هذا: غير متصل بما قبله، **والاستثناء علىٰ هذا القول منقطع**، بمعنىٰ: «لكن»؛ لأنه خارج عن معنىٰ الكلام الأول.

والآخر: **أن حُسْن التقويم**: الفطرة علىٰ الإيمان و ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ الكفر، أو تشويه الصورة في النار، **والاستثناء علىٰ هذا متصل**؛ لأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لم يُرَدُّوا أسفل سافلين.

---

(١) انظر ما تقدم في تفسير الآية (١٥٧) من سورة الأعراف.
(٢) الكشاف (١٦/ ٥٠٥).
(٣) في أ، هـ: «أحسن».

(٦) ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر[1].

(٧) ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه خطاب للنبي ﷺ، والدين: شريعته، **والمعنىٰ**: أي شيء يكذِّبك بالدين بعد هذه الدلائل التي تشهد بصحة نبوَّتك؟

والآخر: أنه خطاب للإنسان الكافر، والدين علىٰ هذا: الشريعة أو الجزاء الأخراوي، ومعنىٰ ﴿يُكَذِّبُكَ﴾ علىٰ هذا: يجعلك كاذبًا؛ لأن من أنكر الحقَّ فهو كاذب، **والمعنىٰ**: أيُّ شيء يجعلك كاذبًا بسبب كفرك بالدين بعد أن علمت أن الله خلقك في أحسن تقويم، ثم ردَّك أسفل سافلين، ولا شك أنه يقدر علىٰ بعثك كما قدَر علىٰ هذا؛ فلأيِّ شيء تكذب بالبعث والجزاء[2]؟

(٨) ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ تقرير ووعيد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقون. وكان رسول الله ﷺ إذا قرأها قال: «بلىٰ، وأنا علىٰ ذلك من الشاهدين»[3].

---

(١) انظر تفسير الآية (٧) من سورة حم السجدة.

(٢) في ب، د: «والحساب».

(٣) تقدم تخريجه في آخر سورة القيامة.



سورة العلق

نزل صدرها بغار حراء، وهو أول ما نزل من القرآن حسَبما ورد عن عائشة رضي الله عنها في الحديث الذي ذكرناه في أول الكتاب(١).

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝٨ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝١٠ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝١٢ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾

۝١ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ **فيه وجهان:**

أحدهما: أن معناه: اقرأ القرآن مفتتِحًا باسم ربك، أو متبرِّكًا باسم ربك. وموضع ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ نصبٌ على الحال. وإذا كان تقديره: مفتتحًا، فيحتمل أن يريد ابتداءَ القراءة بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»، أو يريد الابتداء باسم الله مطلقًا.

والوجه الثاني: أن معناه: اقرأ هذا اللفظ وهو ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ فيكون ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ مفعولًا، وهو المقروء.

﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ حذف المفعول؛ لقصد العموم، كأنه قال: الذي خلق كل شيء، ثم خصَّص خِلقة الإنسان؛ لما فيه(٢) من العجائب والعِبَر. ويحتمل أن أراد: الذي خلق الإنسان،

(١) انظر الباب الأول من المقدمة الأولى.

(٢) في ب، د: «فيها».

كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: ١-٢]، ثم فسَّره بقوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾. **والعلق**: جمع علَقة، وهي القطعة[1] من الدم. والمراد بـ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ هنا: جنس بني آدم، ولذلك جمع العلق لما أراد الجماعة، بخلاف قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٍ﴾ [الحج: ٥]؛ لأنه أراد كل واحد على حِدَته. ولم يدخل آدم عليه السلام في الإنسان هنا؛ لأنه لم يخلق من علقة وإنما خلق من طين.

﴿٣﴾ ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ كرر الأمر بالقراءة تأكيدًا، والواو للحال، **والمقصود**: تأنيس النبي ﷺ، كأنه يقول: افعل ما أُمرت به؛ فإن ربك كريم. وصيغة «أفعل» للمبالغة.

﴿٤﴾ ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ هذا تفسيرٌ للكرم، فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة، وخصَّ من التعليمات الكتابة بالقلم؛ لما فيها من تخليد العلوم، ومصالح الدين والدنيا، وقرأ ابن الزبير: «علم الخط بالقلم»[2].

﴿٥﴾ ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ **يحتمل أن يريد بهذا**: تعليم الكتابة؛ لأن الإنسان لم يكن يعلمها في أول أمره، أو يريد التعليم لكل شيء على الإطلاق. **وقيل**: إن الإنسان هنا: محمد ﷺ، **والأظهر**: أنه جنس الإنسان على العموم.

﴿٦﴾ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾ نزل هذا وما بعده إلى آخر السورة في أبي جهل بعد نزول صدرها بمدة، وذلك أنه كان يطغى بكثرة ماله ويبالغ في عداوة رسول الله ﷺ[3].
و﴿كَلَّآ﴾ **هنا يَحتمل أن تكون** زجرًا لأبي جهل، أو بمعنى: «حقًّا»، أو استفتاحًا.

﴿٧﴾ ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ في موضع المفعول من أجله؛ أي: يطغى من أجل غناه[4].
والرؤية هنا: بمعنى العلم، بدليل إعمال الفعل في الضمير، ولا يكون ذلك إلا في أفعال

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «النطفة».
(٢) انظر: الكشاف (١٦/ ٥١٣)، والبحر المحيط (٢١/ ٤١٦).
(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٣٧)، وأحمد (٢٣٢١)، والترمذي (٣٣٤٩) وقال: «حسن صحيح غريب»، والنسائي في الكبرى (١١٦٢٠)، والحاكم (٣٨٠٩) وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة (٣٧٧١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) في ب: «ماله».

القلوب، **والمعنىٰ**: رأىٰ نفسه استغنىٰ، و﴿ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ هو المفعول الثاني.

﴿٨﴾ ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ هذا تهديد لأبي جهل وأمثاله.

﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ **اتفق المفسرون أن العبد الذي صلىٰ: هو** محمد ﷺ، وأن الذي نهاه: أبو جهل لعنه الله. **وسبب الآية**: أن أبا جهل جاء إلىٰ النبي ﷺ وهو يصلي في المسجد الحرام، فهمَّ بأن يصل إليه ويمنعه من الصلاة، وروي أنه قال: لئن رأيته يصلي، لأطَأَنَّ عنقه، فجاءه وهو يصلي ثم انصرف عنه مرعوبًا، فقيل له: ما هذا[1]؟ فقال: لقد اعترض بيني وبينه خندق من نار وهَوْلٌ وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا**»[2].

﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ ﴿أَرَءَيْتَ﴾ **في هذا الموضع وفي الذي قبله وفي الذي بعده**: بمعنىٰ «أخبرني»؛ فكأنه سؤال يَفتقر إلىٰ جواب وفيها معنىٰ التعجُّب[3] والتوقيف. **والخطاب فيها يحتمل أن يكون** للنبي ﷺ، أو لكل مخاطَب من غير تعيين. وهي تتعدىٰ إلىٰ مفعولين، وجاءت بعدها ﴿إِن﴾ الشرطية في موضعين، وهما: قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ وقوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، **فيُحتاج إلىٰ الكلام في مفعولي** ﴿أَرَءَيْتَ﴾ في المواضع الثلاثة، وفي جواب الشرطين، وفي الضمائر المتصلة بهذه الأفعال، وهي ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾، و ﴿أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾، و﴿كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، علىٰ من تعود هذه الضمائر؟

فقال الزمخشري: إن قوله: ﴿ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ هو المفعول الأول لقوله: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ الأولىٰ، وإن الجملة الشرطية بعد ذلك في موضع المفعول الثاني، وكررت ﴿أَرَءَيْتَ﴾ بعد ذلك للتأكيد، فهي زائدة لا تَحتاج إلىٰ مفعول. وإن قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ هو جواب قوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ ، وإن جواب قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ محذوف يدل عليه جواب قوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، فهو في المعنىٰ جواب للشرطين معًا.

---

(١) في د: «ما منعك».

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في أ، هـ: «التعجيب».

وإن الضمير في قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ للذي نهىٰ عن الصلاة، وهو أبو جهل، وكذلك الضمير في قوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾.

وتقدير الكلام علىٰ هذا: أخبرني عن الذي ينهىٰ عبدًا إذا صلىٰ، إن كان هذا الناهي علىٰ الهدىٰ أو إن كذب وتولىٰ؛ ألم يعلم بأن الله يرىٰ جميع أحواله مِن هداه وضلاله وتكذيبه ونهيه عن الصلاة وغير ذلك؟[1]

فمقصود الآية: تهديد له وزجر وإعلام بأن الله يراه.

وخالفه ابن عطية في الضمائر، فقال: إن الضمير في قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ للعبد الذي صلىٰ، وإن الضمير في قوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ للذي نهىٰ عن الصلاة. وخالفه أيضًا في جعله ﴿أَرَءَيْتَ﴾ الثانية مكررة للتأكيد، وقال: إنها في المواضع الثلاثة توقيف، وإن جوابها في المواضع الثلاثة قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾؛ فإنه يصلح مع كل واحد منها، ولكنه جاء به في آخر الكلام اختصارًا[2].

وخالفهما الغزنوي أيضًا في الجواب فقال: إن جواب قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ محذوف، فقال: إن تقديره: «إن كان علىٰ الهدىٰ أو أمر بالتقوىٰ أليس هو علىٰ الحق واتباعه واجب؟»، والضمير علىٰ هذا يعود علىٰ العبد الذي صلىٰ، وفاقًا لابن عطية.

۝١٥ ۝١٦ ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ۝ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ أوعد أبا جهل إن لم ينته عن كفره وطغيانه أن يأخذ[3] بناصيته فيُلقىٰ في النار. **والناصية**: مقدَّم الرأس، فهو كقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]. **والسَّفْع**: هو الجذب والقبض علىٰ الشيء، **وقيل**: هو الإحراق، من قولك: سفعته النار. وأكد ﴿لَنَسْفَعًا﴾ باللام والنون الخفيفة، وكتبت في المصحف بالألف مراعاة للوقف عليها. **ويظهر لي** أن هذا الوعيد نفَذ عليه يوم بدر حين قُتل وأُخذ بناصيته فجُرَّ إلىٰ القَليب.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٥١٥-٥١٨).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٦٥٤).

(٣) في ب: «يأخذه».

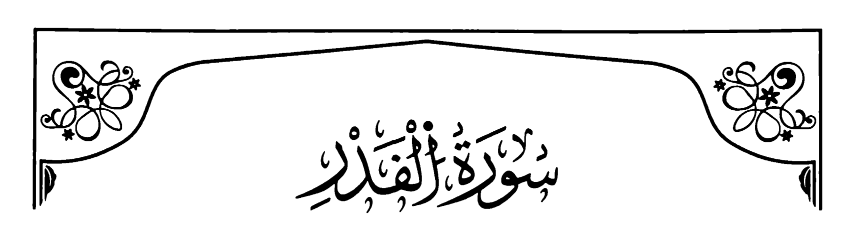
﴿١٧﴾ ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أبدل ﴿نَاصِيَةٍ﴾ من ﴿النَّاصِيَةِ﴾ ، ووصفها بالكذب والخطيئة تجوزًا، والكاذب الخاطئ في الحقيقة: صاحبها. **والخاطئ**: الذي يفعل الذنب متعمدًا، **والمخطئ**: الذي يفعله بغير قصد.

﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ **النادي والنَّدِيُّ**: المجلس الذي يجتمع فيه الناس. وكان أبو جهل قد قال: أيتوعدني محمد! فوالله ما بالوادي أعظم ندِيًّا مني، فنزلت الآية تهديدًا وتعجيزًا له[1]. **والمعنىٰ**: فليدع أهل ناديه لنصرته إن قدَروا علىٰ ذلك، ثم أوعده بأن يدعو له زبانية جهنم، وهم الملائكة الموكلون بالعذاب. **والزبانية في اللغة**: الشُّرَط، واحدهم زِبْنِيَّة، وقيل: زِبْنِيٌّ. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: **«لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عِيانًا»**[2].

﴿٢٠﴾ ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ أي: تقرَّب إلىٰ الله بالسجود، كما قال رسول الله ﷺ: **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فاجتهدوا في الدعاء»**[3]. وهذا موضع سجدة عند الشافعي[4]، وليست عند مالك من عزائم السجود.



(١) تقدم تخريجه قريبا في أثر ابن عباس ﷺ.
(٢) تقدم تخريجه قريبا في أثر ابن عباس ﷺ، وهذا من قول ابن عباس ﷺ موقوفًا كما في المصادر، وأخرجه النسائي في الكبرىٰ (١١٦٢١) مرفوعًا.
(٣) أخرجه مسلم (٤٨٢) عن أبي هريرة ﷺ.
(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤/ ٢٢٠).



إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

اختلف الناس في ليلة القدر علىٰ ستة عشر قولًا؛ وهي:

[١] أنها ليلة إحدىٰ وعشرين من رمضان.

[٢] وليلة ثلاث وعشرين.

[٣] وليلة خمس وعشرين.

[٤] وليلة سبع وعشرين.

[٥] وليلة تسع وعشرين.

فهذه خمسة أقوال في ليالي الأوتار من العشر الأواخر[١] من رمضان، علىٰ قول من ابتدأ عِدَّتها من أول العشر.

وقد ابتدأ بعضهم عدَّتها من آخر الشهر[٢]، فجعل ليالي الأوتار:

[٦] ليلة ثلاثين؛ لأنها الأولىٰ.

[٧] وليلة ثمان وعشرين؛ لأنها الثالثة[٣].

[٨] وليلة ست وعشرين؛ لأنها الخامسة.

---

(١) في أ: «الآخر».

(٢) في د: «العشر».

(٣) في أ: «الثانية»!

[٩] وليلة أربع وعشرين؛ لأنها السابعة.

[١٠] وليلة اثنين وعشرين؛ لأنها التاسعة.

فهذه خمسة أقوال أخر، فتلك عشرة أقوال.

والقول الحادي عشر: أنها تدور في العشر الأواخر، ولا تثبت في ليلة واحدة منه.

الثاني عشر: أنها مخفيَّة في رمضان كله، وهذا ضعيف؛ لقوله ﷺ: **«التمسوها في العشر الأواخر»**(1).

الثالث عشر: أنها مخفية في العام كله.

الرابع عشر: أنها ليلة النصف من شعبان.

وهذان القولان باطلان؛ لأن الله تعالىٰ قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[البقرة: ١٨٤]، فدل ذلك علىٰ أن ليلة القدر في رمضان.

القول الخامس عشر: أنها رفعت بعد النبي ﷺ، وهذا ضعيف.

القول السادس عشر: أنها ليلة سبع عشرة من رمضان؛ لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة.

وأرجح الأقوال: أنها ليلة إحدىٰ وعشرين من رمضان، أو ليلة ثلاث وعشرين، أو ليلة سبع وعشرين، فقد جاءت في هذه الليالي الثلاث أحاديث صحيحة خرجها مسلم(2) وغيره.

والأشهر: أنها ليلة سبع وعشرين.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ الضمير في ﴿أَنزَلْنَـٰهُ﴾ للقرآن، دل علىٰ ذلك سياق الكلام،

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٨)، ومسلم (١١٦٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجاه أيضا -البخاري (٢٠١٦)، ومسلم (١١٦٧)- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وأخرجاه أيضا -البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩)- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وأخرجه البخاري (٢٠٢١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه مسلم (١١٦٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر ما تقدم تخريجه.

وفي ذلك تعظيم للقرآن من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر؛ دلالة على شهرته والاستغناء عن تسميته.

والثاني: أنه اختار لإنزاله أفضل الأوقات.

والثالث: أن الله أسند إنزاله إلى نفسه.

وفي كيفية إنزاله في ليلة القدر قولان:

أحدهما: أنه ابتدأ إنزاله فيها.

والآخر: أنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء، ثم نزل به جبريل عليه السلام إلى الأرض بطول عشرين سنة.

وقيل: المعنى: أنزلناه[1] في شأن ليلة القدر وذِكْرها، **وهذا ضعيف.**

وسميت ليلةَ القدر من تقدير الأمور فيها، أو من القَدْر بمعنى الشرف، ويترجَّح الأول بقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[الدخان:٣].

﴿٢﴾ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ **هذا تعظيم لها. قال بعضهم:** كل ما قال فيه «ما أدراك» فقد علمه النبي ﷺ، وما قال فيه: «ما يدريك» فإنه لم يعلمه[2].

﴿٣﴾ ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ **معناه: أن من قامها كتب الله له أجر العبادة في ألف شهر.**

قال بعضهم: يعني: في ألف شهر ليس فيها ليلة قدر[3]. **وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال:** «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»[4].

وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ ذكر رجلًا ممن تقدم عَبَدَ اللهَ ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك ورأوا أن أعمارهم تَنقص عن ذلك، فأعطاهم الله ليلة القدر وجعلها

---

(١) في ب، ج: «إنزاله».
(٢) قاله ابن عيينة، كما في صحيح البخاري (٣/ ٤٥).
(٣) في أ، ج، د: «القدر».
(٤) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

خيرًا من العبادة في تلك المدة الطويلة(١).

وروي أن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ عوتب حين بايع معاوية ﷺ فقال: إن رسول الله ﷺ رأىٰ في المنام بني أمية يَنْزُون علىٰ منبره نَزْوَ القردة، وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر، فاهتمَّ لذلك، فأعطاه الله ليلة القدر، وهي خير من مدة ملك بني أمية ألف شهر، ثم كَشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية ﷺ إلىٰ قتل مروان الجَعْدي آخر ملوك بني أمية بالمشرق ألف شهر(٢).

﴿٤﴾ ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ **الروح هنا:** جبريل ﷺ، **وقيل:** صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة. وتَنزُّلهم: هو إلىٰ الأرض، **وقيل:** إلىٰ السماء الدنيا، وهو تعظيم لليلة القدر، ورحمة للمؤمنين القائمين فيها.

﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ هذا متعلِّق بما قبله، **والمعنىٰ:** أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل كل أمر يقضي الله في ذلك العام، فإنه روي أن الله يُعْلم الملائكة بكل ما يكون في ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك؛ ليمتثلوا ذلك في العام كله، وقيل علىٰ هذا المعنىٰ: إن ﴿مِّن﴾ بمعنىٰ الباء؛ أي: ينزلون بكل أمر، **وهذا ضعيف.**

وقيل: إن المجرور يتعلق بما بعده، **والمعنىٰ:** أنها سلام من كل أمر؛ أي: سلامة من الآفات، **قال مجاهد:** لا يصيب أحدًا فيها داء(٣).

والأظهر: أن الكلام تمَّ عند قوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، ثم ابتدأ قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ٱلْقَدْرِ **واختلف في معنىٰ** ﴿سَلَٰمٌ﴾ : **فقيل:** إنه من السلامة، **وقيل:** إنه من التحية؛ لأن الملائكة يسلمون علىٰ المؤمنين القائمين فيها. **وكذلك اختلف في إعرابه:**

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٢)، والثعلبي (٣٠/ ١٠٥)، والبيهقي في السنن (٨٥٢٢) عن مجاهد مرسلا.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٤٦)، والترمذي (٣٣٥٠)، والحاكم (٤٧٩٦) وصححه، وليس فيه لفظة: «نزو القردة»، وإنما لفظه: «إن النبي ﷺ أري بني أمية علىٰ منبره فساءه ذلك» وضعفه الترمذي وابن كثير في تفسيره (٨/ ٤٤٢)، وقال: «منكر جدا، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزي: هو حديث منكر» وبين أوجه ضعفه ونكارته.

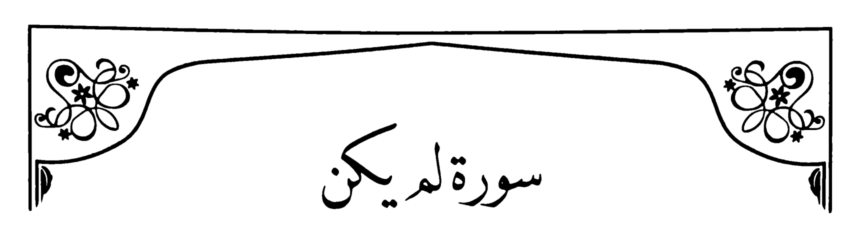
(٣) ذكره الواحدي في البسيط (٢٤/ ١٩٧)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٨/ ٦٦٠).

فقيل: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ مبتدأ وخبر، وهذا يصح سواء جعلناه متصلًا مع ما قبله أو منقطعًا عنه. **وقيل:** ﴿سَلَٰمٌ﴾ خبر مبتدأ مضمر، تقديره: أمرها سلام، أو: القول فيها سلام، و ﴿هِيَ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾؛ أي: هي دائمة إلىٰ طلوع الفجر. ويختلف الوقف باختلاف الإعراب.

وقال **ابن عباس** ﭭ: إن قوله: ﴿هِيَ﴾ إشارة إلىٰ أنها ليلة سبع وعشرين؛ لأن هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات السورة[1].



(١) ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٦٦١) عن النقاش، وحكاه ابن قدامة في المغني (٤/ ٤٥١) عنه ﭬ، وعزاه ابن رجب في لطائف المعارف (٣٥٧) إلىٰ طائفة من المتأخرين. قال ابن حجر في الفتح (٤/ ٢٦٥): «وزعم بن قدامة أن ابن عباس ﭬ استنبط ذلك من عدد كلمات السورة وقد وافق قوله فيها: ﴿هي﴾ سابع كلمة بعد العشرين وهذا نقله بن حزم عن بعض المالكية وبالغ في إنكاره. نقله بن عطية في تفسيره [١/ ٦١] وقال: إنه من ملح التفاسير وليس من متين العلم»



سورة لم يكن

لَمْ يَكُنِ الذِينَ كَفَرُواْ مِنَ اَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَاتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفاً مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ وَيُوتُواْ الزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الذِينَ كَفَرُواْ مِنَ اَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِے نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيٓئَةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيٓئَةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

ذكر الله الكفار، ثم قسمهم إلىٰ صنفين: أهل الكتاب، والمشركين، وذكر أن جميعهم لم يكونوا منفكين حتىٰ تأتيهم البينة، وتقوم عليهم الحجة ببعث رسول الله ﷺ. ومعنىٰ ﴿مُنفَكِّينَ﴾: منفصلين، ثم اختلف في هذا الانفصال علىٰ أربعة أقوال:

أحدها: أن المعنىٰ: لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتىٰ تأتيهم البينة؛ لتقوم عليهم الحجة.

الثاني: لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوة محمد ﷺ حتىٰ بعثه[1] الله.

الثالث -اختاره ابن عطية- وهو: لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته، حتىٰ يبعث الله إليهم رسولًا يقيم عليهم الحجة[2].

الرابع -وهو الأظهر عندي-: أن المعنىٰ: لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتىٰ بعث الله لهم محمدًا ﷺ، فقامت عليهم الحجة؛ لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه لقالوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولًا، فلما بعثه لم يبق لهم عذر ولا حجة، فـ ﴿مُنفَكِّينَ﴾ علىٰ هذا

(١) في ب: «يبعثه».
(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٦٦٢-٦٦٣).

كقولك: لا تبرح أو لا تزول حتىٰ يكون كذا وكذا.

﴿٢﴾ ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني: محمدًا ﷺ، وإعرابه: بدل من ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾، أو خبر ابتداء مضمر.

﴿يَتْلُواْ صُحُفاً مُّطَهَّرَةً﴾ يعني: القرآن في صحفه.

﴿٣﴾ ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ أي: قائمة[1] بالحق مستقيمة المعاني، ووزن ﴿قَيِّمَةٌ﴾: فَيْعِلَة، وفيه مبالغة. قال ابن عطية: هذا علىٰ حذف مضاف تقديره: فيها أحكام كتب[2]. ولا يحتاج إلىٰ هذا الحذف؛ لأن الكتب بمعنىٰ المكتوبات.

﴿٤﴾ ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ أي: ما اختلفوا في نبوة محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا أنه حق. ويَحتمل أن يريد تفرُّقهم في دينهم، كقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ [فصلت: ٤٤]. وإنما خصَّ الذين أوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة؛ لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوَّة محمد ﷺ، بما يجدون في كتبهم من ذكره.

﴿٥﴾ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ الآيةَ؛ معناها: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله، ولكنهم حرَّفوا وبدَّلوا. ويحتمل أن يكون المعنىٰ: ما أمروا في القرآن إلا بعبادة الله، فلأيِّ شيء ينكرونه ويكفرون به؟

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ استدل المالكية بهذا علىٰ وجوب النية في الوضوء، وهو بعيد؛ لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء، وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال، وضد الإخلاص في التوحيد: هو الشرك الجليُّ، وضد الإخلاص في الأعمال: هو الشرك الخفيُّ، وهو الرياء. قال رسول الله ﷺ: «الرياء الشرك الأصغر»[3]، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه تعالىٰ يقول: «أنا أغنىٰ الأغنياء عن الشرك،

(١) في أ، هـ: «قيمة».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٦٦٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠)، والبيهقي في الشعب (٩/ ١٥٤) عن محمود بن لبيد ﷺ، قال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٤): «ورواه أحمد بإسناد جيد»، وقال العراقي في تخريج الإحياء (١/ ١٢٠٣): «ورجاله ثقات»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٩٠): «ورجاله رجال الصحيح».

فمن عمل عملًا أشرك فيه غيري تركته وشريكه»[1].

واعلم أن الأعمال على ثلاثة أنواع: مأمورات ومنهيات ومباحات.

فأما المأمورات: فالإخلاص فيها: عبارة عن خلوص النية لوجه الله، بحيث لا يشوبها نية أخرى، فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول، وإن كانت النية لغير وجه الله؛ من طلب منفعة دنيوية، أو مدح أو غير ذلك: فالعمل رياء محض مردود، وإن كانت النية مشتركة: ففي ذلك تفصيلٌ فيه نظر واحتمال.

وأما المنهيات: فإن تركها دون نية خرج عن عهدتها، ولم يكن له أجر في تركها، وإن تركها بنية وجه الله: حصل له الخروج عن عهدتها مع الأجر.

وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك: فإن فعلها بغير نية لم يكن له فيها أجر، وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر؛ فإن كل مباح يمكن أن يصير قُربَةً إذا قصد به وجه الله؛ مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة، ويقصد بالجماع التعفُّف عن الحرام.

﴿حُنَفَآءَ﴾ جمع حنيف، وقد ذكر[2].

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ تقديره: الملة القيمة، أو الجماعة القيمة. وقد فسرنا ﴿ٱلۡقَيِّمَةِ﴾، ومعناه: أن الذي أُمروا به من عبادة الله والإخلاص له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الإسلام؛ فلأيِّ شيء لا يدخلون فيه؟

﴿٦﴾ ﴿ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ الخَلْق؛ لأن الله برَأهم؛ أي: أوجدهم بعد العدم. **وقرئ بالهمز**[3]، وهو الأصل، **وبالياء**، وهو تخفيف من المهموز، وهو أكثر استعمالًا عند العرب.

﴿٨﴾ ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ اختلف هل هذا في الدنيا أو في الآخرة؟ **فرضاهم عن الله في الدنيا**: هو الرضا بقضائه والرضا بدينه، قال رسول الله ﷺ: **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا»**[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة ﷺ، ولفظه: «أنا أغنى الشركاء..»، وليس: «الأغنياء».
(٢) انظر المقدمة في اللغات المادة (١٣١).
(٣) قرأ نافع وابن ذكوان بهمزة مفتوحة بعد الياء، وقرأ الباقون بياء مشددة مفتوحة بعد الراء.
(٤) أخرجه مسلم (٣٤) عن العباس بن عبد المطلب ﷺ.

ورضاهم عنه في الآخرة: هو رضاهم بما أعطاهم الله فيها.

ورضا الله عنهم: كما ورد في الحديث أن الله يقول: «يا أهلَ الجنة هل تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: يا ربنا! وأي شيء نريد[١] وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين، فيقول: عندي أفضل من ذلك، وهو رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا»[٢].

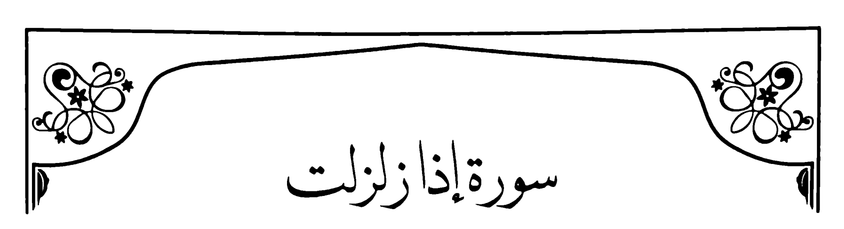
﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ أي: لمن خافه. وهذا دليل على فضل الخوف، قال رسول الله ﷺ: «خوف الله رأس كل حكمة»[٣].



(١) في أ، هـ: «تزيد».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٠١) موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه: «رأس الحكمة مخافة الله عز وجل»، وقال: «وقد روي من وجه آخر ضعيف مرفوعًا إلى النبي ﷺ»، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٤١-٢٤٢) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعًا في ضمن خطبة طويلة بتبوك، وقال العراقي تخريج الإحياء (١/ ١٥١٠): «ولا يصح».



سورة إذا زلزلت

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

﴿١﴾ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: حُرِّكت واهتزت. و﴿زِلْزَالَهَا﴾ مصدر، وإنما أضيف إليها تهويلًا؛ كأنه يقول: الزلزال الذي يليق بها على عظَمة جِرْمها[1].

﴿٢﴾ ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يعني: الموتى الذين في جوفها، وذلك عند النفخة الثانية في الصور، وقيل: هي الكنوز، وهذا ضعيف؛ لأن إخراجها للكنوز وقت الدجال.

﴿٣﴾ ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ أي: يتعجَّب من شأنها، فيَحتمل أن يريد جنس الإنسان، أو الكافر خاصة؛ لأنه الذي يرى حينئذ ما لم يظن.

﴿٤﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ هذا عبارة عما يَحْدث فيها من الأهوال، فهو مجاز وحديثٌ بلسان الحال. وقيل: هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها، فهو حقيقة. و﴿تُحَدِّثُ﴾ يتعدى إلى مفعولين، حذف الأول منهما، والتقدير: تحدِّث الخلْقَ أخبارها. وانتزع بعض المحدِّثين من قوله: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أن قول المحدِّث «حدثنا» و«أخبرنا» سواءٌ[2]. وهذه الجملة هي جواب ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾. و ﴿تُحَدِّثُ﴾ هو العامل في ﴿إِذَا﴾، و ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾. ويجوز أن يكون العامل في ﴿إِذَا﴾ مضمرًا، و﴿تُحَدِّثُ﴾ عامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

(١) قال في المحرر الوجيز (٨/ ٦٦٦): «وقوله تعالى: ﴿زلزالها﴾ أبلغ من قوله: «زلزالًا» دون إضافة إليها، وذلك أن المصدر غير مضاف يقع على كل قدر من الزلزال وإن قل».

(٢) ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٦٦٧) دون نسبة، وأخرجه الخطيب البغدادي (٣٠٩) في الكفاية عن أبي جعفر الطحاوي.

﴿٥﴾ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ الباء سببية متعلقة بـ﴿تُحَدِّثُ﴾؛ أي: تحدث بسبب أن الله أوحىٰ لها. ويحتمل أن يكون ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ بدلًا من ﴿أَخْبَارَهَا﴾ ، وهذا كما تقول: «حدَّثتُ كذا» و«حدثت بكذا»، والمعنىٰ علىٰ هذا: تحدِّث بحديث الوحي لها. وهذا الوحي يحتمل أن يكون إلهامًا، أو كلامًا بواسطة الملائكة. و﴿لَهَا﴾ بمعنىٰ: إليها، وقيل: معناه: أوحىٰ إلىٰ الملائكة من أجلها، وهذا بعيد.

﴿٦﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ معنىٰ ﴿أَشْتَاتًا﴾: مختلفين في أحوالهم، وواحد الأشتات شَتٌّ. وصَدَرُ[1] الناس: هو انصرافهم من موضع وِرْدِهم[2]، فقيل: الوِرْد: هو الدفن في القبور، والصَّدَر: هو القيام للبعث، وقيل: الوِرْد: القيام للحشر[3]، والصَّدَر: الانصراف إلىٰ الجنة أو إلىٰ النار، وهذا أظهر، وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس؛ فيظهر كونهم أشتاتًا.

﴿٨﴾ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ المثقال: هو الوزن، والذَّرَّة: هي النملة الصغيرة. والرؤية هنا ليست برؤية بصر، وإنما هي عبارة عن الجزاء. وذكَر الله مثقال الذرة؛ تنبيهًا علىٰ ما هو أكثر منه من طريق الأَولىٰ، كأنه قال: من يعمل قليلًا أو كثيرًا. وهذه الآية هي في المؤمنين؛ لأن الكافر لا يُجازىٰ في الآخرة علىٰ حسناته؛ إذ لم تقبل منه.

واستدلَّ أهل السنة بهذه الآية علىٰ أنه لا يخلد مؤمنٌ في النار؛ لأنه لو خلد لم ير ثوابًا علىٰ إيمانه وعلىٰ ما عمل من الحسنات. وروي عن عائشة: أنها تصدقت بحبة عنب فقيل لها في ذلك؛ فقالت: كم فيها من مثقال ذرة؟[4] وسمع رجل هذه الآية عند رسول الله ﷺ فقال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها[5].

---

(١) في ب: «وصدور».

(٢) في ب: «ورودهم».

(٣) في ب، ج: «للمحشر».

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات، ط. دار صادر (٨/ ٤٩٠)، وأحمد في الزهد (٣٧٣)، وابن زنجويه في الأموال (٢/ ٤٩٠)، وأخرجه مالك (٢٨٠٣) بلاغًا، والبيهقي من طريقه في الشعب (٥/ ١٣٢).

(٥) أخرجه أحمد (٢٠٥٩٣)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٦٣٠)، والحاكم (٦٥٧١)، والطبراني في الكبير (٨/ ٩٠)، وابن سعد في الطبقات (٧/ ٣٩)، من حديث الحسن عن صعصعة بن معاوية، عن الفرزدق -وقال الحاكم =

(٨) ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ هذا على عمومه في حق الكفار. وأما المؤمنون: فلا يُجْزَون بذنوبهم إلا بستة شروط؛وهي:

[١] أن تكون ذنوبهم كبائرَ.

[٢] وأن يموتوا قبل التوبة منها.

[٣] وألا تكون لهم حسنات أرجح في الميزان منها.

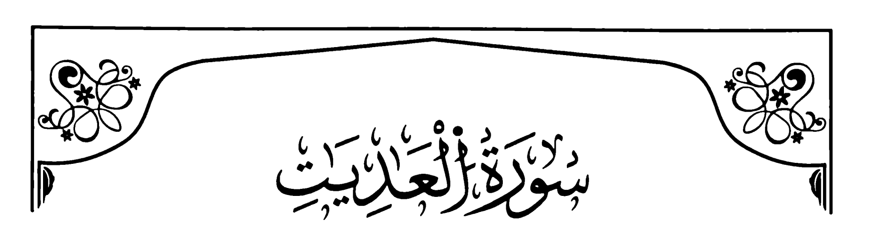
[٤] وأن لا يشفع فيهم.

[٥] وأن لا يكونوا ممن استحقَّ المغفرة بعملٍ، كأهل بدر.

[٦] وأن لا يعفوَ الله عنهم، فإن المؤمن العاصي في مشيئة الله إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له.



= والطبراني: عن الأحنف-، أنه أتى النبي ﷺ، فقرأ عليه: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾، قال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها. وإسنادُ الحديث صحيح، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٩٧): «رواه أحمد والطبراني مُرسَلًا ومُتّصلًا، ورجال الجميع رجال الصحيح»، وصحَّحه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٦/ ٣٠٣). وانظر: تهذيب الكمال، للمزي (١٣/ ١٧٤)، والإصابة لابن حجر (٨/ ٥٨٤).



وَالْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحاً ١ فَالْمُورِيَٰتِ قَدْحاً ٢ فَالْمُغِيرَٰتِ صُبْحاً ٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعاً ٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعاً ٥ إِنَّ الْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٨ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ١١

﴿١﴾-﴿٣﴾ **اختُلف في العاديات والموريات والمغيرات؛ هل يراد بها الخيل أو الإبل؟**

وعلىٰ القول بأنها الخيل اختلف هل يعني خيل المجاهدين؟ أو الخيل علىٰ الإطلاق؟ وعلىٰ القول بأنها الإبل اختلف هل يعني إبل غزوة بدر؟ أو إبل المجاهدين مطلقًا؟ أو إبل الحُجاج؟ أو الإبل علىٰ الإطلاق؟

ومعنىٰ ﴿الْعَٰدِيَٰتِ﴾: التي تعدو في مشيها[١].

والضَّبح: هو تصويتٌ جهير عند العَدْوِ الشديد، ليس بصُهَال[٢]. وهو مصدر منصوب علىٰ تقدير: يضبحْنَ ضبحًا، أو هو مصدر في موضع الحال، تقديره: العاديات في حال ضبحها.

و﴿الْمُورِيَٰتِ﴾ من قولك: أوريت النارَ: إذا أوقدتَها[٣].

والقدح: صكُّ الحجارة، فيخرج منها شعلة نارٍ، وذلك عند ضرب الأرض بأرجل الخيل أو الإبل. وإعراب ﴿قَدْحاً﴾ كإعراب ﴿ضَبْحاً﴾.

و﴿الْمُغِيرَٰتِ﴾ من قولك: أغارت الخيل: إذا خرجت للإغارة علىٰ أعدائها.

---

(١) في ب: «مشيتها».

(٢) في هـ: «بصهيل».

(٣) في ب: «أزندتها».

و﴿صُبْحاً﴾ ظرف زمان؛ لأن عادة أهل الغارة في الأكثر أن يخرجوا في الصباح.

﴿٤﴾ ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعاً﴾ هذه الجملة معطوفة على ﴿الْعَٰدِيَٰتِ﴾ وما بعده؛ لأنه في تقدير: التي تعدو، **والنَّقْعُ**: الغبار. **والضمير المجرور** للوقت المذكور، وهو الصبح، فالباء ظرفية، أو للمكان الذي يقتضيه المعنى، فالباء أيضًا ظرفية، أو للعَدْو، وهو المصدر الذي يقتضيه ﴿الْعَٰدِيَٰتِ﴾، فالباء سببية. ومعنى ﴿أَثَرْنَ﴾ حرَّكن. **والضمير الفاعل**: للإبل أو للخيل؛ أي: حرَّكن الغبارَ عند مشيهنَّ.

﴿٥﴾ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعاً﴾ معنى ﴿وَسَطْنَ﴾ : توسَّطن. و﴿جَمْعاً﴾ **اختلف هل المراد به**: جمعٌ من الناس؟ أو المزدلفة؟؛ لأن اسمها جمعٌ. **والضمير المجرور**: للوقت، أو للمكان، أو للعَدْو، أو للنقع.

﴿٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ هذا جواب القسم. **والكنود**: الكفور للنعمة، فالتقدير: إن الإنسان لنعمة ربه لكفور، و﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: جنس. **وقيل**: الكنود: العاصي. **وقال بعض الصوفية**: الكنود: الذي يعبد الله على عِوَضٍ[1].

﴿٧﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ الضمير للإنسان؛ أي: هو شاهد على نفسه بكُنوده. **وقيل**: هو لله تعالى على معنى التهديد، **والأول أرجح**؛ لأن الضمير الذي بعده للإنسان باتفاق، فيجري الكلام على نسق واحد.

﴿٨﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ **الخير هنا**: المال، كقوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْراً﴾ [البقرة: ١٧٩]. **والمعنى**: إن الإنسان شديد الحب للمال، فهو ذمٌّ لحبه والحرص عليه. **وقيل**: الشديد: البخيل، **والمعنى على هذا**: إنه لَبخيلٌ؛ من أجل حب المال، **والأول أظهر**.

﴿٩﴾ ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ أي بُحث عنه، وذلك عبارة عن البعث.

﴿١٠﴾ ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ أي: جُمِع في الصحف وأُظهر محصَّلًا، أو مُيِّز خيره من شره.

---

(١) **[التعليق ١٠٩] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُهُ**: «وقال بعضُ الصوفيَّةِ: الكَنُودُ: الذي يعبُدُ اللهَ على عِوَضٍ»: **أقولُ**: معناه عندهم: الذي يعبُدُ اللهَ رَغْبةً في الثوابِ، وخَوْفًا مِن العقابِ؛ وهذا مذمومٌ عندهم. وقولهم هذا هو مِن بِدَعِهم، لكنَّ المؤلِّفَ ﷺ حكاه، ولم يعلِّق عليه.

﴿١١﴾ ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ الضمير في ﴿رَبَّهُم﴾ و﴿بِهِمْ﴾ يعود على الإنسان؛ لأنه يراد به الجنس. وفي هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أن هذه الجملة معمول ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾، فكان الأصل أن تفتح «إنَّ»، ولكنها كسرت من أجل اللام التي في خبرها.

والثاني: أن تكون هذه الجملة مستأنفة، ويكون معمول ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ محذوفًا، ويكون الفاعل ضميرًا يعود على الإنسان، والتقدير: أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعثر ما في القبور؟ وهذا هو الذي قاله ابن عطية[1].

ويحتمل عندي: أن يكون فاعل ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ ضميرًا يعود على الله، والمفعول محذوف، والتقدير: أفلا يعلم الله أعمال الإنسان إذا بعثر ما في القبور؟ ثم استأنف قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ على وجه التأكيد، أو[2] البيان للمعنى المتقدم.

والعامل في ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ على هذا الوجه هو: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾، والعامل فيه على مقتضى قول ابن عطية: هو المفعول المحذوف. و﴿إِذَا﴾ هنا ظرفية بمعنى: «حين» و«وقت»، وليست بشرطية. والعامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ﴿خَبِيرٌ﴾. وإنما خُصَّ ذلك بيوم القيامة؛ لأنه يوم الجزاء، فقصَد التهديد[3]، مع أن الله خبير على الإطلاق.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٦٧٦).

(٢) في ب، د: «و».

(٣) في أ، هـ: «التهويل».



﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ من أسماء القيامة؛ لأنها تقرع القلوب بهولها، وقيل: هي النفخة في الصور؛ لأنها تقرع الأسماع.

﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ مبتدأ وخبر[١]، في موضع خبر ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾. والمراد به: تعظيم شأنها، وكذلك ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

﴿٤﴾ ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ العامل في الظرف: محذوف، دل عليه ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾، تقديره: تَقرع في يوم. والفراش: هو الطير الصغير الذي يشبه البعوض ويدور حول المصباح.

والمبثوث: هو المنتشر المتفرق، شبَّه الله الخلق يوم القيامة به في كثرتهم وانتشارهم وذِلَّتهم، ويحتمل أنه شبههم به؛ لتساقطهم في جهنم كما يتساقط الفراش في المصباح.

قال بعض العلماء: الناس في أول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث؛ لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام، ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون إلى ناحية المحشر؛ فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر؛ لأن الجراد يقصد إلى جهة[٢] واحدة[٣].

---

(١) في ب، د: «وخبره».

(٢) في د: «ناحية».

(٣) ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٦٧٨) عن بعض العلماء أيضًا، والقائل هو مكي بن أبي طالب في كتابه الهداية (١١/ ٧١٨٦).

وقيل: إن الفراش هنا: الجراد الصغار، وهو ضعيف.

﴿٤﴾ ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ **العهن**: هو الصوف، **وقيل**: الصوف الأحمر، **وقيل**: الصوف الملوَّن ألوانًا. شبَّه الله الجبال يوم القيامة به؛ لأنها تُنسف فتصير لينة، وعلىٰ القول بأنه الملوَّن يكون التشبيه أيضًا من طريق اختلاف ألوان الجبال؛ لأن منها بيضاء وحمراء وسوداء.

﴿٥﴾ ﴿مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ هو جمع ميزان، أو جمع موزون. وميزان الأعمال يوم القيامة له لسان وكِفَّتان عند **الجمهور**، **وقال قوم**: هو عبارة عن العدل[1].

﴿٦﴾ ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ معناه: ذات رضًا عند سيبويه. وثِقَلُ الموازين: بكثرة الحسنات، وخِفَّتها: بقلَّتها. ولا يَخِفُّ ميزان مؤمن خفَّةً مُوبِقة؛ لأن الإيمان يوزن فيه.

﴿٨﴾ ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ **فيه ثلاثة أقوال**:

أحدها: أن الهاوية جهنم، سميت بذلك؛ لأن الناس يهوون فيها؛ أي: يسقطون. و ﴿أُمُّهُۥ﴾ معناه: مأواه، كقولك: «المدينة أم فلان»؛ أي: مسكنه، علىٰ التشبيه بالأمِّ الوالدة؛ لأنها مأوىٰ الولد ومرجعُه.

الثاني: أن الأم: هي الوالدة، و﴿هَاوِيَةٌ﴾: ساقطة، وذلك عبارة عن هلاكه، كقولك: «أمه ثكلىٰ»: إذا هلَك.

---

(١) [**التعليق١١٠**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: قوله: «له لسان وكِفَّتان عند الجمهور» أقول: من عقيدة أهل السنة الجماعة إثبات ميزان الأعمال يوم القيامة، ولم يأت ذكر ميزان الأعمال في القرآن مفردا، بل بصيغة الجمع (موازين)، فقيل: جمع ميزان أو موزون، كما ذكر المؤلف، وإنما جاء مفردا في السنة في أحاديث، كما في قوله ﷺ: «والحمد لله تملأ الميزان» [أخرجه مسلم (٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري ﷺ]، وقوله: «كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان» الحديث، وفيه: «ثقيلتان في الميزان» [أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة ﷺ]، وظاهر الأدلة أنه ميزان حسِّي، وله كِفَّتان توضع فيهما الحسنات والسيئات، وقد ورد ذكر الكِفَّتين في بعض الأحاديث، وأما اللسان فلا أعلم أنه ورد في شيء مرفوع، ولكن هذا هو المشهور في كلام من تكلَّم عن الميزان من أهل السنة، وإثبات اللسان لميزان الأعمال يتوقف علىٰ قيام الدليل، وتفسيره بالعدل هو قول المعتزلة، وهو من التأويل المذموم الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره بغير حجة، والمؤلف ﷺ اكتفىٰ بذكر الأقوال دون ترجيح؛ فليس له في هذا الموضع مذهب.

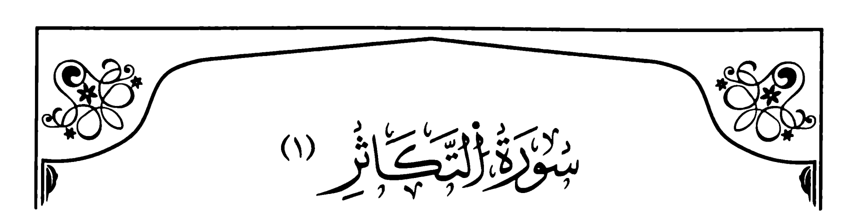
الثالث: أن المعنىٰ: أمُّ رأسِه هاوية في جهنم؛ أي: ساقطة فيها؛ لأنه يُطرح فيها منكوسًا.

وروي أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «لا أُمَّ لك»، فقال: يا رسول الله تدعوني إلىٰ الهدىٰ وتقول: لا أمَّ لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما أردت: لا نار لك، قال الله تعالىٰ: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾»[1]، وهذا يؤيد القول الأول.

(١٠) ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ الهاء للسكت، والضمير لجهنم علىٰ القول بأنها هي الهاوية، وهو للفِعلة والخَصلة التي يراد بها العذاب علىٰ القول الثاني والثالث. والمقصود: تعظيمها، ثم فسَّرها بقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.



(١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٨/ ٦٧٩) قال: «وروىٰ المبرد أن النبي ﷺ قال:...» إلخ، ولم أقف علىٰ إسناده.



سُورَةُ التَّكَاثُرِ (١)

أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

﴿١﴾ ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ، ومعنىٰ ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾: شغَلكم. و﴿التَّكَاثُرُ﴾: المباهاة بكثرة المال والأولاد، وأن يقول هؤلاء: نحن أكثر، ويقول هؤلاء: نحن أكثر. ولما قرأها النبي ﷺ قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي! وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لَبست فأبليت، أو تصدَّقت فأمضيت»(٢).

﴿٢﴾ ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: حتىٰ مُتُّم، فأراد بزيارة المقابر: الدفن فيها.

الثاني: أن معناه: حتىٰ ذكرتم الموتىٰ الذين في المقابر، فعبَّر بزيارتها عن التفاخر بمن فيها؛ لأن بعض العرب تفاخَر بآبائه الموتىٰ. فالمعنىٰ: ألهاكم التكاثر حتىٰ بلغتم فيه إلىٰ ذكر الموتىٰ.

الثالث: أن معناه: زيارة المقابر حقيقةً؛ لتعظيم أهلها والتفاخر بهم، فيقول: هذا قبر فلان؛ ليُشْهَر ذِكرُه(٣) ويعظم قدره.

---

(١) في ج، د: «سورة ألهاكم».

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في ب: «ليشتهر أمره».

﴿٣﴾ ﴿٤﴾ ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ زجر وتهديد، ثم كرره للتأكيد، وعطفه بـ﴿ثُمَّ﴾ إشارة إلىٰ أن الثاني أعظم من الأول.

وقيل: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: في القبور، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: يوم القيامة، **وقيل**: الأول تهديد للكفار، والثاني تهديد للمؤمنين.

وحذف مفعول[1] ﴿تَعْلَمُونَ﴾، وتقديره: تعلمون ما يَحُلُّ بكم، أو تعلمون أن القرآن حق، أو تعلمون أنكم كنتم علىٰ خطإ في اشتغالكم بالدنيا، وإنما حذفه لقصد التهويل، فيقدِّر السامعُ أعظمَ ما يخطر بباله.

﴿٥﴾ ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ جواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، تقديره: لو تعلمون لازدجرتم واستعددتم للآخرة، فينبغي الوقف علىٰ ﴿ٱلْيَقِينِ﴾. ومفعول ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ محذوف أيضًا. و﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ مصدر، ومعنىٰ **علم اليقين**: العلم الذي لا يُشكُّ فيه.

قال بعضهم: هو من إضافة الشيء إلىٰ نفسه، كقولك: دارُ الآخرةِ. **وقال الزمخشري**: معناه: علم الأمور التي تتيقَّنونها بالمشاهدة[2].

﴿٦﴾ ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ هذا جواب قسم محذوف، وهو تفسيرٌ لمفعول ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ تقديره: لو تعلمون عاقبة أمركم، ثم فسَّرها بأنها رؤية الجحيم، والتفسير بعد الإبهام يدلُّ علىٰ التهويل والتعظيم.

والخطاب: لجميع الناس، فهو كقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، **وقيل**: للكفار خاصة، فالرؤية علىٰ هذا: يراد بها الدخول فيها.

﴿٧﴾ ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ هذا تأكيد للرؤية المتقدمة، وعطفه بـ﴿ثُمَّ﴾؛ للتهويل والتفخيم. **والعين هنا**: من قولك: عين الشيء: نفسُه وذاته؛ أي: لترونها الرؤية التي هي نفس اليقين.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «معمول».

(٢) الكشاف (١٦/ ٥٦١).

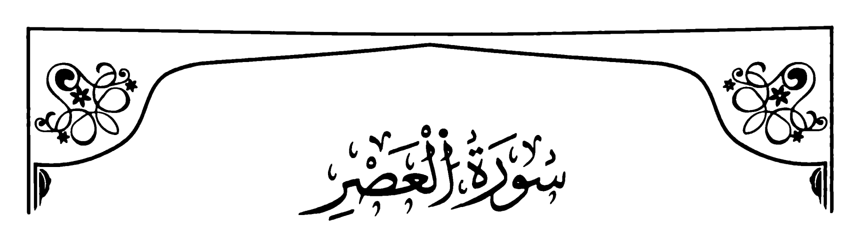
﴿٨﴾ ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ هذا إخبار بالسؤال في الآخرة عن نعيم الدنيا، فقيل: النعيم: الأمن والصحة، وقيل: الطعام والشراب. وهذه أمثلة، والصَّواب: العموم في كل ما يُتلذَّذ به، قال رسول الله ﷺ: «بيت يُكِنُّك، وخِرقةٌ تواريك، وكِسْرة تشدُّ قلبك، وما سوى ذلك فهو نعيم»[1]، وقال ﷺ: «كلُّ نعيم فمسؤول عنه إلا نعيم في سبيل الله»[2]، وأكل يومًا ﷺ مع بعض أصحابه رطبًا وشربوا عليه ماء، فقال لهم: «هذا من النعيم الذي تُسألون عنه»[3].

---

(١) أخرجه الثعلبي (٣٠/ ٢٢٨) عن يحيى بن أبي كثير مرسلًا، وفيه عامر بن يساف وهو منكر الحديث. لسان الميزان (٤/ ٣٧٨). وأخرجه أحمد (٤٤٠)، والترمذي (٢٣٤١) وصححه، والحاكم (٧٨٦٦) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الشعب (١٣/ ١٣) من حديث حريث بن السائب الحسن عن حمران عن عثمان ﷺ مرفوعًا -واللفظ للبيهقي-: «كل شيء فضل عن ابن آدم من جلف الخبز وثوب يواري سوأته وبيت يُكنُّه ما سوى ذلك فهو حساب يحاسب به يوم القيامة»، وضعفه أحمد وأنكره (تهذيب التهذيب لابن حجر ٢/ ٢٣٤)، وأعلَّه الدارقطني في العلل (٣/ ٢٩) قال: «كذا رواه حريث بن السائب، عن الحسن، عن حمران، عن عثمان، عن النبي ﷺ، ووهم فيه. والصواب: عن الحسن، عن حمران، عن بعض أهل الكتاب»، وضعفه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٣١٤).

(٢) ذكره ابن كثير في جامع المسانيد والسنن (١٠/ ٢٥٤) من رواية الحافظ أبي موسى بإسناده إلى أبي العباس المستغفري، عن أبي معن - صاحب الإسكندرية- مرفوعًا، وذكره ابن حجر في الإصابة في ترجمة أبي معن (١٢/ ٦٥٤) وقال: «تابعي أرسل حديثا، ذكره المستغفري في الصحابة وتبعه أبو موسى.. قال المستغفري: مع براءتي إلى الله من عهدة إسناده»، وقال ابن كثير: «قال الحافظ أبو موسى: أبرأ إلى الله من هذا الإسناد، قلت -ابن كثير-: وأنا».

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٣٨) عن أبي هريرة ﷺ.



وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣

۝١ ﴿وَالْعَصْرِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه صلاة العصر، أقسم الله بها لفضلها، قال رسول الله ﷺ: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وُتِر أهلَه وماله»[1].

الثاني: أنه العشيُّ، أقسم به كما أقسم بالضحىٰ، ويؤيد هذا: قول أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ عن العصر فقال: «أقسم ربكم بآخر النهار»[2].

الثالث: أنه الزمَّان.

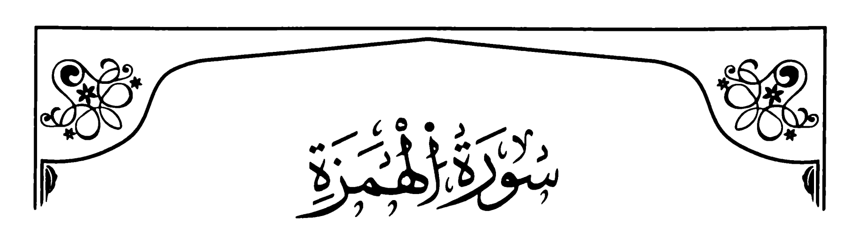
﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ ﴿الْإِنسَانَ﴾: جنس، ولذلك استثنىٰ منه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فهو استثناء متصل.

۝٣ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أي: وصَّىٰ بعضهم بعضًا بالحق وبالصبر. فالحق هو الإسلام وما يتضمنه، وفيه إشارة إلىٰ كذب الكفار، وفي الصبر إشارة إلىٰ صبر المؤمنين علىٰ إذاية الكفار لهم بمكة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الثعلبي (٣٠/ ٢٤٤) عن أبي بن كعب رضي الله عنه، وفي إسناده مجاهيل، وفيه من لم يذكر بجرح ولا تعديل. وقال ابن حجر في الفتح (٨/ ٧٢٩): «لم أر في تفسير هذه السورة حديثًا مرفوعًا صحيحًا».



سُورَةُ الهُمَزَةِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾

﴿١﴾ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ هو على الجملة: الذي يَعيب الناس ويأكل أعراضهم. واشتقاقه: من الهمز واللمز، وصيغة «فُعَلَة» للمبالغة. واختلف في الفرق بين الكلمتين: فقيل: الهمز في الحضور، واللمز في الغَيْبة. وقيل بالعكس. وقيل: الهمز باليد والعين، واللمز باللسان. وقيل: هما سواء.

ونزلت السورة في الأخنس بن شَرِيق[1]؛ لأنه كان كثير الوقيعة في الناس، وقيل: في أمية بن خلف[2]، وقيل: في الوليد بن المغيرة[3]، ولفظها مع ذلك على العموم في كل من اتَّصف بهذه الصفات.

﴿٢﴾ ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ أي: أحصاه وحافَظ على عدده أن لا ينقص، فمنعه من الخيرات، وقيل: معناه: استعدَّه وذَخره[4] عُدَّةً لحوادث الدهر.

﴿٣﴾ ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ أي: يظن بفرط جهله واغتراره أن ماله يُخلِّده في الدنيا، وقيل: يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٦٣) عن السدي، ونقله الثعلبي (٣٠/ ٢٥٤).

(٢) نقله الثعلبي (٣٠/ ٢٥٤) عن ابن إسحاق.

(٣) نقله الثعلبي (٣٠/ ٢٥٤) عن مقاتل، وهو في تفسيره (٤/ ٨٣٧).

(٤) في ب: «وادخره».

﴿٤﴾-﴿٦﴾ ﴿كَلَّآ﴾ ردٌّ عليه فيما ظنه.

﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾ هذا جواب قسم محذوف. و﴿ٱلۡحُطَمَةِ﴾ هي جهنم، وإنما سميت حُطَمَةً؛ لأنها تَحْطِم ما يلقىٰ فيها وتلتهبه، وقد عظَّمها بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾، ثم فسَّرها بأنها ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾.

﴿٧﴾ ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ أي: تبلغ القلوبَ بإحراقها. قال ابن عطية: يحتمل أن يكون المعنىٰ: أنها تطَّلع علىٰ ما في القلوب من العقائد والنيَّات بإطْلاع الله إياها[1].

﴿٨﴾ ﴿مُّؤۡصَدَةٌ﴾ مغلقة.

﴿٩﴾ ﴿فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ﴾ العَمَد: جمع عمود، وهو عند سيبويه اسم جمع، وقرئ ﴿عُمُدٍ﴾ بضمتين[2]. والعمود: هو المستطيل من حديد أو خشب، والممدَّدة: الطويلة. وفي المعنىٰ قولان:

أحدهما: أن أبواب جهنم أغلقت عليهم، ثم مُدِّدت علىٰ أبوابها عَمَدٌ؛ تشديدًا في الإغلاق والثِّقَاف، كما تُثَقَّف أبواب البيوت بالعمد، وهو علىٰ هذا متعلق بـ﴿مُّؤۡصَدَةٌ﴾.

والآخر: أنهم موثوقون مغلولون في العَمَد، فالمجرور علىٰ هذا: في موضع خبر مبتدإ مضمر تقديره: هم موثوقون في عمد.



(١) المحرر الوجيز (٨/ ٦٨٨).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بضم العين والميم، وقرأ الباقون بفتحهما.



نزلت هذه السورة منبِّهةً على العبرة في قصة الفيل التي وقعت عام مولد رسول الله ﷺ، فإنها تدل على كرامة الله للكعبة، وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم، فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به، وفيها مع ذلك عجائبُ من[1] قدرة الله وشدة عقابه.

وقد ذُكِرت القصة في كتاب السِّيَر وغيره، واختصارها: أن أبرهة ملك الحبشة بنَىٰ بيتًا باليمن، وأراد أن يحج الناس إليه كما يحجون إلىٰ الكعبة، فذهب عَربيٌّ وأحدث في البيت، فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة، فاحتفل في جموعه، وركب الفيل وقصد مكة، فلما وصل قريبًا منها فرَّ أهلها إلىٰ الجبال وأسلموا له الكعبة، وأَخذ لعبد المطلب مئتي بعير فكلَّمه فيها، فقال له: كيف تكلمني في الإبل ولا تكلمني في الكعبة، وقد جئت لهدمها وهي شرفك وشرف قومك؟ فقال له: أنا رب الإبل، وإن للبيت ربًّا سيمنعه، فبركَ الفيل[2] بذي الغَمِيس، ولم يتوجه إلىٰ مكة، فكانوا إذا وجهوه إلىٰ غيرها هَرْول، وإذا وجهوه إليها توقف ولو بضَّعوه[3] بالحديد، فبينما هم كذلك أرسل الله عليهم طيورًا سودًا، وقيل: خضرًا، عند كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه، فرمتهم الطيور بالحجارة، فكان الحجر يقتل من وقع عليه، وروي: أنه كان يدخل في رأسه ويخرج من دبره، ووقع في سائرهم الجُدَري والأسقام، وانصرفوا فماتوا في الطريق متفرقين في المراحل، وتقطع أبرهة أَنمَلةً أنملة.

---

(١) في ب: «من عجائب».

(٢) في د: «فلما توجه إليها برك الفيل».

(٣) أي: وخزوه بالمِبْضَع، وهو آلة يشق بها الجلد. تاج العروس.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝﴾

(١) ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ معناه: ألم تعلم، و﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب بـ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾، لا بـ﴿أَلَمْ تَرَ﴾[1]، والجملة معمول ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

(٢) ﴿فِى تَضْلِيلٍ﴾ أي: إبطال وتخسير.

(٣) ﴿أَبَابِيلَ﴾ معناه: جماعات شيئًا بعد شيء، **قال الزمخشري**: واحدها إِبَّالَةٌ[2]، **وقال جمهور الناس**: هو جمعٌ لا واحد له من لفظه.

(٤) ﴿بِحِجَارَةٍ﴾ روي: أن كل حجر منها كان فوق العدسة ودون الحِمَّصة[3]. **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: إنه أدرك عند أم هانئ نحو قَفيز من هذه الحجارة، وإنها كانت مخططة بحُمْرة[4].

وروي: أنه كان على كل حجر اسمُ مَن يقع عليه مكتوبًا[5].

﴿سِجِّيلٍ﴾ قد ذكر[6].

(٥) ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ **العصف**: ورق الزرع وتِبْنه، والمراد: أنهم صاروا رميمًا.

(١) «تر» فعل قلبيٌّ عُلِّق عن العمل بـ«كيف»؛ لما فيها من معنى الاستفهام، والتعليق: ترك العمل لفظًا لا معنى لوجود مانع، ومن تلك الموانع الاستفهام. انظر: الكشاف (١٦/ ٥٨٢)، والدر المصون (١١/ ١٠٩).
(٢) الكشاف (١٦/ ٥٨٢).
(٣) ذكره الواحدي في البسيط (٢٤/ ٣٢٩) عن موسى بن أبي عائشة.
(٤) ذكره في الكشاف (١٦/ ٥٧٨)، وفي الدر المنثور (١٥/ ٦٦٦-٦٦٧): «وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم عن أبي صالح أنه رأى عند أم هانئ بنت أبي طالب..» وذكره.
(٥) عزاه الواحدي في البسيط (٢٤/ ٣٣٠) إلى مقاتل، وهو في تفسيره (٤/ ٨٥٢).
(٦) انظر تفسير الآية (٨١) من سورة هود عليه السلام.

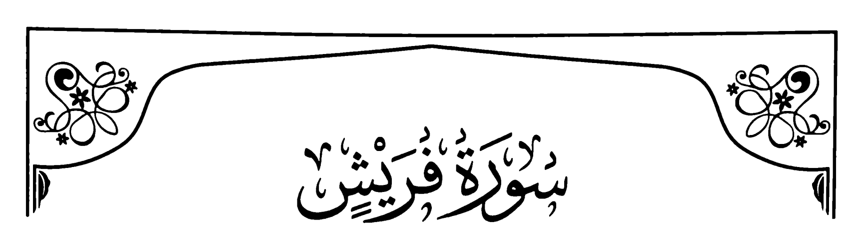
وفي تشبيههم به ثلاثة أوجه:

الأول: أنه شبههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم راثته، فجمع التلف والخِسَّة، ولكن الله كنَّىٰ عن هذا علىٰ حسَب أدب القرآن.

الثاني: أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود.

الثالث: أنه أراد كعصفِ مأكولٍ زرعُه، وبقي هو لا شيء.





سُورَةُ قُرَيْشٍ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾

﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ **قريش**: هم حيٌّ من عرب الحجاز الذين من ذرية معدِّ بن عدنان، إلا أنه لا يقال قريشٌ[1] إلا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة، وهم ينقسمون إلىٰ أفخاذ وبيوت؛ نحو بني هاشم، وبني أمية، وبني مخزوم، وغيرهم. وإنما سميت القبيلة قريشًا؛ لتقرُّشهم، والتقرُّش: التكسب، وكانوا تجارًا. وعن معاوية رضي الله عنه أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما: بم سمِّيت قريش؟ قال: بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تُعلىٰ[2]. وكانوا ساكنين بمكة، وكان لهم رحلتان في كل عام للتجارة، رحلة في الشتاء إلىٰ اليمن، ورحلة في الصيف إلىٰ الشام، **وقيل**: كانت الرحلتان جميعًا إلىٰ الشام، **وقيل**: كانوا يرحلون في الصيف إلىٰ الطائف حيث الماء والظل، فيقيمون بها، ويرحلون في الشتاء إلىٰ مكة؛ لسكناهم بها.

والإيلاف: مصدر من قولك: آلفتُ المكان: إذا أَلِفتَه، **وقيل**: هو منقول منه بالهمزة، يقال أَلِف الرجل الشيءَ، وآلَفه إياه غيرُه.

فالمعنىٰ علىٰ القول الأول: أن قريشًا أَلِفوا رحلة الشتاء والصيف، **وعلىٰ الثاني**: أن الله آلَفهم الرحلتين.

---

(١) في د: «قريشي».

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٨١)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٥٥٦) عن أبي ريحانة العامري من أصحاب معاوية، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٩٣) عن ربعي بن حراش في ضمن قصة طويلة.

واختلف في تعلق قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه متعلق بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ﴾، والمعنى: فليعبدوا الله من أجل إيلافهم الرحلتين؛ فإن ذلك نعمة من الله عليهم.

الثاني: أنه يتعلق بمحذوف تقديره: اعجَبوا لإيلاف قريش.

الثالث: أنه يتعلق بسورة الفيل، والمعنى: أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش، فهو يتعلق بقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ أو بما قبله من الأفعال.

ويؤيد هذا: أن السورتين في مصحف أُبيِّ بن كعب ﷺ سورةٌ واحدة لا فصل بينهما[1]، وقد قرأهما عمرُ ﷺ في ركعة واحدة من المغرب[2].

وذكر الله الإيلاف أولًا مطلقًا، ثم أبدل منه الإيلاف المقيَّد بالرحلتين؛ تعظيمًا للأمر. ونصْبُ ﴿رِحْلَةَ﴾؛ لأنه مفعول بـ﴿إِيلَٰفِهِمْ﴾.

وقال: ﴿رِحْلَةَ﴾ وأراد: «رحلتين»، فهو كقول الشاعر:

كلوا في بعضِ بَطْنِكم تَعِفُّوا[3]

﴿٣﴾ ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ هذا إقامة حجة عليهم، واستدعاء لهم بملاطفة، وتذكير بالنعم، **والبيت:** هو المسجد الحرام.

﴿٤﴾ ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ **يحتمل أن يريد إطعامَهم بسبب الرحلتين**، فقد روي أنهم كانوا قبل ذلك في شدة وضيق حال حتى أكلوا الجيف. ويحتمل أن يريد إطعامهم على الإطلاق، فقد كان أهل مكة ساكنين بوادٍ غير ذي زرع، ولكن الله أطعمهم مما يجلب إليهم من البلاد، بدعوة أبيهم إبراهيم ﷺ، وهو قوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٣٠/ ٣٠٩).

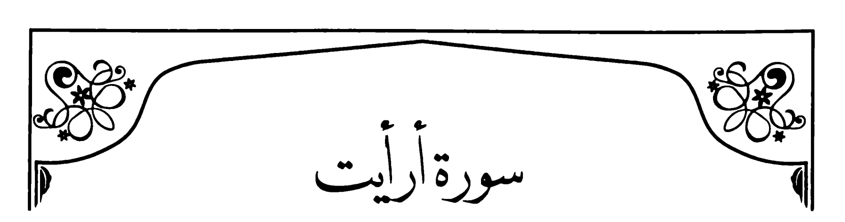
(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢٦٩٧)، وابن أبي شيبة (٣٦١٣) في مصنفيهما عن عمرو بن ميمون.

(٣) هذا صدر بيت، وعجزه: «فإنَّ زمانكم زَمَنٌ خَمِيصُ»، وهو من شواهد سيبويه في «الكتاب» (١/ ٢١٠) ولا يعرف قائله.

(٥) ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ **يحتمل أن يريد** آمنهم من خوف أصحاب الفيل، ويحتمل أن يريد: آمنهم في بلدهم بدعوة إبراهيم في قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقد فسَّرناه في موضعه. **أو يعني**: آمَنهم في أسفارهم؛ لأنهم كانوا في رحلتهم آمنين، لا يتعرض لهم أحد بسوء، وكان غيرهم من الناس تؤخذ أموالهم وأنفسهم. **وقيل**: آمنهم من الجُذَام، فلا ترىٰ بمكة مجذومًا. **قال الزمخشري**: التنكير في ﴿جُوعٍ﴾ و﴿خَوْفٍ﴾ ؛ لشدَّتهما[1].



(١) الكشاف (١٦/ ٥٨٩).



سورة أرأيت

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٦﴾

﴿١﴾ ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ **قيل**: إن هذا نزل في أبي جهل[1] أو[2] أبي سفيان بن حرب[3]، **وقيل**: هو مطلق. **والدين هنا**: الملة، أو الجزاء.

﴿٢﴾ ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بعنف، **وهذا الدفع يَحتمل أن يكون عن إطعامه** والإحسان إليه، أو عن ماله وحقوقه، وهذا أشدُّ. والذي لا يحضُّ علىٰ طعام المسكين لا يُطعمه من باب أولىٰ. وهذه الجملة هي جواب ﴿أَرَءَيْتَ﴾؛ لأن معناها: «أخبرني»، فكأنه سؤال وجواب.

والمعنىٰ: انظر[4] الذي كذَّب بالدين؛ تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة، وإنما ذلك؛ لأن الدين يحمل صاحبه علىٰ فعل الحسنات وترك السيئات، **فمقصود الكلام**: ذمُّ الكفار وأحوالِهم.

﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ **قيل**: إن هذا نزل في عبد الله بن أبيِّ ابن سلول المنافق، والسورة علىٰ هذا نصفها مكي ونصفها مدني، **قاله أبو زيد السهيلي**[5]. وذلك أن ذِكْر أبي جهل وغيره من الكفار أكثر ما جاء في السور المكية، وذكر السهو عن

---

(١) ذكره السهيلي في التعريف والإعلام (٣٩١).

(٢) في أ، ب، د: «و».

(٣) نقله الثعلبي (٣٠/ ٣٣١) عن ابن جريج.

(٤) في ب زيادة: «إلىٰ».

(٥) التعريف والإعلام، للسهيلي (٣٩١)، والسهيلي يُكْنىٰ بأبي القاسم وأبي زيد.

الصلاة والرياء فيها، إنما هي من صفات الذين كانوا بالمدينة، لاسيما على قول من قال: إنها في عبد الله بن أبيٍّ.

وقيل: إنها مكية كلها، وهو الأشهر، ونزل آخرها -على هذا- في رجل أسلم بمكة ولم يكن صحيح الإيمان، **وقيل**: مدنية.

والسهو عن الصلاة: هو تركها، أو تأخيرها تهاونًا بها.

وقد سئل رسول الله ﷺ عن ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: **«الذين يؤخرونها عن وقتها»**[1]. **وقال عطاء بن يسار**: الحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل: «في صلاتهم»[2].

﴿٦﴾ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ هو من الرياء؛ أي: صلاتهم رياء للناس، لا لله.

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ فيه وصفٌ لهم بالبخل وقلة المنفعة للناس. وفي ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾ أربعة أقوال: **الأول**: أنه الزكاة. **الثاني**: أنه المال بلغة قريش. **الثالث**: أنه الماء.

الرابع: أنه ما يتعاطاه الناس بينهم، كالآنية، والفأس، والدلو، والمِقَصّ. وسئل رسول الله ﷺ: ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ فقال: **«الماء، والنار، والملح»**[3] وزاد في بعض الطرق: **«الإبرة، والخَمِير»**[4].

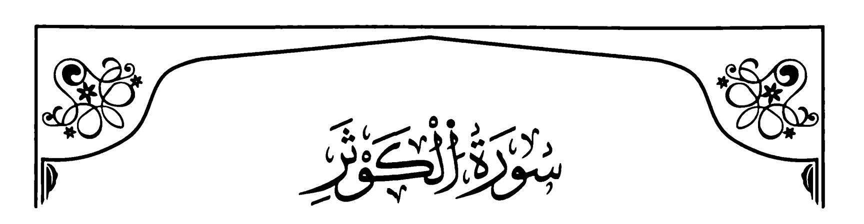
---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٦٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٦٨)، والبيهقي (٣١٦٣)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٣٧٧)، والبزار (٣٤٤) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعًا، وضعفه البزار والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٨٠)، (٧/ ٣٠٠)، وصحح البزار والبيهقي والدارقطني في العلل (٤/ ٣٢١) وقفه.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٦٤) عن عطاء بن دينار، وكذلك وقع في تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٣). وفي الدر المنثور (١٥/ ٦٨٨): «أخرجه ابن جرير عن عطاء بن يسار»، وأشار محقق تفسير الطبري إلى أنه وقع في نسخة: «بن يسار».

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٤٧٣)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٣٤٩) عن عائشة رضي الله عنها، وإسناده ضعيف. انظر: مصباح الزجاجة للبوصيري (٣/ ٨١)، ومجمع الزوائد (٣/ ٣٢٤)، وتلخيص الحبير (٣/ ١٤٣).

(٤) ذكرها في المحرر الوجيز (٨/ ٦٩٧)، ولم أقف على إسناد لهذه الرواية.



﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

۝١ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، والكوثر: بناء مبالغة من الكثرة، وفي تفسيره سبعة أقوال:

الأول: حوض النبي ﷺ.

الثاني: أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وتمَّمه سعيد بن جبير بأن قال: إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله[1]، فالمعنىٰ: أنه علىٰ العموم.

الثالث: أن الكوثر القرآن.

الرابع: أنه كثرة الأصحاب والأتباع.

الخامس: أنه التوحيد.

السادس: أنه الشفاعة.

السابع: أنه نور وضعه الله في قلبه.

ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء[2] كلها، ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض، لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه الله، وهو الحوض، آنيته عدد نجوم السماء»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٦) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في د: «الخصال».

(٣) أخرجه مسلم (٤٠٠) عن أنس رضي الله عنه.

﴿٢﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ فيه خمسة أقوال:

الأول: أنه أمَره بالصلاة علىٰ الإطلاق، وبنحر الهدي والضحايا.

الثاني: أنه ﷺ كان يضحي قبل صلاة العيد، فأمره أن يصلي ثم ينحر، فالمقصود علىٰ هذا: تأخير نحر الأضاحي عن الصلاة.

الثالث: أن الكفار كانوا يصلون مكاءً وتصدية، وينحرون للأصنام، فقال الله لنبيه ﷺ: صل لربك وحده وانحر له؛ أي: لوجهه لا لغيره، فهو علىٰ هذا أمر بالتوحيد والإخلاص.

الرابع: أن معنىٰ ﴿انْحَرْ﴾: ضع يدك اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ عند صدرك في الصلاة، فهو علىٰ هذا من النَّحْر، وهو الصدر.

الخامس: أن معناه: ارفع يدك عند نحرك في افتتاح الصلاة.

﴿٣﴾ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الشانئ: هو المبغِض، وهو من الشَّنآن بمعنىٰ العداوة.

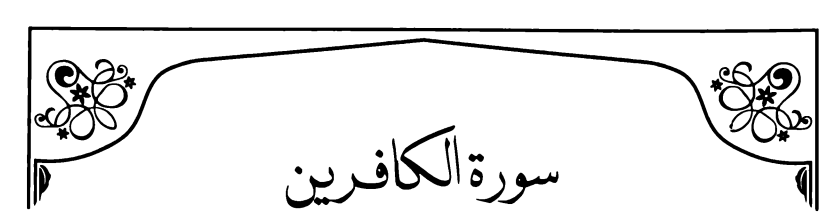
ونزلت هذه الآية في العاصي بن وائل[١] -وقيل: في أبي جهل[٢]- علىٰ وجه الرد عليه؛ إذ قال: إن محمدًا أبترُ؛ أي: لا ولد له ذكَرٌ، فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته، فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد؛ لأنه مبتور من رحمة الله؛ أي: مقطوع عنها، ولأنه لا يُذكر إذا ذُكر إلا باللعنة، بخلاف النبي ﷺ فإن ذكره خالد إلىٰ آخر الدهر، مرفوع علىٰ المنابر والصوامع، مقرونٌ بذكر الله، والمؤمنون من زمانه إلىٰ يوم القيامة أتباعه، فهو كالوالد لهم[٣].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٩٧-٦٩٩) عن ابن عباس ﷺ وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧١) عن عطاء، ونسبه ابن كثير (٨/ ٥٠٤) إلىٰ ابن عباس ﷺ، وفي الدر المنثور (١٥/ ٧١٠): «وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس ﷺ قال: أبو جهل»

(٣) في د: «فكأنه والدهم».



سورة الكافرين

سبب هذه السورة: أن قومًا من قريش، منهم الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاصي بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم؛ قالوا: يا محمد! اتبع ديننا ونتبع دينك، اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فقال: «معاذ الله أن أشرك بالله شيئًا»(١)، ونزلت السورة في معنى البراءة من آلهتهم، ولذلك قال ﷺ: «من قرأها فقد برئ من الشرك»(٢).

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾

۝٢ ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ هذا إخبار أنه لا يعبد أصنامهم. **فإن قيل**: لم كرر هذا المعنى بقوله: ﴿وَلَآ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾؟ **فالجواب من وجهين**:

أحدهما -قاله الزمخشري-: وهو أن قوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يريد في الزمان المستقبل، وقوله: ﴿وَلَآ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ يريد به فيما مضى؛ أي: ما كنت قطُّ عابدًا ما عبدتم فيما سلف؛ فكيف تطلبون ذلك مني الآن؟(٣)

الثاني -قاله ابن عطية-: وهو أن قوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصة قال: ﴿وَلَآ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾؛ أي: أبدًا ما عشتُ(٤).

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٧٠٣) وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن ابن إسحاق عن سعيد بن مينا مولى البَخْتَري.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٨٠٧)، وأبو داود (٥٠٥٥)، والترمذي (٣٤٠٣)، والنسائي في الكبرى (١٠٥٦٩)، وابن حبان (٧٩٠)، والحاكم (٣٩٨٢) وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة (٢٧٠٥٩) عن فروة بن نوفل الأشجعي، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٣/ ٦١).

(٣) الكشاف (١٦/ ٦٠٧).

(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٧٠١).

وهذا مُعترَض؛ لأن «لا» النافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلَّصته للاستقبال، فقوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ﴾ لا يَحتمل أن يراد به الحال.

ويحتمل عندي: أن يكون قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ يريد به: في المستقبل، على حسَب ما تقتضيه «لا» من الاستقبال، ويكون قوله: ﴿وَلَآ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ يريد به: في الحال، فيحصل من المجموع نفي عبادته الأصنام في الحال والاستقبال، ومعنى الحال في قوله: ﴿وَلَآ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ أظهر من معنى المضيِّ الذي قاله الزمخشري، ومن معنى الاستقبال؛ فإن قولك: «ما زيد قائم» بنفي الجملة الاسمية يقتضي الحال.

﴿٣﴾ ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ هذا إخبارٌ أن هؤلاء الكفار لا يعبدون الله، كما قيل لنوح عليه السلام: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، إلا أن هذا في حق قوم مخصوصين ماتوا على الكفر، وقد روي أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم: أبو جهل، والوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، وأمية بن خلف، وأُبيٌّ بن خلف، وابنا الحَجاج[1]، وكلهم ماتوا كفارًا.

فإن قيل: لم قال ﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾ بـ«ما» دون «مَن» التي هي موضوعة لمن يَعقل؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن ذلك لمناسبة قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾؛ فإن هذا واقع على الأصنام التي لا تعقل ثم جعل ﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾ على طريقته؛ لتناسب اللفظ.

الثاني: أنه أراد الصفة، كأنه قال: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق، **قاله الزمخشري**[2].

الثالث: أن «ما» مصدرية، والتقدير: لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي، **وهذا ضعيف**.

---

(١) وهما: نَبيهٌ ومنبِّه ابنا الحَجاج بن عامر. سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٥)، وقد تقدم تخريجه في أثر ابن إسحاق عن سعيد بن مينا.

(٢) الكشاف (١٦/ ٦١١).

فإن قيل: لم كرَّر هذا المعنىٰ واللفظ؛ فقال بعد ذلك: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ مرة أخرىٰ؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما -قول الزمخشري-: وهو أن الأوَّل في المستقبل والثاني فيما مضىٰ[(١)].

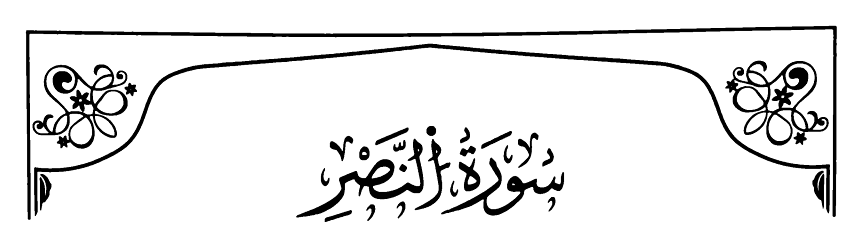
والآخر -قاله ابن عطية-: وهو أن الأول في الحال والثاني في الاستقبال، فهو حتمٌ عليهم أن لا يؤمنوا أبدًا[(٢)].

﴿٦﴾ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أي: لكم شِرْككم، ولي توحيدي، وهذه براءة منهم. وفيها مسالَمة منسوخة بالسيف.



(١) الكشاف (١٦/ ٦٠٧).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٧٠١).



سورة النصر

سأل عمر بن الخطاب جماعةً من الصحابة ﵃ عن معنىٰ هذه السورة، فقالوا: إن الله أمر رسول الله ﷺ بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح، وذلك علىٰ ظاهر لفظها، فقال لابن عباس بمحضرهم: يا عبد الله ما تقول أنت؟ قال: هو أجلُ رسول الله ﷺ، أَعْلَمه الله بقربه إذا رأىٰ النصر والفتح، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما علمتَ[١].

وقد قال بهذا المعنىٰ ابن مسعود ﵁[٢] وغيره، ويؤيده قول عائشة ﵂: إن رسول الله ﷺ لما فَتح[٣] مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إني أستغفرك» يتأول القرآن[٤]؛ أي هذه السورة، وقال لها مرة: «ما أراه إلا حضور أجلي»[٥].

وقال ابن عمر ﵄: نزلت هذه السورة بمنىٰ أيام التشريق في حجة الوداع[٦]، وعاش رسول الله ﷺ بعدها ثمانين يومًا أو نحوها[٧].

وقال ابن مسعود ﵁: هذه السورة تسمىٰ «سورة التوديع»[٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٩٤) عن ابن عباس ﵄.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في أ، ج: «فُتحت».

(٤) أخرجه البخاري (٤٩٦٧)، ومسلم (٤٨٤).

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٢٣)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٦) أخرجه البزار (١٢/ ٢٩٨)، والبيهقي (٩٦٨٢).

(٧) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٨/ ٧٠٥)، وهذا بناء علىٰ ما قال به بعض أهل العلم بالسِّيَر أن وفاة النبي ﷺ كانت لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدىٰ عشرة، فيكون بينهما نحو ثمانين يومًا، وأما علىٰ القول الآخر أنه توفي لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول -وبه قال ابن إسحاق والواقدي وكاتبه محمد بن سعد صاحب الطبقات، وهو القول المشهور- فيكون بينهما نحو تسعين يومًا. انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ط. ابن كثير (٥/ ٣٥٨) وما بعدها، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ١٢٩).

(٨) ذكره في الكشاف (١٦/ ٦٢١) منسوبًا إليه، وذكره الثعلبي (٣٠/ ٤٤٨) دون نسبة إلىٰ قائل.

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

﴿١﴾ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ **يعني بالفتح**: فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التي فتحها رسول الله ﷺ. **وقال ابن عباس** رضي الله عنهما: [(١)]النصر: صلح الحديبية، والفتح: فتح مكة[(٢)]. **وقيل**: النصر: إسلام أهل اليمن. والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبارٌ بغيب، فهو من أعلام النبوَّة.

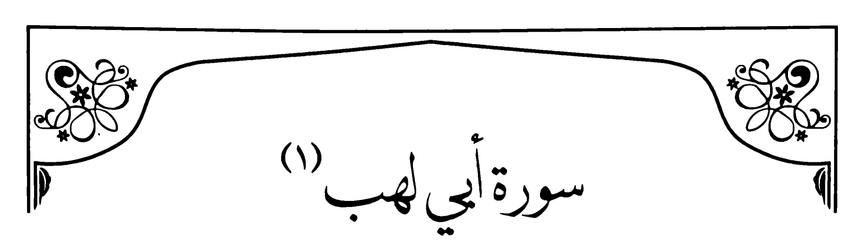
﴿٢﴾ ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أي: جماعاتٍ، وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشرٌ كثير، فقد روي أن رسول الله ﷺ كان معه في فتح مكة عشرة آلاف، وكان معه في غزوة تبوك سبعون ألفًا. **وقال أبو عمر ابن عبد البر**: لم يمت رسول الله ﷺ وفي العرب رجل كافر[(٣)]. **وقد قيل**: إن عدد المسلمين عند موته: مئة ألف وأربعة عشر ألفًا.

﴿٣﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ قد ذُكر التسبيح والاستغفار ومعنى ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فيما تقدم[(٤)]. **فإن قيل**: لم أمره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح، وعند اقتراب أجله؟

فالجواب: أنه أمره بالتسبيح والحمد؛ ليكون شكرًا على النصر والفتح وظهور الإسلام، وأمره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله؛ ليكون ذلك زادًا للآخرة وعُدَّةً للقاء الله[(٥)].

---

(١) في أ، هـ زيادة: «من».
(٢) حكاه النقاش عنه كما في المحرر الوجيز (٨/ ٧٠٥).
(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٤/ ١٦٣٨).
(٤) انظر تفسير الآية (١٢٨) من سورة طه.
(٥) في ج، د: «للقاء».



سورة أبي لهب(١)

سببها: أنه لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣] صَعِد رسول الله ﷺ على الصفا، فنادىٰ بأعلىٰ صوته: «يا صباحاه(٢)!»، فاجتمعت إليه قريش فقال لهم: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» ثم أنذرهم عمومًا وخصوصًا، فقال له أبو لهب: تبًّا لك! ألهذا جمعتنا؟ فنزلت السورة(٣).

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

﴿١﴾ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ معنىٰ ﴿تَبَّتْ﴾: خسرت، والتَّبَاب: هو الخسران. وأبو لهب: هو عبد العزىٰ بن عبد المطلب بن هاشم، وهو عمُّ رسول الله ﷺ، وكان من أشد الناس عداوةً له. فإن قيل: لم ذكره الله بكنيته(٤) دون اسمه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبي بكر وغيره، ويقال: إنه كُنِّي أبا لهب لتلهُّب وجهه جمالًا.

الثاني: أنه لما كان اسمه عبد العزىٰ عدل عنه إلىٰ الكنية.

الثالث: أنه لما كان من أهل النار واللهب، كنَّاه أبا لهب، وليناسب ذلك قوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾.

---

(١) قال الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٥٥٢): «وتسمَّىٰ سورة تبَّت، وسورة أبي لهب، وسورة المسد».

(٢) في أ، د، هـ: «يا صاحباه»!

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٧٠، ٤٨٠١)، ومسلم (٢٠٨) عن ابن عباس ﷺ.

(٤) في أ، هـ: «بتكنيته».

(٢) ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ **يحتمل أن تكون ﴿مَآ﴾ : نافيةً، أو استفهامية يراد بها النفي.**

و ﴿مَالُهُۥ﴾: هو رأس ماله، ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: الربح.

أو ﴿مَالُهُۥ﴾: ما ورث، ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: هو ما اكتسبه لنفسه.

وقيل: ﴿مَالُهُۥ﴾: جميع ماله، ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: أولاده.

(٣) ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾ هذا حتمٌ عليه بدخول النار، ومات بعد ذلك كافرًا.

(٤) ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ اسم امرأته: أم جميل بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان وعمة معاوية. **وفي وصفها بحمالة الحطب أربعة أقوال:**

أحدها: أنها تحمل حطبًا وشوكًا فتلقيه في طريق النبي ﷺ لتؤذيه[1].

الثاني: أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة، يقال: فلان يحمل الحطب بين الناس: أي: يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم.

الثالث: أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين، يقال: فلان يحطِب على فلان: إذا قصد الإضرار به.

الرابع: أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها.

(٥) ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ **الجِيد**: العنق. **والمسَد**: الليف، **وقيل**: الحبل المفتول، **وفي المراد به ثلاثة أقوال:**

الأول: أنه إخبار عن حملها الحطب في الدنيا على القول الأول، وفي ذلك تحقيرٌ لها، وإظهار لخساسة حالها.

والآخر: أن حالها في جهنم يكون كذلك؛ أي: يكون في عنقها حبل.

الثالث: أنها كانت قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقنَّها على عداوة محمد، فأخبر عن قلادتها بحبل المسد على جهة التفاؤل والذمِّ لها بتبرُّجها.

---

(١) في ب، ج زيادة: «به».

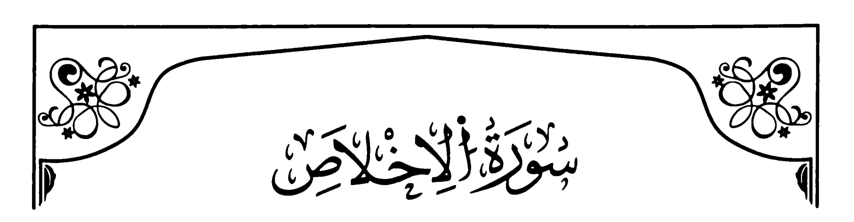
ويحتمل قوله: ﴿وَامْرَأَتُهُۥ﴾ وما بعده وجوهًا من الإعراب يختلف الوقف باختلافها، وهي:

أن يكون ﴿وَامْرَأَتُهُۥ﴾ مبتدأ، و ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ خبره.

أو ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ نعتٌ، والخبر: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

أو يكون ﴿امْرَأَتُهُۥ﴾ معطوفًا على الضمير في ﴿سَيَصْلَىٰ﴾، و ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: نعت، أو خبر مبتدأ مضمر.





سبب نزول هذه السورة: أن اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد! صف لنا ربك وانسُبه؟ فإنه وصف نفسه في التوراة ونسَبها! فارتعد رسول الله ﷺ حتى خرَّ مغشيًّا عليه، ونزل عليه جبريل ﵇ بهذه السورة[1].

وقيل: إن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك؟ فنزلت[2].

فعلى[3] الرواية الأولى: تكون السورة مدنية؛ (لأن سؤال اليهود بالمدينة)[4]، وعلى الرواية الثانية: تكون مكية.

واختلف في معنى قوله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعدِل ثلث القرآن»[5]:

فقيل: إن ذلك في الثواب؛ أي: لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن.

وقيل: إن ذلك فيما تضمَّنته من المعاني والعلوم؛ وذلك أن علوم القرآن ثلاثة: توحيد، وأحكام، وقَصص، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد، فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار، وهذا أظهر، وعليه حمل ابن عطية الحديث[6].

---

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٨/ ٧١٠) عن ابن عباس ﵄، ولم أقف عليه بهذا اللفظ مسندا.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٧٢٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٤)، وأحمد (٢١٢١٩)، والترمذي (٣٣٦٤)، والحاكم (٣٩٨٧) وصححه ووافقه الذهبي، عن أبي العالية عن أبي بن كعب ﵁، وأخرجه الترمذي (٣٣٦٥) عن أبي العالية مرسلًا، ولم يذكر أُبيًّا، وقال: «هذا أصح».

(٣) في أ، ب، هـ: «وعلى».

(٤) سقط من ج، د.

(٥) أخرجه البخاري (٥٠١٣) عن أبي سعيد ﵁، ومسلم (٨١١) عن أبي الدرداء ﵁.

(٦) المحرر الوجيز (٨/ ٧١٣).

ويؤيده: أن في بعض روايات الحديث: «**إن الله جزَّأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **جزءًا من أجزاء القرآن**»(١).

وخرج النسائي: أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يقرؤها فقال: «**أما هذا فقد غفر له**»(٢)، وفي رواية أنه قال: «**وجبت له الجنة**»(٣).

وخرج مسلم: أن رسول الله ﷺ بعث رجلًا على سرية، فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟**» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن؛ فأنا أحب أن أقرأها، فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»(٤).

وفي رواية خرَّجها الترمذي: أنه ﷺ قال للرجل: «**حبُّك إياها أدخلك الجنة**»(٥).

وخرج الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **مئتي مرة كل**(٦) **يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة، إلا أن يكون عليه دين**»(٧).

---

(١) أخرجه مسلم (٨١١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٦١٧)، والنسائي في الكبرى (٧٩٧٤) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٠٤): «رواه أحمد بإسنادين في أحدهما شريك وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح»، وصححه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٦/ ٣٠٦)، وأخرجه النسائي أيضا في الكبرى (١٠٤٧٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجها أحمد (١٦٦٠٥) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وسبق كلام الهيثمي فيه. وأخرجها النسائي في الكبرى (١٠٦٨)، والحاكم (٢٠٧٩) وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣) عن عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه أحمد (١٢٤٣٢)، والترمذي (٢٩٠١) وقال: «حسن غريب»، وابن حبان (٧٩٢)، والحاكم (٨٧٨) وصححه على مسلم ووافقه الذهبي، والبخاري تعليقًا (١/ ١٥٥) عن أنس رضي الله عنه.

(٦) في ج، د: «في كل».

(٧) أخرجه الترمذي (٢٨٩٨) من طريق حاتم بن ميمون عن ثابت عن أنس رضي الله عنه، قال ابن كثير (٨/ ٥٢٤): «إسناده ضعيف، حاتم بن ميمون ضعفه البخاري وغيره»، وأخرجه أبو يعلى في مسنده -كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٤)، وإتحاف الخيرة المهرة للبوصيري (٦/ ٣١٢)- من طريق أم كثير الأنصارية، عن أنس رضي الله عنه، وضعف إسناده ابن كثير.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

۝١ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **الضمير هنا عند البصريين**: ضمير الأمر والشأن الذي يراد به التعظيم والتفخيم. **وإعرابه**: مبتدأ، وخبره الجملة التي بعده، وهي المفسِّرة له، و ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ و ﴿أَحَدٌ﴾ خبره. **وقيل**: ﴿ٱللَّهُ﴾ هو الخبر، و ﴿أَحَدٌ﴾ بدل منه. **وقيل**: ﴿ٱللَّهُ﴾ بدل، و ﴿أَحَدٌ﴾ هو الخبر. و ﴿أَحَدٌ﴾ **له معنيان**:

أحدهما: أن يكون من أسماء النفي التي لا تقع إلا في غير الواجب، كقولك: «ما جاءني أحد»، وليس هذا موضع هذا المعنىٰ، وإنما موضعه قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

والآخر: أن يكون بمعنىٰ واحد، وأصله: «وَحَد» بواو، ثم أبدل من الواو همزة، **وهذا هو المراد هنا**.

واعلم أن وصف الله تعالىٰ بالواحد[1] له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالىٰ:

الأول: أنه واحد لا ثاني معه، فهو نفي للعدد.

والآخر: أنه واحد لا نظير له ولا شريك، كما تقول: «فلان واحد عصره»؛ أي: لا نظير له.

والثالث: أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعَّض[2].

والأظهر: أن المراد في السورة نفي الشريك؛ لقصد الرد علىٰ المشركين، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]. **قال الزمخشري**: ﴿أَحَدٌ﴾ وصفٌ بالوحدانية ونفيِ الشركاء[3]. **قلت: وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة علىٰ وحدانيته، وذلك في القرآن كثير جدًّا، وأوضحها أربعة براهين[4]**:

---

(١) في ب، د: «بالوحدانية».

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٢٧).

(٣) الكشاف (١٦/ ٦٣٨).

(٤) انظر تبيين هذه الأوجه في كتاب «النور المبين في قواعد عقائد الدين» للمؤلف ﷺ (ص: ٣٩) وما بعدها.

الأول: قوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]؛ لأنه إذا ثبت أن الله تعالىٰ خالق جميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحدٌ منها شريكًا له.

والآخر: قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

والثالث: قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢].

والرابع: قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩٢].

وقد فسرنا هذه الآيات في مواضعها، وتكلمنا علىٰ حقيقة التوحيد في قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

(٢) ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ **في معنىٰ الصمد ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه السيد[١] الذي يُصمَد إليه في الأمور؛ أي: يُلجأ إليه.

والآخر: أنه الذي لا يأكل ولا يشرب، فهو كقوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

والثالث: أنه الذي لا جوف له.

والأول هو المراد هنا علىٰ الأظهر، ورجَّحه ابن عطية: بأن الله هو مُوجِد الموجودات وبه قِوامها، فهي مفتقرة إليه؛ أي: تصمد إليه؛ إذ لا تقوم بأنفسها[٢]، ورجَّحه شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير بورود معناه في القرآن حيثما ورد نفي الولد عن الله تعالىٰ، كقوله في «مريم»: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨] **ثم أعقبه بقوله:** ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، وقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

---

(١) في أ: «الصمد».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٧١١).

وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٥]، وكذلك هنا ذكره مع قوله ﴿لَمْ يَلِدْ﴾؛ ليكون برهانًا على نفي الولد.

قال الزمخشري: صَمَدٌ: فَعَلٌ بمعنى مفعول؛ لأنه مصمود إليه في الحوائج[1].

﴿٣﴾ ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ هذا ردٌّ على كل من جعل لله ولدًا، فمنهم النصارى في قولهم: عيسى ابن الله، واليهود في قولهم: عزير ابن الله، والعرب في قولهم: الملائكة بنات الله.

وقد أقام اللهُ البراهين في القرآن على نفي الولد، وأوضحها أربعة:

الأول: أن الولد لا بد أن يكون من جنس والده، والله تعالى ليس له جنس، فلا يمكن أن يكون له ولد، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٧] فوصفهما بصفة الحدوث؛ لينفي عنهما صفة[2] القِدَم، فتبطل مقالة الكفار.

الثاني: أن الولد إنما يُتخذ للحاجة إليه، والله لا يفتقر إلى شيء، فلا يَتخذ ولدًا، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَداً سُبْحَـٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ [يونس: ٦٨].

الثالث: أن جميع الخلق عباد الله، والعبودية تنافي البنوَّة، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ ءَاتِي ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْداً﴾ [مريم: ٩٤].

الرابع: أنه لا يكون ولد إلا لمن له زوجة، والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ هذا ردٌّ على الذين قالوا: «انسُبْ لنا ربك»، وذلك أن كل مولود محدَث، والله تعالى هو الأول الذي لا افتتاح لوجوده، القديم الذي كان ولم يكن معه شيء غيره، فلا يمكن أن يكون مولودًا تعالى عن ذلك.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٦٣٥).

(٢) في ب، ج، هـ: «صفات».

﴿٤﴾ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ **الكفؤ**: هو النظير والمماثل. **قال الزمخشري**: يجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح، فيكون نفيًا للصاحبة[(١)]، وهذا بعيد. **والأول هو الصحيح**، ومعناه: أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولا مثيل. **ويجوز في** ﴿كُفُوًا﴾: ضم الفاء، وإسكانها مع ضم الكاف، وقد قرئ بالوجهين[(٢)]. ويجوز أيضًا كسر الكاف وإسكان الفاء[(٣)]. ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمدُّ[(٤)]. ويجوز فيه: الهمز والتسهيل. وانتصب ﴿كُفُوًا﴾ على أنه خبر «كان»، و﴿أَحَدٌ﴾ اسمها.

قال ابن عطية: يجوز أن يكون ﴿كُفُوًا﴾ حالًا؛ لكونه كان صفة للنكرة فقُدِّم عليها[(٥)].

فإن قيل: لم قدَّم المجرور وهو ﴿لَّهُۥ﴾ ، على اسم كان وخبرها، وشأن الظرف إذا وقع غيرَ خبر أن يؤخَّر؟ **فالجواب من وجهين:**

أحدهما: أنه قُدِّم للاعتناء به والتعظيم؛ لأنه ضمير الله تعالى، وشأن العرب تقديم ما هو أهم وأولى.

والآخر: أن هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل فائدته، فإنه ليس المقصود نفي الكفؤ مطلقًا، إنما المقصود نفي الكفؤ عن الله تعالى، فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذي يَحوز[(٦)] هذا المعنى، فقدَّمه.

فإن قيل: إن قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يقتضي نفي الولد والكفؤ؛ فلمَ نصَّ على ذلك بعده؟

---

(١) الكشاف (١٦/ ٦٣٦).

(٢) قرأ حمزة بإسكان الفاء مع الهمزة في الوصل، فإذا وقف أبدل الهمزة واوًا أو نقل حركة الهمزة إلى الفاء وحذف الهمزة، وروى حفص عن عاصم بضم الفاء من غير همز، وقرأ الباقون بضم الفاء مع الهمزة.

(٣) فتكون: «كِفْوًا» وهي من لغات الكلمة، ولم أقف على من قرأ بها. انظر: البحر المحيط (٢١/ ٥٢٨).

(٤) فتكون: «كِفَاءً» قرأ بها سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس. المحرر الوجيز (٨/ ٧١٢).

(٥) المحرر الوجيز (٨/ ٧١٢).

(٦) في ج، هـ: «يُحْرِز».

فالجواب: أن هذا من التَّجريد، وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في عمومٍ مُتقدِّمٍ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٧]، **ويُفعل ذلك لوجهين يصحُّ كل واحد منهما هنا**:

أحدهما: الاعتناء، ولا شك أن نفي الولد والكفؤ عن الله ينبغي الاعتناء به؛ للرد علىٰ من قال خلاف ذلك من الكفار.

والآخر: الإيضاح والبيان؛ فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه، فنص علىٰ هذا بيانًا، وإيضاحًا للمعنىٰ، ومبالغةً في الرد علىٰ الكفار، وتأكيدًا لإقامة الحجة عليهم.





﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

۝١ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ تقدم معنىٰ ﴿أَعُوذُ﴾ في التعوُّذ، ومعنىٰ ﴿رَبِّ﴾ في «**اللغات**»[1] و«**الفاتحة**». **وفي الفلق ثلاثة أقوال:**

الأول: أنه الصبح، ومنه ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام:٩٧]، **قال الزمخشري:** هو فَعَلٌ بمعنىٰ مفعول[2].

الثاني: أنه كل ما يَفلقه الله، كفلْق الأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحب والنوىٰ وغير ذلك.

الثالث: أنه جُبٌّ في جهنم. وقد روي هذا عن رسول الله ﷺ[3].

۝٢ ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ **هذا عمومٌ في جميع المخلوقات، وشرُّهم: أنواع كثيرة، أعاذنا الله منها. و﴿مَا﴾ هنا موصولة، أو موصوفة، أو مصدرية.**

۝٣ ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ **فيه ثمانية أقوال:**

الأول: أنه الليل إذا أظلم، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، وهذا قول

---

(١) انظر المادة (٢٠٤) في اللغات.

(٢) الكشاف (١٦/ ٦٤٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٩٦، ٧٤٢) عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «الفلق: جبٌّ في جهنم مغطىٰ، وأما سجين فمفتوح»، وأورده ابن كثير في تفسيره (٨/ ٣٤٩) عن الطبري وقال: «حديث غريب منكر لا يصح».

الأكثرين، وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الأنس والجن، ولذلك قيل في المثَل: «الليل أخفىٰ للويل»[١].

الثاني: أنه القمر، خرج النسائي: أن رسول الله ﷺ رأىٰ القمر فقال: «يا عائشة! استعيذي بالله من شر هذا؛ فإنه الغاسق إذا وقب»[٢]، ووقوبه علىٰ هذا: كسوفه؛ لأن «وَقَبَ» في كلام العرب يكون بمعنىٰ الظلمة والسواد، وبمعنىٰ الدخول، **فالمعنىٰ**: إذا دخل في الكسوف، أو إذا أظلم به.

الثالث: أنه الشمس إذا غربت، والوقوب علىٰ هذا المعنىٰ: الظلمة، أو الدخول.

الرابع: أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل، وهذا قريب من الذي قبله.

الخامس: أن الغاسق سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطاعون تَهيج عنده، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «النجم هو الغاسق»[٣] فيحتمل أن يريد الثريا.

السادس: أنه الذَّكَر إذا قام، حكىٰ النقاش هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما[٤].

السابع: قال **الزمخشري**: يجوز أن يراد بالغاسق: الأسود من الحيات، ووَقْبُه: ضَرْبه[٥].

الثامن: أنه إبليس، حكىٰ ذلك **السهيلي**[٦].

﴿٤﴾ ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾ **النفْث**: شبه النفخ دون تفْل وريق. قاله **ابن عطية**[٧]، وقال

---

(١) أي: افعَلْ ما تريد ليلا فإنه أَسْتَرُ لسرِّك. انظر: مجمع الأمثال للميداني (٢/ ١٩٣)، وفيه قصة هذا المثل.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٧٤٨)، وأحمد (٢٤٣٢٣)، والترمذي (٣٣٦٦) وصححه، والنسائي في الكبرىٰ (١٠٠٦٤)، والحاكم (٣٩٨٩) وصححه ووافقه الذهبي عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٧٤٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢١٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ابن كثير في تفسير (٨/ ٥٣٦): «وهذا الحديث لا يصح رفعه إلىٰ النبي ﷺ».

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ٢٨٣٤، ل ١٦٨)، وقد تصرَّف محقِّقو الكتاب فحذفوا هذا القول من المطبوع (٨/ ٧١٥)، وعلَّقوا: «تركنا هنا سطرين من الأصول؛ لأن ما فيهما لا يتفق مع جلال هذا الكتاب»!!

(٥) الكشاف (١٦/ ٦٤٧).

(٦) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٣٩٩).

(٧) المحرر الوجيز (٨/ ٧١٥).

الزمخشري: هو النفخ مع ريق(١).

وهذا النفث ضربٌ من السحر، وهو أن ينفث علىٰ عُقَدٍ تُعقد في خيط أو نحوه علىٰ اسم مسحور فيضرَّه ذلك.

وحكىٰ **ابن عطية** أنه حدَّثه ثقة أنه رأىٰ عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطًا أحمر قد عُقدت فيه عُقَدٌ علىٰ فِصْلان -وهي أولاد الإبل-، فمُنعت بذلك من رضاعَ أمهاتها، فكان إذا حلَّ عقدةً جرىٰ ذلك الفصيل إلىٰ أمه فرَضِعَ في الحين(٢).

قال الزمخشري: إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يستعاذ من مثل عملهنَّ وهو السحر، ومن إثمهنَّ في ذلك.

والآخر: أن يستعاذ من خداعهنَّ للناس وفتنتهنَّ.

والثالث: أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهنَّ(٣).

و﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ بناء مبالغة، **والموصوف محذوف تقديره**: النساء النفاثات، أو الجماعات النفاثات، أو النفوس النفاثات، **والأول أرجح**؛ لأنه روي أنه إشارة إلىٰ بنات لَبيد بن الأعصم اليهودي، وكنَّ ساحرات سحرْنَ هُنَّ وأبوهن رسول الله ﷺ وعقَدْنَ له إحدىٰ عشرة عقدة، فأنزل الله المعَوِّذتين إحدىٰ عشرة آية بعدد العقد، وشفَىٰ الله رسوله ﷺ(٤).

فإن قيل: لم عرَّف ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ بالألف واللام، ونكَّر ما قبله وهو ﴿غَاسِقٍ﴾ وما بعده وهو ﴿حَاسِدٍ﴾ ؛ مع أن الجميع مستعاذ منه؟

فالجواب: أنه عرَّف النفاثات؛ ليفيد العموم؛ لأن كل نفاثة شرِّيرة، بخلاف الغاسق والحاسد؛ فإن شرَّهما في بعضٍ دون بعض.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٦٤٨).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٧١٥-٧١٦).

(٣) الكشاف (١٦/ ٦٤٩).

(٤) قصة سحر لبيد ابن الأعصم للرسول ﷺ أخرجها البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (٢١٨٩) من حديث عائشة ﵂، وأما أن بناته عملنَ السحر للرسول ﷺ مع أبيهنَّ فقد ذكره السهيلي في التعريف والإعلام (٤٠٠) قولًا ولم ينسبه، وذكره الواحدي في البسيط (٢٤/ ٤٦٤) قولًا منسوبًا إلىٰ صاحب النظم، وهو أبو علي الجرجاني صاحب نظم القرآن، ولم أقف علىٰ أثر يستند إليه هذا القول.

﴿٥﴾ ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ **الحسد خُلُق مذموم طبعًا وشرعًا، قال رسول الله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[1]. وقال بعض العلماء: الحسد أول** معصية عُصِيَ الله بها في السماء وفي الأرض، أما في السماء: فحسد إبليس لآدم عليه السلام، وأما في الأرض: فقتْل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد. **ثم إن الحسد علىٰ درجات:**

الأولىٰ: أن يحبَّ الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه، بل يكره إنعام الله علىٰ غيره ويتألم به.

الثانية: أن يحب زوال تلك النعمة؛ لرغبته فيها ورجاء انتقالها إليه.

الثالثة: أن يتمنىٰ لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره، وهذا جائز وليس بحسد، وإنما هو غِبْطة.

والحاسد يضرُّ نفسه ثلاث مضَرَّات:

أحدها: اكتساب الذنوب؛ لأن الحسد حرام.

الثانية: سوء الأدب مع الله تعالىٰ، فإن حقيقة الحسد كراهةُ إنعام الله علىٰ عبده، واعتراضٌ علىٰ الله في فعله.

الثالثة: تألم قلبه، وكثرة همه وغمه.

فنرغب إلىٰ الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين، فإن المحسود ذو نعمة، والحاسد في كرب ونقمة، ولله در الشاعر في قوله:

إني لأرحم حاسِديَّ لفَرْط ما ... ضمَّت صدورهمُ من الأوغارِ
نظروا صنيع الله بي فعيُونهم ... في جنةٍ وقلوبُهم في نارِ[2]

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال البخاري: «لا يصح». تخريج الإحياء للعراقي (١/ ٥٦)، وضعفه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٤/ ٦٣٢).
وأخرجه ابن ماجه (٤٢١٠) عن أنس رضي الله عنه، قال العراقي في الإحياء: «وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف، وفي تاريخ بغداد [٣/ ١٢] بإسناد حسن»، وضعفه البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٢٣٨)، وأخرجه ابن أبي شيبة (٢٧١٢٦) عن أنس أيضًا، وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف (التقريب ١٠٧١).

(٢) البيتان لأبي الحسن التهامي كما في ديوانه (ص: ٣١٦).

وقال آخر:

إن يحسدوني فإني غيرُ لائمِهم قبلي من الناس أهلِ الفضل قد حُسِدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهِمُ ومات أكثرُنا غيظًا بما يَجِدُ[١]

ثم إن الحسود لا تزول عداوته، ولا تنفع مداراته، وهو ظالم يتشكّىٰ كأنه مظلوم، ولقد صدق القائل:

كل العداوة قد تُرجىٰ إزالتها إلا عداوة من عاداك من حسَدِ[٢]

وقال حكيم الشعراء:

وأَظلم خلق الله من بات حاسدًا لمن بات في نعمائه يتقلَّبُ[٣]

قال ابن عطية: قال بعض الحذاق: هذه السورة خمس آيات، وهي مراد الناس بقولهم للحاسد الذي يُخاف منه العين: الخمسة علىٰ عينيك[٤].

فإن قيل: لم قال ﴿إِذَا وَقَبَ﴾، و﴿إِذَا حَسَدَ﴾ فقيد بـ«إذا» التي تقتضي تخصيص بعض الأوقات؟

فالجواب: أن شرَّ الحاسد ومضرَّته إنما تقع إذا أمضىٰ حسده، فحينئذٍ يضر بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين، فإن عين الحسود قاتلة، وأما إذا لم يُمض حسده ولم يتصرف بمقتضاه فشره ضعيف، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث[٥] لا ينجو منهن أحد: الحسد، والظن، والطيرة، فمخرجه من الحسد أن لا يَبغِي، ومخرجه من الظن أن لا يُحقِّق، ومخرجه من الطيرة أن لا يرجع**»[٦]، فلهذا خصَّه بقوله: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾.

---

(١) البيتان لبشار بن برد كما في ديوانه (٣/ ٩٧).
(٢) البيت للشافعي كما في مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ٧٤)، ونسبه في العقد الفريد إلىٰ ابن المبارك (٢/ ١٧١).
(٣) البيت للمتنبي كما في شرح العكبري لديوانه (١/ ١٨٥).
(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٧١٦).
(٥) في ب: «ثلاثة».
(٦) أخرجه معمر بن راشد رواية عبد الرزاق في مصنفه (١٠/ ٤٠٣)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٠٠) من طريقه عن إسماعيل بن أمية عن النبي ﷺ، وقال البيهقي: «هذا منقطع»، فالحديث ضعيف. =

وكذلك الشرُّ المخوف في الليل إنما هو إذا أظلم، فلذلك خصَّه بقوله: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾.

فإن قيل: إن قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ عمومٌ يدخل تحته كل ما ذكر بعده؛ فلأيِّ شيء ذَكر ما بعده؟

فالجواب: أن هذا من التَّجريد؛ للاعتناء بالمذكور بعد العموم، ولقد تأكد ما ذكر في هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذي سحر اليهودُ رسولَ الله ﷺ، وشدة حسدهم له.

= وأخرجه البيهقي في الشعب أيضًا (٢/ ٤٠٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ١٢٧) بالضعف.

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٢٨) حارثة بن النعمان رضي الله عنه، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٤٩).



﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾

۝١ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ **إن قيل**: لم أضاف الرب إلىٰ الناس خاصة وهو رب كل شيء؟ **فالجواب**: أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوِس في صدور الناس، فخصَّهم بالذكر لأنهم المعوَّذون بهذا التعويذ، والمقصودون هنا دون غيرهم.

۝٢ ۝٣ ﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ هذا عطف بيان. **فإن قيل**: لم قدم وصفه تعالىٰ بـ ﴿رَبِّ﴾ ثم بـ﴿مَلِكِ﴾ ثم بـ﴿إِلَٰهِ﴾ ؟

فالجواب: أن هذا علىٰ الترتيب في الارتقاء إلىٰ الأعلىٰ، وذلك أن الرب قد يُطلق علىٰ كثير من الناس، فيقال: فلان رب الدار، وشبه ذلك، فبدأ به؛ لاشتراك معناه، وأما الملْك فلا يوصف به إلا آحاد من الناس وهم الملوك، ولا شك أنهم أعلىٰ من سائر الناس، فلذلك جاء به بعد الرب، وأما الإله فهو أعلىٰ من الملك، ولذلك لا يَدَّعي الملوكُ أنهم آلهة، وإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير؛ فلذلك خَتم به.

فإن قيل: لم أظهر المضاف إليه وهو ﴿النَّاسِ﴾ في المرة الثانية والثالثة؛ فهلَّا أضمره في المرتين لتقدُّم ذكره في قوله: ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾؟ أو هلَّا اكتفىٰ بإظهاره في المرة الثانية؟

فالجواب: أنه لما كان هذا عطفَ بيان حسُن فيه البيان، وهو الإظهار دون الإضمار، وقصَد أيضًا الاعتناء بالمكرَّر ذكرُه، كقول الشاعر:

لا أرىٰ المـوتَ يَسـبق المـوتَ شـيءٌ   نغَّـص المـوتُ ذا الغنـىٰ والفقيـرَا[١]

﴿٤﴾ ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ وهو مشتق من الوسوسة، وهي الكلام الخفي.

فيحتمل أن يكون ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ بمعنىٰ الموسوِس فكأنه اسم فاعل، **وهذا يظهر في قول ابن عطية**: الوسواس من أسماء الشيطان[٢].

ويحتمل أن يكون مصدرًا وصف به الموسوس علىٰ وجه المبالغة، كالوصف بعَدْلٍ وصَوْمٍ، أو علىٰ حذف مضاف تقديره: ذي الوسواس.

وقال الزمخشري: إنما المصدر وِسواس بالكسر[٣].

﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ معناه: الرَّاجع علىٰ عقبه المستتر أحيانًا، وذلك متمكِّن في الشيطان؛ فإنه يوسوس، فإذا ذَكر العبدُ الله وتعوذ به منه تباعد عنه، ثم رجع إليه عند الغفلة عن الذكر، فهو يَخنَس في تباعده، ثم في رجوعه بعد ذلك.

﴿٥﴾ ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ **وسوسة الشيطان في صدر الإنسان بأنواع كثيرة؛ منها**: إفساد الإيمان والتشكيك في العقائد.

فإن لم يقدر علىٰ ذلك أمره بالمعاصي.

فإن لم يقدر علىٰ ذلك ثبَّطه عن الطاعات.

فإن لم يقدر علىٰ ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات؛ ليُحبطها.

فإن سلم من ذلك أدخل عليه العُجْبَ بنفسه واستكثارَ عمله.

ومن ذلك: أنه يوقد في القلب نار الحسد، والحقد، والغضب؛ حتىٰ يقود الإنسان إلىٰ شر الأعمال وأقبح الأحوال.

---

(١) البيت لعدي بن زيد العبَادي كما في ديوانه (ص: ٦٥).
(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٧١٧).
(٣) الكشاف (١٦/ ٦٥٣-٦٥٤).

وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء؛ وهي:

[١] الإكثار من ذكر الله.

[٢] والإكثار من الاستعاذة بالله منه، ومن أَنفع شيءٍ في ذلك قراءة هذه السورة.

والثالث: مخالفته والعزم علىٰ عصيانه.

فإن قيل: لم قال: ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ ولم يقل: «في قلوب الناس»؟

فالجواب: أن ذلك إشارة إلىٰ عدم تمكن الوسوسة، وأنها غير حالَّة في القلب، بل هي محوِّمة في الصدر حول القلب.

﴿٦﴾ ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ هذا بيان لجنس الوسواس، وأنه يكون من الجن، ومن الإنس.

ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد من يوسوس بخِدَعه، وأقواله الخبيثة؛ فإنه شيطان كما قال تعالىٰ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلِانسِ وَالْجِنِّ﴾ [الإنعام: ١١٣]، أو يريد به نفسَ الإنسانِ إذ تأمره بالسوء؛ فإنها أمَّارة بالسوء، **والأول أظهر**.

وقيل: إن ﴿ٱلنَّاسِ﴾ معطوف علىٰ ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾؛ كأنه قال: أعوذ من شر الوسواس من الجِنة، ومن شر الناس، وليس الناس علىٰ هذا ممن يوسوس، **والأول أظهر وأشهر**. **فإن قيل**: لم ختم القرآن بالمعوذتين، وما الحكمة في ذلك؟ **فالجواب من ثلاثة أوجه**:

الأول: قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: لما كان القرآن من أعظم النعم علىٰ عباده، والنعم مَظِنة الحسد؛ فختم[١] بما يطفئ الحسد؛ من الاستعاذة بالله.

الثاني: يظهر لي: أن المعوِّذتين ختم بهما؛ لأن رسول الله ﷺ قال فيهما: **«أنزلت عليَّ آيات لم ير مثلهن قط»**[٢]، كما قال في فاتحة الكتاب: **«لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل**

(١) في د، هـ: «ختم».

(٢) تقدم تخريجه.

ولا في الفرقان مثلها»[١]، فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها، واختتم بسورتين لم يُرَ مثلهما؛ ليجمع حسن الافتتاح والاختتام، ألَا ترىٰ أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلىٰ حُسْن افتتاحها واختتامها.

الوجه الثالث: يظهر لي أيضًا: أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم، ختم القرآن بالمعوِّذتين؛ ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القرآن، فتكون الاستعاذة قد اشتملت علىٰ طرفي الابتداء والانتهاء؛ ليكون القارئ محفوظًا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره[٢] إلىٰ آخره.



(١) تقدم تخريجه.

(٢) في ج، د: «مرة».

كمل كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» بعون الله وتوفيقه، فله الحمد كما هو أهله، فالخير بيده كله، وليس للعبد إلا إحسانه وطوله ورحمته وفضله، وأنا أرغب إلى الله كما أعانني بفضله على هذا الكتاب أن يجعله موجِبًا لدخولي الجنة من غير حساب ولا عذاب، بحرمة القرآن العظيم، وشفاعة محمد رسوله المصطفى الكريم(1)، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وكان تمام تقييده

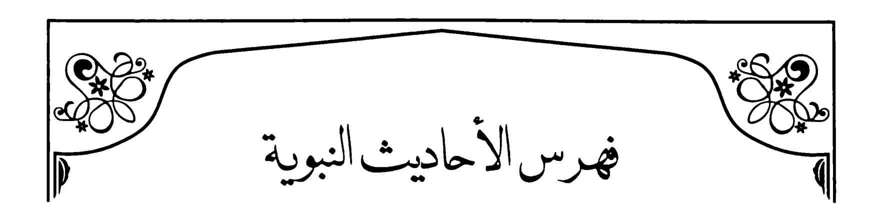
في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الثاني

عام تسعة وثلاثين وسبع مئة،

والحمد لله رب العالمين.



(١) [التعليق ١١١] قال الشيخ عبد الرحمن البرّاك: قولُه: «بحُرْمةِ القرآنِ العظيمْ، وشفاعةِ محمَّدٍ رسولِهِ المصطفىٰ الكريمْ»: أقولُ: كان الأَوْلىٰ بالمؤلِّفِ ﵀ التوسُّلُ إلىٰ اللهِ بأسمائِهِ وصفاتِهِ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وكما جاء في السُّنَّة: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ...»؛ الحديث [أخرجه أبو داود (١٤٩٥)، وابن ماجه (٣٨٥٨)؛ من حديث أنس ﵁]. وما ذكَرَهُ مِن التوسُّلِ بحُرْمةِ القرآنِ وشفاعةِ النبيِّ ﷺ، لا دليلَ عليه؛ فغفَرَ اللهُ له، ورَحِمَهُ، وضاعَفَ مَثُوبتَه.



فهرس الأحاديث النبوية

م	الحـديث	الجزء/الصفحة
٥٣.	إنَّ الله تجاوز لأمتي ما حدَّثتْ به أنفسَها	١/ ٣٧٤
٥٤.	أن الله تعالىٰ بعث ثمانية آلاف رسول	٣/ ١٢٥
٥٥.	أن الله تعالىٰ يقول في الثلث الآخر من الليل: من يستغفرني فأغفر له	٣/ ٢٧٧
٥٦.	إن الله تعالىٰ يقول لأهل الجنة: أتريدون شيئًا أزيدكم، فيقولون: يا ربنا أي شيء تزيدنا؟ فيقول: رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا	٢/ ٥٧
٥٧.	إن الله تعالىٰ يقول: أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب ..	٣/ ٣٣٨
٥٨.	إن الله جزَّأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ جزءًا من أجزاء القرآن	٣/ ٦٧٨
٥٩.	إن الله حييٌّ كريم يستحْيِي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردَّهما صِفْرًا	١/ ٢١٧
٦٠.	إن الله خيَّرني فاخترت	٢/ ٦٠
٦١.	إن الله قال له: إذا ذكرتُ ذكرتَ معي	٣/ ٦٢٥
٦٢.	إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السماوات والأرض، وفيه: إن رحمتي سبقت غضبي	١/ ٦٣٠، ٦٤٥
٦٣.	إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه علىٰ الماء	٣/ ٣٥٣
٦٤.	إن الله يدني العبد يوم القيامة حتىٰ يضع كنَفه عليه فيقول: فعلتَ كذا وكذا، ويعدد عليه ذنوبه، ثم يقول: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم	٣/ ٥٧٢
٦٥.	إنَّ الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين	١/ ٩٨
٦٦.	إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته في الجنة، وإن كانوا دونه في العمل؛ لتقَرَّ بهم عينه	٣/ ٢٨٦
٦٧.	إن الله يقبل توبة عبده ما لم يُغَرْغِرْ	١/ ٤٦٦
٦٨.	إنَّ الله يقول: قسَمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين: يقول العبد: الحمد لله رب العالمين..	١/ ١٨٠

م	الحـديث	الجزء/الصفحة
٦٩.	أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد، فإن رضيه الله قال: اجعلوه في عليين..	٣/ ٥٦٧
٧٠.	إن المؤمن يرىٰ ذنوبه كالجبل يقع عليه، والمنافق يرىٰ ذنوبه كالذبابة تطير فوق أنفه	٣/ ٦٢٥
٧١.	أن النبي ﷺ خطَّ خطًّا، ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه كلُّها سبلٌ، علىٰ كل سبيل منها شيطان يدعو إليه	١/ ٦٨٥
٧٢.	أن النبي ﷺ قال لبني النضير: اخرجوا. قالوا: إلىٰ أين؟ قال: إلىٰ أرض المحشر	٣/ ٣٧١
٧٣.	أن النبي ﷺ قال: إن الله كتب عليكم الحجَّ فحجوا فقالوا: يا رسول الله أفي كلِّ عام؟ فسكت، فأعادوا، قال: لا، ولو قلتُ: نعم لوجبت.	١/ ٦٠٨
٧٤.	أن النبي ﷺ قرأ: والذكرِ والأنثىٰ	٣/ ٦١٥
٧٥.	أن النبي ﷺ كان يؤتىٰ بالأسير المشرك فيدفعه إلىٰ بعض المسلمين ويقول له: أحسن إليه	٣/ ٥٢٢
٧٦.	إن أهل الجنة مئة وعشرون صفًّا، أنتم منها ثمانون صفا	٢/ ٣٢٧
٧٧.	إن أول آيات الساعة الدخان	٣/ ١٩٢
٧٨.	إن بينهما أربعين عامًا	٣/ ٥٤٢
٧٩.	إن جواب الجن خير من سكوتكم، إني لما قرأتها علىٰ الجن قالوا: لا نكذِّب بشيءٍ من آلاء ربِّنا	٣/ ٣١٥
٨٠.	أن رجلًا جاء بناقةٍ فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: لك بها يوم القيامة سبعُ مئة ناقةٍ	١/ ٣٥٦
٨١.	أن رجلًا قال يا رسول الله: الرجل يجد مع امرأته رجلًا؛ أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟	٢/ ٥٠٧
٨٢.	أن رجلًا قبَّل امرأة، ثم ندم، فذَكر ذلك للنبي ﷺ، وصلىٰ معه الصلاة، فنزلت الآية، فقال النبي ﷺ: أين السائل؟..	٢/ ١٣٨

م	الحديث	الجزء/ الصفحة
٨٣.	أن رسول الله ﷺ أكل مع أصحابه تينًا فقال: لو قلتُ: إن فاكهةً نزلت من الجنة قلت هذه..	٣/ ٦٢٧
٨٤.	أن رسول الله ﷺ بعث رجلًا على سرية، فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.	٣/ ٦٧٨
٨٥.	أن رسول الله ﷺ جهر بالقرآن في الصلاة، فسمعه المشركون، فسبُّوا القرآن ومن أنزله	٢/ ٣٠٥
٨٦.	أن رسول الله ﷺ ذكر القدرية فبكى وقال: إن فيهم المجتهد	٣/ ٥٩٤
٨٧.	أن رسول الله ﷺ رأى ربه فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟..	٣/ ٧٥
٨٨.	إن رسول الله ﷺ رأى في المنام بني أمية يَنْزُون على منبره نَزْوَ القردة..	٣/ ٦٣٨
٨٩.	أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يقرؤها فقال: أما هذا فقد غفر له	٣/ ٦٧٨
٩٠.	أن رسول الله ﷺ قال لرجل: لا أمَّ لك..	٣/ ٦٥٢
٩١.	أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وقال: قد قالها قوم ثم كفروا..	٣/ ١٣٨
٩٢.	أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ فقال: غرَّه جهله	٣/ ٥٦١
٩٣.	أن رسول الله ﷺ قرأها، وقال: هم قوم هذا	١/ ٥٨٤
٩٤.	أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ آخر هذه السورة قال: بلى	٣/ ٥١٧
٩٥.	أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه السورة [سورة الملك] كل ليلة إذا أخذ مضجعه	٣/ ٤٣٥
٩٦.	أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين	١/ ١٨٠
٩٧.	أن رسول الله ﷺ كان يقطِّع قراءته، يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثم يقف، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ثم يقف	١/ ٩٠
٩٨.	أن رسول الله ﷺ لبَّبَ أبا جهل وقال له: إن الله يقول لك: أولى لك فأولى	٣/ ٥١٧

م	الحديث	الجزء/الصفحة
١١٧.	أن موسىٰ ﷺ خطب يومًا في بني إسرائيل، فقيل له: هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ فقال: لا..	٢/ ٣٣٢
١١٨.	إن هذا البلد حرام حرَّمه الله يوم خلق السماوات والأرض..	٣/ ٦٠٥
١١٩.	أن يهوديًّا زنىٰ بيهودية؛ فسأل رسولُ الله ﷺ اليهودَ عن حدِّ الزاني عندهم فقالوا: نجلدهما ونُحمِّم وجوههما	١/ ٥٧٥
١٢٠.	أنا ابن الذبيحين	٣/ ٣٨
١٢١.	أنا أغنىٰ الأغنياء عن الشرك، فمن عمل عملًا أشرك فيه غيري تركته وشريكه	٣/ ٦٤١
١٢٢.	أنا المنذر، وأنت يا عليٌّ الهادي	٢/ ١٨٣
١٢٣.	أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب	٣/ ١٩
١٢٤.	أنا جليس من ذكرني	١/ ٢٧٦
١٢٥.	أنا دعوة إبراهيم	١/ ٢٦٨
١٢٦.	أنا سيد ولدِ آدم	١/ ٣٤٨
١٢٧.	أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني	١/ ٢٧٥، ٢٧٦
١٢٨.	أنا مدينة الإيمان، وأبو بكر بابها	٣/ ١٦٤
١٢٩.	أنا مدينة التقوىٰ، وعمر بابها	٣/ ١٦٤
١٣٠.	أنا من أشراط الساعة	٣/ ٢٣٢
١٣١.	أنت ومالك لأبيك	٢/ ٥٤٢
١٣٢.	أنزلت عليَّ سورة ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها، ثم قال: الحمد لله رب العالمين	١/ ١٧٩
١٣٣.	انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخٍ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلىٰ المشركين	٣/ ٣٩٥
١٣٤.	انكحي من شئت	٣/ ٤٣٢
١٣٥.	إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم، وتَدين لهم بها العرب	٣/ ٥١

م	الحـديث	الجزء/الصفحة
١٣٦.	إنما ذلك كما قال لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان: ١٣]	١/ ٦٥٦
١٣٧.	إنما هو بياض النهار وسواد الليل	١/ ٣٠١
١٣٨.	أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: سبحان ربي الأعلىٰ	٣/ ٥٨٩
١٣٩.	أنه لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صَعِد رسول الله ﷺ علىٰ الصفا..	٣/ ٦٧٤
١٤٠.	أنه لما نزلت شقَّ ذلك علىٰ الصحابة وقالوا: هلكنا إن حوسبنا بخواطر أنفسنا، فقال لهم النبي ﷺ: قولوا: سمعنا وأطعنا	١/ ٣٧٤
١٤١.	إنها تنجي من عذاب القبر	٣/ ٤٣٥
١٤٢.	إنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ﷺ	٣/ ٢٥١
١٤٣.	إنهم أول من تسعَّر بهم النار	٢/ ١١٠
١٤٤.	أنهم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم يدخلوا الجنة ولا النار	١/ ٧٠١
١٤٥.	إني دعوت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ	٣/ ٤٥٧
١٤٦.	إني لا أعلم إلَّا ما علَّمني الله	٢/ ٦١١
١٤٧.	إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ ﴾..	٣/ ٤١٩
١٤٨.	إني لأعلم كلمةً لو قالها لذهب عنه ما به: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم	١/ ٧٦٥
١٤٩.	أو فتحٌ هو يا رسول الله؟ قال: نعم	٣/ ٢٤٦
١٥٠.	أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم علىٰ مثل القمر ليلة البدر..	٣/ ١٠٤
١٥١.	أيُّ مسجد بني أولُ؟ قال: المسجد الحرام، ثم بيت المقدس	١/ ٤١٣
١٥٢.	أيكم أحسن عقلًا، وأشدكم لله خوفًا، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله	٣/ ٤٣٦
١٥٣.	بعثت أنا والساعة كهاتين	٣/ ٢٢٨

م	الحـديث	الجزء/الصفحة
١٥٤.	بعثت أنا والساعة كهاتين	٣/ ٣٠٥
١٥٥.	بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	٣/ ٤٤٥
١٥٦.	البكر بالبكر جلد مئة وتغريب عام	٢/ ٥٠٣
١٥٧.	بل هو أعظم الفتوح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالرَّاح..	٣/ ٢٣٥
١٥٨.	بيت يُكِنُّك، وخِرقةٌ تواريك، وكِسْرة تشدُّ قلبك، وما سوىٰ ذلك فهو نعيم	٣/ ٦٥٥
١٥٩.	بينما أنا بين النائم واليقظان..	٢/ ٢٦٨
١٦٠.	بينما أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل..	
١٦١.	بينما جبريل قاعدٌ عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، قال: هذا بابٌ من السماء فتح اليوم ولم يفتح قطُّ إلا اليوم	١/ ٩٨
١٦٢.	التثبُّت من الله، والعجلة من الشيطان	٣/ ٢٥٣
١٦٣.	التحدُّث بالنعم شكرٌ	١/ ١٨٦
١٦٤.	تقتلك الفئة الباغية	٣/ ١٦٢
١٦٥.	التمسوها في العشر الأواخر	٣/ ٦٣٦
١٦٦.	ثلاث لا ينجو منهن أحد: الحسد، والظن، والطيرة..	٣/ ٦٨٨
١٦٧.	ثلاثة يُؤتَون أجرهم مرتين..	٢/ ٦٣٦
١٦٨.	ثمرها كالقلال، وورقها كآذان الفيلة	٣/ ٢٩٦
١٦٩.	جاءه الملك وهو بغار حراء، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطَّني حتىٰ بلغ مني الـجَهد..	١/ ٥١
١٧٠.	جُعلت لي الأرض مسجدًا	١/ ٦٩٦
١٧١.	جعلوا عباد الله خَوَلًا، ومال الله دُوَلًا	٣/ ١٦٢
١٧٢.	الجمعة واجبة علىٰ كل مسلم في جماعة إلا أربعة..	٣/ ٤٠٢
١٧٣.	جنتان من ذهب آنيتهما وكل ما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وكل ما فيهما	٣/ ٣٢٢

م	الحديث	الجزء/الصفحة
١٩٦.	سئل رسول الله ﷺ عن ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ قال: الذين يؤخرونها عن وقتها	٣/ ٦٦٦
١٩٧.	سئل رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: ذكر الله	١/ ٢٧٦
١٩٨.	سئل رسول الله ﷺ: ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ فقال: الماء، والنار، والملح	٣/ ٦٦٦
١٩٩.	شاهت الوجوه	٢/ ٣٩
٢٠٠.	شراء المغنيات وبيعهنَّ حرام	٢/ ٦٧٩
٢٠١.	شغلونا عن الصلاة الوسطىٰ صلاة العصر	١/ ٣٤٠
٢٠٢.	الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم	١/ ٧٦
٢٠٣.	صدقة تصدَّق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته	١/ ٥١٨
٢٠٤.	صفاؤهن كصفاء الدر في الأصداف الذي لا تمسه الأيدي	٣/ ٣٢٨
٢٠٥.	صلة الرحم تزيد في العمر	٢/ ٧٥٥
٢٠٦.	صلَّيت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بـ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	١/ ١٨٠
٢٠٧.	الضريع شوك في النار	٣/ ٥٩٤
٢٠٨.	طلحة ممن قضىٰ نحبه	٢/ ٧٠٦
٢٠٩.	الظن أكذب الحديث	٣/ ٢٥٧
٢١٠.	عجب الله من فعلكما البارحة	٣/ ٣٧٧
٢١١.	العجماء جرحها جُبَارٌ	٢/ ٤٢٥
٢١٢.	عفا الله عن الزكاة في الخيل	١/ ٦٠٩
٢١٣.	علىٰ مثل الشمس فاشهد	٣/ ٤٦٩
٢١٤.	الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره	٣/ ٢٥٧
٢١٥.	فإن أكل منه فلا تأكل؛ فإنه إنما أمسك علىٰ نفسه	١/ ٥٥٣
٢١٦.	الفرقتان في أمتي	٣/ ٣٢٧

م	الحديث	الجزء/الصفحة
٢٤٠.	لا أَلفِينَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة علىٰ رقبته بعير، لا ألفين أحدكم علىٰ رقبته فرس..	١/ ٤٣٨
٢٤١.	لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفِرُّ من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة	١/ ٩٨
٢٤٢.	لا تُخَيِّروا بين الأنبياء	١/ ٣٤٨
٢٤٣.	لا تدخلوا علىٰ هؤلاء المعذَّبين إلَّا وأنتم باكون؛ مخافةَ أن يصيبكم مثلُ الذي أصابهم	١/ ٧١٣
٢٤٤.	لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم	١/ ٧٦
٢٤٥.	لا تزال جهنم يُلقىٰ فيها وتقول: هل من مزيد، حتىٰ يضع الجبار فيها قدمَه	٣/ ٢٧٠
٢٤٦.	لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثلَ أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفه	٣/ ٣٤٦
٢٤٧.	لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذِّبوهم، وقولوا: آمنَّا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم..	٢/ ٦٥٩
٢٤٨.	لا تفضلوني علىٰ يونس بن متَّىٰ	١/ ٣٤٨
٢٤٩.	لا صلاة بعد العصر حتىٰ يطلع الشاهد	٣/ ٥٧٩
٢٥٠.	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	١/ ١٨٥
٢٥١.	لا فكرة في الرب	٣/ ٣٠٢
٢٥٢.	لا وصية لوارث	١/ ٢٩٦
٢٥٣.	لا يحج بعد هذا العام مشرك	١/ ٢٥٨
٢٥٤.	لا يحل دم امرئ مسلم إلَّا بإحدىٰ ثلاث: زنا بعد إحصان، أو كفر بعد إيمان، أو قتل نفس بغير نفس	١/ ٦٨٤
٢٥٥.	لا يحل مال امرئ مسلم إلَّا عن طيب نفس منه	٢/ ٥٤٢
٢٥٦.	لا يدخل الجنة نمام	٣/ ٤٤٦

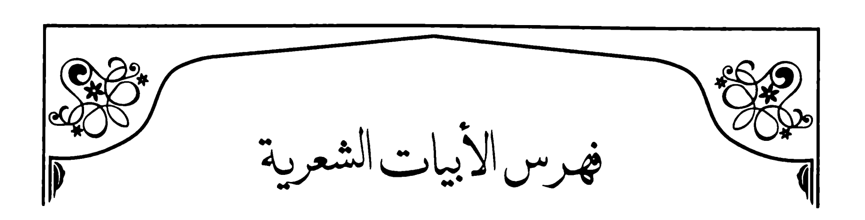
م	الحـديث	الجزء/الصفحة
٢٥٧.	لا يدخل النارَ إن شاء الله أحدٌ من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها	٣/ ٢٤٠
٢٥٨.	لا يصيب ابنَ آدم خدْشُ عودٍ أو عثرةُ قدم..	٣/ ١٥٩
٢٥٩.	لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً؛ إن سخِط منها خلقًا رضِي منها آخر	١/ ٤٦٨
٢٦٠.	لا يقتل حرٌّ بعبد	١/ ٢٩٥
٢٦١.	لا يقم أحدٌ أحدًا من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا	٣/ ٣٦٥
٢٦٢.	لا يقولنَّ أحدكم زرعت، ولكن يقول حرثت	٣/ ٣٣٣
٢٦٣.	لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقَل منها	٢/ ٤٧٣
٢٦٤.	لا يموتنَّ أحدُكم إلَّا وهو يحسن الظن بالله تعالىٰ	١/ ٧٠٥
٢٦٥.	لا؛ حتىٰ تذوقي عُسيلَته ويذوقَ عسيلتكِ	١/ ٣٣٠
٢٦٦.	لعلَّك تؤذيك هوامُّ رأسك؟ فقال: نعم..	١/ ٣٠٧
٢٦٧.	لقد نزلت عليَّ سورة هي أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها	٣/ ٢٣٤
٢٦٨.	لم يكن لقمان نبيًا، ولكن كان عبدًا حسَن اليقين، أحبَّ الله فأحبه، فمنَّ عليه بالحكمة	١/ ٩٧
٢٦٩.	لما نزلت ﴿أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾، قال رسول الله ﷺ: أعوذ بوجهك، فلما نزلت ﴿مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ قال: أعوذ بوجهك، فلما نزلت ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾، قال النبي ﷺ: هذه أهون	١/ ٦٥٠
٢٧٠.	لن يغلب عسر يسرين	٣/ ٦٢٥
٢٧١.	الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم	٣/ ٢١
٢٧٢.	اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها رِيحًا	١/ ٩٧
٢٧٣.	اللهم أشدد وطأتك علىٰ مضر	٣/ ٤٩٤
٢٧٤.	اللهم أيِّده بروح القدس	١/ ٢٤٦
٢٧٥.	اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل	١/ ٦٩
٢٧٦.	اللهم هذا فعلي فيما أَملك؛ فلا تؤاخذْني فيما لا أملك	١/ ٥٣٠

م	الحـديث	الجزء/ الصفحة
٢٧٧.	لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عِيانًا	٣/ ٦٣٤
٢٧٨.	لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا	٣/ ٦٣٢
٢٧٩.	لو كان العلم بالثريا لناله رجال من هؤلاء	٣/ ٣٩٩
٢٨٠.	لو كانت الدنيا تزِن عند الله جناح بعوضة ما سقىٰ كافرًا منها شربة ماء	٣/ ١٧٥
٢٨١.	لو نزل عذاب ما نجا منه غيرك يا عمر	٢/ ٢٨
٢٨٢.	لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح	٣/ ١٦١
٢٨٣.	لولا هؤلاء لقد كانت الحجارة سُوِّمت في السماء علىٰ المنفضِّين	٣/ ٤٠٤
٢٨٤.	لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد..	٣/ ٣٩٦
٢٨٥.	ليس لك عليه نفقة	٣/ ٤٣٢
٢٨٦.	ما أُحبُّ أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية	٣/ ٩٧
٢٨٧.	ما أدري أكان تبعٌ نبيًّا أو غير نبيٍّ	٣/ ١٩٦
٢٨٨.	ما أراك إلا قد حرمتِ عليه	٣/ ٣٥٨
٢٨٩.	ما كان رسول الله ﷺ يفسِّر من القرآن إلا آياتٍ بِعَددٍ، علّمه إياهنَّ جبريل	١/ ٧١
٢٩٠.	ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية؟	٣/ ٤٨٤
٢٩١.	ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صُفِّحت له صفائح من نار ..	٣/ ٤٦٦
٢٩٢.	ما من مولودٍ إلّا نخَسه الشيطان فيستهلّ صارخًا، إلّا ابنَ مريم وأمَّه	١/ ١٧٨
٢٩٣.	ما نزل في أهل النار أشد من هذه الآية	٣/ ٥٣٨
٢٩٤.	الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه ويَتتعتعُ فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران	٣/ ٥٥١
٢٩٥.	المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا	١/ ٤٧٨
٢٩٦.	مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأُترُجَّة؛ ريحها طيب وطعمها طيب..	١/ ٩٧
٢٩٧.	مخرجًا من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة	٣/ ٤١٩
٢٩٨.	مُرْهُ فليراجعها حتىٰ تطهر ثم تحيض ثم تطهر؛ فإن شاء طلق وإن شاء أمسك	٣/ ٤١٦

م	الحـديث	الجزء/الصفحة
٢٩٩.	مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، فإذا رأيتم شُحًّا مطاعًا، وهوىٰ متَّبَعًا، ودنيا مُؤْثَرَةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه؛ فعليك بخُوَيْصَّةِ نفسِك وذَرْ عوامَّهم	٣/ ٧١١
٣٠٠.	المستبَّان ما قالا فهو علىٰ البادئ	١/ ٥٦٨
٣٠١.	مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها	٣/ ١٢
٣٠٢.	معاذ الله! ما بذلك أُمرتُ، ولا إليه دعوتُ	١/ ٤٠٨
٣٠٣.	مفاتح الغيب خمس..	٢/ ٦٨٨
٣٠٤.	من أحبَّ أن يكون أكرم الناس فليتَّقِ الله	٣/ ٢٥٩
٣٠٥.	من أصاب ذنبًا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة	١/ ٥١٤
٣٠٦.	من أصابته مصيبة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أْجِرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها: أَخلف الله له خيرًا مما أصابه	١/ ٢٨٠
٣٠٧.	من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار	٣/ ٦٠٨
٣٠٨.	من ترك الصلاة فقد كفر	١/ ٤١٥
٣٠٩.	من حاسب نفسه في الدنيا هوَّن الله حسابه يوم القيامة	٣/ ٥٧٢
٣١٠.	مَن حفظ عشرَ آياتٍ من أول سورة الكهف عُصِم من الدَّجَّال	١/ ٩٩
٣١١.	مَن حلَف علىٰ سلعة بعد العصر..	١/ ٦١٣
٣١٢.	من سلم عليَّ قريبًا سمعتُه، ومن سلم عليَّ بعيدًا بُلِّغته؛ فإن الله حرم علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء	٢/ ٧٢٤
٣١٣.	من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين	٣/ ٣١٨
٣١٤.	من عَمَّرهُ اللهُ ستِّين فقد أعذر إليه في العُمُر	٢/ ٧٦٥
٣١٥.	من غصب شبرًا من أرض طَوَّقه يوم القيامة من سبع أَرَضين	٣/ ٤٢٥
٣١٦.	من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ	١/ ٧١
٣١٧.	من قال: لا إله إلَّا الله كتبت له عشرون حسنة، ومن قال: الحمد لله رب العالمين كتبت له ثلاثون حسنة	١/ ١٨٨

م	الحــديث	الجزء/الصفحة
٣٤٠.	هذه الآية لكم، وقد تقدَّم مثلُها لقوم موسىٰ	١/ ٧٥٦
٣٤١.	هل أنت إلَّا إِصبَعٌ دَمِيتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ	٣/ ١٩
٣٤٢.	هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة قوَّاهم الله بأربعة سواهم	٣/ ٤٥٨
٣٤٣.	هؤلاء إلىٰ الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلىٰ النار ولا أبالي	١/ ٧٥٥
٣٤٤.	هي ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق..	٢/ ٣٠٢
٣٤٥.	والخير كله بيديك، والشر ليس إليك	١/ ٥٠٤
٣٤٦.	والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك	٢/ ٧٢
٣٤٧.	والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم	٢/ ٢٦٥
٣٤٨.	وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض	٢/ ٤٠١
٣٤٩.	وكان كل نبي يبعث إلىٰ قومه خاصة وبعثت إلىٰ الناس كافة	١/ ٧٤٧
٣٥٠.	يا أبا المنذر!، أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟	١/ ٩٨
٣٥١.	يا أبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك	٣/ ٦٠٤
٣٥٢.	يا أيها الناس! انصرفوا فإن الله قد عصمني	١/ ٥٩٢
٣٥٣.	يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار	٢/ ٥٩٠
٣٥٤.	يا عائشة! استعيذي بالله من شر هذا؛ فإنه الغاسق إذا وقب	٣/ ٦٨٥
٣٥٥.	يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعكْ، وتعطيَ من حرمك، وتعفوَ عمن ظلمك	١/ ٧٦٥
٣٥٦.	يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي علىٰ دينك	١/ ٧١٧
٣٥٧.	يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	١/ ٤٧١
٣٥٨.	يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرْلًا	٢/ ٤٣٣
٣٥٩.	يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وذلك خمس مئة سنة	٢/ ٤٦٠
٣٦٠.	يرحم الله أخي لوطًا؛ لقد كان يأوي إلىٰ ركن شديد	٢/ ١٣٠



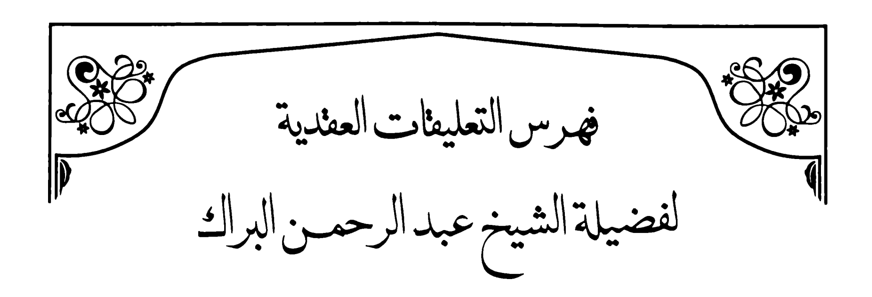


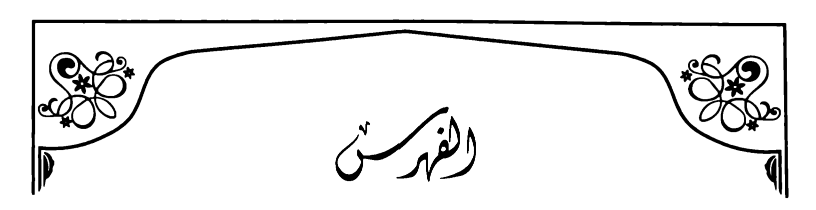
فهرس الأبيات الشعرية

م	البيت الشعري		الجزء/ الصفحة
١.	[ونَـذِيمهم وبهـا عرفْنـا فضلهُ]	فبضـدِّها تتبيَّن الأشـياءُ	١/ ٥٨
٢.	لا تـدعني إلَّا بيـا عبـدَهُ	فإنَّـه أشـرفُ أسـمائِيْ	١/ ٢١٥
٣.	ولا عيـبَ فـيهم غيـرَ أن سـيوفهم	بهـنَّ فُلُـولٌ مـن قِـراع الكتائـبِ	١/ ٥٨٧
٤.	خـذي العَفْوَ مني تستديمي مـودَّتي	[ولا تَنطِقي في سَوْرتي حين أغضبُ]	١/ ٧٦٤
٥.	وأظلـم خلـق الله مـن بـات حاسدًا	لمـن بـات في نعمائـه يتقلَّـبُ	٣/ ٦٨٨
٦.	[ولقـد غَنـوا فيهـا بـأنعم عيشـةٍ]	في ظِـلِّ مُلْـكٍ ثابـتِ الأوتـادِ	٣/ ٥٣
٧.	ولـيس لله بمسـتنكرٍ	أن يجمـع العـالم في واحـدِ	٢/ ٢٦٣
٨.	قالتْ -وقد سألتْ عن حال عاشقِها-:	بـالله صِـفْهُ ولا تـنقُص ولا تَـزِدِ	١/ ٢٠٠
٩.	كـل العـداوة قـد تُرجـىٰ إزالتهـا	إلا عـداوة مـن عـاداك مـن حسَـدِ	٣/ ٦٨٨
١٠.	إن يحسـدوني فـإني غيـرُ لائمِهـم	قبلي من الناس أهلِ الفضل قد حُسِدوا	٣/ ٦٨٨
١١.	مَـن تَلْـقَ منهم تقـلْ: لاقَيْـتُ سَيِّدَهم	[مثلَ النجوم التي يَسري بها السَّاري]	٣/ ١٧٩
١٢.	إني لأرحـم حاسِـديَّ لفَـرْط مـا	ضـمَّت صـدورهمُ مـن الأوغـارِ	٣/ ٦٨٧
١٣.	وأبـرحُ مـا يكـون الشَّـوقُ يومًـا	إذا دنـت الـدِّيارُ مـن الـديارِ	١/ ٧٢٨
١٤.	لا أرىٰ المـوتَ يَسبق المـوتَ شـيءٌ	نغَّـص المـوتُ ذا الغنـىٰ والفقيـرَا	٣/ ٦٩١
١٥.	كلـوا في بعـضِ بَطْـنِكم تَعِفُّـوا	[فـإنَّ زمـانكم زَمَـنٌ خَمِـيصُ]	٣/ ٦٦٣
١٦.	تعصـي الإلـهَ وأنـت تُظهِـرُ حبَّـه	هــذا محـالٌ في القيـاس بـديعُ	١/ ٢٠٠

م	البيت الشعري		الجزء/ الصفحة
١٧.	كبِكْـرِ مُقانـاةِ البيـاض بصُـفْرةٍ	[غـذَاها نَميـرُ المـاء غيـرَ محلَّـلِ]	٣/ ٣١
١٨.	ألَا فـارحموني يـا إلــهَ محمَّــدٍ	فـإن لـم أكـن أهـلًا فأنـت لـه أهـلُ	٢/ ٤٩٧
١٩.	[وَسْنانُ أقْصَـدهُ النُّعـاسُ فرَنَّقَـتْ]	في عينِـه سِـنَةٌ ولـيس بنـائمِ	١/ ٣٥٠
٢٠.	فعلفْتُهـا تِبْنًـا ومـاء بـاردًا	[حتـىٰ شـتتْ همّالـةً عيْنَاهَـا]	٣/ ٣٧٦
٢١.	فهيهـاتَ هيهـاتَ العقيـقُ وأهلـه	[وهيهات وصْـلٌ بـالعقيق تواصـلُهْ]	٢/ ٤٨٣




فهرس التعليقات العقدية
لفضيلة الشيخ عبد الرحمن البراك



الفهرس


تم بحمد الله